

لقد حدّف الحق من وصف الفئة الأولى ما يدل عليه في وصف الفئة الثانية . وعرفنا وصف الفئة الثانية أن وعرفنا وصف الفئة التي تقاتل في سبيل الله من مقابلها في الآية وهي الفئة الأخرى. فمقابل الكافرة مؤمنة ، وعرفنا أيضا أن الفئة الكافرة إنما تقاتل في مبيل الشيطان لمجرد معرفتنا أن الفئة الأولى المؤمنة تقاتل في سبيل الله . ويسمون ذلك في اللغة و احتباك ، وهو أن تحدف من الأول نظير ما أثبت في الثاني ، وتحدف من الثان نظير ما أثبت في الثاني ، وتحدف من الثاني نظير ما أثبت في الثاني ، وحتى توضح الالتجام بين الفتال في سبيل الله والإيمان ، والفتال في سبيل الشيطان والكفر .

إذن فالآية على هذا المعنى توضح لنا الآنى: لقد كان لكم آية ، أى أمر عجيب جدا لا يسير ولا يتفق مع منطق الأسباب الواقعية فى فتتين مفعندما النقت الفئة المؤمنة فى قتال مع الفئة الكافرة ، استطاعت الجهاعة المؤمنة المحددة بالغاية التى تفاتل من أجلها . وهي الفتال في سبيل الله . أن تنتصر على الفئة الكافرة التى تفاتل في سبيل الله . أن تنتصر على الفئة الكافرة التى تفاتل في سبيل الشيطان .

وبعد ذلك يقول الحق : « يرونهم مثليهم رأى العين » فنحن أمام فثنين ، فمن الله يُرى ؟ ومن الله يرى ؟ من الرائى ومن المرئى ؟ إن كان الرائى هم المؤمنين فالمرئى هم الكافرون ، وإن كان الرائى هم الكافرين فالمرئى هم المؤمنون ولنر الأمر على المعنيين :

فإن كان الكافرون هم الذين برون المؤمنين ، فإنهم يرونهم مثليهم ؛ أى ضعف عددهم ، وكان عدد الكافرين يقرب من ألف . إذن فالكافرون يرون المؤمنين ضعف ضعف أنفسهم ، أى ألفين . وقد يكون المعنى مؤديا إلى أن المؤمنين يرون الكافرين ضعف ضعف عددهم الفعلى . وقد يؤدى المعنى إلى أن الكافرين يرون المؤمنين ضعف عددهم وكان عدد المؤمنين يقرب من ثلاثياتة وأربعة عشر ، وضعف هذا العدد هو ستهائة وثهانية وعشرون مقاتلا .

فإن أخذنا معنى « مثليهم » على عدد المؤمنين ، فالكافرون يرونهم حوالى ستهائة . وثيانية وعشرين مقاتلا » وإن أخذنا معنى « مثليهم » على عند الكافرين فالكافرون يرون المؤمنين حوالى ألفين . وما الهدف من ذلك ؟ إن الحق سبحانه يتكلم عن المواجهة بين الكفر والإيمان حيث ينصر الله الإيمان على الكفر . وبعض من الذين يتصيدون للقرآن يقولون : كيف يقول القرآن : « يرونهم مثليهم رأى العين » وهو يقول في موقع آخر :

﴿ إِذْ بُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيكٌ وَلَو أَرَنَكُهُمْ كَذِيرًا لَفَضِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِ الأَمْرِ وَلَكِنَ اللَّهُ سَلَمٌ أَنْهُ عَلِيمُ بِذَاتِ الصّدورِ ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ النَّفَيْتُمْ فِي وَلَكِنَ اللّهُ سَلَمٌ قَلْبِكُمْ وَلَهُمْ إِذِ النَّفَيْتُمْ فِي أَعْبُورَ الصّدورِ ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ النَّفَيْتُمُ فِي أَعْبُورَ الصّافَةِ الْمُبْرِكُمْ قَلْبِكُمْ وَيُ أَعْبُورَ لِي اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَيَا اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَيَعْمُ اللّهُ اللّهُ وَيَعْمُ اللّهُ اللّهُ وَيَعْمُ اللّهُ اللّهُ وَيَعْمُ اللّهُ اللّهُ وَيَعْمِلُهُ وَإِلَى اللّهُ وَيَعْمُ اللّهُ مُورًا ﴾

(سورة الأنفال)

وهذه الآية تثبت كثرة ، سواء كثرة المؤمنين أو كثرة الكافرين ، والآية التي نحن بصدد تناولها بالخواطر الإيمانية تثبت قلة ، والمشككون في القرآن يقولون : كيف يتناول القرآن موقعة واحدة على أمرين مختلفين ؟ ونقول لهؤلاء المشككين : أنتم قليلو الفطنة ، لأن هناك فرقًا بين الشجاعة في الإقبال على المعركة وبين الروح العملية والمعنوية التي تسيطر على المقاتل أثناء المعركة ، والحق سبحانه قد تكلم عن الحالين : قلل الحق هؤلاء في أعين هؤلاء ، وقلل هؤلاء في أعين هؤلاء ، لأن المؤمنين حين يوون الكافرين قليلا فإنهم يتزودون بالجرأة وطاقة الإيمان ليحققوا النصر .

والكافرون عندما يرون المؤمنين قلة فإنهم يستهينون بهم ويتراخون عند مواجهتهم . ولكن عندما تلتحم المعركة فها الذي يحدث ؟ لقد دخلوا جميعا المعركة على أمل القلة في الأعداد المواجهة ، فها الذي يحدث في أعصابهم ؟ إن المؤمن يدخل المعركة بالاستعداد المكثف لمواجهة الكفار . وأعصاب الكافر تخور لأن العدد أصبح على غير ما توقع ، إذن فقول الحق :

﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَفَيَّمُ إِنَّ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيغَضِيَ اللهُ اللهُ وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيغَضِيَ اللهُ أَمْرًا كُانَ مَعْمُولًا وَإِلَى آللهِ تُرْجَعُ الْأَمُورُ ۞ ﴾

يُصور الحالة قبل المعركة ؛ لأن الله لا يريد أن يتهيب طرف من طرف فلا تنشأ المعركة . لكن ما إن تبدأ المعركة حتى يقلب الحق الأمور على عكسها ، إنه ينقل الشيء من الضد إلى الضد إلى الضد . ونقل الشيء من الضد إلى الضد إيذان بأن قادرا أعلى يقود المشاعر والأحاسيس ، والقدرة العالية تستطيع أن تصنع في المشاعر ما تريد .

لقد قلل الحق الاعداد أولا حتى لا يتهيبوا المعركة ، وفي وقت المعركة جعلهم الله كثيرا في أعين بعضهم البعض وفترى كل فئة الطرف الآخر كثيرا ، فتتفجر طاقات الشجاعة المؤمنة من نفوس المؤمنين فيقبلون على الفتال بحياسة ، وتخور نفوس الكافرين عندما يواجهون أعدادا أكثر مما يتوقعون . والحق سبحانه وتعالى يقول :

﴿ قَدْ كَانَ لَـكُمْ عَايَةً فِي فِتَنَيْنِ ٱلْنَقَنَّ فِيَهُ تُقَاتِيلُ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَأَشْرَىٰ كَافَرَةً بَرُونَهُم مِثْلَيْهِمْ رَأَى ٱلْعَيْنِ وَاللّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ، مَن بِشَآةً إِنَّ فِي ذَالِكَ لَعِبْرَةً لِلْأُولِي ٱلْأَبْصَارِ ﴿ ﴾ مِثْلَيْهِمْ رَأَى ٱلْعَيْنِ وَاللّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ، مَن بِشَآةً إِنَّ فِي ذَالِكَ لَعِبْرَةً لِلْأُولِي ٱلْأَبْصَارِ ﴾ وينان عبوان)

إن هذه الآية هي خبر تبشيري لكل مؤمن بالنصر ، وهي في الوقت نفسه خبر إنذاري لكل كافر بأن الهزيمة سوف تلحق به إن واجه الجهاعة المؤمنة . فإياكم أن تقيموا الأمور بمقاييس الأسباب ، فالأسباب المطلوبة منكم هي المقدور عليها للبشر وعليكم أن تتركوا تتمة كل ذلك للقدر ، فلا تخور الفئة المؤمنة أمام عدد كثير ، ولا تغتروا معشر الكفار بأعدادكم الكثيرة ؛ فالسابقة أمامكم تؤكد أن عدداً قليلا من المؤمنين قد غلب عددا كثيرا من الكافرين .

ومن معانى الآية _أيضا _ أن الكافرين يرون المؤمنين مثلى عدد الكافرين ، أى ضعف عدد ضعف عددهم . ومن معانيها _ ثالثا _ أن الكافرين يرون المؤمنين ضعف عدد المؤمنين الفعلى . ومن معانى الآية _ رابعا _ أن يرى المسلمون الكافرين مثليهم ، أى مثل المؤمنين مرتين ، أى ستهائة نفر وقليلا ، وحينئذ يكون عدد الكافرين في عيون المؤمنين أقل من العدد الفعلى لهؤلاء الكافرين . إذن فها حكاية ، مثليهم ، هذه ؟ لقد وعد الله المؤمنين بنصره حين قال :

﴿ يَنَا أَيُّ اللَّهِي حَرِضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْفِتَالِ إِن يَكُن مِنكُرْ عِشْرُونَ صَنْبِرُونَ يَغْلِبُواْ

مِأْنُتَيْنٌ وَإِن يَكُن مِنكُم مِّأَنَةٌ يَغَلِبُواۤ أَلْفُا مِنَ الَّذِينَ كَفُرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَغْقَهُونَ ١٠٠٠

(سورة الأنقال)

والنسبة هنا أن المؤمن الواحد يخرج إلى عشرة من الكافرين فيهزمهم ، ذلك وعد الله ، وحين أراد الله النخفيف قال الحق :

﴿ الْفَنَ خَفِّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ صَعْفَاً فَإِن يَسكُن بِنكُمْ مِّالَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِا نَتَنْجُنِ وَإِن يَكُن مِنكُمْ أَلْفَ يَعْلِبُواْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللهُ مَعَ الصَّنبِرِينَ ۞﴾ مِا نَتَنْجُنِ وَإِن يَكُن مِنكُمْ أَلْفَ يَعْلِبُواْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللهُ مَعَ الصَّنبِرِينَ

لقد خفف الله النسبة ، فواحد من المؤمنين يغلب اثنين من الكافرين . فالمؤمنون موعودون من الله بالغلبة حتى وهم ضعاف . والحق يقول فى الأية المبشرة للمؤمنين ، المنذرة للكافرين ، والتى نحن بصددها الآن : ، والله يؤيد بنصره من يشاء إن فى ذلك لعبرة الأولى الأبصار » .

وتحن نسمع كلمة وعبرة ، كثيرا ، والمادة المأخوذة منها تدل على الدخول من مكان إلى مكان ، فيقال عن ذلك و عُبور ، ونجن في حياتنا العادية نخصص في الشوارع أماكن لعبور المشاة ، أي المسافة التي يمكن للمشاة أن ينقذوا منها من ضفة الشارع إلى الضفة الأخرى من الشارع نفسه . وعبور البحر هو النفاذ من شاطىء إلى شاطىء آخر .

إذن فهادة و العبور و تدل على النفاذ من مكان إلى مكان ، وو العبرة و أى الدمعة الأنها تسقط من محلها من العين على الحد . وو العبارة و أى الجملة التى نتكلم بها ، فهى تنتقل من الفم إلى الأذن ، وهى عبور أيضا . وو العبير و أى الرائحة الجميلة التي تنتقل من الوردة البعيدة عن الإنسان قليلا لتنفذ إلى أنفه . إذن فهادة و العبور و تدل على و النفاذ و .

وحين يقول الحق : « إن في ذلك لعبرة » . أى تنقلكم من أمر قد يخيفكم أيها المؤمنون الأنكم قليل ، وهم كثير ، إنها تنقلكم إلى نصر الله أيها المؤمنون ، وتنقلكم

@17:Y@@+@@+@@+@@+@@+@

أيها الكافرون إلى الهزيمة برغم كثرة عُدتكم وغددكم . فالعبرة هي حدث ينقلك من شيء إلى شيء مغاير ، كالظالم الذي نرى فيه يوما ، ونقول : إن ذلك عبرة لنا ، أي إنها تقلتنا من رؤيته في الطغيان إلى رؤيته في المهانة . "

وهكذا تكون العبرة هي العظة اللافئة والناقلة من حكم إلى حكم قد يستغربه الذهن ، فتذييل هذه الآية الكريمة بهذا المعنى هو إيضاح وبيان كامل ، فالحق يقول في بداية هذه الآية : «قد كان لكم آية في فئتين النفتا » . وتنتهى الآية بقوله : « إن في ذلك لعبرة لأولى الأبصار » .

إذن فالعبرة شيء ينقلنا من أمر إلى أمر قد تستغربه الأسباب وذلك إن كنت متروكا لسياسة نفسك ، لكن المؤمن ليس متروكا لسياسة نفسه ؛ لأن الله لو أراد أن يعذب الكفار بدون مواجهة المؤمنين وحربهم لعذبهم بدون ذلك ، ولكن الله يريد أن يكون عذاب الكافرين بأيدى المؤمنين :

﴿ قَانِتُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُوْ وَيُحَزِّهِمْ وَيَنْصُرَّكُوْ عَلَيْهِمْ وَبَشْفِ صَدُورَ قَوْمٍ ﴾ مُؤْمِنِينَ ۞

(سورة التربة)

ولوكان الله بريد أن يعلب الكافرين بغير أيدى المؤمنين لأحدث ظاهرة في الكون تعذبهم ، كزلزال يحدث ويدمرهم ، ولكن الله يريد أن يعلب الكافرين بأيدى المؤمنين . ووائله يؤيد بنصره من يشاء ، إن في ذلك لعبرة الأولى الأبصار ، ووائله يؤيد بنصره من يشاء ، إن في ذلك لعبرة الشواة الأبصار ، ووائليد ، هو القوة ، إذن فهو يريد منك فقط الشواة العملية ، ثم بعد ذلك يكملها الله بالنصر ، ووأيده ، أي قواه ، ويؤيد الله بنصره من يشاء ، وتكون العبرة الأولى الأبصار .

وقد يقول قائل: أتكون العبرة لأولى الأبصار أم لأولى البصائر ؟ وهنا نقول: إن العبرة هنا لأولى الأبصار؛ لأن الأمر الذي تتحدث عنه الآية هو أمر مشهدى ، أمر محسوس ، فمن له عينان عليه أن يبصر بها ، فإذا كان التفكير والتدبر ليس أمرا موهويا نكل مخلوق من البشر ، فإن البصر موجود للغالبية من الناس ، وكل منهم

يستطيع أن يفتح عينيه ليرى هذا الأمر المشهدى.

وإذا ما نظرنا إلى المعركة بذاتها وجدنا الدليل الكامل على صدق العبارة ؛ فالمؤمنون قلة وعددهم معروف محدود ، وعتادهم قليل ، ولم يخرجوا بقصد حرب ، إنما خرجوا لقصد الاستيلاء على العير المجملة بالأرزاق من طعام وكسوة تعويضا عها اغتصبه المشركون من أموالهم في مكة ، ولو أنهم استولوا على العير فقط لما كان النصر عظيها بالدرجة التي كان عليها ؛ لأن العير عادة لا تسير بعتاد ضخم إنما تحفظ بالحراسة فقط . ولكن الله يريد لهم النصر على ذات الشوكة ، أي الطائفة القوية المسلحة ، لقد وعدهم الله بالنصر على إحدى الطائفةين :

﴿ وَإِذْ يَعِدُ كُرُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّلَا بِفَنَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَقَوَدُونَ أَنَّ عَيْرَ ذَاتِ الثَّوكَةِ تَكُونُ لَا يَعِدُ لَا يَعِدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْخُنَّ بِكَلِمَانِيهِ ، وَيَغْطَعَ دَايِرَ الْكَنفِرِ بَنَ ﴿ ﴾ لَكُمْ أَيْرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْخُنَّ بِكَلِمَانِيهِ ، وَيَغْطَعَ دَايِرَ الْكَنفِرِ بَنَ ﴿ ﴾

(سورة الأنفال)

لقد كان وعد الله أن ينصر المؤمنين على إحدى الطائفتين ، والأمل البشرى كان يود الانتصار على الطائفة غير ذات الشوكة أى الطائفة غير المسلحة وهى العير ، ولكن مثل هذا النصر لا يكون له دُوِى النصر على الطائفة المسلحة ، فقد كان من السهل أن يقال : إن محمداً ومن معه تعرضوا لجماعة من التجار لا أسلحة معهم ولا جيش ، ولكن الله يريد أن يجعل من هذه المعركة فرقانا وأن يحق الحق .

إنكم أيها المؤمنون لم تخرجوا إلا ليقصد العبر أى لم يكن استعدادكم كافيا للقتال ، أما الكفار فقد جاءوا بالنفير ، أي يكل قوتهم فقد ألقت مكة في هذه المعركة بأفلاذ أكبادها . وعندما يأني النصر من الله للمؤمن في مثل هذه الموقعة فهو تصر حقيقي ، ويكون آية غاية في العجب من آيات الله . وتصير عبرة للغير . لذلك نجد العجائب في هذه المعركة - معركة بدر - .

الغرائب أنك تجد الأخوين يكون لكل منها موقف ومجابهة . وتجد الأب والابن لكل منها موقف ومجابهة برغم عمق الصلة بينها ، فمثلا ابن أبي بكر رضى الله عنه ، وكان هذا الابن لم يسلم بعد ، وكان في جانب الكفار ، وأبوه الصديق مع رسول الله

017-100+00+00+00+00+0

صلى الله عليه وسلم ، وبعد أن أسلم ابن أبي بكر يحكى الابن لآبيه بشيء من الامتنان والبر : لقد تراءيت لى يوم بدر فزويت وجهى عنك . فيرد أبو بكر الرد الإيماني الصديقي : والله لو تراءيت لى أنت لقتلتك .

وكلا الموقفين منطقى ، لماذا ؟ لأن ابن أبي بكر حين يلتقى بأبي يكر ، ويوى وجه أبيه ، فإنه يقارن بين أبي بكر وبين ماذا ؟ إنه يقارن بين أبيه وبين باطلى ، ويعرف تمام العلم أنه باطل ، فيرجح عند ابن أبي بكر أبوه ، ولذلك يجافظ على أبيه فلا يلمسه . لكن أبا بكر الصديق حينها يقارن فهو يقارن بين الإيمان بالله وابنه ، ومن المؤكد أن الإيمان يزيد عند الصديق أبي بكر ، فلو رآه يوم بدر لقتله .

وقة حكمة فيمن قُتل على أيدى المؤمنين من بجرمى الحرب من قريش ، وقة حكمة فيمن أبقى من الكفار بغير قتل ؛ لأن هؤلاء مدخرون لقضية إيمانية كبرى سوف يبلون فيها البلاء الحسن . فلو مات خالد بن الوليد فى موقعة من المواقع التى كان فيها فى جانب الكفر لحزنا نحن المسلمين ؛ لأن الله قد ادخره لمعارك إيمانية يكون فيها سيف الله المسلول ، ولو مات عكرمة الفقدت أمة الإسلام مقاتلا عبقريا .

لقد حزن المسلمون في موقعة بدر لأنهم لم يقتلوا هؤلاء الفرسان ؛ لأنهم لم يعلموا حكمة الله في ادخار هؤلاء المقاتلين ؛ لينضموا فيها بعد إلى صفوف الإيجان . والله لم يحكن مقاتلي المسلمين يوم بدر من المحاربين الذين كانوا على دين قومهم آنئذ إلا لأن الله قد ادخرهم لمواقع إيمانية قادمة يقفون فيها ، ويجاربون في صفوف المؤمنين ، وهذا نصر جديد .

ونرى أبا عزيز وهو شقيق الصحابي مصعب بن عمير الذي أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم ليبشر بدين الله ، ويعلم أهل المدينة ، وكان مصعب فتى قريش المدلل صاحب ترف ، وأمه صاحبة ثراء ، وبعد ذلك رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يلبس جلد شاة بعد أن كان يلبس الحرير ، فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انظروا إلى الإيجان ماذا فعل بصاحبكم » .

والتقى مصعب في المعركة مع أخيه أبي عزيز ، وأبو عزيز على الكفر ، ومصعب

رضى الله عنه مسلم يقف مع النبى صلى الله عليه وسلم ، وحين يرى مصعب رضى الله عنه أخاه أبا عزيز وهو أسير لصحابي اسمه أبو اليسر ، فيقول مصعب : يا أبا اليسر اشدد على أسيرك ؛ فإن أمه غنية وذات متاع ، وستفديه بمال كثير .

فيقول له أخوه أبو عزيز : أهذه وصاتك بأخيك ؟ فيقول مصعب مشيراً إلى أبي البسر : هذا أخى دونك . كانت هذه هي الروح الإيمانية التي تجعل الفئة القلبلة تنتصر على أهل الكفر ، طاقة إيمانية ضخمة تتغلب على عاطفة الأخوة ، وعاطفة الأبوة ، وعاطفة البنوة . وقد جعل الله من موقعة بدر آية حتى لا يخور مؤمن وإن قل عدد المؤمنين ، أو قلت عُدتهم موحتى لا يغتر كافر ، وإن كثر عددٌ قومه وعتادهم .

وقد جعلها الله آية للصدق الإيمان ، ولذلك يقال : احرص على الموت توهب لك الحياة . وقد كانت القضية الإيمانية هي التي تملأ نفس المؤمن ، إنّها قضية عميقة متخلفلة في النفوس . ولماذا يتربص الكفار بالمؤمنين ؟ إنهم إن تربصوا بهم ، فسيدخل المؤمنون الجنة إن قُبَلُوا أو ينتصرون على الكفار ، وفي ذلك يقول الحق على لسان المؤمنين :

﴿ قُلْ مَلْ رَبَّصُونَ بِنَا إِلَا إِخْدَى الْخُسْنَيْنِ وَنَحَنُ نَتَرَبُصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللهُ الم يعَذَابِ مِنْ عِندِهِ * أَوْ يِأْيْدِينَا فَتَرَبُصُوا إِنَّا مَعَكُم مَثَرَ يُصُونَ ﴿ ﴾ يعذَابِ مِنْ عِندِهِ * أَوْ يِأْيْدِينَا فَتَرَبُصُوا إِنَّا مَعَكُم مَثَرَ يُصُونَ ﴿ ﴾ (سورة التوبة)

فالظفر هنا باحد أمرين : إما النصر على الكافرين ، وإما الاستشهاد في سبيل الله ، ونيل منزلة الشهداء في الجنة وكلاهما جميل . والمؤمنون يتربصون بالكافرين ، إما أن بصيب الله الكفار بعذاب من عنده ، وإما أن يصيبهم بأيدى المؤمنين . إنها معادلة إيمائية واضحة جلية . وبعد ذلك يقول الحق سبحانه :

عَيْنَ النَّاسِ حُبُّ الشَّهُوَاتِمِنَ النِّكَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْفَنَطِيرِ الْمُقَنَطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَٱلْفِضَىةِ

○1711○○◆○○◆○○◆○○◆○○◆○

وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْفَكِيرِ وَالْحَكْرِثِ ذَالِكَ مَنَكُعُ الْحَيَوْةِ الدُّنْيِّ وَاللَّهُ عِنكُهُ جُسْنُ الْمَنَابِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّ

الموضع الذي تأتى فيه هذه الآية الكريمة هو : موقع ذكر المعركة الإسلامية التي جعلها الله آية مستمرة دائمة ؛ لتوضح لنا أن المعارك الإيمانية تتطلب الانقطاع إلى الله ، وتتطلب خروج الإنسان المؤمن عما ألف من عادة تمنحه كل المتع ، والمعارك الإيمانية تجعل المؤمن الصادق يضحى بكثير من ماله في تسليح نفسه ، وتسليح غيره أيضا .

فمن يقعد عن الحرب إنسان تغلبه شهوات الدنيا ، فيأتى الله بهذه الآية بعد ذكر الآية التى ترسم طريق الانتصارات المتجدد لأهل الإيمان ؛ وذلك حتى لا تأخذنا شهوات الحياة من متعة القتال في سبيل الله ولإعلاء كلمته فيقول : وزين للناس حب الشهوات ، وكلمة وزين ، تعطينا فاصلا بين المتعة التى يحلها الله ، والمتعة التى لا يرضاها الله ؛ لأن الزينة عادة هي شيء فوق الجوهر ، فالمرأة تكون جميلة في ذاتها وبعد ذلك تتزين ، فتكون زينتها شيئا فوق جوهر جمالها .

فكان الله يريد أن ناخذ الحياة ولا نرفضها ، ولكن لا ناخذها بزينتها وبهرجتها ، بل تأخذها بحقيقتها الاستبقائية فيقول : ﴿ زَينَ لَلْنَاسَ حَبِ الشهواتِ مِن النساء » . وما الشهوة ؟ الشهوة هي ميل النفس بقوة إلى أي عمل ما .

وحين ننظر إلى الآية فإننا نجدها توضح لنا أن الميل إذا كان مما يؤكد حقيقة استبقاء الحياة فهو مطلوب ومقبول ، ولكن إن أخذ الإنسان الأمر على أكثر من ذلك فهذا هو الممقوت .

وسبق أن ضربنا المثل من قبل بأعنف غرائز الإنسان وهي غريزة الجنس، وأن

00+00+00+00+00+017170

الحيوان يَفْضُل الإنسان فيها ، فالحيوان أخذ العملية الجنسية لاستبقاء النوع بدليل أن الأنثى من الحيوان إذا تم لقاحها من فحل لا تُمكِّن فحلًا آخر منها . والفحل أيضا إذا ما جاء إلى أنثى وهي حامل فهو لا يُقبل عليها ، إذن فالحيوانات قد أخذت غريزة الجنس كاستبقاء للحياة ، ولم تأخذها كالإنسان لذة متجددة .

ومع ذلك فنحن البشر نظلم الحيوانات ، ونقول في وصف شهوة الإنسان : إن عند فلان شهوة بهيمية . ويا ليتها كانت شهوة بهيمية بالفعل ؛ لأن البهيمة قد أخذتها على القدر الضروري ، لكن نحن فلسفناها ، إذن فخروجك بالشيء عها يحكن أن يكون مباحاً ومشروعا يسمى : دناءة شهوة النفس .

والحق سبحانه وتعالى يريد أن يضمن للكون بقاءه ، والبقاء له نوعان : أن يُبقى الإنسان حياته بالمطعم والمشرب ، وتبقى حياة النوع الإنسان بالتزاوج .

ولكن إن نظرت إلى المسألة وجدت الخالق حكيها عليها. إنه يعلم أن طفولة أى حيوان بسيطة بالنسبة لأبيه وأمه ، مثال ذلك : الحيامة تطعم فرخها إلى أن يستطيع الطيران ، ثم لا تعرف أين ذهب فرخها ، لكن حصيلة الالتفاء بين الرجل والمرأة ، والتي أراد الله لها أن تنتج الأولاد تحتاج إلى شقاء إلى أن يبلغ الولد ، وذلك ليكون هناك تكافؤ وتناسب بين ما يحرص عليه الإنسان من شهوة ، وما يتحمل من مشاق ومتاعب في سبيل الاستمتاع بها واستبقائها . فقول الحق سبحانه : و زين للناس حب الشهوات من النساء ، فمن المزين ؟ إن كان في الأمر الزائد على ضروريات حب الشهوات من الشيطان، وإن كان في الأمر الرئيب الذي يضمن استبقاء النوع فهذا من الله .

ونجد الحق يضيف و البنين ، إلى مجال الشهوات ويقصد بها الذكران ، ولم يقل البنات ، لماذا ؟ لأن البنين هم الذين يُطلبون دائها للعزوة كها يقولون ولا يأتي منهم العار ، وكان العرب يئدون البنات ويخافون العار ، والمحبوب لدى الرجل في الإنجاب حتى الآن هو إنجاب البنين ، حتى الذين يقولون بحقوق المرأة وينادون بها ، سواء كان رجلا أو امرأة إن لم يرزقه الله بولد ذكر فإنه أو إنها تريد ولداً ذكراً .

0111100+00+00+00+00+0

ويضيف الحق إلى مجال الشهوات: و والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة ، و والقناطير هي جمع قنطار ، والقنطار هو وحدة وزن ، وهذا الوزن حددته كثافة الذهب ، إلا أن القنطار قبل أن يكون وزناً كان حجياً ، لكنهم رأوا الحجم هذا يزن قدراً كمياً ، فانتقلوا من الحجم إلى الوزن .

وكان علامة الثراء الواسع في الزمن الفديم أن يأنوا بجلد الثور بعد سلخه ويملأوه ذهبا ، ومل، جلد الثور بالذهب يسمونه قنطاراً ، وكانت هذه عملية بدائية . وبعد ذلك أخذوا مل، الجلد ذهباً ووزنوه قصار وزنا . إذن فالأصل فيه أنه كان حجماً ، قصار ووزناً .

وساعة تسمع و قناطير مقتطرة من الذهب والفضة و فهو يريد أن محقق فيها الفنطارية ، وذلك بعنى أن القنطار المقنطر هو القنطار الكامل الوزن ، وليس مجرد قنطار تقريباً ، كما نقول أيضاً : و دنانير مدنرة و . وعادة نجد في اللغة العربية لفظاً بأن من جنب اللفظ يضم إليه كي يعطيه قوة ، فيقال و ظل ظليل و أي ظل كثيف ، ويقال و ليل أليل و أي أن الليل في ظلمة شديدة ، وهي مبالغة في كثافة الظلام .

والظلام على سبيل المثال يججب الشمس ، وحاجب الشمس عنك قد يكون حجاباً واحداً ، وقد يكون الشيء الذي يظلك فوقه شيء أخر يظلله أيضاً فيكون الظل ظليلاً ، ولذلك يكون الظل تحت الأشجار جميلاً ، لأن ورقة تستر الشمس ، وورقة أخرى تستر الورثة الأولى ، وهكذا ، فنصنع تكييفاً طبيعياً للهواء .

ولذلك فهم يصنعون الآن خياماً مكيفة الهواء مصنوعة من قياش فوقه قياش آخر، وبينها مسافة، فيكون هناك قياش بطلل ظِلاً آخر، فإذا ما وضعوا قطعة ثالثة من القياش تظل الظلين الأولين، فإن الظل يكون ظليلاً، ولذلك قلنا: إن ظل الأشجار هو ظل ظليل ، فيه حنان ، فكل ورقة تظل الإنسان تكون نفسها مظللة بورقة اخرى ، وتكون أوراق الشجر التي تظلل بعضها بعضا مختلفة الأوضاع ، وتعطى الأوراق للنسيم فرصة المرور، أما الخيام فهي تحجب النسيم . والشاعر حين أراد أن يصف الروضة قال :

تعبد الشبس أأن واجهتها

فستحجيسها وتسأذن الملتسسيسم إذن فحين وصف الحق القناطير بأنها مقنطرة فذلك يعنى القناطير الدقيقة الميزان ، وهي قناطير مقتطرة من مأذا ؟ ومن الذهب والقضة والخيل المسوّمة » . وكانت الخيل هي أداة العز وأمارة وعلامة على العظمة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (الخيل معقود بتواصيها الخير إلى يوم القيامة)(1) .

قول الحق : « والحيل المسوّمة » نرى فيه أن اللفظ الواحد يشع في مجالات متعددة من المعانى ، فمسوّمة من سامها يُسوّمها ، ومعنى ذلك أن لهذه الحيل مراعى تأكل منها كها تويد ، وليست خيلًا مربوطة تأكل ما يُقدم لها فقط ، ومسوّمة أيضاً تعنى أن لهذه الحيل علامات ، فهذا حصان أغرّ ، وذلك أدهم ، وذاك أشقر .

ومسوَّمة أيضا ، أن تكون مروضة ، ومدرية ، وتم تعليمها ، فالأصل في الحيل أنها لم تكن مُستأنسة بل مُتوحشة ، ولذلك لا بد من ترويضها حتى ينتفع بها الإنسان . فكم معنى إذن أعطته لنا كلمة ، مسوِّمة ؛ ؟

سائمة ، أي تأكل على قدر ما تشتهى لا على قدر ما تعطيها من طعام . ومُعلَّمة أي فيها علامات كالغرَّة والتحجيل ، وهذا جواد أدهم ، وذلك جواد أشقر ، أو أنها معلمة أي مروضة . فهاذا تتطلب الحرب ؟ .

إن الحرب تنطلب الانقطاع عن الأهل ، فيجب ألا تكون شهوة النفس حاجزاً ، سواءً كانت شهوة للنساء ، أو كانت شهوة العزوة للبنين ورعايتهم ، أو كانت شهوة المال ؛ فالمؤمن ينفقه في سبيل الله ، والخيل أيضاً يستخدمها الإنسان في الفنال لإعلاه كلمة الله.

وَلَلْحَظُ أَنْ هَلَهُ الآية _ الَّتِي تَعَدُّدُ أَنْوَاعُ الزَّيَّةُ _ جَاءَتَ بَعَدُ الآيةُ التِي تُتَحَدَّثُ عَنَ الجُهادُ فِي سَبِيلُ اللَّهِ وَالتِي يَقُولُ الْحُقُ تَبَارِكُ وَتَعَالَى فِيهَا :

(١) رواه البخاري ، ومسلم ، والترملي ، والنسائي ، وأحد .

01*14@0+00+00+00+00+00+0

﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ عَالِمَةً فِي فِئْنَتِينِ ٱلْنَقَتَّا فِئَةٌ تُفْتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأَنْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرُونَهُم مِثْلَيْتِمْ رَأَى ٱلْعَبْنِ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِم مَن بَشَاءٌ إِذَ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَبْصَدِينَ ﴾ الْأَبْصَدِينَ ﴾ الْأَبْصَدِينَ ﴾

(سورة أله عمرانه)

وذلك ليرشدنا إلى أن الإنسان المؤمن لا يصح أن يضحى بشهوته الحقيقية وهى إدراك الشهادة في سبيل الله أو النصر على العدو يسبب الشهوات الزائلة التي تتمثل في النساء ، وفي البنين ، وفي الفناطير المقنظرة من الذهب والفضة ، وفي الحيل المسوّمة والأسام . وقد قال الله عن الأنعام في صورة الأنعام :

﴿ ثَمَنْ إِنَّهُ أَذَوَا حَ مِنَ الضَّانِ اثْنَابِ وَمِنَ الْمُعْرِ اثْنَابِيَ قُلُ الْمُأْتِدِ مَنَ أَمُ الْمُأْتِدِ فَلَ الْمُؤْمِدِ وَمِنَ الْمُعْرِ اثْنَابِي فَلْ الْمُؤْمِدِ وَمِنَ الْمُؤْمِ وَمِنَ الْمُؤْمِدِ وَمِنَ الْمُؤْمِدِ وَمِنَ الْمُؤْمِ وَمِنَ الْمُؤْمِ وَمِنَ اللْمُؤْمِدِ وَمِنَ الْمُؤْمِدِ وَمِنَ الْمُودِ وَمِنْ اللْمُؤْمِدِ وَمِنْ اللْمُؤْمِ وَمِنْ اللْمُؤْمِدِ وَمِنْ اللْمُؤْمِ وَمِن الْمُؤْمِ وَمِن الْمُؤْمِدِ وَمِن الْمُؤْمِدِ وَمِن اللْمُؤْمِدِ وَمِن اللْمُؤْمِدِ وَمِن اللْمُؤْمِدُ وَمِنْ اللْمُؤْمِدِ وَمِنْ الْمُؤْمِدُ وَمِنْ الْمُؤْمِدُ وَمِنْ الْمُؤْمِدِ وَمِنْ الْمُؤْمِدِ وَمِنْ الْمُؤْمِدِ وَمِنْ الْمُؤْمِدِ وَمِنْ الْمُؤْمِدُ وَالْمُؤْمِ وَالْمُؤْمِلُومِ وَالْمُؤْمِ وَالْمُؤْمِ وَالْمُؤْمِ وَالْمُؤْم

وسورة الأنعام)

حساب ذلك هو إثنان من الضأن ، وإثنان من الماعز ، وإثنان من الإبل ، وإثنان من الإبل ، وإثنان من البقر أى ثمانية أزواج . ولا يمكن حسابها على أنها سنة عشر كما قال البعض قديماً ، لا ؟ إن الزوج لا يعنى اثنين من الشيء ، ولكن الزوج واحد ، ولكن يُشترط أن يكون مع غيره من جنسه . ومثال آخر هو كلمة ، التوأم ، ، إن التوأم هو واحد معه غيره ، وهما توأمان ، وهم توأثم إذا كان العدد أكثر من اثنين

والحق يقول في مجال زيئة الشهوات : ﴿ زُبِن لِلنَّاسِ خُبُّ الشُّهُواتِ مِن النَّاءُ

(記述版) ○○+○○+○○+○○+○○+○(1717)

والبنين والقناطير المقنطرة من اللهب والفضة والخيل المسوّمة والانعام والحرث ا وحين تسمع كلمة والحرث و فافهم أن المراد بها هنا الزرع ، ولكن الله سبحانه وتعالى يريد منك أن تعلم أن الله حين يُنبت لك أشباء بدون معالجتك فإنه يريد منك أيضاً أن تُسْتنبت أشباء بمعالجتك ، وهذا لا يتأتى إلا بعملية الحرث .

والحرث هو إهاجة الأرض ؛ فالتربه تكون جامدة ، فلا يد أن يهيجها الإنسان بالحرث ، أي أن نفك ببوستها وتُلَاصُقَ ذرائها ؛ لأن تُلاصُقَ ذرات التربة لا يصلح أن يكون بيئة للنبات ؛ لأن النبات يحتاج إلى الماء ويحتاج إلى الهواء ، ويحتاج من الإنسان أن يُمهد للشعيرات البسيطة أن تخرج ، وتجد تربة سهلة تتحرك فيها إلى أن تقوى .

إذن فالحرث يتثير الأرض ، ويجعلها ليّنة مُتفتة حتى تستطيع البلرة أن تنمو ؛ لأن الله قد أودع فى فلفتى كل بذرة مقومات الحياة إلى أن بوجد لها جذر يأخذ مقومات الحياة من الأرض ، وكليا قوى الجذر فى النبات فإن الفلفتين تضمحلان ، وتصيران بجرد ورقتين . فأين ذهب حجم الفلفتين ؟

لقد قامت الفلقتان بتغذية النبتة إلى أن أستطاعت النبتة أن تتغذى ينفسها من الأرض ، ولا يمكن حدوث ذلك إلا إذا كانت الأرض عروثة ، ولذلك يقولون : إن الأرض الطينية السوداء تكون صعبة ، وغير خصبة ، ويقال : إن الأرض الرملية أيضاً غير خصبة ، لماذا ؟ .

لأننا نريد صفتين اثنتين في الأرض: الصفة الأولى أن تكون الأرض صالحة أن يتخللها الماء ليشرب المزرع، والصفة الأخرى ألا تُسرب الماء يعيداً، فإذا كانت الأرض طينية فإن جلور الزرع تختنق وتتعطن، وإذا كانت رملية فإن الماء يتسرب بعيداً، لذلك نحتاج في الزراعة إلى أرض بين صوداء ورملية، أي أرض صفراء. والله حين يتكلم عن الزرع فإنه يقول: والحرث، وذلك حتى يلفتنا إلى أن من يريد أن يأخذ زرعاً لا بد أن يجدّ ويحرث الأرض. وهو سبحانه القائل:

﴿ أَفَرَةً بِنُّمُ مَّا تَعَرُّنُونَ ۞ وَأَنتُمْ تَرْدَعُونَهُ مِنْ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّارِعُونَ ۞ ﴾

وعبر الحق عن الزرع بالحرث لأنه السبب المدى يُوجِد الزرع . وكل ما تقدم من الشهوات من النساء والجنيل والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والحنيل المسوّمة والأنعام والحرث ، كل ذلك تكون قيمته عند الإنسان ما يوضحه الحق بقوله : وذلك مناع الحياة الدنيا ، وائلة عنده حسن المآب » .

إن كل ذلك هو متاع الحياة الدنيا ، والفيصل هو أن الإنسان يخشى أن تفوته النعمة فلا تكون عنده ، أو أن يفوتها فيموت ، وكل ما يفوتك أو تقوته ، فلا تعتز به . وعندما نتأمل الآية في مجموعها نجد أن فيها مفاتيح كل شخصية تريد أن تنحرف عن منهج الله ، إنه سبحانه يقول :

﴿ زُينَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَتِ مِنَ التِّبَاءَ وَالْبَئِنَ وَالْقَنْسَطِيرِ الْمُقَنظَرَةِ مِنَ الدَّهَبِ وَالْفَضَةِ وَالْحَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَيْمِ وَالْحَيْرِثُ ذَالِكَ مَثَنعُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَ وَاللهُ عِندَهُ حُدْثُ الْمُقَابِ ۞ ﴾

(سورة آل همران)

مكذا نرى المفاتيح التي قد تُجذب الإنسان لينحرف عن مراد الله في منهجه ؛ إنه مسجحانه ميطلب من عبده المؤمن أن يبني حركة حياته على مراد الله ، فها الذي يجعل المؤمن يترك مراد الله من حكم لينصرف إلى حكم يناقضه ؟.

لاشك أنه الهوى ، والهوى هو الذى يُمبِل ويُزيغ الفلوب ، ولكل هوى مفتاح ، ولكل شخصية من المكلفين بمنهج أنه مقتاح لهواه ، فواحد مفتاحه النساء ، وواحد مفتاحه البنون ، يحب أن يرعاهم رعاية تفوق دَخُله من عَمل أو صناعة مثلاً فقد يسرق أو يرتشى ليسعد هؤلاء . وأناس مفاتيحهم الشخصية في المال ، أو في ذيئة الخيل ، والعدة والعتاد فلكل شخصية مفتاح هوى .

والذين يدخلون على الناس ليُزيّنوا لهم غير منهج الله يأنون لهم بالمفتاح الذي يقتح شخصياتهم ، فربما كان هناك إنسان لا تُغريه نظرة المرأة أو ملايين الذهب ، إنحا يتملكه حبه لأولاده وهو الهوى الغلاب .

إذْنَ فَكُلُّ وَلَحَدُ لَهُ مَفْتَاحِ لَشَخْصَيْتُهُ ، وَالذِّينَ يُرِيدُونَ إِغْرَاءُ النَّاسُ وَغُوايَتُهُم يَعْرَفُونَ مُفَاتِيحِ مَنْ يُرِيدُونَ إِغْرَاءُهُ وَإِغْوَاءُهُ . وَحَيْنَ يَقُولُ الْحَقِّ أَنَّ هَذَهُ الْأَشْيَاءُ هَى الْمُؤَيِّنَةُ لَلنَّاسُ . قد يقول قائل : إذا كان الله يريد أن يصرفنا عن هذه الأشياء فلهاذا خلقها لنا ؟

وعلى هذا القول نرد : إن الحق ماهام قد قال : « زُيِّن ، وبناها ـ كما يقول النحاة ـ للمجهول أى لما لم يُسَمَّ فاعله ، فمن الذي زيَّن ؟ لقد كان الله قادرا أن يقول لنا من الذي زُيِّن تلك الأشياء تحديدا ، لكن الحق يريد أن يعلمنا أنه من الممكن أن يكون الشيطان هو الذي يُزيِّن لنا هذه الأشياء ، ومن الممكن أن يكون منطق المنهج هو الشيطان هو الذي يُزيِّن لنا هذه الأشياء ، ومن الممكن أن يكون منطق المنهج هو الذي يزين ، ألم يقل الحق صبحانه دعاء على لسان عباده الصالحين :

﴿ رَبِّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزُورِجِنَا وَفُرِّينَتِنَا قُرَّةَ أَعَيْنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾

(أمن الآية ٧٤ سررة الفرقان)

إذن فيا الغيصل في تلك المسألة ؟ الفيصل في هذه المسألة أن الحق مسحانه وتعالى جعل لكل نعمة من نعم الحياة عملا يعمله الإنسان فيها ، فالمرأة إنما المجنّا أي ارتياحا عملا يعطيك كل الحنان والعطف ، وهو صبحانه القائل :

(سورة الروم)

إن الحق بريد لنا أن بسكن الرجل إلى حلاله ، وتصرف الرأة الحلال هَبُنَى زُوجها عن أعراض الناس . لكن ماذا في الرجل الذي يُجب الابناء ؟ ألم يقل سيدنا ذكريا : فَ أَكُر رَبِّ إِلِي وَهَمَ لَ الْعَظَمْ مِنِي وَاتُسْتَعَلَ الرَّأْسُ شَبْبًا وَلَرَّ أَكُنْ بِدُعَا بِلكَ رَبِ شَيْبًا وَلَرَّ أَكُنْ بِدُعَا بِلكَ رَبِ شَيْبًا وَلَرَ أَكُنْ بِدُعَا بِلكَ رَبِ شَيْبًا وَلَرَ أَكُنْ بِدُعَا بِلكَ رَبِ اللهِ شَيْبًا وَلَرَ أَكُنْ بِدُعَا إِلَى مِنْ وَرَا آوى وَ كَانَتِ الْمَرافِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَدُنكَ شَيْبًا فَي وَلِي مِن قَرْا وَي مِن قَرْا وَي كَانَتِ الْمَرافِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَدُنكَ مَن وَرَا آوى وَ كَانَتِ الْمَرافِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَدُنكَ وَلِي مِن قَرْا وَلِي مِن قَرْا وَي مِن قَرْا وَلا يَعْقُونِ فَي وَاللّهِ مِنْ وَلا يَعْقُونِ وَ كَانَتِ الْمَرافِي عَاقِرًا فَهِبْ لِي مِن قَرْا وَلا يَعْقُونِ فَي وَاللّهِ مِنْ وَلا يَعْقُونِ وَ كَانَتِ الْمُرافِي عَاقِرًا فَهِبْ لِي مِن قَرْا وَلا يَعْقُونِ وَ كَانَتِ المُرافِي عَاقِرًا فَي مِن وَرَا مِن وَلا يَعْقُونِ وَ كَانَتِ الْمُرافِي عَاقِرًا فَي اللهِ عَلَى مِن قَرْا وَلِي اللّهِ عَلْمَ اللهِ يَعْقُونِ وَ كَانَتِ الْمُرافِي عَاقِرًا فَي اللهِ عَلَى مِن قَرْا وَلَا اللّهِ عَنْ وَاللّهُ عَلَى مِن قَرْالُونَ وَاللّهُ مِنْ وَلَا مَنْ وَلَا مَنْ وَلَا مَنْ وَلَا مَن وَلَا اللّهِ مِنْ وَلَا لَكُونِ وَاللّهُ عَلْمَ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلْمَ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ الل

011100+00+00+00+00+00+0

لقد طلب زكريا عليه السلام وليًا برثه ، والأنبياء لا تُورث منهم أموال ، إنما يُورُثون العلم والحكمة ، إذن فقد طلب زكريا عليه السلام أن يوث ابنه الحكمة منه ويرث من آل يعقوب وأن يجعله الله رضيًا . فلوكان الأنبياء يورُثون المال ، لكان البعض قد فهم أن طلب زكريا للإبن كي يوثه في المال ، لكن الحق أراد لأنبيائه اللا يُورُثوا المال ، بل يورُثون العلم بجنج الله . وقد طلب زكريا الابن لتثبيت منهج الله في الأرض .

وكذلك الذي يريد الأموال لينفقها في سبيل الله ، وكذلك الذي يريد الخيل ليروضها على الجهاد ، وكذلك الذي يريد الحرث ليملا بطون خلق إلله بما يُطمّعُون منه ، كل هؤلاء ينالهم المدح والثناء والجزاء الكثير من الله . لذلك يجب أن نعلم أن الحكم يأتي من الله تحتملا أن تتجه به إلى الخير المراد لله ، وبحتملا أن تتجه به إلى الشير المراد لنفسك . وأنت ـ أيها العبد ـ حين تنظر إلى أي شهوة من هذه الشهوات فلسوف تجد أنه من المكن أن تُوجّهها وجهة خير . يقول الحق :

﴿ هَبْ لَنَّا مِنْ أَزْوَجِنَا وَفُرِّ يَنْتِنَا قُرَّةً أَعْيُنِ وَأَجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾

﴿ مِن الآية ١٤٤ من سورة الفرقاد)

لقد أراد الله للأتفياء والأنبياء أن يكون لهم من الذرية أبناء ليرثوا المنهج السلوكي ويكونوا مثلا طيبة للناس يقتدون بهم . إذن فالمؤمن يحب أن تكون ذريته قدوة ملوكية . والذي يحب الخيل يمكن أن يوجه هذا الحب إلى الخيز، ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الشريف :

عن أبي هويوة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عيه وسلم أنه قال : (مِنْ خير معاش الناس لهم رجل ممسك عِنَانَ قرمه في سبيل الله يطير على مُتنه كلما سمع هِيْعَةٌ (١) أو فَزْعَةُ طار عليه يبتغي القتل والموت مُظَانَةُ (٢)(٢).

⁽١) الهيمة : كلي ما أفرع من جانب اللعدو من صوت أو خبر .

 ⁽٢) مظانه : بفتح المهم والطاء المعجمة وتشديد النون منصوب على الطرفية : أي يطلبه في المحل الذي يظن وجوده فيه طلبا لمرضاة الله تعالى .

⁽٣) رواه مسلم من حديث لأبي هريرة .

00+00+00+00+00+00+0141-0

وقد أمرنا الرسول صلي الله عليه وسلم أن تُروَّض الخيل، إذن فمن الممكن أن تكون هذه الأشياء مساراً للخير , وإياكم أن تفهموا أن الله يزهدنا فيها أو ينفرنا منها ، ولكنه يزهدنا أن تستعمل ما خلقه لنا في غير مراده .

ولننظر إلى تعليق الله على الأشياء المُزيَّنة : « ذلك متاع الجياة الدثيا » أى أن الذي ينظر إلى هذه الأشياء المزينة نظرة تغليدية سطحية سيجدها مجرد متاع ، وما عمر هذا المتاع ؟ إنه موقوت بالدنيا الفائية ، ولننظر إلى الإنسان عندما يُضَعَدُ في عمله قيمة الحجر، وتصعيد قيمة الحجر ، يأن من تنعية نوعه ، أى الزيادة في نوع الحجر ، ومن استدامته ، ومن أن الإنسان لا يترك هذا الحجر .

إذن فتضعيد الخيرياتي على عدة صور تبدأ من تنفية الخير نفسه . واستدامة الخير فلا ينقطع ، وضهان أن يجيا الإنسان للخير ويعيش له ، وألا يذهب الخير عنه ، وأمر رابع هو ألا تربط هذا الحير بأغيار ، أي أن تربطه بواحد قوى يأتي لك به ، فقد يضعف ۽ أو يمرض ، أو يغيب ، أو يغير بك .

إذن فلا بد من أربعة عناصر : الأول : تصعيد الخير ، أى نوع الخير الذي تفعله يكون أرقى من خير آخر ، فنعمل دائها على زيادته وتنميته . والثانى : استدامة الحير . والثالث : أن تدوم أنت للخير ، وتحرص على أن تعيش له ، والأمر الرابع : ألا تربط هذا الحير بالأغيار . بل عليك أن تعتمد على الله ثم على نفسك .

وكل خير يأتى دون هذا فهو خير غير حقيقى . فإذا نظرت إلى شهوات النساء والمال والبنين والحيل والأنعام والحرث فإنها ستعطيك متاع الدنيا . ولنسلم جدلا أن شيئا لن يسلبك هذه الأشياء وأنت حي ، وأنها ستظل معك طيلة دنياك . فها قيمة الدنيا وهي مقاسة بآلاف السنين ، والإنسان لا يعيش فيها إلا قدرا محددا من الأعوام يقرره الحق سبحاته وتعالى .

إذن فالدنيا تقاس بعمر الإنسان فيها لا بعمر ذات الدنيا لغيره ، لأن عمر الدنيا لغيرات لا يخصك . هب أن هذه الشهرات من نساء ومال وينين وخيل وذهب وفضة

017100+00+00+00+00+0

وحرث وأنعام وعدة وعتاد قد دامت لك ، فها الذي يحدث ؟ إن الدنيا محدودة . ولا أحد يستطيع أن يستديم الدنيا ، لذلك فلن يستطيع أحد أن يستديم الخير لأن عمره في الدنيا محدود .

وحياة الإنسان في الدنيا لم يضع الله لها حداً يبلغه الإنسان . إن الله لم يحدد عمرا يحرت فيه الإنسان ، ولكن لكل إنسان عشر خاصً محدود بحياته ، فعندما يولد أى طفل لا تنزل معه بطاقة تحدد عدد السنوات التي سوف يجياها في الدنيا .

وهو سبحانه قد جعل عدد سنوات الحياة مبهها لكل إنسان ، ولذلك يقال إن الإبهام هو أعلى درجات البيان ، الحق أخفى توقيت الموت وسببه عن الإنسان ، متى يأتى ؟ فى أى زمان وفى أى مكان ؟ كل ذلك أخفاه فأصبح على المؤمن أن يكون مترقبا للموت فى كل لحظة .

إن الإبهام للموت هو البيان الوافى ، ومادامت الدنيا مهها طالت فهى محدودة وغير مضمونة للإنسان أن يجياها ، ونعيمه فيها على قدر إمكاناته وقدرته ، وإن لم تذهب الدنيا من الإنسان فالإنسان نقسه يذهب منها . فإذا ما قارنت كل ذلك باسم الحياة التى نحياها الآن ، إنّ اسمها « الدنيا » أى « السفلى » ومقابل « الدنيا » هو « العليا » وهى الحياة فى الآخرة . ولماذا هى « عليا » ؟ لأنها ستصعد الخير .

فبعد انقضاء هذه الحياة المحدودة ، يذهب المؤمن إلى الجنة وبها حياة غير محدودة ، وهذا أول تصعيد . ويضمن المؤمن أن أكلها دائم لا ينقطع . ويضمن المؤمن أنه خالد في الجنة فلا يموت فيها . ويضمن المؤمن قيمة هذه الجنة ؛ لأن الحير إنما يأتى على مقدار معرفة الفاعل للخبر ، ومعرفة الإنسان للخبر جزئية محدودة ، ومعرفة الله للخبر كهال مطلق .

فالمؤمن في الأخرة يتنعم في الخير على مقدار ما علم الله من الخير. إذن فحياتنا هي الدنيا ، أي السفل ، وهناك الأخرة العليا . فإذا طلب المنهج منا ألا ننخدع بالدنيا ، والا تنقاد إلى المناع فهل هذا لون من تشجيع الحب للنفس أو تشجيع للكراهية للنفس ؟

إنه منهج سهاوى يقود إلى حب النفس ؛ لأنه يريد أن يُضعِّد الخير لكل مؤمن ، لقد بين المنهج أن في الدنيا ألوانا من المتع هي كذا وكذا وكذا ، والدنيا محدودة ولا تدوم الإنسان ، ولا يدوم إنسان لها ، وإمكانات الإنسان في النعيم الدنيوى محدودة على قدر الإنسان ، أما إمكانات النعيم في الأخرة فهي على قدر قدرة الخالق المربى ، فمن المنطقي جدا أن يقول الله لنا : ه ذلك مناع الحياة الدنيا والله عنده حسن المربى ، وحسن المآب تمنى حسن المرجع .

والحق حينها طلب منك أيها المؤمن أن تغض بصرك عها لا يحل لك ، فقد يظن الإنسان السلطحي أن في ذلك حجراً على حرية العين ، ولكن هذا الغض لليصر أمر به _ سبحانه _ إنما ليملأ العين في الآخرة بما أحل الله ، إذن فهذا حب من الله للمحلوق وهذا تصعيد في الخير .

ولنفترض أن معك مبلغا قليلا من المال وقابلت فقيرا مسكينا فآثرت أنت هذا الفقير على نفسك ، قانت تفعل ذلك لتنال في الأخرة ثوابا مضاعفا . إذن فقضية الدين هي أنانية عالية سامية ، لا أنانية حمقاء . ويوضح الله بعد ذلك حسن المآب بقوله سبحانه :

وَأَزُونَ مِنْ مُعَلِمُ مِن ذَالِكُمْ بِلَدِينَ أَتَّقَوْا عِندَ رَبِهِمْ لِلَّذِينَ أَتَّقَوْا عِندَ رَبِهِمَ المَنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُعَلِّمُ خَلِدِينَ فِيهَا الْآنْهَا وُ خَلِدِينَ فِيهَا وَأَزُونَ مُ خَلِدِينَ فِيهَا وَأَزُونَ مُ خَلِدِينَ فِيهَا وَاللَّهُ وَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَلَهُ وَاللَّهُ وَالْمُؤْمِنِ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنُونَا وَالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنُ وَالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنُونَا وَالْمُؤْمِنَا وَاللَّهُ وَالْمُؤْمِنُ وَالْمُؤْمِنَا وَالْمُؤْمِنُونَا وَالْمُؤْمِنَا وَالْمُؤْمِنَا وَالْمُؤْمِنُونَا وَالْمُؤْمِنَا وَالْمُؤْمِنَا وَالْمُؤْمِنَا وَالْمُؤْمِنُونَا وَالْمُؤْمِنَا وَالْمُؤْمِقُومُ وَالْمُؤْمِنَا وَالْمُؤْمِنَا وَالْمُؤْمُ اللْمُوالِمُوالِمُ وَالْمُؤْمِنَا وَالْمُؤْمِنَا وَالْمُؤْمُ اللْمُؤْمُ اللَّهُ و

وحين تسمع كلمة : أزخبركم ؛ فإ نسمعه بعد ذلك كلام عادى ، أما عندما نسمع ؛ أزنبتكم ؛ فها نسمعه بعدها هو خبر هائل لا يقال إلا في الأحداث العظام ،

المنتورة التعقيليات

0171700+00+00+00+00+0

فلا يقول أحد لأخر : سأنبئك بأنك ستأكل كذا وكذا في الغداء ، ولكن يقال و أنا أنبئك بأنك نلت جائزة كبرى » ، هذا في المستوى البشرى فها بالنا بالله الحالق الأعلى ، ولذلك يقول الله الحق :

ومبورة النأن

إنه الأمر الذي يقلب كيان هذه الدنيا كلها ، فحين يقول الحُق : « قل أؤنبئكم بخير من ذلكم » فمعنى ذلك أن الله يخبرنا بخير من هذه الأشياء ، ومن ذلك تعرف أن الله قد جعل هذه الأشياء مقياساً ، لماذا ؟

لأنه مقياس محس ، وأوضح لنا كيفية التصعيد فقال : ﴿ للذين اتقوا عند ربهم › ، والمؤمن هو من ينتئر بئقة إلى كلمة ﴿ عند ربهم › أى الرب المتولى التربية والذي يتعهد المربّ حتى يبلغه درجة الكيال المطلوب منه .

والعندية هنا هي عند الرب الأعلى . فهاذا أعد المرب الأعلى للمنقين؟ لقد أعد لهم « جنات تجرى من تحتها الأنهار » ولمر الخيرية في هذه الجنات ، وهي تقابل في الدنيا الحرث والزرع ، وقد قلنا : إن الحق حبن تكلم عن الزرع تكلم واصفاً له بـ « الحرث » لنعرف أن الزرع يتطلب منا حركة وعملاً .

أما في الآخرة فالجنات جاهزة لا تنطلب من المؤمن حركة أو تعبأ ، ولا يقف الأمر عند ذلك ، بل إن هذه الجنات تحر من تحتها الأنهار وفيها للإنسان المؤمن ما وعده الله به : « خالدين فيها وأزواج مطهرة » إنه الخلود الذي لا يفني ، ولا يتركه الإنسان ولا يترك هو الإنسان .

والأزواج المطهرة هي وعد من الله للمؤمنين ، ومن يحب النساء في الدنيا يعرف أن المرآة في الدنيا يطرأ عليها أشياء قد تنفر ، إما تحلّقاً ، كوينياً ، وإمّا خُلَقاً ، فهناك وقت لا يحب الرجل أن يقرب فيه المرأة ، وقد يكون فيها خصلة من الخصال السبئة فيكره الإنسان جمالها .

لذلك فالرجل قد ينخدع بالمنظر الخارجي للمرأة في الدنيا ، وقد يقع الإنسان في هوى واحدة فيجد فيها خصلة تجعله يكوهها ، أما في الاخرة فالأمر مختلف ، إنها وأزواج مطهرة » أي مطهرة من كل عيب يعيب نساء الدنيا ، فيأخذ المؤمن جمالها ، ولا يوجد فيها شرور الدنيا ، فقد طهرها الله منها .

وأزواج مطهرة ، من الذي طهرها ؟ إنه هو الله _ سبحانه _ طهرها خَلْفاً وَخُلْفاً . فالرجل في الدنيا قد يهوى إمرأة ، وتستمر نضارتها خمسة عشر عاماً تستميله وتجذيه ، فم تبدأ التجاعيد والترهل والتنافر . أما في الأخرة فالمرأة مطهرة من كل شيء ، وتظل على نضارتها وجالها إلى الأبد ، أليس هذا تصعيداً للخير ؟ ونلاحظ أن الحق مسحانه ذكر هنا أمرين :

الأمر الأول : هو جنات تجرى من تحتها الأنهار ، ونقارن بينها وبين الحوث في الدنيا .

والأمر الأخر : هو الأزواج المطهرة ، وتقارن بينها وبين النساء في الدنيا أيضا ، ولم يورد الحق أي شيء عن بقية الأشياء ، فأبن القناطير المقنطرة من الذهب؟ وأبن الحيل؟ وأبن المغيل ؟ وأبن الأنعام وأبن البنون؟

إننا نلاحظ أن الحق سبحانه وتعالى جعل الأمرين المزينين ، واحداً يستهل به الآية ، والأمر الآخريان في آخر الآية ، ولنقرأ الآية التي فيها التزيين : « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقتطرة من الذهب والفضة والحيل المسوّمة والأنعام والحرث » .

إن البداية هي النساء ، ذلك هو القوس الأول ، والنهاية هي الحرث وذلك هو القوس الذان ، وبين القوسين بقية الأشياء المزينة ، وقد أعطانا الله عوض القوسين ، وأوضح لنا إنها هما الحبر المُصَعِّد ، ولم يورد بقية الأشياء المزينة ، وهذا يعني أن نقهم ذلك في ضوء أن الرزق ما به انتَغِع ، أي أن كل ما ينتفع يه الإنسان رزق ، الحُلُق الطيب رزق ، سياع العلم رزق ، أدب الإنسان رزق ، حلم الإنسان رزق ، صدق الإنسان رزق ، لكن الرزق يأي مرة مباشرا بحيث تنتفع به مباشرة ، ومرة أخرى يأي الرزق لكنه لا ينفع مباشرة ، بل قد يكون سببا ووسيلة لما ينفع مباشرة .

مثال ذلك الخبز ، إنه رزق مباشر ، والنقود هي رزق ، لكنها رزق غير مباشر ؟ لأن الإنسان قد يكون جائعاً وعنده جبل من ذهب ، فلو قال واحد لهذا الإنسان : خذ رغيفا مقابل جبل الذهب ، سيعطى الإنسان الجائع جبل الذهب مقابل الرغيف ؛ لأن الإنسان لا يأكل الذهب ، وكذلك كوب الماء بالنسبة للعطشان .

إذن فهناك وزق لا يطلب لذاته ، ولكن يطلبه الإنسان لأنه وسيلة لغيره مقالوسيلة لغيره أنت لن تحتاج إليها في الأخرة ؛ لأنك ستعيش ببدل الأسباب يقول الحق : وكن ع . فالإنسان لن يحتاج في الجنة إلى مال . أو قناطير مقتطرة من الذهب والفضة ؛ لأن كل ما تشتهيه النفس ستجده ، ولن تحتاج في الأخرة إلى خيل مسومة ؛ لأنك لن تجاهد عليها أو تتلذذ وتستأنس بركوبها .

وكل ما لا تحتاج إليه في الأخرة من أشياء أعطاها لك الله في الدنيا لتسعى بها في الأسباب ، ولم يورده الله في قوله : وقل أؤنبكم بخير من ذلكم لللهن اتقوا عند رجم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مظهرة ورضوان من الله والله يصير بالعباد ولم يوردها في النص الكريم ، لأن عطاء الله في الأخرة بالرزق المباشر ، أما الأشياء التي يسعى بها الإنسان إلى الرزق المباشر في الدنيا فلم يوردها لمدم الحاجة إليها في الأخرة ، فنحن نحب المال ، لماذا ؟ . لأنه يحقق لنا شراء الأشياء ، والحبل المسومة نحبها و لأنها تحقق لنا القدرة على القتال والجهاد في سبيل الله . والأنعام ولتحقق لنا المتعة .

أما الجنة في الأخرة فالمؤمن يجد فيها كل ما تشتهيه الأنفس ، وكل ما يخطر ببال من يرزقه الله الجنة صوف يجده ؛ فالوسائط لا لزوم لها . لذلك تكلم الحق عن الأشياء المباشرة ، فأورد لنا ذكر الجنات التي تجرى من تحتها الأنهار ، وذكر لنا الأزواج المطهرة .

وعدما نتامل قول الحق: « قل أؤنبئكم بخير من ذلكم » قد يقول قائل : الم يكن من المنطق أن يخبرنا الحق مباشرة بما يريد أن يخبرنا به ، بدلاً من أن يسألنا : أيخبرنا بهذا الخير ، أم لا ؟

00+00+00+00+00+011110

ونقول: أنت لم تلتعت إلى النشويق بالأسلوب الجميل، وحنان الله على خلقه. إنه سبحانه وتعالى يقول لنا: ألا تريدون أن أقول لكم على أشياء تفضل تلك الأشياء التي تسيركم في الدنيا. فكأن الحق سبحانه وتعالى قد نبه من لم ينتبه. ولم ينتظر الحق أن نقول له. قل لنا يارب.

لا ، إنه بتول لنا دون طلب منا ، ويتنال عن هذا الأسلوب في اللغة إنه ؛ استفهام للتقرير » ، « لإنسان حين يسمع : « أؤنبئكم بخير من ذلكم » فالذمن ينشغل ، فإن لم يسمع النبأ ، فلسوف يظل الذهن مشغولاً بالنبأ ، ويأتى الجواب على اشتياق فيتمكن من نفس المؤمن .

ويأق النبأة للذين اتقواه، فعندما نمعن النظر في الشهوات البي تقدمت من نساء وبنين وقناطير مقنطرة من ذهب وفضة رخيل مسومة وأنعام وحرث، ألا يكون من المناسب فيها أن يتقى الإنسان ربه في مجالها؟

إن التقوى الله في هذه الأشياء واجبة ، ولذلك قلنا من قبل قضية نرد بها على الذين يريدون أن يجعلوا الحياة زهداً وانحساراً عن الحركة ، وأن يوقفوا الحياة على العيادة في أمور الصلاة والمصوم ، وأن نترك كل شيء . لهؤلاء نقول : لا ؛ إن حركتك في الحياة تعينك على التقوى ، لأننا عرفنا أن معنى التقوى هو أن يجعل الإنسان بينه وبين النار حجاباً ، أو أن تجعل بينك وبين غضب ربك وقاية . فإذا المخلف نعم الله لتصرفها في ضوء منهج الله فهذا هو حسن استخدام النعم .

وقد أوضحت من قبل أن التقوي حين تأتى مرة في قول الحق : يا اتقوا الله يه وتأتى مرة أخرى يا اتقوا الذار يا فهما ملتقيان ؛ فاتقاء النار حتى لا يصاب الإنسان بأذى ، وعندما يتفى الإنسان الله فهو يتقى غضب الله ؛ لأن غضب الله يورد العذاب ، والعذاب من جنود النار . إذن فالذين يتقون الله لا يظنون أنهم زهدوا في هذه الحياة لذات الزهد فيها ، ولكن للطمع فيها هو أعل منها ، إنه الطمع في النعيم الأخروى الدائم .

ويوضح الحق سبحانه وتعالى بعد ذلك : أنكم لن تتمتعوا في الآخرة لضرورة

الحاجة للمتعة ، بحيث إذا ما جاءت النعمة عليكم تفرحون بها ، إن الأمر لا يقتصر على ذلك وإنما يتعداه إلى أنكم _ أيها المؤمنون _ تحبون فقط أن تروا المنعم ، فهادام المؤمن الذي يدخل الجنة يجد كل ما يشتهى بل إنه لا يشتهى شيئا حتى يأتيه ، ويستمتع على قدر عطاء الله وقدراته .

وإذا لم يئت الإنسان ثهاراً في الجنة أو نساء ، ويصبح مشغولاً برؤية ربه فإن مكانه جنة من الجنان السمها «عليون» و«عليون» هذه ليس فيها شيء مما تسمعه عن الجنة ، ليس فيها إلا أن ثلقي الله . إنَّ الرزق والنعم ليسا من أجل توام الحياة في الجنة ، بل إن الإنسان سيكون له الخلود فيها ؛ فالذي يحتاج إليه الإنسان هو رضوان من الله .

إن رُضُواناً من الله أكبر من كل شيء . ولقد نبأنا الله بما في الجنات ، ونبأنا بالخبر من كل ذلك . لقد نبأنا الله بأن وضوائه الأكبر هو أن يضمن المؤمن أنَّ يظفر برؤية ربَّه . وهذا ما يقول فيه الله .

﴿ وَجُوهٌ يُومَهِدِ نَافِرَةً ۞ إِنَّ رَبِّهَا نَاظِرَةً ۞ ﴾

(صورة القيامة)

إذن فهناك في الجنة مواتب ارتقائية . ويخبرنا الحق من بعد ذلك : لا والله بصير بالعياد ، أي أن الله سيعطى كل إنسان على قدر موقفه من منهج ربه ، فمن أطاع الله رغبة في النعيم بالجنة يأخذ جنة الله ، ومن أطاع الله لأن ذات الله أهل لأن تطاع فإن الله يعطيه متعة ولذة النظر إليه سبحانه - تقول رابعة العدوية في هذا المعنى: كلهم يعجمدون مسن خموف نسار

ويسرون السنجاة حيظا جزيبلًا إناني لسن مشلهم ولهذا

لسبت أبخى بمن أحب بسديسلا

وقالت أيضاً : اللهم إن كنت تعلم أن أعبدك خوفاً من نارك فادخلني فيها ، وإن كنت تعلم أنى أعبدك طمعاً في جنتك فاحرمني منها ، إنما أعبدك لأنك تستحق أن تُعبد .

إذن فد والله بصير بالمعباد ، أى أنه سيمطى كل عبد على قدر حوكته ونيته فى الحركة ؛ فالذى أحب ما عند الله من النعمة فليأخذ النعمة ويفيضها الله عليه . أما الذى أحب الله وإن سلب منه النعمة ، فإن الله يعطيه العطاء الأوفى ، وذلك هو مجال مباهاة الله لملائكته . . ومن أقوى دلائل الإيمان وكهاله . . إيثار محبة الله ورسوله على كل شيء فى الوجود :

عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان : مُنْ كان الله ورسوله أحبّ إليه مما سواهما ، وأن يحبّ المرة لا يجبه إلا الله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يُقذف في النار ، (1) . إن هناك العبد الذي يجب الله لذاته ؛ لأن ذاته سيحانه تستحق أن تعبد ، فذات الله تستحق العبادة ؛ لأنه الوهاب ، الذي نظم لنا هذا الكون الجميل ،

إذن فقوله الحق: « والله يصير بالعباد » يعنى أن الله يعلم مقدار ما يستحق كل عابد لربه ، وعلى مقدار حركته وتيته في ربه يكون الجزاء ، فمن عبد الله للنعمة أعطاه الله النعمة المرجوة في الجنة ليأخذها ، ومن أطاع الله لأنه أهل لأن يطاع وإن أخدت _ بضم الألف وكسر الحاء ـ النعمة منه فإن الله يعطيه مكاتاً في عليين .

ولذلك قبل: إن أشد الناس بلاء هم الأنبياء ، ثم الأولياء ، ثم الأمثل فالأمثل ، لماذا ؟ لأن ذلك دليل صدق المحبة ، والإنسان عادة يجب من يحسن إليه ، ولا يجب من تأتى منه الإساءة إلا إن كانت له منزلة عالية كبيرة . إنه مطمئن إلى حكمته ، إنه ابتلاه ـ وهو يعلم صبره ـ ليعطيه ثوابا جزيلا وأجرا كبيرا ، والحق يقول :

﴿ قُلْ إِغْمَاآنَا بَشَرِّ مِثْلُكُمْ يُوسَعَىٰ إِلَى أَغْمَا إِلَىٰهُكُمْ إِلَىٰهُ وَاحِدُ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ الْفَاءُ رَبِّهِ وَ لَهِمَةً فَمَن كَانَ يَرْجُواْ الْفَاءُ رَبِّهِ وَ لَلْمِعَمُلُ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكُ وِجِادَةِ رَبِهِ وَأَحَدًا ١٤٤٤ ﴾

(سورةِ الْكَهْفِ)

لقد قال : « فمن كان يرجو لقاء ربه » ولم يقل جنة ربه وهكذا يجب ألا تشغلنا التعممة ـ الجنة ـ عن المنعم وهو الله مستبحانه وتعالى ، وإذا كان الحمة قد طلب منا ألا نشرك بعبادة ربنا أحداً فلنعلم أن الجنة أَخَدُ .

(١) رواه مسلم والبخاري .

○\YY11○○◆○○◆○○◆○○◆○○◆○○◆○○

وبعد ذلك يقول الحق سبحانه :

﴿ اللَّذِينَ يَقُولُونَ رَبِّنَكَ إِنَّنَا ءَاٰمَنَكَا فَأَغَفِ رَلَنَا وَاللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللّ دُنُوبَنَكَ وَقِهَا عَذَابَ النَّادِ ﴿ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّه

إن قولهم : ﴿ رَبِنَا إِنْنَا آمَنَا ﴾ هو أول مرتبة للدخول على باب الله ، فكأن الإيمان بالله يتطلب رعاية من الذي تلقى التكليف لحركة نفسه ، لأن الإيمان له حتى يقتضى ذلك ، كأن المؤمن يقول : أنا يبشريتي لا أستطيع أن أوفى بحق الإيمان بك ، فيارب اغفر لى ما حدث لى فيه من غفلة ، أو من زلة ، أو من كبر ، أو من نزوة نفس .

وهذا الدعاء دليل على أنه عرف مطلوب الإيمان كيا أوضحه لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيانه لمعنى الإحسان حين قال :

« الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك عال .

كأنك تستحضر الله في كل عمل به لأنه يراك.

وهل يتأتى لواحد من البشر أن يجترى، على محارم من يراه بعينه ؟ حينئذ يستحضر المؤمن ما جاء إلينا من مأثور القول ، فكأنه سبحانه وتعالى يوجه إلينا الحديث : يا عبادى إن كنتم تعتقدون أنى لا أراكم ، فالحلل في إيمانكم . وإن كنتم تعتقدون أنى أراكم ، فالحلل في إيمانكم . وإن كنتم تعتقدون أنى أراكم فلم جعلتموني أهون الناظرين إليكم ؟

وكان الحق سبحانه يقول للعبد : هل أنا أقل من عبيدى ؟ أتقدر أن تسىء إلى أحد وهو يراك ؟ إذن فكيف تجرؤ على الإساءة لخالفك ؟

إن قول المؤمنين : ﴿ إِنَا آمِنا فَاغْفُر لَنا ﴾ دليل على أنهم علموا أن الإيمان مطلوباته صعبة . ﴿ الذين يقولون ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا ﴾ .

⁽١) رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي .

فلنر على ماذا رتبوا غفران الذنب؟ لقد رتبوا طلب غفران اللذب على الإيمان . لماذا ؟ لإنه مادام الحق سبحانه وتعالى قد شرع التوبة ، وشرع المغفرة للذنب ، فهذا معناه أنه سبحانه قد علم أزلا أن عباده قد تخونهم نفوسهم ، فيتحرفون عن منهج اطف .

ويختم الحق صبحانه الآية بقوله على ألسنة المؤمنين: « وقنا عذاب النار » لأنه ساعة أن أعلم أن الحق سبحانه وتعالى ضمن لى بواسع مغفرته أن يستر على اللنب ، فإن العبد قد يخجل من ارتكاب الذنب ، أو يسرع بالاستغفار .

ولماذا لا يكون قوله: وفاغفر أنا ذنوبنا ، بمعنى استرها يارب عنا فلا تأتى أنا أبدا ؟ وإن جاءت فهى محل الاستغفار والتوبة . فإذا أذنيت ذنبا ، واستغفرت ربى ، وعلمت أن ربى قد أذن بالمنفرة ؛ لأنه قال :

﴿ اَسْتَنْفِرُوا رَبُّكُرْ إِنَّهُ كَانَ غَفْلُوا ﴾

(من الأية ١٠ من سورة نوح }

فإن الوجل بمتنع ، والحرف يذهب عنى ، وأقبل على الله بمعبة على تكاليفه وأحمل نفسى على تطبيق منهج الله كله . ولذلك حينها شرع الحق سبحانه وتعالى للخلق التوبة كان ذلك رحمة أخرى . وهذه الرحمة الأخرى تتجل في المقابل والنقيض .

هب أن الله لم يشرع النوبة وأذنب واحد ذنبا ، وبمجرد أن أذنب ذنبا خرج من رحمة الله ، فهاذا يصيب المجتمع من هذا الإنسان لأنه فقد الأمل في نفسه ، آما حينها يفتح الله له باب التوبة فإن ارتكب العبد ذنبا ساهيا عن دينه ، فإنه يرجع إلى ربه .

وثلث واقعية الدين الإسلامي ، فليس الدين عرد كلام يقال ، ولكنه دين يقدر الواقع البشرى ، فإنه مسبحانه - يعلم أن العباد سيرتكبون الذئوب ، فيرسم لهم أيضاً طريق الاستغفار . وإذا ما ارتكب العباد ذئوبا ، فإن الحق يطلب منهم أن يتوبوا عنها . وأن يستغفروا الله . فإذا ما لذعتهم التوبة حينها يتذكرون الذئب فإن هله اللذعة كلها للاعتهم أعطاهم الله حسنة .

017F1 00+00+00+00+00+00+0

كأن غفران الذنب شيء ، والوقاية من النار شيء آخر . كيف ؟ لأنه ساعة أن يعلم العبد أن الحق سبحانه وتعالى ضمن للعبد مغفرته ، وهو الخالق المربى ، فإن العبد يذهب إلى الله مستغفرا طامعا في المغفرة والرحمة . إنها دعوة المؤمنين إن كانوا قد نسوا أن يستغفروا لأنفسهم . لماذا ؟ لأن الاستغفار من الذنب تكليف من الله . وكها قلنا : إن الإنسان قد ينسى بعضا من التكاليف ، لذلك فمن الممكن أن يسهو عن الاستغفار ، ولذا يقول الحق على ألسنة عباده المؤمنين : «وقنا عذاب النار » .

ومعنى النقوى أن تجعل بينك وبين النار وقاية ، أو تجعل بينك وبين غضب ربك وقاية ، فإذا ما أبحلت النعم من الله لتصرفها في منهج الله تكون حسنة لك ، وقلنا : إن د أنقوا الله ، ود انقوا النار ، ملتقينان ، لأن معنى ، انقوا النار ، كى لا تصيبكم بأذى ، د وانقوا الله ، تعنى أن نضع بيننا وبين غضب الله وقاية ، لأن غضب الله ميأتى .

وبعد ذلك يقول الحق:

مَعْلَى الصَّكِيرِينَ وَالصَّكِيدِينَ وَالصَّكِيدِينَ وَالصَّكِيدِينَ وَالصَّكِيدِينَ وَالصَّكِيدِينَ وَالصَّكِيدِينَ وَالصَّكِيدِينَ وَالمُسْتَغَفِّرِينَ بِالأَسْحَادِ ۞ ﴿ المُسْتَغَفِّرِينَ بِالأَسْحَادِ ۞ ﴿ المُسْتَغَفِّرِينَ بِالأَسْحَادِ ۞ ﴿ المَّكِينَةِ فَالْمُسْتَغَفِّرِينَ وَالْمُسْتَغَفِّرِينَ إِلاَّسْحَادِ ۞ ﴿ المَّسْتَغَفِّرِينَ وَالْمُسْتَغَفِّرِينَ وَالْمُسْتَعِينَ وَالْمُسْتَغَفِّرِينَ وَالْمُسْتَغَفِّرِينَ وَالْمُسْتَغَفِينَ وَالْمُسْتَعْفِرِينَ وَالْمُسْتَغِفِرِينَ وَالْمُسْتَعِقِينَ وَالْمُسْتَغِفِرِينَ وَالْمُسْتَعِقِينَ وَالْمُسْتَعِلَّالِينَ اللَّهِينَ وَالْمُسْتَعِقِينَ وَالْمُسْتَعِقِينَ وَالْمُسْتَعِقِينَ وَالْمُسْتَعِقِينَ وَالْمُسْتَعِقِينَ وَالْمُسْتِينِ وَالْمُسْتِينِينَ وَالْمُسْتِينِينَ وَالْمُسْتَعِقِينَ وَالْمُسْتِينِينَ وَالْمُسْتَعِقِينَ وَالْمُسْتَعِقِينَ وَالْمُسْتِينِينَ وَالْمُسْتَعِينِينَ وَالْمُسْتَعِقِينَ وَالْمُسْتَعِقِينَ وَالْمُسْتِينِينَ وَالْمُسْتَعِقِينَ وَالْمُسْتِينِينَ وَالْمُسْتَعِلِينَ وَالْمُسْتِينِينَ وَالْمُسْتَعِلِينَ وَالْمُسْتِينِينَ وَالْمُسْتِينِينِينَ وَالْمُسْتِينِينِينَ وَالْمُسْتِينِينِينَ وَالْمُسْتِينِينِينَ وَالْمُسْتَعِينِينِينِينَ وَلْمُسْتَعِينِينَ وَالْمُسْتِينِينِينِينَ وَالْمُسْتِينِينِينَ وَلْمُسْتِينِينِينِينَ وَالْمُسْتِينِينِينَ وَالْمُسْتِينِينِينِينَالِينَالِينِينَ وَالْمُسْتِينِينِينَ وَالْمُسْتِينِينِينِ وَالْمُسْتِينِينِينِينِينِينَ وَالْمُسْتِينِينِ وَالْمُسْتِينِينِينَ وَالْمُسْتِينِينِينِينِ وَالْمُسْتِينِينِينِينِينِينِينِ وَالْمُع

وهذه كلها صفات للذين انقوا الله ، وأعد الله لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ، والأزواج المطهرة ، ورضوان من الله أكبر ، وهم صابرون وصادقون وقائتون ومتفقون في سبيل الله ، ومستغفرون بالأسحار .

وصابرون على ماذا؟ إنهم صابرون على تنفيذ تكاليف الله ، لأننا أول ما تسمع عن التكليف فلنعلم أن فيه كلفة ومشقة ، والتكاليف الشرعية فيها مشقة لأنها قيدت حرية العبد .

لْقَدْ خَلْقُكَ الْحَقِّ خَلْقًا صَالِحًا لَأَنْ تَفْعَلَ كَذَا وَأَلَا تُفْعَلَ . فَسَاعَة يَقُولُ لُك :

افعل . . فإنه قد سد عليك باب و لا تفعل و وساعة يقول لك الحق : لا نفعل فإنه يكون قد سد عليك باب و افعل و . وهكذا يكون تغييد حركتك وتقييد المخلوق على هيئة الاختيار فيه مشقة ، فإذا ما جاء أمر الله بده افعل و فقد يكون الفعل في ذاته شاقا ، فإن صبرت على مشقة الفعل الذي جاء بوساطة و افعل و فأنت صابر ، لأنك صبرت على الطاعة . . وقد تصبر عن المعصية ، عندما يلح عليك شيء فيه غضب الله فترفض أن ترتكب الذنب ، فنكون قد صبرت عن ارتكاب الذنب .

إذن ففي و افعل و صبر على مشقتها و وفي و لا نفعل و صبر عنها و فالصابرون للم اتجاهان اثنان و لأن التكليف إما أن يكون بافعل و إما أن يكون بلا تفعل فلساعة يأن التكليف بافعل فقد تأن المشقة و عندما تنفذ التكليف بافعل فأنت قد صبرت على المشقة و وعندما يأن التكليف بدولا تفعل و كأمر الحق بعدم شرب الحمر و لا تسرق و فأنت قد صبرت عنها و إذن فوافعل و ولا و تفعل و قد استوعبت تُوْغَيُ النكليف و وبقيت بعد ذلك أحداث لا تدخل في نطاق افعل ولا تفعل و ولا تفعل و بلا تفعل و القهرية ولا تفعل و بلا تفعل و القهرية ولا تفعل و والقسرية و

فساعة أن يطلب الله منك أن تفعل ، أى إنه قد خلقك صالحا ألا تفعل كها قلنا من قبل ، إلا إن كنت مجبرا على الفعل فقط ، وكذلك إذا قال لك الحق : « لا تفعل ، والشيء القدرى الذي لا صلاحية فيه للاختيار ماذا يفعل فيه المؤمن ؟ إنه يصبر على الآلام والمتاعب لانه آمن بالله ربا ، والرب هو الذي يتولى تربية المربى لبلوغه حد الكهال المنشود له فإذا جاء لك الحق بأمر لا خيار لك فيه ، كالمرض أو الكوارث الطارئة ، كوقوع حجر من أعلى أو إصابة بوصاصة طائشة ، فكل ذلك هي أمور لا دخل له و افعل ، ولا و تفعل ، فيها .

وهذا يكون الصبر على مثل هذه الأمور هو إيمان بحكمة من أجراها عليك . لأن الدى أجراها رب ، وهو الذى خلقنى فأنا صنعته . وما رأينا أحدا يفسد صنعته أبدا . فإذا ما جاء أمر على الإنسان بدون اختيار منه ، فالذى أجراه له فيه حكمة ، فإن صبر الإنسان على هذه الآلام فإنه يدخل في باب الصابرين .

إذن ، فالصابرون أنواع هم : صابر على الطاعة ومشاقها ، صابر عن المعاصى

0/17/100+00+00+00+00+00+0

ومغرباتها ، وصابر على الأحداث القدرية التي تنزل عليه بدون اختيار منه . وإذا رأيت إنسانا قد صبر على أمر الطاعة وصبر عن شهوة المعصية وصبر على الأقدار النازلة به ، فاعرف حبه لربه ورضاه عنه .

ونأتى بعد ذلك لوصف آخر يقول الله فيه : « الصابرين ، ، والصادقين ، .

والصدق كها نعلم يقابله الكذب ، والصدق كها نعرف حقيقته : يأتى حين توافق النسبة الكلامية التي يتكلم يها الإنسان ، النسبة الأخرى الحارجية الواقعة في الكون .

فإن قلت: وحصل كذا وكذا و فتلك نسبة كلامية صدرت من متكلم، فإن وافقها الواقع بأنه حصل كذا وكذا فعلا يكون المتكلم صادقا. وإن لم يكن الواقع موافقا لحدوث ما أخبر به يكون المتكلم كاذبا ، لماذا ؟ لأن كلام المتكلم العاقل لابد له من نسب ثلاث :

الأولى وهي النسبة الذهنية: نقبل أن أنكلم أعرض الأمر على ذهني، وذهني هو اللذي يعطى الإشارة للساني ليتكلم ، هذه هي النسبة الأولى واسمها « نسبة الذهن » . وقد يعن لى أن تأتي النسبة الذهنية ثم أعدل عنها فلا أتكلم ، فتكون النسبة الذهنية ثم أعدل عنها فلا أتكلم ، فتكون النسبة اللامية لم توجد .

وقد أصر على أن أبرز إشارة ذهنى على لسانى فأقول النسبة الكلامية . وتأتى بعد النسبة الكلامية لنرى : هل الواقع أن ما حدث وتحدثت به وقع أم لم يقع ؟ قإن كان قد وقع ، وكانت النسبة الخارجية قد وقع ، وكانت النسبة الخارجية على عكس ما أخبرت به . فإننا نقول : وهذا كلام كذب ؛ إذن : فالصدق : هو أن تطابق النسبة الكلامية الواقع ، والكذب : هو ألا تطابق النسبة الكلامية الواقع . وكثيرا ما يخطى ، الناس في فهم الواقع فيجدون ثناقضا في بعض الأساليب .

مثال ذلك ، حينها تعرض بعض المستشرقين لقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَافِقُونَ قَالُواْ فَشَهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ﴾

○○+○○+○○+○○+○○(無)(数)

نلك نسبة كلامية صدرت منهم ، فهل هي مطابقة للواقع أم هي مخالفة له ؟ إنها مطابقة للواقع . ويؤكد الحق ذلك بقوله :

﴿ وَآلَٰذُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ ﴿ ﴾

(من الآية الأولى من سورة المتاعقون)

وبعد ذلك يقول الحق سبحانه :

﴿ وَاللَّهُ يَشْهُدُ إِنَّ ٱلْمُنْفِقِينَ لَكُنْدِيُونَ ﴾

(من الآية الأول من سورة المتافقون)

قفيم كذب المنافقون؟ هل كذبوا فى قولهم : « إنك لرسول الله »؟ لا . إن الحق لم يكذبهم فى قولهم : « إنك لرسول الله » » لأن الله قد أيد هذه الحقيقة بقوله : « والله يعلم إنك لرسوله » .

ولكن كذبهم الله فيها سها عنه المستشرق الناقد عندما قالوا: « نشهد إنك لوسول الله » . لقد كذبهم الله في شهادتهم ، لا في المشهود به ، وهو أن محمدا صلى الله عليه وسلم رسول من الله ، إن الله يعلم أن محمدا رسوله المبعوث منه رحمة للعالمين ، لكن الكذب كان في شهادتهم هم .

إن كلام المنافقين مردود من الله . لماذا ؟ لأن الشهادة تعنى أن يواطئ اللسان القلب ويوافقه . وقولهم : شهادة لا توافق قلوبهم وتعنى كذبهم .

إذن ، فالتكذيب هو لشهادتهم ، فلو قالوا : ه إنك لرسول الله ، دون ، نشهد ، لكان قولهم : قضية ، سليمة ، ولذلك كان تكذيب الله لشهادتهم ، ومن هنا ندرك الحان قولهم : قضية ، سليمة ، ولذلك كان تكذيب الله لشهادتهم ، ومن هنا ندرك السر في قول الله : « والله يعلم إنك لرسوله ، إن الحق يؤكد الأمر المشهود به وهو بعث محمد رسولا من عند الحق ، وبعد ذلك يأل لنا الحق بشهادته إن المنافقين كاذبون بعث محمد رسولا من عند الحق ، وبعد ذلك يأل لنا الحق بشهادته النافقين كاذبون في قولهم : « نشهد » . قالصدق أن تطابق النسبة الكلامية الواقع . والصدق . كما قلنا من قبل المثل بأن الإنسان الذي نطلب منه من قبل - حق ، والحق لا يتعدد ، وضربت من قبل المثل بأن الإنسان الذي نطلب منه من قبل - حق ، والحق لا يتعدد ، وضربت من قبل المثل بأن الإنسان الذي نطلب منه

0/7/°00+00+00+00+00+0

أن بروى واقعة شهدها بعينيه ، وأن مجكيها بصدق لن يتغير كلامه أبدا ، مها تكرر القول ؛ أو عدد موات الشهادة . لكن إن كانت الواقعة كذبا ، فالواوى تختلط عليه أكاذيبه ، فيروى الواقعة بألوان متعددة لا انساق فيها ، وقد ينسى الواوى الكاذب ماذا قال في المرة الأولى ، وهكذا ينكشف سر الكذب . لكن الراوى عن واقع مشهود ويصدق ، هو الذي يحكى ، وهو الذي لا تختلف رواياته في كل مرة عن سابقتها بل تتطابق .

فعندما نقول: « إن زيدا مجتهد » ، فهذا يعنى أن اجتهاد زيد قد حدث أولا ، ثم يأتى فى ذهن من رأى اجتهاد زيد أن يخبر بأمر اجتهاده ، ثم يخبر بالكلام عن اجتهاد زيد , إن الأمر الحارج وهو اجتهاد زيد قد حدث أولا ، وبعد ذلك تأتى النسبة الكلامية .

ولكن الإنشاء وهو ضد الخبر، هو أن نطلب من واحد أن ينشىء أمرا لا واقع له، كأن نقول لواحد: اجتهد , إننا قبل أن نقول لإنسان ما : (اجتهد ، فمعنى ذلك أن الاجتهاد كان أمرا في ذهن القائل ، وعندما ينطقها تصبح « نسبة كلامية » . ويعد ذلك يحدث الواقع ، بعد النسبة الذهنية ، والنسبة الكلامية ، وهذا هو الإنشاء .

إن الإنشاء الطلبي يعني أن تحدث النسبة الحارجية بعد النسبة الكلامية . والصادقون هم الذين أراد الله أن يمدحهم ، لماذا ؟ وأين هو مجال صدقهم ؟ إنهم الذين تتطابق حركتهم مع منهج الله ، لأنهم حين قالوا : ولا إله إلا الله » ، وأمنوا به ، فهم قد النزموا بكل مطلوبات الإيمان قدر الطاقة . ومعنى « لا إله إلا الله » أي لا معبود إلا الله أي أنه لا طاعة إلا لله .

والطاعة ـ كما نعرف ـ هى امتثال أمر ، وامتثال نهى . إذن فسجال و لا إله إلا الله ، يشمل أنه لا معبود بحق إلا الله ، ولا مُطاع فى تكليقه إلا الله ، ولا امتثال لأمر أو لنهى إلا للأمر القادم من الله ؛ فإن امتثل إنسان الأمر من الله بعد قوله : ولا إله إلا الله ، كان هذا الإنسان صادقا فى قوله : « لا إله إلا الله » .

وهذا هو صدق القمة ، أن تكون كل تصرفات قائل : ﴿ لَا إِلَّهَ إِلَّا الله ؛ متطابقة

مع هذا القول . والمؤمن الحق هو من يبنى كل تصرفاته موافقة لمنهج الله . هذا هو الإنسان الصادق . أما الذي يقول بلسانه : « لا إله إلا الله ، لا معبود بحق إلا الله » ثم يخالف ربه بعصيانه له ، لنا أن نقول له : أنت كاذب في قولك « لا إله إلا الله » لماذا ؟ لأنه لم يطابق النسبة التي قالها . إن هذا الإنسان إذا آمن بأى تكليف ثم فعل ما يناقضه قلنا له : أنت منافق م لماذا ؟ لأننا عندما تكلمنا في أول صورة البقرة عن المنافقين قلنا : إن المؤمن حين يؤمن بالله يكون صادقا مع نفسه ، لأنه قال : « لا إله الله » وهو مؤمن بها ، والكافر حين ينكر الالوهية يكون صادقا مع نفسه أيضا .

أما المنافق فهو لا يصدق مع نفسه ، ولا يصدق مع الناس ، إنه مذبذب بين هؤلاء وهؤلاء . إن المنافق بلا صدق مع النفسء ولذلك يصفهم الحق :

﴿ مُلْدَبْدُمِينَ بَيْنَ ذَالِكَ لَا إِنَّ مَتَوُّلاً، وَلَا إِنَّ مَتَوُّلاً، ﴾

(من الآية ١٤٣ من سورة النساء)

إن الكافر له صدق مع النفس فهو لا يقول: «لا إله إلا الله » لأنه لا يعتقدها . أما المنافق فقد قال : « لا إله إلا الله » وهي غير مطابقة لسلوكه ، لذلك يكون غير صادق مع نفسه ، وغير صادق مع ربه . إذن ، فقول الحق : « الصادقين » مقصود به هؤلاء الناس الذين يأتون في كل حركاتهم صادرين عن متهج الله ، فلا يؤمنون بقضية ، ويفعلون أخرى . ولذلك يقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ يَكَأَيُّكَ ٱلَّذِينَ وَاسْتُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَالَا تَفْعَلُونَ ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَالَا تَقْعَلُونَ ﴿ ﴾

(سنورة المنف)

أى أنه حين بكون القول شيئا مختلفا عن الفعل ، لا تتطابق النسبة . فالصادقون هم الذين يصدقون في سلوكهم مع كلمة النوحيد في كل ما تتطلبه هذه الكلمة من هذه السلسلة : ولا إله إلا الله لا معبود بحق إلا الله » أى لا مطاع في أمر أو نهى إلا الله ، فإن جئت وطاوعت أحدا في غير ما شرع الله يحق للمؤمنين أن يقولوا لك : أنت كاذب في قولك : ولا إله إلا الله » .

可測數

0144400+00+00+00+00+0

و فعن أبي هويرة رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الحمر حين يشربها وهو مؤمن و(١).

هذا هو سمو الإيمان عند المؤمن ، إن المؤمن لا يمكن أن يكذب أو يخالف مقتضيات عقيدته به لأن المؤمن في كل تصرفاته خاضع لإيمانه بأنه لا إله إلا الله .

ثم يقول الحق: « والقائنين » والقائت: هو العابد بخشوع وباطمئنان وباستدامة . والفائك صادق مع نفسه ، لماذا ؟ لأن الحق سبحانه وتعالى حين يكلف عباده تكليفا ، فقد يكلفهم بشيء يعز على أفهامهم أن تدرك حكمته .

وأقبل القائنون من العباد على هذا التكليف ؛ لأن الذي أمرهم به إله قادر ، فهم يثقون في حكمته فأدُّوا الأمر الصادر إليهم لأنهم خاضعون لحكمة الله .

إنهم منفذون للأمر الفادم من الآمر لا لعلة الأمر . وبعد أن يصنعوا ذلك ؛ يريهم الله نورانية هذا الحكم بأن يعطيهم فرقانا في أنفسهم :

﴿ يَنَايُهَا ٱلَّذِينَ وَامَنُواْ إِنِ لَنَقُواْ ٱللَّهُ يَجِيعَل لَّـكُمْ ۖ فُرْقَانًا وَيُسَكِّفِرْ عَنكُمْ سَيِعَاتِكُمْ ۖ وَيَغْفِرْ

لَكُرُّ وَاللَّهُ ذُوِ الْفَضْلِ الْمَظِيمِ ﴿ ﴾

(سورة الانفال)

فيقول المؤمن منهم لنفسه بعد أن يرى هذا الفرقان : إن الله قد أراد لى بهذا الأمر أن أدرك حلاوة طاعة هذا الأمر ، ولذلك قال أحد العارفين بالله :

إن كنت تريد أن تعلم عن الله حكما كلفك الله به دون أن تعلم علته فاتق الله فيه ، وحين تنقى الله في هذا الأمر ، فإنك تجد الحكمة مستنبرة في ذهنك ، ولذلك يقول الله :

⁽١) رواه البخاري ومسلم وأبوداود والترمذي والنسائي وابن ماجه وأعمد .

﴿ وَا نَّفُوا اللَّهُ وَيُمَلِّكُ أَلَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ مَّى وَعَلِيمٌ ﴾

(من الآية ٢٨٢ من سورة البقرة)

فكأنك قبل التقوى لم يعلمك الله ، أما بعد التقوى قإن الله يعلمك ، فتقبل على تنفيذ التكليف لتلمس إشارة في نوراتية نفسك ، وهذا هو الفارق بين الأمر من الساوى ، والأمر من الأعلى . وعندما ترتفى كلمة ؛ الأعلى » ، فإنها لا تنطبق إلا على الأعلى المطلق وهو الله ، إنه الأعلى في الحكمة ، والأعلى في المتركة، والأعلى في المكانة ، والأعلى في الربوبية .

إذن ، فالإنسان لا يطلب علة حكم إلا من مساوله ، فإن قال لك أحد من البشر : افعل الشيء الفلاق . فإنك تساله : لماذا ؟ فإن أقنعك ، فأنت نقوم بالفعل . وتكون قد قست بتنفيذ هذا القعل ج لأن المساوى لك قد أقنعك بالحكمة لا بالطاعة له .

ولكن عندما يصدر الأمر من الأعلى وهو الحق سبحانه وتعالى ، فإنك أيها العبد المؤمن تنفذ الأمر فورا عشقا في طاعته . والمثال الذي أضربه للنقريب لا للتشبيه ، فالله الأعلى ، وهو منزه عن كل شبيه ، إن الآب يقول للابن في حياننا البومية : إن نجحت في المدرسة فسأحضر لك هذية هي الدراجة فهل معنى ذلك أن علة الذهاب إلى المدرسة هي الحصول على الدراجة كهذية ؟ لا ، ليست هذه هي العلة ، إن العلة عند الآب هي أن يتعلم الابن ويتفوق في حياته ، ويكبر ، وعند ذلك يدرك العلة ، ويكبر ، وعند ذلك يدرك العلة ، ويقول لنفسه : لقد كان أبي على حق .

إذا كان هذا يحدث في الحياة بيننا نحن البشر ، فكيف لنا بطاعة الأمر الصادر من الله ؟ إن الحق سبحانه وتعالى حين يكلف العيد تكليفاً ، فإن العيد قد يجد مشقة في فهم المعلة . والعبد المؤمن يعرف أن الرضوخ لتكليف الحق إنما هو خضوع للأمر الأعلى .

إن العبد المؤمن يعرف أنه آمن بمن هو أعلى منه وأعلى من كل كائن ، ولا يساويه أحد ، إن العبد المؤمن يعرف أنه آمن أولا بأن الله هو الإله الواحد ـ سبحانه ـ له مطلق

回りません。 - 1779

الحكمة ، وله القوة وله كل شيء في الكون ، وسيق أن ضربت المثل ـ ولله المثل الأعلى .

إن الإنسان قد يمرض ، وصحة الإنسان أثمن شيء عنده ، فيفكر في الذهاب إلى طبيب ، ويقول له : إنني أنعب من معدي ، أو من قلبي أو من أمعائي . إنه يجدد ما يشكو منه . وعقل الإنسان هو الذي هداه إلى الطبيب الذي يشخص العلة ، وبعد ذلك يأخذ المريض من الطبيب ورقة مكثربًا فيها الأدوية اللازمة . إن الإنسان يتناول كل دواء من هذه الأدوية دون أن يسأل الطبيب عن حكمة كل دواء ، لأنه لوسأل عن ذلك فهذا معناه الدخول في مناهة كيهاوية ، فإن سأل أي إنسان ذلك المريض : لمأذا تأخذ هذا الدواء ؟ فيجيب المريض : لأن الذي كتب لي هذا الدواء هو الطبيب المحتص بعلاج المعدة ، أو الفلب ، أو الأمعاء أو أي عضو يشكو منه الإنسان .

والطبيب قد يخطى، إنما حكم الله لا يخطى، أبدا ، فهو جل شأنه منزه عن الخطأ تماما . إن الحكمة تكون عند الحق سبحانه وتعالى ، وعندما ينفذ المؤمن مطلوب الله فإنه يدرك آثار الحكمة الربائية في نفسه . وكلمة « قانتين » كها عرفنا هي وصف لمن يعيشون القنوت ، والفنوت هو عبادة مع خضوع ، وخشوع واسندامة . لماذا الحضوع ، والحشوع ؟

لأن الله جل وعلا لم بشرع العبادة لينفذها الإنسان , وينقذ نفسه من عذاب النار ، لا ، إننا نوى كثيرا من الناس _إذا ما لاحظنا واقع الحياة _إذا وجدوا رئيسا قوى الشكيمة وقوانينه صارمة في أن الموظفين تحت بده يجب أن يحضروا صباحا في الميعاد المحدد ، ولا يسمح لهم بالاشتغال بغير العمل ، فلا يشربون الشاى ، ولا يقرأون الصحف ولا يقابلون الأصدقاء ، وغير ذلك من الأعمال . ويأتى واحد من الموظفين فيقول عن هذا الرئيس ، إنه شديد المراس ، ولذلك فليس له عندى إلا أن أحضر في الثامنة إلا خمس دقائق ، ولن أنسرف إلا في الثانية وخمس دقائق ، ولن أنرأ الصحف ولن أفعل أى شيء مما بنقد أو تجريح ، فهذا الموظف يفعل ذلك بجبروت واستعلاء على رئيسه حتى لا يسمح له بنقد أو تجريح ، فهذا الموظف عتل ولكن باستعلاء .

إنها طاعة بلاحب ، ولكنها باستعلاء . وقد يجاول عبد أن يقول : ماذا يطلب الله منى ؟ ألا يطلب منى الصلاة والزكاة وإقامة العبادات ؟ سوف أفعل ذلك ، لمثل هذا العبد نقول : لا ، إن الله يطلب العبادة بحب منك وخشوع واطمئنان ، لأن التكليف من الحق صدقة أخرى أجراها الله على العبد ، إن الحق سبحانه وتعالى قد

العبد العبد بالتكاليف الإيمانية ، حتى يكون الإنسان سويا وله قيمة في الحياة . كلف العبد بالتكاليف الإيمانية ، حتى يكون الإنسان سويا وله قيمة في الحياة .

إن معنى ه قانت محمو العبد الذى يؤدى عبادة ربه بخشوع ، وياطمئنان ، وباستدامة . لماذا ؟ لأن الذى يقبل على الطاعة ثم ينصرف عنها كأنه قد جرب وده لله فلم يجد الله أهلا للود . أما العبد الطائع فهو لا ينصرف عن العبادة ، لأنه ذاق حلاوة استدامة العبادة لله ، ومادام قد أدرك حلاوة العبادة فهو يقبل عليها بخشوع ، واطمئنان ، واستدامة ، ويدخل في دائرة القانتين .

وبعد « القانتين » يقول الله مبحانه : « والمنفقين » وكلمة أنفق و ونفق » ، مأخوذة من كلمة « نفق الحيار » أى مات ، و« نفقت السوق » أى انتهت بضائعها واشتراها الناس ولم يبق منها شيء . و« نفقة » مأخوذة من هذا المعنى لتشعرنا بأن الإنسان حين ينفق فهو يميت ما أنفقه من نفسه ، فلا يتذكر أنه أنفق على فلان كذا ، وعلى علان كذا ، وعلى علان كذا ، والم يقينا أن ما أنفقه هو رزق من أنفقه عليهم وليس له إلا أجر إيصاله إليهم فلا من ، ولا إذلال .

إن الله يريد من كل إنسان يُخرج شيئا من ماله أن ينهى من ذهنه هذا الشيء الذي خرج من المال فلا يذكره ولا يُنُ به على أحد . • والنفقة » ، تقتضى وجود منفق ، ومنفقا عليه ، ومنفقاً به ، المنفق كما نعرف هو المؤمن الذي عنده فضل مال ، والمنفق عليه هو الخيرات .

ومن أبن تأني هذه الخيرات؟ إنها تأتى نتيجة الحركة في الحياة ، وحركة المتحرك في الحياة تقتضى قدرة ، فإذا كان الإنسان عاجزا ، ولا يجد القدرة على الحركة ، فمن أين يعيش؟ إن الله لابد أن يضمن له في حركة القادر ما يعوله .

لقد جعل الله القدرة عرضا من أعراض الحياة ، فالقادر اليوم قد يصير عاجزا غدا . ومادامت القدرة عرضا من أعراض الحياة ، فالقادر الأن عندما يسمع الأمر

0148100+00+00+00+00+00+0

من الله بأن ينفق على غير الفادر ، فلابد أن يُقدر في نفسه أن قدرته هي عرض من أعراض الحياة ، والفادر الآن من الأغيار ، لذلك فهو عرضة لأن يصبر غدا من المعاجزين ، ويقول القادر لنفسه : « عندما أصبح عاجزا سوف أجد من يعطيني » . ألس ذلك هو التأمين الحق ؟ إنه تأمين المؤمن . إن المؤمن يعطي عند قدرته ، وذلك حتى نجنه الله مشقة السؤال إن جاءت الأغيار ، لأن الأغيار إن جاءت سوف يجد من يعطيه .

إننا بجب أن نلحظ في الحكم ، لا ساعة أن تطالب أنت بأداء مطلوب الحكم ، ولكن ساعة أن يؤدى الغير إليك مطلوب الحكم . فألذى يطلب منه أن ينفق ، علمه أن يقدر أنه قد يصبح عنجزا ، ولنا أن نسأله : لوكنت عاجزا ألم تكن تحب أن يعطيك الناس دون مَنَّ أو أذى ؟

إن هذا هو التأمين الحق ، لأنّ التأمين في يد الله ، ومادامت الأغيار عرضة لأن يصبر الفادر عاجزا ويصير العاجز قادرا ، فساعة ينفق المنفق يجب عليه أن يميت أنه أنفق فلا يتذكر وجه من أنفق عليه ، ولا يخبر أحدا بما أنفق .

عد الرسول صلى الله عليه وسلم الرجل الذي أنفق حتى لا تعلم شياله ما صنعت يجينه من السبعة الذين يظلهم الله في ظله فقال : (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ، إمام عادل ، وشاب نشأ في عبادة الله ، ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه ، ورجلان تحابا في الله فاجتمعا على ذلك وافترقا عليه ورجل ذكر الله خالبا فقاضت عيناه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إن أخاف الله رب العالمين ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شياله ما تنفق عينه)(١) .

وبعد ذلك على المؤمن المن أن يُقدر ساعة عطائه أنه ادّخر لياخذ ، إما أن يأخذ إن طرأت له الأغيار في الدنيا ، وإما أن يأخذ من يد الله في الآخرة أضعافا مضاعفة ، إذني ، فالمنفق هو الذي يُؤمِّنُ لغير القادر حركته في الحياة ضيانا لنفسه حين لا يقدر ؛ أو استثبارا مضاعفا عند الله ، وهؤلاء المنفقون الذين يَسَعُونَ العاجزين بغضل ما لذبهم ، يظهرون حكمة الله في الوجود ، لأن الله مادام قنه خلقنا ، وفينا

⁽١) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وأحمد .

00+00+00+00+00+0111110

القادر ، وفينا العاجز ، فقد أراد الله لنا أن نعرف أن القدرة ليست لازمة في الحلق . فإن قدرت الآن فقد تسلب ببضم الناء منك هذه القدرة ، ومادامت القدرة يتم سلبها ، فلابد أن يتمسك المؤمن بالقيوم الذي يقيم القدرة لك أيها المؤمن دائها ، وذلك حتى يعرف الواحد منا أنه لم ينقلت من ربه ، خلقنا قادرين وانتهت المسألة . لا . إنّ القدرة أغيار تذهب وتجيىء ومادامت الأغيار تذهب وتجيىء فلابد أن يضع المؤمن نضب عينيه عطاء القادر الأعلى .

وقلنا سابقا : إن الله جعل المنققين وصفا من أوصاف الذين اتقوا ، والذين أعد الله لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ، وذلك حتى يحمى الله الضعيف الذي خلقه الله لحكمة في الوجود . إن الإنفاق ليس أخذا من العبد ، إنما هو مناولة ، هذه المناولة تنضح في أنه ما كان لك ما يزيد عن حاجتك ، إلا بحركتك في الحياة .

وهذه الحركة في الحباة تتطلب عقلا يخطط للحركة وجوارح تنفذ المخطط الفكرى ، ومادة يتم الفعل فيها سواء كانت أرضا تتم زراعتها ، أو آلة يتم الصنع بها ، ولا شيء للإنسان من هذا في الكون . إن المخ الذي يدبر هو عطاء من الله ، والطاقة التي تنفذ هي عطاء من الله ، ونحن نرى في الحياة إنسانا قد نزع الله عنه المخ الذي يفكر ويدبر ، ونجد إنسانا آخر قد نزع الله منه الطاقة التي تنفذ ، فقد يمنع الله عن عبد المادة التي يتفاعل معها .

إذن ، فلا شيء من هذه الأشباء ذات للإنسان ؛ إنها كلها عطاء من الله . فليعمل المؤمن مضاربا عند الله ، وليعط المؤمن للعاجز حق الله . إن الله لا يأخذ هذا الحق لنفسه إنما يريده الله لأخيك العاجز ، وسوف يطلب الله هذا الحق لك إذا عنت لك حاجة بسبب الأغيار .

هكذا تكون « المنفقين » صفة من صفات الذين اتقوا ربهم . والحق سبحانه وتعالى قد جعل في الصبر ، صلابة اليقين الإيماني في النفس البشرية . وفي الصدق انسجاما مع واقع لا إله إلا الله ، وفي النفقة حماية العاجز الذي لا يقدر .

وبعد ذلك يعود إلى نفس المؤمن عودة أخرى فيقول : « والمستغفرين بالأسحار » إننا يجب أن نأخذ هذا الوصف بعد مجيء الأوصاف الأخرى في النفس البشرية . البداية

C1787 CC+CC+CC+CC+CC+CC+C

هى إقرارهم بالإيمان ، ودعاؤهم الحق سبحانه ـ أن يقفر لهم وقد طلبوا الوقاية من عذاب النار ، وصبروا ، وصدقوا ، وقنتوا فى المعيادة ، وأنفقوا فى سبيل الله ، إن كل هذه الأوصاف تبرىء ذمتهم من أنهم مقصرون أيضا فى حقوق إلههم لذلك فهم يأتون حال السكون بالليل ، ويستغفرون الله .

إما أن يستغفر العبد لأنه قد فرطت منه هفوة فى ذئب ، وإما أن يستغفر لأنه لم بَزد فيها يضعله من أمور الطاعة . وكلمة ؛ بالأسحار ؛ توضح لنا لحظات من اليوم يكون الإنسان فيها محل الكسل والراحة ، إن الذى سوف يصحو فى السحر لابد أن يكون قد اكتفى من الراحة ، ولم يكئ قد أخذ منه كد الحياة كل النهار ، ثم إن بعضهم يأخذه لمو الحياة لبلا .

وهذا هو وجه الخيبة لما يحدث في زماننا . إن كد الحياة _ إن أخذ _ يأخذ نهارا ، وبعد ذلك يأخذنا فو الحياة ليلا ، مما نشاهده من فو الحديث ، وفو السهرات ، وبعد ذلك يأتي الإنسان لينام متأخرا ، فكيف نطلب من هذا الإنسان أن يصحو في السحر ؟ إن الذي يصحو في السحر هو من أخذ حظه في الراحة ، فبعد أن جاء من كد العمل نام نوما هادئا ، ويصحو من بعد ذلك في السحر ليذكر ربه ، في الوقت الذي نام فيه غيره من الناس ، لماذا ؟ لأن الحق سبحانه وتعالى في لحظة سكون الليل يوزع رحمته ، وعندما يصحو إنسان في السحر ويدعو الله ، ويستنفره فإنه يأخذ من وحمة الله النازلة .

وعندما يأخذ هذا العبد من رحمة الله النازلة في ذلك الوقت ، فمعنى هذا أنه سيأخذ الكثير من رحمة الله . وإياك أن تقول : لو صحونا جميعا في الأسحار لنقدت الرحمة والمطاء و لا ، ، لأن الله قد قال :

﴿ مَاعِندُكُمْ يَنفَدُّ وَمَاعِندَ اللَّهِ بَاتِي ﴾

(من الآية ٦٦ من سورة ألنجل)

إن قدرته جل وعلا تتسع لعطائنا جميعا دون أن ينقص شيء من عنده . إن كل هذه الأشياء من التقوى ، والإقرار بالإيمان ، وطلب المغفرة للذنوب ، وطلب الوقاية من هذاب النار ، والصير ، والصدق ، والقنوت ، والإنفاق في سبيل الله ،

والاستغفار بالأسحار، كل ذلك نتيجة للتقوي الأولى.

إنها الشمرة من « لا إله إلا الله » . ومادامت هذه هي الشمرة من « لا إله إلا الله » فليعلم كل إنسان ، أن الله لم يدعك لتستنبطها أنت من مفقود ، بل اعلم أن الله قد شهد أنه لا إله إلا الله «وكفي بالله شهيدا . ولذلك يقول الحق :

﴿ شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَتَهِكَةُ وَأُولُواْ الْعِلْمِ قَايِمنَا بِالْقِسْطِ لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَيْسِرُ ٱلْحَكِيمُ الْعِلْمِ قَايِمنَا بِالْقِسْطِ لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَيْسِرُ ٱلْحَكِيمُ

ولناخذ الجملة الأولى من الآية الكريمة بمعناها : لقد شهد الله أنه لا إله إلا هو ، أى أنَّ الحق قد أخبر بما رآه ، وشاهده ، أو ما يقوم مقام ذلك . إن ه شهد ، بمعنى علم .

إنه الحق الذي نصب الأدلة في الوجود على قيوميته ، وعلى أنه إله واحد ، أليس في ذلك إقامة للحجة على أنه إله واحد ؟ ومن الذي خلق الأدلة وجاء يها ؟ إنه الله . إذن ، فقد شهد الله أنه لا إله إلا هو . وقلنا : إن شهادة الله أنه لا إله إلا هو . هي شهادة الذات للذات ، وشهادة الذات للذات تعنى أنها كلمة تُحكّن منها . فعندما يقول الحق :

﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَلُوْتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِذَا تَضَيَّ أُمَّرًا فَإِثْمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ وَ الْأَرْضِ ﴾ السورة البقرة)

بالله لولم يكن قد شهد لنفسه بأنه لا إله إلا هو ، وليس هناك من يعارض مبتغاه ، أكان يجازف فيقولها ؟ إنه الحق الأعلى الذي شهد أن لا إله إلا هو ، فساعة

أن يقول: ه كن. ه فإنه قد علم ، أنه لا يوجد إله أخر يقول: ه لا تكن » . إن الحق لابد أن يطمئننا أنه لا إله إلا هو ، لذلك فلزم أن يشهد لنفسه أنه لا إله إلا هو . المؤمن » . بماذا يؤمن الله ؟ إنه مؤمن إلا هو . إننا تجد أن من أسهاء الله الحسنى ه المؤمن » . بماذا يؤمن الله ؟ إنه مؤمن بأنه لا إله إلا هو ويلقى الأمر ، ويلقى الحكم النسخيرى ، ويعلم أنه لا إله يعارضه .

وأليس من مطلوبات الرسول صلى الله عليه وسلم أن يشهد أنه رسول الله ؟ لقد صلى رسول الله عليه وسلم وقال فى صلاته : « أشهد أن محمدا رسول الله ، ولو لم يشهد بهذه لنفسه فكيف يجازف بالأشياء التى يقولها ؟ ولذلك فسيدنا أبو بكر عندما بلغه أمر بعث محمد رسولا ، قال ما معناه : أقالها محمد ؟ إنه صادق ، ومادام قد قالها فهى حق .

إن أبا يكر الصديق واثق من الرصيد الذي سبق بعث محمد بالرسالة . ونحن نرى في التاريخ امرأة كان السبب في إسلامها لمحة من سيرته صلى الله عليه وسلم . قرأت هذه المرأة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان أبه سراس من المؤمنين يقومون بحراسته من الكافرين . وبعد ذلك جاء يوم وصرف الرسول صلى الله عليه وسلم هؤلاء الحراس ، وقال لهم ما معناه : إن الله عصمني من الناس فاذهبوا أنتم .

وقد قرأنا هذه الواقعة كثيرا جدا ، ولكن الفتح جاء من الحق لامرأة ، فشغلتها هذه المسألة ، وتساءلت : الم يكن هؤلاء الحراس بجرسونه خوفا على حياته ؟ فلمإذا قال لهم : « لا تحرسون » لأن الله هو الذي يجرسني ؟ فلو أن رسول الله قد غش الدنيا كلها ؛ أكان من الممكن أن يغش نفسه في حياته ؟

وأجابت المرأة على نفسها : لا يمكن ، لأبد أن رسول الله قد وثق تمام الثقة في أن الله قد أبلغه أمر حمايته بدليل أنه قام بصرف الحراس ، وإلا فكيف يأمن أن يأتي أحد ليقتله ؟ قالت المرأة : والله لو خَدع الناس جميعا ما خَدع نفسه في حياته ، أشهد ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله . حدث إسلام هذه المرأة من نفحة يسيرة من سيرة رسول الله عليه وسلم .

إذن ، وشهد الله أنه لا إله إلا هو ؛ هي شهادة الذات للذات ، وكفي بالله

00+00+00+00+00+00+00+00

شهيدا . وشهدت الملائكة أيضا ، والملائكة هم الغيب الجفى عنا ، وتنلقى الأوامر من الحق . إن الملائكة لم يروا أحدا آخر يعطني لهم الأوامر ، إنه الإله الواحد القادر . وهذه هي شهادة المشهد . ويضاف إلى الملائكة ، أولو العلم ، ، لقد أخذ الولو العلم ، الأدلة وجلسوا يستنبطون من كون الله أدلة على أنه لا إله إلا الله .

إن هذه أعظم شهادة لأعظم مشهود به من أعطم شهود ، الله في الفمة ، ومحمد صلى الله عليه وسلم ، والملائكة وأولو العلم . ولقد أخذ أولو العلم منزلة كبيرة لأن الله قد قرنهم بالملائكة .

إن الحق سبحانه وتعالى يبلغنا أنه قد نثر في كونه الآيات العجيبة العديدة ، والذي يجلس ، ويتفكر ويتدبر ، ويتفطن وينظر ، فإنه يستخرج الأدلة على أنه لا إله إلا هو ، وكما قلنا من قبل : إن أبسط الطرق للتدليل على هذه الحقيقة . إن كانت « لا إله إلا الله » صدقا فقد كُفيت ، وإن كانت غير صدق فأين الإله الذي أخذ منه الله هذا الكون ، ولم يخبرنا ذلك الإله أنه صاحب الكون ؟ فإما أن هذا الإله الآخر لم يُدّر ، أو أنه قد علم ، ولا يستطيع فعل شيء ، إذن فلا يصح أن يكون إلها يزاحم الحق الذي أبلغنا أنه لا إله إلا هو .

وتظلى « لا إله إلا الله » لصاحبها ـ جل شأنه ـ « شهد الله أنه لا إنه إلا هو » وفي كل حركة من حركات الحياة نجد أن الانفراد بصدور الحركة قد يعطى علوا ، وقد يعطى استكبارا . . لذلك نقول : ها هو ذا الحالق الأعلى الذي « لا إله إلا هو » يخبرنا أنه قائم بالقسط . ورغم أنه لا أحد في استطاعته أن يتدارك على الله ، إلا أنه يطمئننا أنه قائم بالقسط .

ولنلحظ هنا ملحظا جميلا في الأداء «شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائم بالقسط » لماذا لم يقل الله إن و الملائكة » و «أولو العلم » ، الذين شهدوا أنه لا إله إلا هو قائم بالقسط ؟ لقد شهد الله أنه لا إله إلا هو قائم بالقسط ، والملائكة شهدوا هذه القضية والعلماء شهدوا أيضا جذه القضية . . لماذا ؟ لأن الله لوقال : « قائمين بالقسط » لكان الله مشهودا عليه من هؤلاء ، والشهادة هي له وحده أنه قائم بالقسط والعدل .

لأنه سبحانه خلق الملائكة بالقسط، فلو كانوا معه في ذلك لما استقام الأمر،

017EV 00+00+00+00+00+0

وأولو العلم أيضا مخلوقون بالقسط ، لأن الله قد وزع حركة الحياة على الناس ، فَتَاسُّ يعملون بعقولهم ، وأخرون يعملون بقلوبهم ، وقوم غيرهم يعملون بجوارحهم ، فهذا هو لون من عدل الله يه وإلا ، فهل يدعى أحد أن إنسانا تتجمع فيه كل المواهب التي تنطلبها الحياة ، لا ، وهذه من عدالة الرحمن .

إن من عدالة الحق أنه وزع المواهب بين البشر ، فبدلا من أن يعتمد الإنسان على نفسه في صناعة المليس والمأكل ، والمشرب ، جعل الله المهارات موزعة بين البشر ، . فأنقنت مجموعة من البشر حرفة الزراعة لإنتاج الطعام الذي يكفيهم ، ويسد حاجة غيرهم ، وكذلك تبادلوا مع غيرهم المنافع ، فالإنسان - يمفرده - لا يستطيع أن يزرع القطن ويجمعه ويغزله وينسجه ، ليلبس ، والإنسان لا يستطيع أن يزرع القمح ويحصده ثم يطحنه ثم يجبزه .

إن الله لم يخلق الناس ليقوم كل فرد بإشباع حاجات نفسه المتنوعة ، إنما وزع الله المواهب ، لتتداخل هذه المواهب ، ويتكامل المجتمع البشرى ، فواحد يزرع الله الأرض ، وثان يغزل القطن ، وثالث ينسج القياش ، ورابع يصنع الأدوات . وهذا عدل عظيم ، لأن الطاقة البشرية لا تقوى على أن تقوم بكل متطلبات الحياة ، لذلك جعل الحق هذا الننوع في المواهب ليربط الناس بالناس قهرا عن الناس ، فلم يجعل لاحد تفضلا على أحد ، فيادام واحد يعرف في مجال ، وآخر لا يعرف في هذا المجال ، فالذي لا يعرف في هذا المجال ، فالذي لا يعرف عمتاج للآخر ، وهكذا يتبادل الناس المنافع رغها عنهم .

ولذلك نجد الكون متكاملا . ولينظر كل منا إلى حياته وليعدد كمّ زارية من زوايا العلم ، وكم زاوية من زوايا القدرات ، وكم زاوية من زوايا المواهب تلزم حتى تخدم حركة الحياة ؟

إن هذه الزوايا موزعة على الناس جيما ليخدموا جيما حركة الحياة . وهذا قمة العدل . وحتى يوضح لنا الحق قيمة العدل وكيفية العدالة فى إقامة المحبة والاحترام بين البشر ، فلينظر الواحد منا إلى الإنسان الأخر البعيد عنه ، ويتساءل بينه وبين نفسه : أهذا الرجل البعيد عنى يعمل من أجلى ؟ وتكون الإجابة : نعم .

إذن ، فعل الإنسان عندما يرى إنسانا متفوقاً في صنعة ما ، فليقل : إن تفوقه في

صنعته عائد إلى وتفوقه في موهبته عائد إلى ، وهكذا منع الله بالعدل الحقد والحسد ، وجعل الناس متكانفين قهرا عنهم ، لا تفضلا منهم ، إذن ، فكل إنسان يسعى بحركة الحياة إنما يقيم نفسه في زاوية من زوايا الحياة ، ومن العجيب أن الزاوية التي يحركة الحياة إلى المنسان تكون حاجته فيها أقل الحاجات ، لذلك نجد المثل الريفي الذي يحسنها الإنسان تكون حاجته فيها أقل الحاجات ، لذلك نجد المثل الريفي الذي يقول : و باب النجار مخلع ، وذلك حتى يعلم الإنسان أن موهبة ما تكون عند غيره معوف تنفعه هو ، بدليل أن الموهبة التي عندك لم تنتفع أنت بها إلا قليلا .

وبذلك يشيع في الناس اقتناع بأن موهبة كل فرد فيهم ، إنما تعود عليهم جميعا ، وبذلك تحل المحية والاحترام بدلا من الحسد والحقد . وعندما سأل أحد الظرفاء : ولماذا يكون باب النجار هو و المخلع و ؟ قال أحد الظرفاء ردا عليه : لأنه الباب الوحيد الذي لن يأخذ النجار أجرا لإصلاحه ، ونلتفت إلى العجائب في الحكمة الشائعة ، فنجد أطباء اخصائيين في ألوان من المرض ، وصاروا أعلاما في مجالات تخصصاتهم ، ويشاء الحق صبحانه وتعالى ألا يصابوا إلا يما برعوا فيه ، كأن الذي برعوا فيه لم يقدهم هم بشيء ، إنما أفاد الآخرين . ولنتظر إلى الآية في مجملها :

﴿ شَيِدَ اللهُ أَنَّهُ إِلاَ إِلنَّهُ إِلَّا هُوَ وَالْمُلَتَبِكُهُ وَأُولُواْ الْمِلْمِ قَاعِمًا بِالْفِسْطِ لآإِلنَّهُ إِلَّا هُوَ الْمَرْرُزُ الْمُكِيمُ ﴿ ﴾

(سورة أل عبران)

لقد استهلها الله بقوله: وشهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائها بالقسط، ثم قال بعد ذلك: ولا إله إلا هو العزيز الحكيم، فكأن الأية تقول لنا: إذا ثبتت شهادة المذات للذات، وشهادة المشهد من الملائكة، وشهادة الاستدلال من العلياء، فإن القاعدة تكون قد استقوت استقوارا نهائيا لاشك فيه، فخذوها مسلمة: ولا إله إلا هوه.

ومادام « لا إله إلا هو » فليكن اعتبادك عليه وحده ، واعلم أنك إن اعتمدت عليه وحده إلها فأنت قد اعتمدت على عزيز لا يُغلب على أمره .

قال صلى الله عليه وسلم : ﴿ إِذَا سَأَلَتَ فَاسَأَلُ اللهِ ﴾ وإذا استعنت فأستعن بالله ﴾

@1749@0+@@+@@+@@+@@+@

واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رُفعت الأقلام، وجفت الصحف و(١).

فلا يستطيع أحد أن يدخل مع الله في جدال. إنما يدخل خلق الله مع خلق الله في خلاف أو نضال ، لكن لا أحد بجرز على أن يدخل في نضال مع الله لأنه عزيز لا يغلب ، فإن آمنت به وحده ، فلك الفوز ، وكلمة و وحده ، قد تهدو في ظاهرها تقليلا للسند الذي تستند إليه في القياس البشري ، فيقال : « أنا لاجيء إلى فلان وحده ، وعندما تكون لاجئا إلى عشرين ألا تكون أكثر قوة ؟ لكن هنا لا يكون قياس بين اللجوء إلى الله وحده ، بقياس اللجوء إلى مخلوق ، إنك هنا تلجأ إلى خالق أعلى بيده مقاليد كل شيء وهو على كل شيء قدير ، فكلمة ، وحده ، هنا تغنيك وتكفيك عن الكل ، اعمل لوجه واحد ، يكفك كل الأوجه ، واعلم أنه لا يوجد من يغلبه على أمره .

وعظمة الحق أنه واحد أحد فرد متفود صمد بم وهو عزيز لا يُغلب على أموه ، وهو صماحب كل الحكمة في وضع الأشباء في مواضعها بحيث إذا ما عرفت حكمة ما يجريه الله سبحانه وتعالى على خلقه فأنت تتعجب من عظمة قدرة الله ء لأن الحكمة هي وضع الشيء في موضعه ، ومادمت قد وضعت الشيء في موضعه فإنه لا يكون هناك قلق ، ومادام الشيء موضوعا في مكانه فهو مستقر ، ومادام الشيء مستقرا فإنه لا يتلون وتزداد الثقة فيه ، وهذه مأخوذة من و الحكمة ، التي تُوضع في قم القرس ، والتي نسميها و اللجام ، وهي كها نعرف تتكون من قطعة من الجلد تدخل على اللسان وفيها قطعة من الحديد ، فإن مال إلى غير الاتجاه الذي تريد ، يكون من السهل جذبه إلى الاتجاه الصحيح .

إن وجود الحكمة يعنى وجود شيء يحكمه فلا ينحرف يمينا ولا يسارا ، ومادام الله قد شهد أنه لا إله إلا هو ، وشهدت الملائكة وشهد أولو العلم ، وانتهت الفضية بعد هذه الشهادات إلى أنه لا إله إلا هو ، وأنه العزيز الحكيم ، فكل منهج منه يجب أن يُسلم إليه ، وأن ينقاد له . ومادام الله قد شهد لنفسه بأنه إله واحد ، أي لا يوجد له

⁽¹⁾ رواء الترمذي .

00+00+00+00+00+00+0170+0

شريك ينازعه فيها يريد من خلقه ، وليس لله شريك في الحلق ، وليس لله شريك في الرزق ، وليس لله شريك في الرزق ، وليس له شريك في التشريع .

إذن . فالجهة التي تستمد منها مقومات منهجنا هي جهة واحدة ، وكان من الممكن أن تظلم وتجور هذه الجهة الواحدة الحائفة على ما خلقت لأنه ليس لاحد من خلق الله حق على الله ، لكن الله مسحانه عادل ، إنه سبحانه يطمئننا ، فهذه الوحدائية بقدرتها وجبروتها وعلمها وحكمتها عادلة لا تظلم ، لأنه قال : مع أن إله واحد ، لا يُرد لى حكم ولا أمر فأنا قائم بالقسط .

والقيام بالقسط بجب أن تتوقف عنده لنقهمه جيدا ، إن الحق يقول عن نفسه : وقائيا بالقسط ، وكلمة قائم تعنى أن الله قد خلقهم الحلق الأول ، وهذا الحلق إغاقام على العدل والقسط . والعدل والقسط والقسط يقتضى ميزانا لا ترجع فيه كفة على كفة ، وهذا الميزان محسوك بيد القدرة الفاهرة التي لا توجد قوة أعل منها تميل في الحكم ، والحق مبحانه قائم بالقسط في الحلق ، فقيل أن يخلفنا أعد لنا ما تنطلبه حياتنا بالقسط أيضا ، فلم مجعل أمر الحياة قائما على الأسباب التي يكلفنا بها لنعيش ، بل حكم بالقسط > لقد جعل الحق بعضا من الأمور لا دخل لنا نحن العباد فيها ، ولم يقض الحق بذلك على حركتنا ولا على حريتنا في الحركة ، لذلك خلق لنا أسبابا إن شئا أن نقعل بها وصلنا إلى المسببات ، حريتنا في الحركة ، لذلك خلق لنا أسبابا إن شئا أن نقعل بها وصلنا إلى المسببات ،

إذن الحق سبحانه لم يحكمنا في قضية الخلق الأولى بشيء واحد ، بأن يجبرنا على كل شيء ، بل جبرنا بأنه _ سبحانه _ لم يدخل أسبابنا ولا حركتنا في كثير من الحركات التي تترتب عنيها الحياة ، فلم يجعل الشمس بأيدينا ، ولا القمر ، ولا الربح ، ولا المطر . كل هذه الأسباب جعلها بيده هو ، لماذا ؟ لأن هذه الأسباب ستقعل للمخلوق قبل أن تكون له قدرة . هذه الأسباب تفعل للإنسان قبل أن توجد له للمخلوق قبل أن تكون له قدرة . هذه الأسباب تفعل للإنسان قبل أن توجد له حياة ؛ لنمهد للحياة التي يهبك الله إباها ، فلو ترك الله كل هذه الأشباء لأسباب الإنسان إرادة ، وتوجد له قدرة وعلم .

لقد جعل الله أسباب الحياة بيده ، كالتنفس مثلا ، إن التنفس لا يخضع لإرادة القدرة على الحركة في الحباة، ولكنه قال لك: أيها الإنسان ـ وهو سبحانه الإله القادر ـ تحرك @1701@@#@@#@@#@@#@

التنفس إلى أن توجد له إرادة . ولا توجد الإرادة إلا إن وجُد عند الإنسان علم بأنه يريد إدخال الأوكسجين إلى الرئتين حتى يغذى الدم والمخ وينقى الدم والجسم من الأشباء التى تضره ، هذا يقتضى العلم ، فإذا كان هذا الأمر يقتضى العلم . فإذا يصبع الطفل الذي ليس له علم ؟ كيف يتنفس؟

لذلك فمن رحمة الله وعدائته أن جعل أمر التنفس ـ على سبيل المثال ـ بيده هو سبحانه ، ولكن الحق سبحانه لم يقض على خلوقه بأن يجعله فى الكون بلا حرية أو اختيار ، لا ، لقد ترك الحق سبحانه بعضا من الأشياء لحرية الإنسان واختياره .

إذن ، فالحق لم يلزم العبد تسخيرا ، ولم يمنع تخبيرا . وذلك هو العدل المطلق . لقد احترم الحق كينونة الإنسان ، وحياة الإنسان ، ومشيئة الإنسان ، واختيار الإنسان ، فقال : أنا سأعطيك أسباب الحياة الضرورية ولا أجعل لك دخلا فيها ، لأنك إن تنخلت فيها أفسدتها ، وتأخر وصول خدمتها لك إلى أن تعرف وتعلم ، وأنا - الحق - أريدها لك ، وأنت أيها الإنسان عاجز قبل أن توجد لك ، وأنت قادر بوجودها الذي أمنحه لك ، لذلك جعلتها بيدى أنا الحالق المأمون على خلقى . ولكن لن أفضى على حريتك ، فإن أردت ارتقاة في الحياة فتحرك في الحياة) إن شئت ولها الإنسان ألا تفعل فلا تفعل . وهذا مطلق العدل .

ثم جاء الحق سبحانه وتعالى وجعل قوله: « قانها بالقسط » مشتملا على التكليف أيضا ، أى إن عدالته في التكليف مطلقة ، فأناس يقولون : « لا إله » وأناس آخرون عددوا الآلهة ، فقام الحق بالقسط بين الأمرين ، هو إله موجود يا من تقول : « لا إله » . وهو إله غير متعدد يا من تشرك معه غيره . وهذا قيام بالقسط . وجاء الحق سبحانه في الأحكام . نحن نجد أحكاما شرعية طلبها الحق سبحانه من العبد طلبا باتا ، ولم يتركها المحتيار الإنسان ونجد أشياء تركها الحق سبحانه ليجتهد فيها الإنسان ، فلم يجعل الحق سبحانه العبد حرا طلبقا يغربد في الكون كها يشاء ، ولم يجعل الحق سبحانه واحتيار . يعل الحق سبحانه عبده مقهورا أو مقسورا بحيث لا توجد له إرادة أو اختيار .

لقد جعل الله للإنسان مجالاً في القسر ومجالاً في الاختيار ؛ أوجد في الإنسان القدرة على الحركة في الحياة ، ولكنه قال لك : أيها الإنسان ـ وهو الإله القادر ـ تحرك

في الحياة وأنا أحمى نتيجة ما تتحرك فيه ، ولكن لى في مالك الذي جعلتك فيه خليفة حق عليك أن تعطى بعضا هنه لاخيك المحتاج .

لقد أعطى الحق للنفس البشرية أن تكد ، وأعطى لها أن تكدح ، وحفظ لها ما تملك ، ولكنه هو الحق لم يُطلق للنفس البشرية عنانها ، بل قال : لى حق فى ذلك . وهكذا نجده سبحانه قد عدل فى هذا الأمر .

إذن فقول الحق إنه قائم بالقسط . نجده واضحا في كل شيء ، ففي الخلق والرزق والتكليف تجد أنه قائم بالقسط ، ومادام هو إلها واحدا وقائها بالقسط . فها الذي يجنعك أيها الإنسان أن تخضع لمراده منك ؟ يقول الحق سبحانه :

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَادُّ وَمَا الْخَتَلَفَ اللَّهِ اللَّهِ الْإِسْلَادُ وَمَا الْخَتَلَفَ اللَّهِ اللَّهُ اللْمُلْمُ الللْمُ اللَّهُ الللْمُ اللَّهُ الللْمُ اللَّهُ اللللْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللللْمُ اللَّهُ الللْمُ اللَّهُ اللْمُلْمُ الللْمُلْمُ اللْمُلْمُ اللْمُلْمُ اللْمُلْمُ الللِّهُ اللْمُلْمُ اللْمُلْمُ اللَّهُ اللْمُلْمُ اللْمُلْمُ اللْمُلْمُ اللْمُلْمُ اللَّه

بعد أن قال لنا : إنه إله واحد ، وقائم بالقسط هو نتيجة منطقية لكونه _ سبحانه _ إلها واحدا فكأن قوله ؛ و شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائها بالقسط » . لماذا ؟ لأنه لا تسليم لأحد إلا الله ، ومادام الله إلها واحدا ، فلا إله غيره يشاركه ؛ يقول الحق :

﴿ مَا آخَلُ اللهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَدُر مِنْ إِلَيْمٍ ۚ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَكِم بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا اللهِ مِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا اللهِ مَا آخَلُ اللهِ مِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا اللهِ عَلَى اللهِ اللهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ

(سورية اللزمترن)

ومادام قد ثبت أنه هو الإله الواحد ، في الذي يمنعك أيها الإنسان أن تخضع لمواده منك ؟ إذن فقول الحق بعد ذلك : وإن الدين عند الله الإسلام ، هو أمر منطقي جدا يجب أن ينتهي إليه العاقل ، ومع ذلك رحمنا الله سبحانه وتعالى فأرسل لنا وسلا لينههونا إلى القضية السببية ، والمسببية ، والمقدمة والنتيجة وإن الدين عند الله الإسلام ، وإذا سألنا : ما هو الدين ؟ تكون الإجابة : إن الدين كلمة لها إطلاقات منعددة فهي من ودان و تقول : دنت لفلان : رجمت له وأسلمت نقسى له ، والنمرت بأمره . ويطلق الدين أيضا على الجزاء ، فالحق يقول عن يوم الجزاء : ويوم الدين ؛ وهو يوم الجزاء على الطاعة وعلى المعصبة ، وعلى أن الإنسان المؤمن قد دان لأمر الله ، فكلها تلتقي في قول الحق : وإن الدين عند الله ؛ للإسلام ، يشعرنا بأنه قد توجد أدبان يخضع لها الناس ، ولكنها ليست أدبانا عند الله ؛ ألم يقل الحق :

﴿ لَكُرُ دِينُكُ وَلِيَ دِينٍ ١

(سورة الكافرين)

إن معنى ذلك أن هناك دينا لغير الله فيه خضوع واستسلام ، وفيه تنفيذ لأوامر ، ولكن ليس دينا لله ، ولا دينا عند الله , إن الدين المعترف به عند الله هو الإسلام . والدين يطلق مرة على الملة ومرة أخرى على الشريعة ، فإن أراد المؤمن الأحكام المطلوبة فلك أن تسميها شريعة ، وإن أراد المؤمن الطاعة ، والخضوع ، وما يترتب عليهما من الجزاء فليسمها المؤمن الدين ، وإن أراد الإنسان كل ما ينتظم ذلك فليسمها المؤمن الدين ، وإن أراد الإنسان كل ما ينتظم ذلك فليسمها الملة .

إذن فقوله سبحانه : وإن الدين عند الله الإسلام و تعنى أنه لا دبن عند الله الا الإسلام و وكلمة وإسلام و مأخوذة من مادة و سبن و وولام و وو ميم و و السبن و واللام و وو الميم و لما معنى يدورفي كل اشتقاقاتها وينتهى عند السلامة من الفساد و وينتهى المعنى أيضا إلى الصلح بين الإنسان ونفسه وبين الإنسان وربه وبين الإنسان والكون وبين الإنسان وإخوانه وابه صلاح وعدم الإنسان وربه وبين الإنسان والكون وبين الإنسان وإخوانه والمحرد وعدم فساد و كل مادة السبن واللام والمبم تدل على ذلك ومادامت المادة المكونة منها كلمة واسلام و تدل على ذلك فلهاذا لا نتبعها ؟

لقد قالنا سابقا: إن الإنسان لا يخضع لمثيله إلا إذا اقتنع بما يقول ؛ إن الإنسان

يقول لمساويه الذي يأمره: لماذا تريدي أن أنفذ أوامرك؟ إنك لابد أن تقنعني بالحكمة من ذلك الأمراء لكن عندما يؤمن الإنسان بإله واحد قائم بالقسط، ويصدر من هذا الإله أمراء فعلى الإنسان الطاعة.

إذن . . فالإسلام معناه الخضوع ، والاستسلام بعزة وفهم ، وعزة وتعقل ؛ لأن هناك عبودية تُعَقِّل عندما يقف الإنسان عند المعنى السطحى ، وهناك عزة تعقل عندما يقف الإنسان عند المعنى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه أو من خلفه ، إن هذا هو عزة العقل فلا يستهويه أي شيء سوى الخضوع للأمر الثابت الذي لا يتناقض أبدا .

فهادام الله إلها واحدا قائما بالقسط فإنى كعبد من عبيده حين اؤمن به واخد عنه ، فهذه عزة في الفهم وعزة في التعقل ، وعزة في العبودية أيضا ، لانني أعبد الله الذي هو فوق كل المخلوقات والكائنات ، ولا أعبد مساويا لي ، وإن الذي يعبد مساويا له لا يملك إلا إنفة وحمية الذليل ، ومادام الإسلام هو الخضوع والاستسلام لله فهو خضوع لغير مساو ، وه أسلم » أي دخل في السلم ، أي دخل في الصلح ، وعدم التناقض ، وفي الأمان والراحة ، أي خلص نفسه من كل شيء الا وجه الله ، ولذلك يقول الحق :

﴿ ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَا لَهُ مُتَثَنَّكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتُو يَانِ مَثَلًا اللهُ مَثَلًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتُو يَانِ مَثَلًا اللهُ مَذَ لِنَا الْحَمْدُ لِللهِ مَثَلًا لَا يَعْلَمُونَ ٢٠٠٠ ﴾ الحَمْدُ لِللهِ مَثَلًا لَا يَعْلَمُونَ ٢٠٠٠ ﴾

(سورة الزمر)

كأن الله يريد أن يوضح لنا الفرق بين الخاضع لأمر سيد واحد ، وبين الخاضع لم الله يريد أن يوضح لنا المثل بالأمر المشهور عندنا ، فقال ما معناه : هب أن عبدا له من السادة عشرة ، وكل سيد له منه طلب ، فهاذا يصنع ذلك العبد ؟ وعبد آخر له سيد واحد ، هذا العبد يكون مستريحا لأنَّ له سيدا واحدا ، بينها الأخر المملوك لعشرة تتضارب حياته بتضارب أوامر سادته العشرة .

إذن فالعبد المملوك لشركاء تعيس ؛ لأن الشركاء غير متفقين ، إنهم شوكاء

متشاكسون ، فإذا رآه سيد يفعل أمرا لسيد آخر ، أمره بالعكس ، وبذلك يتبدد جهد هذا العيد ويكثر تعبه ، ولكن الرجل السلم لرجل ، هو مستريح ، وكذلك التوحيد ، لقد جاء الحق سبحانه بمثل من واقعنا ليقرب لنا حلاوة التوحيد . إن العبد المؤمن بإله واحد يحمد الله لأنه خاضع لإله واحد . إذن فها دام الإسلام هو الخضوع والانتسلام ومعناه الدخول في السلم بكسر السين ـ أو الدخول في السلم . بفتح السين ـ أو الدخول في السلم .

﴿ وَإِن جَنِكُواْ لِلسَّلِمِ فَأَجْنَحُ لَمَا وَتَوكَّلُ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُم لَمُوالسَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۞ ﴾ (سورة الانفال)

هذا الخضوع ليس لمساو ، بل لأعلى . والأعلى الذي نخضع له هو الذي خلق ، وهو الأعلى الذي أمدتا بقيوميته بكل شيء . إذن فإذا أسلم الإنسان ، فإن هذا الإسلام له ثمن هو المثوبة من الله . إن من مصلحة الإنسان أن يسلم . * إن الدين عند الله الإسلام ، ومادام الدين المعترف به عند الله هو الإسلام فهو الدين الذي يترتب عليه النواب والإسلام هو دين الرسل جميعا ، وكلهم قد أمن به إ فإبراهيم خليل الرحن قد قال :

﴿ رَبُّنَا وَآجُعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّ يَتِنَا أَمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكُنَا وَتُبْعَلَنَا ۗ إِنْكَ أَتَ ٱلقَوْابُ ٱلرَّحِيمُ ۞﴾

(سورة البقرة)

ويعقوب عليه السلام يخبر الحق عنه في قوله لبنيه وإجابتهم له :

﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآة إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِى قَالُواْ نَدُبُدُ إِلَيْهَاكَ وَ إِلَنْهَ عَالِمَا إِلَى إِلَى عَلَمَ الْمُوتُ وَإِنْهَا وَإِنْهَا وَرَحِدًا وَتَعْنَ لَهُمُ مُسْلِمُونَ ﴿ اللَّهِ عَالِمَا إِلَى اللَّهِ عَالِمَا إِلَى اللَّهِ عَالِمَا إِلَى اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّلْمُ اللَّا اللَّالَالْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الل

(صورة البقرة)

ويقول ـ جل شأنه ـ :

(سورة الأنعام)

إذن فالإسلام دين شائع ، والمسلمون كلمة شائعة في الأديان ، وبذلك لا يقف الإسلام عند رسالة سبدنا محمد عليه الصلاة والسلام فقط، إنما الإسلام بخضوع من مخلوق لإله في منهج جاء به رسل مؤيدون بالمعجزات ، إلا أن الإسلام بالنسبة لهذه الرسالات كان وصفا ، لكن أمة محمد صلى الله عليه وسلم تميزت بديمومة الوصف لدينها كها كان لأمم الرسل السابقة ، وصار الإسلام. أيضا علمها لأمة محمد صلى الله عليه وسلم ، لأن رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم تضمنت منتهى ما بوجد من إسلام في الأرض ، فلم يعد هناك مزيد عليها ، وانفردت أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن صار الإسلام علما عليها .

إذن فالإسلام في الأمم السابقة كان وصفاء وأما بالنسبة لرسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد صار علما لأنه لم يأت بعدها دين، فإسلامها إسلام عالمي، ولذلك فتحن بهذا الدين نقول: « نحن مسلمون » أما أصحاب الديائات الأخرى فهم أيضا مسلمون لكن بالوصف فقط. تحن الذين نتبع الدين الخاتم سهانا الله في كتابه المسلمين فهذا من إعجازات التسمية التي وافق فيها خليل الله إبراهيم عليه السلام مراد وبه:

﴿ وَجَنهِدُواْ فِي اللّهِ حَنَّى جِهَادِهِ مَ هُوَ آجْنَبَكُمْ وَمَا جَمَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجَ مِلَةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِمَ هُوَ سَمَّلَكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَنذَا لِيَـكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى النَّسَامِينَ فَالْقِيمُواْ الصَّلَوَةَ وَءَانُواْ الرَّكُوةَ وَاعْتَصِمُواْ

製態 **の+の0+00+00+00+00+0**

بِاللَّهِ مُو مَوْلَنكُم أَنعُم الْمَوْلَ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ١٠٠٠

(سورة المج)

لقد صار الإسلام اسها لأمة رسول الله صلى الله عليه وسلم } ولا يُطلق هذا الوصف اسها إلا على من بالغ فى التسليم . كيف ؟ نحن نعلم أن لفظ و الله ؟ علم لواجب الوجود . ونعلم أن واجب الوجود . ونعلم أن واجب الوجود . ونعلم أن واجب الوجود . ونعلم أن أسهاء الله ي لأن الله حي حياة كاملة أزلية . إذن لا تكون الصقة اسها إلا إذا أخذ أسهاء الله ي لأن الله حي حياة كاملة أزلية . إذن لا تكون الوسف السابقون على الوصف فيها الديمومة والإطلاق . وعلى هذا القياس يكون الرسل السابقون على الموصف فيها الديمومة والإطلاق . وعلى هذا القياس يكون الرسل السابقون على وكانوا أنما مسلمة بالوصف ، ولكن أمة محمد صلى الله عليه وسلم تميزت بالإسلام وصفا وعَليًا ، فصار الأمر بالنسبة إليها اسها ، ونظرا لأنه لن يأن شيء بعدها ، لذلك وصفا وعَليًا ، فصار الأمر بالنسبة إليها اسها ، ونظرا لأنه لن يأن شيء بعدها ، لذلك صار إسلام أمة رسول الله و علها ؟ . ولقد بشر مبيدنا إبراهيم عليه السلام بهذا الأمر :

﴿ إِلَّهَ أَبِيكُمْ إِرَاهِمْ مُوَسِّئْكُمُ السُّلِينَ ﴾

(من الآية ٢٨ من سورة الحج)

إن الحق قد أورد على لسان سيدنا إبراهيم بالوضوح الكامل وهو سياكم المسلمين ولم يقل الحق : وهو وصفكم بالمسلمين و . لا ، إنما قال : وهو سياكم المسلمين و ولا أله وسول الله صلى الله عليه المسلمين و الأن الأمم السابقة موصوفة بالإسلام وأما أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهى مسياة بالإسلام . وتجد من إعجازات التسمية ، أننا نجد لاتباع الأديان الآخرى أسياء أخرى غير الإسلام ، فاليهود يسمون انفسهم باليهود نسبة لد و يوها و . ويقولون عن أنفسهم : و موسوبون و نسبة إلى موسى عليه السلام . والمسيحيون يسمون أنفسهم بذلك نسبة إلى المسيح عيسى بن مريم ، ولم نقل نحن والمسيحيون يسمون أنفسنا : و إننا محمديون و . لقد قلنا عن أنفسنا : و إننا محمديون و . لقد قلنا عن أنفسنا : و نحن مسلمون و ، ولم تأت على لسان أحد قط إلا هذه النسمية لأمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصار اسم الإسلام لمنا شرفا . إذن ، فقول الله الحق : و إن الدين عند الله الإسلام و يعنى أنه ، إن جاز أن يكون لرسول أو لاتباع رسول وصف

00+00+00+00+00+01Y#A

الإسلام فقد يجيء رسول بشيء جديد لم يكن عند الأمم السابقة فنزيده نحن بالتسليم ، وبزيادتنا ـ نحن المسلمين ـ بهذا التسليم خُتِمَ التسليم بنا نحن أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولذا صار الإسلام لا يُطلق إلا علينا .

إن الحق سبحانه وتعالى يوضح لنا أن الذين أوتوا الكتاب قد اختلفوا من بعد ما جاءهم العلم . ولماذا اختلفوا ؟ جاءت الإجابة من الحق . الأعلى : (بغيا ببنهم) وكلمة الاختلاف هذه توحى أن هناك شيئا متفقا عليه ، ومادام الإسلام هو خضوعا لمنهج الله . لأنه إله واحد وقائم بالقسط ، فمن أين يوجد الاختلاف ؟ وما الذي زاد حتى يوجد اختلاف ؟ أبرز إله أخر بناقض الله في ملكه ؟ لا لم يحدث ، ومادام الإله واحدا ، ومادام المنهج الفادم من عنده منهجا واحدا ، فمن أين جاء هذا الاختلاف ؟

إن الحق يوضح ثنا أن الاختلاف قد جاء للذين أوثوا الكتاب من بعد ما جاءهم العلم وتلك هي النكاية ، وذلك هو الشر ، فلو كانوا قد اختلفوا من قبل أن يأن البهم العلم لقلنا : « إنهم معذورون في الاختلاف ، ولكن أن يحدث الاختلاف من بعد أن جاء العلم من الإله الواحد القائم بالقسط فلنا أن نقول لهم : ما الذي جَدُّ لتختلفوا ؟ إن الذي جَدُّ هو من عالم الأغيار ، ومادام الجديد قد جاء إليهم من عالم الأغيار ، ومودام الجديد قد جاء إليهم من عالم الأغيار ، وفريد أن نعرف أولا ، معنى الاختلاف ، الاختلاف أن هوى النفس قد دخل ، وثريد أن نعرف أولا ، معنى الاختلاف ، الاختلاف أن حقيقته هو ذهاب نفس إلى غير ما ذهبت إليه نفس الخوى .

ولماذا حدث الاختلاف هنا رغم أن الإله واحد ، وهو قائم بالقسط ؟ لابد لنا أن نستنج أن شيئا جديدا قد نبت، ما هو هذا الشيء ؟ إنه الهوى المختلف ، وحينها يقال : و اختلفوا و فنحن نعلم أن جاعة قد ذهبت إلى شيء وجاعة أخرى ذهبت إلى شيء آخر . وقد تستنج أن طرفا قد ذهب إلى حق ، وأن الطرف الآخر قد ذهب إلى باطل ، أو أنهم جميعا قد ذهبوا إلى باطل . والذهاب إلى الباطل قد يختلف ، لأن كل باطل له لون مختلف . هل أراد الحق سبحانه وتعالى أن يقول : أنا أنزلت الأديان ومن رحمى يخلقي تركت بعضا من الناس يجتفظون بالحق في ذاته وإن طرأ عليهم أناس بختلفون معهم . وتجد المثال لذلك في اليهود ، عندما جاء رسؤل الله صلى الله عليه وصلم . لقد اختلفوا ، وأسلم منهم أناس وآمنوا برسالة النبي الخاتم ، بينها عليه وصلم . لقد اختلفوا ، وأسلم منهم أناس وآمنوا برسالة النبي الخاتم ، بينها

الأخرون لم يسلموا ، ومن أسلم هم الذين كانوا على الحق ، ومن رحمة الله تعالى أنه : جعل الذين علموا برسالة وسول الله أن يعلنوا البشارة فى كتبهم ولم يكتموا ذلك العلم بل أعلنوا الإيمان ، بينها أصر البعض الأخر على كثهان ما جاءهم من العلم وأصروا على الإنكار ، إن الذين أسلموا هم الذين ينطبق عليهم قول الشاعر :

إن اللذي جمل الحقيقة علقها

لم يخل من أهل الحقيقة جيلا

وإذا كان الله قد عصم الأجيال المتنالية من أمة الإسلام بأن حفظ لنا القرآن. ففي الأديان الأخرى كان هناك أناس من أهل الحقيقة ، وأنصفهم الله :

﴿ لَبْسُواْ سَوَاكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِنَدِبِ أَمَّةٌ قَالِمَةٌ يَتْلُونَ وَابَدْتِ اللَّهِ وَالْبَلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿ لَيْسُواْ مَوْلَا مِنْ اللَّهِ وَالْبَوْمِ اللَّذِيرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُونِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ

الْمُنكِرِ وَبُسُوعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَدَيْكَ مِنَ الصَّلِيجِينَ ﴿ }

(سبورة آل غمران)

لقد أنصفهم الله حق الإنصاف ؛ والذين آمنوا برسول الله من أتباع ثلث الديانات قد اهتدوا إلى الحق ، واختلفوا مع غيرهم وقول الحق : ه أوتوا الكتاب ؛ هذا القول يقتضي أن ثقف عند و أوتوا ؛ ونقف عند و الكتاب ، وقفة أخرى ، إن قول الحق و أوتوا ، أي أن شيئا قد جاء إليهم من جهة أخرى . إذن فالكتاب ليس من أفكار البشر ، إذن فالكتاب ليس من أفكار البشر لكان من المكن أن يختلفوا فيه أو حوله ، ويناء و أوتوا ، للمفعول يجعلنا نسأل ؛ من الذي آناهم الكتاب ؟ إنه الله مبحانه وتعالى لا يأتي بمختلف فيه .

ومادام الكتاب من عند الله فلا يمكن أن يوجد فيه خلاف. يقول الحق:

﴿ وَلُوْكَانَ مِنْ عِندِغَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُّواْ فِيهِ اخْتِلَنْهَا كَنِيرًا ﴾

(من الآية ٨٧ من سبرية النساء)

وكان الله ينبهنا يذلك القول إلى أن كل شيء ينبت من البشر للبشر ، فلابد أن تحدث فيه خلافات . إنما الشيء عندما يأتي من الواحد الأحد لا يمكن أن يحدث فيه خلاف أبدا . لا يمكن أن بحدث خلاف فيها اتحد فيه المصدر والمنبع إلا إن وجدت ، بضم الواو وكسر الجيم . أشياء زائدة عن ذلك ، وهذه الأشياء الزائدة هي أهواء الذين يقولون : إنهم منسوبون إلى الله .

إذن فالحق سبحانه وتعالى يوضح لنا أن الكناب لم يأت إليهم من يشر مثلهم ، إنما من إله واحد قادر، وفي هذا تنبيه لأتباع الديانات السابقة. أي إنكم أيها الأتباع لا تتبعون إلا منهج الله ، وحين تتبعون منهج الله الذي جاء به الرسل فأنتم لا تتبعون أحدا من الحلق ، لأن أي رسول أرسلي إليكم إنما جاء ليبلغكم بمنهخ قادم من أحدا من الحلق ، لأن أي رسول أرسلي إليكم إنما جاء ليبلغكم بمنهخ قادم من ربكم ، ولم يقل لكم أحد من الرسل إن المنهج قادم من عنده والرسول يحمل نفسه على الطاعة والحضوع للمنهج المنزل عليه قبلكم ، وهذه عزة لكم ، ولبنتيه جميع الخلق أن المنهج الحق دائيا قد أخذه الرسل من الله .

وحين يقول الحق: والكتاب علنا أن نعرف أن كلمة والكتاب علد وردت في القرآن الكريم في أكثر من موضع على الحق سبحانه وتعالى يسمى القرآن مرة وقرآنا على لأنه يقرآ ، ويسميه الحق أيضا والكتاب عودلك دليل على أنه يُكتب ، وحين نقول : إن القرآن من (القراءة) فهذا يعنى أن نبرز ما في الصدور بالقراءة ولكن ما في الصدور قد تلويه الأهواء ، لذلك يحرس الحق قرآنه بما في السطور ولكن ما في الصدور ومكتوب .

وعندما يقول الحق (من أهل الكتاب) ، فإن ذلك تنبيه لنا أن الكتاب هو منهج مكتوب ، أى لم يتم وضعه في الصدور ونسيته النفوس ؛ لا ، إنه منهج مكتوب ، هكذا حدد الحق أمر المنهج السابق على القرآن ، إنه مكتوب ، فإن لعبت أهواء النفوس كما لعبت ، فإن ذلك يعني تحريف الكلم عن مواضعه ، ولنا أن ننتقل الآن إلى معرفة و العلم ع : ما هو العلم ؟ إن العلم هو أن تدرك قضية وهذه القضية واقعة في الوجود تستطيع أن تقيم الدليل عليها ، وغير ذلك من القضايا لا يصل إلى موتبة العلم لأنه لا يستطيع أحد أن يذلل عليه ،

مثال ذلك : نحن نقول : و الأرض كروية ، إن كروية الأرض هي نسية

حدثت ، ولقولها ولحن جازمون بها . والسابقون لنا في عصور سابقة قال بعضهم : « إن الأرض مسطحة ، ، وحاول أن يجد من الأسباب ما يقيم الدليل على ذلك ، وتكن الذين أقاموا الدليل على أن الأرض كروية كانوا صادقين بالفعل . وفي العصر الحديث صارت كروية الأرض أمرا مرثيا من سفن الفضاء ، وغيرها من الوسائل ، ونحن نعرف أنه « ليسق مع العين أبن « إن الكروية بالنسبة للأرض ، هي نسبة ، نقولها ونجزم بها ، والواقع أنها كذلك ، ونستطيع أن نقيم على ذلك الدليل .

هذا هو العلم المستوفى ، إن فساد الناس أنهم يأتون إلى قضية لم تصل إلى هذه المرتبة ويسمونها وعلما ، كقولهم : إن الإنسان أصله قرد ، لا ، إن أحدا لا يستطيع الجزم بذلك ، وتلك قضية ليست من العلم ، إن كلمة وعلم ، تُطلق على القضية المجزوم بها ، وهي واقعة في الوجود ، وتستطيع أن تدلل عليها ، وإذا كانت القضية مجزوما بها ، وواقعة في الوجود ، ولكنك لا تستطيع أن تدلل عليها ، فهذا تسمى هذه القضية ؟ هذا ما يطلق عليه و تقليد ، تماما كما يقلد الولد أباه قبل أن ينضج عقله فيقول : و لا إله إلا الله ، الله واحد يد . ومثلها يأخذ التلميذ عن أستاذه القضية العلمية ، ولا يعرف كيفية إقامة الدليل عليها ، فهذا نطلق عليه و تقليدا » ، وإلى أن ينضج عقل التلميذ و يحسن استيعابه ، نقول له : ابحث بحثا آخر لتقيم الدليل .

إذن فالتقليد هو قضية مجزوم بها ، وواقعة ، ولا يوجد عليها دليل . وهكذا نعرف أن والعلم ، يمتاز عن النقليد بوجود القدرة على التدليل يه لكن إذا ما كانت هناك قضية ومجزوم بها ولكنها ليست واقعة ، فهاذا نسمى ذلك ؟ إن هذا هو الجهل . إن الجهل لا يعنى عدم علم الإنسان ، ولكن الجهل يعنى أن يعلم الإنسان قضية مخالفة للواقع ومناقضة له . أما الذي لا يعلم فهو أمن يحتاج إلى معرفة الحكم الصحيح ، فالجاهل أمره يختلف ، إنه يجناج منا أن نخرج من ذهنه الحكم الباطل ؛ ونضع في يقينه الحكم الصحيح ، وهكذا تكون عملية إقناع الجاهل بالحكم الصحيح ، وهكذا تكون عملية إقناع الجاهل بالحكم الصحيح في يقينه ، ووضع الحكم الصحيح في يقينه ، ووضع الحكم الصحيح في يقينه .

ولذلك فنحن نجد أن تعب الناس يتأتى من الجهلاء ، لا من الأميين ، لأن الجاهل هو الذي يجزم بقضية مخالفة للواقع ومناقضة له ، أما الأمل فهو لا يعرف ، ويحتاج

00+00+00+00+00+011770

إلى أن يعرف . وماذا يكون الأمر حين تكون الفضية غير مجزوم بها ، وتكون نسبة عدم الجزم ، مساوية للجزم ؟ هنا نقول : إن هذا الأمر هو الشك ، وإن وجح أمر الجزم على عدم الجزم فهذا هو الظن ، وإن رجح عدم الجزم يكون ذلك هو الوهم .

إذن فوسائل إدراك القضايا هي كالآن : أولا : علم . ثانيا : تقليد . ثالثا : جهل . رابعا : شك . خامسا : ظن . سادسا : وهم . والعلم هو أعلى المستويات في إدراك القضايا . ولذلك نجد أن الحق يجدد لنا على ماذا اختلف الذين أوتوا الكتاب ؛ لقد اختلفوا من بعد ما جاءهم العلم . ولم يقل الحق : إنهم انحتلفوا بعد ما جاءهم النقليد أو الظن ، أو الجهل أو الشك ، إنما قال الحق : إنهم قد اختلفوا من بعد ما جاءهم الاستيفاء الكامل ، وهو العلم . ومادام هناك أمر قد جاء من القائم بالقسط والإله الواحد ، فالمسألة القادمة منه وهي الحق قد وصلت إلى موتبة العلم .

إذن ، ففيم الاختلاف ؟ لابد أن أمرا ما قد جدّ . والذي يجدّ إنما هو قادم من الأغيار ، وهي الأهواء ، ولذلك يجدد لنا الحق هذا الأمر بقوله : و بغيا بينهم ، ما البغي ؟ البغي هو طلب الاستعلاء بغير حق . إذن فطلب الاستعلاء ليس عقونا في ذاته ، لأن طلب الاستعلاء هو قضية المطموح في الكون . وأن يطلب إنسان الرفعة فيجد ويجتهد ، ويبذل العرق ليصل إلى مكانة علمية أو غيرها ، قهذا مق طبيعي ، ونحن نعرف أن العالم قد ارتقى بالطموحات الإنسانية ، إن العالم لو اكتفى وثبت عند الذي وصل إليه في جيل ما ، فإن العالم يحكم على نفسه بالجمود . ولكن الناس طورت في العالم الذي تحياء بجهد بذله البعض منهم في قضايا نافعة ، ثم حاولوا أن يرتقوا بها ونالوا حقهم من التقدير ، وارتفعوا بالعلم بجهد نافعة ، ثم حاولوا أن يرتقوا بها ونالوا حقهم من التقدير ، وارتفعوا بالعلم بجهد حقيقي بذلوه ، وبدراسة لما بذله السابقون عليهم .

إذن فطلب الاستعلاء في حد ذاته غير ممقوت ، بل محمود مادام قائها على الجهد . لكن أن يطلب الإنسان الاستعلاء بغير حق ، فهذا هو البغى . لقد أثبت الله لنا في هذه الآية ، أن كل خلاف بين رجال دين ، أو بين دين ودين ، إنما موجعه إلى نشوء البغى ، ونشوء البغى هو طلب رجال دين الاستعلاء بغير حق . ومظاهر طلب الاستعلاء بغير حق هو إعطاء الفتاوى التى توافق أمزجة القوم ، وتخالف ما أنزله الحق .

إن الواحد من هؤلاء يدعى لنفسه التحضر ، ويعطى من الفتاوى ما يناقض الذى أنزله الله ، ويدعى أنه يأخذ الدين بروح العصر ، ويدعى لنفسه عدم الجنمود ، ويذهب إلى حد اتهام المتمسكين بدينهم بأنهم متخلفون ، والحدف الذى يختبىء فى صدر مثل هذا الإنسان هو الاستعلاء فى قومه بغير الحق ، ويجب أن نفهم أن كل خلاف بين أهل دين واحد ، أو بين دين ودين ، منبعه قول الحق : وبغيا بينهم و . وهذا يعنى اتباع البعض للهوى النابع من بينهم ولم ينزله الله .

لماذا ؟ لأن الله سبحانه وتعالى إمّا أن ينزل حكما محكما لا رأى فيه لأحد ، ولا يستطيع أحد أن ينقضه ، وإما أن ينزل الله حكما قابلا للفهم والاجتهاد . ولم يجعل الله الأحكام كلها من لون واحد ، إنما جعل الأحكام على لونين ، وذلك حتى يجترم الإنسان ما وهبه الخالق له من عقل ، ويجعل له مهمة ، فيأى بقضية ويبحثها ويرجح سببا على سبب . وفي ذلك استخدام من الإنسان لعقله ، إنها رحمة من الله حتى لا يجمد العقل الإنسان .

إذن فإذا رأيت أى خلاف بين رجال دين أو بين دين ودين فاعلم أن القول الفصل في هذا الأمر هو ما عبر عنه الفرآن : « بغيا بينهم » فمن البغى يهب الهوى الذي تنشأ منه الأعاصير ، إن من يجب الاستعلاء بغير الحق هو الذي يحاول البغى فيدعى لنفسه أنه أرقى في الفكر ، أو يستعلى عند من يملكون له آمرا ، أو يستعلى عندما يوافق حاكما في رأى من الأراء ، ويبرر للحاكم حكما من الأحكام .

إن كلمة 1 بغيا ببنهم 1 يدخل في نطاقها كل موجات الخروج عن منهج الله ، والتي غواها في الكون 1 والرسول صلى الله عليه وسلم قد أعطانا المناعة ضد الأمراض النفسية الناشئة عن البغي ، مثلها يعطى المعاصرون المصل ضد أمراض البدن التي تفتك بالإنسان ، وحتى لا تفاجئنا أسراض البغى ، نجد الرسول يعطينا المناعة

فيقول لنا صلى الله عليه وسلم : (البر حسن الخلق ، والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس)(١) .

ويجذرنا الرسول صلى الله عليه وسلم من ذلك كها في الحديث التالى:

⁽١) رواه البخاري في الأدب المفرد ومسلم والترملي .

فيقول صلى الله عليه وسلم : (البر ما سكنت إليه النفس واطمأن إليه القلب ، والإثم ما لم تسكن إليه النفس ولم يطمئن إليه القلب وإن أفتاك المفتون)(١٠) .

إن الرسول صلى الله عليه وسلم يحذرنا ليوضع لنا أن أهل البغى لهم لجاج في أن يقولوا ويصدروا الفتارى ، وما معنى الإفناء الذى يحذرنا منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ هل هو مجرد رأى ؟ أم هو رأى يأت من إنسان معروف عنه أنه مشتغل يعلم الله وبالأحكام ؟ إن الرسول صلى الله عليه وسلم ينبهنا إلى ذلك مناعة لنا . فقد يصبح أصحاب الحق قلة ، وليس لهم نصيب في إيصال رأيهم للناس ، أو أن الذين يصبح أصحاب الحق قلة الإعلامية ليسوا مع أصحاب الحق بل في جانب رجل يساير الباطل أو الركب .

وهنا نرى أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أعطانا المناعة حتى لا يبأس المنصكون بالحق ، فأمر الدين لن يمر رخاء ، أو بسلام دائم ، بل سنجد قوما يفسرون أحكام الدين بغيا بينهم ، ويلوون الأشياء ، لمللك أوضح لنا أن المؤمن حَكَم في نفسه ، ويحذرنا من الذين يفتون بالبغي ، إن الافتاء بجتاجه الناس من الذي يعلم ، ولذلك جاءت كلمة « يستفتونك » أكثر من مرة في القرآن الكريم ، لأن الذين يطلبون الفتوى هم الذين بجتاجون إلى توضيح لأمر ما إلانهم مشغولون يقضية الإيجان ، ولذلك فالنبي صلى الله عليه وسلم بحدرنا من الذين بحاولون إلقاء الفتاوى ، وبحدر كل مؤمن من أن يستمع لكل فتوى .

ويقول الحق : « ومن يكفر بآيات الله » . إذن فمن هو الذي يكفر بآيات الله ؟ وفي أي مجال ؟ إن الكفر بآيات الله هنا محدد في الاختلاف ، وفي البغي بينهم ، أي طلب الاستعلاء بغير حق ، وسمى الحق كل ذلك « كفرا » والمراد منه هنا التنبيه لنا ألا نستر أحكام الله بالاختلاف أو البغي ، وجاء التحذير في تذييل الآية بقوله : « فإن الله سريع الحساب » . فإياك أن تستطيل أمر الجزاء وتقول : سأستمتع بنتيجة البغي والاختلاف خدمة من يهمهم أمر الاختلاف ، ويهمهم أمر البغي ، لأنك تريد أن تتعجل أشياء تظن أنها نافعة لك ، لكن ها هو ذا الحق سبحانه بعدرك أن تستطىء حسابه » لماذا ؟ لأنه من الجائز أن يأتي لك الحساب من الله في الدنيا ، تستبطىء حسابه » لماذا ؟ لأنه من الجائز أن يأتي لك الحساب من الله في الدنيا ،

⁽١) رواه أحد.

وهب أن الله لم يبتل مثل هذا الإنسان بيلاء كبير في الدنيا فإن هذا الإنسان سيكون له الحساب العسير في الأخرة .

وقد يقول قائل: إن الحساب في الدنيا قد يؤجله الله إلى الآخرة ، والعلامات الصغرى للقيامة نحن في مراحلها ، ومازالت العلامات الكبرى ليوم القيامة لم تظهر . لمثل هذا الفائل نقول : هناك فرق بين الحدث في ذاته ، وبين الحدث فيمن يُجرى عليه الحدث ، هناك فرق بين أن تقوم القيامة على الناس جميعا ، وبين أن تحصر حياة الإنسان بحادثة ليست في حسبانه ، فقد يفتى الإنسان فتوى اليوم ، وتأنى له حادثة فورية تنقله فجأة إلى سريع الحساب ، فإن استبطأ إنسان الحساب ، فعليه أن يعرف أن الاخرة قد تجيء له أسرع من مسائل الدنيا ، لأن الإنسان لا يملك القدرة على إطالة عموه ، ومفتاح العمر عند الحالق الأكرم ، وهو الذي يملك القدرة على أن ينقل إليه من يويد في أي وقت ، وهكذا تكون الآخرة بالنسبة للمستبطىء على أن ينقل إليه من يويد في أي وقت ، وهكذا تكون الآخرة بالنسبة للمستبطىء للحساب أسرع من حساب الدنيا ، وكلمة «حساب » كلمة تطمئن المؤمن إلى أن ويدفع ما عليه » ويقول الحق من بعد ذلك :

مَنْ فَإِنْ مَا جُولَا فَقُلَ السَّلَمْ وَجَهِى لِلَهِ وَمَنِ التَّبَعَنُ وَعَهِى لِلَهِ وَمَنِ التَّبَعَنُ وَقُلِ لِلَّهِ مِن التَّبَعَنُ وَقُل لِلَّهُ يَنِئ عَالَمَ الْمَعْتُ مُ فَإِنْ وَقُل لِللَّهُ يَنِئ عَالَمُ الْمَعْتُ مُ فَإِنْ الْمَعْتِ وَالْأَمْنِينَ عَالَمْتُ مُ فَإِنْ الْمَعْتُ مُ فَإِنْ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكَ السَّلَمُ وَافْقَد الْمُعْتَ لَوَافَ إِن تَوَلَّوْا فَإِنْ مَا عَلَيْكَ السَّلَمُ وَافْقَد المُعْتَ لَوْافَ إِن اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكَ اللَّهُ اللْمُ

« فإن حاجوك » هذا القول يدل على أن الحق سبحانه وتعالى يلقى منهجه على الرسول الخاتم ، ويعطيه الواقع الذي يحيا فيه) لقد جابه الرسول صلى الله عليه وسلم ثلاثة معسكرات . المعسكر الأول : هم مشركو قريش ، وكان كفرهم فى القمة . والمعسكر الثاق : هو معسكر البهود والنصارى ويجمعهم معا لأنهم أهل كتاب ، والمعسكر الثالث : هو معسكر المنافقين . والمحاجة قد أتت من المعسكر

الثانى ، لأن كفار قريش لم يدعوا أن عندهم دينا قد نؤل من السياء ، أما أهل الكتاب فهم يدعون أن عندهم دينا منؤلا من السياء ، وعندما يناطح الشرك دينا فهذا أمر معقول ، أما أن يناطح أهل دين نؤل من السياء رسولا جاء بدين خاتم من السياء - فهذا أمر يستحق أن نتوقف عنده .

ومعنى و فإن حاجوك ، أى أنهم يحاجبون الرسول صلى الله عليه وسلم وتم إدغام الحرفين المتشابين وهما حرفا و الجيم ، حتى لا تصبح ثقيلة على اللسان . ومعنى المحاجة : أن يدلى كل واحد من الحصمين بحجته . وهذا يعتى النقاش ، ومادام هناك نفاش بين حتى وبين باطل ، فإن الله لا يترك الرسول صلى الله عليه وسلم ، بل يقول له : و فإن حاجوك ، أى إن ناقشوك فى أمر الإسلام الذى جثت به كدين خاتم مناقض لوثنية أو شرك قريش ومناقض لما قام أهل الكتاب بتغييره من مواد الله فقل يا محمد : و أسلمت وجهى لله وقد قلنا من قبل : إننا عندما نسمع قول الحق : يا محمد : و أسلمت وجهى لله وقد قلنا من قبل : إننا عندما نسمع قول الحق : وفرينا مثلا على ذلك ، حين يقول الأب لابنه : اذهب إلى عمك وقل له : كذا وضربنا مثلا على ذلك ، حين يقول الأب لابنه : اذهب إلى عمك وقل له : كذا وكذا . وساعة أن يذهب الابن إلى العم فيقول له : الأمر كذا ، وكذا . إن الابن على النص الذى جاءه من ربه لأن النص واضح . « فإن حاجوك فقل أسلمت وجهى لله و فهل هذا ود بالحجة ؟ نعم هذا هو الرد ، لأن أهل الكتاب وكفار قريش وجهى لله و فهل هذا ود بالحجة ؟ نعم هذا هو الرد ، لأن أهل الكتاب وكفار قريش ياقى فيهم القول :

﴿ وَلَهِن سَأَلْتَهُم مِّنْ خَلْقَ السَّمَوْلِ وَالْأَرْضَ لَيُغُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ٢٠٠٠ ﴾ ولا ولا العَرْبِ أَلْعَلِيمُ ٢٠٠٠ ﴾ العرب المنافوات المنافق المنافوات ال

ويَأْلُ فيهم القول الحُكيم :

﴿ وَلَهِن مَا أَنْهَا مِ مِنْ خَلَقَهُم لَهَ قُولُنَ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿ ﴾

(سورة الزخرف)

والكون كها نعرف و مكان و و مكين ، فالمكان : هو السهاء والأرض . والمكين وهو الإنسان . والمكان مخلوق لله ، والمكين مخلوق لله . وكان من المنطق

أن تسلم وجهنا لمن خلق .

إذن فقول الحق: « فقل أسلمت وجهى الله الى انتبهوا أيها الناس » إننى لم أخرج عن دائرة الإيمان بالإله الواحد ، الذى تؤمنون به . إنه هو الذى خلق وهو الذى أرجد الكون ، وبعد ذلك إذا كان فى الإسلام خضوع ، فإن الحق يأتى بأشرف الذى أوجد الكون ، وبعد ذلك إذا كان فى الإسلام خضوع ، فإن الحق يأتى بأشرف شىء فى الإنسان ليجعله مظهر الخضوع . لأن الوجه هو السمة العالية المميزة ، وهو الذى يظهر عليه انفعالات الاحداث فى الكون من سرور أو حزن ، ويظهر عليه أنك قد تكون قد سجدت وأنت مقرب الله سبحانه قد تكون قد سجدت وأنت كاره المسجود ، أو سجدت وأنت مقرب الله سبحانه وتعالى فيمتلى ، الوجه بالبشر والبشاشة .

وقول الحق: « أسلمت وجهى شه » . تعنى أن الوجه المسلم لله وهو أشرف شي » في الإنسان قد خضع للحق ، وكان القول الكريم لم ينسب الخضوع للبدن ولكن الأشرف شي » في الإنسان وهو الوجه ، والوجه يطلق موة ويراد به الذات كلها ، فعندما يقول إنسان : « أسلمت وجهى » فهو يعنى « أسلمت ذانى » بكل ما أوتيت الذات من جوارح ومن أعضاء . ولنقرأ قول الحق سبجانه :

﴿ كُلُّ مِّنْ وَهَا إِنَّا وَجْهَا أَمْ لَهُ الْحُكُمُ وَإِلَيْهِ مُرْجَعُونَ ﴾

(من الآية ٨٨ من سورة القصص }

أى كل شيء هالك إلا ذاته سبحانه وتعالى ، هذا هو المقصود بد و إلا وجهه و والا إن اخذنا الوجه على أنه الوجه فقط فقد يقول قائل : أليس لله يد مثلا ؟ ونقول : إن له يدا فى نطاق ليس كمثله شيء ، وأذلك فلا يد الله تهلك ولا أى شيء فيه يهلك ، ووجهه يعنى ذاته فى نطاق ليس كمثله شيء . وأطلق الوجه على اللهات ، لأن الوجه هو المشخص للذات ، فلا يستطيع أحد أن يميز أعضاء بدن عن أعضاء بدن ، إنما التمييز بأتى بسمة الوجه ، لأنها السمة المميزة وقول الحق فى تلقينه لرسول الله : و فقل أسلمت وجهى لله ومن اتبعن و . تدل على أن الرسول قد أسلم وجهه لله و لأن الله خاطبه بوساطة الوحى ، والوحى يباشره صلى الله عليه وسلم، ولكن حين يقول : « ومن اتبعن و فقد قام الدليل لمن اتبعنى ، وإن لم يكن فاطبا من الله مباشرة .

إذن فلا مجال لأن يقول قائل للرسول صلى الله عليه وسلم: أنت أسلمت وجهك لله لأنه خاطبك وحدك يه وكأن صاحب هذا القول يريد خطابا لكل مؤمن ، قال سبحانه: « ومن اتبعن ، فمن اتبع الرسول فقد آمن بأن محمدا صلى الله عليه وسلم هو رسول صدق مبلغ عن الله منهج حتى ، فلا مجال لطلب البلاغ لكل فرد ، لأن البلاغ قد وصل إليهم بالإيمان بما أنزله الله على رسوله الكريم ويأمر الحق سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم « وقل للذبن أوتوا الكتاب والأمين أأسلمتم » .

وساعة نقراً أو تسمع أسلوبا فيه لا همزة الاستفهام ، فلك أن تعرف أن الاستفهام يُطلب منه أن تُعرف الحقيقة ، كقول إنسان الآخر : أعندك عمد ؟ أو أزارك فلان ؟ إن هذا استفهام المراد به فهم الحقيقة ، ومرة يريد الاستفهام مجرد الأمر بشيء ، كأن يأنيك ضيف وتجلس معه ويدخل عليك والدك فيقول لك : أصنعت قهوة لضيفك ؟ إن ذلك توجبه لك إن كنت لم تقم بواجب الضيافة فعليك أن تسرع في القيام بهذا الواجب . وعلى ذلك نفهم قول الحق : « أأسلمتم » ولذلك نقراً قول الحق سيحانه بعد الكلام عن الحمر :

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآةَ فِي الْخَشْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصَدَّكُمُ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوَةُ فَهَلْ أَنتُم مُنتَهُونَ ﴿ ﴾

(جنورة المائدة)

إن قول الحق: و فهل أنتم منتهون ، بتضمن استفهاما ، والاستفهام هذا يعنى الأمر بالانتهاء . وفي بجال الآية التى نتعرض لها بالخواطر نجد قول الحق : وأسلمتم ، تعنى الدعوة للإسلام ، أى و أسلموا ، وجاء بعد ذلك قول الحق الكريم : و فإن أسلموا فقد اهتدوا ، وهعنى « اهتدوا » أنهم عرفوا الطريق الموصل للغاية التى خلق الله من أجلها الإنسان . وهنا يجب أن نعلم أن كلمة « الإسلام » هنا جاءت لتدل على الخضوع ، والخضوع لا يلمح إلا من خاضع ، وعنلية الخضوع منا جاءت لتدل على الخضوع ، والخضوع لا يلمح إلا من خاضع ، وعنلية الخضوع تعرف بالحركة والسلوك ، ولا تعرف فقط بالاعتقاد ، ولذلك فالإمام على كرم الله وجهه الذي أوتي شيئا من نفح النبوة في الأداء الإيماني بالأسلوب البياني الجميل قال الإمام على لإخوانه : سأنسب الإسلام نسبا لم ينسبه قبل أحد : الإسلام هو اليقين ، واليقين هو التصديق هو الإفرار ، والإقرار هو الأداء ، والأداء اليقين ، واليقين هو التصديق ، والتصديق هو الإفرار ، والإقرار هو الأداء ، والأداء

0171100+00+00+00+00+00+0

هو العمل ، والمؤمن يُعرف إيمانه بالعمل . وتحن في حياتنا العادية نسأل : ما نسب فلان ؟

اى أننا نسأل ۽ هو ابن مَن ۽ ؟ ومعنى كلمة ۽ نسابة ۽ عند العرب هو الرجل الذي يعرف سلسلة النسب ، ومَن ابن مَن ، فقلان ابن فلان ابن فلان ، ابن فلان . والإمام على كرم الله وجهه ، حين ينسب الإسلام ينسبه بالفعل إلى نسب لم ينسبه قبله أحد . وحين ينتهى الإمام على كرم الله وجهه إلى أن نسب الإسلام إلى العمل قبله :

المؤمن يعرف إيمانه بالعمل، فالدليل الصحيح على إيمان المؤمن هو عمله. ويضيف الإمام على كرم الله وجهه: والكافر يُعرف كفره بالإنكار، وإن المؤمن قلد أخذ دينه من ربه، ولم يأخذه برأيه. والسيئة في الإسلام خير من الحسنة في غيره الأن السيئة في الإسلام أعير من الحسنة في غيره لا تُقبل الأن الكفر يصاحبها بالله مل هناك نسب للإسلام أروع من هذا ؟ وهكذا نجد القول الكريم: و فإن أسلموا فقد اهتدوا ه. والمقابل للإسلام يأتي بعد ذلك: و وإن تولوا فإنما عليك البلاغ ، إن المقابل هو و تولوا ، أن لم يسلموا ، إنه الحق ينه رسوله ألا بحزن ، وألا يأسف إن تولوا ، كما جاء في قوله الكريم:

﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى وَا تَسْرِهِمْ إِن لَمْ يُؤْمِنُواْ مِهَذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ٢

(سررة للكيف)

لماذا ؟ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم عليه البلاغ فقط ، ومادام قد جاء في صدر الآية : « أسلمت وجهى لله ومن اتبعن » فإن البلاغ أيضا يشمل النبي صلى الله عليه وسلم ومن اتبعه ، ولذلك تأتى آية أخرى لتشرح هذه القضية الإيمانية وتتبقى الرسائة في أمنه صلى الله عليه وسلم ، ولتخبرنا أيضا لماذا لم يعد هناك داع لوجود أنبياء بعد وسول الله صلى الله عليه وسلم ، ذلك أن المؤمنين برسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم أمناء على أن يعدلوا فساد السلوك في الكون ، فلم يعد العالم في حاجة إلى أنبياء جدد العلم السبب قال الرسول : صلى الله عليه وسلم : (العلماء ورئة الأنبياء) (١).

⁽١) وواه الإمام أحمد في مستلم وأبو داود والترمذي وصمحه ابن حيان والحاكم .

إذن و فعليك البلاغ و نأخذ منها الفهم الواضح أن البلاغ لا تنتهى مهمته عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنما يشمل كل عالم بالبلاغ الذى وصل إلى رسول الله وآمن به ، فقد كان لهم في رسول الله أسوة حسنة ، ويوضح الحق ذلك في آية أخرى :

﴿ كُنتُمْ خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتَ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُونِ وَقَنْهُونَ عَنِ الْمُنكِرِ وَتُؤْمِنُونَ بِالْمَعْرُونِ وَقَنْهُونَ عَنِ الْمُنكِرِ وَتُؤْمِنُونَ فَا كُنتُمْ أَلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْتُرُهُمْ الْفَلْسِقُونَ ﴿) * وَإِلَّهُ وَلَوْ عَامَنَ أَهُلُ الْكِتَلْبِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ يَنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْتُرُهُمْ الْفَلْسِقُونَ ﴿) * وَإِلَّهُ وَلَا عَلَيْهُ وَلَا لَا عَلَيْهُ وَلَا عَلَيْهُ وَلَا عَلَيْهُ وَلَا عَلَيْهُ وَلَا لَا عَلَيْهُ وَلَا عَلَيْهُ وَلَا عَلَيْهُ وَلَا عَلَيْهُ وَلَوْ عَلَيْهُ وَلَا عَلَيْهُ وَلَا عَلَيْهُ وَلَا كُنْ اللّهُ وَالْفَالِمُ اللّهُ عَلَيْهُمُ اللّهُ مِنْ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ عَلَيْهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَالْفُولُ وَاللّهُ وَالْونَا وَاللّهُ وَلَاللّهُ وَاللّهُ وَلّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ

ويقول الحق في آبة أخرى :

﴿ وَجَهِ لِهِ أَنِي اللّهِ حَتَّى جِهَادِهِ ، هُوَ آجْنَبُنكُرْ وَمَا جَعَلَى عَلَيْكُرْ فِي الدِينِ مِنْ حَرَجَ مِلْهَ أَبِيكُرْ إِبْرَاهِيمٌ هُوَ مَمَّلُكُو الْمُسْلِينِ مِن قَبْلُ وَفِي هَنذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُرْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُواْ الصَّلَاةَ وَمَا تُواْ ٱلزَّكُوةَ وَاعْتَصِمُواْ بَاللّهِ هُو مَوْلِنكُرُ فَيَعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّيْسِيرُ ﴿ فَيَهُمُ النَّولَى وَنِعْمَ النَّيْسِيرُ ﴿ فَيَهُمُ النَّيْسِيرُ ﴿ فَيَهُمُ النَّيْسِيرُ اللّهِ فَي مَوْلَئكُمُ الْمُولَى وَنِعْمَ النَّيْسِيرُ ﴿ فَيَهُمُ النَّالِيمُ اللّهُ اللّهِ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللللّ

(سبرية المج)

ومعنى ذلك أنكم تشهدون على الناس أنكم أبلغتموهم رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمن لم يقم بإبلاغ الناس برسالة رسول الله فهو لم يأخذ ميراث النبوة . وميراث النبوة كما يكون شرف تبليغ ، فهو أيضا تجلّد وتحمل ، إن ميراث النبوة يكون مرة هو نيل شرف التبليغ لرسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومرة أخرى يكون ميراث النبوة هو جلادة التحمل في سبيل أداء الرسالة ، وجلادة التحمل هي التي يجب أن يتصف بها أنباع مجمد صلى الله عليه وسلم ، فكما ورثناه نحن المسلمين في شرف النبوة فإننا نرثه في جلادة التحمل ، وهذا هو معنى القول الحق :

﴿ لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُرِّ وَتَكُونُواْ شُهَدَاءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ (من الآية ٧٨ من سورة النج) فها معنى الأسوة إذن ؟ إن الأسوة في رسول الله صلى الله عليه وسلم تقتضى أنه مادام قد تحمل بجلادة بلاغ الناس في رسالته ، فعلينا أيضا أن تقتدى به . لقد ناضل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى أنباع رسول الله أن يناضلوا في سبيل نشر الدعوة ، فإن رأيت أهل الدين في استرخاء وترهل وعدم قدرة على النضال في سبيل البلاغ عن الله فلتعلم أن هؤلاء القوم لم يأخذوا ميراث النبوة . ولذلك إذا رأيت عالما من علهاء الإسلام ليس له أعداء فأعلم أنه قد نقص ميرائه من ميراث النبواء .

لماذا ؟ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان له أعداء وكان يواجههم , فساعة أن ترى رجل دين وله أعداء فاعرف أنه قد أخذ وظه من ميرات الأنبياء ولننظر الآن إلى قول الحق سبحانه تذبيلا للآية يوضح لنا ما الإسلام : « والله بصير بالعباد » لم يقل الله : إنه عليم يألعباد ، لأن « عليم » تكون للأمور العقدية ، لقد قال الحق ق وصف ذاته هنا : « إنه بصير بالعباد » ، والبصر لا يأق إلا ليدرك حركة وسلوكا . فإذا يرى الله من العباد؟ إنه عسيحانه . يرى العباد المتحركين في الكون، وهل حركة العبد منهم تطابق الإسلام أولا ؟ ومتابعة الحركة تحتاج إلى البصر ، ولا تحتاج إلى العلم ، وكأن الحق سبحانه وتعالى يقول : إن كتم تعنقدون أنى لا أراكم ، فالخلل في إعانكم ، وإن كنتم تعنقدون أنى لا أراكم ، فالخلل في إعانكم ، وإن كنتم تعنقدون أمون الناظرين إليكم ؟

إذن فقول الحق: « والله بصير بالعباد » نفهم منها أن الإسلام سلوك لا اعتقاد فقط ، لأن الذي يُرى هو الفعل لا المعتقدات الداخلية . ومادام الله يصيرا بكل سكنات الإنسان وحركاته فإن الإنسان يستحى أن يراه ربه على غير ما يجب ، وأضرب هذا المثل للتقريب لا للتشبيه فالحق سبحانه له المثل الأعلى وليس كمثله شيء ، نحن في حياتنا العادية نجد أن الشاب الذي يدخن يستحى أن يظهر أمام كبار عائلته كمدخن ، فيمتنع عن التدخين أثناء تواجده مع الكبار ، فها بالنا بالعبد وهو يعتقد أن الله براه ؟ وبعد ذلك يقول الحق :

مَعْ إِنَّ الَّذِينَ يَكُفُرُونَ بِنَايَتِ اللَّهِ وَيَفْتُلُونَ اللَّهِ وَيَفْتُلُونَ اللَّهِ وَيَفْتُلُونَ اللَّهِ وَيَفْتُلُونَ اللَّهِ وَيَفْتُلُونَ اللَّهِ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللْمُنْ اللَّهُ الللْمُوالِمُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُنَامِ الللَّهُ اللَّهُ

وقلنا إن الحق حين يقول : « إن الذين يكفرون بآيات الله » هم الذين يكفرون بآيات الله على إطلاقها ، وهناك فرق بين الكفر بآيات الله وبين الكفر بالله . لماذا ؟ لأن الإيمان بالله يتطلب البينات التي تدل على الله ، والبينات الدالة على وجود الله موجودة في الكون .

إذن فالبيئات واضحة ، إن الذي يكفر بالله يكون قبل ذلك كافرا بالأولة التي تدل على وجود الخالق . إن الحق لم يقل هنا : إن الذين يكفرون بالله ، وذلك حتى يوضح لنا أنّ الحق غيب ، ولكن الآيات البيئات ظاهرة في الكون ، لذلك قال : وإن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبين » . ولنا أن نلاحظ هنا ، أن كلمة الغتل تأق دائيا للنبين ، أى أنها لا تأتي لللبن أخلوا صفة تزيد على مهمة النبي ، وهو الرسول ، فليس من المعقول أن يرسل الله رسولا ليبلغ منهجا لله ، فيقدر الله خلقه على أن يقتلوا الرسول . لكن الأنبياء يرسلهم الله ليكونوا أسوة سلوكية للمؤمنين ، ولا يأتي الواحد منهم يتشريعات جديدة ، أما الرسول فإن الله يبعثه للمؤمنين ، ولا يأتي الواحد منهم يتشريعات جديدة ، أما الرسول فإن الله يبعثه حاملا لمنهج من الله . وليس من المعقول أن يصطفى الله عبدا من عباده ويستخلصه ليبلغ منهجه ، ويُكن الله بعد ذلك بمضا من خلقه أن يقتلوا هذا الرسول .

إن الحنل لا يقدرون على رسول أرسله الله ، لكنهم قد يقدرون على الأنبياء ، وكل واحد من الأنبياء هو أسوة سلوكية ، ولذلك تجد أن كل نبي يتعبد على دين الرسول السابق عليه ، فلهاذا يقتل الحلق الأسوة السلوكية مادام النبي من هؤلاء قد جاء فد جاء ليكون مجود أسوة ، ولم يأت بدين جديد ؟ فلو كان النبي من هؤلاء قد جاء بدين جديد ، لقلنا : إن التعصب للدين السابق عليه هو الذي جملهم يقتلونه ،

لكن النبيّ أسوة في السلوك ، فلهاذا الفتل ؟ إن النبي من هؤلاء يؤدي من العبادة ما يجعل القوم يتنبهون إلى أن السلوك الذي يفعله النبيّ لا يأتي وفق أهوائهم .

إن القوم الذين يقتلون النبيين هم القوم الذين لا يوافقون على أن يسلكوا السلوك الإسلامي الذي يعنى إخضاع الجوارح ، والحركة لمنطق الدين ولمنطق الإسلام ، لماذا ؟ لأن النبي وهو ملتزم بشرع الرسول السابق عليه ، حينها يلتزم بدين الله بين جماعة من غير الملتزمين يكون سلوكه قد طعن غير الملتزمين .

إن وجود النبي الذي يتمسك بشرع الله ، ويخضع جوارحه ، وسلوكه لمنهج الله بين جماعة تدّعى أنها تدين بدين الله ، ولكنها لا تتمسك بمنهج الله تحملهم إلى أن يقولوا : لماذا يفعل النبي هذا السلوك القويم ، ولماذا يخضع جوارحه لمنطق الإبمان ، ونحن غير ملتزمين مثله ؟ وهذا السؤال يثير الغيظ والحقد على النبي بين هذه الجهاعة غير الملتزمة بدين الله ، وإن أعلنت في ظاهر الأمر التزامها بالدين . إنهم يحقدون على النبي لأنه يرتفع بسلوكه المسلم ، وهم لا يستطيعون أن يرتفعوا ليكونوا مثله .

إن النبيّ بسلوكه الحاضع لمنهج الله يكون أسوة واضحة جلية يظهر بها الفرق بين عجرد إعلان الإيمان بمنهج الله ، وبين الالتزام السلوكي بمنهج الله ، وتكون أسوة النبيّ عُقرة لفعلهم ، ولذلك حين نجد إنسانا ملتزما بدين الله ومنهجه ، فإننا نجد غير الملتزم ينال الملتزم بالسخرية والاستهزاء ، لماذا ؟ لأن غير الملتزم يمتل، بالغيظ والحقد على الملتزم الفادر على إخضاع نفسه لمنهج الله ، ويسأل غير المفتزم نفسه :

لماذا يكون هذا الإنسان قادرا على نقسه مخضعا لها لمنهج الله وأنا غير قادر على ذلك ؟ إن غير الملتزم يحاول إزاحة الملتزم وإبعاده من أمامه . لماذا ؟ لأن غير الملتزم يتضاءل في نظر نقسه ونظر الأخرين . إذا ما قارن نفسه بالملتزم بجنهج الله ، وعندما يقارن الأخرون بين سلوك الملتزم بجنهج الله وسلوك غير الملتزم بجنهج الله فهم لا يحتزمون غير الملتزم ، فيشعر بالصغار النفسي أمام الملتزم وأمام الناس . فيحاول غير الملتزم أن يزيح الملتزم وينحيه عن طريقه ، إن غير الملتزمين بجنهج الله بسخرون غير الملتزمين بجنهج الله بسخرون ويتخامزون على الملتزمين بجنهج الله ، كيا يقول الحق سبحانه وتعالى :

回避緩 **○○+○○+○○+○○+○○+○**\\\\\

﴿ إِنَّ اللَّهِ مِنَ أَخْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ اللَّهِ مِنَ مَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ﴿ وَإِذَا مَرُواْ بِهِمْ يَتَغَامَرُونَ ﴿ وَإِذَا اللَّهِ مَا أَنْفُلُواْ مِنَ اللَّهِ مَا نَقَلَبُواْ فَكِهِ مِنَ ۞ وَإِذَا رَأُوْهُمْ قَالُواْ إِنَّ هَتَوُلاَءِ
لَضَالُونَ ۞ وَمَا أَرْسِلُواْ عَلَيْهِمْ حَلِفِظِينَ ۞ ﴾
لَضَالُونَ ۞ وَمَا أَرْسِلُواْ عَلَيْهِمْ حَلِفِظِينَ ۞ ﴾

(سورة للطفقين)

ألا توضح لنا تلك الآيات البينات ما يقوله غير الملتزمين في بعض مجتمعاتنا للملتزمين بمنهج الله ؟ وخذنا على للملتزمين بمنهج الله ؟ ألا نسمع قول غير الملتزمين للملتزم بمنهج الله : وخذنا على جناحك ، ؟ إن هؤلاء غير الملتزمين ينطبق عليهم قول الحق :

﴿ وَإِذَا مَرُّواْ بِيسَمْ يَنَعُامَرُونَ ﴿ وَإِذَا ٱنقَلَبُواْ إِنَّ أَمْلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿ وَإِذَا ٱنقَلَبُواْ إِنَّ مَنْكُونَ ﴿ وَإِذَا ٱنقَلَبُواْ إِنَّ مَنْوُلا و لَصَالَونَ ﴿ ﴾ وَإِذَا رَأُومُهُمُ قَالُواْ إِنَّ مَنْوُلا و لَصَالَونَ ﴿ ﴾

(سورة المشقين)

إن غير الملتزمين قد يفرح الواحد منهم ، لأنه استطاع السخرية من مؤمن ملتزم بالله . وقد يتهم غيرُ الملتزمين إنسانا ملتزما بأن الالتزام ضلال . والحق سبحانه وتعالى يرد على هذا الاتهام بالقول الكريم :

﴿ وَمَا أَرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَنفِظِينَ ﴿ ﴾

(مسورة المطعقين)

الحق يرد على الساخرين من الملتزمين بمنهج الله ، فيضحك الذين آمنوا يوم القيامة من الكفار ، ويتساءل الحق بجلال قدرته وتمام جبروته :

﴿ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ۞ عَلَى الْأَرَآبِكِ يَنظُرُونَ ﴿ مَـلَّ ثُوِّبَ الْكُفَّارُهَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ۞﴾

(سورة المعقين)

9\TY4900+00+00+00+00+0

هكذا ينال غير الملتزمين عقابهم ۽ فياذا عن الذين يقتلون النبيين بغير حق ؟ إن تنا أن نسأل : لماذا وصف الله قتل النبيين بأنه « بغير حق » ، وهل هنأك قتل لنبي بحق ؟ لا يمكن أن يكون هناك قتل لنبي بحق ، وإذا كان الله قد قال : « ويقتلون النبيين بغير حق ۽ هذا القول الكريم قد أن لبوضح واقعا ، إنه سبحانه يقول بعد ذلك في سلسلة أعيال هؤلاء الذين يقتلون النبيين بغير حق : « ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس » إنهم لم يكتفوا بقتل النبيين ، بل يقتلون أيضا من يدافع من المؤمنين عن هذا النبي كيف ؟ لأنه ساعة يُقتل قبي ، فالذين التزموا بمنه النبي ، وكاثوا معه لابد لهم أن يغضبوا ويجزنوا .

إن أنباع النبى ينفعلون بحدث قتل النبى ، فإن استطاعوا منع ذلك القتل لقعلوا وإن لم يستطع أتباع النبى منع قتل النبى فلا أقل من أن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر ، لكن القتلة يتجوز طغيانهم فلا يقتلون النبيين فقط فإذا قال لهم منكر لتصرفهم : ولماذا تقتلون النبيين ؟ فإنهم يقتلونه أيضا / وبالنسبة لرسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ، نحن نعرف أن أعداءه قد صنعوا معه أشياء أرادوا بها اغتياله ، وذلك بدل على غباء الذين فكروا في ذلك الاغتيال .

لماذا ؟ لانهم لم ينظروا إلى وضعه صلى الله عليه وسلم ، فلم يكن نبيا فقط ، ولكنه رسول أيضا . ومادام رسولا فهو أسوة وحامل لمنهج في آن واحد ، فلو كان محمد صلى الله عليه وسلمه نبيا فقط لكان في استطاعتهم أن يقتلوه كما قتلوا النبيين من قبل ، لكنه رسول من عند الله ، ولقد رأوه يحمل منهجا جديدا ، وهذا المنهج يسفه أحلامهم ، ويوضح أكاذيبهم ، من تبديلهم للكنب المنزلة عليهم .

إذن ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولا يحمل رسالة ومنهجا ، وحينها ارادوا أن يقتلوه كنبي ، غفلوا عن كونه رسولا . ولذلك قال الحق مطمئنا لنا ومحدثا رسوله صلى الله عليه وسلم :

﴿ يَكَأَيُّهَا ٱلسُّولُ بَلِيغَ مَا أَرِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِكُ وَإِن لَرُّ تَفْعَلُ فَمَا بِلَغْتَ رِسَالَتَهُ, وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ أَإِنْ آلِهَ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْكُلْفِرِينَ ﴿ ﴾ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ أَإِنْ آلِهَ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْكُلْفِرِينَ ﴿ ﴾

(سيرة النائدة)

الرسول الكريم إذن حامل رسالة ومعصوم بالله من أعدائه ۽ والحق سبحانه وتعالى قد حكى عن الذين يقتلون الأنبياء ، وأراد أن يطمئن المؤمنين ، ويطمئن الرسول على نفسه ، وأن يعرف خصوم رسول الله أنه لا سبيل إلى قتله ، فيقول الحق :

(من الآية ٩١ من سورة البقرة)

ولماذا يأتى الله بدء من قبل ۽ هذه ؟ إنه يوضح لنا وللرسول ولأعداء محمد صلى الله عليه وسلم أن مسألة قتل الأنبياء كان من الممكن حدوثها قبل رسول الله ، لكن هذه المسألة صارت منتهية ، ولا نجرؤ أحد أن بمارسها مع محمد رسول الله ، وبذلك طمأن الحق المؤمنين ، وطمأن رسول الله بأن أحدا لن يناله بأذى ، ولذلك قال الحق :

(من الآية ١٧ من سورة المائدة)

وأياس الحق الذين يريدون قتل رسول الله فقد قال لهم :

(من الآية ٦١ من سورة البثرة)

ولو أن المسألة مسألة نبوة ، ورسالة رسول الله غير داخلة في مواجيدهم ، وكان إنكارهم لرسالته عنادا ، لكانوا قد قالوا : وإن مسألة قتل الأنبياء لا تتوقف عند ومن قبل ، لأننا سنجعلها ومن بعد ، أيضا ، ولكانوا قد كتلوا قواهم وقتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لكن الله سبحانه أياسهم وقنطهم من ذلك ، وذلك من مناط قدرة الله . وإذا كان الحق سبحانه وتعالى يحكى عن أمر في قتل الأنبياء ، وقتل اللين يأمرون بالقسط ، أكان ذلك معاصرا لقول الرسول هذا ؟ أو كان هذا الكلام لمن ؟ إنه موجه لبعض من أهل الكتاب ، إنه موجه لمن آمنوا باتباع الذين قتلوا النبيين من قبل ، وقتلها اللين يأمرون بالقسط ، لقد آمنوا كإنجان السابقين لهم من قتلة الأنبياء ، وقتلهم للذين يأمرون بالقسط .

017YY 00+00+00+00+00+0

وهذا تقريع فمؤلاء الذين اتبعوا في الإيمان قوما قتلوا الأنبياء من قبل ، وقتلوا الذين يأمرون بالفسط ، إنه تقريع وتساؤل . كيف تؤمنون كإيمان الذين قتلوا الأنبياء؟ وكيف تتبعون من فعل مثل ذلك ؟ وقد قص رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن بني إسرائيل قد قتلوا ثلاثة وأربعين نبيا دفعة واحدة ، فقام مائة وسبعون من أتباع الأنبياء لينكروا عليهم ذلك ، فقتلوهم (١٠) ، وهذا هو معنى هذه الآية الكريمة : الأنبياء لينكروا عليهم ذلك ، فقتلوهم (١٠) ، وهذا هو معنى هذه الآية الكريمة :

بِعَذَابٍ أَلِيدٍ ﴾

(من الآية ٢١ من سورة أل عمران)

لماذا يبشرهم الحق بعدًاب أليم ؟ أليس معنى النبشير هو إخبار بما يسر في أمد بمكن أن يؤتى فيه الفعل الذي يسر ؟ إن النبشير دائها يكون للفعل الذي يسر ، كتبشير الحق للمؤمنين بالجنة ، ومعنى النبشير بالجنة ، أن الله يخبر المؤمن بأمر يُسر له المؤمن ، ويعطى الحق الفرصة للمؤمن ليتفذ منهج الله ليأخذ الجائزة والبشارة .

لماذا يكون الحديث بالبشارة موجها لأبناء الذين فعلوا ذلك ؟ لأننا نعرف أن الذين قتلوا النبيين وقتلوا الذين أمروا بالقسط من الناس لم يكونوا معاصرين لنزول هذه الأية ، إن المعاصرين من أهل الكتاب لنزول هذه الأية هم أبناء الذين قتلوا الأنبياء وقتلوا الذين أمروا بالقسط ، ويبشرهم الحق بالعذاب الأليم ، لأنهم ربحا رأوا أن ما فعله السابقون لهم كان صوابا . فإن كانوا قد رأوا أن ما فعله السابقون لهم كان صوابا فلهم أيضا البشارة بالعذاب .

وتتسع دائرة العداب لهم أيضا ، ولكن لماذا يكون العداب بشارة لهم ، رغم أن البشارة غالبا ما تكون إخبارا بالحير ، وعملية العداب الأليم ليست خيرا ؟ إن علينا أن نعرف أنه ساعة تسمع كلمة ، أبشر ، فإن النفس تتفتح لاستقبال خير يسر ، وعندما تستعد النفس بالسرور وانبساط الأسارير إلى أن تسمع شيئا حسنا يأى قول : أبشر بعداب أليم ، ماذا يحدث ؟ اللي يحدث هو انقباض مفاجيء أليم ، ابتداء مطمع ، فبشرهم ، وانتهاء مُيش (بعداب أليم) وهنا يكون الإحساس بالمصيبة أشد؛ لأن الحق لو أندرهم وأوعدهم من أول الأمر بدون أن يقول : بالمصيبة أشد؛ لأن الحق لو أندرهم وأوعدهم من أول الأمر بدون أن يقول :

⁽١) تفسير الفرآن العظيم لابن كثبر.

00+00+00+00+00+01TVAQ

عنارهم ، لكان وقوع الخبر المؤلم هيئا . لكن الحق يريد للمخبر أن يقع وقوعا
 صاعقا ، ومثال لذلك قول الحق :

﴿ وَإِن يَسْتَغِينُواْ يُغَاثُواْ بِمَا وَكَالْمُهُلِ يَشْوِى الْوُجُوةَ بِنْسَ الشِّرَابُ وَسَآةَتَ مُرْتَفَقًا ﴾

(من الآية ٢٩ من سررة الكهف)

إنهم يستغيثون في الآخرة ، ويغاثون بالفعل ، ولكن بماذا يغيثهم الله ؟ إنه يغيثهم بماء كالمهل يشوى الوجوه . إننا ساعة أن نسمع « يغاثوا » قد نظن أن هناك قرجا قادما ، ولكن الذي يأتي هو ماء كالمهل يشوى الوجوه . وهكذا تكون البشارة بالنسبة لمن قتلوا الآنبياء أو لأنباع الفتلة الذين آمنوا بمثل ما آمن به هؤلاء الفتلة . قبشرهم بعذاب أليم « وكلمة « عذاب » تعنى إيلام حي يحس بالألم . والعذاب هو للحي الذي يظل متألما ، أما الفتل فهو ينهي النفس الواعية وهذا ليس بعداب ، بل العذاب أن يبقي الشخص حيًا حتى يتألم ويشعر بالعذاب ، وقول الحق : « بعذاب العذاب أن يبقي الشخص حيًا حتى يتألم ويشعر بالعذاب ، وقول الحق : « بعذاب العذاب ألي قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَنتِنَا سُوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً كُلَّسَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَذَلْنَنَهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِبَدُوتُواْ انْعَذَابَ ۚ إِنَّ اللهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿ ﴾

(سورة النساء)

أى أن الحق يديم عليهم الحياة ليديم عليهم التعذيب . وبعد ذلك يقول الحق :

مَنْ أُولَتُهِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتَ أَعْمَالُهُمْ فِي الْمُنْ فَيَطِلَتَ أَعْمَالُهُمْ فِي اللهُ الله

إنهم الذين كفروا بآيات الله ، وقتلوا النبيين بغير حق ، وقتلوا الذين أمروا بالقسط بين الناس ، هؤلاء لهم العداب ، ولهم أيضا حبط العمل في الدنيا والأخرة ، وكذلك من نهج نهجهم / ومعنى و حبطت و أى لا ثمرة مرجوة من العمل ، إن كل عمل يعمله العاقل لابد أن يكون لهدف يقصده ، فأى عمل لا يكون له مقصد يكون كضربة المجنون ليس لها هدف . إن العاقل قبل أن يفعل أى عمل ينبغى أن يعرف الغاية منه ، وما الذي يحققه من النقع ؟ وهل هذا النقع الذي سوف يحققه هو خير النقع وأدومه ، أو هو أقل من ذلك ؟

وعلى ضوء هذه المقايس يجدد العاقل عمله ۽ وحينها يقول الحق : و أولئك الذين حبطت أعهالهم في الدنيا والاخرة ، فهو سبحانه يريد أن يخبرنا أن إنسانا قد يفعل عملا هو في ظاهره خير ، فإياك أن تغتر أيها المؤمن بأنه عُمِلَ خيرا ، لماذا ؟ لأن عمل الخير لا يحسب للإنسان إلا بنية إيمانه بمن يجازى ، فالإنسان إن عمل عملا قد تصلح به دنياه فهو عمل حسن ، فلهاذا يكون عمل هؤلاء حابطا في الدنيا ، وفي الأخرة ؟ إنه حابط بجوازين الإيمان ويكون العمل حابطا لأنه لم يصدر من مؤمن ، لأن ذلك الإنسان قد بممل العمل ثقة بنتيجة العمل ، لا ثفة بالأمر الأعلى .

إن الإنسان المؤمن حين يقوم بالعمل يقبوم بالعمل ثقة في الأمر الأعلى . وبعض من الناس في عصرنا يأخذون على الإسلام أنه لا يجازى الجزاء الحسن للكفوة الذين قاموا بأعيال مفيدة للبشرية . يقول الواحد منهم : هل يعقل أحد أن وباستير و الذي اكتشف الميكروبات ، والعالم الأخر الذي اكتشف الأشعة ، وكل هؤلاء العلماء يذهبون إلى النار ؟ ولهؤلاء نقول : نعم ، إن الحق بعدالته أراد ذلك ، ولتتقاض تحن وأنتم إلى اعراف الناس . إن الذي يطلب أجرا على عمل يطلبه بمن ؟ إنه يطلب الجراعل عمل يطلبه بمن ؟ إنه يطلب الأجر بمن عمل له . فهل كان الله في بال هؤلاء العلماء وهم يفعلون هذه الأعمال ؟ إن بالهم كان مشغولا بالإنسانية ، وقد أعطتهم الإنسانية التخليد ، وغير ذلك من مكاسب الدنيا ، وينطبق عليهم قول الرسول صلى الله عليه وسلم :

(إن أول الناس يُقضَى يوم القيامة عليه رجل استشهد، فأن به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فيا عملت فيها؟ قال ؛ قاتلت فيك حتى استشهدت قال ؛ كذبت ، ولكنك قاتلت لأن يقال : جرى، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه ، حتى الناو ، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن ، فأن به فعرفه نعمه فعرفها ، قال : فيا عملت فيها؟ قال : تعلمت العلم وعلمته ، وقرأت فيك المقرآن قال : كذبت ، ولكنك تعلمت العلم أيقال : عالم ، وقرأت القرآن ، ليقال : هو قارى، ،

فقد قبل ، ثم أمر به ، فسحب على وجهه ، حتى ألقى فى النار ، ورجل وشع الله عليه ، وأعطاء من أصناف المال كله ، فأن به ، فعرفه نعمه فعرفها ، قال : فيا عملت فيها ؟ قال ؛ ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك ، عملت فيها إلا أنفقت فيها لك ، قال : كذبت ، ولكنك فعلت ليقال : هو جواد ، فقد قبل ، ثم أمر به فسحب على وجهه ، ثم ألقى فى النار)() .

إذن فإذا كان الجزاء من الله ، فلنا أن نسأل : هل كان الله في بال هؤلاء العلماء حينها أنتجوا مخترعاتهم ؟ لم يكن في بالهم الله . والذي يطلب أجرا ، فهو يطلبه ممن عمل له . ولم يُضع الله ثمرة عملهم ، بل درت عليهم أعيالهم الذكر والجاه والرفعة . لم يضع الله أجر من أحسن عملا .

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ تَرِدْ لَهُ, فِي حَرْثِيْهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُوْتِهِ ع مِنْهَا وَمَا لَهُ, فِي الْآخِرَةِ مِن نَصِيبٍ ۞﴾

(سورة الشوري)

وقد قلت لكم قديما : تذكروا المفاجأة التي تحدث لمن عمل عملا هو في ظاهره خير ، ولكن لم يكن ربه في باله ، هذا ينطبق عليه قول الحق :

﴿ وَاللَّذِينَ كَفَرُ وَآ أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابِ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْثَانُ مَآةً حَتَى إِذَا جَآءُو لَرَ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَقَنهُ حِسَابَةً وَآللَهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿

(سبرة الثور)

إنه يفاجاً بوجود الله ، ولم يكن هذا الإله في باله ساعة أن قام بهذا العمل الذي هو في ظاهره خير ، كأن الله يقول لصاحب مثل هذا العمل : أنا لم أكن في بالك ساعة أن قمت بهذا العمل ، فخذ جزاءك بمن كان في بالك . و أولئك الذين حبطت ساعة أن قمت بهذا العمل ، فخذ جزاءك بمن كان في بالك . و أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والأخوة ومالهم من ناصرين و إن أعمالهم حبطت في الدنيا ، لأنهم قد يعملون عملا يواد به الكيد للإسلام ، لذلك لا يمكنهم الله من ذلك ، بل يخذلهم

⁽١) أخرجه الإمام مسلم بروايات غنلفة وأخرجه النسائي والترملك والن ماجه.

(報)級 (2)7/1(00+00+00+00+00+00+0

جميعاً . وانتصر دين الله رغم قلة العدد وقلة العُدّة . وليس لهؤلاء ناصرون . أى ليس لهم من يأتي ويراهم مهزومين أمام خصم لهم وينجدهم ، إنهم لن نجدوا ناصراً إذا هزمهم الله ، فليس مع الله أحد غيره . وبعد ذلك يقول الحق :

﴿ اَلْرَثَرَ إِلَى اللَّذِيكَ أُرِنُواْ نَصِيبًا مِنَ الْحَجَتَنِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِنَبِ اللَّهِ لِيَخْكُمُ بَيْنَهُمْ ثُمُّ بَنَوَلًىٰ فَرِيقًا مِنْهُمْ وَهُم مُعْرِضُونَ ۞ ﴾

ونعرف أننا ساعة نسمع قول الحق: (ألم تر). فهنا همزة استفهام ، وهنا أداة نفى هى ولم وهنا وهنا و تر ومعناها أن يستخدم الإنسان آلة الإبصار وهي العين . فإذا ما قال الله لرسوله : وألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم ينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون و . إن هذه دعوة لأمر واضح . لكن في بعض الأحيان تأتى و ألم تر و في حادث كان زمانه قبل بعثته صلى الله عليه وسلم فلم يره رسول الله كقول الحق :

﴿ أَلَرْ تُوكِيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَحْسَبِ الْفِيلِ ٢

(سورة الفيل)

إن النبى صلى الله عليه وسلم لم ير أصحاب الفيل ، إذن فساعة تسمع الله تو ، إن كان حدثها من المعاصر ، فمن الممكن أن تكون رؤية ، والرؤية تؤدى إلى علم يقين ، لأنها رؤية لمشهود ، وإن جاءت الله تر افي أمر قد حدث من قبل ، أو أمر لما بحدث بعد فهى تعنى الله تعلم ، الأن الرؤية سيدة الأدلة ، فكأن الله سبحانه وثعالى ساعة يقول الرسوله في حدث لم يشهده الرسول : ألم تر؟ فهذا معناه : ألم تعلم ؟

وقد يقول قائل : ولماذا لم يأت بـ «تعلم» وجاء بـ (تر) ؟ لأن سيادة الأدلة هو الدليل المرثى ، فكأن الله يريد أن يخبرنا بـ و ألم تر » أن ناخذ المعلومة من الله على أنها

00+00+00+00+00+0017470

مرثبة ، وليكن ربك أوثِق عندك من عينك ، إنك قد لا ترى بالفعل هذا الأمر الذى يخبرك به الله ، ولكن لأن القائل هو الله ، ولا توجد قدرة تخرج ما يقوله الله على غير ما يقوله الله . لذلك فقد قلنا ساعة يعبر الله عن الأمر المستقبل الذى سيأتي بعد ، فإنه قد يعبر عنه بالماضى ، فالحق قد قال :

﴿ أَنَّىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا نَسْتَعْبِلُوهُ "سُبْعَنْنَهُ وَتَعَنَّلَ عَمَّا يُشْرِكُونَ ١٠٠٠ ﴾

(سورة النحل)

فهل يتسجم قوله : ﴿ أَنِّ أَمْرِ الله ﴾ مع ﴿ فلا تستعجلوه ﴾ ﴾ إن الأمر الذي يخبرنا به ألله قد أَن ، فكيف يمكن عدم استعجاله ؟ إن ﴿ أَن ، معناها أن الأمر قد حصل قبل أن يتكلم . يجب علينا إذن أن نعرف أن الذي قال : ﴿ أَن ، قادر على الإتيان به ، فكأنه أمر واقع ، إنها مسألة لا تختاج إلى جدال ، لأنه لا توجد قوة تستطيع أن تنازع الله لتبرز أموا أراده في غير مراده . فكأن قوله الحق : ﴿ أَلُم تَرَ ﴾ إن كانت تحكى عن حدث فات زمنه فالذي يأتي منها هو العلم ، لأنه إخبار الله / وإن كانت تحكى عن حدث معاصر فالذي يأتي منه أيضا هو العلم ؛ لأنه صادر عن رؤية ومشاهدة .

وعندما يقول الحق : ٤ ألم تر إلى الذين أوتوا تصييا من الكناب ٤ . « وأوتوا ٤ تلفتنا إلى قوم قد نزل إليهم منهج من أعلى . ولذلك يأتى فى القرآن ذكر المنهج بد نزل ٤ و « أنزل ٤ ، وذلك حتى نشعر بعلو المكانة التى نزل منها المنهج . وما هو النصيب ؟ إننا تسمى النصيب ٤ الحظ ٤ ، أو خارج القسمة ، كأن يكون عندنا عشرون دينارا ، ونقسمها على أربعة فيكون لكل واحد خمسة ، هذه الخمسة الدنائير هى التى تسمى ٤ نصيبا ؟ أو و حظا ٤ ، والنصيب : ٤ حظ ، أو و قسمة ٤ يضاف لمن أخذه .

إذن ، فلمإذا يقول الحق : ؛ الذبن أوتوا نصيبا من الكتاب ؛ إنها لفتة جميلة ، فالكتاب كله لم يبق لهم ، إنما الذي وصل وانتهى إليهم جزء بسيط من الكتاب و فكأن هذه الكلمة تنبه الرسول والسامعين له أن يعذروا هؤلاء القوم حيث لم يصلهم من الكتاب إلا جزء يسير منه ، إن نصيبا من الكتاب فقط هو الذي وصلهم .

واجع أصله وخرج أحاديثه الدكتور أحمد صمر هاشم ناتب رئيس جامعة الإزهراء

014Y400+00+00+00+00+0

ويشرح الحق ذلك في آيات أخرى :

﴿ فَهِمَا نَقْضِهِمْ مِّيْنَقَهُمْ لَعَنَّنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَنْسِيَةٌ يُخَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ عَ وَلَا تَوَالُ تَطَلِعُ عَلَى خَابِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ﴾ وَنَسُواْ حَظَّا فِنَ أَوْلُ مُطَلِعُ عَلَى خَابِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ﴾

(من الآية ١٢ من سورة المؤلدة)

إن الجزء المنسى من الكتاب لم يأخذه المعاصرون لرسول الله . وقلنا أيضا : إن الحق قد أوضح أن بعضهم كتم بعضا من الكتاب .

﴿ الَّذِينَ ءَا تَذِنَاهُمُ الْكِنَابُ يَعْرِفُونَهُ لَكَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا وَنَهُمْ لَيَكَنَّمُونَ الْحَنَقُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿ فَا لَهِ اللَّهِ فَا لَهُ مَا لَكِنَا مُنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّ

(سررة البقرة)

ومادام هناك من كتم بعضا من الكتاب فمعنى ذلك كتهانه عن المعاصرين له ، وهناك أنس منهم مخدوعون ، فشيء من الكتاب قد نسى ، ويالتالى مسح من الذاكرة ، وهناك شيء من الكتاب قد كنم ، فصار معلوما عند البعض ، وغير معلوم عند البعض الأخر ، وحتى الذي لم يكتموه ، جاء فيه القول الحكيم :

﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَغَرِيقًا يَلُونُ الْمِنْتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِنَحْسَبُرهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَمِنَ الْكِتَابِ
وَيَقُولُونَ مُو مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَمِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَمُمْ
يَعْلُونَ ذَيْ اللَّهِ الْكَذِبَ وَمُمْ
يَعْلُونَ ذَيْ اللَّهِ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ اللَّهِ وَمَا هُومِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَمُمْ

(سورة ال عمران)

إذن فالكتاب الذي أنزل إليهم من الله قد تعرض لأكثر من عدوان منهم ، ولم يبق إلا حظ من الكتاب ، وهذا الحظ من الكتاب هو الذي يجادل القرآن به هؤلاء الناس ، إن القرآن لا يجادلهم فيها تبدل عندهم يفعل أحبارهم ورهبانهم السابقين ، ولكنه يجادلهم بالنصيب الذي أوتوه .

يقول الحق : « ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يدعون إلى كتاب الله

00+00+00+00+00+017/60

لبحكم بينهم ثم يتولى فويق منهم وهم معرضون ، وعن أى كتاب الله تتحدث هذه الأية ؟ هل تتحدث عن القرآن فلابد أنه حُكُم فى أمو الأية ؟ هل تتحدث عن القرآن ؟ لوكان الحديث عن القرآن فلابد أنه حُكُم فى أمو بينهم وبين رسول الله ، لكن الذين أوتوا تصيبا من الكتاب قد اختلفوا فيها بينهم ، وإذا كان ولماذا يختلفون فيها بينهم ؟ السبب هو أيضا لون من البغى فيها بينهم ، وإذا كان الكتاب هو القرآن ، أليس القرآن مصدقا لما معهم ؟

إذن فعندما يدعون ليتم التصديق على ما جاء في كتبهم ، فالمدعوة هنا لأن يسود حكم الفرآن . وما معنى « يدعون إلى كتاب الله- » ، إن الداعى هو الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهم المدعون ، ومادام الحق قد قال : « أوتوا نصيبا من الكتاب ، فهل كان خلافهم في النصيب الذي بين أيديهم أم النصيب المحذوف ؟ إنه خلاف بينهم في النصيب الذي بين أيديهم ، ليكون ذلك حجة على أنهم غير مأمونين حتى على ما وصل إليهم وما هو مكتوب عندهم . وعندما تكلم العلماء عن هذه المسألة أوردوا لذلك الأمر حادثة . لقد اختلفوا في أمر صيدنا إبراهيم وقالوا : إن سيدنا إبراهيم يهودي وقال بعضهم : إنه نصراني . وجاء القرآن حاسها :

﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِمِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا ۚ وَلَذِينَ كَانَ حَنِيفًا مُسَلِّمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۞﴾

(سورة أل عمران)

لماذا ١٠٠ لأن كلمة يهودى ونصرانى قد جاءت بعد إبراهيم ، وكان لابد لهم أن يخرجوا من قلة الفطنة وأن يرتبوا الأحداث حسب زمانها ، إذن فقى أى أمر الحتلفوا ؟ هل اختلفوا فى أمر النبى محمد صلى الله عليه وسلم ؟ هل اختلفوا فى حكم موجود عندهم فى التوراة ؟ لقد كانت الدعوة موجهة إليهم فى ماذا ؟ إنهم الا يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ، وذلك يدل على أن كلمة :

﴿ بَغَنَّا يَنَّهُمْ ۗ ﴾

(من الآية ١٩ من سيرة الرعسران)

هى حالة شائعة بينهم ، لماذا ؟ لأن العلماء حينها ذكروا الحادثة التي دعوا للحكم فيها بكتاب الله ، قال العلماء : إن اثنين من يهود خيبر ـ امرأة ـ خيبرية ورجل من

خيبر، قد زنيا، وكان الاثنان من أشراف القوم، ويريد الذين يحكمون في هذا الأمر بكتاب التوراة ألا يبرزوا حكم الله الذي جاء بالتوراة، وهو الرجم، فاحتالوا حيلة، وهي أن يذهبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولماذا يذهبون في هذه الجزئية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ إننا ناخذ مجرد الذهاب إلى وسول الله ارتضاء لحكمه.

لكن لماذا لم يرتضوا من البداية بكل ما جاء به رسول الله ؟ لقد أرادوا أن يذهبوا لعلهم يجدون نقعا في مسألة يبغونها ، أما في غير ذلك فهم لا يذهبون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إن عرد ذهايهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطينا فكرة عنهم ، لقد كانوا يريدون حكها غففا غير الرجم . إن الزاني وهو من خيبر والحيبرية الزانية أرادا أن يستنقذا أنفسها من حكم التوراة بالرجم ، إنها من أشراف خيبر ، ولأن اليهود قد صنعوا لأنفسهم في ذلك الوقت سلطة زمنية ، فذهب الزاني والزانية ومعها الأحار الذين بريدون أن يلووا حكم الله السابق نزوله في التوارة وهو الرجم . وعندما دخلوا على وسول الله كان هناك واحد اسمه ه النعيان بن أوفى » ، وواحد اسمه ه بعرى بن عمرو » فقائوا : يا رسول الله اقض بين هؤلاء ، فقائو وواحد اسمه و يحرى بن عمرو » فقائوا : يا رسول الله اقض بين هؤلاء ، فقائو رسول الله ما معناه : أنا أحتكم إلى التوراة وهي كتابكم ، فإذا قائوا : ؟ قالوا : أنصفتنا .

وكان رسول الله قد بين لهم أولا حكم الإسلام في الزنا بأنه الرجم ، وجيء بالجزء الباقي عندهم من التوراة لرسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يتضمن الحكم الملزم دليلا على أن الله أطلعه على أشياء لم تكن في بال أحد . فدعا بقسم من التوراة ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما معناه : أيكم أعلم بالتوراة ؟ فقالوا : شخص اسمه عبدالله بن صورية فأحضروه ، وأعطاه التوراة ، وقال : اقرأ فجلس عبدالله بن صورية بقرأ ، فلها مر على آية الرجم وضع كفه عليها ليخفيها ، وقرأ غيرها وكان عبدالله بن سلام حاضرا ، فقال : يا رسول الله أما رأيته ليخفيها ، وقرأ ما بعدها ؟ وزحزح ابن سلام كف الرجل ، وقرأ هو فإذا هي آية الرجم .

هذه المسألة تعطيما أن الحكم في القرآن الكريم هو الحكم في التوراة في أمر الزناء وتعطينا أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفاض الله عليه من إلهاماته فجاء

بالجزء من التوراة الذي يحمل هذا النص . وجاء بعد ذلك جندي من جنود الله هو عبدالله بن سلام وكان يهوديا قد أسلم ليظهر به رغبة القوم في التزييف والتزوير .

وإسلام عبدالله بن سلام له قصة عجيبة ، فبعد أن اختمر الإيمان في قليه ، جاء إلى رسول الله قائلا : لقد شرح الله صدرى إلى الإسلام ونطق بكلمة الآ إله إلا الله عمد رسول الله الكلي أحب قبل أن أعلن إسلامى أن تحضر رؤماء اليهود لتسالهم رأيهم في شخصى به لأن اليهود اقوم بهت ، فيهم افتراء وفيهم الكذب وقيهم التضليل ، فلما سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤساء اليهود عن رأيهم في عبدالله بن سلام قالوا : سيدن وابن سيدنا وحبرنا . الخ . وأفاضوا في صفات الملح والإطراء والنقدير . فقال عبدالله بن سلام أمامهم : الآن أشهد ألا إله الله ، وأن عمدا رسول الله ، فانقلب رؤساء اليهود ، وقالوا في عبدالله بن سلام : عكس ما قالوه أولا ، قالوا : إنه خبيئنا وابن خبيئنا . إلخ .

لقد غيروا المديح إلى ذم . فقال عبدالله بن سلام : يا رسول الله أما قلت لك : إنهم قوم بهت ؟ والله لقد أردت أن أعلمك برأيهم في قبل أن أسلم . ذلك هو عبدالله بن سلام الذي زحزح كف عبدالله بن صورية عن النص الذي قيه آية الرجم في التوراة ، وفي ذلك جاء القول الحنى : ه ألم تر إلى الذين أوتوا نصبها من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون ، إنهم الذين أعرض فريق منهم عن قبول الحق .

ما سبب هذا الإعراض ؟ أهو قضية عامة ؟ أو أنّ سبب هذا الإعراض هو السلطة الزمنية التي أراد اليهود أن يتخذوها لانفسهم ؟ ومعنى السلطة الزمنية أن يحى، أشخاص فيأخذوا من قداسة الدين ما يفيض عليهم هم قداسة ، ويستمتعوا بهذه القداسة ثم يستخدموها في غير قضية الدين ۽ هذا هو معنى السلطة الرمنية ، وقلت سابقا : إن كل تحوير في منهج الله سببه البغي ، والمفروض أن أهل الكتاب من أصحاب التوراة كانوا يستفتحون على العرب ويقولون : سيأى نبي من العرب نتبعه ونقتلكم به قتل عاد وإرم ؛ فلها جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما عرفوه سابقا في كتبهم كفروا به ، ولذلك يقول الحق سبحانه وتعالى في مثل هذه القضية موضحا موقفهم من قضية الإيمان العليا :

﴿ وَيَقُولُ النَّهِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا ثَقُلَ كَنَ بِأَنْهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِنْدِينِ ﴾

(سترية الرعد)

فكأن من عنده علم بالكتاب كان مفروضا فيه أن يشهد لصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإلا فلا يقول الله : « وبن عنده علم الكتاب » لن يقول الحق ذلك إلا إذا كان عند علماء أهل الكتاب ما يتفق مع ما جاء به الله في صدق رسوله صلى الله عليه وسلم في البلاغ عنه ، وكان السبب في محاولة بعض اليهود لإنكار رسالة رسول الله هو السلطة الزمنية ، وأرادوا أن ييسروا لاتباعهم أمور الدين .

إن كل دعى - أى مزيف - فى مبدأ من المبادى عاول أن يأخذ لنفسه سلطة زمنية ، فيأى إلى تكاليف الدين التى قد يكون فيها مشقة على النفس ، وبحاول أن يخفف من هذه التكاليف ، أو يأى بدين فيه تخفيف مخلي بالعبادات ، فإذا نظرنا إلى مسيلمة الكذاب ، نجده قد خفف الصلاة حتى يُرغب فى دينه من تشق عليه الصلاة ، وينضم إلى دين مسيلمة ، وحذف مسيلمة جزءا من الزكاة ، وهذا يعطى فرصة التحلل من تكاليف الدين ، ولذلك فائذى أفسد الأديان السابقة على الإسلام أن بعضا من رجال الدين فيها كلها رأوا قوما على دين فيه تيسيرات أخذوا من هذه المتبسيرات ووصعوها فى الدين ، لأن تكاليف الدين شاقة ولا يحمل إنسان نفسه المتبسيرات وهى الدين ي لأن تكاليف الدين شاقة ولا يحمل إنسان نفسه عليها إلا من آمن بها إبمان صدق وإبمان حق ، ولذلك يقول الحق سبحانه وتعالى فى عمدة العبادات وهى الصلاة :

﴿ وَٱسْتَعِينُواْ وِالصَّبْرِ وَالصَّلَوْةِ ۚ وَ إِنَّهَا لَكَبِيرَةً ۚ إِلَّا عَلَى ٱلْخَيْشِعِينَ ﴿ ﴾

(سبورة البقرة)

ويقول في موقع آخر في القرآن الكويم عن الصلاة:

﴿ وَأَمْنَ أَمْلُكَ بِالصَّلَوْةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْكُ ۚ لَا تَسْعَلُكَ رِزْقًا ۚ تَحْنُ زُزُقُكُ وَالْعَنْفِيةُ النَّقْرَىٰ ﴿ وَأَمْنَ أَمْلُكَ بِالصَّلَوْةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْكُ ۗ لَا تَسْعَلُكَ رِزْقًا ۚ تَحْنُ زُزُقُكُ

إن الحق عليم حكيم بحن خلق وهو الإنسان ، ويعلم أن الضعف قد يصيب روح الإنسان قلا يصطبر على الصلاة ، أو براها تكليفا صعبا ، لكن الذي يقيم الصلاة ويحافظ عليها فهو الخاشع لربه . ولذلك فإننا نجد أن كل منحرف بأى ويحاول أن يخفف من تكاليف الذين ، ويحاول أن يحلل أشياء محرمة في الدين ، ولم تر منحرفا يزيد في الأشياء المحرمة . إن المنحرفين يريدون إنقاص الأمور الحرام . وإذا سألنا هؤلاء المنحرفين : لماذا تقعلون ذلك ؟ فإننا نجد أنهم يفعلون ذلك لجلب الناس إلى أمور محرمة بحللها هؤلاء المنحرفون . ولذلك أراد بعض من اليهود أن يسهلوا على أتباعهم الدين ، وقال يعض من أحبارهم : لا تخافوا من أمر يوم القيامة . وجاء أتباعهم الدين ، وقال يعض من أحبارهم : لا تخافوا من أمر يوم القيامة . وجاء القول الحق يحكى عنهم وكأنهم حاولوا أن يقهموا الأمر بأن الله يحلل لهم أمورا ، القول الحق يحكى عنهم وكأنهم حاولوا أن يقهموا الأمر بأن الله يحلل لهم أمورا ،

﴿ مَّدْ مَرْضَ اللَّهُ لَكُرْ تَحِلَّةَ أَيْمَنِيكُمُّ وَاللَّهُ مُولَئِكُم وَمُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿ ﴾

(سورة التحريم)

فهذا القول الحكيم جاء في مناسبة محددة وينطبق فقط في مجال ما حلل الله قلا تحرمه ، أما ما حرم الله فلا تقربه ، لقد أرادوا أن يبيحوا للأتباع ارتكاب الأثام ، لأن النار لن تصيبهم إلا أياما معدودة ، وإذا دقفنا النامل في القول الحق الذي جاء على لسانهم ، فإننا نجد الآتى : إننا نعرف أن لكل حدث زمانا ، ولكل حدث قوة يحدث عليها ، فمن ناحية الزمان . قال هؤلاء المزورون لاحكام الله عن يوم القيامة إنها أيام معدودة ، فلا خلود في النار ، وحتى لو كان العذاب شديدا فإنه أيام معدودة ، فالإنسان يستطيع أن يتحمل ، ومن ناحية قوة الحدث ، أرادوا أن يخفقوا منه ، فقالوا : إنه عذاب لبس بشديد إنما هو مجرد مس . إنهم يحاولون إغراء الناس الإفسادهم وقال هؤلاء الأحبار : نحن أبناه الله وأحباؤه أرأيتم أحدًا يعذب أبناه وأحباءه ؟ لقد أعطى الله يعقوب النبوة ، ولا يمكن أن يعاقب ذريته أبدا ،

﴿ وَخُذَ بِسَدِكَ ضِغْنَا فَأَضْرِب بِهِ ، وَلَا تَحْنَثُ إِنَّا وَجَدْنَهُ صَارِراً نِّعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوْابٌ ٢٠٠٠

(سررة من)

إن أيوب عليه السلام قد حلف أن يضرب امرأته إذا برىء من موضه مائة سوط ، وأراد الله له أن يحله من هذا القسم فأمره أن يأخذ حزمة من حشيش أو

@1YX4@@+@@+@@+@@+@@

عشب فيها مائة عود ويضربها بها ضربة خفيفة ليبر في قسمه ، وكان ذلك رحمة من الله به وبزوجه التي قامت على رعايته وقت المرض ، وكان أيوب عبدا شاكرا لله ، كأن الفربة الواحدة هي مائة ضربة ، وهذا تحليل للقسم ، وقال بعض من بني إسرائيل : إن ذرية بني يعقوب لن تعذب من الله إلا بمقدار تحلة القسم / وكل ذلك ليزينوا للناس بقاءهم عن هذا الدين الذي سوف تكون الأخرة فيه بعذابها مجرد مس من النار ، وأيام معدودة ، بادعاء أن بني يعقوب هم أبناء الله وأحاؤه ، وأن الله قد أعطى وعدا ليعقوب بأنه لن يعذب أبناءه إلا بمقدار تحلة القسم ، وهذا بطبيعة الحال هو تزييف لدين الله ومنهجه لقد تولوا عن منهج الله ، وأعرضوا عنه بعصيان ، يوضح لنا هذا المعنى القول الكريم :

حَيْثُ ذَالِكَ بِأَنَّهُ مُ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَامًا مَعْدُودَاتِ وَمَتَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَامًا مَعْدُودَاتِ وَمَتَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَامًا مَعْدُودَاتِ وَعَيْهُمُ وَعَيْهُمُ فِي دِينِهِ مِ مَاكَانُوا يَفْ مَرُونَ كَ اللَّهُ الْمُعَلِّمُ وَلَا اللَّهُ اللِّلِي اللَّهُ الْمُلِمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّلْمُ اللَّلِلْمُ الللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللْمُلْمُ اللَّلِي الْمُلْمُ اللَّهُ

لقد تولوا وهم معرضون عن حكم الله لقد ظنوا أن النار لن تمسهم إلا أياما معدودات . ولنا أن نعرف معنى و غرهم ولنا أن نسأل ما الغرور ؟ إن الغرور هو الأطاع فيها لا يصح ولا يحصل ، فعندما تقول لواحد والعياذ بالله : و أنت مغرور و فأنت تقصد أنه يسلك سبيلا لا يوصله إلى الهدف المنشود . إذن فالغرور هو الإطاع فيها لا يصح ولا يحصل ، ولذلك يسمى الله الشيطان و الغرور .

﴿ يَنَا يَهَا النَّ سُ إِنَّ وَعَدَ اللّهِ حَقَّىٰ فَلَا تَغُرْنُكُمُ الْحَيَوْةُ الدُّنِّيَ ۗ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِآلَةِ الْفَرُورُ عَدُوا ۚ إِنَّا النَّاسُ لَكُمْ عَدُو ۗ فَا تَجُذُوهُ عَدُوا ۚ إِنَّ الدَّعُوا حِزْبَهُم لِيكُونُوا مِنْ الْعَنْبِ
السَّعِبرِ ﴾
السَّعِبرِ ۞ ﴾

(بسورة غاطر)

إنه الشيطان الذي يزين للناس بعض الأمور ويحث الخلق ليطمعوا في حدوثها ،

وعندما تحدث فإن هذه الأمور لا صواب فيها ، فهي بما زينه الشيطان ، لذلك فحصيلتها لا تتناسب مع الطمع فيها . والحق سبحانه يقول عن الدنيا :

﴿ اعْلَمُواْ أَغَا الْحَيْوَةُ الدُّنِيَا لَعِبُ وَلَمْوْ وَزِينَةُ وَتَفَائُمُ بَيْنَكُرْ وَتَكَا أُرُّ فِي الأَمْوَ لِ وَالأَوْلَةِ

عَنْ لَا عَبْ أَعْبَ الْكُفَّارُ نَبَانُهُ مُ مُّ يَبِيجُ فَتَرْنَهُ مُصْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَنَا وَفِي

الْكَتِحَ وَعَذَابٌ شَيدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللّهِ وَرِضُونَ أَوْمَ الْحَيْوَةُ الدُّنِيَ إِلّا مَنْعُ الْغُرُورِ ﴿ ﴾

(سورة العديد)

ويفال عن الرجل الذي لبس له تجربة ; إنه « غِزُ » فيأق بأشياء بدون تجربة ؛ فلا ينتفع منها ، ولا تصح . إذن ، فكل مادة » الغرور » مأخوذة من إطهاع فيها لا يصح ولا يحصل . لذلك سمى الله الشيطان « الغرور » لأنه يطمعنا نحن البشر بأشياء لا تصح ولا تحدث ، ولهذا سوف يأق الشيطان يوم القيامة لينبرأ من الذين اتبعوه ويتهمهم بالبلاهة :

﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَانُ لَمَا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ آلِنَهُ وَعَدَ ٱلْحَنِيِّ وَوَعَدَّ لَكُمْ فَأَخْلَفُتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِن سُلطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْنُكُمْ فَأَسْتَجَبُمْ لِي قَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا مِعَمْرِ خِكُرٌ وَمَا أَنْتُم بِمُصْرِحِي إِلَى كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكُنُمُونِ مِن قَبْلً إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٌ ﴿ فَيَ اللَّهُ عَلَيْهِ فَيْ ﴾

(سورة إبراهيم)

ما معنى ، وما كان لى عليكم من سلطان »؟ السلطان أى القوة التى تقنع الإنسان بعمل قعل ما ، وهو إما أن يكون سلطان الحجة فيقنعك بفعل ما ، فتفعله ، وإما أن يكون سلطان الحجة فيقنعك بفعل ما ، فتفعله ، وإما أن يكون سلطان القوة ، فبرغمك أن تقعل ، السلطان الججة وسلطان نوعان : سلطان حجة ، وسلطان قوة ، والفرق بين سلطان الحجة وسلطان الفعل ، هو أن سلطان الحجة يقنعك أن نفعل الفعل وأنت مقتنع بم أما سلطان القوة القاهرة فهو لا يُقنع الإنسان ، ولكنه يُرغم الإنسان على فعل ما ، ولذلك قالشيطان بعلن لاتباعه يوم القيامة : لم يكن لى سلطان عليكم ،

@1141@@+@@+@@+@@+@@+@

لا حجة عندى القنعكم بعمل المعاصى ، والاعندى قوة ترغمكم على الفعل ، لكنكم أنتم كنتم على حرف إتبان المعاصى ودعوتكم فاستجبتم لى ، ويضيف الشيطان مخاطبا أتباعه :

﴿ مَّا أَنَّا عُصْرِ خِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِيعِي ﴾

(من الآية ٢٢ من سورة إبرافيم)

اى أن الشيطان يؤكد أنه لن يفزع لأحد من الذين انبعوه لينجده ، إن كلمة ه يصرخ ه تعنى أن هناك مَنْ يفزع لأحد تلبية لنداء أو استغانة . الشيطان إذن لن ينجد أحدا من عذاب الله ، ولن ينجد أحد الشيطان من عذاب الله ، وهكذا ذهب بعض من أهل الكتاب إلى الغرور في الدين ، فافتروا أقوالا على الله ، لم تصدر عنه ، وصدقوا افتراءاتهم ، ويا ليت غرورهم لم يكن في الدين ، لأن الغرور في غير الدين تكون المصيبة فيه سهلة ، لكن الغرور في الدين هو المصيبة الكبرى ، غاذا ؟ لأن الغرور في أي أمر يخضع لقانون واضح ، وهو أن ميعاد كلي حدث موقوت باهيته الزمان ، إنه مستمر ، لأنه منهج قيم صدر من الحق إلى الخلق ، إن الغرور في بماهية الزمان ، إنه مستمر ، لأنه منهج قيم صدر من الحق إلى الخلق ، إن الغرور في وحدها ، ولا يتعدى الفشل إلى بقية الزمن ، لكن الغرور في الدين يجعل العمر كله وصدها ، ولا يتعدى الفشل إلى بقية الزمن ، لكن الغرور في الدين يجعل العمر الثاني يضيع ، لأن الإنسان لم يتبع المنهج الحق بل يمتد الضياع والعذاب إلى العمر الثاني وهو الحياة في الأخرة يقول الحق :

﴿ وَخَرَّهُمْ فِي دِينِيهِم مَّا كَانُواْ يَفْتُرُونَ ﴾

(من الآية ٣٤ من سورة أل عمران)

والافتراء هو تعمد الكذب، إن الحق سبحانه يوضح لهم المعنى فيقول: إن حصل ذلك منكم وأعرضتم عن حكم الله الذي دعيتم إليه في كتاب الله ، وعللتم ذلك بأن النار لن تحسكم إلا أياما معدودة ، وادعيتم كذبا أن الأيام المعدودات هي ليام عبادتكم للعجل ، وادعيتم أنكم أبناء الله وأحباؤه ، إن ذلك كله غرور وافتراءات ، وياليتهم كانوا يعلمون صدق هذه الافتراءات ، لكنهم هم اللين قالوها ويعرفون أنها كذب ، فإذا جاز ذلك لهم في هذه الدنيا فكيف يكون موقفهم

وحالهم عندما يجمعهم الله في يوم لاريب نيه ؟ وفي هذا يقول الحق:

مَثْرُ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعَنَنَهُ لَيُوْمِ لَارَيْبَ فِيهِ وَوُفِيَتَ كُلُّ نَنْسِ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿ ثَالَا مَا اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ

إن كذبهم سينكشف في هذا اليوم، فالفاضحة قد جاءت، والفاضحة هي الفيامة، إنها تفضح كل كذاب وكل غشاش وكل داعية بغير الحق. إن الحق يتساءل : كيف يصنعون ذلك كنه في الحياة التي جعلنا لهم فيها اختيارا، فيفعلون ما يريدون، ولا يفعلون ما لا يريدون، بحدث منهم كل ذلك وهم يعلمون أن الحق قد جعل الثواب لمن البع تكاليف الله، وجعل العقاب لمن يخرج عن مواد الله اكبف يتصرفون عندما بسلب الحق منهم الاختيار ويجيء يوم القيامة. لقد كانوا في كلف ينكرن عطاء الله من قدرة الاختيار بين البديلات، وركز الله لهم في بمانهم أن يستخدم كل جوارحهم خاضعة الإرادتهم كبشر من خلق الله، فمنهم من يستطيع أن يستخدم جوارحه فيها يرضى الله، وقبهم من يستخدم جوارحه المسخرة له بغضل الله فيها لا يرضى الله الا إن الجوارح كها لمعلم جميعا خاضعة الإرادة الإنسان، وإرادة الإنسان الحيار على التي تختار بن المديلات، لكن ماذا يفعل هؤلاء يوم القيامة الإنجار التي الحوارح التي كانت تطبع الحارجين عن منهج الله في الفعل الا تطبعهم في هذا اليوم العظيم الال الطاعة اختيار أن تفعل وتطبع، والجوارح يوم القيامة الا تكون مقهورة الإرادة الإنسان الم الجوارح بوم القيامة تنحل عنها صفة القهر والتسخير لمراد الإنسان، وتصبر الجوارح عل طبيعتها:

﴿ يَوْمَ نَشْهَدُ عَلَيْهِمُ أَلْكِنَهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ (إِنَّ) يَوْمَهِذِ

يُوفِيهِمُ اللهُ دِينَهُمُ اللهُ دِينَهُمُ الْحَقُ وَيَعْلَمُونَ أَنْ اللهَ هُوَ الْحَتَى المُبِينُ (إِنَّ عَلَيْهِمُ اللهُ عِنْهُمُ اللهُ دِينَهُمُ الْحَقَ وَيَعْلَمُونَ أَنْ اللهَ هُوَ الْحَتَى المُبِينُ (إِنَّ اللهُ عِنْهُمُ اللهُ عَلَيْهُمُ اللهُ عَلَيْهُمُ اللهُ عَلَيْهُمُ اللهُ عَلَيْهُمُ اللهُ عَلَيْهُمُ اللهُ عَلَيْهُمُ اللهُ ال

(سورة الثور)

إن اللَّان كان أداة إعلان الكفر ، وهو يوم القيامة يشهد على الكافر ، واليد

0171700+00+00+00+00+00+0

كانت أداة معصية الله ، وهي يوم القيامة تشهد على صاحبها ، والجلود تشهد أيضًا ، لقد كانت الجوارح خاضعة لأرادة أصحابها ، وتفعل ما يريدونها أن تفعل ، ولكنها كانت تفعل الفعل العاصي لله وهي كارهة لهذا الفعل ۽ لذلك يقول الحق :

﴿ فَكَيْفُ إِذَا جَمَعْنَهُمْ لِيَوْمِ لَارَبَبَ فِيهِ وَوُقِيَتَ كُلُّ نَفْسِ مَّا كَسَبَتْ وَمُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۞﴾

(سنورة آل عمران)

كيف يكون حالهم يوم يجمعهم الله للجزاء في يوم لا ريب فيه ولاشك في مجيئه . . وهذا اليوم قادم لا محالة لقيام الأدلة على وجوده ، ورغم خصومتهم لله فإن الله المعادل الحق لا يظلمهم بل سيأخذهم بمقاييس العدل .

حَمَّقُ قُلِ اللَّهُ مَنْ لِكَ الْمُلْكِ تُوْقِ الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْفِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِيزُ مَن تَشَاءُ وَتُعَيِزُ مَن تَشَاءُ وَتُهٰ لِلُّ مَن تَشَاءً أُبِيدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِ شَيْءٍ فَدِيرٌ ﴿ اللَّهِ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ اللَّهِ اللَّ

وساعة تسمع كلمة «ملك» ، فلنا أن نعرف أن هناك كلمة هي «ملك» بضم الميم ، وكلمة أخرى هي « ملك» بكسر الميم . إن كلمة و ملك» تعنى أن للإنسان ملكية بعض من الأشياء ، كملكية إنسان لملابسه وكتبه وأشيائه ، لكن الذي يملك مالك هذا الملك فهذا تسميه «مالك» / فإذا كانت هذه الملكية في الأمر الظاهر لنا ، فإننا نسميه «عالم الملك » ، وهو العالم المشاهد ، وإذا كانت هذه الملكية في الأمر الحفى فإننا نسميه «عالم الملكوت» ، إذن ، فنحن هنا أمام «ملك» ، وه سيدنا و ملكوت» ، ولذلك فعندما تجلى الحق سبحانه وتعالى على سيدنا إبراهيم خليل الرحمن وكشف له ما خفى عن العيون وما ظهر ، قال سبحانه :

﴿ وَكَذَالِكَ نُرِئَ إِبْرَاهِمِمَ مَلَكُوتَ السَّمَنُوْتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (١٠٠٠) ﴾ (سورة الانعام)

أى أن الله سبحانه وتعالى أراد لسيدنا إبراهيم أن يشاهد الملكوت فى السياوات والأرض ، أى كل الأشياء الظاهرة والخافية المخفية عن عبون العباد . وهكذا نرى مراحل الحيازة كالآق : ملك ، أى أن يملك الإنسان شيئا ما ، وهذا نسميه مائكا للأشياء ، فهو مالك لأشيائه ، ومالك لمتاعه ، أما الذي يملك الإنسان الذي يملك الأشياء فإننا نسميه ومُلك ، أى أنه يملك من يملك الأشياء ، والظاهرة فى الأولى نسميها و ولملك ، فكل إنسان له ملكية بعض من الأشياء ، وبعد ذلك تنحاز إلى الأقل ، أى أن تنسب ملكية أصحاب الأملاك إلى ملك واحد . فالملكية بالنسبة للإنسان تتلخص فى أن يملك الإنسان اخر يوليه الله على الإنسان اخر يوليه الله على جاعة من البشر فيصير مُلكاً ، هذا فى المجال البشرى .

أما في المجال الإلمى ، فإننا نصعد لنرى من يملك كل مالك وملك ، إنه انه مبحانه وتعالى . ولا يظن أحد أن هناك إنسانا قد ملك شيئا ؛ أو جاها في هذه الدنيا بغير مراد الله فيه ، فكل إنسان يملك بما يربده الله لم من رسالة ، فإذا انحرف العباد ، فلابد أن يولى الله عليهم ملكا ظالما ، لماذا ؟ لأن الأخيار قد لا يحسون تربية الناسى .

﴿ وَكَذَالِكَ نُولِ بَعْضَ الظَّالِينَ بَعْضًا إِعَاكَانُوا بَكْمِبُودَ ۞ ﴾

(سبرية الأنعام)

وكأن الحق سبحانه يقول: يأيها الحير _ بتشديد الياء _ ضع قدما على قدم ولا تلوث يدك بأن تنتقم من الظالم ، فسوف أضع ولاية ظالم أكبر على هذا الظالم الصغير، إنتى أرباً بك أن تفعل ذلك ، وسأنتقم لك ، وأنت أيها الحير منزه عندى عن ارتكاب المظالم ، ولذلك نجد قول الحق :

(سرية الأنعام)

01740000000000000000000

وتحن جيعا نعرف القول الشائع : « الله يسلط الظالمين على الظالمين ع . ولو أن الذين ظلموا أنكن منهم من ظلموهم ما صنعوا فيهم ما يصنعه الظالمون في بعضهم بعضا . إن الحق يسلط الظالمين على الظالمين ، وينجى أهل الخير من موقف الانتقام من ظلموهم .

إذن فنحن في هذه الحياة نجد و مالك و ، وو ملك و وهناك فوق كل ذلك و مالك الملك و ، ولا الله وهناك فوق كل ذلك و مالك الملك و ، لأننا إذا دققنا جيدا في أمر الملك الملك و ، لأننا إذا دققنا جيدا في أمر الملكية فإننا لن نجد مالكا إلا الله . وقل اللهم مالك الملك و إنه المتصرف في ملكه و إياكم أن تظنوا أن أحدا قد حكم في خلق الله بدون مواد الله ، ولكن الناس حين تخرج عن طاعة الله فإن الله يسلط عليهم الحاكم الظالم ، ولذلك فالحق سبحانه يقول في حديثه القدمي :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يطوى الله عن وجل السموات يوم القيامة ، ثم يأخذهن بيده اليمنى ، ثم يقول: أنا الملك ، أين الجيارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوى الأرض بشهاله ، ثم يقول: أنا الملك ، أين الجبارون؟ أين المتكبرون)(1)

إياك أيها المؤمن أن تظن أن أحدا قد أخذ الملك غصبا من الله . إنما الملك يريده الله لمن يردب به العياد . وإن ظلم الملك في التأديب فإن الله يبعث له من يظلمه ، ومن رأى ظلم هذا الملك أو ذلك الحاكم فمن الجائز أن يريه الله هذا الملك أو ذلك الحاكم مظلوما . إنه القول الحكيم يؤكد لنا أنه سيحانه وتعالى مالك الملك وحده .

إن الحق سبحانه يأمر رسوله الكريم: «قل اللهم مالك الملك» إن كلمة «اللهم» وحدها فيها عجب من العجائب اللغوية، إن القرآن قد نزل باللسان العربي، وأمة العرب فصيحة اللسان والبيان والبلاغة، وشاء الحق أن يكون للفظ الجلالة «الله » خصوصية فريدة في اللغة العربية.

إن اللغة العربية تضع قاعدة واضحة وهي ألا يُنادى ما فيه ، أداة التعريف ، مثل اللغة الرجل ، بدياء فلا يقال : و يا الرجل ، بل يقال : و يأيها الرجل ، لكن اللغة

⁽۱) رواه البخاري ومسلم وأبو داود وابن ماجه .

回送記録 *○○+○○+○○+○○+○○+○ 1797○

التي يسرها الله لعباده تخص لفظ الجلالة بالنقديس ، فيكون من حق العباد أن يقولوا : «يا الله » . وهذا اللفظ بجلاله له تميز حتى في نطقه .

ولنا أن نلحظ أن العرب من كفار قريش وهم أهل قصاحة لم يفطنوا إلى ذلك ، فكأن الله يرغم حتى الكافرين بأن يجعل للفظ الجلالة تميزا حتى في أفواه الكافرين فيعل للفظ الجلالة تميزا حتى في أفواه الكافرين فيقولون مع المؤمنين: «يا الله». أما بقية الأسهاء التي تسبقها أداة التعريف فلا يمكن أن تقول: «يا الرجل» أو «يا العباس» لكن لابد أن تقول: «يأيها الرجل» أو «يا أيها العباس» ، ولا تقول حتى في نداء النبي : «يا النبي » ، إنما تقول: «يا النبي » ، إنما تقول: «يابها النبي» ،

لكن عند التوجه بالنداء إلى الله فإننا نقول : « يا الله » ، إنها خصوصية يلفتنا له الحق سبحانه بأنه وحده المخصوص بها ، وأيضا ما رأينا في لغة العوب عَلَمًا دخلت عليه د الناء » كحرف القسم إلا الله ، فإننا نقول « نا الله » ولم نجد أبدا من يقول « تزيد » أو د تعمرو » .

إننا لا نجد التاء كحرف قسم إلا في لفظ الجلالة ، ولا نجد أيضا عليا من الأعلام في اللغة العربية تحذف منه ه با ، في النداء وتستبدل بالميم إلا في لفظ الحلالة فنتول : و اللهم ، كل ذلك ليدل على أن اللفظ في ذاته له خصوصية المسمى . • قل اللهم ، وكأن حذف حرف النداء . هنا يُعلمنا أن الله هو وحده المستدعى بدون حرف نداء . • اللهم ، وفي بعض الألسنة يجمعون الياء والميم ، مثل قول الشاعر :

إنى إذا ساحادث المثّا

أقلول ياللهم يااللهليًا

إنها خصوصية لصاحب الخصوصية الأعلى . « قل اللهم مالك الملك » وقد يسأل إنسان لماذا لم يقل الحق : « ملك الملك » ؟ هنا لابد أن نعرف أنه سبأت يوم لا تكون فيه أى ملكة لأى أحد إلا الله ، وهو المالك الوحيد ، فهو سبحانه يقول :

﴿ رَفِيعُ اللَّهِ جَنْتِ ذُوالْعَرِسُ يُلِّقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ، عَلَى مَن يَسْلَهُ مِنْ عِبَادِهِ، لِيُنذِر يَوْمَ

اَلنَّلَاقِ ۞ يَوْمَ مُم بَارِزُودَ لَا يَخْنَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ المُلَكُ الْيَوْمُ لِلَّ الْوَاحِدِ الْفَهَّارِ ۞﴾

(سورة غاش)

إن قول الحق هنا: و مالك الملك ، توضح لنا أن ملكية الله وهي الدائمة والمقادرة واضحة ، وجلية ، ومؤكدة ، ولوقال الله في وصف ذانه : و ملك الملك ، لكان معنى ذلك أن هناك بشرا بملكون بجانب الله / لا ، إنه الحق وحده مائك الملك ، ومادام الله هو مالك الملك ، فإنه يبيه لمن يشاء ، وينزعه عمن يشاء . وهنا نلاحظ أن قول الحق : إنه مائك الملك يعطى الملك لمن يشاء وينزع الملك عمن يشاء تأتى بعد عملية المحاجّة ، وبعد أن تهرب بعض من أهل الكتاب من تطبيق حكم الله بعد أن دعوا إليه ، فتولى فريق منهم وأعرض عن حكم الله ، وعللوا ذلك يادعاء أنهم أبناء الله وأحباؤه وأن النار لن تحسهم إلا أياما معدودات .

كل هذه خيارات من لطف الله وضعها أمام هؤلاء العباد ، خيارات بين اتباع حكم الله أو أتباع حكم الهوى ، لكنهم لم يختاروا إلا الاختيار السبيء ، حكم الهوى . ولذلك بأن الله بخبر اليوم الذي سوف يجيء ، ولن يكون لأحد أي قدرة ، أو اختيار . إن حق الاختيار موجود لنا في هذه الدنيا ، وعلينا أن نحسن الاختيار في ضوء منهج الله .

ولنتأمل هذا المثل الذي حدثتنا عنه السيرة النبوية الطاهرة ، حينها جاءت غزوة الأحزاب الني اجتمع فيها كل خصوم الدعوة ، واشتغل اليهود بالدس والوقيعة ، وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحفر بمشورة سلهان الفارسي خندقا حول المدينة المنورة . ومعنى ١ الحندق ٤ ، أي مساحة من الأرض يتم حفرها بما يعرق التقدم . وكان المقاتلون يعرفون أن الفرس يستطيع أن يقفز مسافة ما من الأمتار .

لقد حاول المؤمنون أثناء حفر الخندق أن يكون اتساعه أكبر من قدرة الحيل ، ولننظر إلى دقة الإدارة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إن سلمان الفارسي قد اقترح أن يتم حفر الخندق ، وفيها يبدو أنه قد أخذ الفكرة من بيئته وقبل الرسول صلى الله عليه وسلم الفكرة وأقرها ، وفعلها المسلمون .

00+00+00+00+00+0111110

إذَن فليس كل ما فعله الكفار كان مرفوضا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم قبل تطبيق كل الأعهال النافعة ، سواء أكان قد فعلها الكفار من قبل أم لا ء ورأى الرسول صلى الله عليه وسلم أن عملية الحفر موهقة بسبب جمود الأرض وصخريتها في بعض المواقع ، لذلك وضع حصة قدرها أربعون ذراعا لكل عشرة من الصحابة ، وبذلك وزع الرسول الكريم العمل وللسئولية ، ولم يترك الأمر لكل جماعة خشية أن ينواكلوا على غيرهم .

وتوزيع المستولية يعنى أن كل جماعة تعرف القدر الواضح من العمل الذي تشارك به مع بقية الجهاعات وقد يسأل سائل: ولماذا لم يوزع الرسول صلى الله عليه وسلم التكليف لكل واحد بمفرده ؟ ونقول: إنها حكمة الإدارة والحزم هي التي جعلت الرسول صلى الله عليه وسلم يتعرف على حقيقة واضحة ، وهي أن الذين يحفرون عن الصحابة ليسوا متساوين في القدرة والمجهود ، لذلك أراد تكل ضعيف أن يكون مسنودا بتسعة من الصحابة .

إن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يجعل الأمر مشاعا ، بل كان هناك تحديد للمسئولية ، لكنه لم يجعل المسئولية مشخصة تشخيصا أوليا ومحددا بكل فرد ، وذلك حتى يساعد الأقوياء الضعيف من بينهم . لقد ستر رسول الله صلى الله عليه وسلم الضعيف بقوة إخوانه ، وساعة أن يوجد ضعيف بين عشرة من الإخوان يحملون عنه ويخفرون ، فإن موقفه من أصحابه يكون المحبة والألفة ، ويكون القوى قد أفاض على الضعيف .

وكان عمرو بن عوف ضمن عشرة منهم سليان الفارسي رضي الله عنه ، فليا جاءوا ليحفروا صادفتهم منطقة يقال عنها : « الكثود » . ومعنى « الكثود » هي المنطقة التي تكون صلبة أثناء الحفر ، فالحافر إذا ما حفر الأرض قد يجد الأرض سهلة ويواصل الحفر ، أما إذا صادفته قطعة صلبة في الأرض فإنه لا يقدر عليها بمعوله لأنها صخرية صها ، فيقال له : « أكدى الحافر » . وعندما صادف عمرو بن عوف وسلمان الفارسي والمغيرة وغيرهم هذه الصخرة الكثود ، قالوا لسلمان : « اذهب قارفع أمرنا الفارسي والمغيرة وغيرهم هذه الصخرة الكثود ، قالوا لسلمان : « اذهب قارفع أمرنا للمول الله صلى الله عليه وسلم » . ومن هذا نتعلم درسا وهو أن المكافف من قبل من كلفه بها .

وذعب سلمان الفارسي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحضر رسول الله

صلى الله عليه وسلم مع سلمان إلى الموقع وأخذ المعول وجاء على الصخرة الكئود وضربها ، فحدث شرر أضاء من قرط قوة الاصطدام بين الحديد والصخرة ، فهنف رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله أكبر فُتِحَتْ قصور بصري بالشام ، ثم ضرب ضربة أخرى ، وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : الله أكبر فَتِحَتْ قصور الحمراء بالروم . وضرب ضربة ثالثة وقال : الله أكبر ، فُتِحَتْ قصور صنعاء بالميمن ء فكأته حين ضرب الضربة أوضح الله له معالم الأماكن التي سوف يدخلها الإسلام فاتحا ومنتصرا ، فلها بلغ ذلك القول أعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الأعداء للصحابة : يمنيكم محمد بفتح قصور صنعاء في اليمن ، والحمراء في الروم ، وفتح قصور بصرى ، وأنتم لا تستطيعون أن تبرزوا لنا للقتال فأنزل الله قوله : « قل اللهم مالك الملك تؤي الملك من تشاء . . . » .

إن المسألة ليست عزما من هؤلاء المؤمنين ، إنما هي لية على قدر الوسع ، فإن فعلت أي فعل على النية بقدر الوسع فانتظو المذد من الممد الأعلى سيحابه وتعالى .

إن الله سبحانه هو الذي يعطى الملك ، وهو الإنه الحق الذي ينزع ملك الكفر في كسرى والروم وصنعاء ، يعطى سبحانه الملك لمحمد رسول الله وأصحابه ، وينزعه من قريش ، وينزع الملك من يهود المدينة حيث كانوا يريدون الملك .

إن قول الحق: و وتنزع الملك عن تشاء ، تجعلنا نتساءل : ما النزع ؟ إنه القلع بشدة ، لأن الملك عادة ما يكون منمسكا بكرسي الملك ، متشيئا به ، لماذا ؟ لأن بعضا ممن يجلسون على كراسي السلطان ينظرون إليه كمغنم بلا تبعات فلا عرق ولا سهر ولا مشقة أو حرص على حقوق الناس ، إنهم يتناسون سؤال النفس ، وماذا فعلت للناس ، ؟ إن الواحد من مؤلاء لا يلتفت إلى ضرورة رعاية حق الله في الحلق فيسهر على مصالح الناس ويتعب ويكد ويشقى ويحرص على حقوق الناس .

إننا ساعة نرى حاكها متكائبا على الحكم ، فلنعلم أن الحكم عنده مغنم ، لا مغرم . ولنر ماذا قال سيدنا عمر بن الخطاب عندما قالوا له : إن فقد ذك ولا نفقدك . نولى عبدالله بن عمر ، وهو رجل قرقره الورع . . فقال عمر ابن الخطاب رضى الله عنه : بحسب أل الخطاب أن يُسأل منهم عن أمة محمد رجل واحد ، لماذا ؟ لأن الحكم في الإسلام مشقة وتعب .

00+00+00+00+00+00+0\f**0

لقد جاء الحق بالقول الحكيم : « وتنزع الملك عن تشاء ، وذلك لينبهنا إلى هؤلاء المتشبشين بكراسي الحكم وينزعهم الله منها ، إن المؤمن عندما ينظر إلى الدول في عنفوانها وحضاراتها وقوتها ونجد أن الملك فيها يسلب من الملك فيها على أهون صبب . لماذا ؟ إنها إرادة الخالق الأعلى ، فعندما يريد فلا راد لقضائه .

إن الحق إما أن يأخذ الحكم من مثل هذا النّوع من الحكام ، وإما أن يأخذه هو من الحكم ، ونحن نرى كل ملك وهو يوطن نفسه توطينا فى الحكم ، بحيث يصعب عنى من يريد أن يخلعه منه أن يخلعه يسهولة ، لكن الله يقتلع هذا الملك حين يريد سبحانه .

وبعد ذلك بقول الحق: « وتعز من تشاء وتذل من تشاء و لان ظواهر الكون لا تفتصر على من يملك فقط ، ولكن كل ملك حوله أناس هم « ملوك ظلم و ومعنى « ملوك الظل » أى هؤلاء الذين يتمتعون بنفوذ الملوك وإن لم يكونوا ظاهرين أمام الناس ، ومن هؤلاء يأتى معظم الشر . إنهم يستظلون ويستترون بسلطان الملك ، ويفعلون ما يشاءون ، أو يفعل الأخرون لهم ما يامرون به ، وحين يُنزع الملك ، ويفعلون ما يشاءون ، أو يفعل الأخرون لهم ما يامرون به ، وحين يُنزع الملك فلاشك أن المغلوب بالظالمين يعزه الله ، وأما الظالمون الأنفسهم فيدهم الله) لذلك كان ولابد أن يحيء بعد « تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك بمن تشاء ه هذا المذلك كان كل ملك يعيش حوله الفول الحق : « وتعز من تشاء وتذل من تشاء » . لماذا ؟ لأن كل ملك يعيش حوله من يتمتع بجاهه ونفوذه ، فإذا ما انتهى سلطان هذا الملك ، ظهر هؤلاء المستمتعون على السطح . وهذا نشاهده كل يوم وكل عصر . « وتعز من تشاء وتذل من تشاء على السطح . وهذا نشاهده كل يوم وكل عصر . « وتعز من تشاء وتذل من تشاء عبل السطح . وهذا نشاهده كل يوم وكل عصر . « وتعز من تشاء وتذل من تشاء عبل السطح . وهذا نشاهده كل يوم وكل عصر . « وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيلك الماير » .

ونلاحظ هنا: أن إيناء الملك في أعراف الناس خير. ونزع الملك في أعراف الناس شر. ولهؤلاء نقول: إن نزع الملك شر على من خلع منه، ولكنه خير لمن أوق الملك. وقد يكون خيرا لمن نزع منه الملك أيضا. لأن الله حين ينزع منه الملك، أو ينزعه من الملك يخفف عليه مؤونة ظلمه فلوكان ذلك المملك المخلوع عاقلا، لنقبل ذلك وقال: إن الله يريد أن يخلصني لنفسه لعلى أتوب..

إذن فلو نظرت إلى الجرّثيات في الأشخاص ، ونظرت إلى الكليات في العموم أوجدت أن ما يجرى في كون الله من إيتاء الملك وما يتيعه من إعزاز ، ثم نزع الملك

01110010010010010010010

وما يتبعه من إذلال ، كل ذلك ظاهرة خير في الوجود ، لذلك قال الحق هنا : و بيدك الحتير و ولو دقق كل منا النظر إلى مجريات الأمور ، لوجد أن : الله هو الذي يؤتى موالله هو الذي ينزع ، والله هو الذي يعز ، والله هو الذي يدّل ، ولابد أن يكون في كل ذلك صور للخير في الوجود ، فيقول : « بيدك الحير إنك على كل شيء قدير » .

إن إيناء الملك عملية تحتاج إلى تحضير بشري وبأسباب بشرية ، وأحيانا يكون الوصول إلى الحكم عن طريق الانقلابات العسكرية ، أو السياسية ، وكذلك نزع الملك يجتاج إلى نفس الجهد .

إن الحق مسحانه وتعالى يوضح لنا المعنى فيقول : ليس ذلك بأمر صعب على قدرت اللا نبائية ، لأننى لا أتناول الأفعال بملاج ، أو يعمل ، إنحا أنا أقول : « كن » فتنفعل الأشياء لإرادى ، ويأنى الحق بعد ذلك ليدلل بنواميس الكون وأيات الله في الوجود على صدق قضية « إنك على كل شيء قدير » فيقول وقوله الحق :

حَيْثُ تُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِ ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِ ٱلْيَسْلَ وَتُنَخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُنْغَرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَتَمْرُزُقُ مَن تَشَاءُ بِعَنْدِ حِسَابِ ﴿ الْمَيْتَ مِنَ ٱلْحَيْ

إن الحق يقول لذا : عندكم ظاهرة تختلف عليكم ، وهى الليل والنهار ، وظاهرة أخرى ، هى الحياة والموت . إن ظاهرة الليل والنهار كلنا نعرفها الأنها أية من الأيات العجيبة ، والحق يقول عنها : « تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل » إن الحق لم يصنع النهار بكمية محدودة من الوقت متشابهة فى كل مرة ، لا ، إنه سبحانه شاء لليل أن ينقص أحيانا عن النهار خس ساعات ، وأحيانا يزيد النهار على الليل شمس ساعات .

00+00+00+00+00+0\(\(\)\(\)\(\)

ولنا أن نتساءل.. هل تنقص الخمس الساعات من الليل أو النهار موة واحدة وفجأة ؟ هل يفاجئنا النهار بعد أن يكون اثنتي عشرة ساعة ليصبح سبع عشرة ساعة ؟ هل يكون الليل مفاجئاً لنا في الطول أو القصر ؟ لا ، إن المسألة تأتي تباعا ، بالدورة ، بحيث لا تحس ذلك ي إن هناك توعا من الحركة اسمها الحركة الترسية . إننا عندما ننظر إلى الساعة التي تدور نجد أن دورتها تعتمد على التروس ، فهل يمشى عقرب الساعة في كل الزمن ؟ لا ، إن كل ترس له زمن يتوقف فيه ، وعندما يتوقف فإننا ندفع به ليعيد دورته ، وبعمل ، وإذا دقفنا النظر في عفرب الدقائق فإننا نستطيع أن نلحظ ذلك .

إذن هناك فترة توقف وسكون بين انتقال عقرب الدقائق من دقيقة إلى أخرى ، وهذا اللون من الحركة تسميه ، حركة ترسية ، وهناك حركة أخرى ثانية ، نسميها ، حركة انسيابية ، بحيث يكون كل جزء من الزمن له حركة ، كما يحدث الأمر في ظاهرة النمو بالنسبة للإنسان والنبات والحيوان .

إن الطفل الوليد لا يكبر من الصباح إلى المساء بشكل جزئى ، أو محسوس به إنه يكبر بالفعل دون أن نلحظ ذلك ، وقد يزيد بمقدار ملليمتر في الطول ، وهذا الملليمتر شائع في كل ذرات الثوان من النهار به إن الطفل لا يظل على وزنه وطوله أربعا وعشرين ساعة من النهار ، ثم يكبر فجأة عند انتهاء اليوم ، لا ، إن نمو الطفل كل يوم يتم بطريقة تشيع فيها قدرة النمو في كل ذرات الثوان من النهار ، وهذه العملية تحتاج إلى الدقة المتناهية في توزيع جزئيات الحدث على جزئيات الزمان ، وهذه هي العظمة للقدرة الخالفة التي يظل الإنسان عاجزا عنها إلى الأبد .

وقد قلت لكم مرة: إن الواحد منكم إن نظر إلى ابته الوليد ، وظل ناظرا له طوال العمر فلن يلحظ الإنسان منكم كبر ابنه على الإطلاق ، لكن عندما يغيب الإنسان عن ابنه شهرا أو شهورا ، ثم يعود ، هنا يرى فى ابنه مجموع نمو الشهور التى غاب فيها عنه وقد أصبح واضحا ، ولو زرع الإنسان نباتا ما ، وجلس ينظر إلى هذا النبات ، فهو لن يرى أبدا نمو هذا النبات لماذا ؟ لأن الجزئيات تكبر دون قدرة على أن يلمس الإنسان طريقة نموها .

ولنا أن تعرف أن كل ما يكبر إنما يصغر أيضا ، ولا توجد عند الإنسان قدرة

010+00+00+00+00+00+0

للملاحظة المباشرة لذلك ، وفي الحياة أمثلة أخرى ، ناخذ منها هذا المثل ، فعندما قام العلماء بتصوير الأوض من الأقبار الصناعية ، كانت الصور الأولى لمدينة نيويورك هي عبورة لنقطة بسيطة ، وعندما قام العلماء بتكبير هذه الصور ظهرت الجزئيات ، كالشوارع وغيرها ، أين كانت الشوارع في هذه النقطة الصغيرة ؟ لقد صغرت الشوارع أثناء التصوير بصورة تستحيل معها على آلات الإدراك عند الإنسان أن تراها ، ولذن تراها ، ولذن الصور حتى يمكن للإنسان أن يراها ، ونحن ثرى الشيء البعيد صغيرا ، ولكها قريناه كبر في نظرنا .

إذن فقول الله : و تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل و هو لفت للانتياه البشرى إلى أن الليل والنهار لا يفصل بينها حد قاطع بنسبة متساوية لكل منها ، البشرى إلى أن الليل والنهار لا يفصل بينها حد قاطع بنسبة متساوية لكل منها ، لا ، إنه الحق بقدرته يدخل الليل في النهار ، ويدخل النهار في الليل . إن معنى و تُولج ، ومثال ذلك أن يؤذن المؤذن لصلاة المغرب في يوم ما عند الساعة الحامسة ، ويؤذن المؤذن لصلاة المغرب في أيام أخرى في الساعة السابعة . إن ذلك ذلك لا يحدث فجأة ، ولا يقفز المغرب من الخامسة إلى السابعة ، إنما بحدث فلك بانسيابية ، ورتابة . ومن ذلك نتلقى الدرس والمثل .

إنك أيها العبد إن رأيت ملكا قائها على حضارة مؤصلة ، فاعلم أن هناك عوامل دقيقة لا تراها بالعين تنخر في هذا الملك إلى أن يأتي يوم ينتهى فيه هذا الملك . وهكذا تنهار الحضارات بعد أن تبلغ أوج الارتقاءات ، ويصل الناس فيها إلى استعدادات ضخمة وإمكانات هائلة ، وذلك لأن عوامل الانهيار تنخر داخل هذه الحضارات .

إن الحق يلفتنا إلى جلال قدرته وعظمة دقة صنعه ، بمثل اللبل والنهار : « تولج اللبل في النهار وتولج النهار في اللبل » . ثم يأت لنا الحق الأعلى بمثل آخر ، فيقول : « وتخرج الحي من المبت وتخرج المبت من الحي » ، إنها الفدرة المطلقة بدون أسباب .

والوقفة هنا تجعلنا نرى كيف اهتدينا بما أفاض الله على بعض خلقه من اكتشاف لبعض أسراره فى كونه ، لقد وصل العلم لمعرفة أن لكل شيء حياة خاصة ، قنرى أن ورقة النبات تحدث فيها تفاعلات ولها حياة خاصة ، وترى أن الذرة فيها تفاعلات ولها حياة خاصة ، والنفاعل معناه الحركة ، والحياة كها تعرف مظهرها الحركة ، وغاية ما هناك أنه يوجد فرق فى رؤية الحياة عند العامة ، ورؤية الحياة عند الحاصة . إن الإنسان العامى لا يعرف أن النطقة فيها حياة ، وأن الحبة فيها حياة ، ولا يعرف ذلك إلا الحاصة من أهل العلم .

إن العامة من الناس لا يعرفون أن الحبة توجد لها حياة مرئية ، ويكمن فيها غو غير ظاهر ، ولا يعرف العامة أن هناك فرقا بين شيء حمى ، وشيء قابل لأن يحيا . ومثال ذلك نواة البلح التي نأخذها ونزرعها لتخرج منها النخلة ، إنها كنواة تظل يجرد نواة إلى أن يأخذها الإنسان ، ويضعها في بيئنها ؛ لتخرج منها النخلة .

إذن فالنواة قابلة للحياة ، وعندما ننظر إلى ذرات التراب فإننا لا نستطيع أن نضعها في بيئة لنصنع منها شيئا ، ووغم ذلك فإن لذرة التراب حركة . ويقول العلماء : إن الحركة الموجودة في ذرات رأس عبدان علبة كبريت واحدة تكفي لإدارة قطار كهربائي بإمكانه أن يلف حول الكرة الأرضية عددا من السنوات .

إن هذه أمور يعرفها الخاصة ، ولا يعرفها العامة . فإن نظرنا إلى العامة عندما يسمعون القول الحق : و وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي ه كانوا يقولون : إن المثل على ذلك نواة البلح ، وكانوا يعرفون أن النخلة تنمو من النواة . ولكن الخاصة بحثوا واكتشفوا أن في داخل النواة حياة وعرفوا كيفية النمو . . وعرف ولكن الخاصة بحثوا واكتشفوا أن في داخل النواة حياة وعرفوا كيفية النمو . . وعرف العلماء أن لكل شيء في الوجود حياة مناسبة لمهمته . . فليست الحياة هي الحركة الظاهرة والنمو الواضح أمام العين فقط ، لا ، يل إن هناك حياة في كل شيء .

إن العامة يمكنهم أن يجدوا المثال الواضح على أن الحق يخرج الحى من المبت ويخرج المبت من الحق م أما الحاصة فيعرفون قدرة الله عن طريق معرفتهم أن كل شيء قيه حياة ، فالتراب الذي نضع فيه البذر لو أخذنا بعضا منه في مكان معزول ، فلن يخرج منه شيء ، هذا التراب هو ما يصفه العلماء بوصف و المبت في الدرجة الأولى ، وأما التواة التي يمكن أن تأخذها وتضعها في هذا التراب ، فيصفها العلماء بائها و المبت من الدرجة الثانية ،

وعندما ننقل المبت في الدرجة الأولى ليكون وسطا بيثيا للميت في الدرجة الثانية

تظهر لنا بتائج تدلل على حياة كل من النراب والنواة معا لا وقد مس القرآن ذلك مسا دقيقا ، لأن القرآن حين يخاطب بأشياء قد نفف فيها العقول فإنه يتناولها التناول الذي تتقبلها به كل العقول ، فعقل الصفوة يتقبلها ، وعقل العامة يتقبلها أيضا ؟ لأن القرآن عندما يلمس أي أمر إنما يلمسه بلفظ جامع واق يتقبله الجميع ، شم يكتشف العقل البشرى تفاصيل جديدة في هذا الأمر .

إن القران عنى سبيل المثال لم يقل لنا : إن الذرة فيها حركة وحياة وفيها شحنات من لون معين من الطاقة ، ولكن القرآن تناول الذرة وغيرها من الأشباء بالبيان الإلمى القادر ، وخصوصا أن هذه الأشباء لن يترتب عليها خلاف في الحكم أو المنهج . فلو عرف الإنسان وقت نزول القرآن أن الذرة بها حياة فإذا الذي يزيد من الحكام الاحكام ؟ ولو أن أحدا أثبت أن الذرة ليس بها حياة ، فها الذي ينقص من أحكام المنهج الإيمان ؟ لم يكن الأمر من ناحية الأحكام لبزيد أو لينقص ، وعدما ناخد القرآن مأخذ الواعين به ، ونفهم معطيات الانفاظ فإننا نجد أن كلمة و الحياة » لها ضد هو ه الموت » ، وقد ترك الحق سبحانه كلمة ، الموت » في بعض المواقع من الكتاب الكريم وأورد لنا كلمة أخرى هي و الهلاك » قالى الحق سبحانه :

إن اله الهلاك اله منا هو مقابل الحياة ع الماذا لم يورد الحق كلمة الموت المعنا الآنه الحقائق الأعلم بعباده المعلم بعلم أن العباد قد يختلفون في المسالة اللوت المعبد المعبض منهم يقول تعريما للميت : إنه الذي لا توجد به حركة أو حس أو غو الم ولكن هذا الميت له حياة مناسبة له الكوية الذرة أو حياة حية الرمل الو حياة أي شيء مبت الله حياة من الآية السابقة أن الحياة بقابلها الهلاك ويقول الحق سبحانه على الأخرة اليوضح لنا ما الذي سوف يجدث يوم القيامة:

﴿ الآية ٨٨ من حدورة القصيص }

لقد استثنى الحق الوجه أو الذات الإلهية ، وكل ما عداها هالك . ومادام كل شيء هالكا فمعنى ذلك أن كل شيء كان حيا وإن لم ندرك له حياة . إذن فالحياة الحقيقية توجد في كل شيء بما بناسبه ، مرة تدركها أنث ، ومرة لا تدركها .

إذن فقوله الكريم: و وتخرج الحى من الميت وتخرج الحيد من الحي المجوز أن تأخذه مرة بالعرف العلم، أو تأخذه بالعرف الخاص، أى عرف العلماء، ومادام ذلك أمرا ظاهرا في الوجود كولوج الليل في النهار، وولوج النهار في الليل، أي أن الحق يدخل النهار في الليل، ويدخل الليل في النهار. وفي اللغة يسمون بطانة الرجل أي خاصة أصدقائه ع الوليجة الماذا ؟ الأنها تتداخل فيه الأنك إن أردت أن تعرف سر واحد من البشر فاجلس مع صديق له أو عددٍ من أصدقائه الذين يتداخلون معه.

لذلك جاء أمر إبلاج الليل في النهار وإبلاج النهار في الليل بالموضوح الكامل ، وإذا وجاءت مسألة الحياة والموت بألفاظ يمكن أن يفهمها كل من العامة والحاصة . وإذا كانت تلك الظواهر هي بعض من قدرات الله قمن إذن يستكثر على الله قدرته في أنه يؤتى المنك من يشاء ، ويعز من يشاء ، وينزع الملك نمن يشاء ، ويذل من يشاء ؟ لقد جاء الدليل من الآيات الكونية ، ونراه كل يوم وأي العين . وقل اللهم مالك الملك . . تؤنى الملك من تشاء وتنزع الملك من تشاء وتعز من تشاء وتذنى من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير ، إنك أنت يا الله ، الذي أجريت في كونك كل هذه المسائل وهي كلها أمور من الخير ، وإن بدا للمعض أن الخير فيها غير ظاهر .

إن الإنسان عندما يرى فى ابنه شيئا يحتاج إلى علاج فإنه يسرع به إلى الطبيب ويرجوه أن يقوم بكل ما يلزم لشفاء الابن ، حتى ولو كان الأمر يتطلب الندخل الجراحى . إن الأب هن يفعل الخير للابن ، والابن قد يتألم من العلاج ، فإذا كان هذا أمر المخلوق فى علاقته بالمخلوق ، فها بالنا بالخالق الأكرم الذى يجرى فى ملكه ما يشاء ، إبناء ملك أو نزعه ، وإعزازا أو إذلالا ، فكل ذلك لابد أن يكون من الخير ، وأيات الله تشهد بأن الله على كل شيء قدير لذلك يأتي بعد الآية السابقة قولة :

﴿ ثُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي النَّهَادِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَادَ فِي النَّيْلِ ۗ وَتُخْرِجُ ٱلْحَيْ مِنَ ٱلْمَيْتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيْتَ مِنَ ٱلْمَيْتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيْتَ مِنَ ٱلْمَيْتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيْتَ مِنَ ٱلْمَيْتِ وَمُرْزُقُ مَن ٱلشَّآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۞﴾

(سورة أل معران)

فإذا كان هناك إنسان لم يفطن أبدًا لمسألة إيلاج الليل في النهار أو إخراج الحي من الميت ، فإنه لابد أن يلتفت إلى رزقه ، فكل واحد منا يتصلى برزقه قهرا عنه ، وللذلك جاء الحق سبحانه جدًا الأمر الواضح : و وترزق من تشاء بغير حساب ه وساعة تسمح كلمة وحساب و فإنك تعرف أن الحساب هو كيا قلنا سابقا : يبين لك مالك وما عليك . م

وعندما نتأمل قول الحق: « وترزق من نشاء بغير حساب ه. فإننا نعلم أن « الحساب » يفتضى « عاسبا » ـ بكسر السين ويقتضى « عاسبا » ـ بفتح السين ويقتضى « عاسبا » ـ بفتح السين ويقتضى و عاسبا عليه » ، إن الحساب يقتضى تلك العناصر السابقة . فعندما يقول الحق : « وترزق من تشاء بغير حساب » فلنا أن نقول ؛ عمن ؟ ولمن ؟ من أين يأتى الرزق ؟ وإلى أين ؟ إنه يأتى من الله ، ويذهب إلى ما يقدره الله لأن الله هو الرزاق ، وهو الحق وحده ، وهو الذي لا يستطيع ولا يجرؤ أحد على حسابه ، فهو سبحانه الذي يحاسبنا جميعا ، لا شريك له ، وهو الفعال لما يريد .

إن الحساب يجريه الله على الناس ، وهو سبحانه لا يعطى الناس فقط على قدر حركتهم في الوجود"، بل يرزقهم أحيان بما هو فوق حركتهم . وقد يرزقك الله من شيء لم يكن عسوبا عندك ، لأن معنى الحساب هو ذلك الأمر التقديرى الذي يخطط له الإنسان ، كالفلاح الذي يحسب عندما يزرع الفدان ويتوقع منه نتاجا يساوى كذا إردبا أو قنطارا ، أو الصانع الذي يقدر لنفسه دخلا محددا من صنعته . هذا هو الحساب ، لكن الإنسان قد يلتفت فيجد أن عطاء الله له من غير حساب . وقد يحسب الإنسان هرة ولا يأتي له الرزق .

مثال ذلك : قائوا : إن دولة أعلنت أنها زرعت قمحا يكفى الدنيا كلها ، ولكن عندما نضج المحصول هبت عاصفة أهلكت الزرع ، وأكنت هذه الدولة قمحها من

QQ+QQ+QQ+QQ+QQ+QQ+Q\f+\AQ

الخارج . فمن قالوا عن أنفسهم : إنهم سيطعمون الناس أطعمهم الناس . أليس ذلك مصداقا لقول الحق : ومن غير حساب ، ؟ إنه الحق سبحانه لا يحسب حركتك أيها الإنسان ليعطيك قدرها ، ولكنه قد يعطيك أحيانا فوق حركتك .

ونحن نرى إخوتنا الذين أفاض الله عليهم بثروة البترول / لقد تفجر البترول من تحت أرجلهم دون جهد منهم / إنه الله يريد أن يلفت الناس إلى قدرته جل وعلاء وأن الأرزاق في يده هو . وننظر إلى الناس الذين يشيرون إلى منطقة البترول فيتهمون الهلها بالكسل ، وتجد أن الحق سبحاته وتعالى قد سخر لهم غير الكسالى ليخدموهم ، وعندما أفاء على المنطقة العربية بالبترول احتاجت لهم الدول التي تقول عن نفسها : إنها متقدمة ، إنه رزق بغير حساب .

إن هذه الملفتات إنما نؤكد للمؤمن طلاقة القدرة ، إن الحق قد خلق الأسباب ، ولم يترك الأسباب للإنسان ليعمل بها ، وقد يترك الحق الأسباب للإنسان ليعمل بها ، وقد لا يعطيه منها ، ويعطى الحق الإنسان من جهة أخرى لم يحسب لها حسابا . والإنسان المذى يتأمل تقدير أموره أو أمور من يعرف يجد أن تلك القضية منتشرة فى كل الخلق ، إنه سبحانه يرزق بغير حساب ، ولا يقول : «لقد فعلت على قدر يساوى كذا » ، والحق سبحانه يعطى يغير حساب من الإنسان ، لأن الموازنة التى قد يهوم بها الإنسان قد يأتى لها من الأسباب ما يخرقها .

إذن ه وترزق من تشاء بغير حساب ، تعنى قدرة الحق المطلقة على الرزق بغير حساب ولا توجد سلطة أعلى منه تقول له : لماذا فعلت ؟ أو ماذا أعطيت ؟ أو من غير حساب منه سبحانه لخلفه ، فيأتى الرزق على ما هو فوق أسباب الخلق ، أو من غير حساب للناس المرزوقين فيأتى ورزقهم من حيث لم يقدروا ، فإذا كانت كل هذه الأمور نق ، وهو مالك الملك ويعطى من يشاء ، ويعز من يشاء ، ويولج الليل في النهار ، ويرزق من يشاء بغير حساب ، أليس من الحمق أن يذهب إنسان ليوالى من النهار ، ويرزق من يشاء بغير حساب ، أليس من الحمق أن يذهب إنسان ليوالى من ولنهل نه ويترك هذا السلطان ، إن من يوالى غير الله هو الذى استبد به الغباء . ولنفطى لئلك القضية الإيجانية : أى فإدامت كل الأمور عندى فإياكم أن توالوا خصومي الذني أنا الذي بيده كل شيء ، هاهوذا القول الحق :

﴿ يَنَا أَيُّكِ اللَّهِ مِنْ وَاللَّهُ لَا لَهُ فَعِلْدُوا لِطَالَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَالُونَكُمُ خَبَالًا وَدُوا مَاعَيْتُمْ

تَذَّ بَدَتِ ٱلْبَغْضَاءَ مِنْ أَغْوَمِهِمْ وَمَا تُحْنِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيْنَا لَكُو ٱلْآيَتِ إِن كُنتُمْ تَمْقِلُونَ ﴿ إِنْ الْعَالِمِينَ الْعَالِمِينَ الْعَالِمُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ

(سورة ال عمران)

إنه الحق يأمرنا ألا نوالى إلا الله ، فإن كنت تجرى حسابا لكل شيء وبتقدير مؤمن فلا توال إلا صاحب هذه الأشياء ، وإيال أن تعمد إلى عدو لهذه القوة القاهرة الفادرة المستبدة في كل أمور الكون ونواميسه ، إيال أن تعمد إلى أعداء الله لتتخذ منهم أولياء ، لأنك لوفعلت تكون غير صائب التفكير .

حَيْثُ لَا يَتَخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَنفِرِينَ أَوْلِيآ مِن دُونِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَنفِرِينَ أَوْلِيآ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلُ ذَالِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّهِ فِي شَيْءٍ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلُ ذَالِكَ فَلَيْسَ مِن اللّهِ فَالْمَنْ مِن اللّهُ فَقَدَا أَن اللّهُ اللللّهُ اللللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ اللللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ اللّهُ الللّهُ اللللللّهُ اللّهُ الللللللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ اللللّهُ اللللللّهُ الللل

أنت لا تتخذ الكافر وليا إلا إن بانت لك مظاهر القوة فيه ، ومظاهر الضعف فيك ، إنك عندما تتأمل معنى كلمة « ولى » . تجد أن معناها « معين » وحين تقول : « الله هو الولى » فإننا نستخدم الكلمة هنا على إطلاقها ، إن كلمة الولى تضاف إلى الله على إطلاقها ، وتضاف بالنسبية والمحدودية لحلق الله / فالحق يقول :

﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ وَامُّنُواْ يُحْرِجُهُم مِنَ الظُّلُكَتِ إِلَى النُّورِ ﴾

(من الآية ٢٥٧ من سورة البقرة)

إن الله ولي على إطلاقه ، والحق يقول :

﴿ أَلَا إِنَّ أُولِيكَ } آللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ٢٠٠

(سورة يونس)

إن المفرد لأولياء الله هو ﴿ ولى الله ﴾ ، فالمؤمن ولى الله ﴾ والحق يقول :

﴿ هُنَا لِكَ ٱلْوَلَابَةُ لِلَّهِ ٱلْحَنِّي مُوخَدِّرٌ لَوَابًا وَخَيْرُ عُفْبًا ١٠٠

ر سورة الكهف

هكذا نلاحظ أن الولاية قد تضاف مرة إلى الله ، ومرة إلى خلق الله . إن الله ولى المؤمن ، وهذا أمر مقهوم ، وقد تتساءل : كيف يكون المؤمن ولى الله ؟ إنا تستطيع أن تفهم هذا المعنى كما يلى : إن الله هو المعين للعباد المؤمنين فيكون الله ولى الذين أمنوا ، أى معينهم ومقويهم . وأولياء الله ، هم الذين يتصرون الله ، فينصرهم الله ، وهو _ سبحانه _ الحق الذي قال :

﴿ يَنَأَيُّهَا الَّذِينَ وَامْنُوا إِن تَنْصُرُوا اللَّهُ يَنْصُرُكُمْ وَيُثَبِّتُ أَقْدَامَكُمْ ﴿ ﴾

(سورة عمد)

ألم يكن الله قادرا أن ينتقم من الكفار مرة واحدة وينتهى من أمرهم ؟ ولكن الحق سيحانه قال :

علا قَائِتُلُوهُمْ يَعَلِيْهِمُ اللهُ بِأَيْدِيكُ وَيُحْزِهِمْ وَيَنْصَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَسْفِ صُدُورٌ قُومِر مُؤْمِنِينَ ٢٠٠٠

(سورة التوبة)

إن الحق لوقاتلهم قان قتاله لهم سيكون أمرا خفيا ، وقد يقولون : إن هذه مسائل كونية في الوجود ۽ لذلك يأق بالقتال للمؤمنين الذين استضعفهم الكافرون . إذن مرة تُطلق ۽ الولي ۽ ويراد بها ۽ المعين ۽ . ومرة أخرى تُطلق كلمة ۽ الولي ۽ ويراد

بها و المعان ، لأنك إن كنت أنت ولى الله ، والله وليك فإنه الحق سيحانه ، معين ، لك وأنت ، معان ، .

إن الحق سبحائه يريد لمنهجه أن يسود بإيمان خلقه به ، وإلا لكان الحق سبحانه وتعالى قد استخدم طلاقة قدرته على إرغام الناس على أن يكونوا طائعين ، فلا أحد بقادر على أن يخرج عن قدرة الله ، والإنسان عليه أن يفكر تفكيرا وإضحا ، ويعرف أن حياته بين قوسين : بين قوس ميلاده وقوس وفاته ، ولا يتحكم الإنسان في واحد من القوسين ، فلهإذا مجاول التحكم في المسافة بين القوسين ؟ إذن القواميس الكونية بيد الله وتسير كالساعة ، إنه سبحانه يقول :

﴿ الْمَا أَنُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِينَ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (﴿ اللهِ اللهُ اللهِ المَا اللهِ اللهِ اللهِ المَا اللهِ اللهِ اللهِ المِلْمُوالمِ اللهِ اللهِ المِ

إن شيئا لم يخرج عن مراد الخالق الأعظم . إنما الحق سبحانه وتعالى أخذ هذه المسائل في حركة السياؤات والأرض بقوة قهره وقدرة جبروته ، فلا شيء يخرج من بده ، أما بالنسبة للعباد فهو سبحانه يريد أن يأخذ قوما بحب قلويهم ، إن الإبحان طريق متروك لاختيار الإنسان ، صحيح أن الحق قادر على أن يأق بالناس مؤمنين ، ولكنه يريد أن يرى من يجيء إليه وهو مختار ألا يجيء .

إن تسخير الأشياء يظهر لنا صفة القدرة الكاملة لله ، والحتيارات الإنسان هي التي تظهر صفة المحبوبية لله ، والله يريد لنا أن نرئ قدرته ، ويريد منا أن نتجه إليه بالمحبوبية لذلك يقول الحق : ولا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، لماذا ؟ لأن الكافرين وإن تظاهروا أنهم أولياء لك أيها المؤمن ، فهم يحاولون أن يحملوك تستنيم لهم ، وتطمئن إليهم وربحا تسللوا بلطف ودقة ، فلخلوا عليك مدخل المودة ، وهم ليسوا صادقين في ذلك ، لأنهم ماداموا كافرين ، فليس هناك النقاء في الأصل بين الإيمان وانكفر ؟ لذلك يقول الحق : « ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء » .

إن من يتخذ هؤلاء أولياء له ، فليس له نصيب من نصرة الله ، لماذا ؟ لأنه اعتقد

أن هؤلاء الكافرين قادرون على فعل شيء له . لذلك يُعذّرنا الله ويزيد المعني وضوحا أى : إياكم أن تغتروا بقوة الكافرين وتتخذوا منهم أونياء . ولا تقل أيها المؤمن : و ماذا أفعل ؟ و لأن الله لا يريد منك إلا أن تبذل ما تستطيع من جهد ، ولذلك قال سبحانه :

﴿ وَأَعِدُواْ لَهُمْ مَّا اسْتَطَعَّمُ مِن قُوْةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْفَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللّهِ وَعَدُوْكُمْ وَالْعَالَمُ مَا اللّهِ عَدُوْ اللّهِ وَعَدُوكُمْ وَمَا تُنفِعُواْ مِن شَى وَفِي سَبِيلِ اللّهِ بُوَفَ وَمَا تُنفِعُواْ مِن شَى وَفِي سَبِيلِ اللّهِ بُوفَ إِلَيْكُمْ وَالنّهُ لِللّهُ عَلَيْهُمْ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِعُواْ مِن شَى وَفِي سَبِيلِ اللّهِ بُوفَ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُعْلَمُونَ ﴾ [لَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُعْلَمُونَ ﴿ ﴾

(سبورة الأنفال)

إن الحق لم يقل: ﴿ أعدوا لهم ما تغلبونهم به ﴾ ، ولكنه قال: ﴿ أعدوا لهم ما استطعتم ﴾ . إن على المؤمن أن يعمل ما في استطاعته ، وأن يدع الباقي لله ﴾ ولذلك فهناك قضية قد يقف فيها العقل ، ولكن الله يطمئننا ؛ أي : لا تخافوا ولا تظنوا أن أعدادهم الكبيرة قادرة على أن نهزمكم ، ولا تسأل : ﴿ ماذا أنعل يا الله ﴾ ؟ لقد علمنا الحق ألا نقول ذلك ، وعلمنا ما يحمينا من هذا الموقف لذلك ،

﴿ سَأَلْنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفُرُواْ الرُّعْبَ فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانِ ﴾

(من الآية ١٢ من سورة الانفال }

إذن فساعة يلقى الله فى قلوب الذين كفروا الرعب فمإذا يصنعون مهما كان عددهم أو عديهم ؟ أليس فى ذلك نهاية للمسألة ؟ إن الرعب هو جندى ضمن جنود الله لا ولذلك فعلى المؤمن ألا يوالى الكافرين من دون المؤمنين ، الذا ؟ حتى لا ينطبق عليه القول الحتى : و ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء ، ويضع الحتى بعد ذلك عليه الاستثناء : و إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير ، .

إن الحق سبحانه وتعالى يعطى المنهج للإنسان وهو من خلقه سبحان ، ويعرف كل غرائزه ، والفعالاته ، وفكره ، وفي أنه قد تأتي له ظروف أقوى من طاقته ، لذلك

يعامل الحق الإنسان على أنه مخلوق محدود القدرات / وفي موضع آخر جاء الحق باستثناء آخر فقال :

﴿ وَمَن يُولِيمُ يُولِيدُ دُيُرُهُ - إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالِ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِسَةٍ نَقَدْ بَآ وِ يَعْضِب مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَنهُ جَهَنَّمُ وَبِنْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿ ٢٠٠٠﴾

(بسورة الأنقال)

إن الحق يقول في هذا الموضع من صورة ألى عمران : لا ينخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء ، إلا أن تنقوا منهم تقاة .

وتقاة ؛ مأخوذة من ؛ الوقاية › . إنهم قد يكونون أقويا، للغاية ، وقد لا يملك المؤمن بغلبه الظن في أن ينتصر عليهم ؛ وهم الكافرون ، فلا مانع من أن يتقى المؤمن شرهم .

إن التقية رخصة من الله ، روى : أن مسيلمة الكذاب جاء برجلين من المسلمين وقال لواحد منها : و أنشهد أن محمدا رسول الله » ؟ قال المؤمن و نعم » : قال مسيلمة : و وتشهد أنى رسول الله ؟ » قال المؤمن : و نعم » . وأحضر مسيلمة المسلم الأخر وقال له : و أتشهد أن محمدا رسول الله ؟ » قال المؤمن : و نعم » . قال مسيلمة : و أتشهد أنى رسول الله ؟ » قال المؤمن المئنى : و إنى أصم » كيف رد عليه المؤمن بدعوى الصمم ؟ لقد علم مسيلمة أنه يدعى الصمم ، ولذلك أخذه وقتله ، فرفع الأمر إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا قال ؟ قال صلى الله عليه وسنم : و أما المقتول . . فقد صدع بالحق فهنينا له ، وأما الآخر فقد أبحد برخصة الله ، فائتية رخصة ، والإفصاح بالحق فضيلة . .

وعهار بن ياسر أخذ بالرخصة وبلال بن رباح تمسث بالقرعة .

⁽۱) من تفسير الكشاف لزغشري بتصرف.

00+00+00+00+00+01110

ولتنظر إلى حكمة التشريع في هذا الأمر . إن كل مبدأ من مبادى، الخير جاء ليواجه ظاهرة من ظواهر الشر في الوجود ، وهذا المبدأ يحتاج إلى منهج بأني من حكيم أعلى منه ، ويريد صلابة يقين ، وقوة عزيمة ، كما يريد تحمل منهج ، فالتحمل إنما يكون من أجل أن يبقى المنهج للناس ، والعزيمة من أجل أن يواجه المؤمن الحصوم ، فلو لم يشرع الله التقية بقوله :

﴿ إِلَّا مَنْ أَكْرِهَ وَقَلْيُهُ مُظْمَعِنَّ بِٱلْإِيمَانِ ﴾

(من الآية ١٠٦ من سورة النحل)

لكنا حقيفة سنحقق الفدائية التي تفدى مناهج الحق بالتضحية بالحياة رخيصة في سبيل الله ، ولكن هب أن كل مؤمن وقف هذا الموقف فمن يحمل علم الله إلى الأخرين ؟ لذلك بشرع الحق سبحانه وتعالى التقية من أجل أن يبقى من يحمل المنهج ، إنه يقرر لنا الفداء للعقيدة ، ويشرع لما النقية من أجل بقاء العقيدة . لقد جاء الحق بالأمرين : أمر الوقوف في وحه الباطل بالاستشهاد في سبيل الحق ، وأمر النقية حماية لبعض الحلق حتى لا يضيع المنهج الحق لوجاء جمار ، واستأصل المؤمنين جميعا ، لذلك بشرع الحق ما يبقى للفداء قوما ، ويبقى للبقاء قوما ليحملوا منهج بعما ، هل عرفنا الآن لماذا جاءت النقية ؟ لأن الحق سبحانه وتعالى بريد منهجا يعمر الأرضى ويورث للأجيال المتتالية ، فلو أن الحق سبحانه وتعالى بريد منهجا يعمر الأرضى ويورث للأجيال المتتالية ، فلو أن الحق لم بشرع التقية بقوله :

﴿ مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنَ بَعَدِ إِيمَنْ بِهِ ۚ إِلَّا مَنْ أَكْرِهَ وَقَلْبُهُ مِ مُطْمَعِنَ ۚ بِأَلَا مَنْ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمَ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَقَلْبُهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿ فَا ﴾ *

(سورة النحل)

لئبتت الفدائية في العقيدة ، ولو تبتت الفدائية وحدها لكان أمر المنهج عرضة لان يزول ، ولا يرثه قوم أخرون ، لذلك شرع الله التقية ليظل أناس حول شمعة الإيمان ، يحنفظون بضوئها ؛ أعل واحدا يأخذ بقبسها ، فيضيء بها نورا وهاجا . ولذلك ، فلا ولاية من مؤمن لقوم كافرين إلا أن يتقى منهم تقاة ، لماذا ؟ لأن الله يحذرنا نفسه بقوله : « ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير » .

9181000+00+00+00+00+00+0

فإياك أن تقبل على السلوك الذي يضعه أمامك الكفار بانشراح صدر وتقول: أنا أقوم بالتقية / بل لابد أن تكون المسألة واضحة في نفسك ، وأن تعرف لماذا فعلت النقية ، هل فعلتها لتبقى منهج الخير في الوجود ، أو لغير ذلك ؟ هل فعلتها حتى لا تجعل جنود الخير كلهم إلى فناء أو غير ذلك ؟ إنك إن فعلت التقية بوعى واستبقيت نفسك لمهمة استبقاء المنهج الإيمان ، فأنت أهل الإيمان ، وعليك أن تعرف جيدا أن الحق قد قال : « ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير و . إنه الحق يقول للمؤمنين : إياكم أن تخلعوا على المنقية أمرا هو موغوب لنفوسكم ، لماذا ؟ لأن الحق قد حددها :

﴿ مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِبْمَنَنِهِ ۚ إِلَّا مَنْ أَكْرِهَ وَقَلْبُهُم مُطْمَعٍنَ بِٱلْإِيمَانِ وَلَنكِن مَن شَرَحَ بِالْلَكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَكُمُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۞ ﴾ شَرَحَ بِالْلَكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَكُمُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۞ ﴾

فلا غاية إلا الله ، فإباكم أن تغشوا أنفسكم ، لأنه لا غاية عند غيره ، فالغاية كلها عنده وبعد ذلك يقول الحق :

جَيْنَ فَلُ إِن تُخَفُّواْ مَا فِي صُدُودِكُمْ أَوْنَبُتُدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ صَحُلِ شَنَ وَقَدِيدٌ أَنَ الْمَعْمَا فِي السَّمَانَ وَقَدِيدٌ اللَّهِ الْمُعْمَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا فَي

لأن الإنسان قد يقوم بالتقية كظاهرة شكلية ، أما المؤمن فلا يفعل ذلك أبدا . لماذا ؟ لأن التحذير واضح في هذه الآية . هنا قد يقول قائل : إن إخفاء ما في الصدر هو الذي يعلمه الله أما إبداء ما في الصدر فإنه قد علمه أحد غير الله ، فلهاذا جاء هذا القول ؟ لقد جاء هذا القول الحكيم ، لأنه قد يطرأ على بالك أن الله غيب فهو يعلم

الغيب فقط ولا يعلم المشهد . لكن الله لا يحجبه مكان عن مكان أو زمان عن زمان . فإياك أن تعتقد أن الله غيب فلا يعرف إلا الغيب . إن الحق يعلم الغيب ويعلم ما برز إلى الوجود . وبعد ذلك يقول الحق :

إن العمل في ذاته ظاهرة تحدث وتنتهى ، فكيف يأى الإنسان يوم القيامة ، ويجد عمله ؟ إنه لاشك سوف بجد جزاء عمله ؛ إننا حتى الآن نفول ذلك ، لكن حين يفتح الله على بعض العقول فتكتشف أسرارا من أسرار الكون فقد يكون تفسير هذه الآية فوق ما نقول ، إنهم الآن يستطبعون تصوير شريط لعمل ما وبعد مدة يقول الإنسان للآخر ؛ انظر ماذا فعلت وماذا قلت إن العمل المسجل بالشريط يكون حاضرا ومصورا ؛ فإذا كنا نحن البشر نستطيع أن نفعل ذلك بوسائلنا فإذا عن حاضرا ومصورا ؛ فإذا كنا نحن البشر نستطيع أن نفعل ذلك بوسائلنا فإذا عن الصدر ، أرفى السياوات أو في الأرض ؛ إن الحكم الإلهى يشمل الكون كله مصداقا الصدر ، أرفى السياوات أو في الأرض ؛ إن الحكم الإلهى يشمل الكون كله مصداقا الحول الحق :

ويختم الحق هذه الآية بقوله : « والله على كل شيء قدير » إنه الفادر الذي يعلم عنا الغفلة ، فينبهنا دائيا إلى كيال قدرته ، كيا قال في آية قبلها : « إنك على كل شيء أقدير » ونحن مخلوقون لله ، وهو الفادر الأعلى ، الفادر على كل شيء ويأتي لكل منا بكتاب حسابه يوم الحساب :

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِنَ كِتَنْبُهُ مِيمِنْنِهِ ، فَيَقُولُ هَآدُمُ اقْرَهُ وَأَكِتَنبِهَ ١٠٠

(سورة الحالة)

إذن فمن تقف في عقله هذه المسألة ، فليقل : «ما عملت من خير محضرا » يعنى أنه يجد جزاء عمله ، أما ما عملته النفس من السوء فهى تود أن يكون بينه وبينها أمد بعيد ، أي غاية بعيدة ، ويقول الإنسان لنفسه : «يا لينها ما جاءت » . والحق سبحانه يقول : « ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد » إن الحق سبحانه يكرر التحذير لنستحضر قوته المطلقة ، ولكنه أيضا رءوف بنا رحيم ومن بعد ذلك يقول الحق سبحانه :

مَعْ اللهِ قُلْ إِن كُنتُ مَّ تُحِبُّونَ أَللَّهَ فَأَتَبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ أَللَهُ وَيَغْفِرُ لَكُرْ دُنُوبَكُرُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيبُ مَنْ اللَّهِ فَا تَبِعُونِي المُعْبِبِّكُمُ أَللَهُ

ولنا أن تعرف أن كل وقل الما جاءت في القرآن كذليل على أن ما سيأى من بعدها هو بلاغ من الرسول صلى الله عليه وسلم عن ربه ، بلاغ للأمر وللمأمور به ، إن البعض عن في قلوبهم زيغ يقولون : كان من الممكن أن يقول الرسول : وإن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحبيكم الله المؤلاء نقول : لو فعل الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك لكان قد آدى و المأمور به ، ولم يؤد الأمر بتهامه . لماذا ؟ لأن الأمر في وقل » . . والمأمور به «إن كنتم تحبون الله ، وكأن الرسول صلى الله عليه وسلم في كل بلاغ عن الله بدأ به قل «إنما يبلغ «الأمر » ويبلغ «المأمور به » مما يدل عن أنه

مبلغ عن الله في كل ما بلغه من الله .

إن الذين يقولون : يجب أن تحذف : قل ه من القرآن ، وبدلا من أن نقول : « قل هو الله أحد ، فلتنطقها : « الله أحد » . لهؤلاء نقول : إنكم تريدون أن يكون الرسول قد أدى « المأمور به » ولم يؤد » الأمر » .

إن الحق يقول: ه قل إن كنتم تحبون الله فاتبعون بجببكم الله ه هذه الآية تدل على ماذا؟ إنهم لابد قد ادعوا أنهم بجبون الله ، ولكنهم لم يتبعوا الله فيها جاء به رسوله صلى الله عليه وسلم ، فكأنهم جعلوا الحب الله شيئا ، واتباع التكليف شيئا آخر ، والله سبحانه وتعالى له على خلقه إيجاد ، وإمداد ، وتلك نعمة ، والله على خلقه فضل التكليف ، لأن التكليف إن عاد على المُكلف « يفتح الكاف وتشديد اللام » ولم يعد منه شيء على المُكلف بكسر الكاف فهذه نعمة من المكلف .

إن الحق سبحانه لا يحتاج إلى أحد ولا من أحد . إن الحق سبحانه عندما كلفنا إنما يريد لنا أن نتبع قانون صيانة حياة الإنسان . وقد ضربنا المثل ـ ولله المثل الأعلى، بالآلة المصنوعة بأيدى البشر ، إن المهندس الذى صممها يضع لها قانون صيانة ما ، ويضع قائمة تعليهات عن كيفية استعهالها ، وهي تتلخص في لا افعل كذا ي ولا لاتفعل كذا ، ، ويختار لهلم الآلة مكانا مخددا ، وأسلوبا منظها للاستخدام .

إذن . فوضع قائمة بالقوانين الحاصة بصيانة واستعيال آلة ما وطبعها في كراسة صغيرة ، هي لفائدة المنتفع بالصنعة . هذا في بجال الصنعة البشرية فيا بالنا بصنعة الله عز وجل ؟ إن لله إيجاد اللإنسان ، ولله تكليفا للإنسان ، ولله تكليفا للإنسان ، والحق قد جعل التكليف في خدمة الإيجاد والإمداد . إن الحق لو لم يعطنا نظام سركة الحياة في و افعل ، وو لاتفعل ، لفسد علينا الإيجاد والإمداد ، إن من تمام نعمة الحق على الخلق أن أوجد التكليف ، وإن كان العبد قد عرف قدر الله فأحبه للإيجاد والإمداد فليعرف العبد فضل وبه عليه أيضا من ناحية قبول التكليف ، وأن يجب العبد وبه لأنه كلفه بالتكاليف الإيمانية .

إنك قد تحب الله ، ولكن عليك أن تلاحظ الفرق بين أن تحب أنت الله ، وأن

جبك الله . إن التكليف قد يبدو شاقا عليك فتهمل التكليف ؛ لذلك نقول لك : لا يكفى أن تحب الله لنعمة إيجاده وإمداده ، لأنك بذلك تكون أهملت نعمة تكليفه التي تعود عليك يالخبر ، إن نعمة التكليف تعود عليك يكل الخبر عندما تؤديها أيها الإنسان ، فلا تهملها ، ومن الجائز أن تجد عبادا يجبون الله لأنه أوجدهم وأمدهم يكل أسباب الحياة ، ولكن حب الله لعبده يتوقف على أن يعرف العبد نعمته مسبحانه . في التكليف ، إن الله يحب العبد الذي يعرف قيمة النعمة في التكليف . .

ونحن في مجالمنا البشرى نرى إنسانا يجب إنسانا آخر ، لكن هذا الأخر لا يبادله العاطقة ، والمتنبى قال :

أنت الجبيب ولكنى أعدرذ بسه

من أن أكون حبيبا غمير عبوب إن المتنبى يستعيد أن يجب واحدا لا يبادله الحب . فكأن الذين يدعون أنهم يحبون الله ، لأنهم عبيد إحسانه إيجادا وإمدادا ، ثم بعد ذلك يستنكفون ، أولا يقدرون على حمل نفوسهم عمل أداء التكليف لحؤلاء نقول : أنتم قد منعتم شطر الحب لله ، لأن الله لم يكلفكم لصالحه ولكنه كلفكم لصالحكم ؛ لأن التكليف لا يفل عن الإيجاد والإمداد .

لماذا؟ لأن التكليف فيه صلاح الإيجاد والإمداد ، والحب كها نعرف مو ودادة القلب وعندما تقيس ودادة القلب بالنسبة لله ، فإننا فرى آثارها ، وعملها ، من عفو ورحمة ورضا ، وعندما تقيس ودادة القلب من العبد إلى الله فإنها تكون في الطاعة . إن الحب الذي هو ودادة القلب يقدر عليه كل إنسان ، ولكن الحق يطلب من ودادة القلب ودادة الفائب ، وعلى الإنسان أن يبتحث عن تكاليف الله ليقوم بها ، طاعة منه وحبا لله ، ليتلقى عبة الله له بآثارها ، من عفو ، ورحمة ، ورضا .

والحب المطلوب شرعا يختلف عن الحب بمفهومه الضيق ، أقول ذلك لنعلم جميعا ، أنه الحق سبحانه قائم بالقسط ، فلا يكلف شططا ، ولا يكلف نوق الوسع أو فوق الطاقة . إن الحب المراد لله في التكليف هو الحب العقل ، ولابد أن نفرق بين الحب العقل والحب العاطفي ، العاطفي لا يقتن له . لا أقول لك : وعليك أن تحب فلانا حيا عاطفيا ، لأن ذلك الحب العاطفي لا قانون له . إن الإنسان يحب ابته حتى ولو كان قليل الذكاء أو صاحب عاهة ، يجبه بعاطفته ، ويكره قليل الذكاء

ومقله

والإنسان حينها يرى ابن جاره أو حتى ابن عدوه ، وهو منفوق ، فإنه يجب ابن الجار أو ابن العدو بعاطفته ، ودليل ذلك أن الجار أو العدو بعاطفته ، ودليل ذلك أن الإنسان عندما توجد لديه أشياء جميلة فإنه يعطبها لابنه لا لابن الجيران ، هناك إذك مرق بين حب العقل ، وحب العاطفة .

والتكليف دائها يقع في إطار المقدور عليه وهو حب العقل ، ومع حب العقل قد يسأل الإنسان نفسه : ماذا تكون حياتي وكيف . . لولم أعتنق هذا الدين ؟ وماذا تكون الدنيا وكيف ، لولا رحمة الله بنا عندما أكرمنا بهذا الدين ؟ وأرسل لنا هذا المرب الكريم ؟ إن هذا حديث العقل وحب العقل .

وقد يتسامى الحب فيصير بالعاطفة أيضا ، لكن المكلف به هو حب العقل ، وليس الحب العاطفي م ولذلك يجب أن نقطن إلى ما روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه حينها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده وواللده والناس أجعين)(١) .

وقف سيدنا عمر عند هذه النقطة فقال: امعقول أن يكون الحب لك أكثر من النفس ؟ إنني أحبك أكثر من ماني ، أو من ولدى ، إنما من نفسى ؟ فقى النفس منها شيء . وهكذا ترى صدق الأداء الإيماني من عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكررها النبي صلى الله عليه وسلم ثانيا ، وثالنا ؛ فعرف سيدنا عمر أنه قد أصبحت تكليفا وعرف أنها لابد أن تكون من الحب المقدور عليه ، وهو حب العقل ، وليس حب العاطفة . وهنا قال عمر : لا الآن يا رسول الله ؟ ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : الآن يا عمر ، أي كمل إيمانك الآن ، أي أن سيدنا عمر قد فهم المواد بهذا الحب وهو الحب العقلي .

ونريد هنا أن تضرب مثلا حتى لا تقف هذه المسألة عقبة في القلوب أو العقول

⁽٢) رواء البخاري ومسلم والبسائي وابن ماجه وأحمد .

- نقول ... وقد المثل الأعلى: إن الإنسان ينظر إلى الدواء المرطعيا ويسال نفسه على أحبه أو لا ؟ إن الإنسان يجب هذا الدواء بمقله ، لا يماطفته

إذن فحب العقل هو ودادة من تعلم أنه صالح لك ونافع لديك وإن كانت نفسك تعافه الموجندما تتضح لك حدود نفع بالشيء فأنت تحبه بعاطفتك إذاً فالمطلوب للتكليف الإيجان و الحب العقل و و وبعد ذلك يتسامي ليكون و حبا عاطفيا و وهكذا يكون تمول الحق : و إن كنتم تحبون الله فاتبعون يجبيكم الله و وهذا الحب ليس دعوى . إن الإنسان منا عندما يدعى أنه يحب إنسانا آخر ، فكل ما يتصل به يكون محبوب الله الم يقل الشاعر : و وكل ما يفعل المحبوب محبوب و فإن كنتم تحبون وسول الله ... على الله عليه وسلم ، فاتبعوه يتنفيذ النكليف الإيمانية ، ولنلتقت إلى الفرق بين على البعني و و استمع لى و ...

إن الاتباع لا يكون إلا في السلوك ، فإن كنت تحب رسول الله فعليك أن ترى ماذا كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن تفعل مثله ، أما إذا كنت تدعى هذا الحب ، ولا تفعل مثلها فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا عدم صدق في الحب ، إن دليل صدقكم في الحب المدعى منكم أن تتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن اتبعنا رسول الله نكون قد أخذنا التكليف من الله على أنه نعمة ، وسلم ، فإن اتبعنا رسول الله نكون قد أخذنا التكليف من الله على أنه نعمة ، ونقبلها من الله مع ما فيها من مشقة علينا ، فيحبنا الله ، لأننا آثرنا تكليفه على المشقة في التكليف .

إن فهم هذه الأية يقتضى أن نعرف أن الحق يتبهنا فكأنه يقول لنا : أنتم أحببتم الله للإيجاد والإمداد، وبعد ذلك وقفتم في التكليف لأنه ثقيل عليكم ، وهنا تقول : و انظروا إلى التكليف أهو لصالح من كلف أم هو لصالح من تلقى التكليف؟، . إنه لصالح المكلف أي الذي نلقى التكاليف .

وهكذا يجب أن نضم التكليف للنحم ، فتصبح النعم هي و نعم الإيجادى ، وهكذا يجب أن نضم الإيجادى ، فهذا يقتضى أن وه الإمدادى ، فهذا يقتضى أن تحبه أيضا للتكليف ، ودليل صدق الحب هو قيام العبد بالتكليف ، ومادمت أنت قد عبرت عن صدق عواطفك بحبك لله ، فلابد أن يجبك الله ، وكل منا يعرف أن حبه لله يقدم ولا يؤخر ، لكن حب الله لك يقدم ويؤخر .

إن قول الحتى سيحانه وتعالى فيها يعلّمه لرسول الله ليقول لهم : « فاتبعون يجببكم الله » أى أن الرسول صلى الله عليه وسلم المرسل من عند الله جاء بكل ما أنزله الله ولم يكتم شيئا مما أمِر بتبليفه ، فلا يستقيم أن يضع أحد تفريقا بين رسول الله وبين الله ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم مبلغ عن الله كل ما أنزل عليه .

وبعد ذلك يقول الحق: « ويغفر لكم ذنوبكم » إن مسألة ، يغفر لكم » هذه تتضمن ما تسميه القوانين البشرية بالأثر الرجعي » فمن لم يكن في باله هذا الأمر ؛ وهو حب الله ، واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ، فعليه أن يعرف أن عليه مسئولية أن يبدأ في هذه المسألة فورا ويتبع الرسول صلى الله عليه وسلم وينفذ التكليف الإيجان ، وسيغفر له الله ما قد سبق » وأى ذنوب يغفرها الله هنا ؟ إنها الذلوب التي فر منها بعض العباد عن أتباع الرسول ، فجاء الرسول صلى الله عليه وسلم بالحكم فيها .

وهكذا نعرف ونتيقن أن عدالة الله أنه سبحانه لى يعاقب أحدا على ذنب سابق مادام قد قبل العبد أن ينفذ التكليف الإيجابي عين إن الذين أبلغهم وسبول الله صلى الله عليه وسلم كان يجب عليهم أن يقطنوا يعقولهم إلى ما أعلنه الرسول لهم له إن هذا الأمر لا يكون حجة إلا بعد أن صار بلاغا، وقد جاء البلاغ ، ولذلك يغفر الله الذنوب السابقة على البلاغ ، وبعد ذلك يقول الحق : « والله غفور رحيم ، إننا نعلم أن المغفرة من الله والرحمة منه أيضا ، وبعد ذلك يقول الحق :

﴿ قُلْ أَطِيعُواْ أَلِلَّهُ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَالْ اللَّهُ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاللَّهُ اللَّهُ لَا يُحِبُ الْكَنْدِينَ ٢٠٠٠ فَإِنَّ اللَّهُ لَا يُحِبُ الْكَنْدِينَ ٢٠٠٠ فَإِنَّ أَلَلْهُ لَا يُحِبُ الْكَنْدِينَ ٢٠٠٠ فَإِنَّ أَلَهُ لَا يُحِبُ الْكَنْدِينَ ٢٠٠٠ فَإِنَّ اللَّهُ لَا يُحِبُ الْكَنْدِينَ ٢٠٠٠ فَإِنَّ اللَّهُ لَا يُحِبُ الْكَنْدِينَ ٢٠٠٠ فَإِنَّ اللَّهُ الللَّهُ اللَّلَّالَةُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّالَّاللَّالَةُ الل

وقد قلت من قبل في مسألة الأمر بالطاعة ، إنها جاءت في القرآن الكريم على ثلاثة ألوان : فمرة يقول الحق : « أطبعوا الله والرسول » . كها جاء بهذه الآية التي

0151700+00+00+00+00+0

نحن بصدد تناولها بخواطرنا الإبمانية . ونلاحظ هنا أن الحق سبحانه لم يكرر أمر الطاعة ، بل جمل الأمر واحدا ، هو ي أطبعوا ، فإذا سألنا من المطاع؟ تكون الإجابة . الله والرسول معا .

إذن فقول الرسول صلى الله عليه وسلم بلاغا عن الله التبعول يحببكم الله الله يعنى الله المؤدن المؤمنين للرسول من طاعة الله . إن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يأمرنا بطاعته ، ولكنه يأمرنا بطاعته الله ، ولذلك لم يكرر الحق أمر الطاعة ، إنّ الحق هنا يوحد أمر الطاعة فيجعلها لله وللرسول معا ، إنه يعطف على المطاع الأول وهو الله يمطاع ثانٍ هو الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويقول الحق في كتابه العزيز :

﴿ قُلَ أَطِيعُواْ اللهُ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ ۚ فَإِن تُوَلَّواْ فَإِنَّكَ عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْتُمُ مَا حَمِلْتُمُ وَإِن تُعِلِيعُوهُ تَهْنَدُواْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَكِئُ الْمُبِينُ ﴿ ﴾

(سورة النور)

إن الحق يورد أمر الطاعة ثلاث مرات ؛ فمزة يكون أمر الطاعة لله ، ومرة ثانية يكون أمر الطاعة للرسول صلى الله عليه وسلم؛ ومرة ثالثة يقول الحق :

﴿ يَنَا يُهِمَا الَّذِينَ وَامْنُواْ أَطِيعُواْ اللَّهُ وَاطِيعُواْ الرَّمُولَ وَأَوْلِي الأَمْرِ مِنكُرْ أَفَإِن نَنَنزَعُتُمْ فِي مُنىٰ وَفَرُدُوهُ ۚ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْبُوْمِ الْآنِمِ ۚ قَالَكَ يَحِيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿ }

لا سورة النساء }

فها مسألة هذه الأوامر بالطاعة ؟ إنها طاعة بالوان التكليف وأنواعها يم إن الأحكام المطلوب من المؤمنين أن يطيعوا فيها ، مرة يكون الأمر من الله قد جاء بها وأن يكون الرسول قد أكدها بقوله وسلوكه يم إن المؤمن حين يطيع في هذا الأمر الواحد ، فهو يطيع الله والرسول معًا يم ومرة يأتي حكم من الله إجمالاً ، ويأتي الرسول ليقصله .

ध्यक्षिश्य

﴿ وَأَنِيمُوا الصَّلَوْةَ وَمَا تُوا الزِّكَوْةَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحُونَ ٢

(سورة النور)

إن الواحد منا لم يكن يعرف كم صلاة في اليوم ، ولا عدد الركعات في كل صلاة ، ولا نعرف كيفيتها لكن الرسول صلى الله عليه وسلم قد فصل لنا الأمر في كل صلاة ، إذن ، فالمؤمن يطبع الله في الإجمال ، ويطبع الرسول في التقصيل . إن علينا أن نلتفت إلى أن منا طاعتين : الأولى : طاعة الله ، والثانية : طاعة الرسول ، أما في الأمرالمتحد ، فتكون الطاعة لله والرسول به لانه أمر واحد . وأما الأمر الذي جاء من الله فيه تكليف إجمالي فقد ترك الله للرسول صلى الله عليه وسلم بيانه ، فالمؤمن يطبع الله في الأمر الإجمالي كأمر الصلاة ، وإقامتها ، ويطبع الرسول في فالمؤمن يطبع الله للمول في نقصيل أمر الصلاة ؛ وكيفيتها ، وأحيانا يجيء الحكم بالتقويض الأعلى من الله للرسول ، فيقول الله لرسوله ما معناه إنك أنت الذي نقرر في هذه الأمور ، كيا قال الحق :

﴿ وَمَا عَالَنَكُ ٱلرِّسُولُ فَنَفُذُوهُ وَمَا نَهَنَكُ عَنَّهُ فَالنَّهُوا اللَّهِ

(من الآية ٧ من صورة العشر)

لقد ترك الحق سبحانه للرسول أن يصدر النشريمات اللازمة و الاستقامة سياة المؤمنين و لقد أعطاه الحق سبحانه التفويض العام و ومادام سبحانه قد أعطى الرسول صلى الله عليه وسلم النفويض العام فإن طاعة المؤمن تكون للرسول فيها يقوله الرسول وإن لم يقل الله به . إننا على سبيل المثال الا نجد في القرآن دلبلا على أن صلاة الفجر ركعتان ، لكن الرسول صلى الله تخليه وسلم هو الذي فصل لنا الصلاة فعرفنا أن الفجر ركعتان ، والظهر أربع ركعات ، والعصر مثل الظهر ، والمغرب ثلاث وكعات ، والعصر ألم الرسول ، وقول ثلاث وكعات ، والعشاء أربع ركعات . إن الدليل هو تفصيل الرسول ، وقول الحق :

ع وَمَا عَاتَنْكُ أَلْسُولُ فَخُذُوهُ وَمَانَهُنَكُمْ عَنْهُ فَٱنتُهُوا ﴾

(من الآية ٧ من سورة المشر)

@\{*\@@****@@****@@****@@****@@****@

إنه دليل من القرآن الكريم . هكذا نعرف أن الأمر بالطاعة جاء بالقرآن على الوان ثلاثة : اللون الأول : إن اتحد المطاع و الله والرسول ، ان عطف الرسول هنا يكون على لفظ الجلالة الأعلى . اللون الثانى : هو طاعة الله في الأمر الإجمالي وطاعة الرسول في تفصيل هذا الأمر ، فإن الحق يقول : ، أطبعوا الله وأطبعوا الرسول ، اللون الثالث : وهو الذي لم يكن بله فيه حكم ، ولكنه بالتفويض العام للرسول ، الموت الخق : ووما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ، هذه طاعة للرسول ، علم يأتي في أمر طاعة أولى الأمر فيقول الحق :

﴿ يَنَا أَيْهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَوْلِ الأَمْرِ مِنكُو ۚ فَإِن تَنَدَرْعُمْ فِي مُن و فَرْدُوهُ إِلَى آللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْبَوْمِ الْآنِيرِ ۚ ذَلكَ يَحِيرُ وَأَحْسَنُ تَالُّو بِلّا ۞ ﴾

(سورة النساء)
إن الحق لم يورد طاعة أولى الأمر مندمجة في طاعة الله والرسول ، لتكون طاعة واحدة . لا . إن الحق أورد طاعة أولى الأمر في الآية التي يفرق فيها بين طاعة الله وطاعة الرسول ، ثم من بطن طاعة الرسول تكون طاعة أولى الأمر ، لماذا ؟ لأنه لا توجد طاعة ذاتية لأولى الأمر ؟ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم له الطاعة الذاتية . أما طاعة أولى الأمر فهى مستمدة من طاعة أولى الأمر نله ورسوله ، ولا طاعة لأولى الأمر فهى مستمدة من طاعة أولى الأمر نله ورسوله ،

إن الحق يقول: ﴿ قُل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين ﴾ . إن الله يبلغ الرسول أن يبلغ هؤلاء الذين قالوا : إنهم يحبون الله ، بالشروط التي يمكن أن يبادل بها الحق عباده الحب ، وذلك حتى تتحقق الفائدة للبشر ، لأن محبة الله تفوق ما يقدمه البشر من حب . إن اتباع الرسول وتنفيذ التكليف بالطاعة لله والرسول .

ذلك هو أسلوب تعبير العباد عن حبهم لله وللرسول صلى الله عليه وسلم ، أما إن تولوا ، أى لم يستمعوا إليك يا محمد ، ولم يتبعوك ، فإن موقفهم ـ والعياذ بالله ـ ينتقل إلى الكفر ، لأن الحق يقول عن الذين يتولون عن الله والرسول : ﴿ فإن تولوا فإن الله لا يجب الكافرين ﴾ . وليس هناك تفظيع أكثر من هذا .

إن كلمة « تولوا » توحى بأن الذين استمعوا إلى أوامر الحق قد نفروا وأعرضوا ، فهم لم يأخذوا حكم الله ، ثم منعهم الكسل من تنفيذه . لا . إنهم أعرضوا عن حكم الله ـ والعياذ بالله ـ ولذلك فقد قلت ومازلت أقول : فليحذر الذبن يخالفون عن أوامر الله ألا يفرقوا بين أمر متقبل على أنه الحكم الحق وبين حمل النفس على اتباع الحكم وتنفيذه .

إياث أيها المسلم أن تنكر حكم لا تستطيع أن تحمل نفسك عليه أو لا تقدر عليه . إنك إن أنكرت تنفل نفسك من دائرة الإسلام إلى دائرة الكفر والعياذ بالله : ولكن عليك أن تؤمن بالحكم ، وقل : وإنه حكم الله وهو صواب ولكني لا أستطيع أن أقدر على نفسي ، إن ذلك مجعل عدم تنفيذ الحكم معصبة فقط . ويأتي الحق حسيحاته _ بعد أن بين لنا أصول العقائد في قوله :

﴿ مُبِدَ اللهُ أَمَّهُ لِآ إِنَّهُ إِلَّا مُرَوَالْمُلَتَبِكَةُ وَأَرْثُواْ الْمِلْمِ قَالَمِنَا بِالْقِسْطِ لآ إِنَّهُ إِلَّا مُوَالْمُلَتِهِ فَا أَمِنَا لِمُرْدِا الْمِلْمِ اللهِ عَلَيْهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ ا

(سورة ال عمران)

وبعد أنْ بشر الحق المؤمنين بأنه سبحانه وتعالى يعطيهم الملك الإيماني وأنه الإله المقادر ، وطلاقة قدرته تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل ، وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي ، وبعد أن رسم سبحانه طريق محبته ، فإن كنتم قد أحببتم الله للإيجاد والإمداد ، وتريدون أن يجبكم فعليكم بطاعة الله والرسول صلى الله عليه وسلم في تنفيذ التكاليف .

وبعد أن وضع الله سبحانه وتعالى المبادى، الإبجانية عقدية وتشريعية ، بعد هذا و ذاك يعطى لنا غاذج تطبيقية من سلوك الحنلق ، ذلك أن هناك فرقا بين أن توضيع نظريات ويأتى الأمر للتطبيق فلا تجد من يطبق ، إن الحق لم يكلف شططا ولا عبثا / إن الله يقول لنا : أنا كلفت بالتكاليف الإيجانية ومن الحلق أمثالكم من استطاع أن يسير عليها وأن ينفذها ، لذلك يعرض الحق لنا النهاذج التي توضح ذلك .

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مبعوثا إلى أمة أمية ، وكان الإسلام جديدا عليهم ، ولذلك يعرض الحق نماذج قديمة ، وهذه النهاذج تؤكد لنا أننا في دين

01£TY-00+00+00+00+00+00+0

الإسلام لا نجد تعصبا؛ لأن الدين الذي جاء من الله على آدم عليه السلام هو الدين الذي جاء به إبراهيم عليه السلام من عند الله وهو الدين الذي نزل إلى آل عمزان وموسى عليه السلام وعيسى عليه السلام .

إن الحق يعطى صفات التكريم لأهل أديان منسوبين إلى ما أنزله الله عليهم من منهج . وجاء الإسلام لينسخ بعضا مما جاء في تلك الرسالات السابقة ويضعها في منهج واحد باق إلى يوم القيامة ، هو منهج الإسلام ، إنه مطلق العظمة . هاهوذا الحق يقول :

﴿ إِنَّ اللهَ أَصْطَانَىٰ ءَادُمُ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرُهِيتُمُ وَءَالَ عِمْرُنَ عَلَى ٱلْعَلَمِينَ وَءَالَ عِمْرُنَ عَلَى ٱلْعَلَمِينَ الْعِمْرُنَ عَلَى ٱلْعَلَمِينَ اللهِ اللهِ

إنها عدالة القرآن الكريم ، إنه الحق العادل الذي ينزل على الرسول بلاغا يذكر الأبناء بطهارة أصول الآباء ، ومن الحسارة أن يصير الأبناء إلى ما هم عليه . 2 إن الله اصطفى آدم ، وكلمة واصطفى ، تدل على اختيار مرض . ولنا أن نسأل : هل اصطفى الحق هؤلاء الرسل ، آدم ونوحًا ، وآل إبراهيم ، وآل عمران فكانوا طائعين ، أم علم الحق أزلا أنهم يكولون طائعين فاصطفاهم ؟ إن الحق علمه أزلى ، وعلمه ليس مرتبا على شيء . وساعة أن تأتي أنت بقانونك فاصطفاهم ؟ إن الحق علمه أزلى ، وعلمه ليس مرتبا على شيء . وساعة أن تأتي أنت بقانونك علمه أبيرى وتنفرس في إنسان ما ، وتوليه أمرا ، وينجح فيه ، هنا تهنيء نفسك بأن فراستك كانت في علمه الله واقتداره ؟

إن الذين اصطفاهم الله هم الذين علم الله أزلا أنهم سيكونون طائعين ، وقد يقول قائل : إنهم طائعون لله بالاصطفاء ، لمثل هذا القائل نرد : إنهم طائعون بالنفس بالنفس العامة ويكونون في مزيد من الطاعة بعد أن يأخذوا التكليف بالنفس الحاصة ، إنهم طائعون من قبل أن يأخذوا أمور التكليف ، ولو تركهم الحق للأمور

00+00+00+00+00+00+018440

العقلية لاهتدوا إلى طاعته ، وعندما جاءهم الأمر التكليفي ويصطفيهم الله يكونون رسلا وحملة منهج سهاوي .

عندما يسمع الإنسان قول الحق: ﴿ إِنْ الله اصطفى آدم ﴾ فقد يتساءل عن معناها ، ذلك أن من اصطفاء الله لأدم تأق إلى الذهن بمعنى و خصه ﴾ بنفسه أو أخذه صفوة من غيره ، فكيف كان اصطفاء آدم ، ولم يكن هناك أحد من قبله ، أو معه لأنه الحلق الأول ؟ إننا يمكن أن نعرف بالعقل العادى أن اصطفاء الله لتوح عليه السلام ؛ كان اصطفاء من يشر موجودين ، وكذلك اصطفاء إبراهيم خليل الرحمن وبقية الأنبياء .

إذن ، فكيف كان اصطفاء آدم ؟ إن معنى ، اصطفى آدم ، كيا قلنا ـ تعنى أن الله قد اختاره أو أن ، المصطفى عليه ، يأق منه ومن ذريته . ثعم وقد جاء المصطفى عليه من ذريته ، وهذا المعنى يصلح ، والمعنى السابق عليه يصلح أيضا . إن الحق يقول : « إن الله اصطفى آدم ونوحا ، ونحن نعلم أن سيدنا نوحًا عليه السلام واجه جاعة من الكافرين به ، فأغرقهم الله في الطوفان،ونجا نوح ومن معه يأمر الله .

﴿ حَتَىٰ إِذَا جَآءَ أَمْرُ نَا وَهَارَ النَّنَوُدُ قُلْنَا آمُيلٌ فِيهَا مِن كُلِّ زَوَّجَيْنِ الْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ المَنَّ وَمَا المَنَّ وَمَا المَن مَعَدُم إِلَّا قَلِيسلٌ ﴿ ﴾

(سورة غرد)

إن الذين بقوا من بعد نوح عليه السلام كانوا مؤمنين ، ثم تعرضوا للأغيار . وجاءت هذه الأغيار في أعقابهم ، فنشأ كفر وإيمان ، لماذا ؟ لأن آدم عليه السلام حين خلقه الله وضع له التجربة التكليفية في الجنة ، كان من الواجب أن ينقل ما علمه له الله لأبنائه .

لقد نقل آدم لهم مسائل صيانة مادتهم وعلمهم كيف يأكلون ، وكيف يشربون ، وغير ذلك ، وكان يجب أن تكون معهم القيم . إن آدم عليه السلام قد آدى ذلك ، وعلم أبناء كيفية صيانة مادتهم وعلمهم القيم أيضا ، ولكن بمرور الزمان ، ظل بعض من أبناء آدم يتخففون من التكاليف حتى اندثرت وذهبت . ومن رحمة الله بعض من أبناء آدم يتخففون من التكاليف حتى اندثرت وذهبت . ومن رحمة الله بغض من أبناء آدم يتخففون من التكاليف حتى اندثرت وذهبت .

9111400+00+00+00+00+00+0

والرسالة الجديدة تعطى ما كان موجودا أولا ، فيها يتعلق بالعقائد والأخبار ، والأشياء التي لا تتغير ، وتأني الرسالة الجديدة بالأحكام المناسبة لزمن الرسالة . فإذا ما أمكن للبشر أن يعدلوا من سياسة البشر ، يظل الأمر كها هو ، فإن ارتكب واحد منكوا وضرب قومه على يده ، استقام أمر الرسالة وبقيت هذه الأمة على الخير . لماذا ؟ لأن مصافى اليقين في النفس الإنسانية موجودة ، ونحن نراها ونلمسها . إن هناك واحدا تجد مصافى اليقين في ذاته ، وقد لا يقدر على نفسه ، فيرتكب المعصية ، وتلومه نفسه ، فيرجع عن المعصية .

ومرة أخرى نجد إنسانا آخر لا يجد فى نفسه مصافى اليقين ، ولكنها موجودة فى غيره ، فنجد من يأمره بالمعروف ، وينهاه عن المنكر ، فإذا امتنعت المصافى الذائية للإنجان ، وكذلك امتنعت المصافى الإنجانية فى المجتمع ، فلا أمل هنالك ، لذلك يجب أن يأتى رصول جديد ، وينبه الناس بمعجزة ما .

لقد شاءت إرادة الحق سبحانه ألا يأتي رسول آخر بعد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وفي ذلك شهادة لأمة محمد صلى الله عليه وسلم بأن الله أمنها على منهج الله ، فإذا مُنِعت من أي نقس مصافيها الذاتية . فستبقى مصافيها الاجتهاعية ، ولابد أن يكون في أمة محمد ذلك ، لأن امتناع ذلك كان يستدعى وجود نبي جديد .

إن الله أمن أمة محمد على منهجه ، ولذلك لم يأت نبى بعد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم . لقد أمن الحق أمة محمد فلم يمنع فيها أبدا المصافى الذاتية أو الاجتماعية ، ولذلك بأى القول الحق :

﴿ كُنتُمْ خَيْرُ أُمَّةٍ أُنْفِيجَتَ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُونِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكِرِ وَتُوْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾

(من الآية ١١٠ من سبرة أل عمران)

بإن هذا توجيه لنا من الحق لنعرف أن المصافى الاجتهاعية سنظل موجودة فى أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، إذن فبعد حدوث الغقلة من بعد نوح عليه السلام جاء الله باصطفاءات أخرى رحمة منه بالعالمين ، ويقول الحق : «إن الله اصطفى آدم وتوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين » . ونحن نقول على ابراهيم عليه السلام : «أبو الأنبياء » وأورد الحق نبأ بعض من أبناء آل إبراهيم ، وهم آل عمران وأعطاهم ميزة .

وكلمة وعمران و هذه حين ترد في الإسلام فلنا أن نعرف أن هناك اثنين لها الاسم نقسه ، هناك و عمران و والند موسى وهارون عليها السلام . وهناك و عمران و أخر . إن عمران والد موسى وهارون كان اسم أبيه و يصهر و وجده اسمه و فاهاك و ، ومن بعده و لاوى و ومن بعده و يعقوب و ، ومن يعده و إسحق و ، وبعده و إبراهيم و ، أما عمران الآخر ، فهو والد مريم عليها السلام .

وقد حدث إشكال عند عدد من الدارسين هو ه أى العمرانين يقصده الله هنا ؟ ه والذى زاد من حيرة هؤلاء العلماء هو وجود أخت لموسى وهارون عليها السلام اسمها مريم ، وكانت ابنة عمران والد موسى وهارون فكلتاهما اسمها مريم بنت عمران . وكانوا في ذلك الزمن يتفاءلون باسم « مريم » لأن معناه « العابدة » ، ولما اختلفوا لم يقطنوا إلى أن القرآن قد أبان وأوضح المعنى ، وكان يجب أن يفهموا أن المقصود هنا ليس عمران والد موسى وهارون عليها السلام ، بل عمران والد مريم ، ومنها عيسى عليه السلام » وعمران والد مريم هو ابن ماثان ، وهو من نسل مريم ، وسليان من داود ، وداود من أوشى ، وأوشى من يهوذا ، ويهوذا من يعقوب ، ويعقوب من إسحق .

وكنا قديما أيام طلب العلم نضع لها ضبطا بالحرف ، فنقول لا عمعم سدئيًا لا ومعناها . عينى بن مربم ، ومربم بنت عمران ، وعمران ابن ماثان ، وماثان من سليمان ، من داود من أوشى وأوشى من يهوذا ويهوذا من يعقوب ويعقوب من إسحاق . لقد النبس الأمر على الكثير وقالوا : أى العمرانين الذى يقول الله فى حقه هذا القول الكريم ؟ ولحؤلاء نقول : إن مجىء اسم مربم عليها السلام من بعد ذلك يعنى أنه عمران والد مربم ، وأيضا يجب أن نقطن إلى أن الحق قد قال عن مربم :

﴿ فَنَقَبْلُهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنِ وَأَنْبَتُهَا نَبَانًا حَسَنَا وَكَفَّلُهَا زَكِرٍ يَأْ كُلَّا دَخَلَ عَلَيْهَا وَكَثِّلُهَا رَكِفًا لَهُ كُلِّهَا وَكُو عَلَيْهَا وَكُو لَمُ اللّهِ عَنْدًا قَالَتُ هُو مِنْ عِندِ وَكُو يَا اللّهِ حَرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَسْمَرْيَمُ أَنِّنَ لَكِ هَنَدًا قَالَتُ هُو مِنْ عِندِ اللّهِ اللّهُ اللّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآهُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿ ﴾

(سورة ال عمران)

(現)(鉄) (C)(ET)(OO+OO+OO+OO+OO+OO+O

وزكريا عليه السلام هو ابن آذن ، وآذن كان معاصرا لماثان . إن المراد هنا هو عمران والد مريم . هكدا حددنا أى العمرانين يقصد الحق بقوله : وإن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين » . وعندما تقول : اصطفيت كذا على كذا ي فمعنى ذلك أنه كان من الممكن أن تصطفى واحدا من محموعة على الأخرين ، ولذلك نفهم المقصود به على العالمين » أى على عالمي زمانهم ، إنهم قوم موجودون وقد اصطفى منهم واحدا » أما الذي سيولد من بعد ذلك فلا اصطفاء عليه ، فلا اصطفاء على محمد صلى الله عليه وسلم ، ويقول الحق بعد ذلك :

﴿ ذُرِيَّةُ أَبِعَضُهَا مِنْ بَعَضِ أَوَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمُ ﴿ فَ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ عَلِيمُ

وحين يقول: « ذرية بعضها من بعض » فلنا أن نسأل : هل المقصود بذلك الأنساب أم الدين والقيم ؟ ولنا أن تلتفت أن الحق قد علمنا في مسألة إبراهيم غليه السلام أن الأنساب بالمدم واللحم عند الأنبياء لا اعتبار لها ، وإنما الأنساب المعترف بها بالنسبة للأنبياء هي أنساب المقيم والدين . وكنا قد عرضنا من قبل لما قاله الحق :

﴿ وَإِذِ أَبْسَانَ إِرَامِتَ دَبُّهُ بِكِلْمَنِ فَأَغَمُّونَ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ اِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيقِي ﴾

(من الآية ١٢٤ منورة البقرة)

فردها الله عليه قائلا :

﴿ لَا يَثَالُ عَهْدِي ٱلظَّائِينَ ﴾

(من الآيةِ ١٣٤ ميرية البقرة)

لماذا ؟ لأن الإمام هو المقتدى فى الهدايات . إذن فالمسألة ليست ورائة بالدم . وهكذا علم سيدنا إبراهيم ذلك بأن النسب للأنبياء ليس بوراثة الدم ، إذن فنحن نفهم قول الحق : ٥ ذرية بعضها من بعض ٤ على أنها ذرية فى توارثها للقيم . ونحن نسمع فى القرآن :

﴿ الْمُنتَفِقُونَ وَالْمُتَنفِقَاتُ يَعْضُهُم مِن بَعْضٍ يَالْمُرُونَ بِالْمُنكِيرِ وَيَثْهَوْنَ عَنِ الْمُتَنفِقُونَ وَيَلْهُونَ عَنِ الْمُتَنفِقُونَ وَيَقْبِونَ أَيْدِيَهُمْ فَلَيْسَهُمْ إِنَّ الْمُنتفِقِينَ هُمُ ٱلْفَاسِقُونَ ﴿ ﴾ الْمُعَرُونِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ فَسُوا اللّهَ فَنسِيهُمْ إِنَّ الْمُنتفِقِينَ هُمُ ٱلْفَاسِقُونَ ﴿ ﴾ المُعَروفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ فَسُوا اللّهَ فَنسِيهُم إِنَّ الْمُنتفِقِينَ هُمُ ٱلْفَاسِقُونَ ﴿ ﴾ المُعَروفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيهُمْ فَنسُوا اللّهَ فَنسِيهُمْ إِنَّ الْمُنتفِقِينَ هُمُ اللّهَ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهُ اللّ

إن هذا النفاق ليس أمرا يتعلق بالنسب وإنما يتعلق بالقيم ، إنها كلها أمور تيمية ، وحين يفال : « والله سميع عليم » أيّ أن الله يعرف الأقوال وكذلك الأفعال والخبايا . وبعد ذلك يقول الحق :

عَلَيْ إِذْ قَالَتِ آمَرَاَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّى نَذَرَتُ لَكَ مَا فِي بَطَنِي مُحَرَّرُا فَتَقَبَّلُ مِنْ يَّ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسِّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿ مَا فَيَكَ مَا فِي

وعندما تقرأ « إذ » فلتعلم أنها ظرف ويُقدر لها في اللغة » اذكر » ، ويقال « إذ جئتك » أي « اذكر أن جئتك » . وعندما يقول الحق : « إذ قالت امرأة عمران » فبعض الناس من أهل الفتح والفهم برون أن الحق سبحاته سميع عليم وقت أن فألت امرأة عمران : « رب إن نذرت لك ما في بطني » ، وهم يحاولون أن يربطوا هذه الآية بما جاء قبلها ، بأن الله سميع وغليم . ونقف عند قول امرأة عمران : « رب إني نذرت لك ما في بطني شحروا » .

إننا عندما نسمع كلمة ؛ محررا » فمعناها أنه غير مملوك لأحد فإذا قلنا : ٥ حررت

0187700+00+00+00+00+00+0

العبد ۽ يعني ينصرف دون تبد عليه . أو ۽ حررت الكتاب ۽ أصلحت ما فيه . إن تحرير أي أمر ، هو إصلاح ما فيه من فساد أو إطلافه من أي ارتباط أو قيد . أما قولها : ۽ رب إن نذرت لك ما في بطني محررا ۽ هو مناجاة لله ، فيا الدافع إلى هذه المناجاة لله ؟

إن أمرأة بحمران موجودة في بيئة ترى الناس تعتز بأولادها ، وأولاد الناس ـ كها نعلم ـ يحكمون حركة الناس ، والناس تحكم حركة أولادهم ، ويكد الناس من أجل أن يكون الأبناء عزوة ، وقرة عين ، ويتقدم المجتمع بذلك التواصل المادى ، ولم تعجب امرأة عمران بذلك ، لقد أرادت ما في بطنها محررا من كل ذلك ، إنها تريده محررا منها ، وهي محررة منه . وهذا يعني أنها ترغب في أن يكون ما في بطنها غير مرتبط بشيء أو بحب أو برعاية .

لماذا ؟ لأن الإنسان مهما وصل إلى مرتبة اليقين ، فإن المسائل التي تتصل بالناس وبه ، تمر عليه ، وتشغله ، لذلك أرادت امرأة عمران أن يكون ما في يطنها محزرا من كل ذلك ، وقد يقال : إن امرأة عمران إنما تتحكم بهذا النذر في ذات إنسانية كذاتها ، ونرد على ذلك بما يل :

لقد كانوا قديما عندما ينذرون ابنا للبيت المقدس فهذا النذر يستمر مادامت لهم الولاية عليه ، ويظل كها أرادر إلى أن ببلغ سن الرشد ، وعند بلوغ سن الرشد فإن للابن أن يختار بين أن يظل كها أراد والداه أو أن يجيا حياته كها يريد .

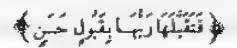
إن يلوغ سن الرشد هو اعتراف بداتية الإنسان في اتخاذ القرار المناسب لحياته . كانت امرأة عمران لا تريد مما في بطنها أن يكون قرة عين ، أو أن يكون معها ، إنها تريده محررا لحدمة البيت المقدس م وكان يستلزم ذلك في التصور البشرى أن يكون المولود ذكرا ، لأن الذي كان يقوم بخدمة البيت هم الذكران .

ونحن نعرف أن كلمة ؛ الولد ؛ يطلق أيضا على البنت ، ولكن الاستعال الشائع ، هو أن يطلق الناس كلمة ؛ ولد ، على الذكر . لكن معنى الولد لغويا هو المولود سواء أكان ذكرا أم أنشى . وعندما نسمع كلمة ، نذر ؛ فلنفهم أنها أمر أريد به الطاعة فوق تكليف المكلف من جنس ماكلف به الله .

إن الله قد قرض عليها خمس صلوات ، فإذا نذر إنسان أن يصلى عددا من الركعات فوق ذلك ، فإن الإنسان يكون قد ألزم نفسه بأمر أكثر بما ألزمه به الله ، وهو من جنس ما كلف الله وهو الصلاة . والله قد قرض صيام شهر رمضان ، فإذا ما نذر إنسان أن يصوم يومي الاثنين والحميس أو صيام شهرين فالإنسان حر ، ولكنه يختار فقرا من جنس ما قرض الله من تكاليف ، وهو الصيام . والله فرض زكاة قدرها باثنين ونصف بالمائة ، ولكن الإنسان قد ينذر فوق ذلك ، كمقدار عشرة بالمائة أو حتى خمسين بالمائة .

إن الإنسان حر، وثكبته يختار نذرا من جنس ما قرض الله من تكاليف ، إن النذر هو زيادة عما كلف المكلف من جنس ما كلف سبحانه . وكلمة ، نذرت ، من ضمن معانيها هو أن امرأة عمران سيدة تقية وورعة ولم تكن مجبرة على النذر ، ولكنها فعلت ذلك ، وهو أمر زائد من أجل خدمة بيت الله .

والنذر كما نعلم يعبر عن عشق العبد لتكالبف الله ، فيلزم نفسه بالكثير من بعضها . ودعت امرأة عمران الله من بعد ذلك بقبول ذلك النذر فقالت : « فتقبل من » . « والتقبل » هو أخذ الشيء برضا ، لأنك قد تأخذ بكره ، أو تأخذ على مضض ، أما أن « تتقبل » فذلك يعنى الأخذ بقبول وبرضا . واستجابة فمذا الدعاء جاء قول الحق :



(من الآية ٢٧ سورة أل عمران)

وللاحظ أن امرأة عمران قالت في أول ما قالت : لا رب إني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل منى إنك أنت السميع العليم » > ولم تقل : لا يا الله ، وهذا لنعلم أن الرب هو المتولى التربية ، فساعة ينادى لا ربى ، فالمفهوم فيها التربية ، وساعة يُنادى و بد الله ، فالمفهود الذي يطاع فيها يكلف بد الله ، فالمفهود الذي يطاع فيها يكلف به ع أما لا رب ، فهو المتولى التربية .

قالت امرأة عمران : « رب إن تذرت لك ما في بطني بحررا فتقبل مني إنك أنت السميع العليم » . هذا هو الدعاء ، وهكذا كانت الاستجابة : « فتقبلها ربها

011T000+00+00+00+00+0

بقبول حسن ، وبعد ذلك تكلم الحق عن الأشباء التي تكون من جهة التربية . « وأنبتها نباتا حسنا . . وكفلها زكريا ، كل ذلك متعلق بالتربية وبالربوبية ، فساعة نادت امرأة عمران عرفت كيف تنادى ونذرت ما في بطنها . وبعد ذلك جاء الجواب من جنس ما دعت بقمة القبول وهو الأخذ برضا . « فنقبلها رنها بقبول حسن ، .

فالحسن هنا هو زيادة في الرضا ، لأن كلمة و قبول و تعطينا معني الأخذ بالرضا ، وكلمة وحسن ، توضح أن هناك زيادة في الرضا ، وذلك بما يدل على أن الله قد أخذ ما قدمته امرأة عمران برضا ، وبشيء حسن ، وهذا دليل على أن الناس ستلمح في تربيتها شيئا فوق الرضا ، إنه ليس قبولا عاديا ، إنه قبول حسن . و وأنبتها نباتا حسنا » . بما يدل على أن امرأة عمران كانت تقصد حين نذرت ما في بطنها ، ألا تربي ما في بطنها إلى العمر الذي يستطيع فيه المولود أن يخدم في بيت الله . ولكنها نقرت ما في بطنها من اللحظة الأولى للميلاد . إنها لن تنتعم بالمولود ، ولذلك قال الحق : و وكفلها زكريا » م و زكريا هو زوج خالة السيدة مريم . وبعد دعاء امرأة عمران ، يجيء القول، الحكيم :

عَلَيْ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِ إِنِّ وَضَعَتُهَا أَنْنَى وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَاللَّهُ وَالللَّهُ وَاللَّهُ وَالْمُواللَّهُ وَاللَّهُ وَالْمُواللَّهُ وَاللَّهُ وَالْمُواللَّهُ وَاللَّهُ وَالْمُوالْمُولِمُ وَاللَّهُ وَالْمُولِمُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَالْمُولِمُ وَالْمُولِمُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ الللللْمُولِمُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ

لقد جاء هذا الغول منها ، لأنها كانت قد قالت : إنها نذرت ما في بطنها محررا لحدمة البيت ، وقولها : « محررا » تعني أنها أرادت ذكرا لحدمة البيت ، لكن المولود جاء أنثى . فكأنها قد قالت : ان لم أمكن من الوفاء بالنذر ، فلأن قدرك سبق ، لقد جاءت المولمودة أنشى ، لكن الحنق يقول بعد ذلك : « والله أعلم ، ، ، بما وضعت » . وهذا يعنى أنها لا تريد إخبار الله ، ولكنها تريد أن تظهر النحسر ، لأن الغاية من نذرها لم تتحقق وبعد ذلك يقول الحق : « وليس الذكر كالأنثى » . فهل هذا من كلامها ، أم من كلام الله ؟

قد قالت : « إن وضعتها أنثي ، وقال الله : ﴿ وَلِيسَ الذَّكُو كَالْأَنْثِي ۗ ۗ .

إن الحق يقول لها: لا تظنى أن الذكر الذي كنت تتمنينه سيصل إلى مرتبة هذه الأنثى ، إن هذه الأنثى لها شأن عظيم . أو أن القول من تمام كلامها: 1 إلى وضعتها أنثى ، ويكون قول الحق: ووالله أعلم بما وضعت ، هو جملة اعتراضية ويكون تمام كلامها ، وليس الذكر كالأنثى ، أي أنها قالت : يارب إن الذكر ليس كالأنثى ، إنها لا تصلح لحدمة الببت .

وليأخذ المؤمن المعنى الذي يجبه ، وسنجد أن المعنى الأول فيه إشراق أكثر ، إنه تصور أن الحق قد قال : أنت تريدين ذكرا بمفهومك فى الوفاء بالنذر ، وليكون فى خدمة البيت ، ولقد وهبت لك المولود أنثى ، ولكنى سأعطى فيها آية أكبر من خدمة البيت ، وأنا أريد بالآية التى سأعطيها لهذه الأنثى مسائدة عقائد ، لا مجرد خدمة رقعة ثقام فيها شعائر .

إننى سأجعل من هذه الآية مواصلة لمسيرة العقائد في الدنيا إلى أن تقوم الساعة . ولاننى أنا الخالق ، سأوجد في هذه الأنثى آية لا توجد في غيرها ، وهي آية تثبت طلاقة قدرة الحق ، ولقد قلت من قبل : إن طلاقة القدرة تختلف عن القدرة العادية ، إن القدرة تختلق بأسباب ، ولكن من أين الأسباب ؟ إن الحق هو خالق الأسباب ايضا .

إذن فيادام الحالق للأسباب أراد خلقا بالأسباب فهذه إرادته . ولذلك أعطانا الحق القدرة على رؤية طلاقة قدرته ، لأنها عقائد إيمانية ، يجب أن تظل في يؤرة الشعور الإيمان ، وعلى بال المؤمن دائها . لقد خلق الله يعضا من الحلق بالأسباب كها خلقنا نحن ، وجهرة الخلق عن طريق التناسل بين أب وأم ، أما خلق الحق لأدم عليه السلام فقد خلقه بلا أسباب . ونحن نعلم أن الشيء الدائر بين اثنين له قسمة عقلية ومنطقية ، فهادام هناك أب وأم ، ذكر وأنش ، فسيجيء منها تكاثر . .

إن الحق يقول :

﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْتَ زُوْجَيْنِ لَعَنْكُمْ تَذَكُّونَ ٢

(مبورة الذاريات)

وغندما يجتمع الزوجان ، فهذه هي الصورة الكاملة ، وهذه الأولى في القسمة المنطقية والنصور العقلي ، وإما أن ينعدم الزوجان فهذه هي الثانية في القسمة المنطقية والتصور العقلي . أو أن ينعدم الزوج الأولى ويبقى الطرف الثاني ، وهذه هي الثالثة في القسمة المنطقية والتصور العقلي ، أو أن ينعدم الزوج الثاني ويبقى المطرف الأول ، وهذه هي الرابعة في القسمة المنطقية والتصور العقلي .

تلك إذن أربعة تصورات للقسمة العقلية , وجميعنا جاء من اجتماع العنصرين ، الرجل والمرأة , أما آدم فقد خلقه الله بطلاقة قدرته ليكون السبب , وكذلك تم خلق حواء من آدم , وأخرج الحق من لقاء آدم وحواء نسلا , وهناك أشى وهى مريم ويأتي منها المسيح عيسى بن مريم بلا ذكر , وهذه هي الآية في العالمين ، وتثبت قمة عقدية , فلا يقولن أحد : ذكرا ، أو أنثى كالأن نية امرأة عمران في العفاعة أن يكون المولود ذكرا ، وشاء قدر ربكم أن يكون أسمى من تقدير امرأة عمران في الطاعة ، لذلك قال : ووليس الذكر كالأنثى ، أي أن الذكر أن بصل إلى مرتبة هذه الأنثى .

وقائت امرأة عمران : « وإن سميتها مريم وإن أعيدها بك وذريتها من الشيطان الرجيم » . إن امرأة عمران قالت ما يدل على شعورها » فحينها فات المولودة بأنوثتها أن تكون في خدمة بيت الله فقد تمنت امرأة عمران أن تكون المولودة طائعة ، عابدة ، فسمتها « مريم » الأن مريم في لغتهم حكها قلناء معناها « العابدة » .

وأول ما يعترض العبودية هو الشبطان . إنه هو الذي يجعل الإنسان يتمود على العبودية . إن الإنسان بريد أن يصبر عابدا ، فيجيء الشيطان ليزين له المعصبة . وأرادت إمرأة عمران أن تحمى اينتها من نزغ الشيطان الأنها عرفت بتجربتها أن المعاصى كلها تأتى من نزغ الشيطان ، وقد سمتها « مريم ، حتى تصبح « عابدة شد » بم ولأن إمرأة عمران كانت تمتلك عقلية إبمانية حاضرة وتحمل المنهج التعبدي كله لذلك قالت : « وإن أخيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم » .

00+00+00+00+00+00+01£7%

إن المستعاذ به هوالله بم والمستعاذ منه هو الشيطان بم وحينها يدخل الشيطان مع خلق الله في تزيين المعاصى ، فهو يدخل مع المخلوق في عراك ، ولكن الشيطان لا يستطيع أن يدخل مع ربه في عراك ، ولذلك يقالي عن الشيطان إنه إذا سمع ذكر الله فإنه يخنس أي يتراجع ، ووصفه القرآن الكريم بأنها لا الحناس ، بم إن الشيطان إنما ينفرد بالإنسان حين يكون الإنسان بعيدا عن الله ، ولذلك فالحق يُعلَمُ الإنسان :

﴿ وَإِمَّا يَنزَعُنَكُ مِنَ ٱلشَّيْطُانِ تَزْعُ فَاسْتَعِدْ بِٱللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿ اللَّهِ اللهِ الل

إن الشيطان برتعد فرقا ورعشة من الإستعادة بالله . وعندما يتكرر ارتعاد الشيطان بهذه الكلمة ، فإنه يعرف أن هذا الإنسان العابد لن يجيد عن طاعة الله إلى المعاصى . وقد علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يجيء الرجل امرأته ، وججيء الأهل هو مظنة لمولود قد يجيء ، فيقول العبد : « اللهم جنبني الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتني » (من دعاء رسول الله) .

إن من يقول هذا القول قبل أن يحدث التخلق و فلن يكون للشيطان ولاية أو قدرة على المؤلود الذي يأى بإذن الله . ولذلك قالت إمرأة عمران : « وإن أعيدها بك وفريتها من الشيطان الرجيم » . والذرية قد يفهمها الناس على أنها النسل المتكاثر ، ولكن كلمة و ذرية » تطلق على الواحد وعلى الاثنين ، وعلى الثلاثة أو أكثر . والذرية منا بالنسبة لمريم عليها السلام هي عيسي عليه السلام ، وتنتهي المسألة . وبعد دعاء إمرأة عمران ، وإن أعيدها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ه يجيء القول الحق :

﴿ فَنُقَبَّلُهَا رَبُّهَا يِقَبُولِ حَسَنِ وَأَنْبِتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكُفَّلُهَا زَّكِرِيًّا كُلَمادَخُلُ عَلَيَّهَا زَّكِرِيًّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ

の) ET100+00+00+00+00+00+0

وقد عرفنا القبول الحسن والإنبات الحسن ، أما قوله الحق : « وكفلها زكريا » فهذا يعنى أن المسألة جاءت من أعلى ، إنه الرب الذي تقبل بقبول حسن ، وهو الذي أنبتها نباتا حسنا . إذن ، فرعاية زكريا لها إنما جاءت بأمر من الله . والغلبل على ما حدث عند كفالة مريم . لقد اجتمع كبار القوم رغبة في كفالتها وأجروا بينهم قرعة من أجل ذلك . وساعة تجد قرعة ، أو إسهاما . فالناس تكون قد خوجت من مواداتها المختلفة إلى مواد الله . فعندما نختلف على شيء قزائنا نجرى قرعة ، ويخصص سهم لكل مشترك فيها ، وفرى بعد ذلك من الذي يخرج سهمه ، ويلجأ الناس لهذا الأمر ؛ ليمنعوا هوى البشر عن التدخل في الاختيار ، ويصبح الأمر خارجا عن مواد البشر إلى مواد الله سبحانه وتعالى ، وهذا ما حدث عند كفالة زكريا لمريم . ولقبلك فالحق يقول لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم :

﴿ ذَالِكَ مِنْ أَنْبَآءِ ٱلْغَيْبِ، نُوحِهِ إِنَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْمِ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَتَهُمْ أَيْهُم يَكُفُلُ مَرْبُحُ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿ ﴾

(سورة ال عمران)

إذن فالكفالة لمريم أخذت لها ضبجة ، وهذا دليل على أنهم اتفقوا على إجراء قوعة بالنسبة لكفالتها ، ولا يمكن أن يكونوا قد ذهبوا إلى هذه القرعة إلا إذا كان قد حدث تنازع بينهم ، عن أيهم يكفل مريم ، ومن فضل الله أن زكريا عليه السلام كان منزوجا من ، إشاع ، وأخت ، دحنة ، وهي أم مريم ، فهو زوج خالتها .

وكلمة * أقلامهم * قال فيها المفسرون : إنها القداح التي كانوا يصنعونها قديما ، أو الأقلام التي كتبوا بها التوراة ، فرموها في البحر ، فمن طفا قلمه لم يأخذ رعاية مريم ، ومن غرق قلمه في البحر فهو الذي فاز بكفالة مريم . إذن فهم قد خرجوا

عن مراداتهم إلى مراد الله .

والخروج عن المرادات، والخروج عن الأهوا، بجسم ليس له اختيار مكداح الفرعة لا يوجد في النفس غضاضة . لكن لو كان هناك من سيأخذ رعاية مريم بالقوة والغصب فلابد أن يجد نفوس الآخرين وقد امتلات بالمرارة أو الغضب . ولذلك نفد كان سائدا في ذلك العصر عملة إجراء السهام إذا ما خافوا أن يقع الظلم على أحد أو أن يساء الظن بأحد ، وهناك قصة سيدنا يونس عندما قاربت السقينة على الغرق ، وكان لابد لإنفاذها أن ينزل واحد إلى البحر ، وجاء القول الحكيم :

﴿ وَإِنَّ يُونُسُ لِمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۞ إِذَ أَبِنَ إِلَى الْفُلْكِ الْمُشْخُونِ ۞ فَسَعَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْخَوِنِ ۞ فَسَعَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْخَوِنِ ۞ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَيِّحِينَ ﴾ الْمُدْخَوِنِينَ ۞ فَلُولًا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَيِّحِينَ ﴾ الله يَوْم يُبْعَثُونَ ۞ ﴾

سورة المنائ)

كان لابد أن ينزل واحد من تلك السقينة ، لذلك تم إجراء قرعة بالسهام حتى لا تقوم معركة بين الموجودين على ظهر السقينة ، وحتى لا تكون الغلبة للأقوباء ، ولكن القرعة حت الناس من ظلم بعضهم بعضا . قالوا : لنجر قرعة السهام ، فمن يخرج صهمه فهو الذي يلقى به ، وكان على بونس عليه السلام أن ينزل إلى أليم فمن يخرج صهمه فهو الذي يلقى به ، وكان على بونس عليه السلام فيلتقمه الحوت . ولأنه من المسبحين فإن الله ينقذه . لقد قبل يونس عليه السلام اختيار الله وكم ينس تسبيح الله فكان في ذلك الإنقاذ له ، وهكذا نقرأ قول الله لنفهم أن كفالة زكريا كانت باختيار الله . و فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبنها نباتا حسن وكفلها زكريا ؟ .

وكلمة «كفلها» أى تولى كل مهمة تربيتها ، هذه هى الكفألة ، ونحن نعرف أن الكفيل فى عرفنا هو الضامن ، والضامن هو من يسد الفرض عندما يعجز الإنسان عن السداد ، وقوله الحق : « وكفلها ركريا » يعطينا المعنى الواضح بأن زكريا عليه

@1E1@@+@@+@@+@@+@@+@

السلام هو الذي قام برعاية شئون مريم.

ويتابع الحق الكريم قوله : « كلها دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا » إنه لم يدخل مرة واحدة ، بل دخل عليها المحراب مرات متعددة . وكان زكريا عليه السلام كلها دخل على مريم يجد عندها الرزق ، ولذلك كان لابد أن يتساءل عن مصدر هذا الرزق ، ولابد أن يكون تساؤله معبرا عن الدهشة ، لذلك بجيء القول الحق على لسان زكريا : « أنى لك هذا » .

وساعة أن تسمع « أن لك هذا ؟ « فهذا يدل على أنه قام بعمل عابس على المكان الذي توجد به مريم ، وإلا لظن أن هناك أحدا قد دخل على مريم ، وكها يقولون : فإن ذكريا كان يقفل على مريم الأبواب ، وإلا لو كانت الأبواب غير مغلقة لظن أن هناك من دخل وأحضر لها تلك الألوان المتعددة من الرزق .

والزرق هو ما ينتفع به ببالبناء للمجهول وعندما يقول زكريا عليه السلام : وأنّى لك هذا ي فئنا أن نتذكر ما تلنه سابقا من أن أى إنسان وكله الله على جماعة ويرى عندهم ما هو أزيد من الطاقة أو حدود الدخل ، فلابد أن يسأل كُلاً منهم : من أين لك هذا ؟ ذلك أن فساد البيوت والمجتمعات إنما يأى من عدم الاهتمام بالسؤال وضرورة الحصول على إجابة على السؤال المحدد : من أين لك هذا ؟

إن الذي يدخل بيته ويجد ابنته ثرتدي فسنانا مرتفع الشمن ويفوق طاقة الأسرة ، أو يجد ابنه قد اشترى شيئا ليس في طاقة الأسرة أن تشتريه ، هنا يجب أن يتؤقف الأب أوالولى ليسأل : من أين لك هذا ؟ إن في ذلك حماية لأخلاق الأسرة من الأجيار أو التحلل ، فلو فطن كل واحد أن يسأل أهله ومن يدخلون في كفائته ـ « من أين لك هذا ؟ » لعرف كل تفاصيل حركتهم ، لكن لو ترك الحبل على الغارب لفسد الأمر .

وقول زكريا : ﴿ أَنَّ لَكَ هَذِا ؟﴾ هو سؤال محدد عن مصدر هذا الرزق ، ولننظر إلى إجابتها : ﴿ قَالَتُ هُو مِن عَنْدُ الله ﴾ ثم لا تدع البديهة الإيمانية عند سيدنا زكريا دون أن تذكره انها لا تنسى حقيقة واضحة في بؤرة شعور كل مؤمن : ﴿ إِنْ أَلَهُ يُرزَقَ من يشاء بغير حساب ۽ وائثرت هذه المسألة في نفس زكريا نوازع شتي ۽ إنها مسألة غير عادية ، لقد أخبرته مربم أن الررق الذي عـدها هومن عـد الله الذي يرزق من يشاء بغير حساب ، إنه الإله هو القادر على أن يقول : ه كن ۽ فيكون .

وهنا ذكر زكريا نفسه ، وكأن نفسه قد حدثته : وإذا كانت للفدرة طلاقة في أن تفعل بلا أسباب ، وتعطى من غير حساب ، فأنا أربد ولدا يخلفني ، رعم أنني على كبر ورغم بلوغي من السن عتيًا ، وامرأى عاقر . إن مسألة الرزق الذي وجده زكريا كلها دخل على مربم هي التي نبهت زكريا إلى ما يتمنى ويرغب .

ونحن نعلم أن المعلومات التي تمر على خاطر النفس البشرية كثيرة ، ولكن لا يستفر في بؤرة الشعور إلا الذي يصر عليه الإنسان ، وهناك فرق بين معلومات توجد في بؤرة الشعور . ومعلومات في حاشية الشعور يتم استدعاؤها عبد اللزوم ٤ فئها وجد زكريا الرزق المنوع عند مريم وقالت له عن مصدره : « هو من عند الله إن لله يرزق من يشاء بغير حساب » . هنا تساءل زكريا : كيف فاتني هذا الأمر ؟ ولذلك يقول الحق عن زكريا :

حَيْثُورُ هُنَالِكَ دَعَازَكَ رِبَّارَبَّهُ، قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ دُرِينَةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ۞ ﴿ اللَّهِ اللَّهُ عَالَهُ عَالَهُ ﴾

إنها ساعة أن قالت له : إن الرزق من عند الله ، وأنه الحق الذي يرزق من يشاء يغير حساب ، هنا أيقظت فيه القضية الإيمانية فجاءت أمنيته إلى يؤرة الشعور ، فقال زكريا لنفسه : فلنظلب من ربنا أن يرزقنا ما نرجوه لأنفسنا ، ومادام قد قال هذا الغول فلابد أنه قد صدق مربم في قضيتها ، بأن هذا الرزق الذي يأتبها هو من عند الله الله آخر في التصديق ، هو أنه لابد وقد رأى أن الألوان المتعددة من الرزق التي توجد عند مربم لبست في بيئته ، أو ليست في أوانها ؛ وكل ذلك في المحراب .

@1557@@+@@+@@+@@+@@+@

ونحن نعزف أن المحراب كلمة يراد بها بيت العبادة . يقول الحق :

﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَآءُ مِن غَارِيبَ وَتَمَنْفِيلَ وَجِفَانِ كَالْجُوَابِ وَقُدُورِ رَّاسِيَاتٍ أَعَمَلُواْ قَالَ دَاوُرَدَ شُكُراً وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِي ٱلشَّكُورُ ﴿ ﴾

(megs mil)

أو « المحراب » وهو مكان الإمام في المسجد » أو هو حجرة يصعد إليها يسلم » كالمبلغات التي تقام في بعض المساجد . ومادامت مريم قد أخبرت زكريا رهي في المحراب بأن الوزق من عند الله ، وأيقظت بذلك تلك القضية الإيمانية في بؤرة شعوره ، فهذا بكون تصرفه ؟ هنا دعا زكريا أثناء وجوده في المحراب . « رب هب لى من لدنك ذرية طببة إنك سميع الدعاء » إنه هنا يطلب الولد . ولكن لابد لنا أن نلاحظ ما يلي :

- هل كان طلبه للولد لما يطلبه الناس العاديون من أن يكون زينة للحياة أو « عزوة » أو ذكرا؟ لا ، إنه يطلب الذرية الطبية ، وذكر زكريا الذرية الطبية تفيد معرفته أن هنالك ذرية تفير طبية . وفي قول زكريا الذي أورده الحق :

﴿ يَوْ أَنِّنِي وَ يَرِثُ مِنْ قَالِ يَعْقُوبُ ﴾

(من الآية ٦ سورة مرجم)

أى أن يكون دعاء لإوث النبوة وإرث المناهج وإرث القيم / هكذا طلب زكريا الولد . لقد طلبه لمهام كبيرة ، وقول زكريا : درب هب ه تعنى أنه استعطاء شيء بلا مقابل / إنه يعترف . أنا ليس لى المؤهلات التي تجعل لى ولدا ، لأن كبير السن وامرأن عاقر ، إذن فعطاؤك يارب لى هو هبة وليس حقا / وحنى الذي يملك . الاستعداد لا يكون هذا الأمر حقا له ، فلابد أن يعرف أن عطاء الله له يظل هبة / فإياك أن تظن أن اكتهال الاسباب والشباب هي التي تعطى الذرية / إن الحق سبحانه ينبهنا ألا نفع في خديعة وغش أنفسنا بالاسباب .

﴿ يُلُّو مُلْكُ السَّمَوْتِ وَٱلْأَرْضِ يَخَلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَّاهُ إِنَّكُما وَيَهَبُ

لِمَن يَثَانَهُ ٱلذُّكُورَ لَنِ أَوْ يُزَوِجُهُمْ ذُكُوانًا وَإِنْدُا ۗ وَيَغْطَلُ مَن يَشَاهُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِمًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاهُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِمًا وَيَعْمَلُ مَن يَشَاهُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمًا لَهُ عَلِمًا لَا يَعْمَ اللَّهُ عَلِمً اللَّهِ عَلَيْمًا لَهُ عَلِمًا لَا يَعْمَ عَلَيْمً اللَّهُ عَلِمً اللَّهُ عَلِمً اللَّهُ عَلَيْمً اللَّهُ عَلَيْمً اللَّهُ عَلَيْمً اللَّهُ عَلَيْمً اللَّهُ عَلَيْمً اللَّهُ عَلَيْمً اللَّهِ عَلَيْمً اللَّهُ عَلَيْمً الللَّهُ عَلَيْمً اللَّهُ عَلَيْمً اللَّهُ عَلَيْمً اللَّهُ عَلَيْمً اللَّهُ عَلَيْمً اللَّهُ عَلَيْمً اللَّهُ عَلَيْمً عَلَيْمُ عَلَيْمً عَلَيْمُ عَلَيْمً عَلَيْمً عَلَيْمً عَلَيْمً عَلَيْمُ عَلَيْمً عَلَيْمُ عَلَيْمً عَلَيْمً عَلَيْمً عَلَيْمً عَلَيْمً عَلَيْمِ عَلَيْمً عَلَيْمُ عَلَيْمً عَلَيْمً عَلَيْمً عَلَيْمُ عَلَيْمِ عَلَيْمً عَلَيْمُ عَلَيْمً عَلَيْمً عَلَيْمً عَلَيْمً عَلَيْمِ عَلَيْمً عَلَيْمً عَلَيْمُ عَلَيْمً عَلَيْمُ عَلَيْمً عَلَيْمُ عَلَيْمِ عَلَيْمُ عَلَيْمُ عَلَيْمُ عَلَيْمُ عَلَيْمُ عَلَّا عَلَيْمُ عَلَيْمُ عَلَيْمُ عَلَيْمِ عَلَيْمً عَلَيْمِ عَلَيْمِ عَلَيْمً عَلَيْمُ عَلَيْمُ عَلَيْمً عَلَيْمً عَلَيْمً عَلَيْمُ عَلَيْمِ عَلَيْمِ عَلَيْمُ عَلَيْمِ عَلَيْمُ عَلَيْمُ عَلَيْمِ عَلَيْمِ عَلَيْمُ عَلَيْمً عَلَيْمُ عَلَيْمِ عَلَيْمُ عَلَيْمً عَلَيْمً عَلَيْمً عَلَيْمُ عَلَيْمً عَلَيْمِ عَلَيْمُ عَلِيمً عَلَيْمِ عَلَيْمِ عَلَيْمُ عَلِيمًا عَلَيْمُ عَلَيْمِ عَلَيْمُ عَلِيمًا عَلَيْمً عَلَيْمً عَلَيْمً عَلَيْمً عَلَيْمُ عَلَيْمً عَلَيْمُ عَلَيْمً عَلَيْمُ عَلَيْمُ عَلِي عَلَيْمً عَلَيْمُ عَلَيْمُ عَلَيْمِ عَلَيْمُ عَلَيْمً عَلَيْمً عَلَيْمُ عَلَيْمًا عَلَيْمُ

(سورة الشررى)

إن في ذلك لفتا واضحا وتحذيراً محدداً ألا نفتتن بالأسباب إ إذن علكل عطاء من الله هو هبة ، والأسباب لا تعطى أحدا ما يريد . إن زكريا يقول : « رب هب لى من لدنك ، وساعة أن تقول من : « لدنك ، فهو يعنى « هب لى من ودا» أسبابك » . لماذا ؟ لأن الكل من الله :

ولكن هناك فرقا بين عطاء الله بسبب ، كأن يذهب إنسان ليتعلم العلم ويمكث عشرين عاما ليتعلم ، وهناك إنسان يفيض الله عليه بجوهبة ما ، ولذلك يقول أهل الإشراقات : إنه علم لدن لا أى من غير نعب لا وساعة أن تسمع و من لدن و أى انعزلت الأسياب ، كان دعاء زكريها هو و رب هب فى من لدنك و وكلمة و هب و توضيح ما جاء فى سورة مريم من قول زكريا :

﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّ يَكُونُ إِلَى غَنْتُمْ وَكَانَتِ آمْرَانِي عَقِيرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِتِرِ عِنِيًّا نَ ﴾

(سورة مريم)

إن و هب و هى التى توضح لنا هذه المعاتى ، هذا كان دعاء زكريا : و رب هب لى من لدنك ذرية طبية إنك صميع اللدعاء و فهل المراد أن يسمع الله الدعاء و أم أن يجبب الله الدعاء و إنه يضع كل أمله فى الله ، وكأنه يقول : إنك بارب من فور أن تسمعنى متجببنى إلى طلبى يطلاقة قدرتك ، لماذا و لانك يارب تعلم صدق نبتى فى النئى أريد الغلام لا لشىء من أموركفرة العين ، والذكر ، والعز ، وغيرها ، إنما أريد الولد ليكون وارثا لى فى حمل منهجك فى الأرض / وبعد ذلك يقول الحق :

هل كل الملائكة اجتمعوا أو نادوا زكريا؟ لا ، لان جبريل عليه السلام الذي ناداه . ولمادا جاء القول الحق هنا بأن الملائكة هي التي نادته ؟ لقد جاء هذا الفول الحق للفون إلى شيء هو ، أن الصوت في الحدث ـ كالإنسان ـ له جهة يأتي منها عاما الصوت القادم من الملأ الأعلى فلا يعرف الإنسان من أبن يأتيه ، إن الإنسان بسمعه وكأنه يأتي من كل الجهات ، وكأن هناك ملكا في كل مكان .

والعصر الحديث الذي نعيشه قد ارتفى في الصوتيات ووصل لدرجة أن الإنسان أصبح قادرا على جعل المؤثر الصوق بحيط بالإنسان من جهات متعددة / إذن فقوله الحق : وفنادته الملائكة ، فهذا يعني أن الصوت قد جاء لزكريا من جميع الجهات .

ع فَنَادَتُهُ ٱلسَّلَدَ كُنُهُ وَهُوَ فَأَنَّمُ يُصَلِّى فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ اللهُ يُبَيِّرُكُ بِجَنِي مُصَدِّقًا بِكَلِيَةٍ مَنَ آللَهُ وَسَبِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ ٱلصَّلِحِينَ ﴿

(سرية ال عمران)

لقد نادته الملائكة في أورع لقاءاته مع ربه ، أو هو حينها دعا أخذ ما علمه الله للأنبياء إذا حزبهم أمر قاموا إلى الصلاة . أليس طلبه من الله ؟ إذن فليقف بين يدى الله . وليجربها كل واحد منا عندما يصعب عليك أى شيء ، وتتأزم الأمور ، وتمتنع الأسباب ، فليقم ويتوضأ وضوءا جديدا ويبدأه بالنية حتى ولو كان متوضئا . وليقف بين بدى الله ، وليقل _ إنه أمر يارب عزّ على في أسبابك ، وليصل بخشوع ، وأنا أجرم بأن الإنسان ما إن يسلم من هذه الصلاة بلا ويكون الفرج قد جاء . ألم نتلق عن رسول انته هذا السلوك البديع ؟ إنه كلها حزبه أمر قام إلى الصلاة ؟

ومعنى حزبه أمر ، أى أن أسبابه ضافت ، لذلك يذهب إلى الصلاة لخالق الأسباب ، إنها ذهاب إلى المسلاة لخالق الأسباب ، إنها ذهاب إلى المسبب . وبدلا من أن تلف وتدور حول نفسك ، اذهب إلى الله من أقصر الطرق وهو المصلاة ، لماذا تنعب نفسك أيها العبد ولك رب حكيم ؟ وقديما قلنا : إن من له أب لا يجمل هما ، والذي له رب أليس أولى بالإطمئنان ؟

إن زكريا قد دعا الله في الأمر الذي حزبه ، وبمجرد أن دعا في الأمر الذي حزبه ، قام إلى الصلاة ، فنادته الملائكة ، وهو قائم بصلى ، إن الملائكة لم تنتظر إلى أن ينتهى من صلاته ، « فنادته الملائكة وهو قائم يصلى في المحراب أن الله يبشرك ، .

والبشارة هي إخبار بخير زمنه لم يأت ، فإذا كانت البشارة بخير زمنه لم يأت فلنر من الذي يخبر بالبشارة ؟ أمن يقدر على إيجاده أم من لا يقدر ؟ فإذا كان الله هو الذي يبشر ، فهو الذي يقدر ، لذلك فالمبشر به قادم لا عمالة ، هإن الله يبشرك بيحبي، لقد قال له الله : مأعطيك . وزيادة على العطاء مياه الله بد ديجبي » وفوق كل ذلك : « مصدقا بكلمة من الله » .

ولنظر إلى دقة الحق حين يقول: « ببحيى مصدقا ». هذا دليل على أنه سيعيش بمنهج الله وما يعوفه من الطاعات سيسير في هذا الطريق وهو مصدق ، وهو سيأق بكلمة من الله ، أو هو يأتي ليصدق بكلمة من الله ، لأن سيدنا يحيى هو أول من آمن برسالة عيسى عليه السلام . وهو موصوف بالقول الحق : « وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين » . أي ممنوعا عن كل ما حرم عليه ، أو ممنوعا عن قمة الغرائز وهي الشهوة » وهو نبي ، أي قدوة في اتباع الرسول الذي يجيء في عصره ، لقد دعا زكريا ، وقام ليصلى ، وتلقى البشارة بيحيى ، وهنا ارتجت الأمور على بشرية زكريا ، ويصوره الحق بقوله :

عَيْنَ قَالَ رَبِّ أَنَّ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَعَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَالِكَ اللَّهُ يَفْعَلُمُ مَا يَشَاءُ ۞ ﷺ إن زكربا _ وهو الطالب _ يصيبه التعجب من الإستجابة فيتساءل ، كيف يكون ذلك ؟ والحق يورد ذلك ليعلمنا أن النفس البشرية دائها تكون في دائرات التلوين ، وليست في دائرات النمكين ، وذلك ليعطى الله خلفه الذين لا يهندون إلى الصراط المستقيم الأسوة في أنه إذا ما حدث له ابتلاء فعليه الرجوع إلى الله ، فيقول زكريا : ه أنّى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبرى وإمرأى عافر ؛ .

إن بلوغ الكبر ليس دليلا على أنه عاجز عن الإنجاب لأنه قد يكون كبر العمر ، وقادرا على إخصاب امرأة ، ذلك أن الإخصاب بالنسبة لبعض الرحال ليس أمرا عسيرا مهما يلغ من العمر إن لم يكن عاقرا ، ولكن المرأة هي العنصر المهم ، فإن كانت عاقرا ، فذلك قمة العجز في الأسباب . ولو أن زكريا قال فقط : ه وامرأق عاقر ، لكان أمرا غبر مستحب بالنسبة لزوجته ، ولكان معنى ذلك أنه نسب لنفسه الصلاحية وهي غير القادرة .

إنه أدب النبوة وهو أدب عال ، لذلك أوردها من أولها : « وقد بلغنى الكبر وامرأتي عاقر » ولئر دقة القول في : « بلغنى الكبر » ، إنه لم يقل : « بلغت الكبر » بل يقول : إن الكبر هو الذي جاءني ولم أجيء أنه إلى الكبر . لأن بلوغ الشيء بعنى أن هناك إحساسا ورغبة في أن تذهب إنبه ، وذكر زكريا « وامرأتي عاقر » هو تضخيم لطلاقة القدرة عند من يستمع للقصة ، لقد أورد كل الخوالج البشرية ، وبعد ذلك بأى القول الفصل : « قال كذلك الله يفعل ما يشاء » إنها طلاقة الفدرة التي قوق الأسباب الانها خالقة الأسباب ، ويقول زكريا :

مَثْنُ قَالَ رَبِ أَجْعَلَ لِيَّ ءَاكِةً قَالَ ءَاكِتُكَ أَلَانُكَلِمَ أَلَانُكَلِمَ اللَّهُ قَالَ ءَاكِتُكُ أَلَانُكَ لَكَ اللَّهُ ا

إن زكريا يطلب علامة على أن القول قد انتقل إلى فعل.

﴿ قَالَ رَبِ أَنَى يَكُونُ لِي غُلَنَمُ وَكَانَتِ آثْرَانِي عَاقِمُ أَوْقَدْ بَلَقْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِبُنَا عَالَ كَذَالِكَ قَالَ رَبُكُ هُو عَلَى هَبِيْ وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِن قَبْلُ وَلَا نَكُ شَيْعًا ﴿ ﴾ فَاللَّهُ عَلَى هُبِيْ وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِن قَبْلُ وَلَا نَكُ شَيْعًا ﴾ السورة مذيم)

لقد كان هذا القول تأكيدا لاشك فيه ، فبمجرد أن قال الرب فقد انتهى الامر . فهذا يربد زكريا من بعد ذلك ؟ إنه يطلب آية ، أي علامة على أن يحبى قد تم إيجاده في رحم أمه ، ومادامت المرأة قد كبرت فهى قد انقطع عنها الحيض ، ولابد أنه عرف الآية لأنه يعرف مسبقا أنها عاقر . لكن زكريا لم يرغب أن يقوت على نفسه لحظة من لحظات هبات الله عليه ، ومادام الحمل قد حدث فهنا كانت استغاثة زكريا ، لا تتركني يارب إلى أن أفهم بالعلامات الظاهرة المحسة ، لأنني أريد أن أعيش من أول نعمتك على في إطار الشكر لك على النعمة ، فبمجرد أن يحدث أعيش من أول نعمتك على في إطار الشكر لك على النعمة ، فبمجرد أن يحدث الإخصاب لابد أن أحيا في نطاق الشكر ، لأن النعمة قد تأتي وأنا غير شاكر .

إنه يطلب آية ليعيش فى نطاق الشكر ، إنه لم يطلب آية لأنه يشك معاذ الله _ في قدرة الله ، ولكن لأنه لا يريد أن يفوت على نفسه لحظة النعمة من أول وجودها إلا ومعها الشكر عليها ، والذي يعطينا هذا المعنى هو القول الحق : « قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشى والإبكار ، . لابد أن معناها أنه يرغب فى الكلام فلا يستطيع .

إن هناك فارقا بين أن يقدر على الكلام ولا يتكلم ، وبين ألا يقدر على الكلام . ومادامت الآية هية من الله . فالحق هو الذى قال له : سأمنعك من أن تتكلم ، فساعة أن تجد نفسك غير قادر على الكلام فأعرف أنها العلامة ، وستعرف أن تتكلم مع الناس ومزا ، أى بالإشارة ، وحتى تعرف أن الآية قادمة من الله ، وأن الله علم عن عبده أنه لا يريد أن تحر عليه لحظة مع نعمة الله يدون شكر الله عليها ، فإن علم أن الله سينطقه . . • واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشى والإبكارة .

لقد أراد زكريا أن يعيش من أول لحظة مع نعمة المنعم شكرا ، وجعل كل وقته ذكرا ، فلم ينشغل بالناس أو بكلام الناس ، وذكر الرب كثيرا هو ما علمه دكرا ، فلم ينشغل بالناس أو بكلام الناس، وذكر الرب كثيرا هو ما علمه مسبحاته ـ عن زكريا عندما طلب الأية ليصحبها دائها بشكر الله عليها ، إن قوله :

01E400+00+00+00+00+0

« واذكر ربك كثيرا » تفيد أن زكريا قادر على الذكر وغير قادر على كلام الناس ، لذلك لا يريد الله أن يشغله بكلام الناس ، وكأن الله يريد أن يقول له : مادمت قد أردت أن تعيش مع النعمة شكرا فسأجعلك غير قادر على الكلام مع الناس لكنك قادر على الذكر .

والذكر مطلقا هو ذكر الله بآلائه وعظمته وقدرته وصفات الكمال له ، والتسبيح هو التنزيه شه ، لأن ما فعله الله لا يمكن أن يحدث من سواه ، فسبحان الله ، معناها تنزيه لله ، لأنه الفادر على أن يفعل ما لانفعله الأسباب ولا يقدر أحد أن يصنعه . إنه يريد أن يشكر الحق الذي يرزق من يشاء بغير حساب . تلك اللفتة . . التي جاءت من قبل من مريم لزكريا .

وزكريا كها نعلم هو الكفيل لها ، فكونها تنطق بهذه العبارة دلالة على أن الله مهد لها بالرزق ، يجيئها من غير زكريا ، بأنها ستأتى بشى، من غير أسباب . وكأن التجربة قد أراد الله أن تكون من ذانها لذانها ، لأنها ستتعرض لشى، يتعلق بعرض المرأة ، فلابد أن تعلم مسبقا أن الله يرزق من يشاء بغير حساب ، وبدون أسباب . فإن جاءت بولد بدون سبب من أبوة فلتعلم أن الله يرزق من يشاء بغير حساب .

فلها سمع زكريا منها ذلك قال : مادام الله يرزق من غير حساب ويأتى بالأشياء بلا أسباب فأنا قد بلغت من الكبر عنيا ، وامرأتي عاقر ، فلهاذا لا أطلب من ربي أن يبنى غلاما ؟ إذن فمقولة مربم : وإن الله يررق من يشاء بغير حساب وقد لفتت زكريا ، ونبهت إيمانا مرجودا في أعهاقه وحاشية شعوره ، ولا نقول أوجدت إيمانا جديداً لزكريا بأن الله يرزق من يشاء بغير حساب ، ولكنها أخرجت الغضية الإيمانية من حاشية الشعور إلى بؤرة الشعور ، فقال زكريا : مادام الأمر كذلك ، الأيمان الله أن يبنى غلاما . . وقول زكريا : وهب لى من لذنك ذرية طببة و دل غلى أنه وزوجته لا يملكان اكتساب الأبوة والأمومة ولذلك طلب الهبة من الله . والهبة شيء بدون مقابل .

فلها سأل الله ذلك استجاب الله له ، وقال له سبحانه : سأهبك غلاما بدون أسباب من خصوبتك في التلقيح أو خصوبة الزوجة في الحمل ، ومادامت المسألة ستكون بلا أسباب وأنا _الخالق_ سأتولى الإيجاب بـ « كن « ولمعنى سام شريف سأمنحكم شبئا آخر تقومون به أنتم معشر الأباء والأمهات _عادة_ إنه تسمية

到細粒

المُولُود ، فأفاض الحَق عليهم نعمة أخرى وهي تسمية المُولُود بعد أن وهبه لهما . . هنا وقفة عند الهبة بالاسم .

﴿ فَمَاذَتُهُ ٱلْمَلَتَهِكُةُ وَهُوَ آمَامٌ بُصَلِي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللّهَ يُبَيِّرُكَ بِجَعْنَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَهِيًّا مِنَ الصَّلِحِينَ (53) ﴾

(سورة ال عمراث)

حين بولد لشاس ولد فهم يسمونه ، فالتسمية أمر شائع في عددات الناس ، ولكن من يهمهم أمر الوليد حينها يشلون على تسميته ؛ فهم بحاولون أن يتفاءلوا ؛ فيسموه اسها يرجون أن يتحقق في المسمى ، فيسمونه « سعيدا » أملا في أن يكون سعيدا ، أو يسمونه « كربما » ، إنهم يأثون بالاسم الذي يجبون أن بحدوا ولندهم على صفته ، وذلك هو الامل منهم ، ولكن أنأق المقادير على وفق الامال ؟

قد يسمونه سعيدا ، ولا يكون سعيدا ، ويسمونه فضلا ، ولا يكون فضلا ، وبسمونه عزا ، ولا يكون عزا ، ولكن ماذا يحدث حين يسمى الله سبحانه وتعالى ؟ لابد أن يختلف الموقف تماما ، فإذا قال اسمه « يخبى » دل على أنه سيعيش ، وقديما قال الشاعر حيمها تفاءل بتسمية ابنه يجيى :

فـــــــــــــه بحـــا فلم یکن لرد قضاء الله فیه سپبل

كان الشاعر قد سمى أبئه بجبى أملا أن يجيا ، ولكن الله لم يرد ذلك ، فهات الابن . لماذا ؟ لأن المسمى إنسان قدرته عاجزة ، ولكن ، المحيى ، له طلاقة القدرة ، فحين يسمى من له طلاقة القدرة على إرادة أن يجيا فلابد من أن بجيا حياة متمنزة ؟ وحتى لا تفهم أن الحياة الني أشار الله إليها بقوله : « اسمه يجيى ، بأنها الحياة المعروفة للبشر عادة ـ لأن الرجل حينها يسمى ابنه ، يجيى ، يأمل أن يجيا الابن متوسط الأعهار ، كها يجيا الناس ستين عاما ، أو سبعين ، أو أي عدد من السنوات مكتوبة له في الأزل .

لكن الله حينها يسمى و يجيي ۽ فانه لا يأخذ ﴿ يجيي ﴾ على قدر ما يأخذه الناس ،

المائة العمال

@16+100+00+00+00+00+0

بل لابد أن يعطيه أطول من حدود أعيار الناس، ويهيىء له الحق من خصومه ومن أعدائه من يقتله ليكون شهيدا، وهو بالشهادة يصبي حبا، فكأنه يحيا دائها ، فالشهداء أحياء عند ربهم يرزقون .

وهكذا أراد الله ليحيى عليه السلام أن بحيا كحياة الناس ، وبحيا حياة إطول من حياة الناس إلى أن تقوم الساعة ، وأيضا نأخذ ملحظا في أن زكريا حينها بشر بأن الله سيهبه غلام ويسميه يحيى ، نجده قد استقبلها بالعجب . كيف يستقبل زكريا مسألة الرزق بالولد متعجما مع أنه راها في الرزق الذي كان بجده عند موسم ؟ « يرزق من بشاء يغير حساب » .

ولنا أن نقول: أكنت تحب أن يمر مثل هذا الأمر الحارق للعادة والخارق للناموس على سيدنا زكريا كأنه أمر عادى لا يندهش له ولا يتعجب؟ لا ، لاينه أن يندهش ويتعجب لذلك قال: (ربي أنّ يكون لى غلام بى فكأن الدهشة لفتته إلى أنه ستأى ابه عجيبة ، ولو لم بكن تلك الدهشة لكانت المسألة وتيبة وكأنها أمر عادى . إذن ، فهو يلفينا إلى الأمر العجبب الذي حصه الله به . وأيض جاءت المسألة على خلاف ناموس التكاثر والإنجاب والشبل: (« وقد بلغني الكبر وإمرأن عاقر ا

إن المسألة كلها تفضل وهبة من الله . فلم جاءته البشارة ، لم يقل الله له : إنى سأهبك الغلام واسمه يحيى من امرأنك هذه ، أو وأنت على حالتك هذه . فيتشكك ويتردد وبقول : أترى بأنى الغلام الدى اسمه م يحيى ه مبى وأنا على هذه الحالة ، امرأى عاقر وأنا قد بلغت هذا الكبر ، أو ربما ردنا الله شبابا حتى نستطيع الإنجاب ، أو تأن امرأة أخرى فأتزوجه وأنجب .

إذن فالعجب في الهيئة التي سيصير عليها الإنجاب فقوله : ه أني يكون في غلام وقد ملغني الكبر وامرأن عافر ه عدا النساؤل من زكريا يهدف به إلى معرفة افيئة أو الحالة التي سيأتي بها الإسجاب . لأن الإنحاب بأتي على حالات متعددة عليا أكد لله ذلك قال : ه كذلك ه هاذا تعتى كذلك ؟ إنها تعنى أن الإنجاب سيأتي منك ومن زوجك وأنتها على حالكها ، أنت فد بلغت من الكبر عنها ، وامرأتك عقر ، لأن العجيبة تبحقق بدلك ، أكان من المعقول أن يردهما الله شماعة حتى يساعداه أن يهيهها الولد ؟ لا . لذلك قال الحق : ه كذلك الله يقعلي ما يشاه ه . أي كها أنتها ، وعلى حالتكها .

00+00+00+00+00+00+016°TO

لقد جعل الحق الآية ألا يكلم زكريا الناس ثلاثة أيام إلا بالإشارة ، وقد يكون عدم الكلام في نظر الناس مرضا لا ، إنه ليس كللك ، لأن الحق يقول له : «واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشى والإبكار ، إن الحق يجعل زكريا قادرا على التسبيخ ، وغير قادر على الكلام ، وهذه قدرة أخرى من طلاقة قدرة الله ، إنه اللسان الواحد ، غير قادر على الكلام ، ولو حاول أن يتكلم لما استطاع ، وأكن هذا اللسان نفسه - أيضا - يصبح قادرا فقط على التسبيح ، وذكر الله بالعشى والإبكار ، ذكر الله باللسان وسيسمعه الناس ، وذلك بيان لطلاقة القدرة .

وبعد ذلك ينتقل بنا الحق إلى مسألة أخرى تتعلق بمويم ، لأن مويم هى الأصل في الكلام ، فالرزق الذي كان يأتيها من الله بغير حساب هو الذي لبه سيدنا زكريا إلى طلب الولد، وجاء الحق لنا بقصة زكريا والولد، ثم عاد إلى قصة مويم :

﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَتِ صَحَةُ يُكُمِّرِيمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصَطَفَىٰكِ وَطَلَهَ رَكِ وَأَصَّطَفَنْكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَكَمِينَ ۞ ﴿ وَطَلَهَ رَكِ وَأَصَّطَفُنْكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَكَمِينَ ﴾

و وإذ قالت الملائكة و المراد بها جبريل عليه السلام ، والسبب في أن الحق يورد ذلك بدو قالت الملائكة و لان كلام المتكلم - أى الإنسان - له - كها قلنا - زاوية انطلاق يأن من جهتها الصوت . وتستطيع أن تتأكد من دلك عندما يجيء لك صوت ، فأنت تجد ميل أذنك جمهة مصدر الصوت ، فإن جاء الصوت من ناحية أذنك اليمنى فأنت تلتفت وتميل إلى يمينك ، وإذا جاءك الصوت من شهالك تلتفت إلى الشهال . لكن المتكلم هنا هو جبريل عليه السلام ، ويأتي صوته من كل جهة حتى يصير الأمر عجيبا ، لهذا جاء الكلام منسوبا إلى الملائكة .

فياذا قال جبريل؟ قال جبريل مبلغا عن رب العزة : « يا مربم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين » وما الاصطفاء؟ إن الاصطفاء اختيار واجتباء ، وهو مأخوذ

من الصفو أو الصاقى ، أي الشيء الخالص من الكدر . وعادة تؤخذ المعان من المحسات ، وعندما تقول الماء الصافي أي الماء غير المكدر ، أو كيا يقول الحق :

﴿ وَأَنْهُارٌ مِنْ عَسَلِ مُصَنَّى ﴾

(من الآية ١٥ من مدورة صحد)

وعندما يقول الحق : وإن الله اصطفاك وظهرك واصطفاك على نساء العالمين ه تحن هنا أمام اصطفاءين ، الاصطفاء الأول ورد دون أن تسبقه كلمة وعلى والإصطفاء الثانى تسبقه كلمة وعلى والمقصود بالإصطفاء الأول هو إبلاغ مربم أن الله ميزها بالإيمان ، والصلاح والحنق الطيب ، ولكن هذا الاصطفاء الأول جاء مجردا عن وعلى وأى أن هذا الاصطفاء الأول لا يمنع أن يوجد معها في مجال هذا الإصطفاء آخرون ، بدليل قول الحق :

ثم أورد الحق سبحانه أنه طهرها ، وجاء من بعد ذلك بالاصطفاء الثانى المسبوق بدء على ، فقال و واصطفاك على نساء العالمين ، إذن فهذا خروج للرجال عن دائرة هذا الاصطفاء ، ولن يكون مجال الاصطفاء موضوعا يتعلق بالرجولة ، فهى مصطفاة على نساء العالمين ، فكأنه لا توجد أنثى في العالمين تشاركها هذا الاصطفاء . لماذا ؟ لانها الوحيدة التي ستلد دون ذكر ، وهذه مسألة لن يشاركها فيها أحد .

وقوله الحق : « واصطفاك على نساء العالمين » هذا القول يجب أن ينبه في نفسها سؤالا هو : ما الذي تمتاز هي به عن نساء العالمين ؟ إن الذهن ينشغل بهذا الأمر ، وينشغل على أمر من وظيفة الأنثى ، ولنضم هذه إلى قول الحق على لسانها : « إن الله يرزق من يشاء بغير حساب » ونجد أن هذه كلها إيناسات للحدث الذي سيأق من بعد ذلك ، وهو حدث يتعلق بعرضها وعقافها ، فلابد أن يهد الله له تمهيدا مناسبا حتى تتأكد من أن هذه المسألة ليس فيها شيء يخدش العرض أو يخدش الكرامة . « واصطفاك على نساء العالمين » ولنا أن نسأل : ما نتيجة الاصطفاء ؟

لفد عرفنا أن الإصطفاء هو الاجتباء والاختباري ويقتضى و مصطفى » بفتح الفاء . ويفتضى و مصطفى » بكتر الفاء . والمصطفى هو الله ، لكن ما علة الاصطفاء ؟إن الذى يصطفيه الله إنما يصطفيه لمهمة ، وتكون مهمة صعة . إدن هو يصطفيه حتى يشبع اصطفاؤه فى الناس . كأن الله قد خصه بالاصطفاء من أجل الناس ومصلحتهم ، صواء أكان هذا الاصطفاء لمكان أم لإنبان أم لزمان ليشبع صفاؤه فى كل ما اصطفى عليه . لقد اصطفى الله الكعبة من أجل ماذا ؟ حتى يشجه كل إنبان إلى الكعبة . إذن فقد اصطفاها من أجل البشر ولبشيع اصطفاؤها فى كل مكان أخر ، ولذلك قال الحق عن الكعبة :

﴿ إِنَّ أُوْلُ بَيْتٍ وُضِعٌ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِسَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ۞ ﴾ (سورة ال عموان)

وإذا اصطفى الحق سبحانه زمانا ، كاصطفائه لرمضان ، فلهاذا اصطفاه ؟ لبشيع صفاؤه ، وصفاء ما أنزل فيه في كل زمان ، إذن فاصطفاء الحق للشخص أو للمكان أو للزمان هو لمصلحة بقية الناس أو الأمكنة أو الأزمنة ، لماذا ؟ لأن أحدا من الحلق ليس ابنا لله ، وليس هناك مكان أولى بمكان عند الله . ولكن الله بصطفى زمانا على زمان ، وإنسانا على إسمان لبشيع اصطفاء المصطفى في كل زمان ، وإنسانا على الناس أن يفرحوا بالمصطفى ، أو لا يفرحوا به والناس أن يفرحوا بالمصطفى ، أو لا يفرحوا به ؟ إن عليهم أن يفرحوا به والخق سبحانه يقول .

﴿ يُنَمَرْيَمُ أَفْنُهِي لِرَبِكِ وَأَسْجُدِى وَآرَكُمِى مَعَ ٱلرَّكِمِينَ ۞ ﴿ مَعَ ٱلرَّكِمِينَ ﴾

فكأن ما تقدم من حيثيات الاصطفاء الأول ، والاصطفاء الثاني ، يستحق منها الفنوت ، أي العبادة الحائصة الخاضعة الخاشعة . وقد يقول قائل : ولماذا يصطفى

الله واحدا ، ليشيع اصطفاؤه في الناس ؟ لأن الاصطفاء من الحق لابد أن يبرئه من كل ما يمكن أن يقع فيه نظيره من لاختيارات غير المرضية ، والحق ـ سبحانه ـ يريده غوذجا لا يقع منه إلا الحير ، والمئال الكامل على ذلك اصطفاء لحق سبحانه لرسوله عمد صلى الله عليه وسلم من أول الأمر وجعله لا يفعل إلا السلوك الطيب من أول الأمر ، وذلك حتى يعطينا الرسول الفدوة الإيمائية في ثلاث وعشرين سنة هي مدة الرسالة المحمدية .

والحق يقول لمريم على لسان الملائكة : « يا مريم اقنتى لربك » إنه أمر بالعبادة الحاشعة المستديمة لربها « وكلمة « لربك » تعنى التربية ، فكأن الاصطفاءات هي من نعم الله عليك يا مريم ، وتستحق منك القنوث « واسجدى واركعى مع الراكعين » و« اسجدى » أي بالبغى في الحشوع ، والخضوع ، بوضع الجبهة التي هي أشرف شيء في الإنسان على الارض ، لأن السجود هو أعلى مرتبة من الخضوع ،

لكن أيعفيها هذا اللون من الخضوع بما يكون من الركوع نقه مع الناس ؟ لا ، إنه الأمر الحق يصدر لمريم ، واركعي مع الراكعين ، ولا يعفيك من الركوع أنك فعلت الأمر الأعل منه في الحضوع وهو السجود ، بل عليك أن تركعي مع الراكعين ، فلا يحق لك يا مريم أن تقولى : « لقد أمرني الله بأمر ، أعلى ولين أنفذ الأمر الأدني ،

إن الحق بأمرها أن تكون أيضا في ركب الراكعين مثلها نقراً قوله الحق عن الكفار :

و مَاسَلَكُكُرُ فِي سَقَرَ إِن مَا اللَّهُ اللَّهُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿ ﴾

(سورة المنثر)

إنهم كفار ، فكيف يصلون ؟ إنه اعتراف منهم بأنهم كفار ، ولم يكونوا مسلوكين في سلك من يصلى ، واعتراف بأنهم لم يكونوا مسلمين أو مؤمنين بالله . وهنا يسأل سائل كريم : هافريم اقتتى لربك مائل كريم : هامريم اقتتى لربك واسجدى واركمى مع الراكمين ، ولم يقل الحق : «مع الراكمات ، ؟ هذا هو السؤال .

وإجابة على هذا السؤال نحب أن غهد تمهيدا بسيطا إلى فلسفة الأسهاء في وضعها على مسمياتها . إن الأسهاء ألفاظ من اللغة تعين مسهاها . والمسميات مختلفة ، فمنها الجهاد ، ومنها النبات ، ومنها الحيوان ، ومنها الأسهاء النبي تدل على عالم الغيب كالجن ، والملائكة ، وكل ما غيب الله . هذه الأسهاء تدل على معانيها .

وهدى الله سبحانه البشر إليها بما علم آدم من الأسهاء ، فكيف كان باستطاعة آدم النعبير عن معطيات الأسهاء بمسميانها ؟ إذن لابد أن يوجد لكل شيء اسم حتى نستطيع حين نتفاهم على الشيء أو الكائن بأن نذكر لفظا واحدا موجزا يشير إليه . ولو لم يكن يذكر هذا فكيف كان باستطاعة إنسان أن يتكلم مع إنسان أخر عن الجبل ولو لم يكن يذكر هذا فكيف كان باستطاعة إنسان أن يتكلم مع إنسان أخر عن الجبل مثلا ؟ . أكان على المتكلم أن يأخذ السامع إلى الجبل ويشير إليه ؟ أم يكفي أن يقول له لفظ د جبل ٥ حتى يستحضر السامع في ذهنه صورة لهذا المسمى ؟

إذن . . ففلسفة تعليم الحق للأسماء لنا أزاحت عنا عبثا كبيرا من صعوبة النفاهم . ولولا ذلك لما استطعنا أن نتفاهم على شيء إلا إذا واجهنا الشيء وأشرنا إليه . فكلمة و جبل و وكلمة و صحر و وغيرها من الكلمات هي أسماء لمسميات . . وعندما أتكلم على سببل المثال عن أمريكا فإنني لن أخذ السامع إليها وأشير إليه قائلا وإن هذه هي أمريكا و على السامع معنى قائلا وإن هذه هي أمريكا و تعطى السامع معنى للمسمى ، فتلحق الأحكام على مسمياتها . ومادامت المسألة هكذا فلابد من وجود أسهاء لمسميات و هذه الأسهاء علمها الله للإنسان حتى يتفاهم بها والإنسان أصله من آدم .

وكلمة و آدم و حينها تتكلم بها تجدها في النحو مذكرة و والمذكر يقابله المؤنث. وقد خلق الحق الأعلى: الذكورة والأنوثة و لأن من تزاوجها سيخرج النسل وقد خلق الحق الأعلى: الذكورة والأنوثة ولان من تزاوجها سيخرج النسل إذن نكان لابد من التمييز بين النوعين للجنس الواحد و فالذكر والأنثى وهما بنو آدم و ومنها ينشأ التكاثر و لكن العجيب أن الله حين سمى آدم ونطقناه اسها مؤنثا و وجعل سبحانه الأسم الأصيل الذي مذكرا وسمى و حواء و ونطقناه اسها مؤنثا و وجعل سبحانه الاسم الأصيل الذي وجد منه الخلق هو و نفس و . ثقد قال الحق ؛

﴿ يَكَأَيُّمَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبِّكُ الَّذِي خَلَقَتُكُم مِن نَفْسِ وَحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَ وَلَا يُحَالِّ وَخَلَقَ مِنْهَا وَبَثَ فَلِي يَعَلَمُ اللَّهِ عَلَمْ اللَّهِ عَلَمْ اللَّهِ عَلَمْ اللَّهِ عَلَمْ اللَّهِ عَلَمْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَمْ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّا اللَّلَّالَا ال

○\\$\\$\\ **○\\$\\ ○\\$\\$**

كَانَ عَلَيْكُمْ رَفِيبًا ۞ ﴾

(سررة النساء)

لقد سمى الحق أدم بكلمة نفس ، وهى مؤنثة ، إذن فليس معنى التأنيث أنه أقل من معنى التذكير ، ولكن ، التذكير ، هو فقط علامة لتضع الأشياء في مسمياتها الحقيقية وكذلك التأنيث . إن الحق سبحانه يطلق على كل إنسان منا ، نفس ، وهى كلمة مؤنثة ، وحينها تكلم الحق سبحانه كلاما آخر عن الخلق قال :

﴿ يُكَأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَكُمْ مِن ذَكِرِ وَأَنْنَى وَجَعَلْنَكُو شُعُوبًا وَقَبَآبِلَ لِتَعَارَثُواً اللَّهُ النَّاسُ إِنَّا أَخُلَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآبِلَ لِتَعَارَثُواً اللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿ ﴾ إِنَّا أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَلْكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿ ﴾

(سورة المجرات)

وكلمة و ناس و تعنى مجموع الإنسان . وهكذا نعرف أن كلمة و إنسان و تطلق مرة على المذكر ، وهرة أخرى على المؤنث . إذن فالحق قد أورد مرة لفظا مذكرا ، ومرة أخرى أطلق لفظا مؤنثا ، وذلك حتى لا نقول : إن المذكر أفضل وأحسن من المؤنث ، ولكن ذلك وسيلة لملتفاهم فقط ، ولذلك يؤكد لنا الحق سبحاته أنه قد وضع الأسهاء لمسمياتها لنتعارف بها .

﴿ وَجَعَلْنَكُمُّ شُعُوبًا وَقَبَآيِلَ لِتَعَارَفُوا ۗ ﴾

(من الآية ١٣ سورة الدجرات)

ومعنى «لنتعارف» أى أن يكون لكل منا اسمٌ يعوف به عند الأخرين . وفي حياتنا العادية ... ولله المثل الأعلى ـ نجد رجلا عنده أولاد كثيرون ، لذلك يُطلق على كل ابن اسها ليعرفه المجتمع به ، والعجيب في هذه الآية الكريمة : « وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » . أننا نجد كلمة « شعوبا » مذكرة وكلمة « قبائل » مؤنثة . إذن فلا تمايز بالأحسن » ولكن الكلهات هنا مسميات للتعارف ، والحق الأعلى يقول :

﴿ وَٱلْعَصْرِ ۞ إِنَّ الْإِنسَانَ لَنِي خُسْرِ ۞ إِلَّا الَّذِينَ وَاسْنُواْ وَعَيِـلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ وَقُواصَوْاْ بِالْحَيْقِ وَقُواصَوْا بِالصَّــيرِ ۞ ﴾

(يسورة العصر)

إذن فها وضع النساء اللائي آمنً ؟ إنهن يدخلن ضمن و الذين أمنوا ، ولماذا أدخل الله المؤنث في المذكر ؟ لأن المذكر هو الأصل ، والمؤنث جاء منه قرعا . إذن فالمؤنث هو الذي يدخل مع المذكر في الأمور المشتركة في الجنس .

﴿ يَنَأَيُّهَ ٱلنَّاسُ آعَبُدُوا رَبُّكُرُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ لَتَقُونَ ﴿ فَ لَكُونَ مَن اللَّهِ مَا اللَّهِ مَا اللَّهِ اللَّهُ اللّلَّةِ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللللَّلَّا الللَّهُ اللللَّهُ اللَّهُ اللللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّلَّا اللللَّهُ ا

وهذا يعني أن ﴿ المؤنث ، عليه أن يدخل في تكليف العبودية الله .

والمعنى العام يحدد أن المطلوب منه العبادة هو الإنسان كجنس. وبنوعية الذكر والأنثى . وفي الأمر الحاص بالمرأة ، يحدد الله المرأة بذاتيتها . فالحق سبحانه وتعالى يقول :

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنِ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى آللَهُ وَرَسُولُهُ ۗ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَمُسُم آلِلْ يَنَ اللهِ مِنْ اللهِ يَرَا أَمْرِهِ اللهِ عَلَى اللهُ وَرَسُولُهُ مِنْ اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهِ اللهِ عَلَى اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ الله

(معورة الأحزاب)

لماذًا ؟ إن المسألة هنا تشمل النوعين من الجنس الواحد : الرجل والمرأة ، زوج وزوجة ، فمثلا نجد زوجا يريد تطلبق زوجته ، فيأن الحق بتفصيل يوضح ذلك . وإذا كان هناك أمر خاص بالمرأة - فالحق سبحانه وتعالى يجدد الأمر فها هوذا قوله الحكيم :

عَلْ يَكْنِسَاءَ اللَّهِي لَسْتُنَ كَأْحَرِ مِنَ النِّسَاءُ إِنِ اتْقَبْتُنَ فَلَا تَعْضَعُنَ بِالْقَوْلِ قَيْظُمُ الَّذِي عَلَيْ اللَّهِ اللَّهِ وَقَرْنَ فِي اللَّهِ مِنْ وَقُلْ مَا عُرُوفًا ﴿ وَقَرْنَ فِي اللَّهِ مِنْ وَلَا تَبَرَّجْنَ نَبَرَّجَى لَبَرَّجَى لَبَرَّجَى لَبَرَّجَى لَبَرَّجَى لَبَرَّجَى لَبَرَّجَى لَبَرَّجَى لَبَرَّجَى لَبَرَّجَى اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّ

(場)(場)()<li

الجَنهِلِيَّةِ الأُولَّىٰ وَأَفِنَ الصَّلَوَةَ وَمَانِينَ الرُّكُوةَ وَأَطِئْنَ اللَّهَ وَرَسُولَةً وَإِنْ إِنْ يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُرُ الرِّحْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُرُ تَطَهِيرًا ﴿ ﴾

(معورة الأجزاب)

إن كل ما جاء في الآية السابقة يجدد المهام بالنسبة لنساء النبي صلى الله عليه وسلم ، فالخطاب الموجه يحدد الأمر بدقة « لستن ؛ وه اتقبتن ، « لا تخضعن » ، وو قرن » ، وه لا تبرجن » . الحديث في هذه الآية الكريمة بتعلق بالمرأة لذلك يأن لها بضميرها مؤنثا .

ولكن إذا جاء أمر يتعلق بالإنسان بوجه عام فإن الحق يأتى بالأمر شاملا للرجل والمرأة ويكون مذكرا ، ولذلك فعندما قائت النساء لماذا يكون الرجل أحسن من المرأة ، جاء قول الحق :

﴿ إِنَّ الْمُسْلِينَ وَالْمُسْلِئِنِ وَالْمُسْلِئِنِ وَالْمُوْمِنِينَ وَالْمُوْمِنِينَ وَالْمُوْمِنِينَ وَالْمُوْمِنِينَ وَالْمُنْمِينَ وَالْمُسْلِينِ وَاللَّهِ وَاللَّهِ وَاللَّهِ وَالْمُسْلِينِ وَالْمُسْلِينِ وَالْمُسْلِينِ وَاللَّهِ وَاللَّهِ وَاللّمِينِ وَاللَّهِ وَالْمُسْلِينِ وَاللَّهِ وَاللَّهِ وَالْمُسْلِينِ وَاللَّهِ وَاللّلِينِينِ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهِ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَالْمُسْلِينِ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَالْمُسْلِينِ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَالْمُسْلِينِ وَالْمُسْلِينِ وَالْمُسْلِينِينِ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَالْمُسْلِينِ وَالْمُسْلِينَا وَالْمُسِلِينِ وَالْمُسْلِينِ وَالْمُسْلِينِ وَالْمُسْلِينِ وَالْمُسْلِينِ وَالْمُسْلِين

هكذا حسم الحق الأمر . قال سبحانه تأكيدا لذلك ! ﴿ وَمَن يَعْمَلَ مِنَ ٱلصَّلْمِحَاتِ مِن ذَكِرٍ أَوْ أَنْنَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَتُهِكَ يَدْخُلُونَ ٱلجَّنَةَ وَلَا يُظْلَدُونَ نَقَيرًا ﴿ ﴾

(سبرية النساء)

إن الذكر والأنثى هنا يدخلان في وصف واحد هو : ﴿ وهو مؤمن ﴾ إذن - قعندما يأتي الأمر في المعنى العام الذي يُطلب من الرجل والمرأة - فهو يُضمر المرأة في الرجل

لأنها مبنية على الستر والحجاب ، مطمورة فيه ، داخله معه ، . فإذا قال الحق سبحانه لمربم : « واركعى مع الراكعين ، فالركوع ليس خاصا بالمرأة حتى يقول ، مع الراكعات » ولكنه أمر عام يشمل الرجل والمرأة ، لذلك جاء الأمر لمربم بأن تركع مع الراكعين ، وبعد ذلك يقول الحق :

مَثِلُوا ذَالِكَ مِنْ أَنْبَاءَ أَلْعَنْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكُ وَمَاكُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَنَهُمْ أَيُّهُمْ يَكَفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْلَصِمُونَ * ثَلَيْهِمْ إِذْ يَخْلَصِمُونَ * ثَلَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ إِذْ يَخْلَصِمُونَ * ثَلَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ إِذْ يَخْلَصِمُونَ * ثَلْ اللَّهُ

وقد قلنا من قبل: إن كلمة و نبأ و لا تأتى إلاّ في الخبر العظيم . والغيب هو ما غاب عن الحس . وهناك وغياب عن الحس و من الممكن أن يدركه مثلك . وهناك غياب عن الحس لا يدركه مثلك . وقلنا من قبل : إن حجب الغيب ثلاثة : مرة يكون الحجاب في الزمن ماضيا ، ومرة مستقبلا ، ومرة ثالثة بكون الحجاب في الذكان . لماذا ؟ لأن ظروف الأحداث زمان ومكان . فإذا أنبأن مني و بخبر مفى زمنه فهذا اختراق للحجاب الزمن الماضي ، فالحدث يكون قد وقع من سنوات وصار ماضيا ، وإذا أخبرن به الآن فهذا يعني أنه اخترق حجاب الزمن الماضي ، وإذا قال في عن أمر سيحدث بعد سنتين من الآن فهذا اختراق حجاب الزمن المستقبل ، وهب أنه أخبرك سيحدث بعد سنتين من الآن فهذا اختراق حجاب الزمن المستقبل ، وهب أنه أخبرك بنبأ معاصر لزمنك الآن نقول : هنا بوجد حجاب المكان ، فعندما أكون معكم الآن بنبأ معاصر لزمنك الآن انقول : هنا بوجد حجاب المكان ، فعندما أكون معكم الآن

- لذلك فعلينا أن نعرف ، أنه مرة يكون الحجاب حجاب زمان . . أى قد يكون الزمن ماضيا ، أو يكون الزمن مستقبلا ، وقد يكون حجاب مكان . فإذا كان الله ينبىء رصوله بهذا النبأ ، فوسائل علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث ؟ لأن وسيلة العلم بالنبأ أحد ثلاثة أمور : مشاهدة ؛ أو سباع ؛ أو قراءة .

@1811@@#@@#@@#@@#@@#@

والرسيلة الأولى وهي مشاهدة النبأ يشترط أن يوجد في زمن هذا النبأ ، والنبأ الذي أخبر الله به رسوله حدث من قبل بعث الرسول بمالاً يقل عن سنة قرون . إذن فالمشاهدة كوسيلة علم بهذا النبأ لا تصلح ، لأن النبأ قد حدث في الماضي . قد يقول قائل : لعل الرسول صلى الله عليه وسلم قد قرأها ، أو سمعها وبإقرار خصوم عمد صلى الله عليه وسلم أنه ليس بفاريء ع فامتنعت هذه الوسيلة أيضا ، وبإقرار خصومة صلى الله عليه وسلم أنه لم يجلس إلى معلم فلم يستمع من معلم . إذن فلم يكن من سبيل لمعرفة رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا النبأ إلا بالوحى ، لذلك قال الحق سيحانه :

﴿ ذَٰ لِكَ مِنْ أَنْبَآءِ ٱلْغَبِي نُوحِهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَلَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقَلْتُهُمْ أَيْهُمْ يَكُفُلُ مَنْ يُمَّ وَمَا كُنتَ لَدُيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ۞ ﴾

(سبورة آل عمران)

وقلنا قديما إن الوحى ، هو إعلام بخفاء ؛ لأن الإعلام العادى هو أن يقول إنسان لإنسان خبراً ما ، أو يقرأ الإنسان الخبر ، أما الإعلام بخفاء قاسمه ؛ وحي 3 . والوحى يفتضى 3 موجى 5 وهو الله ، 3 وموحى إليه 5 وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وا موحى به 4 وهو القرآن الكريم .

وإذا نظرنا إلى الإعلام بخفاء لوجدنا له وسائل كثيرة . إن الله يوحى . لكن الموحى إليه يختلف . الله سبحانه وتعالى يوحى للأرض :

﴿ إِذَا زُلِيْكِ الأَرْضُ زِلْ الْمَاشِ وَأَنْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَ ۚ ۞ وَقَالَ ﴾ ﴿ إِذَا زُلِيْكِ الأَرْضُ أَثْقَالَ ﴾ وَقَالَ ۞ الإِنسَيْنُ مَا لَمَا ۞ يَوْسَهِ فِي تَعْدِثُ أَنْجَارَهُ الْمَانَ وَبَالُهُ وَبَلِكَ أَوْحَىٰ لَمَا ۞ ﴾ الإِنسَيْنُ مَا لَمَا ۞ يَوْسَهِ فِي يَوْسَهِ فِي يَعْدِثُ أَنْجَارَهُ الْمَالِدُ وَاللَّهُ ﴾ وسورة الولالة)

إنه إعلام بخفاء ، لأن أحدا منا لم يسمع الله وهو يوحى للأرض ۽ والحق سيحانه يوحى للنحل ، ويوحى للملائكة ؛ ويوحى للأنبياء ؛ وهناك وحى من غير الله ، كوحى الشياطين .

﴿ وَإِنَّ الشَّيْطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أُولِيهَا بِهِمْ لِيُجَدِّلُوكُمُّ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ (سورة الأنعام)

وهناك وحى من البشر للبشر :

علْ وَكُذَاكِ جَمَلْنَا لِكُلِّ نَبِي عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإنس وَالْحِنْ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِنَّ بَعْض زُغْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْشَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ١٠٠٠ ﴿ (سورة الأنعام):

لكن الوحي إذا أطلق، ينصرف إلى الوحي من الله إلى من اختاره لرسالة ، وما عدا ذلك من أنبواع الوحي يستمونه ، وحيا لغويا ، إنما الوحس الاصطلاحي وحي من الله لرسول : إذن فوحي الله للأرض ليس وحيا اصطلاحيا ، ووحي الله للنحل تيس وحيا اصطلاحيا ؛ ووحى الله لأم موسى ليس وحيا اصطلاحيا ؛ ووحى الله للحواريين ليس وحيا اصطلاحيا ، إن الحق سبحانه يقول:

﴿ وَإِذْ أُوحَيْثُ إِلَى ٱلْحَمُوادِيِّتِينَ أَنَّ عَالِينُوا فِي وَيِرَسُولِي قَالُوٓا عَامَنًا وَاشْهَدْ بِأَنْنَا مُسَلِّمُونَ ﴿ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ (سورة المائدة)

إن هذا لون من الوحي غير اصطلاحي ، بل هو وحي لغوي ، أي أعلمهم بخفاء . لكن الوحي الحقيقي أن يُعلم الله من اختاره لرسالة ، وهذا هو الوحي الذي جاء للرسول صلى الله عليه وسلم . يقول الحق : وذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وماكنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وماكنت لديهم إذا يختصمون ۽ .

هكذا يخبرنا الحق أن الرسول تلقى هذا النَّأ بالوحى ، فلم يقرأه ، ولم يشاهده ، ونحن نعرف أن خصوم رسول الله شهدوا أنه لم يقرأ ولم يستمع من معلم . وهكذا يخبرنا الحق أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن موجودا مع قوم مريم حين القوا أقلامهم .

راجع أصله وخرُج أحاديثه الدكتور أحمد عمر هاشم نأتب وئيس جامعة الأزهر .

@1517@@+@@+@@+@@+@@

والقلم يُطلق على القلم الذي نكتب به ، أو يطلق القلم على القداح التي كانوا يقترعون بها إذا اختلفوا على شيء . وكانوا عندما يختلفون يحضرون قداحا ، لبعفروا من يظفر بالشيء المختلف عليه ونسميها نحن القرعة ، والقرعة يقومون بإجرائها لإخراج الهوى من قسمة شائعة بين أفراد ، وذلك حتى لا بميل الهوى إلى هذا أو إلى ذلك مفضلا له على الأخرين ، ولذلك فنحن أيضا نجرى القرعة فنضع لكل واحد ووقة .

إذن فلا هوى لأحد فى إجراء قسمة عن طريق الفرعة ، وبذلك نكون قد تركنا المسألة إلى قدر الله لأن الورقة لا هوى لها ، ولما اختلف قوم مربم على كفائتها ، واختصموا حول من الذى له الحق فى أن يكفلها ، هنا أرادوا أن يعزلوا الهوى عن هذه المسألة ، وأرادوا أن تكون قدرية ، ويكون القول فيها عن طريق قدح لا هوى له . فهذا القدح سيجرى على وفق المقادير . أما « أقلامهم » فقد تكون هى القداح التي يقتسمون بها الفرعة ، أو الأقلام التي كتبوا بها التوراة تبركا .

وتساءل البعض ، ما المقصود بقول الحق : « إذ يلقون أقلامهم » وأين تم إلقاء هذه الأقلام ؟ قيل : إنها ألقيت في البحر وإذا ألقيت الأقلام في البحر قمن الذي يتميز في ذلك ؟ قيل : إنه إذا ما أطل قلم بسنه إلى أعلى قصاحبه الفائز ، أو إذا غرقت كل الأقلام وطفا قلم واحد يكون صاحبه هو الفائز . ولابد أنهم اتفقوا على علامة أو سمة ما ثميز القلم الذي كان لصاحبه قضل كفائة مريم . « وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون » .

وكلمة و إذ يختصمون ؛ تدل على حرارة المنافسة بين القوم شوقا إلى كفالة مريم ، لدرجة أن أمر كفالتها دخل في خصومة ، وحتى تنتهى الخصومة لجنوا إلى الاقتراع بالأقلام .

وننتقل الآن إلى مرحلة أخرى .

مِيْنَ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَةِ كُهُ يَكُمُرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكُلِمَةٍ مِّنْدُٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهَا فِي الدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ۞ ﴿ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ الْمُ

لقد كانت المرحلة الأولى بالنسبة لإعداد مريم هى قوله الحق على لسانها: «إن الله يرزق من يشاء بغير حساب ع. وبذاك تعرفت على طلاقة قدرة الله ۽ والمرحلة الثانية هى سياعها لحكاية زكريا ويحيى وتأكيد الحق لها أنه اصطفاها على نساء العالمين ۽ وفي ذلك أمر يتعلق بالنساء ، وكان ذلك إيناساً من الحق لها » وندخل مويم إلى مرحلة جديدة .

﴿ إِذْ قَالَتِ الْمُلَدِيكَةُ يَدَرَّيُّمُ إِنَّ اللَّهُ يُبَشِّرُكِ بِكَامَةٍ بِّنهُ ﴾

(من الآية 10 سورة أل عمران)

والبشارة لا تكون إلا بخبر عظيم مفرح ، وقد يتساءل البغض ؟ ماذا يفصد الحق بقوله : ٤ كلمة منه ٤ ؟ والإجابة هي : أن الحق سبحانه وتعالى يزاول سلطانه في ملكه بالكلمة ، لا بالعلاج ، قالحق سبحانه علمنا ذلك بقوله :

﴿ اللَّهُ يَمُانُونَ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن نَبَكُونُ ﴾

(من الآية ٤٧ سيرة ال غمران)

وهذا القول هو مجرد إيضاح لنا وتقريب لأنه لا بوجد عندنا أقصر في الأمر من كلمة وكن ؛ إن قدرته فادرة بطلاقتها أن تسبق نطقنا بالكاف وهي الحرف الأول من وكن ، ولكن الحق يوضح لنا بأقصر أمر على طريقة البشر ؛ إن الحق سبحاته وتعالى إذا أراد أمرا فإته يقول له كن فيكون ، وذلك إيضاح أن مجرد الإرادة الإلهية لأمر ما تجعله ينشأ على الفور ، وو كن ، هي مجرد إظهار الأمر للخلق ، هكذا نفهم معنى بشارة الحق لمريم بدو كلمة منه ، ويقول الحق : واسمه المسبح عيسى ابن مريم ، وابن مريم ،

ما معنى السبح ؟ قد يكون المسموح من الذنوب ، أو أن تكون من آياته أن يحسح على المريض نيبرا ، أو المسبح المبارك . . أما عيسى ، فهذا هو الاسم ، والمسبح هو اللقب ، وابن مربم هى الكنية . . ونحن نعرف أن العلم فى اللغة العربية يأتى على ثلاثة أنواع : اسم أو لقب أو كنية . وابن مالك يقول : لا واسها أن وكنية ولقبا ؛ إن العلم على المشخص له ثلاث حالات . إما اسم وهو ما يطلق على المسمى أولا . والاسم الثانى الذي أطلقناه عليه . إن كان يشعر برفعة صاحبه أو بضِعَتِه تسميه لقبا . أما ما كان قيه أب أو أم فيقال له : لا كنية لا وجاءت الثلاثة فى عيسى لا اسمه المسبح عيسى بن مريم » .

المسبح ، هو اللقب ، « عيسى » هو الاسم ، وه ابن مريم ، هو الكنية . ومجى »
 عيسى باللقب والاسم والكنية ستكون لها حكمة تظهر لنا من بعد ذلك . ويقول عنه الحق : « وجيها في الدنيا والأخرة » .

ونحن في حياتنا نستعمل كلمة فلان وجيه من وجهاء القوم ، والوجيه هو الذي لا يرده مسئول للكرامة في وجهه ، ونحن نسمع في حياتنا اليومية . فلان لا يصح أن نسبب له الحجل برفض أي طلب له . وكها يقول العامة : (هو الوجه ده حد يكسفه) إذن فالوجيه هو الذي يأخذ سمة وتميزا بحيث يستحي الناس أن يردوه إذا كان طائبا ، وهناك إنسان آخر قد يسألك أو يسأل الناس ، فلا يبالي به أحد ، إنه يربق ماء وجهه ونتهي المسألة .

إذن فقوله الحق في وصف عيسى بن مربع : « وجيها في الدنيا والأخرة » أي أن أحدا لا يرده إن سأله . لكرم وجهه ، فالإنسان بخجل أن يرد صاحب مثل هذه الكرامة » لذلك نجد ان السائل قد يقول : أعطني لوجه الله . أي أنه يقول لك : لا تنظر إلى وجهي ، ولكن أنظر إلى وجه الله ، لأن الله هو الذي جاء بي إلى الدنيا وخلفني ، ومادام قد جاء بي الحالق إلى الدنيا فهو المتكفل برزقي ، فأنت حينها تعين على رزق من استدعاء الله إلى الوجود تكون قد أعطيت لوجه الله ، إنه الحالق الذي يرزق كل محلوق له حتى الكافر .

إذن فعطاء الإنسان للسائل ليس عطاء لوجه السائل ، ولكنه عطاء لوجه الله . والحق يقول عن عيسي بن مويم : ﴿ وجيها في الدنيا والأخرة ﴾ وعرفنا كيف يكون

الإنسان وجبها في الدنيا ، فلهاذا نص الحق على وجاهة عيسى في الاخرة ؟ وخصوصاً أن كل وجوء المؤمنين ستكون ناضرة ، لقد نص الحق على وجاهة عيسى في الآخرة لأنه سوف يُسأل سؤالا يتعلق بالقمة الإيمانية :

عَوْ وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَنْعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ وَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ الْخِذُونِي وَأَي إِلَنهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ قَالَ اللهُ يَنْعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ وَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ الْخِذُونِي وَأَي إِلَنهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ قَالَ سُبْحَتَنَكَ مَايَكُونُ لِى أَنْ أَقُولَ مَالَيْسَ لِي بِحَقَّ إِلَا كُنتُ قُلْنَهُم فَقَدْ عَلِيّتُهُم اللّهُ عَلَيْهُم اللّهُ عَلَيْهُم اللّهُ مَا فِي أَفْسِى وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي تَفْسِكُ إِنَّكَ أَنتَ عَلَيْمُ اللّهُ بُوبِ وَإِنْ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي تَفْسِكُ إِنَّكَ أَنتَ عَلَيْمُ اللّهُ بُوبِ وَإِنْ اللّهُ اللّ

(سورة المائدة)

إياك أن تظن أن هذا السؤال هو تقريع من الله لعيسى بن مريم . لا . إن الحق بريد أن يقرّع من قالوا هذا الكلام . ولذلك يقول عنه الحق :

﴿ وَالسَّلَامُ عَلَى يَوْمَ وُلِدتْ وَيُومَ أُمُوتُ وَيُومُ أَبْعَثُ حَيًّا ﴿ ﴾

(معروة عريم)

لأن مبلاده كان له ضجة ، وبعض بنى إسرائيل اتهموا والعياذ بالله أمه مريم البتول ، وه يوم الميات » ، كانا نعرف حكاية الصلب وكان لها ضجة . إنه لم يصلب ولكن صلب من خانه ووشى به فألقى الله شبه عيسى عليه فقتلوه ، ويوم البعث حيا يوم بالله الله :

﴿ وَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ الْخَوْلُوفِي وَأَيِّى إِلَىٰهِ مِنْ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِنَ أَنَّ أَنَّ أَنْ الْاَبَةِ وَلَا سَوْمَ اللّهُ عَلَيْكُونُ لِنَ أَنَّ أَنْ اللّهُ اللللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللللّهُ الللّهُ اللّهُ

إنه عيسى ابن مربم الذي أنعم الله عليه بالسلام في هذه المواقف الثلاثة . ويتابع الحق فيصف عيسى ابن مربم بقوله : « وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين » إن كلمة ، من المقربين » تدل على تعالى الحق في عظمته ، فحين يفتن بعض البشر في واحد منهم قد يغضب بعضهم من الشخص الذي فنن الآخرون فيه مع أنه ليس له ذنب في ذلك .

والحق سبحانه يعلمنا أن للمغالي جزاءه ولكن المغالي فيه تنجيه رحمة الغفار .

إن الحق يعلمنا أن فتنة بعض الناس بعيسى ابن مريم عليه السلام لا تؤثر في مكانة عبسى عليه السلام عند الحق م إنه مقرب من الله ، ولا تؤثر فتنة الأخرين في مكانته عند الله، ويقول الحق .

عِيْنَ وَيُحَكِيمُ النَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهُلَّا وَيُحَكِّمُ النَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهُلَّا وَيَنَ الصَّلِيعِينَ اللَّهِ اللَّهُ اللَّلِمُ الللْمُولِمُ اللللْمُولِمُ الللِّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّ

الكلام : معناه اللفظ الذي ينقل فكر الناطق إلى السامع ، وقول الحق : « يكلم الناس في المهد » ، معناه أن المواجه لعيسى عليه السلام في المهد هم الناس . وو المهد » هو ما أعد كفراش للوليد . ولقد أورد الحق « المهد وكهلا » رمزية لشيء ، وهي أن عيسى ابن مريم من الأغيار ، يطرأ عليه مرة أن يكون في المهد ، ويطرأ عليه مرة أخرى أن يكون كهلا ، ومادام في عالم الأغيار فلا يصح أن يفتتن به أحد ليقول إنه « إله » أو « ابن إله » .

ونفهم أيضا من و ويكلم الناس في المهد و سر وجود آية المعجزة التي وهبها له الله وهو طفل في المهد . لأن المسألة تعلقت بعرض أمه وكرامتها وعفتها و فكان من الواجب أن تأتي آية لتمحو عجبا من الناس حين يرونها تلد بدون أب لهذا الوليد أو زواج لها . وهذه المسألة لم نجد لها وجودا . مع أنها مسألة كان يجب أن تقال لأنهم يمجدون نبيهم ، وكان من الواجب ألا يعقلوا عن هذه العجيبة ، إن كلام طفل في المهد لما كان أمرا عجيبا كان لابد أنّه سيكون على حفظ وتداول بين الناس ، وأن يكتفى الناس برواية واقعة كلامه في المهد فقط ، بل سيحقظون ما قاله ، ويرددون قوله .

والكلمة التي قالها عيسي عليه السلام في المهد لا تسعف من يصف عيسي عليه السلام بوصف يناقض بشريته ، لأن الكلمة التي نطق بها أول ما نطق : إن عبدالله ، قاحفوا هم هذه المسألة كلها لأن هذه الكلمة تنقض القضية التي يريدون

أن يضعوا فيها عيسى عليه السلام ۽ إن الحق يقول : ۽ ويكلم الناس في المهد وكهلا ، .

ونعرف أن الكلام في المهد أي وهو طفل ود كهلا ، أي بعد الثلاثين من العمر ، أي في العقد الرابع ، والبعض قد قال ؛ إن الكهولة . . بعد الأربعين من العمر . وهو قد حدثت له في رواياتهم حكاية الصلب قبل أن يكون كهلا ، فإذا كان قد تكلم في المهد فيبقى أن يتكلم وهو كهل ، وقالوا إن حادثة الصلب أو عدم الصلب ، أو الاختفاء عن حس البشر قد حدثت قبل أن يكون كهلا ، إذن فلابد أن يأتي وقت يتكلم فيه عيسي بن مريم عندما يصير كهلا ، وأيضا قوله الحق : « ويكلم الناس في بتكلم فيه عيسي بن مريم عندما يصير كهلا ، وأيضا قوله الحق : « ويكلم الناس في المهد وكهلا ، أي ناضج التكوين ، فيذلك نعرف أن عيسي بن مريم فيه أغيار وفيه أحوال ، فإذا كنتم تقولون إنه إله فيل الألوهية في المهد هي الالوهية في الكهولة ؟

إن كانت الألوهية في المهد فقط فهي ناقصة لأنه لم يستمر في المهد ، وحدثت له أغيار ، ومادام قد حدثت له أغيار فهو محدث ، ومادام محدثا فلا يكون إلها ، وبعد ذلك يقول الحق عن عيسي ابن مريم : « ومن الصالحين » ما حكايتها ؟

إن العجيبة التي قال عنها الله : إنه يكلم الناس في المهد لم تكن باختياره ، وكلامه وهو كهل سيكون بالوحى ، أى ليس له اختيار فيه أيضا ، ، ومن الصالحين ، مقصود بها عمله ، أى الحركة السلوكية . لماذا ؟ لأنه لا يكفى أن يكون مبلغا ، ولا يكفى أن يكون حامل آية ، بل لابد أن يؤدى السلوك الإيماني .

ويقول الحق على لسان مريم البتول :

مَثْلَىٰ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدُ وَلَمْ يَمْسَنِي بَشَرُ اللَّهِ وَلَدُ وَلَمْ يَمْسَنِي بَشَرُ قَالَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا فَضَى آمْرًا فَإِنَّمَا فَالَحَالَ اللهُ عَلَيْهُ مَا يَشَاءُ إِذَا فَضَى آمْرًا فَإِنَّمَا يَعْلَى اللهُ عَلَيْهُ مَا يَشَاءُ إِذَا فَضَى آمْرًا فَإِنَّمَا يَعْلَى اللهُ عَلَيْهُ اللهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ ال

ونريد أن نقف وقفة ذهنية تدبرية عند قولها : و فالت رب أن يكون لى ولد ولم يحسنى بشر و فلو أنها سكتت عند قولها : و أنَّ يكون لى ولد و لكان أمرا معقولا فى تساؤلها ، ولكن إضافتها و ولم يحسسنى بشر و تثير سؤالا > من أين أتت بهذا القول و ولم يحسسنى بشر و ؟ هل قال لها أحد : إنك ستلدين ولدا من غير أب ؟ إن الملائكة لم تخبرها بذلك ، لذلك الصرف ذهنها إلى مسألة المس . إنها فطرة وقطنة المهيأة والمعدة للتلقى عن الله ، عندها قال لها : والمسيح عيسى ابن مريم و المعدة للتلقى عن الله ، عندها قال لها : والمسيح عيسى ابن مريم و المعدة المهيأة

قالت لنفسها: إن نسبته بأمر الله هي لي ، فلا أب له ، لقد قال الحق: إله ابن مريم ه ولذلك جاء قولها: « ولم يحسسني بشر ه ذلك أنه لا يمكن أن ينسب الطفل للأم مع وجود الأب . هكذا نرى فطنة التلقى عن الله في مريم البتول . لقد مر بها خوف عندما عرفت أن عبسي منسوب إليها وقائت لنفسها: إن الحمل بعيسي لن يكون بوساطة أب ، وكيف يكون الحمل دون أن يحسسني بشر . وقال الخالق الأكرم: « كذلك » أي لن يجسك بشر ، ولم يقل لها : لقد نسبناه لك لأنك منذورة لخدمة البيث ، ولكن الحق قال : « كذلك » تأكيدا لما فهمته عن إنجاب عبسي دون أن يجسسها بشر . وتتجلي طلاقة القدرة في قوله مبحانه : « الله يخلق ما يشاء » .

إنها طلاقة القدرة ، وطلاقة القدرة في الإنسال أو الإنجاب أو في عدم التكثير بالنسبة للإنسان ، وطلاقة القدرة لا تتوقف على إيجاد ذكورة وأنوثة ، ولوكانت طلاقة القدرة متوقفة على إيجاد ذكورة وأنوثة فكيف خلق أدم أول الخلق ؟ إن طلاقة القدرة في الخلق لا تتوقف على إيجاد ذكورة وأنوثة ، إنه الحق الأعلى المقادر على أن يخلق دون ذكورة أو أنوثة ، كخلقه لآدم عليه السلام ، وبخلق الحق سيحاته بواحد منها ، كخلقه سبحانه لحواء وخلق عيسى عليه السلام ، ويخلق الحالق الأعلى منها ، كخلقه سبحانه لحواء وخلق عيسى عليه السلام ، ويخلق الحالق الأعلى بالذكورة والأنوثة ، وهذه تتضيح في خلق جمهرة الناس ، ولا تظنوا أن باجتماع الذكورة والأنوثة بكن أن يُحقق الخلق ، فقد توجد الذكورة والأنوثة ولا يوجد إنجاب ، هاهوذا القول الحق :

﴿ يَهُو مُلْكُ ٱلشَّمَاوَتِ وَٱلْأَرْضَ يَخَالُقُ مَا يَثَاءً بَهَبُ لِمَن يَثَلَّهُ إِنَّكًا وَيَهُبُ لِمَن يَشَاءُ الذَّكُورَ ﴿ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذَكُواكًا وَإِنَّكَا ۖ وَيَخْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا

إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ١٠٠٠

(سورة الشودي)

هذه هي إرادة الحق ير إذن فلا تقل : إن اكتبال عنصرى الذكورة والأنونة هو الذي يحدث الحلق ، و كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمرا فإنما بقول له كن فيكون و . فأنتم أيها المحدثون تفعلون بالأسباب . لكن الذي خلقكم وخلق الأسباب لكم هو الذي بيده أن يوجد بلا أسباب ، لازه أنشأ العالم أول ما أنشأ بدون أسباب .

ويقول الحق سبحانه عن عيسى عليه السلام :

مَنْ وَيُعَلِمُهُ الْكِلَنبَ وَالْحِكُمَةُ الْكِلَنبَ وَالْحِكُمَةَ وَالتَّوْرَانةَ وَالْإِنجِيلَ ۞ ﴾

وساعة نسمع « يعلمه الكتاب » فنحن نفهم أن المقصود بها الكتاب المنزل » ولكن مادام الحق قد أتبع ذلك بقوله : « والتوراة والأنجيل » فلابد لنا أن نسأل . إذن ما المقصود بالكتاب ؟ هل كان المقصود بذلك الكتاب التقدمة ، كالزبور ، والصحف الأولى ، كصحف إبراهيم عليه السلام ؟ إن ذلك قد يكون صحيحا » ومعنى « يعلمه الكتاب » أن الحق قد علمه ما نزل قبله من زبور داود ، ومن صحف إبراهيم ، وبعد ذلك توراة موسى الذي جاء عيسى مكملا ها .

وبعض العلماء قد قال : أُثِرَ عن عبسى عليه السلام أن تسعة أعشار جمال الخط كان في يده . وبذلك يمكن أن نفهم « يعلمه الكتاب ؛ أى القدرة على الكتابة . وما المقصود بقوله : إن عبسى عليه السلام تلقى عن الله بالإضافة إلى « يعلمه الكتاب ؛ أنه تعلم أيضا « الحكمة والتوراة والإنجبل » وكلمة الحكمة عادة تأن بعد

كتاب منزل ، مثال ذلك قوله الحق :

﴿ وَاذْ كُرْنَ مَا يُنْسَلَنَ فِي بُيُورِنَكُنَّ مِنْ وَايَكْتِ آللَهِ وَالْحِيَّةُ إِنَّ آللَهُ كَانَ لَطِيقًا خَبِيرًا ﴿ ﴾ اللهِ وَالْحِيَّةُ عَلَيْهُ إِنَّ ٱللهُ كَانَ لَطِيقًا خَبِيرًا ﴿ ﴾ (الدَّية ٢١ من سورة الاحداب)

كتاب الله المقصود هنا هو القرآن الكريم ، والحكمة هى كلام الرسول عليه الصلاة والسلام . فالرسول له كلام يتلقاه ويبلغه ، ويعطيه الحق أيضا أن يقول الحكمة ، أما التوراة التي علمها الله لعيسى عليه السلام فقد علمها له الله ، لأننا كما نعلم أن مهمة عيسى عليه السلام جاءت لتكمل التوراة ، ويكمل ما أنقصه البهود من التوراة ، فالتوراة أصل من أصول النشريع لعصره والمجتمع المبعوث إليه فهو بالنص القرآن :

عَلَيْقَ وَرَسُولًا إِلَى بَنِيَ إِسْرَءِ عِلَ أَنِي قَدْحِثْ تُكُمْ بِنَايَةِ مِن رَبِّ لَطِينِ كَهَيْتَ قَرِ مِن رَّفِحَ مُنْ أَفِي مَنْ أَفِي أَعْلَقُ لَكُمُ مِن الطِينِ كَهَيْتَ قَرِ الطَّيْرِ فَأَنفُحُ فِيهِ فَيكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَبْرِيثُ الطَّيْرِ فَأَنفُحُ مِن مَا تَأْكُونَ وَمَا تَدَّخِونَ فَي الْمَوْقَ بِإِذِنِ اللَّهِ وَأُخِيرًا فِي الْمَوْقَ فِي إِلْاَ بَرَص وَأُخِي الْمَوْقَ بِإِذِنِ اللَّهِ وَأُخِيرُونَ فِي اللَّهِ مِنَا تَأْكُونَ وَمَا تَدَخِوُونَ فِي اللَّهِ وَالْمَوْقِ اللَّهِ فَي اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ ال

إن كلمة رسول تحتاج إلى علامة ، فليس لأى أحد أن يقول : وأنا رسول من عند الله و بل لابد أن يقدم بين يدى دعواه معجزة تثبت أنه رسول من الله . والآية كما تعرف هي الأمر العجيب الذي خرج عن القوائين والتواميس لتثبت صدق

الرسول في البلاغ ، ومادامت المعجزة خارجة عن تواميس البشر ، فالمخالف نقول له : أنت حين تكذب أن حامل المعجزة وسول ، فكيف تعلل أنه جاء بمعجزة خرجت عن الناموس ؟ إذن ، فالمعجزة تلزم المتكر الذي يتحدى وتفحمه ، لانه لا يستطيع أن يأتي بمثلها ، ولذلك قلنا : إن من لزوم التحدي ألا يتحدى الله حين يعطى رسولا معجزة إلا بشيء نيخ فيه القوم المبعوث إليهم ذلك الرسول ؛ لأن الحق لوجاء لهم بشيء لم يدرسوه ولم يعرفوه ، فالرد منهم يكون للرسول بقولم : إن هذا أمر لم تروض أنفسنا ولم ندربها عليه ، ولو رؤضنا أنفسنا عليه لاستطعنا أن نفعل مثله ، وأنت قد جئت لنا بشيء لم نعود أنفسنا عليه ، لذلك يرسل الحق الرسول - أي رسول - وأنت قد جئت لنا بشيء لم نعود أنفسنا عليه ، مثال ذلك ، موسى عليه السلام ، بمجزة من جنس ما ينبغ فيه القوم المرسل إليهم ، . مثال ذلك ، موسى عليه السلام ، أرسله الله إلى قوم كاتوا نابغين في السحر ، فكانت معجزته تقرب من السحر .

وإباك أن تقول إن معجزة موسى كانت سحرا ؛ لأن موسى عليه السلام لم ينزل بسحر ولكن بخمجزة . كانوا هم يخبلون للناس أشياء ليست واقعاء لذلك تجد القرآن يعطبك الفارق بين ما يكون عليه ما يأتي به الله على يد رسول من الرسل من معجزة وسحر القوم ، فيقول القرآن :

الله وَمَا يَلْكَ رَبِيمِينِكَ يَنْمُومَى ﴿ قَالَ هِمَ عَصَاى أَنَوَ كُواْ عَلَيْهَا وَأَمُشْ رَبَا عَلَى غَنَمِى وَ وَلَى فِيهَا مَعَالِبُ أَنْمُونَى ﴿ فَاللَّهُ عَلَيْهَا يَنْمُومَى ﴿ فَالْقَلْهَا فَإِذَا مِنَ حَبَّةً نَسْعَى ﴿ ﴾ وَلِي فِيهَا مَعَارِبُ أَنْمُونَى ﴿ فَاللَّهُ لَهَا يَنْمُومَى ﴿ فَالْقَلْهَا فَإِذَا مِنَ حَبَّةً نَسْعَى ﴿ ﴾ وَلِي فِيهَا مَعَارِبُ أَنْمُونَى ﴿ فَاللَّهُ لَهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ

كأن الحق يقول لمومى عليه السلام : إن حدود علمك بما فى يدك أنها عصا تتوكأ عليها وتهش بها على خنمك ، أما علمى أنا فهو علم آخر . لذلك يأمره أن يلقى العصا ، فلم ألفاها وجدها حبة تسعى ، فاوجس فى نفسه خيفة . إن وأوجس فى نفسه خيفة ؟ هى التى فرقت بين صحر القوم ومعجزة موسى عليه السلام ؟ .

لمَاذَا؟ لأن الساحر يلقى العصا فيراها الناس حية وهو يراها عصا لأنَّ الساحر لو رآها حية لحناف مثل الناس ، لقد خاف موسى عليه السلام لأنها تغيرت وصارت حية فعلا ولللك قال له الله :

عَ فَالَ خُذْمًا وَلَا تَخَفُّ سَنِعِيدُمًا سِيرَتُهَا الأُولَى ١٠٠٠ ﴾

(سيرة څه)

فلو كانت من جنس السحر لما أوجس في نفسه خيفة الأنه سوف يراها عصا وإن راها غيره حية ، وهذا هو الفارق . وقوم عيمي أيضا كانوا مشهورين بالحكمة والطب ، إذن فستجيء الآيات من جنس الحكمة والطب ، ثم تتسامي المعجزة ، لأن الذي يطبب جسما ويداويه لا يستطيع أن يعيد الميت إلى الحياة ، لأن الإنسان إذا ما مات فقد خرج الميت عن دائرة علاج الطبيب . ولذلك رقى الله آية عيسي ، إنه يشفى المرضى ، ويحيى الموتى أيضا ، وهذا ترق في الإعجاز . قال عيسى : ه أن قد جئتكم بآية من ربكم أنى أخلق لكم من الطبن كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله ؟ . إن كلمة ه أخلق ، تحتاج إلى وقفة وكذلك ه الطين * وه الهيئة ، وه الطير » .

أ اخلق به ماخوذة من الخلق به والخلق هو إيجاد شيء على تقدير ، فأنت تتخيله وتقدره في ذهنك أولا ثم تأتى به على هذه الحالة . فإن كان قد أن على غير تقديرك فليس خلفا ، إنما هو شيء جزافي جاء على غير علم وتقدير ، وإن من يأخذ قطعة من الطين ويصنع منها أي شيء فهذا ليس خلفا . إن الحلق هو المطلوب على تقدير . مثال ذلك الكوب أو الكأس البلور الذي نشرب فيه حينها صنعه الصائع . هل كانت مناك شجرة تخرج أكوابا ، أم أن الصائع أخذ الرمال وصهرها ووضع عليها مواد كياوية تخليها من الشوائب ، ثم قام بتشكيلها على هيئة الكوب ؟

إذن فالكوب لم تكن موجودة ، ووجدت على تقدير أن تكون شكل الكوب ، فهى خلق أوجد على تقدير ، وفرق بين خلق أوجد على تقدير ، وفرق بين صنعة البشر حين نخلق ، وبين صنعة الله حين يخلق . إن صنعة البشر حين تخلق ، إنما تخلق من موجود ، وحين بخلق الله فهو يخلق من معدوم ، وهذا هو أول فرق ، إنما تخلق من عدم ، أما الإنسان فيضع الأشياء بنظام يحدث فيها تفاعلات أرادها الله فتوجد ، فلا يوجد من يستطيع على سبيل المثال من يصنع كوبا من غير المادة التي خلقها الله .

إن هذا أول فرق بين خلق الله ، وخلق الإنسان ، فخلق الله يكون من عدم ،

00+00+00+00+00+00+011110

وخلق الإنسان من موجود ، وإن كان الإثنان على تقدير . وأيضا يعطى الله لحلقه سرا لا يستطيع البشر إعطاءه لصنعته ، فالله يعطيه سر الحياة ، والحياة فلها غو ، وفيها تكاثر ، لكن البشر يصنعون الكوب مثلا ، فتظل كوبا ، ولا يوجد تكاثر بين كوب ذكر وكوب أنثى .

إن الإنسان يوجد صنعته فتظل على حالتها ، ولا يستطيع أن يصنعها صغيرة ثم تكبر ، لكن صنعة الله هي صنعة القادر الذي يهب الحياة ، فتكبر مخلوقاته وتتطور وتمر بمراحل ، وتعطى مثلها . إذن ، فالحلق إيجاد على تقدير ، هذا الإيجاد بوجد معدوما ، والمعدوم موجودة مادته ، هذا في خلق الإنسان ، أما في خلق الله ، فالله يخلق من معدوم لا توجد له مادة . والله يخلق من الشيء ذكرا وأنثى ويعطيها القدرة على التناسل، فها هوذا قول الحق سبحانه :

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْتُ الْإِنْسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِن طِينِ ﴿ مُكَانِهُ نُطَفَّهُ فِي قَرَارٍ مَكِينِ ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْتُ اللَّهُ فَطَفَّةً فِي قَرَارٍ مَكِينِ ﴾ فَمَ خَلَقْتُ اللَّهُ فَعَلَمُ اللَّهُ فَطَنهُ عِظْلهُ اللَّهُ فَلَقْتُ اللَّهُ فَلَقْتُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ فَعَلَمُ اللَّهُ فَعَلَمُ اللَّهُ فَلَقَا اللَّهُ فَقَدًا اللَّهُ فَقَدًا اللَّهُ أَخْدَنُ اللَّهُ الْحَدَنُ اللَّهُ اللّ

ولم يمنع الحق خَلْقَه أن يخلقوا أشياء ، ولكن خلق الله أحسن ، لماذا ؟ لأنه يخلق من عدم ، والبشر يخلقون من موجود . وهو الحق يخلق ويوجد في مخلوقاته حياة وتكاثرا ، والبشر يخلقون بلا نمو ولا حياة ، إنه الحق أحسن الخالفين ، إذن قول عيسى عليه السلام : « أخلق لكم من الطين كهيئة ، الطير ، فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله » .

يعنى أن كل إنسان يستطيع أن يصنع تمثالا كهيئة الطير , لكن الله أوجد معجزة عيسى وجعله يخلق من الطين كهيئة الطير ، وينفخ فيه ، وقد تسأل ، في ماذا ينفخ ؟ أينفخ في الطير ، أم في الطين ، أم في الهيئة ؟ إن قلنا : إن النفخ في الطين بعد ما صار طيرا . يكون النفخ في الطين ، كالنفخ في الطير ، وجاءت في آية أخرى أنها نفخ في الهيئة . ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعِيسَى آبُنَ مَرْيَمُ الْذُكُرِ فِعْمَنِي عَلَيْكُ وَعَلَى وَالِدَيْكَ إِذْ أَيْدَتُكَ بِرُوجِ

الْفُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكُهْلًا وَ إِذْ عَلَيْتُكَ الْكِتَنْبُ وَالْحِثْمَةَ وَالنَّوْرَكَةَ

وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تُعْلُقُ مِنَ الطِّبِنِ كَهَيْعَةِ الطَّيْرِ بِإِذْ فِي فَتَنَفُخُ فِيبَ فَنَكُونُ طَيْرًا

وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تُعْلُقُ مِنَ الطِّبِنِ كَهَيْعَةِ الطَّيْرِ بِإِذْ فِي فَتَنَفُخُ فِيبَ فَنَكُونُ طَيْرًا

بِإِذْ فِي فَتَنَفُخُ فِيبَ فَنَكُونُ طَيْرًا

بِإِذْ فِي فَتَنَفُخُ فِيبَ فَنَكُونُ طَيرًا

(سورةِ المائدة)

إن و النفخ فيه ، ، تكون للطين أو الطير . وه النفخ فيها ، تكون للهيئة ، وهنَّاكُ آية بالنسبة للسيدة مريم البتول :

﴿ وَمَرْيَمَ اللَّهَ عِمْرَانَ ٱلَّذِيّ أَخْصَلَتْ فَرَجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِكْتِ وَيَهَا وَكُتُبِهِ ، وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَلِينِينَ ٢٠٠٠

(سورة التحريم)

إِن النفخ هنا في الفرج ۽ وآية أخرى بالنسبة للسيدة مريم البتول:
﴿ وَالَّذِي أَحْصَنْتُ قَرْجُهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّورِحْنَا وَجَعَلْنَنَهَا وَأَيْنُهَا

ءَا يَهُ لِلْمَالَمِينَ ۞ ﴾

(سورة الأنبياء)

مرة يقول: ونفخنا فيه ۽ أي في الفرج ، ومرة يقول : ونفخنا فيها ۽ أي فيها هي ، والقولان متساويان ۽ وهنا في هذه الآية ، نجد أنّ الرّعجاز ليس في أن عيسي صنع من الطين كهيئة الطير ، لأن أي إنسان يستطيع أن يفعل ذلك ، فكانه حينها قال : و أن أخلق لكم من الطين كهيئة الظير فانفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله » .

كانه صار طيرا من النفخة ، أما عن أمر صناعة طير من الطين فأى إنسان يمكن أن يفعلها ، لكن عيسى عليه السلام يفعل ذلك بإذن الله ، ولابد أن يجيء الأمر

は選続 00+00+00+00+00+01(YTO

غتلفا ، وا يإذن الله ، هنا تضم صناعة الطير ، والتفخ فيه .

إن عيسى لم يكن ليجترى، ويصنع ذلك كله إلا بإذن الله ، وجاءت كلمة « بإذن الله » من عيسى وعلى لساله كاعتراف منه بأن ذلك ليس من صناعته ، وكأنه يقول لقومه : إن كنتم فتنتم بهذه . فكان يجب أن تفتئوا بإبراهيم من باب أولى ، حينها قطعٌ الطير وجعل على كل جبل جزءا منهن ثم دعاهن .

إذن كان من الأولى الفتنة بما أعطاه الله إبراهيم عليه السلام من معجزة ، فإن كانت الفتنة من ناحية الإحياء لكان ما صنعه إبراهيم عليه السلام أولى بها ، وإن كانت الفتنة من ناحية أنه جاء إلى الدنيا بدون أب لكانت الفتنة أكثر في خلق آدم ، كانت الفتنة من ناحية أنه جاء إلى الدنيا بدون أب لكانت الفتنة أكثر في خلق آدم ، لأن الله خلقه بلا أب أو أم . إذن فالفتنة لا أصل لها ، ولا منطق يبررها . . ويتأبع الحق سيحانه على لسان عيسى ابن مريم عليه السلام « وأبرى» الأكمه والأبرص وأحيى الموتى بإذن الله » .

لماذا تعرض عيسى ابن مربم لهذين المرضين ؟ لانها كانت الأمراض المستعصية في ذلك العصر ، والأكمه هو الذي ولد أعمى ، أي لم يحدث له العمى من بعد ميلاده . والبرص ، هو ابيضاض يقعة في الجلد وإن كان صاحبها آدم أو أسود . وبعد ذلك تتشر بقع متناثرة في كافة الجسم بلون أبيض ، مما يدل على أن لون الجلد له كياويات في الجسم تغذي هذا اللون ، غإن منعت الكياويات في الجسم صار أبرص .

وثبين صدق هذا في أن العلم المعاصر قد عرف أن الملونات للجلد هي غدد خاصة توجد في الجسم، واسمها الغدد الملونة، فإن استعت الغدد الملونة من إعطاء الألوان، جاء البرص والعياذ بالله، وهو مرض صعب، لم يكن باستطاعتهم أن

يداووه ، فعندما جاء عيسى ابن مريم أعطاه الله الأبة من جنس ما نبغوا فيه وهو الطب . وجاء لهم بآية هي إبراء ماكانوا عاجزين عنه .

وبعض القوم الذين يحاولون أن يقربوا بين المعجزة وعقول الناس. يقولون: إن هذه المعجزات إنما هي سبق زمني ، تجعني أنه من الممكن أن يتوصل الإنسان إلى أن يكتشف علاجا لهذه الأمراض ، لكن لهؤلاء نقول : لا ، إن المعجزة تظل معجزة إلى أن تقوم الساعة . كيف ؟

لناخذ مثالا من طب العيون ، عندما قالوا إن هناك علاجاً للعمى ، و سنقوم بتركيب قرنية ، أو أن ناخذ مثالا من طب الجلد لو قالوا : ، سنداوى البرص ، واكتشفوا ألوانا مختلفة من العلاج تحاول أن تجعل الجلد على لون واحد ، لكنه لا يستعبد لونه الأصل . ولذلك قال البعض : « إن معجزة عيسى كانت مجرد سبق زمنى » . لهؤلاء نقول : لا ، لناخذ كل أمر بأدواته .

إن عيسى بن مريم عليه السلام كان يبرى، بالكلمة والدعوة ومها تقدم العلم فلن يستطيع العلم أن يبرى، المرض بالكلمة والدعوة ، إنما سياخذون أشياء ويقوم بتحليل تلك الأشياء ، وخلط الكيرويات وإجراء الجراحات ، لذلك تظل المعجزة التي جاء بها عيسى ابن مريم عليه السلام معجزة ؛ لأنه كان يبرى، بالكلمة والدعوة .

ويضيف الحق على لسان عيسى ابن مريم : و وأحيى الموق بإذن الله وأنبتكم بما تأكلون ع . ومسألة إحياء الموقى لم يأخذها عيسى هكذا عنى إطلاقها فيحيى كل ميت ، إنما قام بها وفى وحدات تثبت صدق الأية ولا تعمم مدلول المعجزة كسام بن نوح مثلا ، وه عازر ع إنها أشياء لمجرد إثبات المعجزة ، ولكنها ليست مطلقة ، ذلك أنه نبى ورسول من الله فلا يمكن أن يصادم قدر الله فى الأجال . ولذلك قالوا : إنه عندما أحيا سام بن نوح ، أحياه حتى نطق بكلمة ، ثم عاد سام إلى الموت من بعد ذلك ويضيف الحق على لسان عيسى ابن مريم عليه السلام :

﴿ وَأَنْسِنُكُمْ مِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُورِنُكُمْ ﴾

(مِنَ الْآَيَةِ ٤٦ مِنورة ال عمران)

لماذا ؟ لأن كل إنسان يعلم جزئية من أحداثه الحياتية الخاصة ، يكون هذا العلم

خاصا به ، وكل إنسان ـ مثلا ـ بأكل طعامه بألوان مختلفة يعرفها هو ، ولا يعرفها الأخرون . إن الأمر الأول كخلق الطير ، وإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموق ، هي أمور عامة للكل . أما الإنباء بألوان الطعام التي يأكلها كل إنسان فهي خاصية أحداث ، لأن كل واحد يأكل أكلا معينا فيقول له عيسى ابن مريم ماذا أكل . وليس من المعقول أن يكون عيسى ابن مريم قد دخل كل بيت أو جاءت له أخبار عن كل بيت .

وكفلك أمر الادخار . وذلك حتى تنتفى شبهة أنه كان يشم رائحة الإنسان فيعرف لون الطعام الذي يأكله ، لذلك كان الإخبار بما يدخر كل واحد في بيته ، فهذه مسألة توضح بالجلاء النام أنها آية من إخبار من يعلم منيبات الأمور .

﴿ إِنَّ فِي ذَالِكَ لَا يَهُ لَكُمْ إِن كُنتُم مُؤْمِنِينَ ﴾

(من الآية 14 منورة أل عمران)

إن هذه آية عجيبة تثبت أن هناك قوة أعلى قاهرة هي قوة الله الحق هي التي تعطيه هذه الأشياء ، فإن كنتم مؤمنين بوجود قوة أعلى فعلكيم تصديق الرسالة التي جاء بها عيسي ابن مريم ، لأن معني (رمول) أنه مخلوق اصطفاه الله وأرسله سبحانه إلى الأدن منه ، فالذي يؤمن بالآية هو الذي يؤمن بوجود إله أعلى فادر ومن بريد أن يتثب _مع إيمانه بالله _ من الأية التي بعثها الله مع عيسي ابن مريم ، فالأية واضحة . أما غير المؤمن بالله فلن تفيده الآية في الإيمان . ويقول الحق متابعا على واضحة . أما غير المؤمن بالله فلن تفيده الآية في الإيمان . ويقول الحق متابعا على لسان عيسي أبن مريم :

﴿ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَى مِن التَّوْرَ لَهِ وَ لِأَجِلَّ لَكُمْ وَمِثْ التَّوْرَ لَهِ وَ لِأَجِلَّ لَكُمْ وَمِثْ اللَّهِ مَن اللَّهِ مِن اللَّهِ مَن اللَّهِ مِن اللَّهِ مَن اللَّهِ مَن اللَّهِ مَن اللَّهُ وَالطِيعُونِ وَيَحِكُمْ فَا تَقْتُوا اللَّهَ وَالطِيعُونِ اللَّهُ اللَّهَ وَالطِيعُونِ اللَّهُ اللَّهَ وَالطِيعُونِ اللَّهُ اللَّهُ وَالطِيعُونِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَالطِيعُونِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَالطِيعُونِ اللَّهُ اللْهُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِ اللْمُؤْمِنِ اللْمُؤْمِنِ اللْمُؤْمِنِ اللْمُؤْمِنُ اللْمُؤْمِنِ اللْمُؤْمِنِ اللْمُؤْمِنِ اللْمُؤْمِنِ اللْمُؤْمِنِ اللْمُؤْمِنِ اللْمُؤْمِنِ اللْمُؤْمِنُ اللْمُؤْمِنِ اللْمُؤْمِنُ اللَّهُ اللْمُؤْمِنُ اللْمُؤْمِنُ اللْمُؤْمِنُ اللْمُؤْمِنُ اللَّهُ اللْمُؤْمِنُ اللْمُؤْمِنُومُ اللْمُؤْمِنُ الْمُؤْمِنُ اللْمُؤْم

وقد قلنا : إن ﴿ مصدقا ﴾ تعني أن ما جاء به عيسي بن مريم مطابق لما جاء في

التوراة . وقلنا : إن 2 ما بين يدى 3 الإنسان هو الذى سيقه ، أى الذى جاء من قبله وصار أمامه . ومادام عيسى ابن مريم جاء مصدقا لما بين يديه من التوراة فى زمانه ، وكانت التوراة موجودة ، فلهاذا جاءت رسالته إذن ؟

لكن القول الحق يتضمن هذا المعنى : إن عيسى سيأت بأحكام جديدة ، ويتضح ذلك فى قوله الحق سبحانه على لسان عبده عيسى ابن مريم : « ولأحل لكم يعض الذي حرم عليكم » إذن فليس المهم هو التصديق فقط ، ذلك أن عيسى جاء ليحل بعضا من الذي حرمته التوراة .

وقد يقول قائل: إذا كانت الكتب السهاوية تأتى مصدقة بعضها بعضا فها فائدة توالى نزول الكتب السهاوية ؟ والإجابة هي لا أن فائدة الكتب السهاوية اللاحقة أنها تذكر من سها عن الكتب السابقة ، هذا في المرتبة الأولى ، وثانيا : تأتى الكتب السهاوية بأشياء ؛ وأحكام ثناسب التوقيتات الزمنية التي تنزل فيها هذه الكتب . هذه هي فوائد الكتب السهاوية التي توالت نزولا من الحق على رسله ، إنها تذكر من عقل وتُعدل في بعض الأحكام .

ومن الطبيعى أننا جميعا نفهم أن العقائد لا تبديل فيها ، وكذلك الأخبار والقصص ، لكن التبديل يشمل بعضا من الأحكام . ولهذا جاء القول الحق على لسان عبده عيسى ابن مربم : « ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم » ونحن نعرف أن القوم الذي أرسل الله عيسى ابن موم لهم هم بنو إسرائيل ، والتحريم والتحليل يكون بحكمة من الله .

إن لله حكمة فيها يحلل وحكمة فيها يحرم ، إنما إياك أن تفهم أن كل شيء يحرمه الله يكون ضارا ؛ قد يحرم الله أشياء لتأديب الخلق ، فيأمر بالتحريم ، ولا يصح أن تسأل عن النهرر فيها ، وقد يعيش المؤمن دنياه ولم يثبت له ضرر بعض ما حرم الله . فإن تساخل أحد : لماذا حرم الله ذلك ؟ تقول له : من الذي قال لك إن الله حين يحرم فهو يحرم الشيء الضار فقط ؟ إنه الحق سبحانه يحرم الضار ، ويحرم بعضا منا هو غير ضار ، ولذلك قال الحق :

عَ فَيْ فَلْدِ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا مَرْمَنَا عَلَيْهِمْ طَيْبَدْتِ أُحِلَّتْ لَمُهُمْ وَبِعَسْلِيمِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَيْبِرًا ﴿ كَيْبِرًا ﴿ ﴾

(ممررة النساء)

وتقصيل ذلك في آية أخرى:

﴿ وَعَلَى اللَّذِينَ هَادُواْ مَرْمُنَا كُلَّ ذِى فُلُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ مَرْمُنَا عَلَيْهِم شُومَهُمَا
إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُ هُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَظُ مِعَظْمٍ ذَالِكَ بَحَرُيْنَكُم بِبَغْيِهِم
وَ إِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ١٠٠٠)

(سودة الانعام)

إذن التحريم ليس ضروريا أن يكون لما فيه الضرر ، ولهذا جاء قول الحق على لسان عبده ورسوله إلى بني إسرائيل عيسي ابن مريم : « ولأحل لكم يعض الذي حرم عليكم » لقد جاء عيسى ابن مريم ليُحل لهم بأمر من الله ماكان قد حرمه الله عليهم من قبل .

وبعد ذلك يقول الحق على لسان عبده ورمىوله عيسى ابن مريم: « وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطبعون » ومجموعة هذه الأوامر التي تقدمت هي آية أي شي، عجبب ، بلغت القوم الذين أرسل الله عيسى إليهم ، إنه كرسول وكبشر لا يستطيع أن يجيء بالآية المعجزة بمفرده بل لابد أن يكون مبعوثا من الله . نيجب أن يلتفتوا إلى أن الله الذي أرسله ، وله طلاقة القدرة في خرق النواميس هو مبحانه الذي أجرى على يدى عيسى هذه الأمور ، ويأموهم عيسى ابن مربم يتقوى الله نتبجة لذلك ، ويدعو القوم لطاعته في نطبيق منهج الله .

ويعد ذلك يقول الحق على لسان عيسى ابن مريم :

﴿ إِنَّ ٱللَّهُ رَبِّ وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ مَنَذَا صِرَطُّ مُسْتَقِيمٌ ﴿ اللَّهِ اللَّهِ مَنْكَ اللَّهِ اللهِ اللهِ

إذن اجتمع الرسول والمرسل إليهم فى أنهم جيما مربوبون إلى إله واحد ، هو الذي يتولَّى تربيتهم والتربية تقتضى إنجادا من عدم ، وتقتضى إمدادا من عدم ، وتقتضى رعاية قيومية ، وعيسى ابن مريم يقر بعبوديته لله وكأنه يقول : وأنا لم أصنع ذلك الأكون سيدا عليكم ، ولكن أنا وأنتم مشتركون فى العبودية لله . 1 إن الله ربى وربكم فاعبدوه هذا ضراط مستقيم ؟ .

ومعنى وهذا صراط مستقيم ، أى أنه صراط غير ملتو يا لأن الطريق إذ إلتوى ؛ المحرف عن الحدف ، وحتى تعرف أن الكل يسير على طريق مستقيم واحد ، فلتعلم أنك إذا نظرت على سبيل المثال إلى الدائرة ، فستجد أن لها محيطا ، ولها مركزا ، ومركز الدائرة هو الذى نضع قيه و سن الفرجار ، حتى نرسم الدائرة ، وبعد ذلك تصل من المركز إلى المحيط بأنصاف أقطار ، وكلها بعدنا عن المركز زاد الفرق ، وكلها نقوب من المركز تتلاشى الفروق .

فإذا ماكان الحلق جميعا يلتقون عند المركز الواحد فهذا يعنى الاتفاق ، لكن الاختلاف يحدث بين البشر كلما بعدوا عن المركز ولذلك لا تجد للناس أهواء ولا تجد الناس شيعا إلا إذا ابتعدوا عن المركز الجامع لهم والمركز الجامع لهم هو العبودية للإله الواحد ، ومادامت عبوديته لإله واحد فقى هذا جمع للناس بلا هوى أو تقرق .

إنه حتى في الأمر الحسى وهو الدائرة المرسومة ، نجد أن الأقطار المأخوذة من المحيط وتمر بمركز الدائرة ، سنجد أنه في مسافة ما قبل المركز تتداخل الأقطار إلى أن تصير عند نقطة المركز شيئا واحدا لا انقصال بينها أبدا . وهكذا الناس إذا التقواجيعا عند مركز عبوديتهم للإله الواحد ، فإذا ما اختلفوا ، بعدوا عن العبودية ثلإله الواحد بمقدار ذلك الاختلاف .

ولذلك دعا المسيح عيسي ابن مريم الناس لعبادة الله و إن الله ربي وربكم فاعبدوه

هذا صراط مستقيم ، ذلك هو منطق عيسي . كان منطقه الأول حينها كنان في ألمهد

﴿ قَالَ إِنِّي عَبُّدُ آلَةِ وَاتَّذِي ٱلْكِتَنْبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ١٠٠٠ ﴾

(سورڙا مريم)

إن قضية عبوديته نشد قد حسمت من البداية ، وهي قضية القمة ، إنه عبدانشه والقضية الثانية هي قضية الرسالة ونقل مراد الله وتكليفه إلى خلق الله حتى يبنوا حركة حياتهم على مقتضى ما أنزل الله عليهم » ومن الطبيعي أن أي رسول عندما يأتي بمنهج من عند الله ، فالهدف أن يحمل الناس جميعا على سلوك هذا المنهج ، ويحدد حركة حياتهم بدا افعل كذا ، والا تفعل كذا ، وعندما يسمع الواحد من الناس الأمر بدا افعل ، فقد يجد في التكليف مشقة ، لماذا ؟ لأنها تلزمه بعمل قد يتقل عليه ، والا تفعل كذا ، فيها مشقة ، لأنها تبعده عن عمل كان يجيه .

والمرء في الأحداث بين اثنين : عمل يشق عليه فيحب أن يجتبه ، وعبل يستهويه فيحب أن يقترب منه ، والمنهج جاء من السهاء ليقول ثلإنسان ه افعل ، ولا ، تفعل ، إذن فهناك مشقة في أن يجمل الإنسان نفسه على أن يقوم بعمل ما من أعهال التكليف ، ومشقة أخرى في أن يبتعد عن عمل نهى عنه التكليف .

ومعظم الناس لا تلتفت إلى الغاية الأصيلة ؛ ولا يفهمونها حق الفهم ، فيأتى أنصار الشر ؛ ولا يعجبهم عمل نفوسهم على مرادات خالقهم . إن أفكار الشر تلح على صاحبها فيتمرد على التكليف الإيمان ، وأفكار الشر تحاول الاقتراب بصاحبها من فعل الأمور التي حرمها التكليف ، ولذلك ينقسم الناس لأنهم لم يحددوا هدفهم في الوجود .

إن كل حركة في الوجود بمكنا أن نعرف أنها حركة إبمانية في صائح انسجام الإنسان مع الكون ، أو هي حركة غير إبمانية تفسد انسجام الإنسان مع فطرته ومع الكون ، فإذا كانت الحركة تصل بالإنسان إلى هدفه الإبماني . فستكون حركة طية وحسنة بالنسبة للمؤمن ، وإذا كانت تبعده عن هدفه تكون حركة سيئة وباطلة ، وهكذا فرى أن الهدف هو الذي بجدد الحركة .

إن التلميذ الذي يدهب إلى المدرسة له هدف بأن يتخرج في مهنة ما ، ومادام ذلك هو هدفه فنحن نقيس حركة سلوكه ، هل هي حركة تقربه إلى الهدف أم تبعد به عنه ؟ فإن كان مجتهدا . فاجتهاده حركة تقرب له الهدف ، وإن كان كسولا ، خاملا فإنه يبتعد بنقسه عن الهدف . إذن يجب أن نحدد الهدف حتى نعرف هل يكون هذا العمل صالحا . أو غير صالح .

وآفة الناس أنهم عندما يحددون أهدافهم يقعون في اعتبار ما ليس يالهدف هدفا وغاية . ومادام هناك من يعتبر غير الهدف هدفا فلابد من حدوث اضطراب وضلال ، فالذي يعتبر أن الحياة هي الهدف ، فهو يريد أن يحقق لنفسه أكبر قدر من اللذة فيها . أما الذي يعرف أن الهدف ليس هو الحياة ، إنما الحياة مرحلة ، نسأله . . ما الهدف إذن ، فيقول : إنه لفاء الله والأتحرة .

هذا المؤمن سيكون عمله من أجل هذا الهدف. لكن الضال الذي يوى الدنيا وحده هدفه ولا يؤمن بالجنة أو النار ، هو غارق في ضلائه ويقبل على ما تشتهيه نفسه ، ويبتعد عما يتعبه وإن كانت فيه سعادته .

ولكن المؤمن يعرف أن الهدف ليس هو الدنيا ، وأن الهدف في مجال آخو ، لذلك يسعى في تطبيق التكاليف الإيمانية ليصل إلى الهدف ، وهو الجنة . إذن ما يفسد سلوك الناس هو جهلهم بالهدف ، وحين يوجد الهدف ، فالإنسان يحاول أن يعرف العمل الذي يقربه من الهدف ، فيفعله ، فهذا هو الخير ، أما الذي يبعده عن الهدف ويفعل عكس الموصل إليه فهذا هو الشر .

وإذا كان الأمر كذلك والمسألة هي في تحديد الهدف يجب أن تعلم أن الناس يستقبلون الكثير من الأحداث بما يناقض معرفة الهدف ، ومادام الهدف هو أن تذهب إلى الأخرة لتلقى الله فلهإذا يغرق في الحزن إنسان لأن له حبيبا قد النقل إلى رحمة الله ؟

هذا الإنسان بمكننا أن نساله ، لماذا تحزن وقد قصر الله عليه خطواته إلى الهدف؟ ' لابد أنك حزين على نفسك لأنك مستوحش له ، ولأنك كنت تأنس به ، أما حزنك من أجله هو ، قلا حزن ، لأنه اقترب من الهدف ووصل إليه . وفى حياتنا اليومية عندما يكون هدف جماعة أن تصل إلى الإسكندرية من الفاهرة ، نجد إنسانا ما يذهب إلى الإسكندرية ما شيا ، لأنه لا يجد نقودا أو وسيلة توصله ، وتجد أخو يذهب إليها راكيا حمارا ، وثالثا يذهب إليها راكبا حصانا ، ورابعا يصل إليها راكبا ه أتوبيسا ، به وخامسا يصل إليها بركوب الطائرة ، وسادسا يصل يصل إليها بصاروخ ، وكل ما حدث هو أن كل واحد في هذه الجهاعة قد اقترب من الهدف بالوسيلة التي توافرت له ، وهكذا نجد إنسانا يذهب إلى الله ماشيا في سبعين عاما ، واخو يستدعيه الله فورا ، فلهاذا تحزن عليه ؟

إن لنا أن نحرن على الإنسان الذي لم يكن موفقا في خدمة الهدف ، أما الموفق في خدمة الهدف فلنا أن نفرح له ، ونقول : إن الله قد قصر عليه المسافة ، وأغلبنا إن كان عنده ولد حبيب إلى قلبه وصغير ويفقده فهو يغرق في الحزن قائلا ، إنه لم ير الدنيا ، لهذا الإنسان نقول : يا رجل إن الله جعل ابنك يقفز الخطايا ويتجاوزها وأخذه إلى الغاية ، فيا الذي يجزنك ؟ إن علينا أن نحسن استقبال ما يقضى به الله في خلقه ، ونعرف أنه حكيم ، وأنه رحيم وأن كل شيء منه يجب ألا تفهمه خارجا عن الحكمة .

وبعد تلك الأيات الكريمة التي تحدث فيها الحق عن مريم وعيسي عليه السلام . . . قال الحق سبحانه :

مَثِلُ فَلَمَّا أَحَسَ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَادِى اللهِ فَلَمَّا أَنصَادِى اللهِ إِلَى اللهِ عَامَنَا بِاللهِ إِلَى اللهِ عَامَنَا بِاللهِ وَاللهِ عَامَنَا بِاللهِ وَاللهِ وَاللهِ عَامَنَا بِاللهِ وَاللهِ وَاللهِ عَامَنَا بِاللهِ وَاللهِ عَامَنَا بِاللهِ وَاللهِ وَاللهِ عَامَنَا بِاللهِ وَلَى اللهِ وَاللهِ عَامَنَا بِاللهِ وَلَى اللهُ وَلَى اللهُ وَلَى اللهُ اللهِ اللهُ وَلَى اللهُ اللهِ اللهُ وَلَى الْهُ اللهِ اللهُ وَلَى اللهُ وَلَى اللهُ وَلَى اللهُ وَلَى اللهُ وَلَى اللهُ وَلَى اللهُ وَلَهُ اللهُ اللهُ وَلَى اللهُ وَلَى اللهِ اللهُ اللهُ وَاللهُ اللهُ وَاللهُ وَاللهُ اللهُ وَاللهُ اللهُ وَاللهُ اللهُ الل

لقد ذكر عيسى ابن مريم الفضية الجامعة المانعة أولا حين قال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَنذًا صِرَاطُ مُسْتَقِيمٌ (إِنَّ) ﴾

وأوضح عيسى ابن مريم بما لا يقبل الجدل : ﴿ أَنَا مَعْكُمُ سُواءُ فِي مُربُوبِيْتِنَا إِلَى إِلَهُ واحد ، وأنا لم أجىء لاعلَمْكُم لأن تميزت عنكم بشىء . فيها يتعلق بالعبادة لمحن سواء ، فالله رب لى ورب لكم ، والصراط المستقيم هو عبادة الله الحق .

وتحن ساعة تسمع « الصراط المستقيم » فإننا نتخيل على الفور الطرق الموصلة إلى الغاية ، ونعرف جميعا أنه لا يوجد طريق في الحياة مصنوع لذات الطريق ، إنما الطريق يصنع ليوصل إلى غاية . وساعة تسمع وصراط » فإننا نفهم على الفور الغاية التي نريد أن نصل إليها . والحق سبحانه يقول :

﴿ وَأَنَّ مَنْذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَبِعُوهُ وَلَا لَقَبِعُواْ السَّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُدُّ عَن سَوِيلِهِ م ذَالِكُمْ وَصَّنْتُمُ بِهِ مِ لَعَلَّكُمْ أَتَنْفُونَ ﴿ ﴾

(سورة الأنعام)

ومادام هناك طريق لغاية ما فلابد لنا أنْ نحدد الغاية أولا ، وتحديد الغاية إنما يهدف إلى إيضاح السبيل أمام الإنسان ليسلك الطريق الموصل إلى تلك الغاية . وهكذا يقول الحق على لسان عيسى ابن مريم : « إن الله ربي وربكم فاعبدوه » . .

والعبادة هي إطاعة العابد لأمر المعبود ، وهكذا يجب أن نقطن إلى أن العبادة لا تقتصر على إقامة الأركان التعبدية في الدين من شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه مبيلا ، إن هذه هي أركان الإسلام ولا يستقيم أن ينقصل الإنسان المسلم عن ربه بين أوقات الأركان التعبدية ، إن الأركان التعبدية لازمة ، لأنها تشحن الطاقة الإيمانية للنفس حتى تقبل على العمل الحاص بعارة الدنيا ، ويجب أن تقطن إلى أن العبادة في الدنيا هي كل حركة تؤدي إلى إسعاد الناس وعارة الكون .

ويجب أن نعرف أن الأركان النعبدية دى نقسيم اصطلاحى وضعه العلماء فى الفقه كباب العبادات وباب المعاملات ، لكن علينا أن نعرف أن كل شيء يأمر به الله اسمه عبادة » . إذن فالعبادة منها ما يصل العبد بالمعبود لياخذ الشحنة الإيمانية من خالقه ، خالق الكون ، ومنها ما يتصل بعبارة الكون . ولذلك قلنا : إنك حينها

تنقبل من الله أمرا بعبادة ما ، فأنت تتلقاه وأنت موصول بأسباب الله بحثا عن الرزق وغير ذلك من أمور الحياة ، والمثل الواضح لمذلك هو قول الحق :

﴿ يَنَأَيُّهَا اللَّهِ مِنَ مَا مُنُوا إِذَا نُودِيَ فِلصِّلَوْةِ مِن يَوْمِ الْحُمْعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا اللَّهِعُ وَاللَّهِ مِن يَوْمِ الْحُمْعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا اللَّهِعُ اللَّهِ عَلَيْهِ مَا يَعْمَلُونَ ﴾ وَاللَّهُ مَنْ مُعْلُّونَ ﴾ وَاللَّهُ مُعْلُّونَ ﴾

(سرية الجمعة)

إن هذا الأمر بالصلاة الجامعة يوم الجمعة يخرج بالإنسان من أمر البيع ، وهذا الأمر بالصلاة لم يأخذ الإنسان من فراغ ، إنما أخذ الإنسان من عمل ، هو البيع . . ولو نظرنا إلى دقة الأداء في البيع لوجدناها قمة الاخذ المباشر للرزق . إن كلام الله يصل في دقته إلى ما لا يصل إليه كلام بشر ، فلم يقل الله مثلا ، اتركوا الصنعة ، واتركوا الجرث ، ولكن الحق جاء بالبيع هنا لأنه قمة النفعية العاجلة .

إن الذي يحرث ويزرع ينتظر وقتا قد يطول حتى تنضج النهار ، لكن الذي يبيع شيئا ، قإنه ينال المنفعة فورا ، لقد جاء الأمر بترك هذه الثمرة العاجلة لأداء صلاة الجمعة ، ويتضمن هذا الأمر ترك كن الأمور التي قد تأتى ثمراتها من بعد ذلك لأداء الصلاة .

إن البيع هو التعبير الدقيق لأن المتكلم هو الله ، والحق لم يتكلم هنا مثلا عن الشراء ، لأن الشارى قد يشترى وهو كاره ، لكن البائع يملأه السرور وهو يبيع فقد يذهب رجل لشراء أشياء لبيته فيسمع الأذان فيسرع إلى الصلاة ويقول لأهله من بعد ذلك : لقد ذهبت إلى الشراء ، لكن المؤذن قد أذن لصلاة الجمعة ، ذلك أن الإنسان تجب آلا يدفع نقودا ، لكن البائع يستفيد بقمة الفائدة . لذلك يخرجنا الحق من قمة و كل الأعمال ونهاية كل الأعمال وهى مبادله السلع بأثمانها و . لكن ماذا معد انقضاء الصلاة ؟

﴿ فَإِذَا تُصِيَتِ ٱلصَّلَوَةُ فَاتَدِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضَلِ آهَدٍ وَآذَكُو وَا آهَهَ كَذِيرًا لَعَلَّكُمَّ عَلَيْكُمْ مَنْ فَضَلِ آهَدٍ وَآذَكُو وَا آهَهَ كَذِيرًا لَعَلَّكُمْ مَا يَعْفِي وَآذَكُو وَا آهَهَ كَذِيرًا لَعَلَّكُمْ مَا يَعْفِي وَآذَكُو وَآهَ مَا يَعْفِي اللّهُ عَلَيْكُمْ وَاللّهُ مَا يَعْفِي وَاللّهُ عَلَيْكُمُ وَاللّهُ عَلَيْكُمُ وَاللّهُ عَلَيْكُمُ وَاللّهُ عَلَيْكُمُ وَاللّهُ عَلَيْكُمُ وَاللّهُ عَلَيْكُوا لَهُ عَلَيْكُمُ وَاللّهُ عَلَيْكُمُ وَاللّهُ وَاللّهُ عَلَيْكُمُ وَاللّهُ عَلَيْكُمُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ عَلَيْكُمُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ عَلَيْكُمُ وَاللّهُ عَلَيْكُمُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ عَلَيْكُمُ وَاللّهُ وَا اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ مَا اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ واللّهُ وَاللّهُ وَال

لقد أخرجنا من الصلاة إلى الحياة نبتغي من فضل الله ٤ ولذلك يكون الإنتشار في الأرضى والبحث عن الرزق عبادة .

ولننظر إلى الدقة في قوله الحق: و فانتشروا في الأرض و إن الانتشار يعني أن ينساح البشر لينتظموا في كل حركات الحياة ، وبذلك تعمر كل حركة فيها . إن كل حركة في الحياة هي عبادة ، وهكذا نستوعب قوله الحق على لسان عيسي بن مربم : وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ومن بعد ذلك يقول الحق : و فله أحس عيسي منهم الكفو و لقد حسم عيسي بن مربم أمر العقيدة حينها قال : وإن الله ربي وربكم وإن في ذلك تحذيرا من أن يقول أنباع عيسي أي شيء آخر عن عيسي غير أنه عبدالله خاضع لله ، مأمور بالطاعة والعبادة لله . ووضع أمامهم المنهج ، فقال : وهذا صراط مستقيم و .

وقول الحق : وفلها أحس عيسى منهم الكفر ، يدل على أن كل صاحب فكرة ، وكل صاحب مهمة ، وكل صاحب هدف لابد أن يكون يقظ الأحاسيس ، لأن صاحب الفكرة وخاصة الذينية يخرج الناس من الظلمات إلى النور .

وقد يقول قائل: لماذا يعيش الناس في الظلام ولا يتجهون إلى النور من أول الأمر؟ وتكون الإجابة: إن هناك أناسا يستفيدون من وجود جموع الناس في الظلهات، لذلك يكون بينهم أناس ظالمون وأناس مظلومون، والظالم الذي يأخذ اغتصابا - خير الأخرين ويعوبد في الكون يخاف من وجل الدعوة الذي ينهاه عن الظلم، ويدعوه إلى الهداية إلى منطق العقل، ومثل هذا الظالم عندما يسمع كلمة النطق والدعوة إلى الإيمان لا يجب أن تنطق هذه الكلمة، إنه يكره الكلمة والقائل لها.

إن الداعبة مأمور من الله بأن يكون يقظا لأنه إن اهتدى بكلياته أناس وسعدوا بها ، قإنّه يغضب أناساً آخرين ، ذلك أن المجتمع الفاسد يوجد به المستفيدون من الفساد ، فالداعية عليه أن يعرف يقظة الحس ، ويقظة الحس معناها الالتفاف إلى الأحاسيس الخفية الموجودة عند كل إنسان ، ونحن نسمى الأشياء الظاهرة منها الحواس الخمس ، اللمس ، والرؤية ، والسمع ، والتذرق ، والشم .

إن رجل الدعوة مأمور بأن تعمل كل حواسه حتى يعرف من الذي يجبن ويرتجف

لحظة أن تأتى دعوة الخير ، ومن الذي يطمئن ويحسن الراحة لدعوة الحير . إن رجل الدعوة مأمور بدقة اليقظة والإحساس ليميز بين الذي تتغير سحته لحظة دعوة الحير ، ومن الذي يستبشر ويفرح .

وعندما أعلن عيسى ابن مريم منهج الحق ، وجد أنصار الظلم وأنصار البغى ، وأنصار البغى ، وأنصار الظلمات غير معجبين بالمنهج الواضح للإيمان بالله ، لذلك أحس منهم الكفر لقد كان ملينًا باليقظة والانتباء . إنه يعلم أنه قد جاء برسالة من الله ؛ ليخرج أناسا من مفسلة إلى مصلحة . وعندما أحس منهم الكفر ، أراد أن ينتدب جماعة ليعينوه على أمر الدعوة . وقال من أنصاري إلى الله » ؟

إن الدعوة تحتاج إلى معركة ، والمعركة تحتاج إلى تضحية . والتضحية تكون بالنفس والنفيس ، لذلك لابد أن يستثير ويحرك من يجد في نفسه العون على هذه المسألة . وهو لم يناد أفرادا محددين ، إنما طرح الدعوة لياتي الأنصار الذين يستشرفون في أنفسهم القدرة على حمل لواء الدعوة ، ولنكون التضحية بإقبال نفس لا استجابة لداع . و فلها أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصارى إلى الله ، وكلمة ، أنصار ، هي جمع ، نصير ، والنصير هو المعين لك بقوة على بُغْيَتِك .

وعندما سأل عيسى : « من أنصارى إلى الله ؟ اكانت إلى في السؤال تفيد الغاية ،
وهى الله ، أى من ينصرنى نصرا تصير غايته إلى الله وحده لا إلى أهواه البشر ؟ إنه
لا يسأل عن أناس يدخلون في لواء الدعوة من أجل الغنيشة أو يدخلون من أجل
الجاه ، أو غير ذلك ، إنه يسأل عن أهل العزم لبكون كل منهم متجها بطاقته إلى
نصرة الله وحده .

ومثال ذلك ما دار بين رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم وبين رجال من المدينة في أثناء مبايعتهم له في العقبة فقد قال لهم رسول الله : « أبايعكم على أن تمتعوني مما تمنعون فيه نساءكم وأبناءكم » فأخذ المداء بن معرور بيده ثم قال : « تعم ، والذي بعثك بالحق لنمنعنك بما غنع منه أزرنا « فبايعوا رسول الله على ذلك فقام أبو الهيثم بن النبهان فقال : يا رسول الله إن بيننا وبين البهود حبالا وإنا قاطعوها فهل عسبت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتذعنا » ؟ فتبسم رسول الله ثم قال : « بل ذلك ثم أظهرك الله أنا منكم وأنتم منى ، أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم »

أي ذمتي ذمتكم وحرمتي حرمتكم^(١)

أقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنكم مسمئلكون الأرض ، وستسودون الدنيا ، أو ستنصرون على أعدائكم ؟ لا . بل قال صلى الله عليه وسلم أنا منكم وأنتم مِنى . لماذا ؟ لأنه لو قال لهم ستنتصرون على أعدائكم ، فقد يدخلون المعزكة ، ويموت واحد منهم ، ولا يرى النصر ، لكن الأمر الذي سيراه كل المؤمنين أن رسول الله منهم وأنهم من رسول الله ومادموا كذلك فسيدخلون معه الجنة وهي الغاية الأصيلة .

وعندما سأل عيسى ابن مربع و من أنصارى إلى الله و فكأنه كان يسأل : من يعينني معونة غايتها الله ؟ ولماذا نأخذ هذا المعنى ؟ تكون الإجابة : أنا آخذ المعنى على قدر ذهنى ؛ لأن مرادات الله في كلهانه لا تتناهى كمالاً ، وقد يأتي غيرى ويأخذ منها معنى آخر . ومعنى و النصير و : هو و من ينصر بجهد وقوة و . وننظر النصر في الإيمان كبف يأتى ؟ إن الحق سبحانه وتعالى حينها تكلم عن النصر في الإيمان قال :

﴿ يَنَأَيُّكِ اللَّذِينَ وَامْنُوا إِن تَنْصُرُواْ اللَّهُ يَنصُرْ كُرُّ وَيُثَبِّتُ أَفْدَامَكُمْ ﴿

(سورة محمد)

راذن فالنصر منا لله بأن نُطبق دینه ، وهذا مراد الله ، ولذلك یأی النصر مرة من المؤمن لوبه ، ومرة من الرب لمربوبه ، وقد یكون مراد عیسی ـ علیه السلام ـ من الذى يتصرف كى ينضم إلى الله فى النصر؟

ونحن هنا أمام معسكرين ، معسكر الإيمان ، ومعسكر الكفر . لقد سأل عيسى د من أنصارى إلى الله ، أى أنه يسأل عن الذين بإمكانهم أن ينضموا إلى غاية هى الله ، ونتفهم نحن هذا المعنى على ضوء ما قاله الحق :

﴿ يَنَا يُهِ اللَّهِ مِنْ وَامْنُواْ إِن تَنصُرُواْ اللَّهُ يَنصُرُ كُوْ وَيُثَبِّتُ أَقْدَامَكُمْ (١)

(سورة مجعد)

ونعرف أيضًا أن هناك نصراً من المؤمن لله ، وهناك نصر من الله للمؤمن . وهكذا

١ - السبرة النبوية لابن هشام جـ ١ .

يكون سؤال عيسي ابن مريم « من أنصاري إلى الله ؛ ؟ قد أفاد المعنيين معاً . وكانت الإجابة : وقال الحواريون أنحن أنصار الله ، آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون ، . والحواريون ماخوذة من الحور ، وهو شدة البياض ؛ وهم جماعة أشرقت في وجوههم سبياء الإيمان، فكأنها مشرقة بالنور. ونور الوجه لا يقصد به البشرة البيضاء ، ولكن نور الوجه في المؤمن يكون بإشراقة الإيمان في النفس ، ولذلك

﴿ مُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِلْهِدًا مُعَى الْمُكُفَّادِ رَجَمَاهُ بِينَهِم تَرَنَهُم وَكُمَّا يُجَدُّا يَبْتَغُونَ فَضَلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضُوانًا سِينَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِنْ أَثَرَ السُّجُودِ ﴾

يصف الحق المؤمنين برسائة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم:

[من الآية ٢١ سورة الفتح }

فحتى لو كان المؤمن أسود اللون فإن له سمة على وجهه . كيف ولماذا ؟ لأن الإنسان مكون من أجهزة ، ومكون من ذرات ، وكل جهاز في الإنسان له مطلوب محدد ، وساعة أن تتجه كل الأجهزة إلى ما أراده الله ، فإن الذي يحدث للإنسان هو انسجام كل أجهزته ، ومادامت الأجهزة منسجمة فإن النفس تكون مرتاحة ، ولكن عندما تتضارب مطلوبات الأجهزة ، تكون السحنة مكفهرة .

عندما قال عيسى : * من أنصاري إلى الله * سمع الاستجابة من الحواريين ، والحواريون قوم لهم إشراقات انسجام النفس مع الإيمان ، أو هم قوم بيض المعاني ، أى أن معانيهم بيضاء ومشرقة . والنبي صلى الله عليه وسلم سمى بعضا من صحابته حواري رسول الله ، وهم الذين جعلهم رسول الله معه طوال الوقت .

وحين قال الحواريون : ﴿ نَحَنُّ أَنْصَارُ اللَّهُ ﴾ كان ذلك يعني أن كل إنسان عنهم يريد نصرة الله . فينضم إلى الله ناصرا للمنهج ، وهذا ينطلب أن يعرف كل منهم المنهج . ونحن نعرف مقومات النصرة لله . إنه الإيمان: وما الإيمان؟ إنه اطمئنان القلب إلى قضية ما ، هذا هو الإيمان في عمومه . فلو لم أكن مؤمنا بأن الطريق الذي أسير فيه موصل إلى غاية مطلوبة لي لما سرت فيه .

مثال ذَلَكُ المُسافر من القاهرة إلى دمياط لو لم يعتقد صحة الطربق لما سلك هذا الطريق، وإن لم اعتقد أنني إن لم أذاكو دروسي سوف أرسب لما ذاكرت . إذن فكل أمر ق الدنيا يتم بناؤه على الإيمان ، لكن إذا أطلق الإيمان بالمعنى الخاص ، فهو اطمئنان القلب إلى قمة الفضايا ، وهى الإيمان يالله ، ولذلك فأسلحة النصر إلى الله هى: إسلام كل جوارح الإنسان إلى الله ، ولذلك قال الحواريون : « نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون » .

لماذا يشهد الرسول لهم ؟ لأن المفروض في الرسول أن يبلغ القوم عن الله ، فيشهد عليهم كيا قال الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَفِي هَاذَا لِبَسَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَبْكُرٌ وَتَكُونُواْ شُهَدَآة عَلَى آنسَاسٍ فَأَفِيمُواْ الصَّلَوَة وَاعْتَصِمُواْ بِاللهِ هُوَمَوَلَكُكُرٌ فَيْعُمُ ٱلْمُولَى وَنِعْمُ ٱلنَّصِيرُ ﴾ الصَّلَوَة وَاعْتَصِمُواْ بِاللهِ هُوَمَوَلَكُكُرٌ فَيْعُمُ ٱلْمُولَى وَنِعْمُ ٱلنَّصِيرُ ﴾ (من الابة ٧٨ سورة الحج)

ولنا أن نلحظ أن الحق أورد على لسانهم - الحواريين - الإيمان أولا ۽ لأنه أمر غيى عقدى في القلب ، وجاء من بعد ذلك على تسان الحواريين طلب الشهادة بالإسلام ، لأن الإسلام خضوع لمطلوبات الإيمان وأحكامه . إن قولهم : « واشهد بأنا مسلمون » هو أيضا طلب منهم يسألونه لعيسى ابن مريم أن يبلغهم كل مطلوبات الإسلام قل لنا افعلوا كذا ولا تقعلوا كذا إنهم قالوا : « آمنا » وماداموا قد أعلنوا الإيمان بالله ، فهم آمنوا بمن بلغهم عن الله ، والمطلوب من عيسى ابن مريم أن يشهد بأنهم مسلمون ، ولا تتم الشهادة إلا بعد أن يبلغهم كل الأحكام وقد بلغهم ذلك وعملوا به وقالوا من بعد ذلك :

﴿ رَبَّنَا ءَامَنَا إِمَا أَنَ لَتَ وَاتَبَعْنَا الرَّسُولَ فَا حَتُبْنَا مَعَ الشَّلِهِ لِينَ ۞ ﴾

فهل یکون اعلائهم للإیمان، یعنی ایمانهم بتشریعات رسالهٔ سابقة، لا، إن الایمان هنا مقصود به ماجاء به عیسی من عند الله ؛ لأن کل رسول جاء بشیء من الله، فوراء مجىء رسول جديد أمر يريد الله إبلاغه للناس ، ونحن نعلم أن العقائد لا تغيير فيها ؛ وكذلك الأخبار ؛ وكذلك القصص ، ولكن الأحكام هي التي تتغير فكأن إعلان الحواريين هو إعلان بالإيجان بما جاء سابقا على عيسى ابن مريم من عقائد وبما جاء به عيسى ابن مريم من أحكام وتشريعات .

وقولهم : « ربنا امنا بما أنزلت » كلمة « بما أنزلت » تدل على منهج منزل من أعلى إلى أدنى » ونحن حين ناخذ التشريع فنحن ناخذه من أعلى . ولذلك قلنا سابقا : إن الله حينها يتادى من آمن به ليتبع مناهج الإيمان يقول : « تعالوا » أى ارتفعوا إلى مستوى التلقى من الإله وخذوا منه المنهج ولا تظلوا في حضيض الأرض ، أى . لا تتبعوا أهوا ، بعضكم وآراء بعضكم أو تشريح بعضكم، ومادام المؤمن يريد العلو في الإيمان ، فليذهب بسلوكه في الأرض إلى منهج السهاء .

وقولهم: « ربنا آمنا بما أنزلت وأتبعنا الرسول » . إن المتبع عادة يقتنع بمن أتبعه أولا ، حتى يكون الاتباع صادرا من قيم النفس لا من الإرغام قهرا أو قسرا ، فنحن قد نجد إنسانا يرغم إنسانا آخر على السير معه ، وهنا لا يقال عن المرغم : إنه اتبع » إنما الذي يتبع ، أي الذي يسبر في نفس طريق صاحبه يكون ذلك بحض إرادته ومحض اختياره . فلو سار شخص في طريق شخص آخر بالقهر أو القسر لكان ذلك الاتباع بالقالب ، لا بالقلب ، ولذلك فمن المكن لمتجبر أن يحسك سوطا ويقهر مستضعفا على السير معه ، وفي ذلك إخضاع لقائب المستضعف ، لكنه لم يخضع قلبه ، فالإكراه يخضع القالب لكنه لا يخضع القلب .

﴿ لَعَلَكَ بَلَخِعٌ نُفْسَكَ أَلَا يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿ إِن نُشَأْ نُنَزِلُ عَلَيْهِم مِنَ ٱلسَّمَاءَ عَالَةً فَظَلَّتَ أَعْنَافُهُمْ لَمَا خَلِضِمِينَ ﴾ *

(منورة الشعراء)

إنّ الحق بخبر رسوله أن أحدا من العباد . لا يستعصى على خالقه ، وأنه سبحانه القادر على الإحياء والإمانة ، ولو أراد الله أن يئرَل آية تخضع أعناق كل العباد لَقَعَلْ ، لكن الحق لا يريد أعناق الناس ، ولكنه يطلب القلوب التي تأتي طواعية وبالاختيار ، وأن يأتي العبد إلى الإيمان وهو قادر ألا يجيء . هذه هي العظمة

الإيمانية . وقال الحواريون بعد إعلانهم الإيمان بما جاء به عيسى : 1 فاكتبنا مع الشاهدين ۽ إنه الطلب الإيماني العالى الواعي ، الفاهم . إنهم يحملون أمانة التبليغ عن الرسول ، ويشهدون كما يشهد الرسل لأعهم ، ويطلبون أن يكتبهم الله مع الذين يشهدون أن الرسل بيلغون رسالات الله وأنهم يحملونها من بعدهم ؛ ولذلك قلنا عن أمة محمد عليه الصلاة والسلام : إنها الأمة التي حملها الله مهمة وصل بلاغ الرسالة المحمدية إلى أن تقوم الساعة . لماذا ؟ هاهو ذا القول الحق :

﴿ رَجْهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ ، هُوَ اجْنَبَتُكُرْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُرْ فِي الدِينِ مِنْ حَرَجَ مِلَةَ أَيِكُمْ إِرَاهِمَ مُوسَمَّنُكُمُ الْمُسْلِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَلَذَا لِيَسْكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْ الْمُسُولُ الْمُسْلِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَلَذَا لِيَسْكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْ النَّاسِ فَا فَيَعُوا الصَّلَوَة وَالنَّوا الرَّكُوة وَاعْتَصِمُوا عَلَيْكُمْ وَتَسْكُونُوا شُسَهَنَا وَعَلَى النَّاسِ فَا فِيعُمُ الصَّلَوَة وَالنَّوا الرَّكُوة وَاعْتَصِمُوا الصَّلَوَة وَالنَّولَ وَنِعْمَ النَّولُ وَنِعْمَ النَّولُ وَنِعْمَ النَّيْسِيرُ ﴿ ﴾

(سورة المج)

ولذلك فلن يأتى أنبياء أو رسل من بعد أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، لقد التمن الله أمة محمد ؛ بعد عمد صلى الله عليه وسلم ، لذلك فلا نبوة من بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وبعد ذلك يخبرنا الحق :

وَمَكُرُوا ومَكَرَاللَّهُ وَاللَّهُ مَا لَكُرُوا ومَكَرَاللَّهُ وَاللَّهُ مَيْرُ الْمَدَكِرِينَ وَ اللَّهِ

إن الأشياء التي يدركها العفل هي مسميات ولها أسهاء ونكون أولا بالحس ۽ لأن الحس هو أول مصاحب للإنسان لإدراك الأشياء ، وبعد ذلك تأن المعاني عندما نكبر وتعرف الحقائق . إن البداية دائها تكون هي الأمور المحسة)ولذلك يقول الله عن المنهج الإيماني : إنه طريق مستقيم ، أي أن نعرف الغاية والطريق الموصل إليها،

وكلمة » الطريق المستقيم » من الأمور المحسة والتي يتعرف الناس عليها بالتطبيق لقواعد المتهج .

إن كلمة ومكر » ، مأخوذة من الشجر ، فساعة أن ترى الشجرة التي لا تلتف أغصانها على بعضها فإن الإنسان يستطيع أن يحكم أن ورقة ما ، هى من فرع ما ، ولكن هناك نوع من الأشجار تكون فروعه ملفوفة على بعضها بحبث لا يستطيع الإنسان أن يعرف أى ورقة من أى فرع هى ، ومن هذا المعنى أخذنا كلمة ، المكر » . فالرجل ألذى يلف ويدور ، هو الذى يمكر ، فالذى يلف على إنسان من اجل ان فالرجل ألذى يلف ويدور ، هو الذى يمكر ، فالذى يلف على إنسان من اجل ان يستخلص منه حقيقة ما ، والذى مجتال من أجل إبراز حقيقة ، فإن كان ذلك بغير قصد الضرر نسميه حيلة ، وإن كان بقصد الضرر فهذا هو المكر السبىء . ولذلك فالحق يقول :

﴿ وَمَكُرُ الدَّيِيِّ وَلا يَجِينُ الْمَكُرُ الدَّيِّ إِلَّا إِلْقَلِمِّ فَهَلْ يَسْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الأوَّلِينَ فَلَنَ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ تَبَدِيلًا ۚ وَلَن تَجِدُ لِسُنَّتِ اللهِ تَعْوِيلًا ﴾

(من الآية 17 سوية فالحر)

ومعنى ذلك أن هناك مكراً غير سبى ، أى أن المكر الذى لا يقصد منه إيقاع المضرر باحد ، فإننا نسميه مكو خير ، أما المكر الذى يقصد منه إيقاع المضرر فهو و المكر السبى ، و . ولنا أن نسأل : ما الذى يدفع إنسانا ما إلى المكر ؟ إن انذى يمكر يدارى نواياه ، فقد يظهر لك الحب بينها هو مبغض ، ويربد أن يزين لك عملا ليمكر بك ، فيحاول مثلا أن يصحبك إلى مكان بعيد غير مأهول بالناس ويريد أن يوقع بك المفرر ، وقد يكون الفتل .

إذن ، فمن أسس المكر النبيبت، والنبيبت يحتاج إلى حنكة وخبرة ، لأن الذي يحاول النبيبت قد يجد قبالته من يلتقط خبايا النبيبت بالحدس والتخمين ، ومادام المكر يحتاج إلى النبيبت ، فإن ذلك علامة على الضعف في البشر لأن القوى لا يمكر ولا يكيد ولكن يواجه .

إن القوى لحظة أن يحسك بخصم ضعيف ، فمن الممكن أن يطلقه ، لأن القوى مطمئن إلى أن قوته تستطيع أن تؤذى هذا الضعيف . لكن الضعيف حين علَكُ قويا ، فإنه يعتبر الأمر فرصة لن تتكرر ، ولذلك فالشاعر يقول :

وضعيفة فإذا أصابت فرصة قتلت كسذلك قدرة المضعفاء

إن الضعيف هو الذي يمكر ويبيت . والذي يمكر قد يضع في اعتباره أن خصمه أقوى منه حيلة وأرجع عقلا ، وقد ينكل به كثيرا ، لذلك يخفى المأكر أمر مكره أو تبييته . فإذا ما أراد خصوم المنهج الإيماني أن يمكروا ، فعلى من يمكرون ؟ إن الرسول لا يكون في المعركة بمفرده ولكن معه الله .

﴿ يُحَدِيعُونَ آللَهُ وَالَّذِينَ المَنْوا وَمَا يَحْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿ ﴾
(صورة البقرة)

قالله يعلم ما يبيت أي إنسان ، ولذلك فعندما يريد الله أن يبرز شيئا ويوجده فلن يستطيع أحد أن بواجه إرادة الله وأمره ، إذن فمكر الله لا قبل لأحد لمواجهته .

﴿ وَمَكَّرُواْ وَمَكَّرَاللَّهُ أَوَاللَّهُ خَيْرُ الْمُلْكِرِينَ ١

(سورة أل عبران)

وساعة تجد صفة تستبعد أن يوصف بها الله فاعلم أنها جاءت للمشاكلة فقط وليست من أسهاء الله الحسنى . إن المؤمنين بإمكانهم أن يقولوا للكافرين : إنكم إن أردتم أن تبتوا لنا ؛ فإن الله قادر على أن يقلب المكر عليكم . أما أسهاء الله وصفاته فهي توقيقية ، نزل بها جبريل على وسول الله صلى الله عليه وسلم . لكن إذا وجد فعل لله لا يصح أن نشتق نحن منه وصفا ونجعله اسها لله ، لا ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين ، فليس من أسهاء الله نخادع ، أو ماكر ، إياك أن تقول ذلك ، لأن أسهاء الله وصفاته توقيقية، وجاء القول هنا بمكر الله كمقابل لفعل من البشر ، ليدخم على أنهم لا يستطيعون أن يمكروا بالله ، لأن أساء أراد أن يمكر بهم ، فهم لا يستطيعون مواجهة ذلك . إن الحق يقول :

00+00+00+00+00+011110

ومكروا ومكر الله والله خبر الماكرين ۽ .

إذن فهناك « مكر خبر » . . وذلك دليل على أن هناك من يصنع المكر ليؤدى إلى الحبر . ولماذا تأتى هذه الآية هنا ؟ لأن هناك معركة سيد خلها عبسى ابن مريم عليه السلام ، وعيسى عليه السلام لم يجىء ليقاتل بالسيف ليحمى العقيدة ، إنما جاء واعظا ليدل الناس على العقيدة ، إن النصرة لا تكون بالسيف فقط ، ولكن بالحجة . ونحن نعرف أن السهاء كانت لا تطلب من أى رسول أن يجارب في سبيل العقيدة لأن السهاء هي التي كانت تتولى التأديب .

﴿ فَكُلَّا أَخَذْنَا بِذَنْهِ مَ فَيْهُم مِّنَ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مِّنَ أَخَذَتُهُ الصَّبِحَةُ وَمِنْهُم مَنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مِّنَ أَغْرَفَنَّا وَمَا كَانَ اللهُ لِيقَالِمُهُمْ وَلَنَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿ ﴾

(سورة العنكبوت)

ولم يجيء قتال إلا حينها طلب بنو إسرائيل:

﴿ أَلَرْ ثَنَ إِلَى الْمَلَا مِنْ بَنِيَ إِسْرَ وَمِلَ مِنْ بَعْدِ مُومَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِي لِمُسْمُ ابْعَتْ لَنَا مَلِيكَا
فَقْتُولْ فِي سَبِيلِ اللّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُنِبَ عَلَيْتُكُمُ الْفِينَالُ أَلَا تُقَدِيلُوا أَ قَالُوا
وَمَا لَنَسَا أَلَا نُقَدْتِلَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَقَدْ أَنْعِرِجْنَا مِن دِيْزِنَا وَأَبْنَا إِنَّا فَلَمَا كُنِبَ عَلَيْهِمُ
الْقِنَالُ تَوْلُوا إِلّا قَلِيلًا فِي سَبِيلِ اللّهِ وَقَدْ أَنْعِرِجْنَا مِن دِيْزِنَا وَأَبْنَا إِنَّا فَلَمَا كُنِبَ عَلَيْهِمُ
الْقِنَالُ تَوْلُوا إِلّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ وَاللّهُ عَلِيمٌ وَالظَّالِمِينَ ٢٠٠٠)

الْقِنَالُ تَوْلُواْ إِلّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ وَاللّهُ عَلِيمٌ وَاللّهُ عَلِيمٌ وَاللّهُ عَلَيْهِمْ وَاللّهُ عَلَيْهِمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ وَاللّهُ عَلَيْهِمْ وَاللّهُ عَلَيْهُمْ وَاللّهُ عَلَيْهِمْ وَاللّهُ عَلَيْهِمْ وَاللّهُ عَلَيْهِمْ وَاللّهُ عَلَيْهِمْ وَاللّهُ عَلَيْهِمْ وَاللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُمْ وَاللّهُ عَلَيْهِمْ وَاللّهُ عَلَيْهُ وَاللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُ عَلَيْهُمْ وَاللّهُ عَلَيْهُ فَاللّهُ وَاللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ فَاللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ وَالْمُؤْلِيقِ قَلْهُ عَلَيْهُمْ وَاللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِمْ وَاللّهُ عَلْمُ وَاللّهُ عَلْمُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ وَقَالُولُونَا وَاللّهُ عَلَيْهُ وَاللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلِيهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ وَاللّهُ عَلْمُ عَلَيْهُمْ وَاللّهُ عَلَيْهُ لِللْعُلِيمِ وَاللّهُ عَلَيْهِ وَاللّهُ عَلَيْهُ وَلّهُ وَاللّهُ عَلِيلًا عَلَيْهُ وَاللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ وَالْمُلْفِيلِيلُونَا وَاللّهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ اللّهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ وَاللّهُ عَلَيْهِ عَلَاللّهُ عَلَيْهِ عَلْمُ اللّهُ عَلَيْهِ فَاللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَالْمُ عَلَالْمُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ وَاللّهُ عَلَيْهُ عَلَالْهُ عَلَيْهُ عَلْمُ عَلَالُهُ عَلَاهُ عَلَيْهُ عَلَاهُ عَا

(سورة البقرة)

ولكن أمة محمد صلى الله عليه وسلم هي التي أذن الله لها أن تحمل السيف لتؤدب به الذين يجولون دون بلوغ العقيدة الصحيحة للماس . إن السيف لم يأت ليفرض العقيدة ، إنما ليحمى الاختيار في النفس الإيمانية ، فبدلا من أن يترك الناس

مقهورين على اعتناق عقيدة خاطئة المسلمون يرفعون السيف في وجه الظالم القاهر لعباد الله . وعباد الله لهم أن يختاروا عقيدتهم ،

ولذلك فعندما يقول أعداء الإسلام: وإن الإسلام انتشر بالسيف، نرد عليهم: إن الله قد بدأ الإسلام بضعف حتى يسقط هذا الاتهام، لقد كان المسلمون الأوائل ضعفاء لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم، فيتجه يعضهم إلى الحيشة، ويهاجرون يحنا عن الحهابة، فلو كان الإسلام قد انتشر بالسيف فلنا أن تسأل: من الذي حمل أول سيف ليكره أول مؤمن ؟ إن المؤمنين رضوا الإسلام دينا وهم في غاية الضعف ومنتهاه. إن الإسلام قد بدأ واستمر ومازال يحيا بقوة الإيجان.

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء في أمة أمية ، ومن قبيلة لها شوكتها ، وشاء الحق ألا ينصر الله دينه بإسلام أقوياء قريش أولا ، بل آمن بالرسول صلى الله عليه وسلم الضعفاء وخاض رسول الله صلى الله عليه وسلم رحلة الدعوة الإيمانية مدة ثلاثة عشر عاما ، دعوة للإيمان بالله ، ثم هاجر رسول الله إلى المدينة ، إلى أن صار كل المسلمين وحدة إيمانية قوية ، وارتفع السيف لا ليفرض العقيدة ، ولكن ليحمى حربة اختيار الناس للعقيدة الصحيحة . ولو أن الإسلام انتشر بالسيف . فكيف نفسر وجود أبناء لديانات أخرى في البلاد المسلمة ؟ لقد أتاح الإسلام فرصة اختيار العقيدة لكل إنسان .

إذن فكل مسلم يمثل وحدة إيمانية مستقلة ، وواجب كل مسلم أن يعرف أن الإسلام قد انتشر بالأسوة الحسنة ، وأنه كمؤمن بالله وبدين الله ، قد اصطفاء الله ليطبق السلوك الإيمان ، فقد مكن الله للإسلام في الأرض بالسلوك والقدوة .

إن كل مسلم عليه واجب ألا يترك في سلوكه ثغرة ينفل منها خصوم الإسلام إلى الإسلام ، ذلك أن اختلال نوازن سلوك المسلم بالنسبة لمنهج الله هو ثغرة ينفذ منها خصوم الإسلام ، ولذلك فالمفكرون في الأديان الأخرى حينها يذهبون إلى الإسلام ، ويقتنعون به ، إنما يقتنعون بالإسلام الأنه منهج حتى . إنهم بمحصونه بالعقل ، ويتدون إليه بالفطرة الإيجانية . أما الذين يريدون الطعن في الإسلام ، فهم ينظرون إلى سلوك بعضى من المسلمين ، فيجدون فيه من الثغرات ما يتهمون به الإسلام .

إن المفكرين المنصفين يفرقون دائها بين العقيدة ، ومتبع العقيدة ، ولذلك فأغلب المفكرين الذين يتبعون هذا الاتجاه ، يلجأرن إلى الإسلام ويؤمنون به . ولكن الذين يذهبون إلى الإسلام من جهة أتباعه ، فإن صادفوا ثابعا للإسلام ملتزما دعاهم ذلك إلى أن يؤمنوا بالإسلام ، ولذلك كانت الجمهرة الكثيرة الوفيرة في البلاد الإسلامية المعاصرة في بلاد لم يدخلها فتح إسلامي ، وإنما دخلتها الأسوة الإسلامية في أفراد تأبعين ملتزمين ، فراق الناس ما عليه هؤلاء المسلمون من حياة ورعة ، ومن تأبعين ملتزمين ، فراق الناس ما عليه هؤلاء المسلمون من حياة ورعة ، ومن تصرفات مستقيمة جيلة ، ومن أسلوب تعامل مسمح أمين ، فزيه ، فظيف ، كل تصرفات مستقيمة جيلة ، ومن أسلوب تعامل مسمح أمين ، فزيه ، فظيف ، كل ذلك لفت جهرة الناس إلى الإسلام ، وجعلهم يتساءلون : ما الذي جعلكم على هذا السلوك الطيب ؟ قالوا : لأننا مسلمون . وتساءل الناس في قلك المجتمعات : وما معنى الإسلام ؟ وبدأ المسلمون يشرحون لهم الإسلام .

إذن ، فالذي لفت إلى الإسلام هو السلوك المنهجي الملتزم . ولذلك قالحق سبحانه وتعالى حين يعرض منهج الدعوة الناجحة يقول :

﴿ وَمَن أَحْدَنُ قَدُولًا مِثَن دُعَا إِلَى آفَةِ وَعَمِلَ صَنْلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِدِينَ ﴿ ﴾ ﴿ وَمَن أَحْدَنُ قَدَولًا مِثْنَ لَهِ مِنْ اللَّهُ لِلَّذِينَ ﴿ وَمَن أَلْمُسْلِدِينَ ﴿ وَمَن أَلْمُسْلِدِينَ ﴿ وَمَن أَلْمُسْلِدٍ إِن اللَّهِ عَلَى اللَّهِ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ اللَّهِ مِن اللَّهِ عَلَى اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّلَّا اللَّهُ اللَّا اللَّا الللللَّلْمُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّا الللَّ

والدعوة إلى الله تكون باللسان والعمل الصالح، ليدل المؤمن على أن ما يدعو إليه غيره قد وجده مفيدا فالتزمه هو ، فالعمل الصالح هو شهادة للدعوة باللسان . ولا يكتفى المؤمن بذلك ، إنما يعلن ويقول : لا إنني من المسلمين ، يقول ذلك لمن ؟ يقوله لمن يرونه على السلوك السمح الرضى الطيب . إنها لفتة من ذاته إلى دينه .

إن هذا يفسر لنا كيف انتشر الإسلام بوساطة جماعة من النجار الذين كانوا يذهبون إلى كثير من البلاد، وتعاملوا مع الناس بأدب الإسلام، وبوقار الإسلام، وبورع الإسلام، فصار سلوكهم الملتزم لافتا، وعندما يسألهم القوم عن السر في سلوكهم الملتزم، يقول الإنسان منهم: أنا لم أجيء بذلك من عندى ولكن من اتباعى لمدين الله الإسلام.

ومثال ذلك في السلوك الأسوة : المسلمون الأوائل من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم . لقد كان صحابته رضوان الله عليهم يخافون عليه من خصومه ، فكانوا

يتناوبون حراسنة ، ومعنى تناوب الحراس أنهم أرادوا أن يكونوا المصد للأخطار يتداولون ذلك فيها بينهم . وأراد الحق سيحانه أن يهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة خفية ، ونام على بن أبي طالب رضى الله عنه وأرضاه مكان الرسول صلى الله عليه وسلم . لقد أراد على - كرم الله وجهه - أن يكون هو المصد ، فإذا جاء خطر فإنه هو الذي يصده .

لاشك أنه كان يفعل ذلك لأنه وائق أن بقاء الرسول صلى الله عليه وسلم خير للإسلام حتى ولو افتداه بروحه . هذا هو التسامى العالى من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم . كان الواحد منهم يجب الرسول صلى الله عليه وسلم لأن الأسوة بالرسول واتباع دبن الله إنما يعود ذلك عليه بالخير العميم . وعندما يموت واحد منهم في سبيل المحافظة على من أرسله الله رسولا ليبلغ دعوته فقد نال الشهادة في سبيل الله الله .

هذا هو أبوبكر الصديق رضوان الله عليه مع رسول الله فى الغار . ألم يجد الصديق شقوقا فيمزع من ثيابه ليسد الشقوق ؟ ألم يضع قدمه فى شق لأنه يخشى أن تجيء حشرة من الحشرات قد تؤذى حضرة النبى صلى الله عليه وسلم ؟ لقد أراد أن يحافظ على الرسول صلى الله عليه وسلم حتى ولو افتداه ، وهذه شهادة بأن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم آمنوا بأن بقاء الرسول خير لهم وللإيمان ولنفوسهم من بقائهم هم أنفسهم .

وهكذا أراد الله نصرة رسوله على الكفار ، عندما مكروا وبيتوا أن يقتلوه قبل الهجرة ، وهكذا أراد الله نصر رسوله صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة عندما واجه أعداء الإسلام في القتال ، لقد مكروا ، ولكن الله خير الماكرين .

وكان الحق سبحانه وتعالى يقول بهذا النصر من ألله: لن تستطيعوا أن تقاوموا محمدا لا بالمواجهة ولا بالتبييت . وها هوذا تابع من أتباعه صلى الله عليه وسلم هو سبدنا عمر رضى الله عنه يهاجر علنا ، ويقول : من أراد أن تثكله أمه ، أو ترمل زوجته ، أو ييتم ولده ، فليلقني وراء هذا الوادى . بينها هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم خفية . لماذا ؟ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة للضعيف . إن القوى يستطيع حماية نفسه ويخرج إلى الهجرة مجاهرا . أما الضعيف فلابد أن يهاجر خفية ، لمذلك فالأسوة للضعيف كانت في رسول الله صلى الله عليه وسلم . لقد مكر أعداء الوسول صلى الله عليه وسلم ، ولكن الله مكر بهم .

﴿ وَقَدْ مَكُرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندُ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكُرُهُمْ لِيَزُولَ مِنْهُ آيِخْبَالُ ۞ ﴾ ﴿ وَقَدْ مَكُرُهُمْ لِيَزُولَ مِنْهُ آيِخْبَالُ ۞ ﴾ ﴿ وَقَدْ مَكُرُهُمْ لِيَزُولَ مِنْهُ آيِخْبَالُ ۞ ﴾

إن مكرهم رغم عنفه وشدته والذى قد يؤدى إلى زوال الجبال ، هذا المكو يبور عند مواجهته لمكر الله الذى يحمى رسله وعباده الصالحين . لقد جاء مكر بنى إسرائيل وأنزل فيه الله قوله الحكيم : « ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين » . لأنهم أرادوا أن يتخلصوا من سيدتا عيسى ابن مريم عليه السلام . فقال الحق سيحانه :

فَوْ إِذْ قَالَ اللّهُ يُنْعِيسَى إِنِي مُتَوَقِّيباكَ وَرَافِعُكَ إِلَىٰ وَمُطَلِّهِ رُكَ مِنَ اللّذِينَ حَكَفَرُوا وَجَاعِلُ الّذِينَ وَمُطَلِّهِ رُكَ مِنَ اللّذِينَ حَكَفَرُوا وَجَاعِلُ الّذِينَ النّبَعُوكَ فَوْقَ الّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيسَمَةُ ثُمُّ إِلَىٰ اللّهِ مَنْ مُنْ اللّهِ مَنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مَنْ فِيمَا كُنتُمْ فِيمِ مَرْجِعُ مَنْ مَنْ اللّهُ مَنْ فِيمَا كُنتُمْ فِيمِ مَنْ اللّهُ مَنْ فِيمَا كُنتُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيمِ مَنْ اللّهُ مِنْ فِيمَا كُنتُمْ فِيمِ مَنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مِنْ مَنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مَنْ أَنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مِنْ مَنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ مَنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مَنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ أَنْ مُنْ مُنْ مُنْ اللّهُ مُنْ مُنْ اللّهُ مُنْ مُنْ اللّهُ اللّهُ مُنْ أَلْمُ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ أَلْمُ اللّهُ مُنْ أَ

لقد جاء الحق سبحانه بعد عرضه لمسألة المكر بهذا القول الحكيم ، وذلك دليل على أن عيسى عليه السلام أحس من بنى إسرائيل الكفر ، والتبيبت . ومؤامرة للفتل فطمأن الله عيسى إلى نهاية المعركة . • إن متوفيك ورافعك إلى ومطهرك من الذبن كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ، إنها أربعة مواقف ، أرادها الله لعيسى ابن مريم عليه السلام .

وتربد أن نقف الآن عند كلمة قول الحق : « متوفيك » . نحن غالبا ما نأخذ معنى بعض الألفاظ من الغالب الشائع ، ثم تموت المعانى الأخرى فى اللفظ ويروج المعنى الشائع فنفهم المقصد من اللفظ . إن كلمة ، التوق » نفهمها على أنها الموت ، ولكن علينا هنا أن نرجع إلى أصل استعمال المفقطة ، فإنه قد يغلب معنى على لفظ ، وهذا اللفظ موضوع لمعان متعددة ، فبأخذه واحد ليجعله خاصا بواحد من هذه . إن كلمة ، التوق » قد يأخذها واحدا لمعنى و الوفاة » وهو الموت . ولكن ، ألم يكن ربك الذي قال : وإن متوفيك » ؟ وهو المقاتل في القرآن الكريم :

﴿ وَهُوَ الَّذِي يَنُوفَنَاكُمُ بِالْبُهِلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَعْتُم بِالنَّهَادِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمَّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ لُمْ يُنَبِئُكُمْ بِمَاكُنتُمْ فَدَالُونَ ۞ ﴾

(سبورة الأنعام)

إذن * يتوفاكم * هنا بأى معنى ؟ إنها مجعنى ينهمكم . فالنوم معنى من معانى التوقى . ألم يقل الحق في كتابه أيضا الذي قال فيه : * إني متوفيك * .

﴿ اللهُ يَتُولَى الْأَنفُسَ حِبنَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَرْ تُمُتْ فِي مَنَامِهَا فَبُمْسِكُ الَّتِي قَعَنى عَلَيْهَا الْمُوْتَ وَيُرْسِلُ الْأَنفُسَ حِبنَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَرْ تُمُتُ فِي مَنَامِهَا فَبُمْسِكُ الَّذِي قَعَنى عَلَيْهَا الْمُوْتَ وَيُرْسِلُ الْأَنْمُرَى إِنَّ أَجَلِ مُسَمَّى إِنَّ فِي ذَالِكَ لَآيَنتِ لِقَوْمِ يَنَفَكُرُونَ ﴿ عَلَيْهِ الْمُونِ اللَّهُ وَاللَّهُ لَا يَنتِ لِقَوْمِ يَنَفَكُرُونَ ﴾ المُمودة الذبور)

لقد سمى الحق النوم مونا أيضا . هذا من ناحية منطق القرآن ، إن منطق القرآن الكريم بين لنا أن كلمة و النوفي و ليس معناها هو الموت فقط ولكن لها معان أخرى ، إلا أنه غلب اللفظ عند المستعملين للغة على معنى فاستقل اللفظ عندهم بهذا المعنى ، فإذا ما أطلق اللفظ عند هؤلاء لا ينصرف إلا لهذا المعنى ، ولهؤلاء نقول : لا ، لابد أن ندقق جيدا في اللفظ ولماذا جاء؟

وقد يقول قائل : ولماذا يختار الله اللفظ هكذا ؟ والإجابة هي : لأن الأشياء التي قد يقف فيها العقل لا تؤثر في الأحكام المطلوبة ريان فيها الله بأسلوب يحتمل هذا ،

ويحتمل ذلك ، حتى لا يقف أحد في أمر لا يستأهل وقفة . فالذي يعتقد أن عيسى عليه السلام قد وفعه الله إلى السهاء ما الذي زاد عليه من أحكام دينه ؟ والذي لا يعتقد أن عيسى عليه السلام قد رُفع ، ما الذي نقص عليه من أحكام دينه ، إن هذه القضية لا تؤثر في الأحكام المطلوبة للدين ، لكن العقل قد يقف فيها ؟ فيقول قائل : كيف يصعد إلى السهاء ؟ ويقول آخر : لقد توفاه الله . وليعتقدها أي إنسان كما يريد لأنها لا تؤثر في الأحكام المطلوبة للدين .

إذن ، فالأشياء التي لا تؤثر في الحكم المطلوب من الخلق يأتى بها الله بكلام يحتمل الفهم على أكثر من وجه حتى لا يترث العقل في حيرة أمام مسألة لا تضر ولا تنفع . وعرفنا الآن أن « توفى » تأتى من الوفاة بجمني النوم من قوله سبحانه :

﴿ وَهُوَ اللَّهِ يَ يَتُوَقَّنَكُمْ بِالنَّهِ لِ يَعْلَمُ مَا يَرَعُمُ بِالنَّهَارِ ثُمْ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقَطَّىٰ أَجَلَّ مُ مُا يَرَعُمُ مِا النَّهَارِ ثُمْ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقَطَّىٰ أَجَلَّ مُسَلِّونَ رَقَ ﴾ مُستَّى ثُمُ إِلَيْهِ مِرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنْتِئُكُمْ بِمُا كُنتُمْ نَسْتَلُونَ رَقَ ﴾ مُستَّى ثُمُ إِلَيْهِ مِرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنْتِئُكُمْ بِمُا كُنتُمْ نَسْتَلُونَ رَقَ ﴾ وسورة الانعام)

ومن قوله سبحانه وتعالى :

﴿ اللهُ يَتُوَفَّ الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّذِي لَرَّ ثَمُتُ فِي مَنَامِهَا فَيُسْلِكُ الَّتِي قَفَى عَلَيْهَا الْمُوتَ وَيُرْسِلُ الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّذِي لَرَّمُتُ فِي مَنَامِهَا فَيُسْلِكُ الْمَيْتِ لِفَوْرِ يَتَفَكَّرُونَ فَي الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأَنْفَرَى إِنَّ أَجْلِ مُسَمَّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتِ لِفَوْرِ يَتَفَكَّرُونَ فَي اللهِ اللهُ اللهِ الله (مورة الله د)

إن الحق سبحانه قد سمى النوم موتاً لأن النوم غيب عن حس الحياة . واللغة العربية توضح ذلك ، فأنت تقول على سبل المثال لمن أقرضته مبلغا من المال ، ويطلب منك أن تتنازل عن بعضه لا ، لابد أن أستوفى مالى وعندما بعطيك كل مالك ، تقول له : استوفيت مالى تحاما ، فتوفيته ، أى أنك أخذته بتهامه .

إذن ، فمعنى ؛ متوفيك ، قد يكون هو أخذك الشيء تاما . أقول ذلك حتى نعرف

@\#\T@@#@@#@@#@@#@@#@

الفرق بين الموت والقتل ، كلاهما يلتقى فى أنه سلب للحياة ، وكلمة ، سلب الحياة ، قد تكون مرة بنقض البنية ، كضرب واحد لأخر على جمجمته فيقتله ، هذا لون من سلب الحياة ، ولكن بنقض البنية . أما الموت فلا يكون بنقض البنية ، إنما يأخذ الله المروح ، وتبقى البنية كما هى ، ولذلك فرق الله فى قرآنه الحكيم بين « موت ، ولا قتل » وإن اتحدا معا فى إزهاق الحياة .

﴿ وَمَا نُحَدُّ إِلَّا رُسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبِلِهِ الرُّسُلُّ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ فُنِلَ الفَلَبُهُمَ عَلَق أَعْقَدِكُم أَلَهُ مَا أَعْقَدِكُم أَلَهُ مَا أَعْقَدِكُم أَلَهُ مَا أَعْقَدِكُم أَلَهُ مَا يَعْمُ أَلَهُ مَنْ يَعْمُ لَا عَلَى عَقِيمَ فَلَن يَعْمُ لَا يَعْمُ اللهُ عَلَى عَقِيمَ فَلَن يَعْمُ لَا يَعْمُ لَا يَعْمُ لَا عَلَى عَقِيمَ فَلَن يَعْمُ لَا لَهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّه

إن الموت والقتل يؤدى كل منها إلى انتهاء الحياة ، لكن القتل ينهى الحياة بنقض البنية ولذلك يقدر بعض البشر على البشر فيقتلون بعضهم بعضا . لكن لا أحد يستطيع أن يقول : و أما أريد أن يموت فلان و ، فالموت هو ما يحربه الله على عباده من سلب للحياة بنزع الروح . إن البشر يقدرون على البنية بالفتل ، والبنية لبست هى التي تنزع الروح ، ولكن الروح تحل في المادة فتحيا ، وعندما ينزعها ألله من المادة تموت وترم أي تصير رمة .

إذن ، فالقتل إنما هو إخلال بالمواصفات الحاصة التي أرادها .لله لوجود الروح في المادة ، كسلامة الحنح أو الفلب . فإذا اختل شيء من هذه المواصفات الحاصة الأساسية فالروح نقول : وأنا لا أسكن هنا ه . إن الروح إذا ما انتزعت ، فلأنها لا تريد أن تنزع . . لأى سبب ولكن البنية لا تصلح لسكنها . ونضرب المثل ولله المثل الأعلى !

إن الكهرباء التي في المنزل يتم تركيبها ، وتعرف وجود الكهرباء بالمصبح الذي يصدر منه النضوء . إن المصباح لم يأت بالنور ، لأن النور لا يظهر إلا في بية بهذه المواصفات بدليل أن المصباح عندما ينكسر تظل الكهرباء موجودة ، ولكن الضوء يذهب . وكذلك ألروح بالنسبة للجسد . إن الروح لا توجد إلا في جسد له مواصفات خاصة . وأهم هذه المواصفات الخاصة أن تكون خلايا البئية مناسبة ، فإن توقف القلب ، فمن المكن تدليكه قبل مرور سبع ثوان على التوقف ، لكن إن

فسدت خلايا المخ ، فكل شيء ينتهي لأن المواصفات اختلت .

إذن ، فالروح لا تحل إلا في بنية لها مواصفات خاصة ، والقتل وسيلة أساسية لهدم البنية ، والنقل وسيلة أساسية لهدم البنية ، المبنية ، ولا يقدر على ذلك إلا الله سبحانه وتعالى . ولكن خلق الله يقدرون على البنية ، لانها مادة ولذلك يستطيعون تخريبها .

إذن ، وفعترفيك و تعنى مرة تمام الشيء ، وكاستيفاء المال و رتعنى مرة والنوم » . وحين يقول الحق : وإن متوفيك و ماذا يعنى ذلك ؟ إنه سبحانه يريد أن يقول : أريدك تاماء أى أن خلقى لا يقدرون على هدم بنينك ، إن طالبك إلى تاماء لانك في الأرض عرضة لأغيار البشر من البشر ، لكنى سأل بك في مكان تكون خالصا لى وحدى ، لقد أخذتك من البشر تأمًا ، ومعنى و تاما » ، أى أن الروح في جسدك بكل مواصفاته ، فالذين يقدرون عليه من هدم المادة أن يتمكنوا منه .

إذن ، فقول الحق : « ورافعك إلى » هذا القول الحكيم بأى مستقيها مع قول الحق : « متوفيك » . وقد يقول قائل : لماذا نأخذ الوفاة بهذا المعنى ؟ نقول : إن الحق بجلال قدرته كان قادرا على أن يقول : إن رافعك إلى ثم أتوفاك بعد ذلك . ونقول أيضا : من الذي قال : إن « الوار » تقتضى الترتيب في الحدث ؟ ألم يقل الحق سحانه :

﴿ فَكَنَّهِ كَانَ عَذَانِي وَنُذُرِ ١

(سورة القمر)

هل جاء العدّاب قبل النذر أو بعدها ؟ إن العدّاب إنما يكون من بعد الندر . إن و الواو ، تفيد الجمع للحدثين فقط . ألم يقل الله في كتابه أيضا :

﴿ وَ إِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّهِيِّتَنَ مِيثَنْقَهُمْ وَمِسْكَ وَمِن نُوجٍ وَ إِبْرَاهِمَ وَمُومَىٰ وَعِسَى أَبْنِ مَرْجَمُ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِيْفَنْقًا غَلِيظًا ﴿ ﴾

(سورة الأحزاب)

إن ، الواو ، لا تقتضى ترتب الاحداث ، فعلى فرض أنك قد أخذت ، متوفيك ، أى ، عبنك ، نمن الذى قال : إن ، الواو ، تقتضى الترتيب فى الحدث م بمعنى أن الحق يتوفى عيسى ثم يرفعه ، فإذا قال قائل : ولماذا جاءت ، متوفيك ، أولا ؟ نرد على ذلك : لأن البعض قد يظن أن الرفع تبرئة من الموت ، ولكن عيسى سبموت قطعا ، فالموت ضربة لازب ، ومسألة بمر بها كل البشر ، هذا الكلام من ناحية النص القرآنى ، فإذا ما ذهبنا إلى الحديث وجدنا أن الله فرض رسوله صلى الله عليه وسلم البشر ح ويبين ، ألم يقل الحق :

﴿ وَأَتَرَكْنَا إِلَيْكَ الذِّكُولِيُمَيِنَ لِلنَّاسِ مَا لَزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَحَكُرُونَ ﴾

(من الآبة 13 صورة النحل)

فالحديث كها رواه البخاري ومسلم : (كيف أنتم إذا نؤل ابن مويم فيكم وإمامكم منكم) ؟ .

أى أن النبى صلى الله عليه وسلم بين لنا أن ابن مويم سينزل مرة أخرى . ولنقف الأن وقفة عقلية لنواجه العقلائيين الذين يحاولون إشاعة التعب في الدنيا فنقول : يا عقلائبون أقبلتم في بداية عيسى أن يوجد من غير أب على غير طريقة الخلق في الإيجاد والميلاد ؟ سيقولون نعم . هنا نقول : إذا كنتم قد قبلتم بداية مولده بشيء عجيب خارق للنواميس فكيف تقفون في نهاية حياته إن كانت خارقة للنواميس ؟ . إن الحق إن الذي جعلكم تقبلون العجيبة الأولى يجهد لكم أن تقبلوا العجيبة الثانية . إن الحق صبحانه يقول :

﴿ إِنِّي مُتَوَقِيكَ وَرَافِعُكَ إِنَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ اللَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ اللَّذِينَ التَّبَعُوكَ فَوْقَ اللَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ اللَّذِينَ التَّبَعُوكَ فَوْقَ اللَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْفِيلَةِ ﴾ اللَّذِينَ كَفُرُوا إِلَى يَوْمِ الْفِيلَةِ ﴾

(من الآية فه سورة ال عمران)

إنه سبحانه يبلغ عيسى إنني سأخذك تاما غير مقدور عليك من البشر ومطهوك من خيث هؤلاء الكافرين وتجاستهم ، وجاعل الذين انبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم الفيامة ، وكلمة ، اتبع ، تدل على أن هناك «مُتبعًا ، يتلو مُتبعًا . أي أن المتبع هو الذي يأن بعد ، فمن الذي جاء من بعد عيسى بمنه من الساء ؟ إنه عمد صلى الله عليه وسلم . ولكن على أي منهج يكون الذين اتبعوك ؟ أعلى المنهج الذي جاؤا به أم المنهج الذي بلغته أنت يا عيسى ؟ إن الذي يتبعك على غير المنهج الذي قلته لن يكون تبعا لك ، ولكن الذي بأن ليصحح الوضع على المنهج الصحيح فهو الذي اتبعك . وقد جاء محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصحح الوضع ويبلغ المنهج كها أواده الله . و وجاعل الذين اتبعوك قوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ، فإن اخذنا المعنى بهذا ؟ فإن أمة محمد صلى الله عليه وسلم هي التي اتبعت منهج الله الذي جاء به الرسل جميعا ، ونزل به عيسى أيضا ، وأن أمة محمد قد صححت كثيرا من القضايا التي انحرف بها القوم . نقول ليس المراد هنا من « فوق » الغلبة والنصر ، ولكنا لريد من ، فوق » الخبة والبرمان . وذلك إنما يحدث في حالة وجود قوم منصفين نويد من وقون الأمور بحججها وأدلتها وهم لن يجدوا إلا قضية الإسلام وعقيدة الإسلام .

إذن ، فالفوقية هى فوقية ظهور دليل وقوة برهان . ولذلك قال الحق سبحانه : ﴿ هُوَ الَّذِي َ أَرْسَلَ رَسُولَهُم بِالْمُدَىٰ وَدِينِ الْحَـقِ لِبُظْهِرَهُم عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ، وَلَوْ كُرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿ ﴾

(سبورة المتوبة)

وفى موقع أخر من القرآن الكويم ، بؤكد الحق ظهور الإسلام على كافة الأدبان وهو الشاهد على ذلك :

﴿ هُوَ ٱلَّذِينَ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ إِلَمْدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَتِّي لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱللَّذِينِ كُلِّهِ ، وَكُنَّ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ۞ ﴾

(سورة الفشح)

ومعنى ذلك أن الله قد أراد للإسلام أن يظهر على كل الأديان . وقد يقول قائل : إن فى العالم أديانا كثيرة ، ولم يظهر عليها الإسلام ، والموجودون من المسلمين في العالم الأن مليار وأضعاف ذلك من البشر على ديانات أخرى . نقول لمثل هذا الفائل : إن الله أراد للإسلام أن يظهره إطهار حجة ، لا من قِبَلِكم أنتم فقط ولكن من قِبَلهم هم كذلك . والناس دائها حين يجتمعون ليشرعوا القوانين وليحددوا مصالح بعضهم بعضا ، يلجأون أخيرا إلى الإسلام . فلننظر إلى من يشرع من جنس تشريع الأرض ولنسال أرأيت تشريعا أرضيا ظل على حاله ؟ لا ، إن التشريع الأرضى يتم تعديله دائها .

لماذا ؟ لأن الذي وضع التشريع الأول لم يكن له من العلم ما يدله على مقتضيات الأمور التي تُحبد ، فلها جدت أمور في الحياة لم تكن في ذهن من شرع أولا ، احتاج الناس إلى تعديل التشريع . ولنمسك بأى قانون بشرى معدل في أى قضية من قضايا الكون ، ولننظر إلى أى انجاه يسير ؟ إنه دائها يتجه إلى الإسلام ، وإن لم يلتق مع الإسلام فإنه يقرب من الإسلام . وعندما قامت في أوربا ضجة على الطلاق في الإسلام ، ما الذي حدث ؟ جاء التشريع بالطلاق في إيطاليا تحت سمع وبصر الفاتيكان . هل شرعوا الطلاق لأن الإسلام أباح الطلاق ؟ لا ، إنما شرعوه لأن أمور الحياة أخضعتهم إلى ضرورة تشريع الطلاق ، فكأتهم أقاموا الدليل بخضوعهم لأمور الحياة على أن ما جاء به الإسلام قبل التجربة كان حقا . بدليل أن أوربا لجأت إلى تشريع الطلاق لا كمسلمين ولكن لأن مصالح حياتهم لا نتأن إلا به .

وهل هناك ظهور وغلبة أكثر من الدليل الذي يأتي من الخصم ؟ تلك هي الغلبة ، لقد وصلوا إلى تشريع الطلاق رغم كراهيتهم للإسلام كدليل على صدق ما جاء به الإسلام . وفي الربا ، الذي يريد البعض هنا أن يجلله ، تجد أوربا تحاول التخلص منه ، لأنهم توصلوا بالتجربة إلى أن المال لا يؤدي وظبقته في الحياة إلا إذا الخفضت القائدة إلى صفر أي أنهم عرفوا أن إلغاء الربا ضروري حتى يؤدي المال وظيفته الحقيقية في الحياة ، والذي ألجأهم إلى الوصول إلى هذه الحقيقة هو أن فساد الحياة صبيه الربا ، فأرادوا أن يمنعوا الربا ، لقد وصلوا إلى ما بدأ به الإسلام من أربعة عشر قرنا ، أتربد غلبة ، وتريد فوقا ، وتريد ظهورا ، أكثر من هذا بالنسبة لدين الله ؟

إذن ، نفهم الخصوم ما يصلح أمر الحياة اضطرهم إلى الأخذ بمبادى، الإسلام . ونتابع بالتأمل قول الحق : ﴿ وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ﴾ . أى أن الحق جاعل الذبن ساروا على المنهج الأصيل القادم من الله فوق الذين كفروا . فالذين يقولون فيك يا عيسى ابن مريم ما لا يقال من الوهية ، هل

اتبعوك؟ لا . . لم يتبعوك .

إن الذي يتبع عيسى هو الذي يأتي على المنهج القادم من الله . إن عيسى ابن مريم رسول إلى بنى إسرائيل . وديانات السماء لا تأتى لعصبيات الجنس أو القومية أو الأوطان أو غير ذلك ، ولكن المنهج هو الذي يربط الناس يعضهم ببعض ، ولذلك جاء لنا الحق بقصة سيدنا نوح لنتعرف على هذه المعانى . لقد وعد الله سيدنا نوحا أن ينجى له أهله . وعندما دعا نوح عليه السلام ابنه ليركب معه : ولكن ابن نوح رفض ، فقال نوح عليه السلام ابنه ليركب معه : ولكن ابن نوح رفض ، فقال نوح عليه السلام الله :

﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَهُۥ فَقَالَ رَبِ إِذَّ آبْنِي مِنْ أَهْلِي وَ إِنَّ وَعَدَكَ ٱلْحَكَّىٰ وَأَنتَ أَحْكَرُ ٱلْمُذَكِينَ ۞﴾

(سورة هود)

فهل الأهلية بالنسبة للأنبياء هي التي قالها نوح هل أهلية الدم ؟ لا ، لان الحق قال :

﴿ قَالَ يَكُنُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهَلِكَ ۚ إِنَّهُ مَمَلُ غَيْرُ صَالِحَ قَلَا تَسْعَلُنِ مَالَيْسَ لَكَ بِهِ م عِلْمُ إِنِّ أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ ٱلْجَمْعِلِينَ ۞

(سورة هود)

لماذا ؟ لأن أهل النبوة هم المؤمنون بها، فالذين اتبعوا المنهج الذي جاء به المسبح من عند الله ليس من يطلق على نفسه النسب للمسبح ، ومن يطلق على نفسه أنه يهودي إن هذه أسها، فقط . إن المتبع الحق هو من ينبع المنهج المنزل من عند الله . إن الأنبياء ميراتهم المنهج والعلم . ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم على سلمان وهو فارسى لا يجتمع مع رسول الله في أرومة عربية :

(سليان منا آل البيت)٠٠٠ .

⁽١) هذا الحديث رواء الحاكم والطبراق في الكبير.

- 14·100+00+00+00+00+00+0

وهكذا انتسب سلمان إلى أن البيت بحكم إيمانه ، وبنص حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

إذن : و وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ، أى أن الحق سيحانه قد جعل الفؤقية للذين يتبعون المنهج الحق القادم من عند الله . والذي يصوب منهج عيسى هو محمد رسول الله . هل تكون الفرقية هي فوقية مساحة جغوافية ؟ لأن رقعة من الأرض التي تتبع الدياتات الأخرى غير الإسلام أكبر مساحة من رقعة أرض المؤمنين بالإسلام ؟ لا . . فالفرقية تكون فوقية دليل .

وقد يقول قائل: إن الدليل لا يلزم. نود قائلين: كيف لا يلزم الدليل ؟ ونحن. نوى الذين لا يؤمنون به يدللون عليه . كيف يدللون عليه ؟ إنهم يسيرون فيها يقننون من قوانين البشر إلى ما سبق إليه تقنين السياء . وبادام هنا في هذه الآية كلمة و فوق ، وكلمة و كفروا » وهناك أنبع ، إذن ، فهناك قضية وخصومة ، وهناك حق ، وهناك علم ناطلي ، وهناك هدى، وهناك ضلال . فلابد من الفصل في هذه الفضية . ويأن الفصل صاعة ألا يوجد للإنسان تصرف إرادى لا على ذات نفسه ولا على سواه .

إن الظالمين يستطيعون النصرف في الأرض ، لكن عندما يكون المرجع إلى الله فالله يقول : أنا ملكتكم وانتم عصاة لى في كثير من الأسباب ، لكن هناك وقت تزول فيه ملكيتكم للأسباب . إذن . . فالظالم قد يتحكم على الأرض وكذلك الباطل لأن الله أوجد لنا جميعا إرادات وموادات اختيارية . لكن في يوم الفيامة فلا إرادات الا إرادة الله :

عَلَيْوَمَ هُم بَنِوزُونَ لَا يَغَنَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُم شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلَّكُ الْيَوْمُ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْفَهَّادِ ٢٠٠٠ ﴿

وَهُومَ هُم بَنِوزُونَ لَا يَغَنَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُم شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلَّكُ الْيَوْمُ لِللَّهِ الْوَاحِدِ الْفَهَّادِ ٢٠٠٠ ﴾

(إذن فالحكم قادم بدون منازع . . والذي يدل على ذلك قوله الحق : ﴿ إِذْ تَبَرُأُ الَّذِينَ الَّهِ عَلَى اللَّهِ الللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ

(減減)が CO+CO+CO+CO+CO+C 101,C

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ النَّبِعُوا لَوْ أَنْ لَنَا كُرَّةً فَنَتَبَرًا مِنْهُمْ كَا نَبَرًا واْمِنَا كَدَّالِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالُهُمْ حَسَرُتِ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ لِخَلْوِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿ }

(سورة البقرة)

إن الذي اتبع واحدا على ضلال بأن يوم القيامة ليجد أن صاحب الضلال يتبرأ منه ، قيقول المتبعون سائلين الله : يارب ارجعنا إلى الدنيا لننتقم ممن خدعونا . هذا من ناحية الجسد المواحد نفسه ، فسوف نجد شهادة الجلود والألسنة والأيدى ، بعد أن تسقط عنها إرادة الإنسان ويسقط تسخير الحق لهذه الجوارح والحواس لخدمة الإنسان ، تقول الجوارح والحواس : لقد كانت لصاحبي إرادة توغمني على أن أفعل ما لا أحب ، لكن ها هوذا يوم القيامة ، فلا قهر ولا إرغام ولا تسخير لأن الملك كله لله . . لذلك تشهد الألسنة والجلود ولهذا يقول الحق : د ثم إلى مرجعكم فأحكم بينكم فيها كنتم فيه تختلفون ؛ .

إن الحق يحكم فيها كانوا فيه يختلفون لتكون ثمرة الحكم هي ماذا ؟ هلي هناك تكليف بعد ذلك ؟ لا . . لكن ثمرة الحكم هي الجزاء . فقي الأخرة لا عمل هناك ، والحكم فيها للجزاء . وكها قلنا : مادام هناك متهمون وتحافرون ، وجماعة فوق جماعة ، وإلى الله مرجعهم ، قلابد لنا أن نرى ما هو الحكم الذي سوف يكون ؟ ها هوذا القول الحكيم :

عَلَيْ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُواْ فَأَعَذِبُهُمْ عَذَابًا شَكِيدًا فِي اللهُ فَأَمَّا اللهِ عَذَابًا شَكِيدًا فِي اللهُ فَيْكُ اللهُ فَي اللهُ اللهُ فَي اللهُ اللهُ اللهُ فَي اللهُ اللهُ فَي اللهُ الله

لماذا لم يأت الله بالحكم على المؤمنين أولا ؟ لأن المؤمنين يؤمنون بذلك تماما ، إنهم بإيمانهم يعرفون ذلك ويعونه . ولنته هنا إلى أن الحكم لا يشمل العذاب في الاخرة فقط ولكنه يشتمل على العذاب في الدنيا أيضا ، فعذاب الدنيا سيكون قبل الحكم ،

○ 10110○+○○+○○+○○+○○+○○

وكأن الحق يقول لنا : لا تعنقدوا أن تعذيبي إياهم في الدنيا يعفيهم من تعذيبي إياهم في الأخرة ، لأن التعذيب في الدنيا فقط قد يصيب من آمن بي .

أما من كفر بي ، فإني أعذبه في الدنيا وأعذبه في الأخرة. إنني لا أؤجل العذاب الكافرين إلى الأخرة فقط ولكن سأضم عذاب الدنيا إلى عذاب الأخرة .

إن الحصيلة بعد كل شيء هي أن يعذب الكافر في الدنيا وفي الآخرة . ويقول الحق عن هذا العذاب : إنه عذاب شديد ؛ لأن الحدث حين يقع لابد أن تلحظ فيه الفوة التي تناسب من أحدث . ولنضرب هذا المثل ولله المثل الأعلى :

إن الطفل قد يكسر شيئا في حدود قوته كطفل ، والشاب قد يكسر شيئا مناسبا لقوته . إذن فالحدث يجب أن ناخذه قياسا بالنسبة لفاعله ، فإذا كان الفاعل هو الله ، فهل لأحد طاقة على عذاب الله ؟ لا أحد يتصور ذلك ، وليس لأحد من هؤلاء من ناصر ، لأن الذي يهزمه الله ويعذبه لا ناصر له ، وبعد ذلك يأتي الحق بالمقابل :

مَيْنَ وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَكِمِلُواْ الصَّلِحَاتِ فَيُوفِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُ الظَّلِمِينَ اللَّهُ المَّيْدِ الْمَالِمِينَ اللَّهُ المَّالِمِينَ

أى فهادام الذبن كفروا سينالون العذاب الشديد من الله ، فالذبن آمنوا سينالون النعيم المثيم بإذن الله .

﴿ لَا لِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْأَيْتِ وَٱلذِّكِرِ ٱلْحَكِيمِ ۞ ﴾

يقول الحق تبارك وتعالى :

وذلك ، إشارة لما سبق من الأحداث ، في شأن امرأة عمران ، ومريم ، وزكريا ، ويجي ، وعيسى ، وكأن لكل واحد من هؤلاء قضية عجية يخرق فيها ناموس الكون ، وكلها آيات ، أي عجائب . وقد نقلت إلينا هذه العجائب من واقع ما رآه الذين عاصر وا تلك الأحداث ، وجاء الخبر اليقين بتلك العجائب في قرآن لا يأتيه الباطل من بين يذيه ولا من خلفه ، وهو الكتاب الحق الموصوف من الله بأنه و الذكر الحكيم ، فاطمئنوا - أيها المؤمنون - إلى أن ما وصلكم عن طريق القرآن ، إنما حكى واقعا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فيا جاء به من أخبار عن تلك واقعا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فيا جاء به من أخبار عن تلك واقعا لا يأتيه الموابق الواقع الذي عاصره الناس وحكوه.

وبعد ذلك يعرض الحق لنا سبحانه قضية سيدنا عيسى عليه السلام ، وهى قضية يجب أن نتبه إليها تنبها جديدا فنعرض وجهة نظر الذين يضعونه في غير الموضع الذي أراده الله ، كما نعرض وجهة نظر الذين يضعونه في الموضع الذي يريده الله ، فالمسألة ليست انتصارا منا في الدنيا على فريق يقول : كذا ، وليست انتصارا لفريق فالمسألة لما عاقبة تأتى في الأخرة ويحاسبنا عليها الحق أخر في الدنيا ليقول : كذا ، لأنها مسألة لها عاقبة تأتى في الأخرة ويحاسبنا عليها الحق تعالى ، لذلك كان من المهم جدا أن نصفيها تصفية يتضح فيها الحق ، حتى لا يظلم أحد نفسه .

لقد جاء عيسى عليه السلام على دين اليهودية ، أى طرأ على دين اليهودية وتحن نعلم أن دين اليهودية قد تم تحريفه من اليهود تحريفا جعله ينحاز إلى الأمور المادية الصرفة ، دون أدنى اعتبار للأمور الروحية والإيمان بالغيب ، فهم ماديون ، وتتمثل مادينهم في أنهم قالوا لموسى عليه السلام ما حكاه القرآن الكريم :

﴿ وَإِذْ تُعَنَّمُ يَدُمُومَنِي لَنَ نُؤْمِنَ لَكَ حَثَىٰ نَرَى اللهَ جَهْرَةُ فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّنِفَةُ وَأَنْتُمْ لَنظُرُونَ ﴿ ﴾

(سورة البقرة)

إنهم لم يلتفتوا إلى أن بعضا من كيال وجلال الله غيب ؛ لأنه لو كان مشهودا عسا ، لحدد يضم الحاء وكسر الدال وحُيِّز ، ومادام قد حُدِد وحُيَّز في تصورهم فلالك يعنى أنه سبحانه قد يوجد في مكان ولا يوجد في مكان آخر ، والحق سبحانه منزه عن مثل ذلك لأنه موجود في كل الوجود ، ولا نراه بالعين ، لكن نرى آثار أعياله وجميل صنعه في كل الكون .

إذن فكون الله غيبا هو من تمام الجلال والكمال. فيه .

لكن اليهود قد صوروا الأشياء كلها على أنها حسية ، حتى أمور اقتبات حياتهم وهي الطعام ، لقد أرادها الله لجم غيبا حتى يربحهم في التيه ، فأرسل عليهم المن والسلوى ، كرزق من الغيب الذي يأن إليهم ، لم يستنبتوه ، ولم يستوردوه ، ولم يعرفوا كنهه ، ولم يجتهدوا في استخراجه ، إنه رزق من الغيب ، ومع ذلك تمردوا على هذا الرزق القادم لهم من الغيب وقالوا كما أخبر الله عنهم :

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَكُونِينَ لَنَ تَصْدِرَ عَلَى طَعَامِر وَحِدِ فَأَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُعْرِجُ لَنَا مِمَا أَنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثْمَ بِهَا وَعَدْسِهَا وَبَصَلِها قَالَ أَنْسَتَبِدِلُونَ اللَّذِي هُوَأَدْنَنَ بِاللَّهِي هُوَأَدْنَنَ مِنَ اللَّهِي هُو اللَّهِي مُوادِّنَ لَكُم مَا مَا لَهُمْ وَضَرِبَتَ عَلَيْهِمُ اللَّهِ وَالْمَسْكَنَةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَالمَسْكَنَةُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللّهُ اللَّهُ اللَّالَةُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّالَةُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ

(من الآية ٦١ سورة البقرة)

إنهم يريدون أن يكون طعامهم كها ألفوا ، وأن يروا هذا الطعام كأمر مادى من

أمور الحياة ؛ لذلك تشككوا في رزق الغيب ، وهو المن والسلوي ، وقالوا : « من يدرينا أن المن قد لا يأن ، وأن السلوى قد لا تنزل علينا » فلم تكن لهم ثقة في رزق وُهب لهم من الغيب ؛ لأنهم تناولوا كل أمورهم بمادية صرفة . ومادامت كل أمورهم مادية فهم في حاجة إلى هزة عنيفة تهز أوصال ماديتهم هذه ؛ لتُخرجهم إلى معنى يؤمنون فيه بالغيب .

ونحن لعلم أن الفكر المادى لا يرى الحياة إلا أسبابا ومسببات ، فأراد الحق سبحانه وتعالى أن يخلع منهم ذلك الفكر المادى ، لذلك جاء بعيسى عليه السلام على غير طريق الناموس الذى يأتي عليه البشر ، فجعله من امرأة دون أب ، حتى يؤلزل قواعد المادية عند اليهود . لكن الفتنة جاءت في قومه ، فقالوا بينوته للإله ، وسبحانه منزه عن أن يكون له ولد .

ولنا أن نسأل ما الشبهة التي جعلتهم يقولون بهذه البنوة؟

قالوا: إن الأمومة موجودة والذكورة ممتنعة ، والشبهة إنما جاءت من أن الله نفخ فيه الروح ، فالله هو الأب .

نفول لهم : لو أن الأمر كذلك لوجب أن تفتنوا في آدم أولى من أن تفتنوا في عيسى ؛ لأن غيسى عليه السلام كان في خلقه أمومة ، أما آدم فلا أمومة ولا أبوة ، فتكون الفتنة في آدم عليه السلام أكبر ، وَإِن قلتم : « إِن الحق قال : إنه نفخ فيه من روحه » ، فلكم أن تعرفوا قول الله في آدم عليه السلام :

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُكَ لِلْمُلَنَّهِكَةِ إِنِّي خَنْلِقُ بَشَرًا مِن صَلْصَـٰلِ مِنْ خَمْلٍ مَّسَنُونِ ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ, وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّومِي فَقَعُواْ لَهُ, سَاجِدِينَ ۞ ﴾

(سورة الحجر)

إذن فالنفخ هنا في أدم موجود ، فلهاذا سكتم عن هذه الحكاية منذ آدم وحتى عجىء عيمى عليه السلام ، وهكذا يتم دحض تلك الحجة ونهايتها ، وبعد ذلك نأتي إلى قضية أخرى ، وهي توفيه أو وفاته ، إلى القضيتين معا ـ توفيه ووفاته ـ حتى

@ 1010@@#@@#@@#@@#@

نُبَيِّنَ الرأيين معا . وهنا نتساءل : لماذا فتنتم في ذلك؟ يقولون : لقد أحيا عيسى الموتى ، ونقول لهم : ألم تأخذوا تاريخ إبراهيم عليه السلام حسما قال الله له :

عَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِ مُ رَبِّ أُرِنِي كَيْفَ مُعَي الْمَوْتَى قَالَ أُولَدٌ تُوْمِنَ قَالَ بَلَى وَلَلْكِن لِيَظْمَيْنَ قَالِي قَالَ مَعُذْ أَرْبَعَةُ مِنَ الطَّيْرِ فَصُرَّهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبلِ مِنْهُنَ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنْ بَأْتِيسَكَ سَعَبً وَاعْلَمْ أَنْ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ عَلَى ﴾

(سورة الْبقرة)

إذن فمجال الفتنة في إبراهيم عليه السلام كبير ، وكذلك ، ألم يحى، موسى عليه السلام بآية هي العصا ؟. إنه لم يجي، مينا كانت فيه حياة ، إنما أجرى الله على يديه خلق الحياة فيها لم تثبت له حياة ، فأصبحت العصا ـ وهي جماد ـ حية تسعى لماذا إذن لم تفتنوا في عصا موسى عليه السلام ؟

وهكذا نعرف أنه لا يصح أن يفتن أحد في المعجزة التي جاءت بعيسي عليه السلام ، أو في إحيائه الموتى بإذن الله ، وأتباع عيسي عليه السلام يثفقون معنا أن الله سبحانه وتعالى غيب ، ولكنهم يختلفون معنا فيقولون : إن الله أراد أن يؤنس البشر بصورة يتجلى لهم فيها بشرا فجاء بعيسي عليه السلام ليتحقق لهم ذلك الأنس .

ونقول لهم : سنبحث هذه المسألة بدون حساسية ، وبدون عصبية ، بل بالعقل ، ونسأل و هل خلق الله عيسى ليعطى صورة للإله ؟ . إن عيسى كان طفلا ، ثم كبر من بعد ذلك ، فأى صورة من صوره المرحلية كانت تمثل الله ؟

إن كانت صورة طفل فهل هي صورة الله ؟ وإن كانت صورة كهل فهل هي صورة الله ؟ إن لله صورة واحدة لا تراها ولا نعرف كنهها فهو سبحانه ؛ ليس كمثله شيء ع ، فأية صورة من الصور التي تقولون : إنها صورة الله ؟

وإن كان الله على كل هذه الصور فمعنى ذلك أن لله أغيارا ، وهو سبحانه منزه عن ذلك . ولو كان على صورة واحدة لقلنا : إنه الثبات والأمر كذلك فهو - سبحانه ـ الحق الذي لا يتغير إنهم يقولون : إن الله أراد أن يجعل صورته في بشر ليؤنس الناس بالإله ، فتمثل في عيسي .

ولنا أن نسأل: كم استغرق وجود عيسى على الأرض ؟ والإجابة: ثلاثين عاما أو يزيد فليلا. وهكذا تكون فترة معرفة الناس بالصورة الإلهية محدودة بهذه السنوات الثلاثين طبقا لنصوركم. ولابد أن نسأل ، ما عمر الخلق البشرى كله ؟ إن عمر البشرية هو ملايين السنين. فهل ترك الله خلقه السابقين الأولين بدون أن يبدى لهم صورته ، ثم ترك خلقه الآخرين الذين قدموا إلى الحياة بعد وفاة عيسى مأى تمام مهمته ووقعه ، بدون أن يعطبهم صورة له ؟. إن هذا تصور لإله ظالم ، وسبحانه وتعالى منزه عن الشرك والظلم . فلا يعقل أن يضن بصورته فلا يبقيها إلا ثلاثين عاما ؟ إن هذا قول لا يقبله عقل بثن في عدالة الله المطلقة .

ثم إنهم يقولون : إن عيسى عليه السلام قد صلب ، وهم معذورون والحق سبحانه وتعالى قد عذرهم في ذلك فاورد التأريخ الحق العادل ، حين يقول :

﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِحَ عِسَى آثِنَ مَرْيَمُ وَمُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا سَلَبُوهُ وَلَكِن شَيْهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ اللَّذِينَ ٱلْحَتَلَفُوا فِيهِ لِنَي شَلِكَ مِنْهُ مَا لَكُم بِدِ، مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱثْبَاعَ ٱلظَّانِّ وَمَا تَسَلُوهُ يَقِينَا ﴿ ﴾

(مبورة النساد)

لقد جعل الله لهم عدرا في أن يقولوا: إنه قتل أو صلب ؟ لأنه شبه لهم وكان من المعقول أن يلتمسوا من الإسلام حلا لهذه المشكلة ، لأن الإسلام جاء ليقول : المعقول أن يلتمسوا من الإسلام وما صلبوه ؛ لأن عدا الفعل الفتل أو الصلب ينقض فكرتهم عن أنه إله أو ابن إله . لأن المصلوب لو كان إلها أو ابن إله ، لكانت لديه القدرة التي تغلب الصالب ، فكيف يعقل الإنسان أن ينقلب الإله - أو ابن الإله - مقدورا عليه من تخلوق ؟ والإسلام عندما يقول : إن عيسى ابن مربم لم المحلب فقد كرمة الله ، وهكذا توى أن الإسلام قد جاء ليصفى العقائد كلها من عبوب التحريف التي قام بها المتبعون لتلك الأديان .

وبعد ذلك يأتي الحق سبحاته وتعالى ليعرض علينا قضية جدلية حدثت في أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى يخرج الناس مسلمين ونصارى ويهودا من هذه البليلة ، وأن يتم ذلك في مودة ، لأنهم كلهم مؤمنون بالعبودية لمعبود واحد . فقد جاء وقد من نصارى نجران إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة ، والنقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان لمؤلاء القوم جدل مع اليهود ، ولهم جدل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما كان لليهود والنصارى معا جدل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والجدل بين اليهود والنصارى مصدره أن لليهود والنصارى تولا متضاربا في بعضهم بعضا برويه لنا الحق:

﴿ وَقَالَتِ ٱلْبَهُودُ لَبَسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَى شَيْءِ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ ٱلْبَهُودُ عَلَى شَيْءِ وَهُمْ يَنْلُونَ ٱلْكِتَابُ كَنَالِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِيمَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِبَامَةِ فِهَا كَانُواْ فِيهِ يَغْتَلِفُونَ مِنْ ﴾

(سورة البقرة)

فاليهود بقولون : ه كان إبراهيم يهوديا » والنصارى يقولون لا ، كان إبراهيم نصرانيا ه وأما الجدل بين النصارى وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسبه أنهم قد أرادوا أن يتكلموا في مسألة عيسى ، وأراد الحق سيحانه وتعالى أن يصقى القضية تصفية نهائية حتى لا نظل معلقة تلوكها الألسنة وتجعلها مثارا للفتن . فلها الجتمع نصاري نجران تحت لواه رؤسائهم ، ومن هؤلاء الرؤساء من اسمه السيد ، ومنهم من بسمى العاقب صاحب المشورة ، ومعهم قسيس ، فقال لهم صلى الله عليه وسلم : ماذا تقولون في عيسى ؟ قالوا : إنه ابن الله . وقال لهم الرسول : إن عيسى عليه السلام قال : ه إن عيسى عبده ورسوله وكلمته ألقاها إلى العذراء عليه البئول ، فغضبوا وقالوا للرسول صلى الله عليه وسلم ؛ هل رأيت إنسانا قط من غير البئول ، فغضبوا وقالوا للرسول صلى الله عليه وسلم ؛ هل رأيت إنسانا قط من غير أب ؟ . إن كنت قد رأيت مثل ذلك فأخبرنا به .

وهنا نزلت الآية الكريمة :

﴿ إِنَّ مَثَلَعِيسَىٰعِندَاللَّهِ كُمَثَلِءَادَمُّ خَلَقَكُهُ، مِن ثُرَابِ ثُمَّ قَالَ الدُركُن فَيَكُونُ ﴿ فَيَ

لقد جاء القول القصل بالحجة الأقوى ، فإذا كان عيسى عليه السلام قد جاء يدون أب ، فإن آدم عليه السلام قد جاء بدون أب ، وبدون أم ، وقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : تعلمون أن رسول الله وأننى نبى هذه الأمة ، فقالوا : أنظرنا غدا نتكلم في هذه المسائل ، ودعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإيمان فقالوا : لا .

وعندما يعرض الحق سبحانه صراع قضية حق مع قضية باطل فهو يقول :

﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَمُكَّنَّ مُدَّى أَوْ فِي ضَلَيْلِ مَّيِينِ ﴾

(سورة سيأ)

أى إن طرفا واحدا على هدى ، والطرف الآخر على ضلال مبين ، لماذا ؟ لأن القضيتين متنقاضتان ، ولا يمكن أن يجتمعا ، ودعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن يجتمع يهم في مكان ظاهر ، ويدعو الطرفان الأبناء والنساء ، ويبتهل الجميع إلى الله الحق أن تُستَتَرَل لعنة الله على الكاذبين ، وفي هذا جاء القول الكريم :

الْحَقُّ مِن زَّيْكَ فَلَا تَكُنُّ مِنَ ٱلسُّنَدِينَ ١

حَيْثُ فَمَنَ مَا جَكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكُ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَكَالُوْانَدُعُ أَبْنَاءَ فَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَ فَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ مِنْ بَتِهِ لَ فَنَجْعَلَ لَعُنتَ اللّهِ عَلَى الصَّدِينَ ﴿ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ عَلَى الصَّدَاللّهِ عَلَى الصَّدِينَ ﴿ اللّهِ اللّهِ اللهِ عَلَى الْحَدَاللّهِ اللّهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ ا

لقد جاء الحق البين والقول الفصل من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم فلا مجال للشك أو المراء ، ومن يُرد أن يحتكم إلى أحد فليقبل الاحتكام إلى الإله العادل الذي لن يحكم بالباطل أبدا ، فهو سبحانه الحق ، ويجيء هذا القول : « تعالوا نساع أبناءنا وأبناءكم ، ونساءنا وتساءكم وأنفسنا وأنفسكم ، ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين » . إن الطرفين مدعوان ليوجها الدعوة لأبنائهم ونسائهم ، فالرسول صلى الله عليه وسلم مدعو لدعوة أبنائه ونسائه ، ومن له الولاية عليهم ؛ وبحضوره هو صلى الله عليه وسلم ، وهم مدعون لدعوة أبنائهم ونسائهم وأنفسهم للابتهال .

وقد يسأل سائل: ولماذا تكون الدعوة للأبناء والنساء ؟ والإجابة هي : أن الأبناء والنساء هم القرابة القريبة التي تهم كل إنسان ، وإن لم يكن رسولا ، إنهم بضعة من نفسه وأهله . فكان الرسول صلى الله عليه وسلم مأمور بأن يقول لهم : وهاتوا أحبابكم من الأبناء والنساء لأنهم أعزة الأهل والصقهم بالقلوب وادخلوا معنا في مهاهلة » وو المباهلة » : هي التضرع في الدعاء لاستنزال اللعنة على الكاذب ، فالبهلة بضم الباء به هي اللعنة ، وعندما يقول الطرفان : ويارب لتنزل لعنتك على الكذاب منا » فهذا دعاء يحمل مطلق العدالة ؛ فالإله الذي يستطيع أن ينزل اللعنة هو الإله الحق . وهو سينزل اللعنة على من يشركون به ، ولو كانت اللعنة تنزل من الألهة المتعددة فسوف تنزل اللعنة على أتباع الإله الواحد .

ولهذا كانت الدعوة إلى المباهلة والبهلة ـ كيا قلنا ـ وهي ضراعة إلى القوة القاهرة التي تنصرف في الأمر لتنهي الخلاف ، ثم صار المراد بالمباهلة هنا مطلق الدعاء ،

00+00+00+00+00+00+010110

فنحن نقول: • نبتهل إلى الله » ، أي ندعو الله .

إذن فالرسول صلى الله عليه وسلم جاءهم بالأمر المنزل من عند الله الحتى بدعوة الأبناء والنساء والأنفس، لكنهم قالوا للرسول صلى الله عليه وسلم: و أَنْظِرْنَا إلى غد ونأتى إليك .

ثم أرسلوا في الصباح واحدا منهم ليرى ماذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ وهل هو مستعد لهذا الامر حقيقة ، أو هو بجرد قول منه أراد به النهديد فقط ؟ ووجد رسولهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاء ومعه الحسين والحسن وفاطمة وعلى بن إي طالب ، لذلك قالوا : ه لا لن نستطيع المباهلة » ، والحد ما باهل قوم نبيا إلا أخذوا ، وحاولوا ترضية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : « لنظل على دينا ويقل محمد وأنباعه على دينه » لقد ظنوا أن الدعوة إلى المباهلة هي بجرد تهديد لن ينفذه الرسول ، لكن صاحب اليقين الصادق جاء ومعه المباهلة هي بجرد تهديد لن ينفذه الرسول ، لكن صاحب اليقين الصادق جاء ومعه والميقين ، أما الذي لا يملك يقينا فلن يقبل على المباهلة بل لابد أن يرجع عنها . وقد والميقين ، أما الذي لا يملك يقينا فلن يقبل على المباهلة بل لابد أن يرجع عنها . وقد تخيفنا على أن نرسل لك الجزية في رجب وفي صفر وهي من الخيل وغير ذلك ! لقد رجو فروا من المباهلة لمعرفتهم أنهم في شك من أمرهم ، أما رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان على يقين بما أنزله الله عليه وكان العرب إذا خرجوا إلى الحرب ياخذون نساءه وسلم فكان على يقين بما أنزله الله عليه وكان العرب إذا خرجوا إلى الحرب ياخذون نساءه معهم ، وذلك حتى يخجل الرجل من القرار ، وحتى لا يترك أولاده ونساءه نساءهم معهم ، وذلك حتى يخجل الرجل من القرار ، وحتى لا يترك أولاده ونساءه لكيلا يذلوا من بعد موته ، فإن قبل قبل قبل معهم ، وذلك حتى يخجل الرجل من القرار ، وحتى لا يترك أولاده ونساءه لكيلا يذلوا من بعد موته ، فإن قبل قبل من الموب المعهم ما أيضا .

إذن إن أردنا تحن الأن أن ننهى الجدل فى مسألة عينى عليه السلام فلتسمع قول الحق سيحانه وتعالى : وإن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ، الحق من ربك فلا تكن من المعربين و إنه الحق القادم من الربوبية فلا تكن أيها السامع من الشاكين فى هذه المسألة ، ومن أراد أن يأق بحجة مضادة للحجة القادمة من الله فلنا أن نحسمها بأن نقول : وتعالوا ندع أبناه فا وأبناء كم ونساه فا ونساء كم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين و ونساء في ونساء كم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين و

ولن يجرؤ واحد منهم على ذلك . لماذا ؟ لأن السابقين عليهم قد فروا من المباهلة

ولأن الله ـ سبحانه ـ يريد أن يزيد المؤمنين إيمانا واطمئنانا إلى أن ما ينزله على رسوله هو الحق قال ـ جل شأنه ـ :

﴿ إِنَّ هَاذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقَّ وَمَامِنْ إِلَهِ إِلَّا ٱللَّهُ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ

وقوله الحق: وإن هذا لهو القصص الحق، يلفتنا إلى أن ما يرويه الحق أنا هو الحق الملق، وليس مجرد حكاية أو قصة، أو مزج خيال بواقع، كما يحدث في العصر الحديث، عندما أخذت كلمة القصة في العرف الأدبي الحديث ـ الفادم من حضارة الغرب ـ إن القصة بشكلها الحديث المعروف إنما يلعب فيها الخيال دورا كبيرا، لكن لوعرفنا أن كلمة وقصة ومشتقة من قص الأثر لبحث أهل الأدب فيما يكبون من روايات وخيالات عن كلمة أخرى غير «قصة »، فالقصص هو تتبع ما حدث بالفعل لا تبديل فيه ولا أخيلة.

وها هو ذا الحق سبحانه وتعالى يقول: و إن هذا لهو القصص الحق وما من إله إلا الله ، فإذا جاء القصص من الإله الواحد فلنظمئن إلى أنه لا يوجد إله آخر سيأى بقصص أخرى ، ولان الله الواحد هو «العزيز الحكيم ، أى الغالب على أموه ، ومع أنه غالب على أمره فهو حكيم في تصرفه .

لكن هل اتعظ القوم الذين جادلوا ؟ لا ، إن الحق يقول :

﴿ فَإِن ثُولُواْ فَإِنَّا أَلَةً عَلِيمٌ إِلَا لَمُفْسِدِينَ ﴿ فَإِن ثُولُواْ فَإِنَّا أَلَهُ عَلِيمُ الْإِلْمُفْسِدِينَ ﴿ فَا

إن قوله ۽ فإن تولوا ۽ يدل على أن الله قد علم أزلا أنهم لمن يقبلوا المياهلة ، وهكذا حكموا على أنفسهم بأنهم المفسدون ، فصدق الحق سبحانه في قوله : « فإن تولوا فإن الله عليم بالمفسدين ۽ ومع ذلك فقد أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يدعوهم إلى الدين الكامل لأنهم مؤمنون بالإله ، وبالسياء ، وبالكتاب ، لذلك يقول الحق :

مِيْنَ فَلْ يَتَأَهْلُ الْكِنْكِ تَعَالُوا إِلَى كَلِمُ وَسُوآءِ بَيْنَكُ وَبَيْنَكُو اللَّهُ مَكْ إِلَّا اللَّهُ وَلَا ثُمَّرِكَ بِهِ مَنَّ اللَّهُ وَلَا ثُمَّرِكَ بِهِ مَنَ شَكِيْنًا وَلَا يَتَخِذَ بَعْضَكَ بَعْضًا أَرْبَا بَالِمِ وَوَنِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوا فَقُولُوا الشَّهَ مَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوا فَقُولُوا الشَّهَ مَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ

إنها دعوة إلى كلمة مستوبة لا النواء فيها ؛ ألا نعبد إلا الله ؛ وهذا أمر لا جدال فيه ؛ ثم « ولا نشرك به شيئا ؛ أى لا ندخل معه من لا يقدر على الارتفاع إلى جلال كماله ، فالعقول السليمة ترفض كلمة « الشرك ؛ لأن الشرك يكون على ماذا ؟ هل الشرك على خلق الانوهية إنما جاء من بعد أن خلق الله الكون ؟

إذا كان هذا هو السبب في الشرك فهو أنفه من أن يكون سببا لأن الحق سبحانه قادر على إدارة الكون ، وأنزل منهجا إذا ما اتبعه الإنسان صار الكون منسجها . إذن فأى شسرك لا لزوم له . وإن كان _والعباذ بالله _ له شريك وتمتع إله ما بقدرات فأى شسرك لا لزوم له . وإن كان _والعباذ بالله المثان . وهذا عجز في قدرة هؤلاء خاصة فهذه القدرات تنقص من قدرات الإله المثان . وهذا عجز في قدرة هؤلاء الألحة ، ولهذا يحسم الحق هذا الأمر بقوله الكريم :

(سورة المؤمنون)

إذن فمسألة الشركاء هذه لبست مقبولة ، وبعد ذلك يقول الحق : « ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ع . أى ألا نأخذ من بعضنا كهنوتا وكهنة ، يضع الراحد منهم الحلال لنا أو الحرام علينا الفاتحليل والتحريم إنما يأتى من الله ، ولبس لمخلوق أن يحلل أو يحرم . ثم يقول الحق : « فإن تولوا فقولوا : اشهلوا بأنا مسلمون » أى إن من لا يقبل عبادة الإله الواحد الذي لا شريك له ولا أرباب تحلل أو تحرم ، إنما يويد أربابا وشركاء ، وهذا معناه أن قلبه غير مستعد لتقبل قضية الإيمان ؛ لأن قضية الإيمان تتميز بأن مصدرا واحدا هو الذي له مطلق القدرة ، وهو مصدر الأمر في الحركات في الكون .

إن حركاتنا كلها وهي الخاضعة لمنهج الله بـ و افعل و وو لا تفعل و فلو أن هناك إلها قال : و افعل و وإلها آخر قال : و لا تفعل و ، لكان معنى ذلك والعياذ بالله أن مؤلاء الألهة أغيار لها أهواء . والحق سبحانه يحسم هذا بقوله :

﴿ وَلَوِ آتَيْعُ ٱلْخُنُّ أَهْوَ آءَهُم لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَارَاتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِينِ بَلْ أَتَدِلْنَهُم يذِ كُوهِمْ فَهُم عَن ذِكُرهِم مُعْرِضُونَ ﴿ ﴾

(صورة المؤمنون }

وهكذا كانت دعوة الله على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم و قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهد بأنا مسلمون و ، إنها آية تحمل دعوة مستوية بلا نتوءات ، فلا عبادة إلا لله ، ونحن لا ناخذ و افعل ، ود لا تفعل ؛ إلا من الله ، ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا كهنونا أو مصدرا للتحليل أو التحريم ، فإن رفضوا وتولوا ، فليقل المؤمنون : واشهدوا بأنا مسلمون ، أي أنه أنه

(現場)(6) ○○+○○+○○+○○+○○(>+○) * Y E ○

لا يوجد إلا إله واحد ، ولا شركاء له ، وبعضنا لا يتخذ بعضا أربابا ، وتلك شهادة بأن الإسلام إنما جاء بالأمر المستوى الذي لا عوج ولا نتوء فيه ونحن متبعون ما جاء به .

وبعد ذلك يقول الحق :

﴿ يَتَأَهِّلُ أَلَهِ كِتَنبِ لِمَ تُحَاجُونَ فِي إِنْهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ ٱلتَّوْرَكِةُ وَالإِنجِيلُ إِلَّامِنُ بَعَدِهِ الْفَالَا تَعْقِلُونَ شَيْ ﴾

إن الحق يسألهم : لماذا يكون جدالكم في إبراهيم خليل الله ؟ إن اليهود منكم ينسبون أنفسهم إلى عيسى ، وإبراهيم ينسبون أنفسهم إلى عيسى ، وإبراهيم عليه السلام لا يمكن أن يكون يهوديا كما يدعى اليهود ، فاليهودية قد جاءت من بعد إبراهيم والنصارى لا يمكنهم الادعاء بأن إبراهيم كان نصرانيا ، لأن النصرائية قد جاءت من بعد إبراهيم عليه السلام ، فلم المحاجة إذن ؟ لقد أنزلت التوراة جاءت من بعد إبراهيم عليه السلام ، فلم المحاجة إذن ؟ لقد أنزلت التوراة والإنجيل ؟

وبعد ذلك يقول الحق :

مَيْنَ هُوَانَتُمُ هَنَوُكَا مَا حَاجَجُتُمْ فِيمَالُكُم بِهِ عِلْمُ اللَّهُ يَعَلَمُ وَاللَّهُ يَعَلَمُ وَالنَّهُ وَاللَّهُ يَعَلَمُ وَالنَّهُ وَاللَّهُ يَعَلَمُ وَالنَّهُ وَاللَّهُ يَعَلَمُ وَالنَّهُ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعَلَمُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ يَعَلَمُ وَالنَّهُ مَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعَلَمُ وَاللَّهُ مَا اللَّهُ مَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ اللَّالَّةُ اللَّهُ الللَّهُ الللللَّهُ الللللَّهُ الللَّهُ الللللَّالَةُ اللَّهُ الللللَّالَةُ اللَّهُ الللللللَّذِاللَّهُ الللللللللللللَّذِاللَّا الللَّهُ

أى لقد جادلتم فيها بقى عندكم من التوراة وتريدون أن تأخلوا الجدل على أنه باب مفترح ، تجادلوا ﴿ في كل شيء ، وأنتم لا تعلمون ما يعلمه الحالق الرحمن علام الغيوب .

ويوضح الحق هذا الأمر فيقول:

حَيْثَةِ مَاكَانَ إِبْرَهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيَّنَا وَلَكِنَكَاتَ حَيْثِةً مَاكَانَ إِبْرَهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيَّنَا وَلَكِنَكَانَ كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿ اللَّهُ الْمُعَنِّرِكِينَ ﴿ اللَّهِ الْمُعَنِّرِكِينَ اللَّهُ الْمُعَنِّرِكِينَ اللَّهُ الْمُعَنِّرِكِينَ اللَّهُ اللَّا اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّه

وبذلك يتأكد أن إبراهيم عليه السلام لم يكن يهوديا ، لأن اليهودية جاءت من بعده ، ولم يكن إبراهيم نصرانيا ، لأن النصرانية جاءت من بعده ، لكنه وهو خليل الرحمن ، كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين ، والحن نفهم أن كلمة ، حنيفًا ، تعنى الدين الصافى القادم من الله ، والكلمة مأخوذة من المحسات ، فالحنف هو ميل في الساقين من أسفل ، أى اعوجاج في الرجلين ، ثم نقل الحنف إلى كل أمر غير مستو .

وهنا يتساءل الإنسان ، هل كان إبراهيم عليه السلام في العوج أو في الاستقامة ؟ وكيف يكون حنيفا ، والحنف عوج ؟ وهنا نقول ؛ إن إبراهيم عليه السلام كان على الاستقامة ، ولكنه جاء على وثنية واعوجاج طاغ فائعالم كان معوجا . وجاء إبراهيم ليخرج عن هذا العوج ، ومادام منحوفا عن العوج فهو مستقيم ، لماذا ؟ لأن الرسل لا يأتون إلا على فساد عقدى وتشريعي طاغ . والحق سبحانه وتعالى ساعة ينزل منهجه يجعل في كل نفس خلية إيمائية . والحلية الإيمائية تستيقظ مرة ، فتلتزم ، ومخفل مرة ، فتكون الانتباه ، وهكذا توجد النفس اللوامة ، تلك النفس التي عهمس للإنسان عند الفعل وهكذا توجد النفس اللوامة ، تلك النفس التي عهمس للإنسان عند الفعل الخاطيء : إن الله لم يأمر بذلك .

ويعود الإنسان إلى منهج الله تائبا ومستغفرا ، فإن لم توجد النفس اللوامة صارت النفس أمارة بالسوه ، وهي التي تنجه دائبا إلى الانجراف ، وحول النفس الواحدة توجد نفوس متعددة تحاول أن تقاوم وتقوم المعوج ، وهي نفوس من البيئة والمجتمع ، فمرة بكون الاعتدال والاتجاء إلى الصواب بعد الخطأ قادما من ذات الإنسان أي من النفس اللوامة ، ومرة لا توجد النفس اللوامة ، بلي توجد النفس الأمارة بالسوء ، لكن المجتمع الذي حول هذا الإنسان لا يخلو من أن يكون فيه خلية من الخير تهديه إلى الصواب ، أما إذا كائت كل الخلايا في المجتمع قد أصبحت آمارة بالسوء قمن الذي يعدلها ويصوبها ؟

هنا لابد أن يأى الله برسول جديد ، لأن الإنسان يفتقد الردع من ذانية النفس بخلاياها الإيمانية ، ويفتقد الردع من المجتمع الموجود لخلوه كذلك من تلك الخلايا الطيبة ، وهكذا يطم الظلام ويعم ، فيرسل الله رسولا ليعيد شعلة الإيمان في النفوس . والله سبحانه وتعالى قد ضمص لأمة محمد صلى الله عليه وسلم ألا يأى لها نبى بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولهذا فمن الضرورى أن يوجد فيها الخير فيبقى في الذات المسلمة ، فإن كانت الغفلة فالنفس اللوامة تصوب ، وينقى ، فالحير يبقى في الذات المسلمة ، فإن كانت الغفلة فالنفس اللوامة تصوب ، وإن كانت هناك نفس أمارة بالسوء فهناك قوم كثيرون مطمئنون يهدون النفس الأمارة إلى الصواب .

وهكذا لن تخلو أمة محمد في أي عصر من العصور من الحير، أما الأمم الأخرى السابقة فأمرها مختلف؛ فإن الله يرسل لهم الرسل عندما تنطقي، كل شموع الحير في النقوس، ويعم ظلام الفساد فتتدخل الساء، وحين تتدخل الساء يقال : إن الساء قد تدخلت على عوج لتعدله وتقومه .

إذن فإبراهيم عليه السلام جاء حنيفا ، أي ماثلا عن المائل ، ومادام مائلا عن المائل ، ومادام مائلا عن المائل فهو مستقيم ، فالحنيفية السمحة هي الاستقامة . وهكذا تفهم قول الحق : «ما كان إبراهيم يهوديا ولا تصرائيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين » .

إن إبراهيم هو أبو الأنبياء ، ولو لم تكن البهودية قد خُرفت وبدلت ، وكذلك النصرانية لكان من المقبول أن يكون البهود والتصاري على ملة إبراهيم ؛ لأن الأديان لا تختلف في بعض التشريعات المناسبة للعصور ،

@10TV@@+@@+@@+@@+@@+@

ولذلك فسيدنا إبراهيم عليه السلام لا يمكن أن يكون يهوديا باعتبار التحريف الذى حدث منهم ، أي لا يكون موافقا لهم في عقيدتهم ، وكذلك لا يمكن أن يكون تصرانيا للأسباب نفسها ، لكنه «كان حنيفا مسلها وما كان من المشركين ، أي أنه ماثل عن طريق الاعوجاج ،

قد يقول قائل : ولماذا لم يقل الله : ﴿ إِنْ إِبِرَاهِيمَ كَانَ مَسْتَقِيهَا ۚ وَلَمَاذَا جَاءَ بِكُلَّمَهُ ﴿ حِنْهَا ﴾ التي تدل على العوج ؟ ونقول : لوقال : ﴿ مَسْتَقِيهَا ﴾ لظن بعض الناس أنه كان على طريقة أهل زمانه وقد كانوا في عوج وضلال ولهذا يصف الحق إبراهيم بأنه ﴿ كَانَ حَنْهَا مَسْلُهَا ﴾ وكلمة ﴿ مَسْلُهَا ﴾ تقتضي ﴿ مَسْلُهَا إِلَيْهِ ﴾ وهو الله ﴾ أي أنه أسلم زمامه إلى الله ، ومُشْلُمَا فيه وهو الإيجان بالمنهج .

وعندما أسلم إبراهيم زمامه إلى الله فقد أسلم فى كل ما ورد بـ * افعل ولا تفعل ، وإذا ما طبقنا هذا الاشتقاق على موكب الأنبياء والرسل فسنجد أن آدم عليه السلام كان مسلما ، ونوحا عليه السلام كان مسلما ، وكل الأنبياء الذين سبقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا مسلمين .

كان كل نبى ورسول من موكب الرسل يلقى زمامه فى كل شىء إلى مُسَلَم إليه ؛ وهو الله ، ويطبق المنهج الذى نزل إليه ، وبذلك كان الإسلام وصفًا لكل الأنبياء والمؤمنين بكتب سابقة ، إلى أن نزل المنهج الكامل الذى اختتمت به رسالة السهاء على محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم بدم افعل ولا تفعل » ولم يعد هناك أمر جديد يأتى ، ولن يشرع أحد إسلاما لله غير ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

لقد اكتملت الغاية من الإسلام ، ونؤل المنهج بتهامه من الله . واستقر الإسلام كعقيدة مصفاة ، وصار الإسلام علما على الأمة المسلمة ، أمة محمد صلى الله عليه وسلم وهي التي لا يُستَدرك عليها لأنها أمة أسلمت الله في كل ما ورد ونؤل على محمد صلى الله عليه وسلم . لذلك قال الحق :

مَنْ إِنَ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَاذَا

ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُوْمِنِينَ ﴿ لَهُ اللَّهُ وَلِي اللَّهُ وَلِي اللَّهُ

ولنا أن نلحظ أن كل رسول من الرسل السابقين على سيدنا رسول الله إنما نزل لأمة محددة ، فموسى عليه السلام أرسله الله إلى بني إسرائيل ، وكذلك عيدى عليه السلام ، قال نعالى : ه ورسولا إلى بني إسرائيل » أى رسولا مسلم في حدود ثطبيق المنهج الذي جاء به ونزل إلى هؤلاء الرسلى ، فلما تغير بعض من التشريع وتحت تصفية المنهج الإيجاني بالرسالة الحاتمة ، وهي رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وهي عامة لكل البشر فقد آمن بعض من أهل تلك الأمم بوسالته عليه الصلاة والسلام ، كها آمن بها من أرسل فيهم سيدنا رسول الله ، واستمر موكب الإيجان بالدين الحاتم إلى أن وصل إلينا . وهكذا صارت أمة محمد صلى الله عليه وسلم هي خاتمة الأمم الإسلامية ؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم هي خاتمة الأمم الإسلامية ؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء والمرسلين .

عن أبي هربرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا مثلى ومثل الأنبياء من قبل كمثل رجل بني بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه ، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ، ويقولون : هلا وضعت هذه اللهنة ، فأنا اللهنة وأنا خاتم النبيين ١٠٤٤ .

وحين يقولون: إن إبراهيم عليه السلام كان يهوديا أو نصرانيا. إنما أوردوا ذلك لأن إبراهيم عليه السلام فيه أبوة الأنبياء. وهم قد أرادوا أن يستحضروا أصل الحلية الإيمانية في محاولة لأن ينسبوها إلى أنفسهم وكأتهم تناسوا أن المسألة الإيمانية ليست بالجنس أو الوطن أو اللام ، أو أى انتهاء آخر غير الانتهاء لمنهج الله الواحد ، ولذلك فأولى الناس بإبراهيم ليسوا من جاءوا من ذريته ، بل إن أولى الناس بإبراهيم هم الذين أنبعوه ، وبُبينا محمد صلى الله عليه وسلم قد أنبع إبراهيم عليه السلام ، لذلك فلا علاقة لإبراهيم بمن جاء من نسله ، ممن حرفوا المنهج ولم يواصلوا الإيمان ، لقد حسم الله هذه القضية مع إبراهيم عندما قال سبحانه :

⁽١) رواء البخاري ومسلم .

﴿ وَإِذِ ٱلنَّكَىٰ إِرَاحِكَ رَبُّهُ بِكَلِمُنْ قَالَمُهُمْ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيْتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّلِيرِ مَنْ ﴿ ﴾

(سورة البقرة)

لقد امتحن الحق إبراهيم بكلهات هي الأوامر والتواهي ، فأتمها إبراهيم عليه السلام تماما على أقصى مايكون من الالتزام ، ولم يكن مجرد إتمام يتظاهر بالشكلية ، إنما كان إتماما بالشكل والمضمون معا .

والمثال على تمام الأوامر والنواهي بالشكل فقط هو رؤيتنا لمن يتلقى الأمر من الله بأن يصل خسة فروض ، فيصل هذه الفروض الحمسة كإجراء شكل ، لكن هناك إنسانا آخر يصلي هذه الفروض الحمسة بحقها في الكيال مضمونا وشكلا ، إنه يتم الأوامر الإلهية إتماما يرضى عنه الله .

ولقد أدى إبراهيم عليه السلام الابتلاءات التى جاءت بالكلمات التكليفية من الله على أكمل وجه . ألم يأمر الله إبراهيم عليه السلام على أن يرفع القواعد من الببت ؟ أما كان يكفى إبراهيم عليه السلام لينفذ الأمر برفع بناء الكعبة إلى أقصى ما تطوله يداه ؟ إنه لو فعل ذلك لكان قد أدى الأمر ، لكن إبراهيم عليه السلام أراد أن يوفى الأمر بإقامة القواعد من الببت تمام الوفاء ، فبنى الكعبة بما تطوله يداه ، وبما تطوله الحيلة أيضا ، فجاء إبراهيم عليه السلام بحجر ليقف من فوقه ، ويزيد من طول جدار الكعبة مقدار الحجر ، لقد أراد أن يوفى البناء بطاقته فى البدين وبحبلته الابتكارية أيضا ، فلم يكن معروفا فى ذلك الزمان « السقالات ، وغير ذلك من الأدوات التى تساعد الإنسان على الارتفاع عن الأرض إلى أقصى ما يستطيع .

ولو أن إبراهيم عليه السلام قد رفع القواعد من البناء على مقدار ما تطوله يداه ؛ لكان قد أدى تكليف الله ، لكنه أراد الأداء بإمكاناته الذائية الواقعية ، وأضاف إلى ذلك حيلة من ابتكاره ، لذلك جاء بالحجر الذى يقف عليه ليزيد من جدار الكعية ، وهذا ما تعرفه عندما نزور البيت الحرام به د مقام إبراهيم ، فلها أثم إبراهيم الكلهات هذا الإتمام قال الحق سبحانه لإبواهيم:

﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾

(من الآية ١٢٤ سورة الشرة)

أى إنك يا إبراهيم مأمون على أن تكون إماما للناس في دينهم لأنك أديت و افعل ولا تفعل ، بنهام وإنقان . ولنو غيرة إبراهيم عليه السلام على منهج ربه ، إنه لم يرد أن يستمر المنهج في حياته فقط ، ولكنه طلب من الله أن يظل المنهج والإمامة في ذريته ، فقال الحق سبحانه على لسان إبراهيم طالبا استمرار الأمانة في ذريته :

عَوْ نَوْنَ فُرِّيَّتِي ﴾

(من الأبة ١٣٤ صورة البقرة)

إن سيدنا إبراهيم قد امثلاً بالغيرة على المنهج وخاف عليه حتى من بعد موته ، لكن الحق سبحانه وتعالى يُعلم الحلق جميعهم من خلال إبراهيم فيقول سبحانه :

﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّالِينَ ﴾

(من الآية ١٢٤ سورة البقرة)

أى أن المسألة ليست وراثة ، لأنه سيأتي من ذريتك من يكون ظالماً لنفسه وبعدل في المنهج بما يناسب هواه ، وهو بدلك لا تتوافر فيه صفات الإمامة . إن الحق يعلمنا قواعد إرث النبوة ، إن تلك القواعد تقضى أن يرث الأنبياء من هو قادر على تعليق المنهج بتيامه دون تحريف ، والمثال على ذلك ما علمه لنا وسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال لسلمان القارسي : «سلمان منا آل البيت و ١٠٠٠

إن سيد الحُلق محمد صلى الله عليه وسلم لم يقل لسلمان الفارسي و أنت من العرب و لا . يل نسبه لأل البيت و أى نسبه إلى إرث النبوة بما ينطلبه هذا الإرث

من تُطبق المنهج بنهامه ، لقد علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما علّمه الحق سبحانه لسيدنا إبراهيم عليه السلام عن إرث النبوة ، فليس هذا الإرث بالدم ، إنما بتطبيق المنهج نصا وروحا ، كما تعلم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مما علّمه له الحق عن نوح عليه السلام ، لقد وعد الحق نوحا بأن ينجيه واهله من الطوفان . ويرى نوح عليه السلام ابنه مشرفا على الغرق ، فيتساءل ، ألم يعدني الله أن ينجى أهلى ؟ ، فينادى نوح عليه السلام وبه ، يما أورده الفرآن الكويم حين قال :

﴿ وَنَادَىٰ ثُوحٌ رَّبُّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَ إِنَّ وَعَدُكَ الْحَسَقُ وَأَنتَ أَحْكُمُ

الماليكي 🕲 🕈

(سورة هرد)

فيقول الحق ردا على طلب نوح نجاة ابنه :

عَوْ قَالَ يَلنُوحُ إِنَّهُ لَبْسَ مِنْ أَهْلِكُ إِنَّهُ عَمَلُ غَيْرِ صَالِحٍ فَلَا تَسْتَلُنِ مَالَيْسَ لَكَ يِهِ عِلْمَ إِنِّ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَلْهِلِينَ ﴿ ﴾

(سورة هود)

ولننظر إلى التعليل القرآن لانتفاء الأهلية عن ابن نوح عليه السلام و إنه ليس من الهلك ، ؟ لماذا ؟ و إنه عمل غير صالح ، إن الحق لم يقل و إنه عامل غير صالح ، والمذاتية ممنوعة ـ لأن الفعل هو الذي يُعاسب به الله ، فالإيمان ليس نسبا ، ولا انتهاء لبلد ما ، أو انتهاء لقوم ما ، إنه العمل ، فمن يعمل يشرع أي رسول يكون من أهل هذا الرسول ، إنّ النسبة للأنبياء لا تأتي للذات التي تنحدر من نسب النبي ، بل يكون الانتساب للأنبياء بالعمل الذي تصنعه الذات .

وقى موقع آخر يعلمنا الحق عن سيدنا إبراهيم موقفا يصور رحمة الحنالق بكل خلقه من آمن منهم ومن كفر . لقد طلب إبراهيم عليه السلام سعة الرزق لأهل بيته الذين جعل إقامتهم بجكة ، كها جاء في الكتاب الكريم :

عَوْ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِتُمُ رَبِّ الجَعَلَ هَنذَا بِلَدًا عَامِنُ وَارْزُقَ أَهْلَهُ رَمِنَ ٱلضَّبَرَاتِ مَنْ عَامَنَ مِنْهُم ﴾

(من الأبة ١٢٦ سورة البقرة)

فهل استجاب الحق لدعوة إبراهيم برزق الذين آمنوا فقط من أهل مكة ؟ لا ، بل رَزَقَ المؤمن والكافر . وعلم إبراهيم ذلك حينها قال له :

﴿ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأَمَتِهُ مُ لَلِيهِ لَا ثُمَّ أَصْفَالُهُ إِلَى عَذَابِ النَّالِ وَبِنْسَ الْمَصِيرُ ﴾ الله قال وَمَن كَفَرَ فَأَمَتِهُ مُ اللهِ عَلَم أَصْفَالُهُ إِلَى عَذَابِ النَّالِ وَبِنْسَ الْمَصِيرُ البقرة)

إن الرزق المادى مكفول من الحق لكل الحلق ، مؤمنهم وكافرهم ، والاقتيات المادى مكفول من قبل الله لأنه هو الذي استدعى المؤمن والكافر إلى هذه الدنيا , أما رزق المنهج فأمر مختلف ، إن اتباع المنهج يقتضى التسليم بما جاء به دون تحريف . وهذا المنهج لم يتبعه أحد ممن جاءوا بعد إبراهيم عليه السلام إلا القليل ، قمن آمن برسالة موسى عليه السلام دون تحريف هم قلة .

ثم جاء عيسى عليه السلام برسالة تبعد بنى إسرائيل عن المادية الصرفة إلى الإيمان بالغيب ، لكن رسالة عيسى عليه السلام تم تحريفها أيضا ، وعلى ذلك فأولى الناس بإبراهيم عليه السلام هم الذين اتبعوا المنهج الخاتم الصحيح والمصفى لكل ما مببق من رسالات ، وهؤلاء هم الذين آمنوا برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، وإلله ولى المؤمنين جميعا من آمن منهم برسالة إبراهيم خليل الرحن ، إيمانا صحيحا كاعلا ، المؤمنين جميعا من آمن منهم برسالة إبراهيم خليل الرحن ، إيمانا صحيحا كاعلا ،

﴿ وَدَّتَ طَّايِفَةٌ مِّنَ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ اَنْيُضِلُونَكُورِ وَمَايُضِلُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَايَشَعُرُونَ ﴿ فَا الْمَالِمُ الْمُعَالِمُ اللهِ الْمَالِمُ اللهِ اللهِ إن معنى دودت عهو د تمنت عود أحبت على ولماذا أحبوا أن يُضلوا المؤمنين ؟ لأن المنحرف حين يرى المستقيم ، يعرف أنه كمنحرف لم ينجح فى أن يضبط حركته على مقتضى التكليف الإيماني لـ د افعل عود لا تفعل على أما الملتزم المؤمن فقد استطاع أن يضبط نفسه ، وصاعة يرى غير الملتزم إنسانا آخر ملتزما ، فإنه يحتقر نفسه ، ويقول بينه وبين نفسه حسدا للمؤمن : لماذا وكيف استطاع هذا الملتزم أن يقدر على نفسه ؟

ويحاول المنحرف أن يأخذ الملتزم إلى جانب الانحراف ، وعندما لا يستطيع جذب الملتزم إلى الانحراف فهو يسخر منه ، ويهزأ به ، ويحاول أن يحتال عليه ليأخذه إلى جانب الانحراف . ألم يقل الله سبحانه وتعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهِ مِنَ أَجْوَمُوا كَانُواْ مِنَ اللَّهِ مِنَ المَنُواْ يَضْحَكُونَ ﴿ وَإِذَا مَرُوا بِيسَمْ يَسَفَا مَرُونَ ﴿ إِنَّ اللَّهِ مِنَ أَجْوَمُوا كَانُواْ مِنَ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ مَا اللَّهِ مَا اللَّهِ مِنْ اللَّهِ مَا اللَّهِ مِنْ اللَّهِ مَا اللَّهُ مِنْ اللَّهِ مَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ اللّلَّةِ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ الللللَّا اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ ال

(سورة الطفقين)

وهذا ما يحدث الآن عندما يرى أهل الانحراف إنسانا مؤمنا ذا استقامة ، فيسخرون منه بكليات كالتي تسمعها وخذنا على جناحك وأو يحاولون النيل من إيمانه وعندما يعود أهل الانحراف إلى أهلهم فهم يروون يتندر كيف سخروا من المؤمنين ، وكأنهم يحققون السعادة لمؤلاء الأهل بحكايات السخرية من الإنسان المؤمنين الحق المؤمنين بأن لهم يوما يضحكون فيه من هؤلاء الكفار :

عَلَى اللَّهُ مَا اللَّهِ مَا اللَّهُ اللّ

ويسأل الحق أهل الإيمان :

﴿ مَن ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿ ﴾

واسورة المطفقين

أى قد عرفتم كيف أجازي بالعقاب أهل الكفر.

لذلك فأولى الناس يابراهيم هم المؤمنون برسالة محمد عليه الصلاة والسلام . ولا يفتأ بعض من أهل الكفر من محاولة جذب المؤمنين إلى الضلال . إنهم بحبون ذلك ويتمنونه ، ولكن ليس كل ما بوده الإنسان يحدث ، فالتمنى هو أن يطلب الإنسان أمرا مستحيلا أو عسير المنال ، هم يحبون ذلك ولكن لن يصلوا إلى ما يريدون ، يشير إلى ذلك قوله تعالى : و ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضعون ه .

إنهم يتمنون إضلال المؤمنين ، لكن هل يستطيعون الوصول إلى ذلك ؟ لا : والمثال على ذلك هو ما فعله بعض أهل الكتاب من اليهود عندما ذهبوا إلى معاذ بن جبل وإلى حذيقة الصحابيين الجليلين ، وذهبوا أيضا إلى عهار الصحابي الجليل وحاولوا فئنة معاذ وحذيقة وعهار لكنهم لم يستطعوا .

وعلينا أن نعرف أن و الضلال ، يأتي على معان متعددة ، فقد يأتي الضلال مرة يمعني الذهاب والفناء في الشيء ، مثل قوله الحق :

لقد تساءل المشركون وأبعد أن نذوب في الأرض وتتفكك عناصرنا الأولية نعود ثانية ، وتُبعث من جديد؟ وقد يأل الضلال مرة أخرى بمعنى عدم اهتداء الإنسان إلى وجه الحق ، كما قال الحق وصفا لرسوله صلى الله عليه وسلم عندما رفض عبادة الأصنام وظل يبحث عن المنهج الحق .

﴿ رُوَجِنَكُ شَالًا فَهَدَىٰ ۞ ﴾

أى أنك يا محمد لم يعجبك منهج تريش في عبادة الأصنام ، وظللت تبحث عن المنهج الحق ، إلى أن هداك الله فأنزل إليك هذا المنهج القويم ، لقد كنت ضالا تبحث عن الهداية ، فجاءتك النعمة الكاملة من الله .

وهناك لون آخر من الضلال ، وهو أن يتعرف الإنسان على المنهج الحق ، لكنه ينحرف عنه ويتجه بعيدا عن هذا المنهج مثل قول الحق : ، ودت طائفة من أهل الكتاب لويضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم . .

وتنساءل : كيف يحدث إضلال النفس ؟ وتكون الإجابة هي : أن الضال الذي يعرف المنهج وينكره إنما يرتكب إنها ، ويزداد هذا الإثم جُرمًا بمحاولة الضال إضلال غيره ، فهو لم يكتف بضلال ذاته بل يزداد ضلالا بمحاولته إضلال غيره . وهذا القول الكويم قد حل لنا إشكالا في فهم قوله تعالى :

﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أَنْعَرَىٰ ۚ وَإِن تَدَّعُ مُثَقَلَةٌ إِلَىٰ حِلْهَا لَا يُخْفَلَ مِنْهُ ثَنَى * وَلَوْكَانَ ذَا قُرْنَيْنَ ﴾

(من الآية ١٨ من سورة فاطر)

وفي فهم قوله -جل شأنه ـ :

﴿ لِيَحْسِلُواْ أَوْزَارُهُمْ حَسَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِينَمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﷺ

(سورة النحل)

وهكذا تعرف أن الوزر في آية فاطر هو وزر الضلال في الذات والأوزار في سورة النحل هي لإضلال غيرهم فهؤلاء الضالون لا يكتفون بضلال أنفسهم ، بل يزيدون من ضلال انفسهم أوزارا بإضلال غيرهم فهم بذلك يزدادون ضلالا مضافا إلى أنهم يحملون أوزارهم كاملة . « وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون » .

إنهم لا يشعرون بالكارثة التي سوف تأتى من هذا الضلال المركب الذي سينالون عليه العقاب . ولو أنهم تعمقوا قليلا في الفهم لتوقفوا عن إضلال غيرهم ، ولو بحثوا عن اليقين الحتى لتوقفوا عن ضلال أنفسهم .

ومن بعد ذلك يقول الحق :

﴿ يَتَأَهْلَ ٱلْكِنَبِ لِمَ تَكُفُرُونَ بِعَايَنَةِ ٱللَّهِ وَأَنتُمُ تَنتُهُدُونَ ﴿ يَكُالِهُ عَلَيْهِ مَن اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهِ اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهِ اللَّهِ الله

إن الحق يسألهم على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم. لم تكفرون بآيات الله العجيبة وأنتم تشهدون؟ وهنا قد يسأل سائل هل شهد أهل الكتاب الآيات العجيبة في زمن رسول الله؟ .

والإجابة هي : ألم يستفتح اليهود على من يقاتلونهم بمجيء نبي قادم ؟ إنهم كانوا يدعون الله قاتلين : إنا نسألك بحق النبي الأميّ الذي وعدتنا أن تخرجه لنا في آخر الزمان إلا تنصرنا عليهم فكانوا يُنصرون على أعدائهم فلها بعث ـ صلى الله عليه وسلم ـ كفروا به بغيا وحسدًا قال الله تعالى :

﴿ وَلَمَّا جَآءَ هُمْ كِنَنْكِ مِنْ عِندِ آللَّهِ مُصَدِقٌ لَمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْيَعُونَ عَلَى اللَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُواْ بِهِي فَلَكْ أُواللَّهِ عَلَى الْكَنْفِرِينَ ١٤٥٠ ﴾

﴿ سورة البقرة ﴾

لفد كفروا من أجل السلطة الزمنية . فقد كانوا يريدون الملك والحكم . وهذا عبدالله بن سلام الذي كان يهوديًا فأسلم قد قال عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لقد عرفته حين رأيته كمعرفتي لايني ومعرفتي لمحمد أشد» . إذن فمعرفتهم ينعث رسول الله ووصفه موجودة في آيات النوراة ولقد شهدوا الآيات البينات ، لكنهم أنكروا الآيات طمعا في السلطة الزمنية حتى ولو تطلب ذلك أن يُحرَّف بعضهم منهج الله سبحانه وتعالى ويحوّلوا هذا التحريف إلى سلطة زمنية فاسدة كهؤلاء الذين باعوا صكوك الغفران ولذلك قال الحق عن هؤلاء الذين يجرفون منهج الله :

﴿ فَوَ يَلْ لِلَّذِينَ يَسَكُنُهُونَ الْكِتَنَبَ إِلَّهِ بِهِمْ ثُمْ يَقُولُونَ هَنَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ عَ ثَمَنَكُ قَلِيلًا ۚ فَوَ يُلُ غُنُم تِمَا كَتَبَتُ أَيْدِيهِمْ وَوَ يَلَ لَمْمُ ثِمَا يَكْسِبُونَ ٢٤٤

(سورة البقرة) إن العذاب هو مصير هؤلاء الدين يجرفون كلام الله ومنهجه .

ويقول الحق سبحانه :

﴿ يَنَا هَلَ الْكِتَلْبِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَيْطِلِ وَتَكَنَّمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعَلَّمُونَ ﴿ إِنَّ الْمَعَلِلِ وَتَكَنَّمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعَلَّمُونَ ﴿ اللهِ المَعَلِي

ومعتى « تلبس » هو إدخال شيء في شيء ، فتحن عندما ترتدي ملابسنا ، إنما تدخل أجسامنا في الملابس ، ويهذا يختلف منظر اللابس والملبوس .

وفى مجال الدعوة إلى الله نجد دائيا الحق وهو يواجه الباطل ، إنهم يخلطون الحق بالباطل فهذه الآية تتحدث عن محاولة من بعض اهل الكتاب لإلياس الحق بالباطل ، وقد حدث ذلك عندما حرفوا التوراة والإنجيل وأدخلوا فيها ما لم يأت به موسى عليه السلام ، وكانت هذه هي محاولة ضمن محاولات أخرى لإلباس الحق بالباطل ، ثم جاءت أكبر المحاولات لإلباس الحق بالباطل وهو

إنكارهم للبشارة يرسول الله صلى الله عليه وسلم ، رغم أنها وردت في كتبهم السهاوية .

لقد أعلنوا الإيمان بموسى أو عيسى ، ولم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، لقد أنكروا بشارة موسى وعيسى برسالة محمد الحائمة ، وكان ذلك قمة إلباس الحق بالباطل ، لأنهم أعلنوا الإيمان برسولين ثم أتكروا الإيمان بالنبى الحائم وذلك لأنهم كانوا يعلمون أن الإسلام الذي جاء به محمد وسول الله هو الدين الحق ، وكانوا إذا ما خلوا إلى أنفسهم عرفوا ذلك ولكنهم يجحدونه .

﴿ وَجَهَا وَاسْتَيْقَنَهُمَا أَنْفُسُهُمْ فَلْكَ وَعَلَّوا ﴾

(من الأية ١٤ سورة النعان)

ومع ذلك فهم يحاولون العثور على حيلة لببتعد بها الناس عن تلك الرسالة الحاقة ، تماديا منهم في الكفر ، ونزل قول الحق :

﴿ وَقَالَت طَّابِفَةُ مِنَ أَهُلِ ٱلْكِتَنْ ، وَقَالَت طَّابِفَةُ مِنْ أَهُلِ ٱلْكِتَنْ ، وَقَالَت طَابِفُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَجْهُ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوا ءَاخِرَهُ وَأُنْهُ وَالْعَارِ وَالْكُفُرُوا ءَاخِرَهُ وَالْمَالِكُ النَّهَارِ وَالْكُفُرُوا ءَاخِرَهُ وَالْمَالِكُ النَّهَارِ وَالْكُفُرُوا ءَاخِرَهُ وَاللَّهُمُ يُرْجِعُونَ اللَّهُ الْمُنْ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّذِي اللَّهُ اللللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُولِي اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْمِنُ اللَّهُ الْمُؤْمِنُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِ اللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْمُ

لقد أراد بعض من أهل الكتاب أن يشككوا المسلمين في أمر المنهج ، لذلك اصطنعوا تلك الحيلة ، فالمؤمنون من العرب وقريش في ذلك الزمن كانوا أميين وكانوا بعرفون أن أهل الكتاب على علم يمناهج السهاء ، ولم يكن القرآن كله قد نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا ما أمن بعض منهم برسالة رسول الله وجه النهار وكفروا به آخر النهار فهذا خلط للحق بالباطل . وفي هذا خداع للمؤمنين .

ولنا أن نعرف أن و وجه النهار و مقصود به ساعات الصباح والظهر ، فالوجه هو أول ما يواجه في أى أمر ، وتُحن تأخذ ذلك في أمثلة حياتنا اليومية ، فنقول عن بائع الفاكهة : ولقد صنع وجها للفاكهة و ، أى أنه قد وضع أنضج الثهار في واجهة العربة ، وأخفى خلف الثهار الصالحة الناضجة ثهارا أخرى فاسدة . وعندما يفعل التاجر مثل هذا الفعل فمقصده الغش والخداع ، لأن الإنسان إذا ما اشترى أى مقدار من هذه الفاكهة نسيجد ربع ما اشترى هو من واجهة الفاكهة ، والباقي من الثهار الفاسدة .

وكذلك حاول بعض من أهل الكتاب أن يخدعوا المؤمنين بإعلان الإيمان أول النهار ثم إعلان الكفر آخر النهار ، والهدف بطبيعة الحال هو إشاعة الشك وزراعة البلبلة في نفوس المؤمنين بخصوص هذا الدين ، فقد يقول بعض من الأميين : و لقد المحتبر أهل الكتاب هذا الدين الجديد وهم أهل علم بمناهج السهاء ولم يجدوه مطابق لمناهج السهاء .

أو أن الآية قد نزلت في مسألة تحويل القبلة إلى المحبة ، فإذا كان الحق سبحانه قد أمر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحول القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة ، فالكافرون من أهل الكتاب أرادوا نقض ذلك ، وقالوا : « فلنسمع أول النهار كلام محمد ونتوجه في الصلاة إلى الكعبة ثم نصلي أخر النهار ونجعل قبلتنا بيت المقدس .

وكان الحق قد أراد بذلك أن يكشف لنا أن كل أسائيب الكفر هي من تمام قلة القطنة وعدم القدرة على حسن التدبر ، لقد أرادوا إشعال الحرب النفسية ضد المسلمين ، لعل بعضا من المسلمين يتشككون في أمر الدين الجديد ، لكنهم دون أن يلحظوا أنهم قد فضحوا أنفسهم ، واعترفوا دون قصد منهم بأن الذين آمنوا بالقرآن هم المؤمنون حقا بينها هم قد اخذوا لأنفسهم موقف الكفر الذي هو نقيض للإيمان ، قال سبحانه حكاية عنهم : ، أمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا أخره ، فهم قد ارتضوا لأنفسهم الكفر .

لقد أعلن هؤلاء المشككون التصديق بالإسلام ؛ وذلك ليعرف الناس عنهم ذلك ، ولكونهم أهل كتاب فهم قادرون على الحكم عله ، فإذا ما رجعوا عن

الإسلام من بعد معرفته ، فسيقولون : إن رجوعنا ليس بسبب الجهل أو التعصب ، إنما يسبب اختبارنا لحذا الدين ، فلم نجده مناسبا ولا متوافقا مع ما نزل على رسولنا . وهذا من أساليب الحرب النفسية .

والحق سبحانه وتعالى يكشف ذلك المكر والخداع للذين حاولوا أن يكتموا خداعهم ولعبتهم الماكرة ، والتي أرادوا بها التشكيك والخداع . فَيَتُول على رسوله هذا القول الحق :

إن الحق سيحانه يكشف للرسول صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين به من الأميين لعبة إيمان بعض من أهل الكتاب بالإسلام وجه النهار والكفر به آخر النهار ، لقد طالب المتآمرون بعضهم بعضا أن يظل الأمر سراحتى لا يفقد المكر هدفه وهو بلبلة المسلمين من الأميين ، ولذلك قال هؤلاء المتآمرون بعضهم لبعض : «ولا تؤمنوا للسلمين من الأميين ، ولذلك قال هؤلاء المتآمرون بعضهم لبعض : «ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم » أى لا تكشقوا سر هذه الحدعة إلا لمن هو على شاكلتكم ، لكن الحق يكشف هذا الأمر كله بنؤول هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلاغه إياها للمؤمنين ، وبذلك فسد أمر تلك البلبلة ، وارتدت الحرب النفسية إلى صدور من أشعلوها ، ويستمر القول الكريم في كشف خديمة هؤلاء البعض من أهل صدور من أشعلوها ، ويستمر القول الكريم في كشف خديمة هؤلاء البعض من أهل الكتاب فيقول سبحانه : «قل إن الهدى هدى الله أن يؤتي أحد مثل ما أوتيتم أو يجاجوكم عند ربكم » .

إن الحق سبحانه يكشف فعل الماكرين من أهل الكتاب الذين أرادوا إعلان الإيمان أول النهار كلون من و هدى النفس و لكنه من صميم الضلال والإضلال وفريعة له ، ولم يكن هدى من ألله و لأن هدى الله إنما يوصل الإنسان إلى الغاية التي يريدها الله ، وهؤلاء البعض من أهل الكتاب أرادوا بالخديعة أن يجعلوا سيدنا وسول الله صلى الله عليه وسلم دون أتباع يؤمنون بالإسلام و لقد تواصى هؤلاء القوم من أهل الكتاب بأن يكتموا اتفاقهم على تمثيل الادعاء بالإيمان وجه النهار والكفر به في أخره ، وألا يعلنوا ذلك إلا لأهل ديانتهم حتى لا يفقد المكو هدفه ، وهو بليلة المسلمين .

لقد أخذهم الخوف ؛ لأن الناس إن أخلوا بدين محمد صلى الله عليه وسلم لأوثوا مثليا أوق أهل الكتاب من معرفة بالمنهج ، بل إن المنهج الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم هو المنهج الخاتم ، وأهل المكر من أهل الكتاب إنما أرادوا أن يحرموا الناس من الإيمان ، أو أنهم خافوا أن يدخل المسلمون معهم في المحاجة في أمر الإيمان ، وكان كل ذلك من قلة الفطنة التي تصلى إلى حد الغباء .

لماذا ؟ لأنهم توهموا أن الله لا يعرف باطن ما كتموا وظاهر ما فعلوا ، إنهم تناسوا أن الحق يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، وتطابق ذلك مع سابق فعلهم عندما خرجوا من مصر ، وذهبوا إلى ائتيه أثناء عبور الصحراء ، وادعوا أن الله قال لموسى عليه السلام : وعلموا ببوتكم أبها الإسرائيليون ، لأن سأنزل وأبطش بالبلاد كلها ، وكانهم لو لم يضعوا العلامات على البيوت قلن يعرفها الله ، إنه كلام خائب للغاية بل هو منتهى الحبية والضلال ، ويبلغ الحق رسوله الكريم : « قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم » .

ومادام الفضل بيد الله فلن تستطيعوا يا أهل المكر بالمسلمين أن تأخذوا أناسا كها تودون ، وبعد ذلك تريدون أن تخدعوهم ؛ لأن الفضل حين يؤتيه الله لمن آمن به فلن ينزعه إلا الله .

فالحيلة لن تنزع فضل الإيمان بالله مادام قد أعطاء الله ، والله واسع بمعنى أنه قادر على إعطاء الفضل لكل الحلق ، ولن ينقص ذلك من فضله شيئا ، والحق سبحانه عليم بمن يستحق هذا الفضل لأن قلبة مشغول بربه .

は悪態 **○○+○○+○○+○○+○○+○○**10£Y○

ربعد ذلك يقول الحق سبحانه :

مَعْ يُخْلَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضَلِ ٱلْعَظِيمِ ۞ ﴾

إن أحدا ليس له حق على الله ؛ فكل لحظة من لحظات الحياة هي فضل من الله ، وهو سبحانه يعطى رحتمه بالإيمان بمنهجه لمن يشاء وهو صاحب الفضل المطلق . وبعد ذلك يقول الحق سبحانه :

حَرِيْتُ وَمِنْ أَهْ لِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنظارٍ يُؤَدِّهِ اللَّهِ الْكَالَةِ وَمِنْهُ مِنْ إِن تَأْمَنَهُ بِدِينَادِ لَآ يُؤَدِّهِ اللَّهَ إِلَّا اللَّهِ وَمِنْهُ مِنْ إِن تَأْمَنَهُ بِدِينَادِ لَآ يُؤَدِّهِ اللَّهَ إِلَّا اللَّهُ مَنَ اللَّهُ مَنَ عَلَيْنَا فِي مَا ثُمَنَ عَلَيْنَا فِي مَا ثُمَنَ مَا اللَّهُ مِنْ عَلَيْنَا فِي مَا اللَّهُ مِنْ اللَّهِ الْوَاللِيسَ عَلَيْنَا فِي اللَّهُ مِنْ اللَّهِ الْوَاللِيسَ عَلَيْنَا فِي اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ الللْهُ اللَّهُ الللْهُ اللَّهُ اللَّهُ الللْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللْهُ اللَّهُ اللْمُلْمُ اللَّهُ اللْمُلْمُ اللَّهُ اللِهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَ

إنه مطلق الإنصاف الإلهى ، فإذا كان الحق قد كشف للرسول بعضا من مكر أهل الكتاب فذلك لا يعنى أن هناك حملة على أهل الكتاب وكأنهم كلهم أهل سوء ، لا ، يل مهم مُنْ يتميز بالأمانة ، وهذا القول إنما يؤكد إنصاف الإله المنصف العدل .

واحع أصله واخرج أحاديثه الدكتور أحمد عمر هاشم ناتب رليس جامعة الأزهر

إن الحق سبحانه يخاطب النفوس التي يعلمها ، فهو يعلم أن دعوة محمد صلى الله عليه وسلم ، قد نزلت رحمة للناس اجمعين ، ويخاطب بها العالم كله بما فيه من أهل الكتاب ، وهم الذين يعوفون الآيات والعلامات التي تدل على مجيء وسالة سيدنا وسول الله صلى الله عليه وسلم . ومنهم أناس قد جعلوا دعوة محمد صلى الله عليه وسلم في بؤرة شعورهم ليدرسوها ويؤمنوا بها . ولو أن الله قد جعل الحملة على كل وسلم في بؤرة شعورهم ليدرسوها ويؤمنوا بها . ولو أن الله قد جعل الحملة على كل أهل الكتاب ، نقال اللهن فكروا في الإيمان برسول الله : « كنا نفكر في أن نؤمن ، ونحن نويد أن تنفذ تعاليم الله لنا لكن محمدا يشن حملة على كل أهل الكتاب ونحن منهم » .

فساعة يقول الله إن بعض من أهل الكتاب يتميزون بالأمانة فإن من تراوده فكرة الإسلام يقولون : إن محمداً صلى الله عليه وسلم لا يتكلم إلا عن نور من ربه ، لكن لو عمم القرآن الحكم على الكل ، لنساءل الذين ينشغلون برغبة الإيمان بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ه لماذا يعم الحكم الجميع ونحن نسير في الطريق إلى الإيمان ؟ » ،

ولهذا يضع الحق القول القصل في أن منهم أناسًا يتجهون إلى الإيمان :

علا لَيْسُواْ سَوَالَا فَيْ أَمْلِ ٱلْكِنتَابِ أَمَّةٌ فَآيِمَةٌ يَتْلُونَ وَايَدْتِ ٱللَّهِ وَالْمَا ٱلَّذِلِي وَهُمْ

يَسْجُدُونَ ﴿ لَيُسْجُدُونَ ﴿ ﴾

السورة الدعموان)

وفى هذا ما يطمئن الذين شغلوا أنفسهم بدراسة هذا الدين والتفكير في أن يؤمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم .

لوكان القرآن قد نزل بلعنتهم جميعا لقال الذين يفكرون منهم في الإيمان و نحن لسنا كذلك ولا نستحق اللعثة ، فلهذا يأتي محمد بلعنتنا؟ » .

لذلك نرى القول بأن و ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ۽ العدل المطلق في الإنصاف :

وقد قال بعض المفسرين: إنَّ القرآن يقصد هنا من و أهل إنكتاب و النصارى ؛

QQ+QQ+QQ+QQ+QQ+Q\0\10EEQ

لأن منهم أصحاب ضمير حى ، ونحن نعرف أن المقصود بأهل الكتاب هم اليهود والنصارى ، وفي هذا التفسير إنصاف للنصارى فصفة الخير لهم لا ينكرها انه ، بل يشيعها في قرآنه الذي يُتلى إلى يوم الدين ، وذلك ليصدق أيضا أهل الكتاب أي أمر سيء تنزل فيه آبات من القرآن ، لأن القرآن منصف مطلق الإنصاف . فيادام قد قال خصلة الخير فيهم فلابد أن يكون صادقا عندما يقول الأمور السيئة التي اتصفوا بها . وعندما يقول الحق سبحانه : « ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك » فالقنطار هنا للمبالغة في القدر الكبير من المال ، وكلمة الأمانة حينها إليك » فالقنطار هنا للمبالغة في القدر الكبير من المال ، وكلمة الأمانة حينها الستعرضها في كتاب الله عز وجل نجد أنها مرة تتعدى بالباء ، كمثل هذه الأية « من النات بقنطار » ومرة تتعدى بـ « على » :

﴿ قَالُواْ يَكَأَبُّنَا مَالَكَ لَا تَأْمَتُ عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُمْ لَنَنْصِحُونَ ﴿ ﴾ اللَّهُ عَلَى يُوسُفَى وَإِنَّا لَهُمْ لَنَنْصِحُونَ ﴿ اللَّهِ اللَّهُ اللَّالَّالَةُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّالَّالَالَالّ

رقوله الحق ;

(سورة يرمض)

إن مادة الأمانة ثأتي متعدية مرة بالباء ، ومرة متعدية بـ ، على ، . وكل حرف من هذين الحرفين له حكمة ، فالمتكلم هو الله .

إن الأمانة هي شيء يأتمن فيه مؤتمن على مؤتمن ولا حجة لصاحب الشيء المؤتمن على مؤتمن ولا حجة لصاحب الشيء المؤتمن عليه إلا ذمة المؤتمن ، فإن كانت العلاقة بينهما محكومة بإيصال أو عقد ، أو شهود فهذه ليست أمانة ، إنما الأمانة هي ما يعطبها إنسان لآخر فيها بينهما ، وبعد ذلك فالمؤتمن بعد ذلك إما أن يُقِرَّبها وإمّا لا يقرّمها .

وقلنا سابقاً : إن على المؤمن الحق أن يحتاط للأمانة ، لأن هناك وقتًا تتحمل فيه الأمانة ، وهناك وقت آخر تؤدى فيه الأمانة إن طلبها صاحبها .

ومثال تحمل الأمانة كأن يعرض عليك إنسان مبلغًا من المال ، ويقول : ﴿ احفظ

هذا المبلغ أمانة عندك و فتقول له : نعم سأفعل وتأخذ المبلغ وإن هذا الفعل يسمى والتحمل و وعندما يأتي صاحب المال ليطلبه فهذا اسمه والاداء والكل يضمنون أنفسهم وقت التحمل وقد تكون النبة هكذا بالفعل ولكن المؤمن الحق لا يأمن ظروف الأغيار و فمن المحتمل أنه عندما يأتي صاحب المال ليطلبه من المؤمن عبد المؤمن نفسه وقد انشغل بالأغيار و فقد تكون ظروف الحياة قد داهمته مما دفعه ليتصرف في الامانة أو أن تكون نفسه قد تحركت وقالت له : وماذا يحدث لو تصرفت في الأمانة ؟ إن المؤمن الحق لا يضمن نفسه وقت الأداء وإن ضمن نفسه وقت الأداء وإن ضمن نفسه وقت الأداء وان ضمن نفسه وقت الأداء وان ضمن نفسه وقت المنات التحمل .

إذن يجب أن نلحظ في الأمانة ملحوظتين هما و الأداء و و والتحمل و والله و الله ياخذون الأمانة وفي نبتهم أن يؤدوها ضمنوا أنفسهم وقت التحمل ولكنهم لا يضمنون أنفسهم وقت الأداء لذلك فالمؤمن المحتاط يقول لنفسه : ولمأذا أعرض تفسى لذلك ، فقد يأتي وقت الأداء فلا أستطيع ردّها لصاحبها .

لذلك يقول لصاحب الأمانة : أرجوك ابتعد عنى فأنا لن أحمل هذه الأمانة .

إنه خائف من وقت الأداء وذلك ما حدث في أمانة التكليف والاختيار والتي قال عنها الحق سبحانه :

عَ إِنَّا عَرَضَانَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَاوَتِ وَٱلأَرْضِ مَالِحُبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَتَمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَخَمْلَهَا ٱلْإِنسَانِ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُـولًا ﴿ ﴾

(سورة الأحزاب)

إن السهاء والأرض والجبال طلبوا ألا يكون لهم اختيار وأن يظلوا مقهورين ؟ لأنهم لا يضمنون لحظة الأداء ، أما الإنسان فلأنه ظلوم جهول نقد قال : « لا » إننى عاقل وسأرتب الأمور ، فالإنسان ظلوم لنفسه ، وجهول لأنه لم يعرف ماذا يفعل وقت الأداء .

لذلك نرى هنا القول الحق : ﴿ وَمِنْ أَهِلِ الْكَتَابِ مِنْ إِنْ تَأْمِنَهُ بِقَنْطَارُ ﴾ وتجد الإمانة متعدية بالياء ، فمعنى الباء . في اللغة . الإلصاق ، أي النصل القنظار

بأمانته ، فأصبح هناك ارتباط وامتزاج ، وإياك ساعة الأداء أن تفصل الأمانة عن الفنطار ، فساعة يغريك قنطار الذهب ببريقه فعليك أن تلصق الأمانة بالقنطار ، وإياك أن يغربك القنطار فنترك أمانتك لأنك إن نظرت إلى القنطار دون أن تنظر إلى الأمانة فهذه هي الخبية .

أما استعبال ؛ على ۽ مع الأمانة ، ف ، على » في اللغة تأتي للاستعلاء والنمكن ، أي اجعل الأمانة مستعلية على القنظار ، وبذلك تصير أمانتك فوق القنظار ، فساعة تحدثك نفسك بأن تأخذ القنظار لأنه يدير لك حركة حياتك ، ولأنه يخرجك إلى دنيا عريضة مغرية فنذكر عز الأمانة ، ولهذا نجد الفقهاء قد قالوا بقطع يد السارق في ربع دينار ، وجعلوا دية قطع يد إنسان لم يسرق خسيائة دينار وتساءل البعض قائلا : يد بخمس مشين عسجد وديت مايالها تقطعت في ربسع دينار فقال فقيه ردا على ذلك المعترض :

عنز الأمانية أغلاها، وأرخصها ذل الخيانة، فافهم حكمة الباري

إذن قول الحق سبحانه وتعالى : « ومن أهل الكتاب من إن تأمه بقنطار يؤده إليك ، هذا القول جاء بالباء ليلصق الأمانة بالمؤتمن عليه ، وجاء بالمؤتمن عليه وهو القنطار وهو أضخم شيء في عالم الموازين وكان من الذهب وهو أثمن المعادن وأغلاها ليؤكد على كل مؤتمن أن يلصق الأمانة بما اؤتمن عليه ولا يفصل بينهما أبدا لأنه لو قصل الأمانة وعزّها عن المقنطار ربما سولت له نفسه أن يأخذ القنطار ويترك الأمانة .

وكذلك عندما تأتى الأمانة متعدية بعلى، تكون الأمانة فوق الشيء المؤغن عليه ، فالأمانة يجب أن تكون مستعلية على الشيء مها غلت قبمته ، ويقول الحقى من بعلد ذلك : « ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا مادمت عليه قائها ، أي أن تكون دائم السؤال عن دينارك الذي التمنت عليه ذلك الإنسان ، وأن تلع في طلب دينارك .

ومن بعد ذلك يقول الحق : « ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين صبيل ، وقد قام بعض من بني إسرائيل على عهد رسول الله ، بخديعة الأميين من العوب المؤمنين

فأنكروا حقوقهم . والمقصود بالأميين هنا المؤمنون الذين لم يكونوا من أهل الكتاب ، أو هم المنسوبون إلى الأم كها قال الحق :

عَلْمُ وَاللَّهُ مُنْوَجِكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهُ مِنْ بُطُونِ أُمَّهُ مِنْ بُطُونِ أُمَّهُ مِنْ مُلُونَ مُنِكُا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّعْعُ وَالْأَبْصَارَ

وَالْأَنْفِيدُ أَلْمُنْكُمْ لِنَكُمْ لِلْكُرُونَ عَلَى ﴾

ر سورة النحل)

أو أن يكون المقصود « بالأمبين » أهل مكة ، فقد كانوا يسمونهم كذلك لأنهم منسوبون إلى أم القرى « مكة المكرمة » .

من أين جاء أهل الكتاب إذن بهذا الأسلوب المردوج في معاملة الناس؟ ومن الذي وضع هذا المنهج الذي يقضى بخديعة المؤمنين الأمين؟ وهل الفضائل ومناؤل الخلق تختلف في المعاملة من إنسان إلى آخر؟ وهل يقضى الخلق القويم أن يأخذ إنسان الأمانة ويتكرها إذا كانت لرجل أمى ؟ ويرد الأمانة ويعترف بها إن كانت ليهودي ؟ هل يصح أن يقرض إنسان أمواله بالربا لغير اليهود ، ويقرض اليهود دون ربا ؟ إذن تكون هذه المعاملات مجحفة ، هنا فضيلة ، وهناك لا فضيلة ، لا ، إن القضية يجب أن تكون مستوية ومكتملة في كل وقت وكل زمان ولكل إنسان ، ولا يتبغى أن تتنوع .

من ابن إذن جاموا بهذا القول وهم أهل كتاب ؟ إن هذا ضد منهج الكتاب الذي أنزله الله عليهم بل هو من التحريف والتحوير لقد خدعوا أنفسهم وأنصقوا بالتشريع ما ليس فيه ، فالكتاب السهاوى الذي نزل عليهم ليس به تصنيف اليشر صنفين : صنف هم أهل الكتاب ولهم معاملة خاصة ، وصنف هم الأميون ولهم معاملة أخرى ، وكان عليهم أن يتعلموا من عدالة رسول الله صلى الله عليه وسلم في معاملتهم ،

لقد أرخ لهم رسول الله بالنص المنزل عليه من الله الناريخ الصادق والعادل ، في هذا القول الكريم الذي نتاوله بالحواطر إنما يسجل تاريخ اليهودية مع الإسلام . وهذا التأريخ لم يصدر فيه الله حكما واحدا يشملهم جميعا ، بل أنصف أصحاب الحق منهم ، وإن كانوا على دين اليهودية ، وبذلك استقر في أذهان المنصفين منهم أن

الإسلام قد جاء بكل الحق ، فلو كان الإسلام قد أصدر حكما واحدا ضد كل اليهود سواء من وقف منهم ضد دعوة رسول الله أو المنصف منهم الذي تراودة فكرة الإيمان بالإسلام ، لو كان مثل ذلك الحكم العام الشامل قد صدر لقال المنصفون من اليهود : نحن نفكر في أن نؤمن بالإسلام فكيف يهاجمنا الإسلام هذه المهاجمة ؟ لكن الإسلام جاء لينصف فيعطى كل ذي حق حقه .

وهؤلاء هم الذين يؤرخ الله لهم بالقبول: « من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك » , وتلك شهادة على صدق اليقين من هؤلاء ، أما الذين طغت عليهم المادية فهؤلاء هم الذين جاء فيهم القول الحكيم: « ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا مادمت عليه قائما » وهذا هو التأريخ الصادق لمن طغت عليهم المادية قلا يرد الإنسان منهم ما عليه إلا بعد الملاحقة والمطاردة ، وهكذا يبلغنا القرآن التاريخ بصدق .

والعلة في أن الذي يؤتمن على قنطار يؤديه ، والذي يؤتمن على دينار لا يؤديه هي علم والضحة . فالمؤتمن على قنطار ويؤديه هو إنسان ملتزم أمام إله موصوف باسم الحق ، ولا يريد الله من عباده إلا أن يواجهوا حركة حباتهم بالحق .

وأكرر هنا مرة أخرى ، إن كلمة و الأمانة ؟ ترد في القرآن الكويم مرة وهي متعدية بدوعل » ، وهرة أخرى وهي متعدية بالباء ، لأن الباء تأتى في اللغة لإلصاق شيء بشيء أخر ، فكأنك إذا اؤغنت أيها المسلم فلابد أن تلتصق بالأمانة حتى تؤديها ، وكذلك جاءت الأمانة متعدية بدوعل ؛ ، أي أنك أيها المؤمن إذا اؤغنت فعليك أن تستعلى على الشيء الذي اؤغنت عليه . فإذا ما اؤغنت على مائة جنيه مثلا فلا تنظر إلى ما يعود عليك من نفع إذا ما تصرفت في هذا المبلغ ، بل يجب أن تستعلى على تلك المنفعة . فإياك أن تعش نفسك أيها المؤمن بفائدة ونفاسة الشيء الذي تحتلمه من الأمانة هي الراجحة .

والذين استباحوا خيانة الأمانة من أهل الكتاب، إنما عميت بصيرتهم عن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نال الشهرة بالأمانة سواء قبل الرسالة أو بعدها . وعميت أبصارهم ، إن الدين الحق لا يفرق في أداء الأمانة بين صنف من البشر ، وصنف آخر ، فالدين الحق يضم تشريعا من إله خلق الجميع وهكذا نجد أن تشريعهم بالنفوقة في أداء الأمانة هو تشريع من عند أنفسهم ، وليس من الرب المتولى شتون خلقه جميعا ، ويدحض الحق القضية التي حكموا بوساطتها أن يعاملوا الأمين

معاملة. تختلف عن معاملتهم لأهل الكتاب ، فقال سبحانه : « ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون » .

يعلمون ماذا ؟ يعلمون أن قولهم كذب ، فهم يعرفون الحكم الصحيح وينحرفون عنه ، وينايتهم قالوا : إن ذلك الحكم من عند أنفسهم ، لكنهم ينسبون ذلك إلى تعاليم دينهم ، وتعاليم الدين _ كها قلنا _ مأخوذة من الله ، وهم بذلك _ والعباذ بالله _ يفترون على الله كذب بأنه خلق خلقا ثم صنفهم صنفين : صنفًا تؤدى الأمانة له ، وهكذا كذبوا على الله وعلموا أنهم كاذبون ، وهذا له ، وهذا كذبوا على الله وعلموا أنهم كاذبون ، وهذا هو الافتراء . وهم أيضا يعلمون العقوبة التي تلحق من يكذب على الله ورغم ذلك كذبوا .

لقد حذف الحق في هذه الآية المفعول به فلم يقل : و يعلمون كذا ، الحق حين بحدف المفعول و فهو بريد أن يعمم الفهم ويريد أن يعمم الحركة ، إنه سبحانه يريد أن يبلغنا بأن هؤلاء يعلمون أن قولهم هذا كذب ، ويعلمون عقوبة ذلك الكذب . وساعة تأل قضية منفية ثم يأتي بعدها كلمة و بلي و فإنها تنقض الفضية التي سبقتها ومعنى ذلك أنها تُثبتُ ضدها . لقد قالوا :

ليس علينا في الأميين سبيل ، وهذه قضية منفية بـ اليس ،، والحق يقول في الآية
 التالية :

﴿ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ ، وَانَّغَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُعِيبُ ٱلمُتَّفِينَ ۞ ﷺ

إن قول الحق في بداية هذه الآية و بلي ؛ إنما جاء لينقض الغضية السابقة التي الدعاها أهل الكتاب ، وكأن الحق يقول : أيّ عليكم في الأميين سبيل ؛ لأن المشرع هو الله ، والناس بالنسبه له سبحانه سواء .

وبعد ذلك يأتي قول الحق بقضية عامة :

○○+○○+○○+○○+○○+○\(\text{inition}\)

﴿ مَنْ أُوْفَى بِمَهْدِهِ ، وَاتَّنَّى فَإِنَّ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُنْقِينَ ﴾

(من أية ٧٦ سورة ال عمران)

ما العهد هنا؟ وأي عهد؟

إنه العهد الإيماني الذي ارتضيناه لانفسنا بأننا آمنا بالله وساعة تؤمن بألاله فمعنى إيمانك به هو حيثية قبولك لكل حكم يصدر منه سبحانه ، وأن ثلتزم بما يطلبه منك . وإن لم تلتزم بما يطلبه منك كان إيمانك بلا قيمة ١ لأن فائدة الإيمان هو الالتزام . ولذلك قلنا : إن الحق سبحانه وتعالى حينها يريد تشريع حكم لمن آمن به ينادى أولا يأيها الذين آمنوا كتب عليكم كذا ، إن الحق سبحانه لا ينادى في التكليف كل الناس ، إنما ينادى من امن وكأنه سبحانه يقول : ويا من آمن بي إلها ، اسمع منى الحكم الذي أريده منك ، أنا لا أطلب عن لم يؤمن بي حكها ، إنما أطلب عن آمن هي .

وهنا يقول الحق : * من أوفى بعهده واتفى نإن الله بحب المتقين * وقد يفهم البعض هذا القول بأن من أوفى بعهده الإيماني واتقى الله في أن يجعل كل حركاته مطابقة لـ * افعل ولا تفعل * فإن الله يحبه . هذا هو المعنى الذي قد يفهم للوهلة الأولى ، لكن الله لم يقل ذلك ، إن * الحب * لا يرجع إلى الذات بل يرجع إلى العمل ، لقد قال الحق : * فإن الله مجب المتقين * .

إن الإنسان قد يخطى، ويقول: « لقد أحبنى الله ، وسأفعل من بعد ذلك ما يحلو لى » ونحن نذكر صاحب هذا القول بأن الله يجب العمل الصالح الذى يؤديه العبد بنية خالصة لله وليس للذات أى قيمة ، لذلك قال : « من أوفى بعهد» واتقى فإن الله بحب المتقين » .

إن الذي أوفى بعهده واتقى سيحب الله فيه التقوى ، وإياك أن تفهم أن الحب من الله للعبد سيصبح حبا ذاتيا ، لكنه حب لرجود الوصف فيه ، فاحرص على أن يكون الوصف لك دائها ، لنظل في عبويه الله .

ولذلك نقول : إن الحق سبحانه وتعالى أوضح لنا أن الذات تتناسل من ذات ، والذوات عند الله متناسلة من أصل واحد . فالجنس ليس له قيمة ، إنما القيمة للعمل الصالح .

وقد ضربنا المثل قديما ، وقلنا : إن الحق سبحانه وتعالى حينها وعد نوحا عليه السلام بأن ينجيه من الغرق هو وأهله ، ثم فوجىء نوح بأن ابنه من المغرقين ، قال سمحانه حكاية عها حدث :

﴿ قَالَ سَكَايِنَ إِلَىٰ جَبِّلِ يَعْصِمُنِي مِنَ ٱلْمَآءُ قَالَ لَا عَصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنَ أَمْمِ اللَّهِ إِلَّا مَن

رَّحِمْ وَخَالَ بَيْنَهُمَا الْمُوْجُ فَكَانَا مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ۞ ﴾

(سورة هود)

ماذا فعل نوح عليه السلام؟ لقد نادى ربه طالبا نجاة ابنه : ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَبَّهُ مُفَقَالَ رَبِّ إِنَّ أَبْنِي مِنْ أَهْلِي وَ إِنَّ وَعَٰذَكَ ٱلْحَبَقُ وَأَنتَ أَحْكُمُ ٱلْحَنجُمِينَ

10

(سورة هود)

ويعلمنا الله من خلال رده على نوح ، أن أهل الأنباء ليسوا من جاءوا من تسلهم ، إنما أهل الأنبياء هم من جاءوا على منهجهم ، لذلك قال الحق لنوح عن أبنه :

الله من من أهلك إنه عمل غير صنايج

(من الآية ٤٦ من سورة (هود)

لماذا يكون ابن نوح ليس من أهل نوح ؟ ذلك لأن أهل النبوة هم الذبن يتبعون منهج النبوة ، ولذلك لم يقل الحق لنوح عن ابنه : « إنه عامل غير صالح » لكن الحق سبحانه قال عن ابن نوح : « إنه عمل غير صالح » . . لقد نسب الحق الأمر إلى العمل .

إذن فالحكمة هي أن الله سبحانه وتعالى في أسلوبه القرآني يوضح لنا أن الله لا يجب شخصا لذاته ، إنما لعمله وصفاته فلم يقل : « من أوفي بعهده واتقى فإن الله يحبه ي ، لأن ي الماء به هنا ترجع إلى الذات ، إن في ذلك إيضاحًا كامل البيان بأن الله يحب عمل العبد لا ذات العبد ، فإن حرص المعبد على محبوبية الله فذلك يتطلب من العبد أن يظل متبعا لمنهج الله ، وبعد ذلك يقول الحق :

أُوْلَتِهِكَ لَا خَلَقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَالِمُهُمُ الْوَلَيْكَ لِمُهُمُ الْوَلِيَكَ لِمُهُمُ اللهُ وَلَا يُكَالِمُهُمُ اللهُ وَلَا يُرْكِي اللهُ وَلَا يُرْكُ اللهُ وَلَا يُرْكُ اللهُ وَلَا اللّهُ وَلِي اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلِمُ اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلِي اللّهُ وَلِمُ اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَلِمُ اللّهُ وَلِمُ اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلِمُ اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلِمُ اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلِمُ اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلِمُ اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلِمُ اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلّا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلِمُ اللّهُ اللّهُ

وساعة نسمع كلمة «شراء وبيع » فلابد أن نتوقف عندها ، لنفهم معناها بدقة . ونحن في الريف برى المقايضات أو المبادلات في الرزق الذي له نفع مباشر ، كأن يبادل طرف طوفا آخر ، قمحا بقهاش ، فهذه سلعة يتم مبادلتها بسلعة أخرى ، وعلى ذلك قليس هناك شار وبائع ، لأن كلا من الطرفين قد اشترى وباع . وهنا نسأل : منى يصبح الأمر إذن شراء وبيعا ؟

إن الشراء والبيع يحدث عندما نستبدل رزقا مباشرا برزق غير مباشر ، ومثال ذلك عندما يشترى الإنسان رغيف خبز بخمسة قروش ، إن هذا هو الشراء والبيع ، لأن الخمسة قروش هى رزق غير مباشر النفعية ؛ لأن النقود لا تشبعك ولا ترويك من عطشك ولا تسترك . والرغيف هو رزق مباشر النفعية لأنه يشبعك ويدفع عنك الجوع وعندما يجب الإنسان أن يشترى شبئا فإن الذي يدفعه في الشراء يسمى ثمنا .

إذن فكيف يشتري الثمن ؟

إن الحق يوضح لنا أن الأثبان لا تكون مشتراة أبدا ، إنها مشترى بها ، ولذلك تكون أول خيبة في صفقة الذين يشترون بعهد الله ثمنا قليلا ، أنهم اشتروا الثمن ، بينها الثمن لايشترى ، فالذى يشترى هو السلعة . ويا ليت الثمن الذى اشتروه ثمن له قيمة ، لكنه ثمن قليل ، ومن هنا جاء تحريم الربا لأن المرابي يعطى الشخص مائة ، ويريد أن يسترده مائة وعشرة ، ويكون المرابي في هذه المسألة قد جمل التقود سلعة ، وهكذا تكون الصفقة خائبة من بدايتها .

إذن فأول خيبة في نفوس الناس الذين يستبدئون الهدى ويأخذون بدلا منه الضلالة ، إنهم خاسرون .

والحق سبحانه يقول هنا : ه إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا ه . ونعرف أن « الباء ه دائها تدخل على المتروك ، أى أنهم تركوا عهد الله والأيمان التي حلفوا بها على المتصديق بالرسول ، وعلى نصرته إذا جاءهم ، أنهم اشتروا ذلك بشمن قليل ، كيف يحدث ذلك ؟ فلم المسألة واقعة حال ، وإن كان المراد عموم الموضوع لا خصوص السبب ، فلا يقولن أحد : إن هذه الآية تزلت في الأمر الفلاني فلا شأن لي بها ، لا فكل من يشتري بآيات الله ثمنا قليلا تنطبق عليه هذه الآية .

وواقعة الحال التي نزلت فيها الآية هي أن جماعة في عهد جلب ومجاعة دخلت على كعب بن الأشرف البهودي يطلبون منه الميرة _ أي الطعام والكسوة _ فقال لهم : هل تعلمون أن هذا الرجل رسول الله ؟ قالوا نعم ، قال : إنني هممت أن أطعمكم وأن أكسوكم ولكن الله حرمكم خيرا كثيرا وتساءلوا : لماذا حرمنا الله الخير الكثير ؟ وجاءتهم الإجابة لقد أعلنتم الإيمان بمحمد فلها وجدوا أنقسهم في هذا الموقف ، قالوا لكعب بن الأشرف : دعنا فترة لانه وبما غلبتنا شبهة ، فلتراجع فيها أنفسنا . وعندما مرت الفترة ، فضلوا الطعام والكسوة على الإيمان ، وقالوا لكعب بن الأشرف : لقد قرأنا في كتبنا الموجودة لدينا خطأ ، وحمد ليس رسولا . فأعطاهم كعب القوت والكسوة . وهو الطعام والكسوة . وكل من يشتري بآيات الله ثمنا قليلا ، وهو الطعام والكبوة . وكل من يشتري بآيات الله ثمنا قليلا ، فهو يطمس حكها من أحكام الله من أجل أن ينظاهر أمام الناس أنه عصري ، أو أنه مساير لروح الزمان ، أو يزين لأولياء الأمر فعلا من الأفعال لا يرضى عنه الله .

إذن فالذي يفعل مثل ذلك إنما يشتري بأيات الله ثمنا قليلا ، وكل من يجعل آية من آيات الله عرضة للبيع من أجل أن يأخذ عنها ثمنا يُعتبر داخلا في هذا النص ۽ إن الذين يشترون بعهد الله وأبجانهم ثمنا قليلا » .

والمقصود هنا بعهد الله ، إما أن يكون عهد الفطرة أو العهد الذي أخذه الله على أهلى الكتاب بأنهم إن أهركوا بعنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلابد أن يعلنوا الإيمان به وهو العهد الذي جاء به القول الحق :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَانَ النَّبِيثِ لَمَّا وَاللَّهُ مِن كِنْتِ وَحِكْمَ مُمْ جَاءَكُمْ رَسُولُ

مُصَدِقٌ لِمَا مَعَكُمُ لَنُوْمِنُ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَهُمْ قَلَ عَأَقُرُونُمْ وَأَخَذَهُمْ عَلَى ذَالِكَ مَا أَسْرِى قَالُواْ أَفْرُونَا قَالَ فَالنَّهُدُواْ وَأَنَا مُعَكُمْ مِنَ الشَّهِدِينَ ١٤٠

(سورة أل عمران)

إذن فعندما جامت صفة تكذيبهم لما أعلنوه من إيمان سابق مقابل الميرة والكسوة فهم قد تركوا عهد الله وأخذوا الثمن القليل من الميرة والكسوة ، وكان ذلك خيبة كبرى فهم قد اشتروا الثمن ، والثمن مع ذلك قليل ، ولذلك يقول عنهم الحق :

وْ أُوْلَنَهِكَ لَاخْلَانَ لَمُهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمُ ٱلْفِيكَمَةِ

وَلَا يُزْكِيمِ وَلَمْمَ عَذَابُ أَلِيمٌ ١

﴿ سورة آل عمرانهُ ﴾

وكلمة وأولئك عندل على أن الصلة وهى ويشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا على أبيد أبيد الله وأيمانهم ثمنا قليلا على أبيد أبيد أبيد المنات وتجعل له المصير نفسه . فهذه الآية وإن نزلت في هؤلاء الأشخاص الذين جرت منهم حادثة شراء الطعام والكسوة مقابل النكوص عن الإيمان برسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنها تشمل كل متصف بهذه الصفة وكل من كان على هذا اللون في أي عصر ، وفي أي دين من الأديان ، ويصفهم الحق سبحانه بـ وأولئك لا خلاق لهم ه .

وكلمة « خلاق » وكلمة « خُلق » وكلمة « خليفة » وكلمة « خلق » كلها تدور حول معنى يكاد يكون متقاربا ، فالحلق ـ بضم الخاء واللام ـ أن توجد صفة فى الإنسان تغلب عليه حتى تصير ملكة . فيقال : « فلان عنده خلق الصدق » أو « فلان خلقه الكرم » ومعناه : أن فلانا الأول صار الصدق عنده ملكة ولا يتعب نفسه فى أن يكون صادقا بل صار الصدق أمرا طبيعيا فيه ، وكذلك وصف فلان الثانى بالكرم أى أن الكرم صار ملكة وسجية عنده .

وهذه الملكة في الأمور المعنوبة تساوى الألية في الأمور الحسية ؛ لأننا نعرف أن كل فعل من الأفعال بجتاج إلى دربة ليكون الإنسان متميزا في أدائه ، وعلى سبيل المثال ، العامل الذي ينسج على آلة بجتاج إلى أن يتدرب على تحريك مكوك الخيط ، وأن يتعلم كيف بحرك المكوك بين خيوط النسيج ﴿ وبعد ذلك يختلف الخيطان معا لتمسك

بها حركة المكوك الثانية في ارتدادها ، وبذلك يتم النسيج ، وحين يتدرب إنسان على هذا العمل فهو يحتاج إلى وقت طويل ، ليصل إلى كفاءة الحركة .

فى بداية الندريب يكون الأمر صعبا ، ويستطيع التساج بعد أن يتفن الندريب أن يجلس أمام آلة النسيع ويداه تحرك المكوك بآلية . لقد صارت المسألة بالنسبة إلى النساج المتدرب آلية .

وسبق أن ضربت المثل بالإنسان الذي يتعلم قيادة السيارة ، فالمدرب يعلمه كيف يدير المفتاح ، وكيف ينتظر لتسخين المحرك ، وكيف يفك مكبح السيارة ، ثم كيف يجرك عصا التحكم في اندفاع السيارة ، وكيف يوازن بين الضغط على بدال الوقود والضغط على بدال التحكم الفاصل ، وكيف يوازن بين سير السيارة بتخفيض السرعة بلمسات خفيفة لبدال المكبح .

وقد يخطى، الإنسان في بداية التعلم ويرنبك ، ولكنه بعد تمام التدريب فإنه يعمل بألية وبدون تفكير ، إنه عمل آلى لا يحتاج إلى تفكير ، وضربت في السابق مثالا بالصبى الذي يتعلم حياكة الملابس ، إنه يأخذ وقنا ليضع الخيط في سم الإبرة ، وتقع منه الأخطاء في قياس المسافات المختلفة بين الغرز ، لكنه من يعد ذلك يتدرب على وعل هذه الأعيال التي كانت صعبة ، ويؤديها بآلية ، والعمل الألى في الأمور المحسة ، يقابل الملكة في الأمور المعنوية ، فيقال : « إن الصدق عند فلان ملكة » أي أنه إنسان لا يرهفه أن يكون صادقا .

ونحن أثناء تعليم أبنائنا للنحو مثلاء نقول لهم: * إن حكم الفاعل الرقع والمفعول به منصوب ، وعندما ينطق الابن عبارة ما ، فإنه بحاول تطبيق الفاعدة أثناء القراءة ، وقد ينساها ، أو يتلجلج ، وعندما يتذكرها فإنه بنطق الكلمات برسمها الصوق الصحيح ، وبعد أن يتم النفريب على القاعدة ويقرأ الابن ، فإن أخطاء تتلاشى ، وبذلك يصير النحو ملكة عنده .

وكذلك الخلق ، إن الخلق صفة ترسخ في النفس ، فتصدر عنها الأفعال بيسر وسهولة ، فيقال : « والصدق له خلق » ، و« الكرم له خلق » ، وه الشجاعة له خلق » إنها الصفات التي ترسخ في النفس فتصدر عنها الأفعال في يسر وسهولة . والحق سبحانه يقول : « أولئك لا خلاق لهم في الأخرة » وقد فسر البعض حرمان أولئك من الخلق بأن هذا الصنف من الناس لا نصيب لهم من الخلق ، لأن الخلق

صفة راسخة في الإنسان، والحق يحدد الزمن بأنه ، في الأخرة ، والآخرة هي الوقت الذي لا يمكن التدارك فيه ، فالأخرة هي يوم التقييم الصحيح والنهائي .

إن الإنسان قد لا يكون له نصيب السلوك القويم فيعدل سلوكه حتى يكتسب هذا السلوك القويم في الدنيا لكن الإنسان لا يستطيع في الاخرة أن يجد مجالا للاستدراك ، وهذه هي الحبية القوية .

فالإنسان في الدنيا ، قد يقوم بعمل ما ولا يكون له نصيب من أجره أو قد لا نرى نحن الجزاء والنصيب الذي يعطيه له الله ولكن الله يعوضه في الآخرة عن هذا العمل الذي لم يكن له نصيب منه في الدنيا أما من لا خلاق له في الآخرة فكيف يتم التعويض ؟ إنَّ ذلك أمر مستحيل ؟

ويضيف الحق ه ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم ، وقد يقول قائل : ألم يقل القرآن الكريم في موقع آخر ، إن الله يقول للكافرين :

﴿ قَالَ الْمُسَفُواْ فِيهَا وَلَا تُتَكَالُمُونِ ١٠٠٠ ﴾

(سورة المؤمنون)

فلهاذا يقول الحق لهم مرة: « الحسنوا فيها ولا تكلمون » ، ومرة أخرى يقول الحق : « لا يكلمهم الله ه؟ . ونجيب على مثل هذا القول : إن الحق لا يكلمهم كلاما ينفعهم ، أو أنه سبحانه يكلمهم بواسطة ملائكته ، ولكن كيف لا ينظر إليهم الله ؟

وساعة نجد أمرا يوجد في الناس وله نظير منسوب لله سبحانه وتعالى ويقوله سبحانه عن نقسه ، فلابد أن نأخذ هذا الأمر في إطار : ﴿ لَبِس كَمِئْلُه شيء ﴾ .

إننا في مجالنا البشرى نقول: و فلان لا ينظر إلى فلان ؛ أى أنه لا يوجه عيونه إليه ، ويحول حدقتيه عنه ، لكن لا يمكن قياس ذلك على الله ، لأن الله منزه عن النشبيه ففى الوضع البشرى نجد إنسانا يحب صديقا له فيقبل عليه بالوجه والنظر فيقال : وفتى هو قبد العين ؛ أى أنه شاب عندما تنظر إليه العين فهو يقيد العين . فلا تذهب عنه إلى أى مكان آخر؛ ففى هذا الشاب محاسن تجعل العين لا تذهب بعيدا عنه . وهكذا تأخذ إقبال العين بالنظر على المنظور أو على المرثى كسمة للاهتهام به ، وهذا صحيح فى الوضع البشرى .

لكن إذا ما جاء ذلك بالنسبة لله ، هنا نأخذ المسألة في إطار : « ليس كمثله شيء » . وهكذا نفهم عدم نظر الله إلى « الذين يشترون بعهد الله وأيانهم ثمنا قليلا » بأن الله يهملهم ، ولا يهتم بهم « لا ينالهم الله برحمته » ، فالحق سبحانه منزه عن كل تشبيه ، وهكذا الأمر في عدم نظر الحق إليهم ، نأخذ الأمر أيضا في إطار : « ليس كمثله شيء » إن ولى الأمر من البشر عندما يرغب في عقاب أحد رعاياه ، لا ينظر إليه ويهمله ، فها بالنا بإهمال الحق سبحانه وتعانى ؟! إنه إبعاد لهم عن رحمة الله ورضوانه .

ويضيف الحق سبحانه و ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم ، والتزكية تأى بمعنى النطهير ، أو بمعنى الثناء أو النهاء والمزيادة فنقول : و فلان زكى فلاتًا ، أى أثنى عليه ويقال أيضًا : و فلان زكى فلاتًا ، أى طهره ، ومن هذا تكون ، الزكاة ، التي هي تطهير ونماء .

وعندما يخبرنا الحق سبحانه أنه لا يكلم ذلك الصنف من البشر ولا يتظر إليهم ولا يطهرهم من أوزارهم ، فهذا مقدمة لما أعده لهم يقوله : « ولهم عذاب أليم » .

وكأن الحق سبحانه قد أورد هذا المصير بالنسبة لهذا الصنف من البشر حتى لا يقول أحدهم ليس مُهمًا أن الله لن يكلمني ولن ينظر إتى ، ولن يزكيني ، ولكنه قد يدخلني الجنة ، لا له ولأمثاله يدخلني الجنة ، لا لن يدخل واحد من هذا الصنف من البشر الجنة بل له ولأمثاله العذاب الأيم ، وحين يقال : « وهم عذاب أليم » فلابد أن ناخذ قوة الحدث بفاعل الحدث .

وفى حياتنا العادية عندما يقال: « صفع الطفل فلانا الرجل ، نفهم بطبيعة الحال أن صفعة الطفل تختلف في توتها عن صفعة الشاب ، وكذلك صفعة الشاب تختلف عن صفعة الطفل في الملاكمة . إذن فالحدث يختلف باختلاف فاعله قوة وضعفا على المفعول به الذي هو مناط الحدث، فإذا كان فاعل العذاب هو الله فلابد أن يكون عذابا

أليها ؛ ولا حدود لألمه ، أنجانا الله وإباكم منه . ومن بعد ذلك يقول الحق سبحانه :

أى أنهم يلوون ألسنتهم بالكلام الصادر من الله ليحرفوه عن معانبه ، أو يَلُوون السنتهم عندما يريدون التعبير عن المعانى . وه اللى » هو الفئل ، فنحن عندما نفتل حيلا ، نحاول أن نجدل بين قرعين اثنين من الحبوط ، ثم نفتلهم معا لنصنع حبلا ، والهدف من الفتل هو أن نصنع قوة من شعيرات الحيوط، فهذه الشعيرات لها قوة عدودة ، وعندما نفتل هذه الحيوط فإننا نزيد من قوة الخيوط بجدلها معا .

إذن فالفتل المراد به الوصول إلى قوة ، وهكذا نرى أنهم يلوون ألسنتهم بكلام يدعون أنه من المنهج المنزل من عند الله ، وهذا الكلام ليس من المنهج ولم ينزل من عند الله إنهم يفعلون ذلك لنقوية مركزهم والتنقيص من مكانة الإسلام والطعن في الرسول كها قالوا من قبل : « راعتا » ، لذلك قال الحق نحاطبا المؤمنين :

عَلْمَ يَنَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَاعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرَنَا وَٱسْتَعُواْ وَلِلْكَشْفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞﴾ ﴿ سورة البغرة ﴾

إن الحق يوضح لنا ألا نعطى لهم فرصة لتحريف كلام الله ، فهو سبحاته القائل :

عَلْ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ، وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعِ وَرَاعِتَ اللّهِ مِنْ اللّهِ مِنْ وَلَوْأَنَّهُمْ قَالُوا شَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَأَنظُرْنَا مُسْمَعِ وَرَاعِتَ اللّهِ مِنْ وَلَوْأَنَّهُمْ قَالُوا شَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَأَنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَمُنْمَ وَأَقْوَمُ وَلَكِن لَعَنَهُمُ اللّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلّا قَلِيلًا ﴿ ﴾ لَكَانَ خَيْرًا لَمُنْمَ وَأَقْوَمُ وَلَكِن لَعَنَهُمُ اللّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلّا قَلِيلًا ﴿ ﴾ لَكَانَ خَيْرًا لَمُنا وَأَقْوَمُ وَلَكِن لَعَنَهُمُ اللّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلّا قَلِيلًا ﴿ ﴾

(سورة النساء)

لقد فضحهم - الحق سبحانه - لنا ، وهم مجرفون الكلام عن موضعه ، فقد قال الحق هذا الفول بمعنى : أن الذي تسمعه لا يضرك لقد سجل الله عليهم أنهم قالوا سمعنا وعصينا كما قاموا بتحريف الكلمة وقالوا : « اسمع غير مسمع ؛ أي ؛ لا سمعت أبدا ؛ ، تماما كما أتحذوا من قبل قول الله :

عُلْ وَقُولُوا حِمَّلَةً ﴾

(من الأية ١٦١ من صورة الأعراف)

وحرقوا هذا القول: « وقولوا حنطة » ، وهم قد فعلوا ذلك حتى نحسب هذا النحريف من الكتاب ، وما هو من الكتاب ، أى أنهم يقتلون بعضا من المعانى المستنبطة من الكلهات حتى يوهموا المؤمنين بأن هذه المعانى غير المرادة وغير الصحيحة هي معان مرادة شه ، وصحيحة المعنى ، إنهم يدعون على المنهج المنزل من السهاء ما ليس فيه ، ولذلك قال سبحانه : « لتحسيوه من الكتاب وما هو من الكتاب » إنهم عندها يلوون السنتهم بالكتاب يحرفونه رغبة في التلبيس والتدليس عليكم لنظنوا أنه من الكتاب المنزل من عند الله على رسولهم ، إنهم لو قعلوا ذلك فحسب لجاز أن يتوبوا ويرجعوا إلى ربهم ويندموا على ما فعلوا .

أما قولهم بعد ذلك : • هو من عند الله ، فهو دليل على أنهم احدثوا في الكتاب شيئا وأصروا عليه فجاءوا بقولهم : (هو من عند الله) لينفوا عن أنفسهم شبهة أن يُدعى عليهم أنهم حرفوا الكتاب ، ولولم يكونوا قد حرفوا الكتاب أكانت تخطر بيالهم ، هذه ؟ إن أمرهم جاء من باب (يكاد المريب أن يقول خدون) إنهم بهذا القول يحتالون على إخفاء أمر حدث منهم . إن الحق _ سبحانه _ يؤكد أن الحيانة تلاحقهم فيقول : (وما هو من عند الله) ، فهذه الآية الكريمة تفضحهم وتكشف تحريفهم لكتاب الله ، يقول سبحانه ; « ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ،

00+00+00+00+00+0+0+0+0

إنهم بعرفون أن ما يقولونه هو الكذب، والكذب كما عرفنا هو أن تكون النسبة الكلامية غير مطابقة للواقع، فالنسب في الأحداث تأتى على ثلاث حالات:

نسبة واقعة .

نسبة يفكر فيها رهي نسبة ذهنية .

السبة ينطق بها ،

فعندما نعرف إنسانا اسمه محمد، وهو مجتهد بالفعل فهذه نسبة واقعة وإذا خطر ببالك أن تخبر صديقا لك باجتهاد محمد فهذا الخاطر نسبة ذهنية.

وساعة تنطق بهذا الخبر لصديق لك صارت النسبة كلامية . والصدق هو أن تكون النسبة الكلامية لها واقع متسق معها كأن يقول : و محمد مجتهد و يكون هناك بالفعل من اسمه محمد وهو مجتهد بالفعل ، وبهذا تكون أنت الناطق بخبر اجتهاد عمد إنسانا صادقا ، أما إن لم يكن هناك من اسمه محمد ومجتهد فالنسبة الكلامية لا تتفق مع النسبة الواقعية ، لذلك يصير الخبر كاذبا . والعلماء يفرقون بين الصدق والكذب بهذا المميار . فالصدق : هو مطابقة الكلام للواقع ، والكذب : هو عدم مطابقة الكلام للواقع ، والكذب : هو عدم مطابقة الكلام للواقع .

وحاول بعض من الذين يجبون التشكيك أنْ يقفوا عند سورة المنافقين التي يقول فيها الحق ؛

﴿ إِذَا جَاءَكَ ٱلْمُنْفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ, وَاللَّهُ

يَشْهُدُ إِنَّ ٱلْمُنْفِقِينَ لَكَلْفِيُونَ ۞ ﴾

(سورة المناقفون)

لقد قال المنافقون: نشهد إنك لرسول الله ، وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو رسول من عند الله بالقعل ، والحق سبحانه يقول : « والله يعلم إنك لرسوله » قهل علمهم كعلم الله ؟ لا ، لأن الله سبحانه قال : « والله يشهد إن المنافقين لكاذبون » ، فكيف يصفهم الحق بأنهم كاذبون مع أنهم شهدوا بما شهد هو به ؟

إن الحق لا يكذبهم في أن محمدا رسول الله فهذه قضية صادقة ، ولكنه سبحانه قد كذبهم في قضية قالوها وهي : « نشهد » ، لأن قولهم : « نشهد » تعنى أن يوافق الكلام المنطوق ما يعتقدونه في قلوبهم ، وقولهم : « نشهد » هو قول لا يتفق مع ما في

قلوبهم ، ولذلك صاروا كذابين ، فلسان كل منهم لا يوافق ما في قلبه .

إذن فقوله الحق: « ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون » ، أى إنهم يقولون كلاما ليس له نسبة خارجية تطابقه ، وهم يعلمون أنه كذب ، حتى لا تقول : إنهم نطقوا بذلك غقلة ، لقد تعمدوا الكذب ، وهم يعرفون أنهم يقولون الكذب . والدقة تقتضى أننا يجب أن نفرق بين صدق الحبر ، وصدق المخبر ، صدق الخبر هو أن يطابق الواقع لكن أحيانا يكون المخبر صادقا ، والخبر في ذاته كذب ، كأن يقول واحد : « إن فلانا يستذكر طول الليل » لأنه شاهد حجرة فلان مضاءة وأنه يفتح واحد : « إن فلانا يستذكر طول الليل » لأنه شاهد حجرة فلان مضاءة وأنه يفتح كتابا ، بينها يكون هذا الفلان غارة في قراءة رواية ما ، إن المخبر صادق في هذه الحالة ، لكن الحبر كاذب .

ولكن في عجال الآية نحن نجد أنهم كاذبون عن عمد ، فاللسان هو وسيلة بيان ما في النفس :

إن الكلام لفى الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا ومن بعد ذلك يقول الحق مسحانه:

وتحن نعرف أن الحق سبحانه وتعالى حين ينزل منهجه ، فهو ينزله فى كتاب ، ويقنضى ذلك أن يصطّفى سبحانه إنسانا للرسالة ، أى أن الرسول يجىء بمنهج ويطبقه على نفسه وسلخه للناس ، الرسول مصطفى من الله ويختلف في مهمته عن

النبى، فالنبى أيضا مصطفى ليطبق المنهج، وهكذا حتى لا يسمع الناس المنهج ككلام فقط ولكن يرونه تطبيقا أيضا ، إذن فالرسول واسطة تهليغية ونموذج سلوكى ، والنبى ليس واسطة تبليغية ، بل هو نموذج سلوكى فقط .

(سورة الحبج)

هكذا نعرف أن الرسول والنبي كليهما موسل من عند الله ، الوسول موسل للـ الاغ والأسوة ، والنبي مرسل للأسوة فقط ، لأن هناك بعضا من الأزمنة يكون المنهج موجودا ، ولكن حمل النفس على المنهج هو المفتقد ، ومثال ذلك عصرنا الحاضر .

إن المنهج موجود وكلنا نعلم ما الحلال وما الحرام ، لكن خيبة هذا الزمان تأتي من ناحية عدم حمل أنقسنا على المنهج ، لذلك فتحن نحتاج إلى أسوة سلوكية ، هكذا -عرفنا الكتاب ، والنبوة ، فها هو الحكم إذن ؟

لقد جاء الحق بكلمة : « الحكم » هنا ليدلنا على أنه ليس من الضروري أن توجد الحكمة الإيمانية في الرسول أو المنبى فقط ، بل قد تكون الحكمة من تصيب إنسان

من الرعية الإيمانية ، وتكون القضية الإيمانية ناضجة في ذهنه ، فيقولها لأن الحكمة تقتضى هذا . ألم يذكر الله لنا وصية لقيان لابنه ؟ إن وصية لقيان لابنه هي المنهج الديني ، وعلى ذلك فمن الممكن أن يأن إنسان دون رسالة أو نبوة ، ولكن المنهح الإيماني ينقدح في ذهنه ، فيعظ به ويطبقه ، وهذا إيذان من الله على أن المتهج يمكن لأي عقل حين يستقبله أن يقتنع به ، فيعمل به ويبلغه .

ولابد لنا أن نؤكد أن من يهبه الله الحكمة فى الدعوة لمنهج الله وتطبيق هذا المنهج ، لن يضيف للمنهج شيئا ، وبحكم صدقه مع الله فهو لن يدعى أنه مبعوث من الله لملناس ، إنه يكتفى بالدعوة الله وبأن ، يكون أسوة حسنة . لكن لماذا جاءت هذه الآية ؟ لقد جاءت هذه الآية بعد جدال نصاري نجران مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة ، وأثناء الجدال انضمت إليهم جماعة من اليهود ، ومنالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

- باذا تؤمن وتأمر؟ فأبلغهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأوامر المنهج ونواهيه ، وأصول العبادة ، ولأن تلك الجهاعة كانوا من أهل الكتاب ، بعضهم من نصارى نجران والبعض الآخر من يهود المدينة ، وكانوا يزيفون أوامر تعبدية ليست من عند الله ، ويريدون من الناس طاعة هذه الأوامر ، لذلك لم يقطنوا إلى الفارق بين منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأوامره ، وبين ما زيفوه هم من أوامر ، فمحمد صلى الله عليه وسلم يطلب من الناس عبادة الله على ضوء المنهج اللهى أنزله عليه الحق سبحانه ، أما هم فيطلبون طاعة الناس في أوامر من نزييفهم .

والطاعة ـ كما نعدم ـ هى لله وحده فى أصول كل الأديان ، فإذا ما جاء إنسان بأمو ليس من الله ، وطلب من الناس أن يطبعوه فيه ، فهذا معناه أن ذلك الإنسان يطلب أن يعبده الناس ـ والعياذ بالله ـ لأن طاعة البشر فى غير أوامر الله هى شرك بالله . ولهذا تشابهت المواقف على هذا البعض من أهل الكتاب ، وظنوا أن الرسول صلى الله عليه وسلم يطلب منهم طاعتهم الأوامره هو ، كما كانوا يطلبون من الناس بعد تحريفهم للمنهج وقالوا : أتريد أن نعبدك ونتخذك إلها ؟

إنهم لم يفطنوا إلى الفارق بين الرسول الأمين على منهج الله ، وبين رؤسائهم الذين خالفوا الأحكام واستبدلوها بغيرها ، فالرسول صلى الله عنيه وسلم لم يطلب منهم طاعته لذاته هو ، ولكنه قد طلب منهم الطاعة للمنهج الذي جاء به رسولا وقدوة ، واستنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قالوه .

وأنزل الله سبحانه قوله الحق :

﴿ مَا كَانَ لِبَشَرِ أَن يُؤْتِيهُ ٱللَّهُ ٱلْكِنتَبَ وَٱلْخَكَرَ وَالنَّيْوَةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِيَ مِن دُون ٱللَّهِ ﴾

لقد بلغت بهم الغفلة والشرك أنهم ظنوا أن الله لم يختر رسولا أمينا على المنهج ، وظنوا بالله ظن السوء ، أو أنهم ظنوا أن الرسول سيحرف المنهج كها حرفوه هم ، فتحولوا عن عبادة الله إلى عبادة من يعثه الله رسولا ، ولذلك جاء القول الفصل وما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كوثوا عبادا لى من دون الله 1.

وقد ينصرف المعنى أيضا إلى أن بعض صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنوا يُجِلُّونُه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكل مؤمن مطلوب منه أن يُجل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن يعظمه ، ومن فرط حب يعض الصحابةِ لرسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا له : أنسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض ، ألا تسجد لك ؟

إن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يطلب السجود له من أحد ، والحق سبحانه هو الذي كلف عباده المؤمنين بتكريم رسوله فقال :

﴿ لَا تَجْعَلُواْ دُعَاةَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَا وَبَعْضِكُمْ بَعَضًا قَدْ يَعْلُمُ اللهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ مَنكُ اللهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّ

(سورة النور) إن المطلوب هو التعظيم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا أن نعطى له أشياء لا تكون إلا لله . إن تعظيم المسلمين لرسول الله وتكريمهم له هو أن نجعل دعاءه مختلفًا عن دعاء بعضنا بعضا .

والحق في هذه الآية التي نحن في مجال الخواطر عنها وسولها يقول : و ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون .

إن ولكن وهنا للاستدرائ ، مثلها قلنا من قبل : إن وبل و تنقض القضية التي قبلها وتثبت بعدها قضية خالفة لها . إن الحق يستدرك هنا لنفهم أنه قبس الأحد من البشر أن يقول : وكونوا عبادا لى و بعد أن أعطاه الله الكتاب والحكم والنبوة ، والقضية التي يتم الاستدراك من أجلها وإثباتها هي : وكونوا ربانيين و وكلمة ورباني و م وكلمة ورباني و وكلمة ورباني و وكلمة ورباني و وكلمة و والمونة ، وكلمة و والمونة ، وكلمة و والمونة من والمونة ، وتعهد المربى ، وتدور المكونة من و الراء و و الباء و تدل على التربية ، والولاية ، وتعهد المربى ، وتدور

حول هذا المعنى . أليس ربان السفينة هو الذي يقود السفينة ؟

وكلمة والرب وتوضح المتولى للتربية ، إذن فها معنى كلمة وربانى و ؟ إنك إذا الردت أن تنسب إلى و رب و تقول : و ربي و . وإذا أردنا المبالغة في النسبة نضيف لها ألفا ونونا فنقول : و ربان و ولذلك نجد في التعبيرات المعاصرة من بريدون أن ينسبوا أمرا إلى العلم فيقولون : و علمان و وفي ذلك مبالغة في النسبة إلى العلم و والفرق بين و علمى و و علمان و هو أن العلمان يزعم لنفسه أن كل أموره تمشى على العلم المادى و ونجد أن في و علمان العلم ونونا زاندين لتأكيد النسبة إلى العلم .

وقد يقول قائل: ولمئذا نؤكد الانتساب إلى الله بكلمة ، ربان ، الانتساب إلى الله بكلمة ، ربان ، الانتساب ونقول: لأن الكلمة مأخوذة من كلمة رب ، وتؤدى إلى معان: منها أن كل ما عنده من حصيلة البلاغ لابد أن يكون صادرا ومنسوبا إلى الرب ؛ لأنه لم يأت بشيء من عنده ، أى أنه يأخذ من الله ولا يأخذ من أحد أحر أبدا ؛ فهو رباني الاخذ .

وتؤدى الكلمة إلى معنى آخر : إنه حين يقول ويتكلم قإنه يكون متصفا بخلق أنزله رب يربى الناس ليبلغوا الغاية المقصودة منهم ، فهو عندما ينقل ما عنده للناس يكون مربيا ، ويدبر الأمر للفلاح والصلاح .

يقول الحق _ سبحانه _ : « بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم ثدرسون ، إن العلم هو تلقى النص المنهجي . والدراسة هي البحث الفكري في النص المنهجي .

لذلك فنحن في الريف نقول ؛ و ندرس القمح » أى أننا ندرس القمح بأله حادة كالنورج حتى تنقصل حبوب القمح عن و النبن ، وتكون نتيجة الدراس هي استخلاص النافع . . إذن فقيه فرق بين ، تعلمون ، أي تعلمون غيركم المنبج الصادر من الله وذلك خاضع لنلقى النص ، وبين و ماكنتم تدرسون ، أي تعملون أفكاركم في الفهم عن النص .

إن الفهم عن النص يحتاج إلى مدارسة ، ومعنى المدارسة هو أخذ وعطاء ، ويقال : و دارسه ، أي أن واحدا قد قام بتبادل التدريس مع آخر ، ويقال أيضا ; و تدارستا ، أي أنتى قلت ما عندي وأنت قد قلت ما عندك حتى بمكن أن تستخلص

ونستنبط الحكم الذي يؤجد في النص .

وقد باتن النص محكما ، وقد يأتي النص محتملا لأكثر من معني،

ومادمت قد تعلمت ، فلابد أنك تعرفت على النصوص المحكمة للمنهج . ومادمت قد تدارست،فلابد أنك قد فهمت من النصوص المحتملة حين مدارستك لأهل الذكر تحسّن استقبال المنهج؛لذلك يجب أن تكون ربائياً في الأمرين معاً .

وبعد ذلك يقول الحق سبحانه :

حَيْثُورُ وَلَا يَأَمُّرَكُمُ أَن تَنَكَّخِذُ وَالْلَكَتِيكُةُ وَالنَّبِيتِ أَزَبَابًا اللَّهِ وَلَا يَأْمُرُكُمُ الْنَاتِيكَةُ وَالنَّبِيتِ أَزَبَابًا اللَّهِ وَلَا يَأْمُرُكُمُ مِاللَّهُ وَلَا يَعْدُ إِذْ أَنتُم مُّسُلِمُونَ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللللْمُولِمُ اللللْمُ اللَّهُ الللَّهُ اللللْمُ اللللْمُ الللِّلْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُلِمُ اللللْمُ اللللْمُ اللللْمُ الللْمُ الللْمُ الللِمُ اللللْمُ اللَّهُ الللْمُ الللِمُ الللْمُ اللَّهُ الللْمُلْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللللْمُ اللللْمُ اللللْمُ اللللْمُ اللَّلِمُ الل

أى أنه ليس لبشر آناه الله الكتاب والحكم والنبوة أن يأمر الناس باتخاذ الملائكة والنبيين أربابه . إن مَن اختصه الله بعلم وكتاب وسوة لا يمكن أن يقول : اعبدوني ، أو اعبدوا الأنبياء .

لماذًا ؟ ويجيب الحق سبحانه: «أيامركم بالكفر بعد إذ أنتُم مسلمون . .

وقوله الحق : ه بعد إذ أنتم مسلمون ، تدل على أن واقعة القضية وما معها كانت مع مسلمين كأنهم عندما جاءوا وأرادوا أن يعظموا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا : نحن نريد أن نعطيك وضعا في التعظيم أكثر من أي كائن ونريد أن نسجد لك . فَوَضَّحَ النبي صلى الله عليه وسلم لهم : أَنَّ السجود لا يكون إلا لله .

إذن فالذين تكلموا مسلمون ، وكاثوا يقصدون بذلك تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولو أن رسول الله وافقهم لكان معنى ذلك أنه يخرجهم عن الإسلام، ولا يتصور أن يصدر هذا عن سبدنا وحبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم أو عن غيره من الأنبياء عليهم السلام .

والحق سبحانه يقوله:

عَنْ وَإِذَا فَذَاللَهُ مِيثُنَقَ النِّيتِينَ لَمَا عَاتَيْتُكُمُ وَيَوْلُ مُصَدِقً مِن حِتْنِ وَحِكْمَةٍ ثُمّ جَاءَ حَكُمُ رَسُولُ مُصَدِقً لِمَا مَعَكُمُ لَتُوْمِئُنَ إِيهِ وَلَتَنصُرُنَهُ فَالَ عَالَمُ مُرَدُّمُ وَلَمَا مَعَكُمُ لَتُوْمِئُنَ إِيهِ وَلَتَنصُرُنَهُ فَالَ عَالَمَ مَا فَرَرَتُهُ وَالمَا مَعَكُمُ مِن الشَّا عِلِينَ وَلَتَنصُرُنَا قَالَ فَاللَّهُ اللَّهُ وَالمَا مَعَلَمُ مِن الشَّاعِدِينَ وَالنَّا مَعَلَى ذَالِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرُرُنا قَالَ فَاللَّهُ اللَّهُ وَا وَانَا مَعَكُم مِن الشَّاعِدِينَ اللهُ اللَّهُ اللَّلَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّه

هذه الآية تجعلنا نتعرف على أسباب بعث الحق لموكب الرسل ، ونعرف جميعا أن المنهج الأول قد أنزله الله على أدم عليه السلام متضمنا كل ما يجعل الحياة تسير إلى انسجام ، وبلّغ آدم أولاده هذا المنهج كما علمهم أمور حياتهم ، تماما مثلما يعلم الأب أيناءه ما يخدم أمور حياتهم ، كما يضوم إ بإبلاغ الأبناء مطلوب الدين ، والأبناء يبلغون أبناءهم ، ويتواصل البلاغ من جيل إلى جيل كى يكتمل وصول المنهج للذرية ، ولكن مع توالى الزمن وثنابعه نجد أن بعضا من مطلوبات الدين يتم نسيانها .

إن هذا دليل على أن الناس قد غفلت عن المنبج ، وهكذا نرى أن الغفلة عن المنبج الما تتم على مراحل ، فبعد بلاغ المنبج نجد إنسانا يغفل عن جزئية ما في هذا المنبح ، وتنبهه نفسه وتلومه على تركه لنلك الجزئية ، ونسمى صاحب هذا الموقف بصاحب النفس اللوامة ، إنه يفعل السيئة لكن نفسه تعود إلى اليقظة لمنبج الله ؛ لأنه يتمتع يوجود خلية المناعة الإيمانية فيه ، وهناك إنسان أخر يستمرىء المخالفة للمنبج وتلح عليه نفسه بالمخالفة ؛ إنه صاحب النفس الأمارة بالسوء ، وتتوالى به دواعى ارتكاب السيئات ، ومثل هذا الإنسان يحتاج إلى غيره من خارج نفسه ليلفته إلى الحير .

○○+○○+○○+○○+○○+○\s\A

وماذا يحدث للمجتمع إذا صار أفراده جميعا من أصحاب النفس الأمارة بالسوء ؟

إن معنى ذلك أن القساد قد طم ، ولابد من عبى ، وسول ؛ لأن مواد الحق سبحانه هو هداية اثناس ، لقد خلفنا سبحانه وله كل صفات الكيال ، ولم يضف خلفنا إليه شيئا . وها هوذا الحديث القدسي الذي رواه أبوذر رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال :

« يا عبادى إن حرمت الظلم على نفسى ، وجعلنه بينكم محرما فلا تظالوا ، يا عبادى ، كلكم خال إلا من هديته فاستهدون أهدكم ، يا عبادى ، كلكم جائع إلا من أطعمته ، فاستطعمون أطعمكم ، يا عبادى ، كلكم عار ، إلا من كسوته ، فاستكسون أكسكم ، يا عبادى ، إنكم تخطئون بالليل والنهار ، وأنا أغفر الذئوب فاستكسون أكسكم ، يا عبادى ، إنكم لن تبلغوا ضرى فنضرونى ، ولن تبلغوا تقعى فتنفعونى ، يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أنقى قلب رجل واحد منكم ، لو أن أولكم وأخركم وإنسكم وجنكم كانوا على وأخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من أولكم ملكى شيئا ، يا عبادى ، لو أن أولكم وأخركم وإنسكم وجنكم ، قاموا في صعيد ملكى شيئا ، يا عبادى لو أن أولكم وأخركم وإنسكم وجنكم ، قاموا في صعيد ملكى شيئا ، يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم ، قاموا في صعيد واحد ، فسألون فأعطيت كل إنسان مسألته ، ما نقص ذلك بما عندى إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر ، يا عبادى ، إنما هى أعمالكم أحصبها لكم ، ثم أوفيكم إياه ، فمن وجد خيرا فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه ي(١)

إن الله سبحانه وتعالى قد خلفنا وهو من الأزل إلى الأبد ، في تمام صفات الكيال ولم يضف له هذا الحلق شبتا ، فهو القائل :

﴿ مَآ أَرِيدُ مِنْهُم مِن رَزْقِ وَمَآ أَرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿ إِذَا لَذَا هُوَ ٱلْزَاقُ ذُو ٱلْفُوَّةِ ٱلْمَنِينُ ۞ ﴾

(صورة الذاريات)

⁽۱) رواه مسلم والترمذي وابن ماجه .

إذن فعندما يشرع لنا الحق أمرًا فهو يشرعه لمصلحتنا ؛ إنه سبحانه يجب لصنعته أن تظفر بسعادة المنهج ؛ لذلك أنزل المنهج « بافعل ولا تفعل » وحين يقول المنهج : وافعل ولا تفعل » وحين يقول المنهج ؛ افعل ولا تفعل » فهو لا يريد أن يجدد حرية الحركة على الخلق إلا بما يحميهم ، إنه يجدد حرية هنا ليحمى حرية هناك . فعندما حرم الله السرقة ـ على سبيل المثال ـ فالأمر شامل لكل البشر ، فلا يسرق أحد أحدا .

إن الحق سبحانه حين منع يدّ واحدٍ من السرقة ، كان في ذلك منع لملايين الأيدي أن تسرق من هذا الإنسان ، وفي هذا حماية لكل البشر من أن يسرق إنسان إنسانا اخر ، وفي ذلك كسب لكل إنسان ، فساعة تأخذ التشريع لا تأخذه على أنه مطلوب منك ، ولكن خذه على أنه مطلوب منك ومطلوب لك أيضا .

ومثال آخر، لقد حرم المنهج على العبد المؤمن أن يمد عينيه إلى محارم غيره ، ولم يكن هذا التحريم لعبد واحد، إنما لكل إنسان مؤمن ، وبذلك لا تمتد أى عين إلى محارم هذا العبد ، لقد جاء الأمر لك بغض البصر عن محارم غيرك وأنت واحد ، وكففنا من أجلك ملايين الأبصار كيلا تمند إلى محارمك ،

إذن فكل عبد مؤمن يكسب حياة مطمئة من وجود التشريع ، وكل التشريعات إنما جاءت لصالحنا جميعا ، ولذلك كان الحق رحيها بنا لأن رَكْب الرسل قد تواصل واستمر في الكون منذ آدم ، وإلى محمد صلى الله عليه وسلم ، والمنهج الذي جاء به كل هؤلاء الرسل لا تناقض فيه أبدا ، لأن في هذا المنهج مصلحة للخلق ، لذلك فلا يمكن أن يكون موكب رسول قد أي ، ليناقض موكب رسول آخر .

لكن ما الذي يأن بالتناقض بين الأديان والمشرع واحد ؟ وكل الناس عيال له ؟

إننا نبرى، الرسل من التناقض ، وإن حاول البعض أن يصوروا الأمر كذلك فلنعلم أن أتباع الرسل هم الذين يريدون لأنفسهم سلطة زمنية يتحكمون بها في الدنيا ، فالذين كانت لهم سلطة زمنية في دبن كاليهودية أو النصرائية فعلوا ذلك .

وعندما جاءت النصرانية على اليهودية قال أحبار اليهود : نحن لا نريد النصرانية لماذا ؟ لأن السلطة الزمنية كانت في أيديهم ، ولو أن هؤلاء الأحبار ظلوا باقين على

(現)(現) ○○◆○○◆○○◆○○◆○○◆○ \«V·♡

ما أنزله الله عليهم من منسهج لقبُلُوا يدى أى رسول قادم شاكرين له مقدمه ومجيئه وقالوا له : ساعدنا على أن نعمق فهمنا لمنهج الله . . إذن فالحلاف لا يجدث إلا حين توجد أهواه لها سلطات زمنية ، وموكب الرسالات من يوم أن خلق الله الإنسان هو منهج منساند لا متعاند .

وحينها يأى رسول ليجد أناسا غير مؤمنين بإله فالمشكلة تكون سهلة ، لانه سيلفتهم إلى إله واحد ، وبالمنهج الذي يريده الله ، لكن المشكلة تكون بحيرة مع الجهاعة التي لها رسول وهم منسوبون إلى السياء ، فإذا ما جاء رسول من الله فهو يجيء وهؤلاء الأنباع قد أخذوا من ادعائهم بالانتساب لرسالة وسول سابق سلطة زمنية كما حدث مع البهود والنصاري ، فتعصبوا للدين الذي كانوا عليه متناسين ان كبارهم قد حرفوا المنهج لحساب السلطة الزمنية .

وقد استمر موكب الرسل إلى الخلق ليحمى الله الخلق من سيادة الانحراف واصطفى الله أمة محمد صلى الله عليه وسلم لتحمل الأمانة فلن يأتي لها رسول بعد محمد صلى الله عليه وسلم ؟ لأن الله قد ضمن بقاء الخير في هذه الأمة ، فإذا رأيت أناسا بالغوا في الإلحاد فتى أن هناك أناسا زادهم الله في المدد حتى يجدث التوازن ؟ لأن الجي هو الفائل :

﴿ وَلَتَكُن مِنكُرُ أَمَّةً بَدَّعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهُونَ عَنِ الْمُنكِّ وَأَوْلَكَهِكَ مُمْ الْمُقْلِحُونَ ﴿ ﴾

رُ سورة أل عمران }

وفي موضع أخر من القرآن الكريم يقول الحق سبحانه :

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أَنْوِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِاللَّمْرُونِ وَتَنْهُونَ عَنِ الْمُنكِّرِ وَتُؤَمِّنُونَ وَاللَّهِ وَلَوْ وَامْنَ أَمْلُ الْكِنْفِ لَكَانَ خَيْرًا لَمْمُ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفُلْسِقُونَ

€ ⊕

@10V1@@+@@+@@+@@+@@+@

إذن فإن امتنع الوازع النفسى في النفس اللوامة عند فرد من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فسوف يأتي أناس مسلمون ينبهونه إلى المنهج ، والحق سبحانه وتعالى لا يعصم الناس من أن بخطئوا فهو القائل :

﴿ وَالْعَصْرِ فَ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَنِي خُسْرِ فَ إِلَّا الَّذِينَ وَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ
وَتَوَاصَوْاْ بِالْخَنِّ وَتَوَاصَوْاْ بِالصَّارِ فَي الْمُسَارِ فَي ﴾

(سورة العصر)

إن الحق جاء يكلمة « وتواصوا » ، ولم يات بكلمة « وصوا » وذلك لنفهم أن التوصية أمر متبادل بين الجميع ، فساعة يوجد إنسان في لحظة ضعف أمام المنهج توجد لحظة قوة عند غيره فيوصيه .

وترد هذه المسألة أيضا إلى الموصى ، فقد تأى له لحظة ضعف أمام المنهج ، فيجد من يوصيه وهكذا نرى أنه لا بوجد أناس مخصوصون ليوصوا ، وآخرون مهمتهم تلقى التوصية ، إنما الأمر متبادل بينهم ، وهذا هو التكافل الإيمان ، والإنسان قد يصعف في مسألة من المسائل فيأى أخ مؤمن يقول له : ابتعد عن هذا الضعف ، إن هذه المسألة تحدث بالتناوب لمقاومة لحظات الأغيار في النفس البشرية ، لأن لحظات الأغيار لا تجعل الإنسان يثبت على حال ، فإذا ما رأينا إنسانا قد ضعف أمام التزام ما فعلينا أن نتواصى بالحق ونتواصى بالصبر ، وأنت أيضا حين تضعف ستجد من أخوتك الإيمانية من يوصيك .

هذا هو الحال في أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، أما الأمم السابقة عليها فقد كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، ولذلك كان لابد أن تتدخل السهاء وتأتى برسول جديد ومعه معجزة جديدة تلفت العقول لفنا قسريا إلى أن هناك أشياء تأتى بها المعجزة ، وهي خرق ناموس الكون ، وفي ذلك لفت من الله للناس إلى مناطق القدرة .

واخد الله الميثاق على الأنبياء بأن يبلغ كل نبى قومه هذا البلاغ ، انتظروا أن

○○+○○+○○+○○+○○+○ \equiv (equiv (equ

ترسل إليكم السماء رسلا ، وساعة يجيء الرسول الميلغ عن الله منهجه فكونوا معه ، وأيدوه .

كان الرسل عليهم جميعا السلام مأمورين أن يضعوا في المنهج ، وصلبه أن السهاء حينها تندخل وتأتى برسول جديد فلابد أن يتبعه أقوامهم ، وألا يتعصبوا ضد الرسول المقادم ، بل يسلمون معه ويرحبون به ؛ لأن الرسول إنما يجيء ليعاون الناس على المنهج الصحيح ، لكن الأنباع الذين يعشقون السلطة الزمنية تعمدوا التحريف ، ومن أجل أن يحمى الحقّ خلقه من هذا المرض أنزل المبثاق الذي أخذه على النبين ، فقال :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَنَقَ ٱلنَّبِيئِينَ لَمَا ءَاتَيْتُكُمْ مِن كِنَئْبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولُ مُصَـدِقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتَوْمِئنَ بِهِ ء وَلَتَنصُرُةً ﴿ ﴾

(من الآية ٨١ سورة آل عمران)

قد يقول قائل: إن هذا القول يصلح عندما يأتي رسول معاصر لرسول مثلها عاصر شعيب سيدنا موسى عليه السلام ، وكها عاصر لوط سيدنا إبراهيم عليه السلام ، ونقول : هذا بجدت مأيضا وإن لم تتعاصر الرسل ، فالحق سبحانه قد أراد لكل رسول أن يعطى لقومه البلاغ الواضح ، وإن لم يتعاصر الرسولان فلابد أن يعطى الرسول مناعة ضد التعصب ، فها داموا قد آمنوا بالرسول واتبعوه فعليهم بعطى الرسول مناعة ضد التعصب ، فها داموا قد آمنوا بالرسول واتبعوه فعليهم حسن استقبال الرسول القادم من بعد رسولهم ، وكان على كل رسول أن يبلغ قومه : كونوا في انتظار أن تتدخل السهاء في أي وقت ، فإذا تدخلت السهاء في أي وقت من الأرقات ، وجاءت برسول مصدق لما معكم فإياكم أن تقفوا منه موقف المضارة ، وإياكم أن تقفوا منه موقف المعاوة ، بل عليكم أن « تنصروه » وهذا قول واضح وجل ولا لبس فيه .

﴿ وَإِذْ أُخَذَ آللَهُ مِثَانَ ٱلنَّبِيِّئَ لَمَا ءَا نَيْنَكُمْ مِن كِنَنْبِ وَحِثْمَةٍ ثُمُّ جَآءَكُمْ وَسُولُ مُصَدِّقُ لِمَا مَعَكُمْ ﴾

(من الآية ٨١ سورة آل عمرالا)

ونقول في شرح معني : ﴿ رسول مصدق لما معكم ﴾ .

إن الدين يأتى بقضايا متفق عليها ؛ لأن العقائد واحدة ، والأخبار واحدة ، والقصص واحد ، لكن الذي يختلف هو الحكم النشريعي الذي قد يناسب زمنا ولا يناسب زمنا أخر ، فإذا جاء الرسول بكتاب مصدق لما معكم في الأمور الدائرة في منهج العقائد ، أو منهج الأخبار أو منهج القصص فلابد لكم أن تصدقوه .

لكن اليهود لم يفعلوا ذلك ؛ لأن الرسول جاء ليعبد هداية الجهاعة التى آمنت بالرسل والتى تؤمن بإله ، وكان مجيء محمد صلى الله عليه وسلم بالمنهج الواضح العقيدة والأخبار الصحيحة غير المحوفة والقصص التى تدعم المنهج كها جاء بالتشريع المناسب وكان مجيء النبى الخاتم مزلزلا لمن استمرءوا السلطة الزمنية ، فمنهم من أصر على اتباع رسولهم فقط وبالمنهج الذى تم تحريفه ورفضوا اتباع الرسول الجديد ، ومنهم جماعة أخرى آمنت ، بالرسول صلى الله عليه وسلم ، وكانت هناك جاءة ثالثة تؤمن برسول آخر ، والحبية نأني نتيجة للتعصب ، ولذلك كانت دعوة الإسلام هي لنصفية العقائد ، ودعوة لكل متبع لأى رسالة سابقة أن يدرس ويناقش ، هل الدين الخاتم قد جاء تما يختلف عن الأديان السابقة في المقائد ؟ أو حياء مصدقًا لها ؟

لقد جاء الدين الخاتم مصدقاً لما سبقه في العفائد والأخبار والقصص وإن اختلف في التشريعات التي تناسب زمنا ولا تناسب زمنا آخر ، فكأن الحق سبحانه وتعالى أراد أن يعصم البشرية من العصبية الهوجاء ، والعصبية العمياء التي تنشأ من اتباع رسول لتقف مدا حائلا أمام رسول آخر ؛ فالله حين أرسل كل رسول قد أعطاء الأعبار والحقائق وأنه سبحانه قد أخذ الميثاق على كل نبى أرسله بأن يكون على استعداد هو والمؤمنون معه لتصديق كل رسول يأتي معاصرا ومصدقاً لما معهم ، وأن يؤمنوا به ، وأن يبلغ كل رسول أمته بضرورة هذا الإيمان .

لماذا ؟ لأن الحق سبحانه وتعالى يريد من الركب الإيمان المتمثل في مواكب الرسل الا يكون بعضهم لبعض عدوًا ، بل عليهم أن يواجهوا أعداء قضية الدين كلها . فالذي يجعل الإلحاد متفشيا في هذا العصر هو أن المنسوبين إلى الأديان السياوية مختلفون ، وربما كانت العدواة بينهم وبين بعضهم أقوى من العدواة بينهم وبين

الملحدين والمنكرين لله ، وهذا الاختلاف يعطى المجال للملحدين فيقولون : لوكانت هذه الأديان حقا لاتفقوا وما اختلفوا ، فيا معنى أن يقول أتباع كل رسول: إنهم يتبعون رسولا قادما من السياء ؟

إن الملحدين يجدون من اختلاف أتباع الديانات السهاوية فرصة ليبذروا في الناس بذور الإلحاد ، ولا يجدون تكتلا ولا قوة إيمانية لمن يؤمن بالسهاء أو بمنهج السهاء لكن الحق سبحانه يقول : « وإذ أخذ الله ميثاق التبين » وهذا يعني أنه سبحانه قد أخذ المبثاق على كل نبي ساعة أرسله أنه قد آناه الكتاب والحكمة ، وأنه إذا جاءكم رسول مصدق لهذا الكتاب، وتلك الحكمة فعليكم الإيمان به ، ولا يكفي إعلان الإيمان فقط ، بل لابد أن يكون النبي ومن معه في نصرة الرسول الجديد نقول : ولو عمل أتباع كل نبي بهذا العهد والمبثاق لما كان فؤلاء الملحدين حجة ويضيف سبحانه : وقال ، وأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا » والإقرار سيد الأدلة كها يقولون ؛ والإصر هو العهد الشديد ، ولذلك يقال : « آصرة المودة » أي الرابطة الشديدة المعقودة ، وقال الموكب الإيمان للأنبياء موجهين إقرارهم الله تعالى الرابطة الشديدة المعقودة . وقال الموكب الإيمان للأنبياء موجهين إقرارهم الله تعالى ومشهودا عليه ومشهودا به .

ومادام الحق سبحانه هو الذي يقول للنبيين الذين أخذوا منه العهد والميثاق الحق : وفاشهدوا » ، إذن فهم في موقف الشاهد ، وما المشهود عليه ؟ وما المشهود به ؟ هل يشهدون على أنقسهم ؟

أو يشهد كل نبى على الأنبياء الأخرين؟

أو يشهد أنه قد بلغ أمنه هذا القرار الإلمي ؟

إن الرسول يشهد على أمته ، وأن الأنبياء يشهد بعضهم لبعض .

إذن قد يكون الشاهد نبيا، والمشهود له نبى آخر، والمشهود به أن يؤمنوا بالرسول القادم وينصروه. وقد يكون الشاهد النبى ، والمشهود عليه هى أمنه بأنه قد بلغها ضرورة الإبمان بالرسول الفادم بمنهج السهاء ؛ لأن الأمة مادامت قد آمنت بوسول فعليهم مؤازرة هذا الرسول ، ومؤازرة مَنْ يأتى من بعده ، وذلك حتى لا يتبدد ركب الإيمان زمام باطل الإلحاد :

﴿ لَتُوْمِنُنَ بِهِ * وَلَنَنْصُرِنَهُ مَ قَالَ مَا فَرَرْتُمْ وَاخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُ لَهِ إِصْرِى قَالُواْ أَفْرَرْنَا قَالَ فَالْمَرْنَا فَالَ الْمُورِيْنَ وَإِنْكُ الْمُورِيْنَ فَالْمَا أَفْرَرْنَا فَالَ فَالْمُهُورِينَ ﴾ فَاشْهَدُواْ وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ ٱلشَّهِدِينَ ﴾

(من الآبة ٨١ سوية أل عمران)

ولنرتب الشهادات التي وردت في هذه الآية الكريمة : الأنبياء يشهد بعضهم على بعض ، أو الأنبياء يشهدون على أمهم ، ثم شهادة الله على الأنبياء .

ومادام الأمر قد جاء بهذا التوثيق فعلينا أن نئبه أنه إذا ما وجدنا دينا سابقا يتعصب أمام دين لاحق ، بعد أن يأى هذا الذين بالمعجزة الدالة على صدق بلاغ ذلك الرسول عن الله فلنعلم أنهم خانوا هذه القضية . وسبب ذلك إنما يرجع إلى أن الله يريد أن يحتفظ للدعوة إلى الإيمان ، بانسجام نام ، قلا يتعصب رسول لنفسه ولا لقوميته ولا لبيئته ، ولا يتعصب أهل رسول لملتهم أو تحلتهم ؛ لأنهم جميعا مبلغون عن إله واحد لمنهج واحد ، فيجب أن يظل المنهج مترابطا فلا يتعصب كل قوم لنبيهم أو دينهم ، وهذا ليكون موكب الرسالات موكبا منلاهما منساندا متعاضدا ، فلا حجة من بعد ذلك لنبي ، ولا لتابع نبي أن يصادم دعوة أي رسول يأتى ، مادام مصدقا لما بين يديه .

لقد أعلمنا الحق أنه قد عرض شهادة الأنباء على بعضهم ، وشهادة الأنباء على أمهم ، وشهادة الله سبحاته على الجميع ، وذلك أرثق العهود وآكدها : ولذلك فكل من استمع لهذا يجب أن ينصر أي رسول بأني مصدقا لما معه ، وبذلك يزداد موكب الإيمان تأزرا وتلاحما ، فلا يأتي مؤمن برسالة من السماء ليصادم مؤمنا آخر برسالة من السماء . وحين يتكاتف المؤمنون برسالة السماء ، وحين يتكاتف المؤمنون برسالة السماء ، وجين يتكاتف المؤمنون برسالة السماء ، وبعد هذا البيان الواضح بقول الحق :

﴿ فَمَنْ تُوَلِّى بَعْدُ ذَالِكَ فَأَوْلَتِمِكَ هُمُمُ الْفَكَ هُمُمُ الْفَكَسِيقُونَ ﴿ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّلَّا اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّل

معنى « تولى » هى مقابل « أقبل » . و « أقبل » تعنى أنه جاء بوجهه عليك . و تولى اعرض كما نقول لحن فى نعبراتنا الشائعة : « أعطان ظهره » . ومعنى هذا أنه لم يأبه لى ، ولم يقبل على . إذن فالمراد مِنَّ أَخَّذُ العهدِ أن يُقبل الناسُ على ذلك الدين ، فالذى يُعرض ويعطى الإيمان الجديد ظهره يتوعد ، الله ويصفه بقوله : « قمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون » بعد ماذا ؟ إنه التولى بعد أخذ العهد والميثاق على النبيين ، وشهادة الأمم بعضها على بعضها ، وشهادة الله على الجميع ، إذن فلا عذر الأحد . فمن أعطى ظهره للنبي الجديد ، فإذا يكون وعيد الله له ؟

إن الحق بصفهم بقوله: و فأولئك هم الفاسقون و أى أن الوعيد هو أن الله يحاسبه حساب الفاسقين و والفسق - كها نعلم - هو الحروج عن منهج الطاعة . والمعانى - كها تعرف - أخذت وضعها من المحسوسات . لأن الأصل في الوعى البشرى هو الشيء المحس أولا ، ثم تأى المعنويات لتأخذ من ألفاظ المحسوسات . والفسق في أصل اللغة هو خروج الرطبة عن قشرتها و فالبلح حين يرطب ، يكون حجم كل شرة قد تناقص عن قشرتها . وحينها يتناقص الحجم الطبيعي عن القشرة تصبح الفشرة قضفاضة عليه و وتصبح أى حركة عليه هي فرصة لانفلات الرطبة من قشرتها .

ويقال : ﴿ فَسَقَتَ الرَّطِبَةِ ﴾ أَى خَرِجَتَ عَنْ قَشَرَتُهَا . وَأَخَذَ اللَّذِينُ هَذَا التَّعْبِيرُ وجَعَلُه وصَفاً لَمْ يَخْرِج عَنْ مَنْهِجُ الله ، فَكَأَنْ مَنْهِجُ الله يَحْبِطُ بِالْإِنْسَانُ فَى كُلْ تُصرفاتُه ، فإذا ما خَرِجِ الإنسانُ عَنْ مَنْهِجُ الله ، كَانْ مثل الرَّطِبَةُ التَّى خَرَجَتَ عَنْ قَشْرَتْهَا .

ولحن أمام فسق من لوع أكبر، فهناك فسق صغير، وهناك فسق كبير. وهنا

01*YY 00+00+00+00+00+00+0

نسأل أيكون الفسق هنا مجرد خروج عن منهج طاعة الرسول ؟ لكن هذا الخروج يوصف به كل عاص ، أى أن صاحبه مؤمن بمنهج وفسق جزئيا ، إننا نقول عن كل عاص : فإنه فسق أى أن صاحبه مؤمن بمنهج وفسق جزئية من هذا المنهج ، أما الفسق الذي يتحدث عنه الحق هنا فهو فسق القمة ؛ لأنه فسق عن ركب الإيمان كله ، فإذا كان الله قد أخذ العهد ، وشهد الأنبياء على أمهم ، وشهدت الأمم بعضها على بعض ، وشهد الله على أبعد ذلك تكون هناك فرصة لأن يتولى الإنسان ويعرض ؟

ثم لماذا يتولى ويعرض؟ إنه يفعل ذلك لأنه يريد منهجا غير هذا المنهج الذي أنؤله الله ، فلوكان قد اقتنع بمتهج الله لأقبل على هذا المنهج ، أما الذي لم يفتنع فإنه يعرض عن المنهج ويطلب منهجا غيره فأى منهج تريد يا من لا ترضى هذه الشهادة ولا هذا المتوثيق؟ خصوصا وأنت تعلم أنه لا يوجد منهج صحيح إلا هذا المنهج ، فليس هناك إله اخر يرسل مناهج أخرى .

وهكذا نعرف أنه لا يأن منهج غير منهج الله ، إلا منهج من البشر لبعضهم بعضا ، ولنا أن نقول لن يتبع منهجا غير منهج الله : من الذي جعل إنسانا أولى بأن يتبعه إنسان ؟ إن النابع لابد أن يبحث عمن يتبعه ، ولابد أن يكون الذي يتبعه أعلى منه ، لكن أن يتبع إنسان إنسانا آخر في منهج من عنده ، فهذا لا يليق ، وهو فسق عن منهج الله ؛ لأن المساوى لا يتبع مساويا له أبدا ، ومن فضل الله سبحانه أنه جعل المنهج من عنده للناس جميعا حتى لا يتبع إنسان إنسانا آخر ، لماذا ؟ حتى لا يكون هوى إنسان مسيطرا على مقدرات إنسان آخر ، والحق مبحانه لاهوى له . إن كل إنسان يجب أن يكون هواه تابعا لله الذي خلق كل البشر .

ومادام ليس هناك إله آخر فيا المنهج الذي يرتضيه الإنسان لنفسه ؟

إن المنهج الذي يرتضيه الإنسان لنفسه لو لم يتبع متهج الله هو منهج من وضع البشر ، والمنهج الذي يضعه البشر ينبع دائها من الهوى ، ومادامت الأهواء قد وجدت ، فكل مشرع من البشر له هوى ، وهذا يؤدى إلى نساد الكون . قال نعالى : ها وقد ولو البيع الحق أهوا أما ألم المساد الكون . قال نعالى : ها ولو والو البيع الحق أهوا أهوا ألم المسكون والأرض ومن فيهن بل أكينتهم

بِلِ رُومِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُعْرِضُونَ (١٠) ﴾

(صورة المؤمنون)

فإذا كانوا لا يرتضون منهج الله ، فأى فسق هم فيه ؟ إنه فسق عظيم ؛ لأن الله قد أخذ عليهم العهد وعلى أنبيائهم ووثق هذا العهد ، أفغير الله يبغون ؟ نعم ، إنهم يبغون غير الله ومن هو ذلك الغير ؟ أهو إله أخر ؟ لا ، فليس مع الله إله آخر ، يل هم قد جعلوا الخلق مقابل الخالق ، ولللك يقول الحق سيحانه وتعالى :

عَنْ أَنْغُكَرُ دِينِ أَللَّهِ يَبِعُنُونَ وَلَهُ وَأَسْلَمُ مَن فِي السَّمَوَةِ أَسْلَمُ مَن فِي السَّمَوَةِ وَالْأَرْضِ طَوْعُنا وَكُرُها وَ إِلَيْهِ السَّمَوَةِ وَالْأَرْضِ طَوْعُنا وَكُرُها وَ إِلَيْهِ السَّمَوَةِ وَكَرُها وَ إِلَيْهِ السَّمَوَةِ فَي السَّمَوَةِ فَي السَّمَاءِ فَي السَّمَاءُ فَي السَّمَاءِ فَي السَّمَاءُ وَالْمَاءُ فَي السَّمَاءُ وَالْمَاءُ وَالْمَاءُ وَالْمَاءُ فَي السَّمَاءُ وَاللَّهُ فَي السَّمَاءُ وَالْمَاءُ وَالْمَاءُ وَي السَّمَاءُ وَالْمَاءُ وَلَامِ وَالْمَاءُ وَالْمَاءُ وَالْمَاءُ وَالْمَاءُ وَالْمَاءُ وَالَامِ وَالْمَاءُ والْمَاءُ وَالْمَاءُ وَالْم

إنهم ماداموا غير مؤمنين برسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى أرسله الله نبيا ورسولا فإن ذلك يكشف رغبتهم فى أنهم يريدون منهجا غير منهج الله ، وليس أمامهم إذن إلا مناهج البشر النابعة من الأهواء ، والني تقود حتى إلى الضلال ، إن الحق سبحانه وتعالى يريد خلقه أن يكونوا منطقيين مع أنفسهم ، إنه الحق سبحانه وتعالى قد أوضح لنا فى منهجه ، وقال لنا هذا المنهج : أنتم مستخلفون فى الكون ، وانظروا وأنتم أيها الخلفاء فى الأرض سادة هذا الكون ، سادة يخدمكم الكون كله ، وانظروا إلى أجناس الوجود تجدوها فى خدمتكم ، الحيوان أقل منكم بالفكر ، والنبات أقلى من الحيوان بالحس . والجهاد أقل من النبات .

إذن فأجناس الكون من حيوان ونيات وجماد ترضخ لإرادتك أيها الإنسان ، فالنبات يخدم الحيوان والحيوان يخدمك أيها الإنسان ، والجياد يخدم الجميع ، والمعناصر التي نأخلها نحن البشر من الجهاد يستقيد منها أيضا النبات والحيوان . إذن فكل جنس في الوجود قراه بعينيك إنما يخدم الأجناس التي تعلوه .

الجهاد يخدم النبات .

والجهاد والنبات يخدمان الحيوان.

والجهاد والنبات والحيوان في خدمة الإنسان، وأنت أيها الإنسان تخدم من؟

كان من واجب عقلك عليك أيها الإنسان أن تفكر فيمن ترتبط به ارتباطا يناسب سيادتك على الأجناس الأخرى ، كان لابد أن تبحث عمن أعطاك السيادة على الأجناس الأخرى .

هل أنت أيها الإنسان قد سخرت هذه الأجناس بقدرتك وقوتك؟

لا ؛ فلست تملك قدرة ذاتية تتبح لك ذلك ؟ أما كان يجب عليك أن تفكر ما هى القوة التى سخرت لك ما لا تقدر عليه ، فخدمتك حين لا توجد لك قدرة ؛ وخدمتك وأنت نائم تغط فى نوم عميق ؟ أما كان يجب أن تفكر هذا الفكر ؟ إنك أيها الإنسان يجب أن تكون منطقيا مع نفسك ، وأن تبحث لك عن سيد يناسب سيادتك على غيرك ، والكون لا يوجد فيه سيد عليك ؛ لأن الكون محس ، فإن جاءك من يحدثك بأن غيبا هو الإله يطلب أن تكون فى خدمته فيجب أن تقول : د إن هذا كلام منطقى بالنسبة لوضعى فى الكون ، وبعد ذلك انظر إلى الكون ، فأنت فى الكون لست وحدك بل هناك أجناس أخرى ، وكل جنس من الأجناس له قانونه وله مهمته ، للحيوان مهمة ، وللنبات مهمة ، وللجهاد مهمة . فهل وجدت جنسا من الأجناس تمود على مهمته ؟ لا .

إن الحصان مثلا ، تستخدمه كمطية عليها وسادة من حرير وجلد ولها لجام من فضة لتركبه ، وتجد هذه المطية في يوم آخر تحمل سهاد الأرض من روث الحيوان وما تأبت ، لقد أدت الحدمة لك راكبا ، وأدت الحدمة لك ناقلا ، وما تمردت عليك أبدا . كل الأجناس _ إذن _ تؤدى مهمتها كها ينبغى ، فاستقام الأمر فيها ، ومادام الأمر قد استقام فيها ، فبأى شيء استقام ؟ إن الله هو الذي خلقها ذللها ، قال لها : وكونى في خدمة الإنسان مؤمنا كان أو كافرا ، وفي هذا الأمر عدالة الربوية ، فلا تتاخر أو تشذ عن حركتها في خدمة الإنسان .

ارأى احدكم الشمس مرة قالت : لم يعد الخلق يعجبونني ، ولن أشرق عليهم

00+00+00+00+00+0\10\10\

وسأحتجب اليوم ١٤ أتمرد الهواء وقال : لا ، إن الحلق لم تعد تستحق تنفس الهواء ، الذلك لن أمكنهم من الانتفاع بي .

أرأينا المطر امتنع؟ هل استنبت الإنسان أرضا صالحة للزراعة واستعصت عليه؟ لا . . فكل شيء في الوجود يؤدي مهمته تسخيرا وتذليلا .

لذلك يقول الحق:

﴿ وَذَلَلْنَاهَا لَمُنْمُ فِينَهَا رَكُوبَهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُونَ۞ وَلَمُهُمْ فِيهَا سَنَفِعُ وَمَصَادِبُ ۗ أَنْ لَلَا يَشْكُرُوذَ ۞ ﴾

(سورة يس)

والحق سبحانه وتعالى يطلق بعضا من الحبوان فلا يذلل ، ولا يستأنس ، وذلك حتى تعلم أيها الإنسان أنك لم تستأنس الجمل بقدرتك فإن كانت لك قدرة مطلقة على الكون فاستأنس بعض لعابين هذا العالم أو استأنس الأسد . و أنت أيها الإنسان ترى في هذا الكون بعضا من الحبوانات والمخلوقات شاردة مثل النعابين والحبوانات المتوحشة . يغير استئاس ليدلنا الحق على أن هذا الذي يخدمك لولم يذلله الله لك لما استطعت أنت بقدرتك أن تذلله ، إنه تذليل وتسخير وخضوع غذه المخلوقات منحه استطعت أنت بقدرتك أن تذلله ، إنه تذليل وتسخير وخضوع غذه المخلوقات منحه الله تعالى لك أيها الإنسان تفضلا منه _ سبحانه _ مع عجزك وضعفك .

ولم نجد شيئا نافعا قد عصى الإنسان في الكون ، لأن كل الحلق مسخر من الله لحدمة الإنسان كافرا كان أو مؤمنا ، وهذا هو عطاء الربوبية ، لأن عطاء الربوبية يشمل الحلق جميعا ، فالحالق الأكرم هو رب الناس كلهم ويتولى تربيتهم جميعا ، ولذلك تستجيب الأجناس من غير الإنسان للإنسان سواء أكان مؤمنا أم كافرا . فإن أحسن الكافر استخدام الأسباب فإن الأسباب تعطيه ولا تعطى المؤمن اللي المستخدم الأسباب ، أو لا يُحسن استخدامها فهذا هو عطاء الربوبية ، والربوبية للجميع . أما عطاء الأوهية فهو و افعل ولا تقعل ؛ وهو عطاء للمؤمنين فقط .

فإذا كانت هذه هي صورة الكون وهو يؤدي مهمته بلا شذوذ فيه ، ومنسجم في ذاته انسجاما عجيبا فلنا أن نسأل ۽ من أين جاء الخلل في الكون ؟ ۽ إن الخلل قد جاء منك أيها الإنسان . ولهذا فنحن لا نجد فسادا في الكون إلا وللإنسان مدخل قيه ، أما مالا مدخل للإنسان فيه فلا فساد فيه أبدا .

أرأيت أحدا قد اشتكى من أن الهواء قصر ؟ لا .

لماذا ؟ لأن أحدا لا دخل له بمسألة الهواء هذه أبدا ، صحيح أننا نتدخل فى الهواء بتلويثه بالعادم والفضلات ، وصحيح أيضا أن الحق يُكرم الخلق باكتشافات قد تصلح من هذا الفساد إذن ، فحين يتدخل الإنسان فإن الشيء قد يفسد . لكن هل معنى ذلك ألا نتدخل ؟ هل نقف من الكون مكتوفى الأيدى ؟ لا ، بل يجب أن نتذخل فى الكون ، ولكن بمنهج الله .

إنك إن تدخلت في الكون بمنهج الله ، فكل شيء يسير كما يسير الكون الذي لا منهج له إلا الحضوع والتسخير ، فكما أدت الشمس مهمتها والجماد مهمته ، والحيوان مهمته ، وأنت أيها الإنسان مطلوب منك أن تؤدي مهمتك ، وهي أن تطبع الله ، تلك الطاعة التي تتلخص مطلوباته منك في : و الممل كذا ولا تفعل كذا ، فإن التظمت مع المنهج بدء العل ، وو لا نفعل ، تكن قد السجمت مع الكون .

إن الله سبحاته يزيِّل هذه القضية ويُفتمها باستفهام تنقطع وتنفطر له قلوب المؤمنين :

(سورة أل عمران)

إن كل شيء في السياوات وفي الأرض قد أسلم لله طوعا أو كوها . وإذا ما تساءلنا ، وما معنى و طوعا ؟؛ فالإجابة هي طاعة التسخير، كما قالت السياوات والأرض في النص القرآني الحكيم :

﴿ ثُمُّ ٱسْتَوَىٰ إِلَى ٱلسَّمَا و وَمِي دُخَادٌ فَقَالَ لَمَا وَلِلْأَرْضِ ٱلَّتِيَا طَوْعًا أَوْ كُرْهَ أَ قَالُمُنا

أُنْبَنَا طُآبِعِبنَ ١

(سورة تصلت)

فكل ما لا تكليف له جاء طائعا مسخوا ، وما معنى : «كرها » ؟ إن بعضا من العلماء قد قال : إن «طوعا » تشمل أجناس الملائكة ، والجهاد ، والنبات ، والحيوان ، فكل منهم يؤدى مهمته بخضوع ولا يعترض أحد منهم ولا يملك أحدهم قدرة على العصيان ، وأما عن «كرها » فقد فهم بعض العلماء أنهم الناس الذين يخدمون الناس بالقوة كالعبيد مثلا ، ولهؤلاء نقول : لا يصح ولا يستقيم أن نعطى خصوم الإسلام فرصة ليقولوا إن الإسلام قد أكره أحدًا من البشر أن يخدم أحدا كرها ؛ لأن الحق سيحانه قال :

﴿ لَا إِحْدَاهَ فِي اللِّينِ قَد تَبَيْنَ الرُّشَدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَسَكُفُرُ إِللَّهُ عَلَيْهُ وَيُوْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ السَّنْسَاكَ بِاللَّهُ وَقَ الدُّونَانَ لَا انفِصَامَ مَنْ وَاللَّهُ مَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿ اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿ اللَّهُ مَا اللَّهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ مُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللّ

(سورة البقرة)

فيادام الله لم يكره أحدًا على الإيمان به فكيف يكره إنسانا ليخدم إنسانا آخر ١٢ ولهذا فإننا يجب أن نفهم كرها على وضعها الحقيقي ، والحق سبحانه أبلغنا أن هذا الكون كله مسخر له ، لأنه سبحانه هو الذي خلقه ولا إله غيره وهذه مسألة مسلم بها ، فالكون كله لله ، وهو المدبر والقاهر له ، قال الحق :

﴿ مَا الْخَذَ اللهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَنهِ ۚ إِذَا لَنَهَبَ كُلُّ إِلَنهِ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهِ عَلَى يَصِفُونَ ﴿ ﴾

﴿ صورة المؤمنون ﴾

ومادام هو الواحد وهو الخالق فلن يتمرد أحد على مراده ، وكان يجب أن يقهم الإنسان مهمته على أنه هو الوحيد الذي كلفه الله ؛ لأن بقية الأجناس لا اختيار لها وهي غير مكلفة كما كلف الله الإنسان بـ « افعل » و« لا تفعل » إذن فالتكليف فرع

@10AT@@+@@+@@+@@+@@+@

الاختيار ؛ فالمنهج يقول لك : « افعل كذا ولا تفعل كذا ؛ لأنَّ الذي وضعه يعلم أنه قد خلفك صالحاً لأنَّ تفعل ما يأمرك به ، وصالحاً لأن تفعل ما لا يأموك به .

إن اليد .. مثلا . مخلوقة لتتحرك حسب إرادة صاحبها ، بدليل أن الإرادة إن شُلت وانقطع الخيط الموصل للإرادة الأمرة إلى الجارحة الفاعلة عندئذ بحاول الإنسان المصاب بدلك .. والعياذ بالله .. أن يرفع بده فلا يستطيع ، فاليد مسخرة الإرادة الإنسان ، وإرادتك أيها الإنسان عندما تسير في ضوء منهج الله فإنك توجهها في ضوء و افعل ، ود لا تفعل ، .

وعندما يقال لك مثلا : « لا تضرب بها أحدًا » فمعنى ذلك أن اليد صالحة لأن تضرب ، وعندما يقال لك : « خذ بيد العائر » فيدك قادرة على أن تأخذ بيد العائر ، فأنت مخلوق على ميئة الطواعية من جوارحك لأرادتك ، ويأتى المتهج ليقول لك : « نفذ الإرادة في كذا » . .

إذن فالإنسان عندما يتبع المنهج فهو يتفق مع الأشياء المسخرة تمام الاتفاق، ويؤدى كل شيء على خير أداء، لكن متى يختلف الإنسان عن الانسجام مع الأجناس الأخرى في الكوث ؟ إن الإنسان يختلف عن الانسجام عندما لا يطبق المنهج، فيشذ عن الركب في الكون كله، ولتقرأ قوله صبحانه وتعالى:

﴿ أَلَرْ ثَرَأَنَّ اللهُ يَسَجُدُلُهُ مِن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي اللَّارِضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمْرُ وَالنَّجُومُ وَالِخْبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدِّوَآبُ وَكَثِيرٌ مِنَ آلنَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن ثُينِ اللهُ قَمَا لَهُ مِن مُحَصِيعٍ إِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ۞ ﴾

(سورة الحج)

إنها الأجناس كلها ساجدة ، الشمس ساجدة ، القمر ساجد ، والنجوم ، والجبال ، كل هذه الجهادات ساجدة ، وكذلك الشجر والنبات ساجد للله ، والحيوان والدواب ساجدة لله ، وكثير من الناس سجود ، لكن في مقابل هذا الكثير الساجد من البشر ، هناك كثير غير ساجد لذلك حق عليه العذاب ، ولو أن الإنسان قد أخذ

منهج الله فنفذه لصار كبفية الأجناس ، لكن الإنسان اختلف ، وقال : ؛ أنا سوف آخذ اختبار تحمل الأمائة ، لأن عالم وعاقل ؛ كما جاء في القول الحق :

﴿ إِنَّا عَرَضْ اللَّهُ مَانَةَ عَلَىٰ السَّمَوْتِ وَالأَرْضِ وَالِحُيَالِ فَأَمَيْنَ أَن يَجْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُـولًا ﴿ ﴾

(صورة الأحزاب)

فلو أخذ الإنسان منهج الله في و افعل ، وو لا تفعل ، ، لانسجم الإنسان مع الوجود كله وحين ينسجم الإنسان مع الوجود كله فلن ثاتي منه مخالفة أبدا كما لا ثأتي شائحة في الوجود من غير الإنسان ، وعند ذلك يصبح الكون مثاليا في الانسجام . ونحن نعرف أن الطموحات العلمية حين تعمل وتشغل العقل في أمر ما فإنها تريد الخير ، ولكنها تعلم شبئا ، ويغيب عنها شيء اخر ، ولو أخذوا عن الله العليم بكل شيء لصارت الدنيا إلى انسجامها .

إن المخترعين الذين صمموا المحركات التى تتحرك يسائل البنزين قاموا بتسهيل الحركة على الإنسانية ، ولكن العادم والمخلفات الناتجة من البنزين صنعت ضروا بالكون ، ودليل ذلك أن العلماء الآن يبحثون عن أساليب لمقاومة تملوث البيئة . وعندما كان الوقود هو الحطب لم يكن هناك تملوث للبيئة ، لماذا ؟ لأن كل عنصر كان يؤدى مهمته ، فجزء من احتراق الحطب كان يتحول إلى كربون ، وجزء آخر يتحول إلى غازات ، وتنصرف كل الأشباء إلى مساراتها .

إن هذا يدلنا على أن الإنسان قد دخل إلى المخترعات المعاصرة بنصف علم . لقد قدر الإنسان أنه يربد تخفيف الحركة ، وينقل الأثقال ويختصر المسافات ، لكنه لم ينظر إلى البيئة وتلوثها ، فنشأ عادم يفسد البيئة ، لكن لو كان عند الإنسان القدرة الشاملة على العلم لكان ساعة اختراع هذه المحركات قد بحث عن وضع معادلة لتعدل من فساد العادم .

ولننظر إلى عظمة الحق، إنه يترك للعقل البشرى أن يتقدم. ولكن العقل البشرى قاصر وينسى من الأشياء ما ينتج عنه الضرر أخيرا. إن الذبن اخترعوا

المبيدات الحشرية كانوا يظنون أنهم فأموا بفتح جديد في الكوان ، وتشاء إرادة الحق أن يقوم بتحريم هذه المبيدات القوم أنفسهم الذبن اخترعوها ؛ لأنهم وجدوا منها المضرر ، لذلك بقول الحق سبحانه :

﴿ قُلَ مَلْ نَنْدِفُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿ اللَّذِينَ ضَلَّ سَعَيْهُمْ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَمُمْ يَحْسُبُونَ أُنَهُمْ يُعْسِنُونَ صُنَّعًا ﴿ أَوْلَتَهِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَايَنْتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآمِهِ وَمُمْ يَعْمَ مُنْعًا ﴿ أَوْلَتُهِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَايَنْتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآمِهِ وَمُمْ يَعْمَ مُنْمُ يَوْمَ الفِينَدَةِ وَزْنًا مِثِينَ ﴾

(سورة الكهف)

إنك إن أردت أن تكمل صنعتك فابحث عن الحسن في ضوء منهج الله ، والحق سبحانه يضرب لنا المثل الواضح . إننا نعرف أن عادم صناعتنا ضار كعادم المصانع والسيارات وغيرها ، لكن عادم خلق الله في الحيوان نافع ، فالإنسان يأخذ روث الحيوان ويصنع منه السياد ليزيد من خصوبة الأرض ، والعجيب أن فضلات الحيوان التي تعطى خصوبة للأرض لا نجد فيها شيئا يقزز ، ولا نجد لها الرائحة التي ترجد في فضلات الإنسان ، لماذًا ؟

لأن الحيوان يأكل على قدر حاجته ، إن الحيوان قد يجد أمامه أصنافا كثيرة ، مثل الحشيش الجاف اليابس ، وأمامه النعناع الأخضر ، فلا يأكل النعناع الأخضر ويأكل الحشيش اليابس ، وإذا شيع الحيوان امتنع عن الطعام ، ولذلك لا يُحرج فضلات كريهة الرائحة ، لكن الإنسان ينوع ويلون ويأكل فوق طاقته وبحث شهيته على الانطلاق والانفلات ، إن الحيوان لا اختيار له ، ومحكوم بالغريزة ويجد أمامه هذا الذي يؤكل وذلك الذي لا يؤكل فيختار بغريزته المناسب له ، وإذا امتلأت البطن لا يأكل ؛ لأنه عكوم بالغريزة والتسخير المطلق ، لكن الإنسان يتمتع بالاختيار ، فأفسد عليه هذا الاختيار وأبعده عن منهج الله وجعله بما لديه من قدرة بتجاوز الاكتفاء بحدود الشبع .

وهكذا نرى بوضوح أن الكون كله أسلم لله طوعا في المسخوات . وإياك أن تقهم أن هناك إسلاما بالقهر والإكراء . وبعض العلماء قد فاتهم ذلك ، وهم يعطون خصوم الإسلام حجة فيقولون: وإن دينكم انتشر بإكراه السيف و ولذلك نقول لهم : لا ، إن أحدا لم يسلم كرجا أبدا و لأن السيف إنما رقع لشيء واحد هو حماية حرية الاختيار. إن السيف قد رُفع ليمتع الإكراه ، وليمنع تسلط بعض الناس بقوتهم ليجبروا الناس على عقائدهم فقال لهم السيف : و قفوا عند حدكم ، ودعوا الناس أحرارا في اختيار ما يعتقدون و ، ودليل ذلك أن البلاد التي فتحها الإسلام تجد فيها غير المسلمين ، ولو كان الأمر فتحا بالسيف لما وجدنا ديانات أخرى . غير الإسلام ، نجدهم أيضا يتشدقون بذلك ويزيدون و إنكم تفرضون جزية و .

وتقول لهم : أنتم تردون على أنفسكم ، نحن لم نقرض جزية على المؤمن ولكن الكافر تركناه على كفره ، والجزية يدفعها الكافر ليدافع عنه المؤمنون لو أصاب البلاد مكروه .

إذن فكيف نقهم قوله الحق بأن هناك من أسلم كرها؟

نحن نفهمها كالآن: إن الإنسان هو الذي انقسمت عنده المسائل ، وفيه أمور تدخل في فعله ومواداته ، وفيه أمور تحدث قهرا عنه ، وتحدث له بلا إرادة ولا اختيار ، فالإنسان يكون مختارا في الفعل الذي يقع منه ، أما الفعل الذي يقع عليه أو فيه فلا دخل له فيه بالاختيار ؛ إن أحدا منا لا يختار يوم ميلاده ، أو يوم وفاته أو يوم إصابته بالمرض ، والإنسان الذكي هو الذي يعرف ذلك ونقول للإنسان الذي لا يعرف أو يتجاهل ذلك : أيها الإنسان دعك من الغباء ؛ إن هناك زوايا من حياتك أنت مجبر فيها على أن تكون مسلها لله كرها إنك تسلم لله دون إرادتك في كثير من الأمور التي تقع عليك ، ولا تستطيع لها دفعا ، فلهاذا نقف في الإسلام عند زاوية الاختيار ؟

إن المسخرات كلها مسلمة نق ، والإنسان فيها يقع فيه أو عليه من أمور لا يستطيع دفعها . هو تسليم نله كرها من الإنسان ، وهكذا نرى أن قيادة التسخير فيها ليس لك دخل فيه أيها الإنسان هي مسلمة نله ، مثلك في ذلك مثل كل الكائنات ، أفلا يجب عليك أن تسلم بكل زوايا حياتك ؟ فلو كان هناك إنسان كافر بكل ما فيه من أبعاض غمل هذا الكافر ألا يسلم بأى شيء من جوارحه د هل يستطيع أن يجنعها من أن تؤدى عملها ؟

ولنر ما سيحدث له لابد أن يتوقف عن التنفس ؛ لأن التنفس بحدث رغها عنه ، لا يد أن يوقف دقات قلبه ؛ لأنها تدق رغها عنه ، ومادام هناك من يستمرى، الكفر فليحاول أن يجعل كل ما فيه كانرا ، ولن يستطيع ؛ بل سيجد أنه بجب أمورا ولا تأتى له ، ويكره أمورا وتنزل به ، ولن يفلت أحد من الإسلام نله ، لأن الله قد اختار لكل إنسان يوم المبلاد ويوم الموت ، واختار الله للإنسان أن تجرى الأحداث فوقه ولا يستطيع دفعها ، ويصبح خاضعا رغم أنفه ، لذلك قال الحق : د وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجمون » .

إذَن ولنَاخذ * طوعا * لغير الإنسان * وللمؤمن الذي نفذ تعاليم المنهج * ولنَاخذ * كرها * في المسائل التي لا دخل لاختيار الإنسان فيها ونقع عليه وهو يكرهها * ولا يستطيع دفعها * لأن الذي يجربها عليه هو الخالق الفعال لما يربد * ومادامت هناك زاوية من حياتك أيها الإنسان أنت مكره فيها فلهاذا تمردت في المسألة الاختيارية ؟

كان يجب أن يأخذ الكافر هذه النقطة ويقول للكفر: ولا ، ويتجه إلى الإيمان ؛ لأن المؤمن يأخذ هذه النقطة ويقول : أنا أربد أن أنسجم مع الكون كله حتى لا تطغى ملكة على ملكة ، ولا تطغى إرادة على إرادة أخرى ، وهذه وحمة من الله بالحلق .

وحين يسلم الإنسان منهجه لله فإنه يفعل ما يطلبه المنهج ولا يفعل ما يحرمه المنهج ومن يريد أن يقف في و افعل و وو لا تفعل » ، نقول له : إذا فعلت ما الذي يستفيده الله منك ؟ وإذا لم تفعل ما الذي يضر الله منك ؟

لاشيء، إن عليك أن تفكر جيدا فالأمر إنما يُرد أو يتمرد عليه إن كان للآمر فيه مصلحة ، وحيث إنه لا مصلحة للحق سبحانه وتعالى في مراداته من الحلق إلا إصلاح الحلق ذاته ، إذن فمنهج الحق هو لمصلحة الإنسان ، وأول ما يصاب به من يقف في منهج الله أنه يصبح ضد نفسه ، ولا ينسجم مع الكون ، فإن كان هناك من يريد ألا يسلم ، فليجرب نفسه بالأيسلم في المفهورات التي هو مفهور عليها ، وهذا أمر مستحيل .

ولنقرأ الموقف القرآن بدقة ، لنرى أنه الحق بعد القسم وبعد العهد وبعد الإشهاد

عليه ، قال لنا : « أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السهاوات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون » . إن من يبغى غير دين الله ليس منطقيا مع نفسه أو مع الكون و لأن الكون كله لله بما قيه ومن فيه من السهاوات والأرض ، وكذلك الإنسان اللذي اوتضى منهج الله ، وأيضا أسلم الكافر الله فيها ليس له فيه اختيار .

وأسلم ، في هذا السياق القرآن الكويم تعنى أنه خضع وسُخر ، وقُهر على أن ينفذ ، ولكن الحق سبحانه أورد عن السياء والأرض فقال: قالتا أثينا طائعين ، إن المالوف أن ترضخ السياء والأرض لأمر الله ، وعندما ، قالتا أثينا طائعين ، فقد كسبت المالوف أن ترضخ الإسلام الله ، فإلى الله كل مرجع فالإنسان _ مؤمنا كان أو كافرا _ سيعود إلى الله حتيا .

وكلمة « يرجعون » التى نأق فى تذبيل الآية بمكننا أن نراها فى مواقع أخرى من الغرآن مرة تأتى مبنية للمفعول وننطقها « يُرجعون » بمعنى أنهم مقهورون على الرجوع إلى الله ، ونجدها فى مواقع أخرى فى القرآن كفعل مبئى للفاعل فننطقها « يُرجعون » ، أى أنهم يريدون الإسراع فى العودة إلى الله ، وفى هذه الآية نفهم أن اللين يبغون غير دين الله لا يرغبون أن يعودوا إلى الله لذلك يتم إرجاعهم بالقهر ، فسبحانه وتعالى يقول :

﴿ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِجَهُمَّ دُعًّا ﴿ ﴾

(سورة الطور)

ويقول الحق سبحاله من بعد ذلك :

﴿ قُلْ عَامَنَا بِاللّهِ وَمَا أَنْ زِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَعْقُوبَ عَلَى إِبْرُهِيسَمَ وَإِلَيْنِيْوُبَ وَاللّهِيتُوبَ وَاللّهِيتُوبَ وَاللّهِيتُوبَ وَاللّهِيتُوبَ وَاللّهِيتُوبَ وَاللّهِيتُوبَ وَاللّهِيتُوبَ مُوسَىٰ وَاللّهِيتُوبَ وَاللّهِيتُوبَ وَاللّهِيتُوبَ وَاللّهِيتُوبَ وَاللّهِيتُوبَ وَاللّهِيتُوبَ وَاللّهِيتُوبَ وَاللّهِيتُوبَ مُوسَىٰ وَاللّهِيتُوبَ وَاللّهِيتُوبَ وَاللّهِيتُوبَ وَاللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهُ اللّهِ اللّهُ اللّهِ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ

◎测键 ○\#\(\) ○○◆○○◆○○◆○○◆○○◆○

وِن زَيْهِمْ لَاثْفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدِ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ. مُسْلِمُونَ ۞ ﴿

عندما تنظر إلى هذه الآية بخواطرنا فإننا نجد أن الحق يجزج الرسول والمؤمنين به والمرسل إليهم في الإيمان به ، ويتحدث إلى الرسول والمؤمنين كوحدة إيمانية ، إن قول الحق : « قل » هو خطاب لمفرد هو النبي صلى الله عليه وسلم ، والمقول : « آمنا » دليل على انسجام الرسول مع الأمة المؤمنة به ، فكأن الأمة الإسلامية قد انصهرت في « قل » ، وكأن الرسول موجود في « آمنا » ، وبذلك يتحقق الامتزاج والانسجام بين الرسول وبين المؤمنين به ، ويصير خطاب الحق إليهم هو خطاب لوحدة إيمانية واحدة لا انقصام فيها .

وقد جاء الحق بهذا الأسلوب ليوضح لنا أن الرسول لم يأت ليتعالى على أمنه ، بل جاء ليحمل أعباء هذه الأمة ، ولذلك قلنا من قبل : إن للرسول صلى الله عليه وسلم إيمانين ، لقد آمن بالله ، وآمن للمؤمنين ، وهو صلى الله عليه وسلم سيشفع لنا ، لأنه قد أدى مؤدى يسع أمنه كلها ، لقد أنم البلاغ وخضع للتكليف بما يسع أمنه كلها ، لقد أنم البلاغ وخضع للتكليف بما يسع أمنه كلها ، ولذلك يقول الحق : «قل آمنا » ، كان القياس أن يقول : «قل آمنت » أو أن يقول : «قولوا آمنا » . لكن الحق في قرآنه الكريم يضع كل كلمة في موضعها ، فتصبح الكلمة جاذبة لمعناها ، ويصبح كل معنى عاشقا لكلمته ، وقد قال الحق هنا : «قل آمنا » ليتضع لنا أن محمدا رسول ممتزج في أمنه ، وأمة الإسلام في طواعية لمرسولها ، والأمر يأتي لرسول الله من الحق سبحانه ، والتنفيذ لهذا الأمر يكون من الجميع ، وفي هذا إشعار للخصوم أن الرسول صلى الله عليه وسلم ميكون ذا عصبية إيمانية قوية ، فلو قال : «قل آمنت » لكان معنى ذلك أن الرسول في هيرهم وجاء على يديه فتع مكة كها قال الحق :

﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ إِنَّ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ٢٠

وعندما نقرأ قوله الحق : « قل آمنا بالله وما أنزل علينا » فلنا أن نلتفت إلى أن العلماء لهم وقفة في مسألة الإنزال ، فمرة يقول الحق :

﴿ وَٱلَّذِينَ بُوْمِنُونَ بِمَا أَيْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أَيْزِلَ مِن قَبْلِكَ وَمِا لَآكِذِ رَوَحُمْ بُوقِنُونَ ﴾ الله وَاللَّذِينَ بُوْمِنُونَ بِمَا أَيْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أَيْزِلَ مِن قَبْلِكَ وَمِا لَآكِذِ مَا يَوْمِنُونَ ﴾

ومرة أخرى يقول الحق:

﴿ وَمَا أَوَلَنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَنَبَ إِلَّا لِنَبَيِنَ لَمُهُ ٱلَّذِى الْخَتَلَقُواْ فِيهِ وَهُدُى وَرَحْمَةً لِفَوْرِمِ يُؤْمِنُمُونَ ۞ ﴾

(سورة النحل)

وهكذا نجد أن « الإنزال » يأتي مرة متعديا بـ * إلى » ، ويأتي مرة أخرى متعديا « بعلى » . وقال بعض من العلماء : إن الكلام حينها يكون موجها لرسول الله علمي الله عليه وسلم فالحق يقول : * أنزل عليك » ، وكأن هؤلاء العلماء ـ دون قصد منهم ـ يفصلون بين يلاغ الله للرسول عن البلاغ إلى أمة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولم يلتقتوا إلى أن الغاية من إنزال المنهج على الرسول هو هداية الأمة .

ونحن نقول : إن علينا ألا تأخذ الأمر بسطحية من أسلوب ظهر لنا ؛ ذلك أن هناك أسلوبا خفيًّا ، وهو أن « إلى » وه على » إنما تقيدان أن المتهج نزل للأمة والرسول صلى الله عليه وسلم ؛ فمرة يأن الحق بالنزول متعديا بـ « إلى » والخطاب موجه للرسول صلى الله عليه وسلم كقوله الحق :

﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أَنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ ثَرَىٰٓ أَعْبُنَهُمْ تَفِيضٌ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَّفُواْ مِنَ ٱلْخَيَّةُ يُقُولُونَ رُبَّنَا ۚ وَالنَّا مَا كُنُبُنَا مَعَ ٱلشَّلِهِ بِنَ ﴿ ﴾

(صورة الثائلة)

وموة يأتن الحق بالنزول متعديا بـ : على » والخطاب مومجه للرسول صلى الله عليه

وسلم كقوله الحق:

﴿ وَمَا أَرَكْنَا عَلَيْكَ الْكِتَبَ إِلَّا لِنُبَيْنَ لَمُمُ الَّذِي الْخَتَلَقُواْ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةُ لِقُورِ ﴿ وَمَا أَرَكْنَا عَلَيْكَ الْكِتَبَ إِلَّا لِنُبَيْنَ لَمُمُ الَّذِي الْخَتَلَقُواْ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةُ لِقُورِ ﴿ وَمَا أَرَكْنَا عَلَيْكَ الْكِتَبَ إِلَّا لِنُبَيْنَ لَمُمْ الَّذِي الْخَتَلَقُواْ فِيهِ وَهُدًى

(سورة التحل)

ومرة ثالثة بأي الحق بالإنزال في حديث إلى المؤمنين :

﴿ وَقَدْ تَزَّلَ مَنْ يَكُرُ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ وَأَيْتِ اللّهِ يُكَفَّرُونِهَا وَ يُسَتَهَزَأُ وَبَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعْهُمْ حَقَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِةٍ ۚ إِنْ لَكُمْ إِذَا يَتَلَهُمْ مَ أَنَّ اللّهُ جَامِعُ اللّهُ عَالِمِعُ اللّهُ مَا لَكُمْ اللّهُ مَا اللّهُ تَعْلَمُهُمْ مَا أَنَّهُ مَا مِعُهُمْ جَعِيمًا ﴿ اللّهُ مَا لَكُنْ فِي مِنْ وَالْكُنْ فِيرِينَ فِي جَهَنَّمْ جَعِيمًا ﴿ ﴾ اللّهُ تَنْفِقِينَ وَالْكُنْفِرِينَ فِي جَهَنِّمْ جَعِيمًا ﴿ ﴾

(سورة النساد)

إنه كتاب منزل من السباء وملحوظ فيه العلو ، والغاية من النزول هو مصلحة الأمة ، فالإتيان بـ (على) يقيد العلو ، ولمصلحة الأمة ، ه والعلية ، هنا لنزيد مقام المنهج بالنسبة للمؤمنين فهو قد نزل لمصلحتهم . إذن فالنزول يقتضى «علية » ، وهو من حيث العلوياتي بـ ه على » ، ومن حيث الغاية يأتي بـ ه إلى » ، فهو منهج نزل من الحق الأعلى ونزل إلى الرسول وعلى الرسول ليبلغه إلى المؤمنين لمصلحتهم . ولذلك قلنا : إننا إذا رأينا حكما يقيد من حرية الفرد فلا يصح أن نفهم أن الله قد قصد هذا الفرد ليقيد حريته ، إنما جاء مثل هذا الفيد ليقيد الملايين من أجل حرية القرد ، مثال ذلك ساعة بحرم المنهج السرقة على الإنسان ، فهو أمر لكل إنسان من الملايين وهو لمصلحة كل إنسان ، فالقرآن قد نزل لمصلحتك ، ومصلحة المؤمنين جميعا .

وعندما نقرأ قوله الحق : ﴿ قُلَ آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسهاعيل وإسحق ويعقوب والأسباط ، وما أوق موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم وتحن له مسلمون ، . فهذا القول يوضح أن الرسول صلى

الله عليه وسلم إنما جاء بمنهج يضم صحيح العقائد والقصص والأخبار ، وهو يوافق إما جاء في موكب الرسالات من يوم أن خلق الله الأرض وأرسل الرسل. وقد أخذ الله العهد على الأمم والأنبياء من قبل ، بأنه إذا جاء رسول مصدق لما معهم ليؤمنن به ، وكذلك أخذ الله العهد على رسولنا صلى الله عليه وسلم بأن يؤمن بالرسل السابقين ، فهو صلى الله عليه وسلم لم يأت ليهدم أدبانا ، ولكن ليكمل أديانا ، وهكذا قرى النص القرآني الجليل :

ع الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُرُّ دِبنَكُرُ وَأَثْمَتُ طَلَيْكُرُ فِمْسَنِي وَرَضِيتُ لَكُرُّ الإِسْلَامَ ديئاً ﴾

(من الآية ٣ سورة الماثلة)

كأن الأديان السابقة بكل ما جاء فيها من صحيح العقائد ، والقصص ، والأخيار موجودة في الإسلام ، وفوق كل ذلك جاء الإسلام بشرائع تناسب كل زمان ومكان ، ولذلك قال الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث شريف :

إذن فزمام كل الأمر انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد أخذ الله العهد على غيره أن يصدقوه عندما يجيء ، وهو صلى الله عليه وسلم آمن وصدق بمن سبق من الرسل ، ولن يجيء من بعده شيء يطلب من رسول الله ولا من أمنه أن يصدقوه ، وقال الحق تذييلا لهذه الآية الكريمة : « ونحن له مسلمون » .

أى أنه لا يوجد لأتباع أى رسول من الرسل السابقين ما يعطيهم سلطة زمنية ، بل المسألة كلها تبدأ من الله ، وتنتهى إلى الله . وتلك هي القضية النهائية في موكب

⁽١) رواه البخاري ومسلم.

الرسالات. ومادام الإسلام هو ذلك الانقياد الذي يختاره الإنسان لنفسه ليكون منسجها مع نفسه في الإسلام لله ، ويكون انسجاما مع الكون الأخر وما يحتويه من حيوان ونبات وجماد وغيرها في أنه أسلم خضوعا لله ، وبذلك يصبح الكون بما فيه الإنسان المؤمن المسلم لله كله مسخرا لله سبحانه وتعالى . ومادام الكون بالإنسان قد صار مسخرا لله فلا تضاد في حركة لتعاند حركة أخرى ؛ لأن الذي يهيمن هذه الهيمنة هو الذي وضع لكل إنسان في مجان حركته في الحياة قانونا يمصمه من أن يصطدم بغيره ، وإذا كان البشر قد استطاعوا أن يضعوا لأنفسهم معايير تمنع التصادم في الحركة ، ذلك التصادم الذي يؤدى إلى كوارث ومصائب .

مثال ذلك ، لننظر إلى السكك الحديدية ، ألا يوجد موظف اسمه ، المحولجي ، ؟ ومعنى عذه الوظيفة هو أن القائم بها يقوم بتحويل الفاطرة القادمة من طريق معين إلى مسار محدد حتى لا تدهم قاطرة أخرى جاءت من الطريق نفسه . إن ذلك من فعل الإنسان فيها صنع من قطارات ومواصلات ، لقد صنع أيضا وسائل تمنع تصادمها ، فها بالنا بالحق ـ وله المثل الأعلى ـ وهو الذي خلق الإنسان ؟ إنه سبحانه قد وضع المهج حتى لا تصطدم حركة في الوجود بحركة أخرى .

ولننظر إلى الأشياء التى جاءت يقانون التسخير، والأشياء التى دخلت فى ظل الاختيار. أسمعنا أن جملين سارا فى طريقين متعارضين واصطدم الجمل بجمل ؟ لم يحدث ذلك أبدا، فالجمل يفادى نفسه وما يحمل من الجمل الأخر وما يحمله، لكننا نسمع عن تصادم سيارة مع سيارة، ذلك أن السيارة لا تسير بداتها بل تسير بقيادة إنسان مختار، وهو الذي يصدم وهو الذي قد تأتى منه فى غفلته الكوارث.

إذن فتصادم حركة بحركة إنما ينشأ في الأمور الاختيارية ، أو غفلة إنسان عن مهمته ، كغفلة ي المحوبلي ، عن عمله في تنظيم مرور القطارات ، لكن تصادم حركة في الوجود بحركة أخرى في الوجود هو أمر مستحيل ، ولا يجدث أبدا ؟ لأن الأمر الذي مازال في يد المهيمن الأعلى ، مهيمن الأرض والسياء ، وهو الله الذي يسير الكون منسجها ويعرفنا بصفاته فيقول : « أفله لا إنه إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ، ومعناه : أن أنا القائم بأسبابكم ومدير أمركم ولا أنام أو تأخذنا سنة أو غفلة أي فناموا أنتم فقد سخرت الوجود كله من أجلكم .

ومادام الأمر في الإسلام مكذا ، والوجود يتسجم مع نُفسه ، فلهاذا تشدّ أنت أبها الإنسان عن الوجود؟ ولماذا تشدُّ عن ملكات نفسك؟

لماذا لا تكون منسجها مع الكون؟ إنك إن انسجمت مع نفسك ومع الكون صرت الإنسان السعيد.

وفى عصرنا الحديث نرى ارتقاء العالم ماديا بصورة عالية ، بحيث يقع الحدث في أمريكا مثلا فنراء على شاشة التليفزيون فورا ، ويركب الإنسان مركبا صاروخيا إلى الفضاء ولكن هلى استراح العالم ؟ لا ، لقد ازداد العالم عناء ، وكأنه يكد ذهنه ويرهق العلماء في معاملهم لابتكار أشياء تعطى للعالم مزيدا من القلق والاضطراب وتتصادم وتتعارض . وبذلك صار الكون لا يقرغ أبدا من حرب باردة أو ساخنة .

كل ذلك إنما ينشأ من إدارة أمور العالم بأهواء البشر ، فلسنا جمعا مردودين إلى منهج واحد يأمرنا فناغر ، وينهانا فننتهى ، بل كل إنسان يتبع فى عمله هواه ، لذلك ثرى الفلق والاضطراب ، ونرى الصرخات تملأ الدنيا من أهوال ومصائب ، منها مثلا المخدرات وغيرها. إن الذى يدمن المخدرات هو إنسان غير راض عن واقع حياته ، فلا يريد مواجهة حياته ، إنما يحاول الهرب منها بالإدمان ، ونقول لمثل هذا الإنسان : ليس هذا حلا للمشكلة ، لأن الإنسان عندما تأتيه مشكلة فهو يجتاج عقلا على عقله ليواجه هذه المشكلة ، وأنت بهذا الإدمان إنما تضيع عقلك ، رغم أنك مطالب بأن ليواجه هذه المشكلة ، وأنت بهذا الإدمان إنما تضيع عقلك ، رغم أنك مطالب بأن المروب غباء وقلة فطنة فالمشكلة زادت تعقيدا ونقول للمجتمعات التي تشكو من مثل المحاديا لو أخذتم شرائعكم من منهج الله لكان ذلك حماية لكم من مثل تلك هذه البلايا لو أخذتم شرائعكم من منهج الله لكان ذلك حماية لكم من مثل تلك الكوارث .

وهكذا نرى أن كل الابتكارات تُوجه دائها إلى الشر أولا ، فإذا لم يوجد لها مبدان شر فإننا نوجهها إلى الخير ، ويا لبنه خير خالص لوجه الله ، لا ، إنه خير مجتح ومنحرف عن الخير لأن الذي لا يملك هذا اللون من الاختراعات كالشعوب النامية والعالم الثالث قد جعله المخترعون بوساطة هذه الاكتشافات والمخترعات مستعبدا ومقهورا لهم ، إنهم جعلوا تقدمهم استعبادا وإذلالا لغيرهم وإن تظاهروا بغير ذلك .

لماذا يحدث كل ذلك ؟ لأننا لم نكن منطقين _ كما يجب _ مع أنفسنا ولا مع واقع

الأمور النهوضية التى نحن فيها فالطموحات العلمية التى لا حد لها لا يصح أن تسبب لنا كل هذا التعب ، بل كان المفروض بعد الوصول إلى تحقيق هذه الطموحات أن تستريح ، ولكن لِمَ لم يحدث هذا ؟ لأن زمامنا نحن البشر بيد أهوائنا ، والأهواء لبست هى اليد الأمينة ، إن اليد الأمينة هى شرع الله الذى لم يشرع إلا لمصلحة من خلق ، ومادام الإسلام يرسم طريق الأمان مع الحائق والنفس والمكون الذى نحياه ، بما فيه من الأجناس الأخرى ، إذن فالدين عند الله هو الإسلام ، وهذه هى التيجة الحتمية لذلك يقول الحق سبحانه : « وتحن له مسلمون ، ويتبعها الحق سبحانه : « وتحن له مسلمون ، ويتبعها الحق سبحانه ، وقول الحق سبحانه :

إن الغاية التي تسعد العالم كله هي دين الإسلام ، ومن يرد دينا غير ذلك فلن يقبله الله منه . فإن كان هناك من لا يعجبه تقنين السياء ويقول مندهشا : إن في هذا التقنين قسوة ؛ إنك تقطع يد إنسان ونشوهه نرد على مثل هذا القائل : إن سبارة تصدم سيارة تشوء عشرات من البشر داخل السيارتين ، أو قطار يصاب بكارثة فيشوه مئات من البشر .

ونحن عندما نبحث عن عدد الأيدى التى تم قطعها فى تاريخ الإسلام كله ، فلن نجدها إلا أقل كثيرا من عدد المشوهين بالحوادث ، وأى ادعاء بالمحافظة على جمال الإنسان مسألة نثير السخرية ؛ لأن نقتين قطع يد السارق استقامت به الحياة ، بينها الحروب الناتجة عن الهوى شوهت وأقنت المنات والآلاف ، إن مثل هذا القول سقسطة ، هل معنى تشريع العقوبة أن يجدث الذنب ؟ لا ، إن تشريع العقوبة يعنى تحذير الإنسان من أن يرتكب الذنب .

وعندما نقول لإنسان : • إن قتلت نفسا فسيتولى ولي الأمر قتلك • أليس في ذلك

حفاظ على حياته وحياة الأخرين؟ وحين بحافظ التشريع على حياة فرد واحد فهو بحافظ في الوقت نفسه على حياة كل إنسان، يقول الله تعالى :

﴿ سُورَةِ الْبُنْرَةِ ﴾

وهكذا يصبح هذا التقنين سلبها غاية السلامة ، إذن فقول الحق سبحانه : ٥ ومن يبتخ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه ٥ يدلنا على أن الذي يشرع تشريعا يناقض ما شرعه الله فكأنه خطأ الله فيها شرع ، وكأنه قد قال لله : أنا أكثر حنانا على الخلق منك أيها الإله ؛ لأنه قد فاتنك هذه المسألة .

وفي هذا القول فسق عن شرع الله ، وعلى الإنسان أن يلتزم الأدب مع خالفه . وليرد كل شيء إلى الله المرب ، وحين تود أيها الإنسان كل شيء إلى ربك فأنت تستريح وتربح ، اللهم إلا أن يكون لك مصلحة في الانحراف . فإن كان لك مصلحة في الانحراف أناس فقد مصلحة في الانحراف فأنت تربد غير ما أراد الله ، أما إذا أردت مصلحة الناس فقد شرع الحق ما فيه مصلحة كل الناس ؛ لللك قال الحق : « ومن يبنغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الأخرة من الحاسرين » .

وقد يقول قاتل في قوله تعالى ؛ وفلن يقبل منه و إن هذه العبارة لا تكفى في منحى اطمئنانا إلى جزاء العمل الذي أنقرب به إلى الشافائة قد يقبل وقد لا يقبل فهو مسبحانه ـ لا أحد يكرهه على شيء ، ونقول له إنك ستأنى إلى ربك رضيت أو أبيت في حاجتك إلى هذا القول ؟ لوكنت تستطيع أن تعجز الله وتفوته فلا يقدر عليك ولى خاف أمر ربك ، خق لك أن تقول ذلك ، ولكنك لا تستطيع ، فكن عاقلا ولا تتمرد على أمر ربك ، ويقول الحق : « وهو في الأخرة من الخاسرين و والخاسر : مأخوذة من ويقول الحق : « وهو في الأخرة من الخاسرين و والخاسر : مأخوذة من والحسر » و الحسر » و الحسر ، و الخاسر ؛ هو ذهاب رأس المال وضياعه ، والأخرة حياة ليس بعدها حياة ، ومن الغباء أن يقول قائل : و سوف اتعلب قلبلا ثم تنتهى المسألة و لا ، إن المسائلة ولا على المسائلة المسائلة والمناف يقول الحق مسحانه :

9101Y90+00+00+00+00+0

حَيْنُ كَيْفَ يَهْ دِى اللّهُ قُوْمًا كَفُرُواْ بَعْدَ إِيمَانِهُمْ وَشَهِدُواْ أَنَّ الرَّسُولَ حَقُّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللّهُ لايه دِى الفَوْمَ الظَّالِمِينَ (إِنَّ الْجَهَ

إننا نرى هنا الأسلوب البديع 1 إن الحق سيحانه يدعونا أن نتعجب من قوم كفروا بعد الإيمان ، إنهم لو لم يعلنوا الإيمان من قبل لقلنا : إنهم لم يدوقوا حلاوة الإيمان ، لكن الذي آمن وذاق حلاوة الإيمان كبف يقبل على نفسه أن يذهب إلى الكفر ؟ إنه التمرد المركب .

وقد يتساءل إنسان قائلا: مادام الله لم يهدهم ، فيا ذنيهم ؟ نقول له : يجب أن تتذكر ما نكرره دائيا ، لتتضع القضية في الذهن لأنها قضية شائعة وخاصة عند غير الملتزمين ، الذين يقول الواحد منهم : إن الله لم يرد هدايتي ، فياذا أفعل أنا ؟ إن ذلك استدلال لتبرير الانحراف وعثل هذا القول لا يصدر إلا من المسرف على نقسه ، ولا يأتي هذا القول أبدا من طائع لله ، إن الذي يقول : ه إن المعصبة إنما أرادها الله مني ، فيا ذنبي ؟ ه بجب أن يعرف أن الطاعة من الله ، فلهاذا لم يقل : « إن الطاعة من الله فلهاذا لم يقل : « إن الطاعة من الله فلهاذا يثينا عليها ؟ لمنذا نغفل أبها العاصي عن ذكر ثواب الطاعة ، ونقول : ه إن الله قد كتب على المعصبة فلهاذا يعذبني ؟ ه كان يجب أن نقول أيضا : « مادام قد كتب على المعصبة فلهاذا يعذبني ؟ ه كان يجب أن نقول أيضا : « مادام قد كتب على المعصبة فلهاذا يعذبني ؟ ه كان

إننا نقول لمن يبرر لنفسه الانحراف: إنك تريد أن تأخذ من الطاعة ثوابها ، وتريد أن تهرب من عقاب المعصية ، وأنت تحتاج إلى أن تفهم الأمر على حقيقته ، لقد قلت من قبل: إن ه الهداية » نأى بمعنيين » هذى » أى دل عن الطريق الموصلة للغاية المرجوة ولم يصنع شيئا أكثر من ذلك والمثال هو إشارات المرور الصهاء ؛ إن كل إشارة توضيح طريقا معينا وتهدى إليه ، وإشارة أخرى توضع طريقا آخر وتهدى إليه ، وإشارة أخرى توضع طريقا آخر وتهدى إليه ، وأشارة أركب معك الموصلك إلى غايتك ، وأصلح لك المعربة عندما تقف منك ، أو أركب معك الموصلك إلى غايتك .

إن هذه الإشارة هي هداية فقط ، أي أنها دلالة على الطريق الموصلة إلى الغاية المرجوة والله سبحانه وتعالى قد هدى الناس جيعا المؤمن منهم والكافر أيضا ، أي دقم سبحانه على الطريق الموصل للغاية , وانقسم الناس بعد ذلك إلى قسمين : قسم قبل هذا المنهج وارتضاه وسار كها بريد الله ، وساعة أن راح هذا المؤمن إلى جناب الله وآمن به ، فكأن الحق يقول له : إنك آمنت بي وبمنهجي ، لذلك ستكون لك جائزة أخرى ، وهي أن أعينك وأخفف عليك الأمور ، وهذه هي الهداية الثانية التي يعطيها الله جائزة لمن آمن به وارتضى منهجه وتعنى « المعونة » ، إن الله يعطى عبده المؤمن حلاوة الطاعة ، وبجعله مقبلا عليها بنشاط .

إذن فالهداية تكون موة و دلالة ، وتكون موة ثانية و معونة ، إنني أكرر هذا الشول حتى يتضح الأمر في أذهاننا جميعا ، ولنذكره دائها ، ونفول : من يعين الإنسان ؟ إن الذي يعينه هو من أمن به ، أما من كفر بالله ، فلا يعينه الله .

وسبق أن قلت مثلاً ـ ومازلت أضربه ـ : إن إنسانا ما يسير في طريق ثم التبس عليه الطريق الموصل للغاية كالمسافر إلى الإسكندرية مثلاً ، وبعد ذلك وجد شرطيا واقفا فسأله : أين الطريق إلى الإسكندرية ؟

فيشير الشرطى إلى الطريق الموصل إلى الإسكندرية قائلا للسائل ؛ هذا هو الطريق الصحيح إلى الإسكندرية .

إن الشرطى هنا قد دل هذا الإنسان ، لكن عندما يقول السائل للشرطى : الحمد لله آنى وجدتك هنا لانك يسرت لى السبيل ، فهذا القول يأسر قلب الشرطى ، فيزيد من إرشاداته للسائل ويوضح له بالتفصيل الدقيق كيف يصل إلى الطريق ، وينبهه إلى أى عقبة قد تعترضه ، وإن زاد السائل في شكره للشرطى ، فإن ذلك يأسر وجدان الشرطى أكثر ، ويتطوع لبركب مع السائل لبوصله إلى الطريق ، شارحا له ما يجب آن يتجنبه من عقبات ، وبذلك يكون الشرطى قد قدم كل المعونة لمن شكره .

لكن لنفترض أن رجلا آخر سأل الشرطى عن الطريق ، فكذب الرجل الرجل الشرطى ، وفي مثل هذا الموقف يتجاهل الشرطي مثل هذا الرجل ، وقد ضربت

هذا المثل للتقريب لا للتشبيه . إن الحق بدل أولا بهداية الدلالة ، وقد هدى الله الناس جميعا ، أي دلهم على المنهج ، فمن ذهب إلى رحابه وآمن به ، أعطاه الله عداية المعونة والتيسير .

علْ وَالَّذِينَ الْمُنَدُّوا زَادَهُمْ مُدَّى وَوَاتَّنَّهُمْ تَقُونُهُمْ ١٠٠٠ ﴿

ر سورة عمد)

إن الحق يعطيهم حلاوة الهداية وهي التقوى ، كأن الجق يقول للعبد المؤمن : مادمت قد أقبلت على بالإبجان فلك حلاوة الإبجان ، أما الذي يكفر ، والذي يظلم نفسه بالشرك ، فالحق يمنع عنه هداية المعونة ؛ لأنه قد رأى هداية الدلالة ولم يؤمن بها . إذن فالاستفهام في قوله تعالى : « كيف يهدى الله قوما كفروا بعد إنجانهم » هو تساؤل يراد به الإنكار والاستبعاد لا عن الهداية الأولى وهي هداية الدلالة ، ولكنه عن هداية المعونة ، أي : كيف أعين من كفر بي ؟

والمقصود بهذا القول هو بعض من أهل لكتاب الذين جاءهم نعت الرسول صلى الله عليه وسلم في كتبهم حتى إن عبدالله بن سلام وهو منهم ، يقول : لقد عرفت عمدًا حين رأيته كمعرفني لابني ، ومعوفتي لمحمد أشد ، ومصداق ذلك ما يقوله الحق سبحانه وتعالى :

﴿ اللَّذِينَ يَقَيِمُونَ الرَّسُولَ النَّبِي الْأَيْنَ اللَّيْنَ يَعِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي الثَّاوَ الْإَنْجِيلِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ ال

(سورة الأعراف)

والتعبير القرآن الدقيق لم يقل : يجدون وصفه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجبل إنما يقول الحق :

(現態 ○○+○○+○○+○○+○○+○(1111 ○

﴿ الَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَنْكُتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَينةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾

(من الآبة ١٥٧ سورة الأعراف)

كأن الدى يقرأ التوراة والإنجبل بمكنه أن يرى صورة النبى عليه الصلاة والسلام من دقة الوصف ، لقد عرفنه التوراة وعرفه الإنجيل معرفة مفصلة وشاملة ، مع نطق وقول يؤكد ذلك وهناك فرق بين أن « تعرف» وبين أن « تقول » ؛ فقد يعرف الإنسان ويكتم ما عرف ، ولكنهم عرفوا الرسول صلى الله عليه وسلم واعترفوا بذلك ، فقد كانوا من قبل يستفتحون به على الذين كفروا ، قال الحق سبحانه :

﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِنَابٌ مِنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِخُونَ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللّهُ عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا عَلَّهُ عَلَّا عَلَا عَلَا عَلَّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْكُوا عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا عَلَّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَا عَلَا عَلّهُ عَلَا عَلّهُ عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا عَلْمُ اللّهُ عَلَا عَلَا عَلّهُ عَلَا عَلّهُ

لقد أخذوا الرسول صلى الله عليه وسلم قبل مجيئه نصرة على الكافرين ، فقالوا : سيأن نبى ونتبعه ونقتلكم معه قتل عاد وإرم . فهاذا فعلوا؟ إن الحق يجيب :

(من الآية ٨٩ سورة البقرة)

إذن هم آمنوا بالرسول صلى الله عليه وسلم من قبل مجيئه ، فلما جاء كفروا به . انظر إلى العدالة من الحق سبحانه وتعالى ، حين يريد أن يدلهم على موقف الصدق والحق والكرامة الإيمانية .

﴿ قُلْ كُنَّ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ, عِلْمُ ٱلْكِتَنْبِ ﴾

(سووة الرعب)

إن الذين عندهم علم الكتاب هم اليهود والنصارى، هؤلاء يشهدون أن محمدا رسول الله، وإن القرآن بعدالته ينصف التوراة والإنجيل وهي الكتب التي بين أبديهم،

C11:100+00+00+00+00+00+0

٤ كيف يهدى الله قوما كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق ٤ لفد آمنوا به رسولا من منطوق كتبهم ، ثم أعلنوها حينها قالوا : « يأن نبى نتبعه ونقتلكم معه قتل عاد وإرم » .

فإذا كاتوا قد صنعوا ذلك ، فكيف يهديهم الله ؟ إنهم ليس لديهم الاستعداد للهداية ، ولم يقبلوا على الله بشيء من الحب ، لذلك فهو سبحانه لا يعينهم على الهداية ولو اقبلوا على الله الأعانهم قال تعالى :

(سورة عمد)

وهؤلاء لم يهتدوا ، فلذلك تركهم الله بدون هداية المعونة ، وهذا يوضح لنا معنى القول الحق :

(من الآية ٨٨ سورة النماه)

إن الذين لم يهتدوا بهداية الدلالة فلم يؤمنوا يضلهم الله أى يتركهم في غيهم وكفرهم ، أى أنه مادام هناك من لم يؤمن بالله فهل يحسك الله بهده ليهديه هداية المعونة ؟ لا ؛ لأنه إذا لم يؤمن بالأصل وهو هنداية الدلالة ، فكيف بجنحه الله هداية المعونة ؟ ومادام لم يؤمن بالله أكان يصدق التيسيرات التي بجنحها الله له ؟ لا , إنه لا يصدقها ، ويجب أن تعلم أن هداية الدلالة هداية عامة لكل خاطب خطابا تكليفيا ، وهو الإنسان على إطلاقه ، أما هداية المعونة فهي لمن أقبل مؤمنا بالله وكأن الحق يقول له : و أنت آمنت بدلالتي فخذ معونتي » أو ه أنت أهل لمعونتي » أو ه انت أهل لمعونتي » أو ستجد التيسير في كل الأمور » ، أما الذي كفر فلا يهديه الله . .

إن الحق سبحانه لا يعين الكافر ؛ لأن للعونة تقتضى ابتداء فعلاً من المُعان ، والكافر لم يفعل ما يمكن أن ينال به هذه المعونة ، فهر لم يؤمن ، لذلك بكون القول القصل : و وائله لا يهدى القوم الكافرين ، ويكون القول الحق ، وائله لا يهدى القوم الفاسقين ، ويكون القول الحق ، وائله لا يهدى القوم الظالمين ، إن هؤلاء هم

الظالمون الذين ارتكبوا الظلم الأصيل وهو الشرك بالله كها قال الحق:

اللهِ وَ إِذْ قَالَ لُقَمَانُ لِآبَدِهِ، وَهُو يَعِظُهُم يَدَبُنَى لَا تُشْرِكَ بِأَللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرِكَ لَظُلَّمُ عَظِيمٌ ﴿ ﴾ اللهُ قَالَ لُقَمَانُ لِآبَدِهِ، وَهُو يَعِظُهُم يَدَبُنَى لَا تُشْرِكَ بِأَللَّهُمْ إِنَّ ٱلشِّرِكَ لَظُلَّمُ عَظِيمٌ ﴿ ﴾ اللهُ اللهُ عَلَيْهُم اللهُ عَلَيْهُم اللهُ عَلَيْهُمْ اللهُ عَلَيْهُمُ اللَّهُ عَلَيْهُمُ اللّهُ عَلَيْهُمُ اللّهُ عَلَيْهُمُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُمُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُمُ اللّهُ عَلَيْهُمُ اللّهُ عَلَيْهُمُ اللّهُ عَلَيْهُمُ اللّهُ عَلَيْهُمُ اللّهُ عَلَيْهُمُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُمُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُمُ اللّهُ عَلَيْهُمُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُمُ اللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُمُ اللّهُ عَلِي اللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُمُ اللّهُ عَلَيْهُمُ اللّهُ عَلَيْهُمُ اللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُمُ اللّهُ عَلَيْهُمُ اللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُمُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُمُ اللّهُ عَلَيْهُ ال

والحق عندما بتركهم فإنه بزيدهم ضلالاً ، ويختم على قلوبهم ، فلا يعرفون طريقاً إلى الإيجان :

﴿ كَبْفَ يَهْدِى اللهُ قُوْمًا كَنَوْمًا كَنَوْمًا اللَّهُ مُواللَّهُ مُواللَّهُ وَمُهَدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقَّ وَجَاءَهُمُ النَّهُ لِللَّهِ مَا النَّهُ لِللَّهُ لَا يَهْدِى الْقُوْمَ الظَّلِينَ ﴿ اللَّهُ لِللَّهِ مَا الْمُبَيِّنَ وَ اللَّهُ لَا يَهْدِى الْقُوْمَ الظَّلِينَ ﴿ اللَّهُ اللَّهِ مَا اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الل

((سورة أن عمرات)}

تقد جاءهم الرسول بالأيات الدالة على صدق رسالته ، ولكنهم ظلموا أنفسهم الظلم الكبير العظيم ، وهو الشرك بالله ، ولكن هل هذه الآية قد نزلت في أهل الكناب الذين كان عندهم نعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وإشارات وبشارات به ؟ أو نزلت من أجل شيء آخر هو أن أناسا آمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم ثم كفروا به ؟

إن القول الحق يتناول الفئتين ، وينطبق عليهم ، سواء أكانوا من أهل الكتاب الذين آمنوا بالرسل من قبل ولم يؤمنوا برسالة محمد عليه الصلاة والسلام ، أم من الذين آمنوا برسالة رسول الله ثم كفروا به ، كيا حدث من بمضهم في عهد الرسول ، مثال ذلك طعمة بن أبيرق ، وابن الأسلت والحارث بن سويد ، هؤلاء أعلنوا الإيمان واتجهوا إلى مكة ومكثوا نيها ، تأب منهم واحد وأخذ له أخوه ضهانا عند رسول الله ، والباقون لم يتوبوا .

إن الفول الحق يتناول الفئين ، وينطبق عليهم جيما قوله تعالى :

﴿ كُيْفَ يَهْدِى أَلَهُ قُوْمًا كُفُرُواْ بَعْدَ إِيمَنَيْهِمْ وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَنَّ وَجَاءَهُمُ

(記憶) (P)11・YOO+OO+OO+OO+OO+O

الْبَيِّنَتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْفَوْمَ الظَّلْمِينَ ١٥٥ ﴾

(مورة آل عبراك)

ويفصل لنا الحق سبحانه جزاء هؤلاء بقوله الحكبم:

﴿ أُوْلَتَهِكَ جَنَآ وَهُمُ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَغَنَكَةَ اللّهِ وَٱلْمَلَتَهِكَةِ وَالْمَلَتَهِكَةِ وَالْمَلَتَهِكَةِ وَالْمَلَتَهِكَةِ وَالْمَلَتَهِكَةِ أَوْلَمَ الْمُعَيِّدَ اللّهِ الْمُعَيِّدَ اللهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ اللهِ اللهِ عَلَيْهِ اللهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ اللهُ اللهِ عَلَيْهِ اللهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ اللهُ اللهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ اللهُ اللهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ اللهُ اللهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ اللهُ اللهِ اللهُ ال

واللعنة هي الطرد من الرحمة ، والله يعلم كل ملعون منهم ، وماداموا قد طُرِدوا من رحمة الله فالملائكة وهم المؤمنون بالله إيمان المشهد يرددون اللعنة ، والمؤمنون من خلق الله يرددون اللعنة ، وكذلك يلعنهم جميع الناس ، وكيف يلعنهم كل الناس سواء أكانوا مؤمنين أم كفارا ؟ كيف يلعنهم الكافرون ؟ إن الكافر عندما يرى إنسانا يرتكب معصية ما فإنه بنزله من نظره ويحتفره وإن لم يكن مؤمنا .

وهُب أن كافرا وجد إنسانا يخرج على المنهج ويفعل معصهة ويرتكب جُرمًا ألا يلمن الكافر مثل ذلك الإنسان؟ إنه يلعنه لأن الفطرة المركوزة التي فطر الله الناس عليها ترفض ذلك ولا ترتضيه .

وهكذا شاء الحق أن يجعلهم ككفار يتلاعنون فيها بينهم ، ونجد أن جميع الناس يلعنونهم كذلك ؛ لأنهم قد خرجوا عن منهج الله بالكفر بعد الإيمان ، وجرهم ذلك إلى افتراف الأنام ، وهكذا تصبح الملاعنة من الجميع ، وهم مع ذلك خالدون في اللعنة قال تعالى :

﴿ خَلِدِينَ فِيهَا لَا يُحَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَدَابُ وَلَاهُمُ يُنظرُونَ ۞ ﴿ اللهِ عَنْهُمُ الْعَدَابُ وَلَاهُمُ

ومعنى « لا يخفف عنهم العذاب » أى أن العذاب يظل دئها أبدا وقد يظل بعض الناس أن الكافر مادام سيدخل النار ويحترق فسوف ينتهى أمره.لا إنه يغفل قضبة ويذكر قضية ، إنه يتناسى قول الحق :

﴿ إِنَّ اللَّذِينَ كُفُرُواْ بِمَا بَنِينَا سَوْفَ نُصَلِيهِمْ نَاراً كُلَّكَ نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَذَلْنَاهُمْ جُلُودًا عَبُرَهَا لِيَكُونُواْ الْمَذَابُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿ يَ

(سورة النساد)

إنهم سيذوقون العذاب بأمر من الحق دائها وأبدا ، وقد يقول بعضهم : إن العلم قد توصل إلى أن الإنسان تقل حساسيته للألم الناتج من الضرب بالسوط بعد العشرين سوطا الأولى ، وهو بذلك ينسى أن العذاب فى الآخرة على نمط آخر ، إن العشرين سوطا الأولى ، وهو بذلك ينسى أن العذاب فى الآخرة على نمط آخر ، إن الله يخلق للمعذب إحساسا جديدا ليقل مستشعرا دائها العذاب ، قال الحق : ولا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون ، أى أن عذابهم مؤكد ولا يتركهم الحق ليستريحوا من عذابهم . وبعد ذلك يقول تعالى :

عَنْ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنْ بَعَدِ ذَالِكَ وَأَصْلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمُ ۞ ﴾

والحق سبحانه وتعالى هو الخالق للخلق كلهم ، يحب أن يكونوا على ما يود

ويحب؛ لأنهم صنعة الله فهو سبحاله وتعالى يحب التوابين ويحب المتطهرين

وقد أمر عباده أن يتوبوا إليه توبة نصوحاً أى توبة صادقة خالصة لا رجوع فبها هذه التوبة تتسم بالاقلاع عن الذنب والندم على ما فات والعزم على عدم العودة للذنب مرة أخرى ورد المظالم لاصحابها إن كانت هناك مظالم .

وقد قال صلى الله عليه وسلم « إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها »(١).

وهكذا أوجد الحق تشريع النوبة بهدف إصلاح الكون ؛ لأن الله لو لم يشرع النوبة لمن أذنب فإن من غفل عن منهج الله ولو مرة واحدة قد يصير في نظر نفسه ضائعا فاسدًا مرتكبا لكل الحياقات ، فكأن الله بتشريع النوبة قد ضمن لصاحب الإسراف على نفسه في ذنبه أن يعود إلى الله ، كما يرحم المجتمع من شرود إنسان فاسد ، إذن فتشريع النوبة إنما جاء لصالح الكون ، ولصالح الإنسان لينعم بمحية الله ، لذلك يقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُواْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُواْ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ وَحِيمٌ ١٠٠٠ ﴾

و سورة آل عمرات)

قبرغم كفرهم السابق إلا أن الله برحمته لا يدخلهم في الرعبد و الهم مطالبون بالنوبة والإصلاح ، ومعنى كلمة والصلح و أنه زاد شيئا صالحا على صلاحه . والكون ليس فيه شيء فاسد اللهم إلا ما ينشأ عن فعل اختياري من الإنسان وعل النائب أن يزيد من الصلاح في الكون ، وهكذا نضمن ألا يجيء النائب إلى الشيء فيقسده و لأن من يريد أن يزيد الصائح صلاحا ، لن يفسد الشيء الصائح .

وربما كان هؤلاء الذين أسرفوا على أنفسهم فى لحظة من لحظات غفلة وعيهم الإيمان ساعة يذكرون الذنب أو الجريرة التى اقترفوهابالنسبة لدينهم ، يحاولون أن يجدّوا ويسارعوا فى أمر صائح حتى يُجبّر الله كسر معصيتهم السابغة بطاعتهم اللاحقة .

⁽١) رواد مسلم أن صحيحه .

ولذلك تجد كثيرا من الناس الذين يتحمسون للإصلاح وللخير، هم أناس قد تكون فيهم زاوية من زوايا الإسراف على نفوسهم في شيء، وبعد ذلك يتجهون لعمل الخيرات في مجالات كثيرة جدا ، كأن الله يقول لكل منهم : أنت اختلست من محارمي شيئا وأنا سأخذك إلى حلائل ، إنه الحق يجعل من معصية الفرد السابقة سياطأ دائمة تلهب ضميره فيتجه إلى الخير ، فيتصدق على الفقواء ، وربما كان أهل الطاعة الرتيبة ليس في حياتهم مثل هذه السياط .

ولكن الذين أسرقوا على أنقسهم هم الذين تلهبهم نلك السياط ، فساعة يرى الواحد منكم إنسانا قد أسرف على نقسه فليدع الله له بالهداية ، واعلم تمام العلم أن الله ميسخو منه ما يفعل به الخير ؛ لأن أحدا لن يسرق الكون من تخالفه أبدا . وهذا ينطبق على من قال عنهم الله : د إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا » ينطبق على من قال عنهم الله : د إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا » (وأصلحوا) أي عملوا صلاحات كثيرة لأن حرارة إسرافهم على نفوسهم تلهب ظهورهم دائها ، فهم يريدون أن يصنعوا دائها أشياء لاحقة تستر انحرافائهم السابقة وتذهبها .

وبعد ذلك يقول الحق :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْبِعَدَ إِيمَنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُواكُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَنَيِكَ هُمُ ٱلطَّمَ ٱلُونَ ﴿ ثَا الْكُمَا لُونَ اللَّهِ الْمُعَالِّونَ اللَّ

هذه الآية تحدث عن أولئك الذين كفروا بعد إيمانهم ، وازدادوا كفرا ، وهؤلاء لا تقبل توبتهم وهم الضالون ، وقد جاءت مقابلة للآية السابقة ، أناس تابوا وأناس لم يتوبوا . لكن كيف يزداد الكفر ؟ إنه قد كفر في ذاته ، وبعد ذلك كان عائقا لغيره عن أن يؤمن ، وهو لا يكنفي بخيبته ، يل يحاول أن ينشر خيبته على الآخرين ، وفي ذلك ازدياد في الكفر والعياذ باش ، وهذا القول قد نؤل في بعض من اليهود الذين أمنوا بالبشارات التي تنبأت مجقدم عيسى عليه السلام ، فلها جاء عيسى كفروا به ، ولما جاء محمد ازدادوا كفرا .

لقد كفروا بعيسى أولا ، ثم ازدادوا كفرا بمحمد وادعوا أنهم أبناء الله وأحياؤه ، وهؤلاء ليسوا من الذين تابوا . أو أنهم أعلنوا التوبة باللسان ، ولم يتوبوا التوبة النصوح ، د والراجع في توبته كالمستهزى، بريه ، . وقانا الله وإياكم هذا المنقلب .

وبعد ذلك يقول الحق :

لقد كفروا ، ولم يقدر الله لهم أن يتوبوا ، فياتوا على الكفر ، ويربد الله أن يعطينا حكيا خاصا بعملهم في الدنيا ، وحكيا خاصا بما يتلقونه من عذاب في الأخرة ، والحكم الخاص بعملهم في الدنيا سببه أن لهم اختيارا ، والحكم الخاص بما يتلقونه في الاخرة من عقاب لانه لا خيار لهم ، وهنا للملهاء وقفة ، فهل ملء الأرض ذهبا أنهم أنفقوا في حياتهم ملء الأرض ذهبا ؟ نقول له : لا ينفعك هذا الإنفاق في أعهال الخبر لان أعهالك حابطة .

هب أن كافرا مات على الكفر وقد أنفق في الخير مل الأرض ذهبا ، نقول له :

هذا الإنفاق لا ينفع ، مع الخيانة العظمى وهي الكفر ، فهادام غير مؤمن بإله ، فهو قد أنفق هذا المال من أجل الناس ، وصار منفقا على من لا يقدر على أن يجازيه بالخير في الأخرة ، لذلك فليس له عند الله شيء ، فالذي يعمل عملا ، عليه أن يطلب أجرا بمن عمل له ، فهل كان الله في بال ذلك الكافر ؟ لا ؛ لأنه مات على الكفر ، لذلك لو أنفق مل الأرض ذهبا فلن يقبل منه . لقد صنع ذلك الخير وفي باله الناس ، والناس يعطونه حقه من الثناء ، صواء كان مخترعا أو عسنا أو غير ذلك ، إنه بنال أجره من الإنسانية ، وينطبق عليه قول الرسول صلى الله عليه وسلم :

ء وفعلت ليقال وقد قبل ١٠١٥

(من حديث شريف)

كأن الله يقول له : لم أكن في بالك فلهاذا تطلب منى أجرا في الأخرة ، لم يكن في بالك أن الملك في ، قال سبحانه :

﴿ يَوْمَ هُمْ بَنِرِزُونَ لَا يَغْنَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ ثَنَى اللَّهُ الْمُلْكُ الْبَوْمُ لِلَّهِ اللَّهَ اللَّهِ مِنْهُمْ ثَنَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ مِنْهُ اللَّهُ اللَّهِ مِنْهُمْ ثَنَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّالِ اللَّا اللَّالِي اللَّهُ الللَّالِي اللَّهُ اللَّا اللَّالِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّ

وبعض الناس يقول: كيف لا ينال ثواب الآخرة من ملتوا الدنيا بالاكتشافات وبعض الناس يقول: كيف لا ينال ثواب الآخرة من ملتوا الدنيا بالاكتشافات والابتكارات وخففوا بها آلام الإنسانية ؟ نقول: لقد أعطتهم الإنسانية وخلدت ذكراهم، وأقامت لهم التياثيل والمؤلفات والاعياد والجوائز، لقد عملوا للناس فأعظاهم الناس، فلا بخس في حقوقهم، ذلك أنهم لم يعملوا وفي بالهم الله، وقد صور الحق موقفهم التصوير الرائع فيقول جل شانه:

على وَاللَّذِينَ كَفَرُوآ أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْثَانُ مَآةً حَتَّى إِذَا جَآءُم لَا يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُم فَوَقْتُهُ حِسَابَةُ وَاللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ لِيْ ﴾

(سورة النور)

إنه سراب ناتح عن تحيل الماء في الصحراء يتوهمه السائر العطشان في الصحراء نتيجة انعكاسات الضوء ، فيظل السائر متجها إلى وهم الماء ، إنه يصنع الأمل لنفسه ، فإذا جاء ، لم يجده شيئا ، ويفاجأ بوجود الله ، فيندم ويتلقى العذاب ، وكذلك لن يقبل منه ملء الأرض ذهبا لو أنفقه في أي خير في الدنيا ، وبعد ذلك لن يقبل الله منه ملء الأرض ذهبا لو افتدى به نفسه في الأخرة ، إن كان سيجد ملء يقبل الله منه على عرض أنه قد وجد ملء الأرض ذهبا ، فهل بجد من يقبل ذلك منه ؟ لاءإنه في الحقيقة لن بجد اللهب ؛ لأنه في الأخرة لم يعد بملك شيئا : يقول الحق :

⁽١) رواه مسلم والنرمذي والنسائي وابن سجه.

﴿ لِمَنِ الْمُلْكُ الْمُومَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّادِ ﴾

(صورة غافر)

ويقول سبحانه:

﴿ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَيِعًا وَمِثْلُهُ مَعَهُ لَا قَتَدَوًا بِدِ عِن سُوء الْعَذَابِ يَوْمُ ٱلْقِيدَمَةِ وَبُدَا لَمُسُم مِّنَ ٱللَّهِ مَالَمٌ يَكُونُواْ يَحْتَبِبُونَ ۞ ﴾

(سورة الزمر)

و أولئك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين و أى إن لهؤلاء عذابا أليها و لأن كِلَ حدث من الأحداث إلما يأخذ قوته من قوة فاعله ، فإذا كان الحدث التعذيبي منسوبا إلى الله وقه مطلق القوة والقدرة ، لذلك فالعذاب لن يطاق ، ولن يجد الظالم من يدرأ عنه هذا العذاب , لأنه لن يجد ناصرا له ، ولن يجد شفيعا فلن يأتي أحد ويقول : إن فلانا يتعذب فهيا بنا تنصره ، لا يأتي أحد لينصره .

وبعد ذلك يقول الحق سبحانه :

﴿ لَنَ لَنَا لُواْ الْبِرِ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا يَجُبُونَ وَمَالْنَفِقُواْ مِمَّا يَجُبُونَ وَمَالْنَفِقُواْ مِنشَىٰ وِ فَإِنَّ اللهَ بِوء عَلِيمٌ ۞ ﴿ مِن شَيْ وِ فَإِنَّ اللهَ بِوء عَلِيمٌ ۞

وتؤدى كل مادة الباء والراء المضعفة إلى معنى و السعة ، ، ف و البرّ ، أى الواسع والبرّ أى الأرض المتسعة ومقابله ، البحر ، وإن قال قائل : ، إن البحر أوسع من البر ، لأن حجم الفارات ليس في حجم البحار والمحيطات التي تفصل بينها : ، نقول لمثل هذا الفائل ، لا ، إن حركتك في البر - الأرض - موسعة ، وحركتك في البحر مضيفة ، لأنك لا تتحرك في البحر إلا على شكل خاص ، إما أن تتحرك بسفينة أو

حتى على لوح من الخشب ، أما حركتك في البر_الأرض_ فأنت تمشى أو تركب ، تذهب أو تجيء ، فمجالك في البر منسع عن مجالك في البحر .

والبرّ هو التقوى ، والطاعة ، أو هو الجنة ، وكذلك المتقية ، لآنها تؤدى الله السعة ، فالطاعة تؤدى إلى السعة ، وكذلك التقوى ، وكذلك الجنة ، كلها ملتقية ؛ لأن كلها سعة ، فأحدهم أخذ معنى الكلمة من مرحلتها الأولى أى بالسبب وهو الجنة ، وقد وهو الطاعة ، وبعضهم أخذها من المرحلة الأخيرة أى بالسبب وهو الجنة ، وقد يسأل سائل ، لماذا أراد الله أن يجىء بحديث عن المنفقة بعد الحديث عن تعذيب الكفار ؟ ونقول : إن الحق حين يتكلم عمن بصيبه العذاب الأليم لأنه كفر وهات كافرا ، وماله من ناصرين فإن المقابل يأتى إلى الذهن ، وهو من آمن وعمل صالحا ، ومات على إيمانه ، فله عكس العذاب الأليم وهو النعيم ، وسيجد من يأخذ بيده ، ومات على إيمانه ، فله عكس العذاب الأليم وهو النعيم ، وسيجد من يأخذ بيده ، بينها الكافر لن يجد ناصرين له . إن المؤمن سبجد جزاء الله على الطاعة وهي البر ؛ بينها الكافر لن يجد ناصرين له . إن المؤمن سبجد جزاء الله على الحزاء من الله وقمته هو الجنة .

وهكذا نرى المفابل لمعاملة الحق للكفار وهو معاملة الحق للمؤمنين ، لقد جاء هذا القول في القرآن وهو كلام الله المعجز ، وحين يخاطب سبحانه المكلفين بالمنهج . فهو يخاطب يكلامه ملكات إنسانية خلقها هو ، إذن فلابد أن يغذى هذا الكلام كل الملكات المخلوقة لله ، فلو كان الخالق للملكات غير المتكلم لكان من الممكن ألا ينسجم الكلام مع الملكات ، ولكن الكلام هنا لله الذي خلق ، لذلك لابد أن ينسجم الملكات مع كلام الله .

وفى النفس الإنسائية ملكات متعددة ، وهذه الملكات المتعددة متشابكة تشابكا دقيقا فنستطيع حين تخاطب ملكة سمعية أن تحرك مواجيد وجدائية ، فإن لم يكن العالم بالملكات عليها بها لما أمكن أن يجيء المنطق موافقا لملكة سمعية ، وموافقا لملكات وجدائية قد تنأق بها طبيعة تداعى المعان .

ود تداعى المعانى ، هو الخاصية الموجودة في الإنسان ، ومعنى ، تداعى المعانى ، أن الإنسان يستقبل معنى من المعان فيشير ذلك المعنى إلى معان خبيئة يستدعيها لتحضر في الذهن ، فمثلا حين ترى إنسانا تعرف ، فإن تداعى المعاني يعطيك تاريخك معه وتاريخه معك ، ويصور بخاطرك أيضا صورا عن أهله وأصدقائه ، ومعارقه ، ويأتى لك تداعى المعانى بالأجداث التي كانت بينك وبينه أو شاهدتها أنت وهذا هو ما نسميه و تداعى لمعانى ء أى أن المعنى يدعو المعنى .

وحين يخاطب الله سبحانه وتعالى الإنسان ، فإنه يخاطب كل ملكة فيه في آن واحد ، حتى لا تأخذ ملكة غذاءها ، دون ملكة أخرى لا تجد لها غذاء إن كلام الله جاء مستوفيا وكافيا لكلى الملكات ، ومثال ذلك حينها أراد الحق سبحانه وتعالى أن يمنع المشركين من أن يطوفوا بالبيت ، وكان المشركون قبل تحريم الله لطوافهم ، يطوفون بالبيت ، ويأتون من أماكن سحيفة بعيدة ليطوفوا في موسم الحح ، وكانوا يأتون بأموالهم لينفقوها على أهل مكة ، ويشتروا كل شيء يلزمهم منها ، فموسم الحج كان موسها اقتصاديا . وحين بريد الله أن يمنع المشركين من الحج فهو يخاطب المسلمين المقيمين بحكة حتى يجولوا بين المشركين وبين الطواف ، وهو سبحانه قد علم المسلمين المقيمين بحكة حتى يجولوا بين المشركين وبين الطواف ، وهو سبحانه قد علم المسلمين المقيمين بحكة حتى يجولوا بين المشركين وبين الطواف ، وهو سبحانه قد علم المسلمين المقيمين بحكة حتى يحولوا بين المشركين وبين الطواف ، وهو سبحانه قد علم المسلمين المقيمين بحكة حتى يحولوا بين المشركين وبين الطواف ، وهو سبحانه قد علم المسلمين المقيمين بحكة حتى يحولوا بين المشركين وبين الطواف ، وهو سبحانه قد علم المسلمين المقيمين بحكة حتى يحولوا بين المشركين وبين الطواف ، وهو سبحانه قد علم المسلمين المقيمين بحكة حتى يحولوا بين المشركين وبين الطواف ، وهو سبحانه قد علم المسلمين المقيمين بحدة على من ملكات ، يعلم سبحانه أن ملكة أخرى ستتدخل في هذا المؤت ، فيقول ؛

عَوْ أَيْذَا يُهِا ٱلَّذِينَ مَامَنُوا إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ تَجَسَّ فَلَا يَقُرَبُوا ٱلْمُسْجِدَ ٱلْخُرَامَ بَعْدَ عَامِنِمُ هَاذَا لَهُ

(من الآية ٢٨ صورة التوبة)

وعندما ينزل هذا الحكم فلابد أن تتحرك ملكات في النفس الإنسانية ، والحق قد علم أزلا أن ملكة النفعية الاقتصادية عند أهل مكة ستتحرك عند سياع هذا الحكم ، بمعنى أن بعضا من المسلمين المقيمين بمكة وقت نزول هذا الحكم قد يقولون : « وإذا كنا نمنع المشركين الذين يقدون علينا بالأموال ليشتروا بضائعنا وموسمهم الاقتصادي هو الذي يعولنا طبلة العام فهذا نصنع إذن ؟ إن الله يعلم أنه عند نزول حكم بتحريم البيت على المشركين أن يقربوه فلا بد أن تتحرك في النفس الإنسانية تلك الملكة النفعية ، فيقول حسيحانه _ عقب ذلك مباشرة :

﴿ وَ إِنْ خِفْتُمْ عَبِلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَصْدِهِ ۚ إِن شَاءٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهُ عَلِيمُ حَكِمْ ﴾

إ من الآية ٢٨ سورة النوبة)

الحُوف من العيلة ، أي الحوف من الفقر ، وتلك هي عظمة الكلام الإلهي لأن

00+00+00+00+00+011110

ربيًا يتكلم إن الإنسان حينها يتكلم قد تفوته معان كثيرة ، وبعد ذلك قد تحدث ضبجة وبلبلة وثورة بين الناس ، لكن الحق الأعلى عندما يقول : و إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ، ويتبع ذلك فورا بقوله المطمئن : و وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ، وقد فعل وجبى الحق وجلب إلى البيت الحرام ثمرات كل شيء ، وكأنه يقول لنا : لا تعتقدوا أن هذه الثمرات قادمة عن طريق التطوع ولكنها وزق من لدنا ، كها جاء في قوله الحق :

﴿ وَقَالُواۤ إِن نَّشِيعِ ٱلْمُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَاۤ أُولَرُ ثُمَّكِن لِمُمْ احْرَمًا مَامِنَ أَبُعِبَى

إِلَبْ مِ مُمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّ زَقُا مِن لَدُنَّا وَلَنكِنَ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ ﴾

(سورة الفصص)

أى أنه ليست هناك حرية لأحد أن يعطى أهل البيت الحرام أو لا يعطى ، إنها جباية ، لطمأنة الملكة النفعية في النفس ، وهو سبحانه يعطى الأمان الاقتصادى الذي يترتب عليه قوام الحياة ، وعندما نمعن النظر في آيات القرآن نجد أن هناك آية قد تتقدم وآية قد تتأخر ، وآية قد تأن في الوسط ، ونجد أن الآية الوسطى ، مرتبطة بتداعى المعاني بالآية التي بعدها ، وذلك بتداعى المعاني بالآية التي بعدها ، وذلك لترتوى وتتغذى كل ملكات الإنسان فلا يأتي آمر يوحى بأن هناك ما ينقص النفس البشرية ، لتتأمل مثالا لذلك وهو قوله الحق :

﴿ وَيَغُولُونَ فِى أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَدِّبُنَا ٱللهُ بِمَا نَغُولُ حَسَبَهُمْ جَهَنَّمُ يَصَلَوْنَا ۖ فَيِسَى ٱلْمُصِيرُ ﴾

(من الآية ٨ سورة المجادلة)

إن المشركين لم يقولوا لأحد : ﴿ إِنَمَا قَالُوا لأَنفُسُهُم ﴾ ، ويكشفهم الحق سبحانه العليم في الحقى خباياهم ، ويُظهر ما في أنفسهم ، وهو العليم بكل خفايا عباده والكاشف لكل الملكات النفسية في خلفه . وحين يقول الحق سبحانه : ﴿ لَنْ تَنَالُوا البّر حتى تنفقوا مَا تَنفقوا مِن شيء فإن الله به عليم ٤ . فإن الآية تحريض على الإنفاق ، وجاءت بعد آية تفيد أن هناك إنفاقا لا يقبله الله في قوله سبحانه :

0171700+00+00+00+00+00+0

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفُرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُغْيَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلَ ٱلأَرْضِ ذَهَبَا وَلَوِ افْتَدَىٰ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُو

(سورة أن عمران)

إذن فهناك لون من النفقة برفضه الله ، وتداعى المعانى فى النفس الإنسانية قد يجعل الإنسان يسأل و ما هى إذن النفقة المقبولة ؟ ، لذلك كان لابد وأن يأى قوله تعالى : و لن تنالوا البرحتى تنفقوا مما تحبون ، فإذا كانت هناك نفقة مردودة فهناك أيضا نفقة مقبولة ، وهكذا نرى الآية التي تحرض على الإنفاق منسجمة مع ما قبلها . ولمن البرحتى تنفقوا مما تحبون ، قد يسأل سائل ، ولماذا لا ينال الإنسان البر إلا بعد أن ينفق مما يحب ؟ وله أن يعرف أن طبيعة النفس الإنسانية هى و الشح ، ولهذا جاء فى القرآن الكويم :

﴿ قَاتَتُوا اللَّهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِتُواْ خَيْراً لِأَنفُوكُمْ وَمَن يُوقَى ثُخُ تَفْرِهِ ، فَأَوْلَدَهِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۞ ﴾

(سورة التغابن)

وشح النفس يأتى لأن الإنسان لا يأمن أبدا أن بأنيه العجز من بعد القدرة ، لذلك فإنه يحاول إن كان يملك شيئا أن يؤمن العجز المتوهم ، فيحافظ على ما عنده من حاجات ، ومن هنا جاءت الحيازة والملكية ولم تنشأ هذه الأشياء من أول الحقق ، وإنما نشأت من يوم أن ضاقت الأمكنة المُعطية دون الحاجات ، فحين تكون الأمكنة المعطية تسع الحاجات فلا داعى قمذا العجز المتوهم .

لنفترض أن رجلا اشترى صندوقا من البرتقال ، ودخل منزله وعندما يحتاج ابن مذا الرجل لبرتقالة أو اثنتين فإنه يأخذ البريد ، لكن لو أحضر الرجل قليلا من البرتقال فإن زوج الرجل تكون حريصة على أن تقسم البرتقال بين الأولاد حتى لا تترك كل ابن على سجيته بما قد يجوم الأخرين .

وهكذا كان الأمر في بدء استخلاف الله للإنسان في الأرض ، فمن أراد الأرض

00+00+00+00+00+011160

اخذ، ومن أراد أكل الثهار فهى أمامه ، وعندما قلت مُعطيات الحاجات وذلك بضيق الأمكنة المعطية بدأت في الظهور الرغية في الملكية ، وامتياز الأشياه ، والحق سبحانه بلفتنا في هذه المسألة وكأنه يقول لنا : إن النفقة لو نظرت إليها نظرة واقعية حقيقية لوجدت أنك أيها العبد مضارب الله في خير الله . ومعنى و مضارب و أي أنك تعمل عند الله بالعقل الذي خلقه لك ، وتخطط به ، وتعمل عند الله بالطاقة التي خلقها الله ، والمادة التي خلقها الله لك تنفعل معها فإذا لك أنت ؟

إن كل شيء فله ، وأنت مجرد مضارب لا تملك شيئا ومادمت مضاربا أيها العبد ، فأعط فله حقه ، وحق الله لا بأخذه هو ؛ فهو أغنى الأغنياء ، إن حق الله يأخذه أخوك غير الفادر الذي لا يستطيع أن يتفاعل مع المادة ، ولا تظن أيها العبد أن الله حين طلب منك النفقة مما تحب أنه حجل شأنه قد استكثر عليك ما طلب منك أن تنفقه ، إنه ساعة يأخذ منك لأخيك وأنت قادر ، إنما يطمئنك أنك إن عجزت فسيأخذ لك من القادرين ذلك هو التامين في يد الله .

إن الحق يريد أن يجببنا في أن ننفق ، لكن الإنسان يحاول أن ينفق مما لا يحب ، فيهدى الإنسان الثوب الذى لم يعد صالحا للاستعمال يعطيه لفقير ، أو يعطى الحذاء المستهلك لواحد محتاج . لكن الله يأمرنا بأن ننفق مما نحب لذلك انفعل صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم حينها سمعوا هذا النص : « لن تنالوا البرحتى تنفقوا مما تحبون » هذا أبو طلحة حينها يسمعها يقول : يا رسول الله صلى الله عليه مالى إلى هو « بيرحاء » فأنا أخرجه في سبيل الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اجعله في أقاربك ، فجعله في أقاربه ، وهذا زيد بن حارثة يسمع الآية الكريمة فينفعل بها كذلك ، وكان عنده فرس اسمه « سَبَل » وكان يجبه ، فيقول : يا رسول الله . فأخذه منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجاء بأسامة بن زيد وأركبه القرس . قال زيد ؛ يا رسول الله أنا أردت أن أجعل و فوجلت في نفسي » أي أن حزن ، وقال زيد : يا رسول الله أنا أردت أن أجعل الفرس في سبيل الله وآنت تعطى الفرس لابني ليركبه . فقال رسول الله لزيد : « أمّا إن

ويعد ذلك ينفعل سيدنا أبو ذر رضى الله عنه وكان عند، إبل ، والإبل لها فحل يلقح إناث الإبل ، وكان هذا الفحل أحب مال أبي ذر إليه وجاء ضيف إلى أبي ذر ،

فقال له : إن مشغول ، فاخرج إلى إبل فاختر خيرها لنذيحه لضيافتك . فخرج الضيف ، ثم عاد وفي يده فاقة مهزولة ، فلها رآها أبوذر قال : خنتني ، قلت لك هات خير الإبل ، قال الضيف : يا أبا ذر لقد رأيت خيرها فحلا لك وقدرت يوم حاجتكم إليه . فقال أبوذر : إن يوم حاجتي إليه ليوم أوضع في حفرتي .

إن الصحابي الجليل أبا ذر يعرف أن يوم أن يوضح في الحفرة هو اليوم الجليل الذي يستحق من المرد أن يستعد له .

وسيدنا ابن عمر كان عنده جارية جيلة من فارس ، وكان يجبها ، فلما سمع الآية ، قال : ليس عندى أحب إلى من هذه الجارية ، وأعتقها ، وكان من الممكن أن يتزوجها بعد أن اعتقها لكنه قال : لولا أن ذلك يقدح في عتقها لنزوجتها . وسيدنا أبو ذر رضى الله عنه يعطينا في مسألة الإنفاق درسا من أروع الدروس المستوعبة للملكة النفسية ، فيقول : في المال شركاء ثلاثة : القَدُو لا يستأمرك أن يذهب بخيره وشره من هلك أو موت . أي أن القدر لا يستأذن عبدا في أن يذهب بالمال حيث يربد ، فتاتي أي مصيبة فتأخذ المال إلى هلك أو موت . هذا هو الشريك الأول في المال ، إنه القدر .

والشريك الثان في المال يوضحه لنا أبوذر فيقول : إنّه الوارث ، ينتظرك إلى أن تضع رأسك ، ثم يستاقها وأنت قد سلبت بالموت كل ما تملك في الدنيا وأصبحت من غير أحلها . إن الوارث يقول لنفسه : « فلأستمتع بما ترك لى » ، وهذا هو الشريك الثاني في المال .

ويوضح لنا أبوذر رضى الله عنه الشريك الثالث فى المال فيقول: والثالث أنت ، فإن استطعت ألا تكون أعجز الثلاثة فلاتكن أعجزها . أى إياك أن يغلبك على المال القدر أو الوارث ، ينبغي عليك أن تغلب بإنفاق المال فى سبيل الله وإلا أخذه منك باقى الشركاء .

إذن لقد انفعل صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالآية حينها نسزلت حتى عدا الحير المحبوب منهم إلى غيرهم ، وكان جزاء ذلك الجنة . لقد عرفوا قول الحق : 1 لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ، أى الجنة المترتبة على الطاعة أو

00+00+00+00+00+011110

التقوى ، أو سعة البركة أو سعة القوة ، وكلها معان ملتقية ، ولذلك يقوّل الله في الحديث القدسي :

وقد كان العباد يكافِئون في الدنيا بالمعروف وأنا اليوم أكافيء بالجنة؛ .

إن الحق سبحانه الذي يعطى البر ثمنا لنفقة بما تحب يعلم هل أنفقت بما تحب فعلا أو تبممت الحبيث لتنفق منه ، فإياك أيها المؤمن أن تخدع نفسك في هذا الأمر ، لأن الذي يعطى البر ثمنا لنفقة مما تحب يعلم خبايا النفس ، لذلك يقول سبحانه : و وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم .

وعلم الله شامل، إنه يعلم ما في نيتك، وكيف أنفقت.

ولقد بين الخن مبحانه النفقة المرفوضة حتى ولوكانت مل الأرض ذهبا ، ثم أوضح لنا أن هناك نفقة مقبولة وجزاؤها الجنة ، وبذلك نرى التقابل بين النفقتين ولماذا جاء هذا الحديث؟ لقد كذب بعض أهل الكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في مستهل أمر الدعوة وكذبوا البشارة به ، والنعث والبشارة جاءا في المتوراة والإنجيل ، وأنكروا الأوصاف التي ذكرت في كتبهم السهاوية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتمادوا وعوا هذه الأوصاف من كتبهم . حدث ذلك مع أنهم قد تورطوا من قبل في إعلان البشارة به و وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا قلها جاءهم ما عرفوا كفروا به ، .

لقد أراد الله أن يفضحهم فى التوراة التى يعتقدون أنها كتابهم وقد حرفوا بعض أحكام الله ، وظنوا أن هذه التحريفات ستظل مستورة ، لذلك جاء لهم بأحداث ولم ينتبهوا إليها تتقوم الحجة على أنهم قاموا بتحريف التوراة مثلها قلنا من قبل عن الحيرية التي ارتكبت فاحشة الزنا ، وأراد رؤساء اليهود أن يخففوا العقوبة عنها ، لأن العقوبة الواردة فى التوراة على جريمة الزنى هى الرجم وقال هؤلاء الرؤساء : و نذهب العقوبة الواردة فى التوراة على جريمة الزنى هى الرجم وقال هؤلاء الرؤساء : و نذهب إلى محمد ، لعل لديه حكم خففا و قلها ذهبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وضح علم أنه الرجم . فبين وضح علم أنه الرجم . فيون وضح علم أنه الرجم . فقالوا : لا ، إنك لم تنصف فى حكمك ، فبين وسول الله صلى الله عليه وسلم لهم إنه برضى بحكم التوراة التى عندكم رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم إنه برضى بحكم التوراة التى عندكم وجيء بالتوراة وأموهم الرسول أن يقرأوا فلها جاءوا إلى آية الرجم أرادوا أن يغفلوها

فقال ابن سلام : إنهم يا رسول الله قد وثبوا وأغفلوا الآية .

وهكذا انتبه الجميع إلى أن رؤساء اليهود أرادوا أن يتخطوا حكيا نقد موجودا عندهم وأرادوا أن ينكروه ، كما فعلواوأحدثوا في وصف النبي عليه الصلاة والسلام ومحوا هذا الوصف ، ولم يتركوا له أثرا ، لكن الله أنساهم بعض الأشياء لتكون بينة وآية على رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعندما أحل الرسول صلى الله عليه وسلم الإبل وألبانها، قالوا : هذه محرمة من أيام إبراهيم ومن قبله من أيام نوح ، ولا يمكن أن نقبل تحليلها ، فوضح النبي صلى الله عليه وسلم لهم أنها ليست محرمة ، الله أحلها .

وكان يجب أن يفهموا أن الإبل وألبانها حتى وإن كانت محرمة من قبل إلا أن رسولا قد جاء من عند الله بتشريع له أن ينسخ ما قبله مع أنّ الإبل وألبانها لم تكن محرمة ، لذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يحتكم إلى النوراة . وهذه هى العظمة النوراتية المحمدية ، فلا يمكن أن يقول صلى الله عليه وسلم : * نحتكم إلى النوراة ه إلا وهو وائق أن النوراة إنما تأتى بالحكم الذي يؤيد ما يقول ، مع أنه لا يقرأ ولا يكتب ، ويحضرون التوراة ، فيجدون الكلام مطابقا لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك قال الله :

﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ عِلَالِيَنِيَ إِسْرَةِ بِلَ إِلَّا مَاحَرَّمَ إِسْرَةِ بِلُ عَلَى نَفْسِهِ عِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَئِلَةُ قُلْ فَأْتُوا بِٱلتَّوْرَئِلَةِ فَٱتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَندِقِينَ ۞ ﴿ اللَّهِ اللَّهِ مَا لَا قَدِينَ ﴾ ﴿

وحين بحرم نبى الله يعقوب ـ إسرائيل ـ طعاما ما ، فهو حر ؛ فقد بحرم على نفسه طعاما كنذر ، أو كوسيلة علاج أو زهادة ، لكن الله لم يحرم عليه شيئا ، وما تحتجون به أيها اليهود إنما هو خصوصية لسيدنا يعقوب ؛ كل الطعام كان حلا لبنى إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على تفسه ؛ فلهاذا تقولون : إن الإبل وألبانها كانت محرمة ؟

لقد فعلوا ذلك لأنهم أرادوا أن يستروا على انفسهم نقيصة لا يحبون أن يُقْضحوا بها ، وتلك هي النقيصة التي كشفها القرآن بالقول الكريم :

على وَعَلَى اللَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّى ذِى ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمَ حَرَّفَ عَلَيْهِم شُهُومُهُمَّا إِلَّا مَا حَمَلَتُ ظُهُورُ حُمَّا أَوِ الْحَوَايَا أَوْمَا الْحَنَاطُ بِعَظْمِ ذَلِكَ جَزَيْنَهُم رِبَّغَوْسِمُ وَ إِنَّا لَصَّنِيدُونَ ﴿ ﴾

(سورة الأثمام)

إذن فهناك أشياء قد حرم عليهم هذه الأطعمة لظلموا ، وهذه الآية الكربمة هي التي أرضحت أن الحق قد حرم عليهم هذه الأطعمة لظلمهم . ومعنى : و كل ذى ظفر الى الغدم التي تكون أصابعها مندمجة ومتصلة ، فليست الأصابع منفصلة ، ونجدها في الإبل والنعام والأوز ، والبط ، وهذه كلها تسمى ذوات الظفر و إلا ما حملت ظهورهما و يعنى الشحم الذي على الظهر . أما و الحوايا و فهى الدهون التي في الأمعاء الغليظة و أو ما اختلط بعظم و . أى الشحم الذي يختلط بالعظم إن التحريم هنا لم يكن لأن هذه الأشياء ضارة ، ولكن التحريم إنما كان عقابا لهم على ظلمهم لأنفسهم وبغيهم على غيرهم .

وافول ذلك حتى لا يقول كل راغب في الانفلات من حكم الله ما الضرر في تحريم الأمر الفلاتي ؟ إن محاولة البحث عن الضرر فيها حرمه الله هي رغبة في الانفلات عن حكم الله . فالتحريم قد يأتي آدبا وتأديبا ، ونحن على المستوى البشرى ـ ولله المثل الأعلى ـ يجنع الإنسان منا * المصروف * عن ابنه تأديبا ، أو يجنع عنه الحلوى ، لأن الابن خوج عن طاعة أمه ، إذن كان التحريم جزاءً لهم وعقابا قال تعالى :

﴿ نَبِظُلْمِدِ مِنْ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرْمُنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَتْتِ أَجِلْتُ خَسُمْ وَبِصَدِيمٌ عَنْ سَبِهِلِ ٱللَّهِ

كَثِيرًا ۞ وَأَخْذِهِمُ الرِّبُواْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمُوَلَ النَّانِي بِالْبَطِلِّ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَاهِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيهًا ۞﴾

(صورة النساء)

وذلك هو الجزاء الذي أراده الله عليهم .

إن التشريع الساوى حينا بأن لظالم يخرج عن منهج الله فكأمه يقول له ما هو القصد من خروجه عن منهج الله ؟ لماذا يظلم ؟ لماذا يأخذ الربا ؟ لماذا يصد عن سبيل الله ؟ لماذا يأكل أموال الناس بالباطل ؟ إن الظالم يفعل ذلك حتى يمتع نفسه بشيء أكثر من حقه ، لذلك بأن النشريع الساوى ليقوت عليه حظ المتعة ، وكان هذا الحظ من المتعة حقا وحلًا له ، لكن التشريع يحرمه . ومثال ذلك القاتل يحرم من ميراث من يقتله ؟ لأن القاتل استعجل ما أخره الله ، وأراد أن يعجل لنفسه المتعة بالميراث ، فارتكب جريمة قتل ، لذلك يأتي التشريع ليحرمه من الميراث .

كأن التشريع يقول له : د مادامت نيتك هكذا فأنت محروم من الميراث د والنشريع حين وضع ذلك إنما حمى كل مورث ، وإلا لكان كل مورث عرضة لنعدى ورثته عليه بالقتل لينتقل إليهم ما يملك ، فقال : لا . نحرمه من الميراث وكذلك هنا نجد الفللم بأنواعه المختلفة ، الظلم بإنكار الحق ، والصد عن سبيل الله ، وأخذ الربا ، وأكل أموال الناس بالباطل ، ومادام اليهود قد أدخلوا على أنفسهم أشياء ليست لهم فالنشريع يسلب منهم أشياء كانت حقا لهم .

وكان اليهود في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرغبون ألا يُشاع عنهم هذا الأمر فقالوا : إن هذا الطعام بحرم على بني إسرائيل . وبعد ذلك وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن هذا اللون من الطعام حلال في التوراة ، فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الأمر الذي فضحهم .

ولماذا تجيء هذه الآية بعد قوله الحق في الآية السابقة : « لن تتالوا البر حتى تنفقوا بما تحبون ؛ ؟ وتحن نعرف أن آية « لن تنالوا البر » قد جاءت بعد آية توضح النفقة غير المقبولة من الله . ولنذكر ما قلناه أولا ، عن تداعى المعلن في الملكات

الإنسانية : إن في النفس الإنسانية ملكة تستقبل ، فتتحرك ملكة أخرى ، وحين يقول الحق: كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل ؛ فالذين يسمعون هذا سينفعلون انفعالات مختلفة ، فالشبعان من الناس لن يلتقت إلى هذه المسألة بانتباه بالغ ، ومن عنده بعض الطعام فإن نفسه قد تتحرك إلى ألوان الحرى من الطعام ، أما من ليس عنده طعام فلسوف يلتقت بانتباه شديد ليتعرف على الحلال من الطعام والحرام منه .

إذن فقبل أن يأتى الله بالحكم الذى يُعلل ويحرم ، هذا الحكم الذى يثير عند الجائع شجن الافتقار وشجن ذكر الطعام الذى يسبل له لعابه ، إن الحق قبل أن يحرك معدما على غير موجود معه ، فإنه يجرك معطبا على موجود معه ، لذلك فقبل أن يأق الحق سبحانه ويذكر الطعام ، وقبل أن يُقلب الأمر على النفس الإنسائية التي يأق الحق سبحانه ويذكر الطعام ، وقبل أن يُقلب الأمر على النفس الإنسائية التي لا تجد طعاما ، تجد الرسول قد نطق قبلها بما أنزله عليه الحق ، لمن تنالوا البرحتى تنفقوا مما تحبون - مبحانه - قد حرك تنفقوا مما تحبون مالكة قبل أن يحرك ملكة معدمة ، وهكذا يكون النوازن الذي أراده ملكة واجدة ومالكة قبل أن يحرك ملكة معدمة ، وهكذا يكون النوازن الذي أراده الله في الكون المخلوق له .

إنه رب يحكم كونه ، فلا ينسى شيئا ويذكر شيئا . « لا يضل ربي ولا ينسى ، » إن كل شيء في علمه كها قُذَره وهو الخلاق القدير العليم ، وهو لا يذكر بعضا من الحناق ، وينسى بعضا آخر ، فهو قد كتب العدم لحكمة ، وأعطى النعمة لحكمة .

لقد جعل الفقير عبرة ، ولكنه لم يتركه ، وذلك حتى يوى كل إنسان أن القدرة على الكسب ليست إلا عرضا زائلا ، فمن الممكن أن يصبح القادر الآن عاجزا بعد دقائق أو ساعات ، ومن الممكن أن يصبح القوى ضعيفا ، فإذا ما علم القوى أو القادر ذلك فإنه يتحرك إلى إعطاء الاخرين ؛ حتى يضمن لنفسه التأمين الإلهى لوصار ضعيفا ، فيعطيه الاقوياء ، فعندما يامر الله الاقوياء بأن يعطوا وينفقوا فإن عليهم أن يستجيبوا ؛ لأن الواحد منهم لوصار ضعيفا فسوف يأخذ .

إذن فقول الحق سبحانه وتعالى : a لن تنالوا البرحتى تنفقوا بما تحبون a هذا القول قد خدم قضية سبقتها ، وهي أنه لن يقبل من أحدهم مل الأرض ذهبا ولو افندى به ، مادام كافرا ، إنها تفقة مرفوضة لا اعتبار لها ، إنها هدر . ويأتى من بعد ذلك بتحديد التفقة التي ليست هدرا ، ثم يقضح اليهود بقضية توجد عندهم في التوراة

ولكنهم كذبوها ، وهي تضية تتعرض للطعام ، ومادامت القضية تتعرض للطعام فهناك الكثير من الملكات التي يمكن أن تتحرك ، فملكات الواجه حين تتحرك فحركتها تكون بأسلوب غير الأسلوب الذي تتحرك به ملكات المعدم . فقبل أن يحركتها تكون المعدم إلى أنه معدم ، حتى لا يتلقى ذلك بحسرة ، فإنه سبحانه يكون قد عمل رصيدا فحذا المعدم ، فيرقق قلب الواجد أولا « لن تنالوا البرحتى تنفقوا مما تجبون وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم ، وبعد ذلك يأي قوله الحق سبحانه :

﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلَّا لِبَنِيَ إِشْرَاءِيلَ إِلَّا مَاحَرَمُ إِشْرَاءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِن قَبَلِ أَنْ تُنَزَّلَ النَّوْرَىٰءُ مَّلُ فَأْتُواْ بِالنَّوْرَىٰةِ فَا تُلُومَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۞ ﴾

(سورة ألى همران)

ومعنی کلمهٔ دحل، هو دحلال ی، ویقابلها دحرام د وحل هی مصدر، ومادامت مصدرا غلانقول وهذان حلالان، بل نقول: دهذان حل، ونقول: دهؤلاء حل، وإن شئت فاقرأ قوله تعالى:

﴿ يَنَا أَيْكِ اللَّهِ مِنْ الْمُنْوَا إِذَا جَآءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَنجِرَاتٍ فَآمَنُوهُمْ اللَّهُ أَعْلَمُ وَإِيمَانِينَ فَإِنْ عَلِيْتُمُوهُنَ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَ إِلَى الْكَالْكُفَارِ لَاهُنْ جِلَّ لَمُمْ وَلَا هُمُمْ يَجِلُونَ لَمُنَ ﴾

(من الآية ١٠ سورة المنحنة)

« لا هن يه هذه لجهاعة النساه ، والحل مفرد ، وعندما يقول الحق سبحانه : « كل الطعام كان حلا لبنى إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه ، فهذا يعنى أنه قد حرم بعضا من الطعام على نفسه فهو حرف أن يأخذ أو يترك ، أو أنه قد حرمه على نفسه فوافقه الله ؛ لأن الناذر حين ينذر شيئا لم يفرضه الله عليه فهو قد ألزم نفسه بالنذر أمام الله .

إن الزمن الذي حرم فيه إسرائيل على نفسه بعضا من الأطعمة هو و من قبل أن تنزل النبوراة » أي أن هذا التحريم لم يحرمه الله ، ويأتى الأمسر لرمسوله الكريم أن يخاطب بني إسرائيل : « قل فأنوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين ، إنه قد كشف سترهم ، وعلموا أن الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم أن النص الذي

يؤيد صدقه موجود في التوراة ، ولهذا لم يات اليهود بالتوراة ، وذلك لعلمهم أن فيها نصا صريحاً يصدق ما جاء به رسول الله ، ولا يحتمل اللجاجة ، أو المجادلة ، وماداموا لم يحضروا التوراة فهذا يعني أنهم غير صادقين . ويقول الحق :

﴿ فَمَنِ أَفَدَّ كَاعَلَى اللّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعَدِ ذَالِكَ فَأُولَتَهِكَ هُمُ الظّلِيمُونَ ۞ ﴿ فَهِ

إن في هذا القول التحذير الواضح ألا يختلق أحد على الله شيئًا لم ينزل به رسول أو كتاب قمن يفتري الكذب على الله لا يظلم إلا نفسه . ويقول الحق بعد ذلك :

﴿ قُلُ صَدَقَ اللَّهُ فَا تَبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ اللَّشَرِكِينَ ٢

يأمر الحق رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول : « قل صدق الله فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفا » .

ونعرف أن ملة إبراهيم هي التي سمّت كل المؤمنين بالله المسلمين ، والدعوة إلى الإيمان بجلة إبراهيم هي لإيضاح أن جوهر الإيمان لا يحتمل الحلاف ، فركب الإيمان والرسل والأنبياء هو ركب واحد ، وكلمة ، اتبعوا ، تعتى أن هناك مقدما كما أن هناك تابعا . وه الملة ، تشمل المعتقدات والتشريعات العامة ، كما أن الشريعة تشمل الأحكام ، والدين بكون لبيان العقائد .

راجع أصله وخرج أحاديته الدكتور أحد عمر هاشم ناتب رئيس جلممة الأزهر .

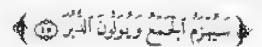
D111100+00+00+00+00+00+0

وقد عرفنا من قبل أن كلمة وحنيفا ، تعنى الذى يسير على خط مستقيم ، ويشبع منهجا قويما ومستويا ، ونحن نسمى ملتنا و الحنيفية السمحاء ، ومع ذلك فالحنف هو مبل فى الساقين ، اليمين مقوسة إلى اليمين ، واليسار مقوسة إلى اليمين مقوسة إذن نقول، عن الدين الحق الحادى لمنهج الله وشريعته : إنه حنيف ؟

لقد قلنا: إن السياء لا تتدخل بإرسال الرسل إلا حين يعم الفساد؛ ومادام الفساد قد عم فإن الذي يميل منحرفا عن الفساد هو الذي اهتدي إلى الصراط المستقيم، فالحنيف معناه ماثل عن الفساد، فالمائل عن المعوج معندل، * فل صدق الله قاتبعوا ملة إبراهيم حنيفا وماكان من المشركين،

وصدق الله و نعم و لأن الصدق هو أن يطابق القول ما وقع فعلا ، وحين يتكلم الحق وهو العليم أزلا فها الذي بحدث ؟ لابد أن يوافق الواقع ما يقوله سبحانه وتعالى فليس من المعقول أن يتكلم الله كلاما يأتى على لسان رسول ، أو على لسان أتباع الرسول ، وبعد ذلك يأت واقع الحياة فينقض قول الحق ويخالفه ، إن الحق العليم أزلا يُنزل من الكلام ما هو في صالح الدعوة إلى منهجه .

إذن فحين يطلق الله تضية من قضايا الإيمان فإنه مسبحانه عليم أزلا أنها سوف تحدث على وفيق ما قال ، وإن كان الظرف الذي قيلت فيه لا يشجع على استيعابها وفهمها . إن المؤمنين كانوا في أول الأمر مضطهدين ، ومرهقين وإن لم يكن للواحد منهم عشيرة تحميه فإنه يهاجر عن البلاد ، وإن لم يستطع الهجرة فإنه يُعذب ويُضطهد . وفي هذه الفترة الشديدة القاسية وفي قمة اضطهاد المؤمنين ينزل القول الحق :



سورة القمر)

وعندما يسمع سيدنا عمر عليه رضوان الله هذا القول يتساءل : أى جمع هذا؟ إن الراقع لا يساعد على هذاه ثم جاءت بدر ، وهزم المؤمنون الجمع وولوا الدبر ، وهذا دليل على أن الله قد أطلق قضية وضمن أنها ستحدث كها قال وكها أخبر ، وهذا مطلق الصدق . إن الإنسان يمكنه أن يستبعد الصدق لو أن الذي قال غير الذي

خلق ، لكن الذي قال ذلك هو الذي خلق ويخلق ويعلم ، فمن أبن بأق التناقض؟ وهذا معنى القول الكريم :

(صورة النساء)

إنه قول حق جاء من عند العليم أزلا ، ومن العجيب أن أهل الكتاب من يهود وتصارى بتمسحون في سيدنا إبراهيم ، فقال بعضهم: إن إبراهيم عليه السلام كان يهوديا ، وبعضهم قال: إن إبراهيم كان نصرانيا . وكان بجب أن يفهلوا أن اليهودية والنصرائية إنما جاءتا من بعد إبراهيم ، فكيف يكون يهوديا أو نصرائيا وهذه الملل قد جاءت من بعده ؟ لذلك جاء القرآن الكريم قائلا :

﴿ يَنَأَمُّلُ الْكِنَابِ لِرَنُّمَاجُونَ فِي إِرَهِيمَ وَمَا أَرْلِبِ التُورَانَةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّامِنَ بَعَدِهِ ۗ أَمَّلًا تَعْفِلُونَ ۞ ﴾

(سورة آل عمرانً)

وقد أوضح الحق بعد ذلك دين إبراهيم عليه السلام:

﴿ مَا كَانَ إِبْرَهِمِهُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنِ كَانَ حَنِفًا شَسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۞ ﴾

(صورة أله عمران)

فكيف عكن أن يختلقوا على إبراهيم أنه كان بهوديا أو تصرانيا ؟ إنه كلام لا يصدر إلا عن قلة فطنة وغفلة بالغة . وعندما يقول الحق عن إبراهيم ؛ وما كان من المشركين ، فهل أهل الكتاب مشركون ؟ نعم ؛ لأنهم حين يؤمنون بالبنوة لعزير ، ويؤمنون بالبنوة لعيسى فهذا إشراك بالله ، وأيضا كان العرب عبدة الأصنام يقولون : إنهم على ملة إبراهيم ، لأن شعائر الحج جاء بها إبراهيم عليه السلام ، ولهذا ينزه الحق مبحانه سيدنا إبراهيم عن ذلك ، ويقول : «قل صدق الله فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين، وذلك يدل على أن ملة إبراهيم وما جاء به

موافق لملة محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به ، وإجابة لدعوة إبراهيم عليه السلام , ثم يقول الحق سبحانه :

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتِ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدَى لِلْعَلَمِينَ ۞ ﴿ الْمُدَى لِلْعَلَمِينَ ۞ ﴾

لقد عرفشا من قبل كيف كمان تداعسى المعماني منسببا في إرواء الحق لكل ملكات الإنسانية ، وقبل هذه الآية التي تتحدث عن بناء البيت الحرام بمكة المكرمة كان هناك حديث عن سيدنا إبراهيم عليه السلام حين قال الحق :

﴿ سورة آل عمران ﴾

وإبراهيم عليه السلام هو أول الأنبياء صلة بالبيت الحرام ، وكان رفع قواعد البيت الحرام على يده بعد أن طمر وستر بالطوفان في عهد نوح عليه السلام ، فحين يأى الكلام في رسالة سيدنا إبراهيم عليه السلام فلابد أن تأن أكبر حادثة في تاريخ سيدنا إبراهيم ، وهي حادثة بناء البيت الحرام ، كيا أن الحق سبحانه حينها تكلم عن المحاجاة بين المسلمين وعلى رأسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يده القرآن ، وبين أهل الكتاب وفي أيديهم النوراة المحرفة والإنجيل المحرف أراد سبحانه أن يردنا إلى شيء واحد هو ملة إبراهيم الذي سهانا مسلمين . ومعنى ذلك أن الله يريد منا أن تسيطر قيم السياء على حركة أهل الأرض ؛ لأن حركة أهل الأرض إن انبعت الأهواء تصادمت الحركات ، ومادامت الحركات قد تصادمت فإن ما ينتج عنها هو ضياع عهود الحركة الإنسانية ، ويصير هذا المجهود مبددا .

ولكن الإنسان الذي يحمل القيم التي تتركز عقيدة في قلبه مبعد أن يبحثها بفكره مدا الإنسان له قالب تنفذ به تشريعات الله ، ولولا وجود القالب هذا لما استطاع

00+00+00+00+00+011110

الإنسان أن يطبق تشريعات الله ، وكمّا استطاع أن يؤدى هذه التشريعات ، ولما استطاع أن يطبع أن يؤدى الحركة المطلوبة .

إذن فلابد للقالب الإنسان ـ البدن ـ في التشريع من عملية أخرى وهي أن ينصب القالب ويكون له عمل حين يتوجه إلى بيت واحد لله ، وبذلك يصبح للقالب نصيب في العبادة أيضا ،

ولهذا كان لابد أن يوجد للقالب _ أيضا _ مُتَجَمَّ وهذا النَّجه يحكم القالب نفسه ، فكان المؤمن المسلم محكومًا قلبا وقالبا ، فحين نأتى للصلاة لنكون في حضرة الله نتحرى أن يكون قالبنا متجها إلى المكان الذي أمرنا الله أن نتوجه إليه ، لماذا ؟

لأن الحق سبحانه وتعالى ساعة يعطى رحمته وبركته وتنزلانه وإشراقاته يوبد أن يكون الجسم فى وضع مؤهل لاستقبال هذه التجليات و ولذلك كان لابد أن يكون لله بيت يتجه إليه الجميع حتى يعطى للتدين وحدة ، فكها أعطى الحق لموكب الرسالات وحدة ، فإنه يعطى أيضا وحدة فى الفالب الإنساني والمتجه ، وكل مكان يعبد الله فيه بالنسبة للإسلام يُعتبر مسجدا ، وقد يسر الله الأمر على أمة سبدنا عمد ، فقال حصلى الله عليه وسلم - : المجعلة لى الأرض مسجدًا وطهووا الأنه .

وكان لفاء الله وعبادته في الديانات السابقة يقتضي مكانا محددا ولكن قد وسع رحمته على أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

إن تراب الأرض طهور ، إننا عندما نفتقد الماء الطهور فإن التراب الذي قد يبدو للوهلة السطحية أنه سبب في عدم النظافة قد جعله الله لنا طهورا .

إن الإنسان بمكنه أن يتيمم ويتطهر بالتراب ، وكأن الله قد أراد أن يكون لقاء كل قرد من أمة محمد به ميسرا تيسيرا كبيرا . وكل مكان نعبد فيه الله ويسجد فيه المسلم لله يصبر مسجدا .

 ⁽¹⁾ هذا جزء من حديث شريف أخرجه الإمام البخارى في صحيحه ، والإمام مسلم وأموداود والترمذي والنسائي وابن ماجه ، والإمام أحمد في مسنده وغيرهم من أصحاب السئن .

لكن هناك فارقا بين أى مكان ثعبد الله فيه والمسجد ، فنحن نرى العامل يعبد الله في المصنع والتلميذ يعبد الله في الفصل ، والفلاح يعبد الله ويؤدى الفروض في الحقل ، ويمكن للسائر في الشارع أن يؤدى صلاته في أى مكان ، وأن يزاول عمله بعد ذلك ، ولكن حين تجيز الإنسان مكانا ليكون بينا لله ، فمحظور أن يزاول فيه نشاطا آخر من نشاطات الحياة ؛ إنه مكان تحيز .

إن العبادة كلها مقبولة ، ولكن هناك فارقا بين مكان تعمل فيه ومكان تخصصه ليصبر مسجدا . فالمسجد هو مكان لايزاول فيه إلا لقاء الله ، ولذلك أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا نستغل هذا الحيز في أي أمر يتعلق بدنياتا ، وقد أوضح لنا _ صلى الله عليه وسلم _ أن الذي يعقد صفقة في المسجد لن يبارك الله فيها ، والذي ينشد فيه شيئا ضالا له لن يجده . فقد دعا الرسول ألا يرد الله عليه ضالته .

إن أمور الدنيا بكفيها أن ناخذ من الإنسان كل يوم ثلاثا وعشرين ساعة، فليخصص الإنسان المؤمن ساعة الله وحده، وليخلع كل أغراض الحياة الدنيا كما يخلع النعال على باب المسجد. فليس من حسن الأدب واللياقة آن ينشغل الإنسان بأى شيء غير لفأه الله في الوقت المخصص للقاء الله ، وفي المكان المخصص لهذا اللقاء.

فساعة تدخل المسجد ينبغى أن تمنع نفسك من أن يتكلم معك أحد فى فضول الكلام ولغوه ، وأن تنوى الاعتكاف لنستفيد من وجودك فى المسجد . وساعة أن نخصص حيزا ما ليكون مسجدا ، فكيف يكون الانجاء داخل المسجد ؟ أيترك الأمر لكل واحد أن يختار له متجها ؟

لا ، إن المؤمن ملتزم بالانجاء إلى مكان واحد ، هذا المكان الواحد هو بيت لله باختيار الله بينها المساجد الأخرى هي بيوت لله باختيار خلق الله ، فبيوت الله باختيار خلق الله متجهها جميعا هو بيت الله الحرام.

وحين تنظر هذه النظرة ستجد العالم متواجها ؛ لأن كل عابد سيكون اتجاهه إلى يبت الله مع بقية العابدين لله ، فيلتف المؤمنون كلهم حول بيت الله ، ويتواجهون ، إن وجوهنا كلها تُقابل بعضها بعضا ، ولكن ما ضرورة الاتجاه للكعبة ؟ والحق سبحانه يقول :

عل وَيَّةِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُواْ فَمَّ وَجَهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعُ عَلِيمٌ ١٠٠

(سورة البقرة)

نقول: إن هذه الآية تؤيد ما نقوله ، فيادام لله المشرق والمغرب ، فهذا هو المعنى العام ، فالناس أول ما عرفوا الكون تعرفوا على المشرق والمغرب ثم الشيال والجنوب أيضا ، وبعد أن توصل العلم إلى تحديد الجهات الفرعية بجانب الجهات الاصلية الأربع المعروفة عرفنا « الشيال الشرقى » و« الشيال الغرب » و« الجنوب الشرقى » و» الجنوب المعروفة عرفنا « الشيال الشرقى » و« الشيال الغرب » وه الجنوب الشرقى » و» الجنوب المعروفة عرفنا « الشيال المتجهات لله ، والاتجاه للكعبة بحقق هذا القول الكريم .

وعندما يتجه إنسان إلى الكعبة فقد يكون الشرق خلفه ، ويكون الغرب أمامه ، ويتجه إليها إنسان آخر إلى الكعبة ، فيتقابل وجهه مع وجه المتجه للكعبة ، وثالث يتجه إلى الكعبة ، فيكون في زاوية أخرى ناظرا إليها ، وهكذا يلتف البشر من الشرق والغرب والشمال والجنوب وكل الجهات الفرعبة حول الكعبة .

إذن فقول الحق : ﴿ ولله المشرق والمغرب ﴾ أى جميع الحلق متجه إلى الكعبة ،
وبدلك لا تكون هناك جهة أولى بالله من جهة أخرى . وأنا لا أريد أن أدخل في
متاهة أنّ الكعبة مركز الأرض وأن الأرض خلقت منها ؛ لأن الشيء إذا كان مكورا
فأى نقطة فيه تكون مركزا للجميع ، لذلك فلنترك مثل هذا الكلام ، لكن ألاّ يكفى
أن يرجحها أن الله قد اختارها ؟ إن ذلك يكفى وزيادة ، وبذلك ينتهى الأمر ، إنها
كذلك ؛ لأنها بيت الله باختيار الله ، وهذا يكفى .

لقد علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الأشياء التى تفف فيها العقول وليست من صلب العقائد أو الدين لا يصح أن تكون محل خلاف أو جدل . يقول صيدنا على كرم الله وجهه عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : سأله رجل ، وأذلك أول بيت لله ؟ وفوضح رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قبله بيوتا ، ولكن مو أول بيت وضيع للناس . وهذا إيضاح أن الله قد جعل الكعبة هي أول بيت له يتعبد فيه جنس البشر ، وذلك لقول الله تعالى : « إن أول بيت وضيع للناس للذي يتعبد فيه جنس البشر ، وذلك لقول الله تعالى : « إن أول بيت وضيع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين ؟ . ولكن إن كانت هناك أجناس سابقة على الجنس ببكة مباركا وهدى للعالمين ؟ . ولكن إن كانت هناك أجناس سابقة على الجنس بليشرى قمن المؤكد أنه كانت هناك لله بيوت لا نعرفها .

وما آدم في منطق العقل واحد ولكنب عنسد الفياس أوادم

ولذلك فوجود البيت الحرام كبيت الله لا يصطدم مع منطق الناس الذين لا يملكون إلا الثقافة الدينية الضحلة ، فساعة أن يسمع الواحد منهم ، أن هناك اكتشافا لحفريات من كذا مليون سنة فهو يتساءل قائلا : كيف وآدم لم يمر عليه ملايين السنين ؟ لنفترض أن هناك خسة أجيال لإدريس عليه السلام وثلاثة أجيال لنوح عليه السلام ، وأحد عشر جيلا لإبراهيم عليه السلام وثلاثين جيلا لمحمد عليه الصلاة والسلام ، وهكذا يكون الوجود البشرى محددا بالاف السنوات لا ملايينها .

لهذا الإنسان نقول: وهل قال لك أحد: إن آدم أول من عَمَوَ الأرض ؟ إن الدين لم يقل ذلك ، لكن الدين قال: إن آدم هو أول هذا الجنس البشرى ، ولكنه ليس أول من سكن الأرض ، لذلك فليقل العلماء: إن عمر هذه الأرض ملايين السنين ولنسمع جميعا قول الحق تبارك وتعالى:

عَلْ أَلَرْ تَرُ أَنَّ اللَّهُ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِيُّ إِن يَشَأَ يُذْهِبُكُرُ وَ يَأْتِ بِخَلْقِ جَدِيدٍ (الله الميم) * (سورة ابراهيم)

إذن قلا مجال غذا البحث ، لذلك قال النبي عليه الصلاة والسلام : و لا ، بل قبله بيوت ع .

والحق سبحانه وتعالى يقول ما يوضح أن الجن قد سكنوا الأرض قبلنا : ﴿ وَالجَّـــَ آنَّ خَلَقْتُنهُ مِن قَبْلُ مِن نَّادٍ السَّمُومِ ۞ ﴾

(سورة الحجر)

أَلْمَ يَقُلُ الْحَقَ سِبِحَانَهُ إِنْ الْإِنسَانُ خَلِيفَةً ، وردَّت عليه الملائكة :
﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمُلَكَيِكَةٍ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةٌ قَالُواۤ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِنُدُ
فِيهَا وَيُسْفِكُ الدِّمَاءَ وَتَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّ أَعْلُمُ مَالًا
فِيهَا وَيُسْفِكُ الدِّمَاءَ وَتَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنَّ أَعْلُمُ مَالًا
قَمْلُونَ ۞ ﴿
وَهُونَ الْبَعْرَةِ) ﴿
وَهُونَ الْبَعْرَةِ) ﴿
وَهُ الْفَاقِ اللَّهِ اللَّهُ الْفَاقِ الْفَاقِ الْفَاقِ الْفَاقِ الْفَاقِ الْفَاقِ الْفَاقِ الْفَاقِ اللَّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللللّهُ اللللللّهُ الللّهُ اللللّهُ الللللّهُ

إن الذين قالوا ذلك ليسوا من البشر ، إذن فكلام الله يؤكد أن الكعبة هي أول بيث رَضع للناس ، أى للجنس البشرى ، ولذلك فلا داعي أن نتكلم في الأشياء التي يقف فيها العقل حتى لا ندخل في متاهة . ولو كان الله قد أراد أن يعلمنا أن الكعبة هي أول بيت في الأرض لقال لنا : • إنه أول بيت وضع في الأرض ، ولم يكن قد حدد الجنس الذي وضع البيت من أجله ، لكن الحق سبحانه قال : • إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا ، ولذلك بين رسول الله صلى الله عليه وسلم أول بيت وضع لكن ما يأن به العلم .

وحين ننظر إلى القول الحق : « إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا » ما معنى « أول » ؟ إنه الابتداء ، وهل كل ابتداء له انتهاء ؟ لا ، إن هناك أمورا لها « أول » وليس له آخر » ومثال ذلك العدد « واحد » وما بعده ليس له آخر ، فاخر ما بعد العدد واحد هو ما يمكن الإنسان أن يحسبه عجزا في التقديرات الدشليونية ، ما بعد العشليون هناك أعداد أخرى ، وكان الإنسان تديما يقف عند الألف ، وتمكن ما بعد الدشليون هناك أعداد أخرى ، وكان الإنسان تديما يقف عند الألف ، شم يقول عن المليون « ألف ألف » ، وكذلك الجنة لها أول وليس لها آخر .

إذن فأول بيت وضعه الله للناس هو الكعبة . وعندما نرى كلمة و وُضع ، نجدها فعلا ، ونرى أنه قد وُضِع للناس . ومادام هذا البيت قد وضع للناس لذلك فمن اللازم حين تأتى كلمة و ناس ، أن يكون هناك و بيت ، وو آدم ، من الناس ، ووالد كل الناس ، وكان له بيت وُضِع له . وحين يقال : إن البيت قد تم يناؤه قبل آدم فإننا نقول : نعم ، لأن آدم من الناس ، والله يقرل : وإن أول بيت وضع للناس ، فلهذا نحرم آدم من أن يكون له بيت عند الله ؟ إذن فالبيت موجود من قبل آدم . وبعض الناس تظن أن إبراهيم عليه السلام هو الذي بني البيت ، ولاصحاب هذا الظن نقول : لنفهم القرآن معا ، إن مثل هذا القول يناقض القرآن ؛ لأن القرآن قد الفلن نقول : لنفهم القرآن معا ، إن مثل هذا القول يناقض القرآن ؛ لأن القرآن قد ما بيث وضع للناس ، وذلك إيضاح أن إبراهيم كان من قبله أناس ما بعل ما بواهيم بيت ؟ ولا يكون للناس من قبل إبراهيم بيت ؟ ولا يكون للناس من بعل إبراهيم بيت ؟ ولا يكون للناس من بعل

إن الذين كانوا يعيشون قبل مجىء إبراهيم عليه السلام لهم الحقوق نفسها عند الله الذي وضعها الله لمن بعد إبراهيم ، فلابد أن الله قد جعل بينه لهم ، والنص القرآن

0111100+00+00+00+00+00+0

وأن أول بيت وضع للناس ، مؤكد ذلك ، ومادام قد جاء الفعل مَبْنَياً للمفعول فواضعه ؟ هل فواضعه غير الناس ، قد ، وُضِع ، هو فعل مبنى على ما لم يسم فاعله ، قمن الذي وضعه ؟ هل هم الملائكة ؟

قد يصح ذلك وهو أن يكون الملائكة قد تلفوا الأمر من الله بجزاولة هذا البناء ، ولكن الحق يقول عن هذا البيت إنه : « هدى للعالمين ، وهذا يعنى أن البيت هدى للملائكة ، لانهم عالم، وهذا يعنى أن البيت قد وضعه الله من قبل ذلك ، إن أحدًا لا يقدر أن يجعل الكون على قدر العقل البشرى ، إن على العقل البشرى أن يكون فى ركاب الكون ، وإباك أن تجعل الكون فى ركاب عقلك ، أما مسألة أن إبراهيم قد بنى الكعبة أولاً فهذا عدم فهم للنص القرآن القائل :

﴿ وَإِذْ يَرْفُعُ إِبَرَاهِكُ ٱلْقُوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْنِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبِّنَا تُقَبَّلُ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ الْفَلِيمُ ۞ ﴾

(صورة البقرة)

فها هو الرفع ؟ إنه إيجاد البُعد الثالث وهو الارتفاع ، فالطول والعرض موجودان إذن فهذا دليل على وجود البيت قبل أن يقيم إبراهيم عليه السلام ارتفاع البيت . وهكذا نستنتج أن الذي كان مطموسا هو القاعدة والارتفاع ، مع وجود الطول والعرض اللذين بجددان المكان ، أما البناء فهو الذي بجدد و المكين ، وعندما انهذم البيت الحوام كان الناس يتجهون إلى المكان نفسه . ونحن عندما نصل في الدور الثالث في الحرم ، فإننا نتجه إلى الهواء الموجود من فوق الكعبة ، ولمو حفرنا نفقا تحت الأرض بالف متر ، وأردنا أن نصلي فإننا سنتجه إلى جذر الكعبة ، وهكذا تعرف أن جو الكعبة كعبة .

إذن فعمل إبراهيم عليه السلام كان في إيجاد المكين لا المكان ، ولنقرأ بالفهم الإيمان ما حدث لإبراهيم عليه السلام . لقد أخذ إبراهيم هاجر وابنها إسهاعيل ، وخرج بهما ليضمهما في هذا المكان . « وهاجر » تعرف أن مكونات الحياة هي المياه والمواء والقوت ، وهذا المكان لا توجد به حتى المياه ، لذلك قالت هاجر سائلة إبراهيم عليه السلام : كيف تتركنا هنا ؟ هل أنزلتنا هنا برأيك أم بتوجيه من الله ؟

فقال لها إبراهيم عليه السلام: إنه توجبه من الله ، لذلك قالت : ولقد اطمأنت ، والله لا يضيعنا أبدا ، لم تقلق هاجر لأن إبراهيم اتجه إلى ما أمره الله ، وهذا هو الإيمان في قمته ، ولو لم يكن الإيمان على هذه الدرجة الرفيعة فأى قلب لام تترك أب الطفل يذهب بعيدا عنها وتعيش مع ابنها في هذا المكان الذي لا يوجد به طمام أو ماه ، فهي لا تؤمن بإبراهيم ، ولكنها تؤمن برب إبراهيم وعندما تقرأ القرآن الكريم غيد القول الحق على لمان إبراهيم :

﴿ رَبِّنَا إِنِّىٰ أَنْكَنتُ مِن ذُوِيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعِ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبِّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلُوٰةُ فَٱجْعَلُ أَقْفِدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَبْوِى إِلَيْهِمْ وَآذِزُقَهُم مِّنَ ٱلضَّرَتِ لَمَلَهُمْ يَتُحَصُّرُودَ ﴿ ﴾

(سورة إيراههم)

هكذا نعرف أنه ساعة إسكان إبراهيم لذريته كان هناك بيت وأن هذا البيت محرم ، وعندما نقرأ عن رفع البيت الحرام نجد أن إبراهيم عليه السلام لم يرفع قواعد البيت بمفرده بل شاركه ابنه إسهاعيل عليه السلام .

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِيرَامِتُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَنعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلُ مِنَّا ۚ إِلَٰكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِيرَامِتُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَنعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلُ مِنّا ۚ إ

(سورة البغرة }

هكذا نعلم أن إساعيل عليه السلام كان قد نضح بصورة تسمح له أن يساعد والده خليل الرحمن في إقامة قواعد البيت الحرام ، وهذا بدلنا على أن إساعيل نشأ طفلا في هذا المكان عندما أسكنه والده إبراهيم عند البيت المحرم ، هكذا نتيقن أن البيت المحرم كان موجودا من قبل إبراهيم عليه السلام ، وعندما ندقق النظر في معنى البيت المحرم كان موجودا من قبل إبراهيم عليه السلام ، وعندما ندقق النظر في معنى كلمة و بكة ، التي وردت في هذا القول الكريم دو إن أول بيت وضع للناس للذي يبكة مباركا ، فإننا نعرف أن هناك اسها لمكان البيت الحرام هو و بكة ، وهناك اسم أخر هو مكة ، وبعض العلماء يقول : إن و الميم ، وو الباء ، يتعاونان ، وتلحظ ذلك

في الإنسان : الأخنف : أو المصاب بزكام ، إنه ينطق : المبم ، كأنها : باء : . والميم و: الباء : حرفان قريبان في النطق ، والألفاظ منها تأتي قريبة المعنى من بعضها .

ولننظر إلى اشتقاق و مكة ، واشتقاق ، بكة ، إننا نقراً ، بك المكان ، أى ازدحم المكان ، وهكذا نعرف من قوله الحق : « إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا ، أى أنه مكان الازدحام الذى بأن إليه كل الناس وكل الوفود لتزور بيت الله الحرام ، ولا أدل على ازدحام البيت الحرام من أن الرجال والنساء يختلط بعضهم ببعض ، والإنسان يطوف بالبيت الحرام ، ولا يدرى أنه يسير وقد بلمس امرأة أثناء الطواف .

وديكة يدهى المكان الذى فيه الطواف والكعبة ، أى هى اسم مكان البيت الحرام ، ود مكة على البيت الحرام ، ود مكة على البلد كلها الذى يوجد به البيث الحرام . ود مكة عاخوذة من عاذا ؟ إن د مكة عاخوذة من عمك الفصيل الضرع عاو عامتك الفصيل الضرع عاد أى امتص كل ما فيه من لبن ، والفصيل كما نعرف هو صغير الإبل أو صغير البقر . ومادام الفصيل قد امتص كل ما في الضرع من لبن قمعني هذا أنه جاتع ، ومكة كما تعرف ليس فيها مياه ، والناس تجهد وتبالغ في أن تمتص المياه الفليلة عندما تجدها في مكة .

وفى كلمة (مباركا » شجد أنها مأخوذة من (الباء والراء والكاف » والمادة كلها تدور حول شيء اسمه الثبات ، فهل هو الثبات الجامد ، أم الثبات المعطى الناس الذى مهها أخذت منه فإنه ينمو أيضا ؟ إننا في حياتنا اليومية نقول : ﴿ إِنْ هَذَا المَالَ فِيهُ مِرْكَةً . مهها صرفت منه فإنه لا ينتهي » ، أي أنه ثابت لا يضيع ، ويعطى ولا ينفد. وكلمة ﴿ بِرُكَةً ﴾ في حياتنا تعنى أنها تجمعُ المَاء تأخذ منها مهها تأخذ فيأن إليها ماء آخر .

وكلمة وتبارك الله يه تعنى و بت الحق يه ولم يزل أزلا ولا يزال هو واحداً أحداً ،
إنه الثبوت المطلق . وهكذا تجد أن الثبات يأن في معنى البيت الحرام . إن البيت الحرام مبارك أبدا وكيف يه ؟ ألب ت تضاعف فيه الحسنة ؟ وهل هناك بركة أحسن من هذه ؟ وهل هناك بركة أفضل من أنه بيت تجبى إليه ثمرات كل شيء ولا تنقطع ؟ فقديما كان الذاهب إلى البيت الحرام يأخذ معه حتى الكفن ، ويأخذ الإبرة والحيط ، والملح ، والأن فإن الزائر لبيت الله الحرام يذهب ليأن بكماليات

الحياة من هناك . ويقول سبحانه عن هذا البيت الحرام المبارك : إنه و هدى للعالمِن و . ما هو الحدى ؟ قلنا : إن الحدى هو الدلالة الموصلة للغاية ، ومن يَزُرُ البيت الحرام يخرج من ذنويه كيوم ولدته أمه ، فهل اهتدى للجنة أم لا ؟ إنه و بول بزيارة البيت الحرام الطريق إلى الجنة ، وحيثها تنظر إلى هذه المسألة نجد أن الحق سبحانه وتعالى عندما تكلم عن البيت لم يتكلم إلا عن آية واحدة فيه هي مقام إبراهيم مع أن فيه آيات كثيرة .

قال الحق :

عَلَىٰ فِيدِ مَا لِكَ أَيْنَاتُ مُقَامُ إِبْرَهِيمُ وَمَن دَخَلَهُ وَكَانَ عَلَمُ اللّهُ وَمَن دَخَلَهُ وَكَانَ عَامِنَا وَ فَلَهُ وَكَانَ عَامِنَا وَ فَلَهُ وَكَانَ اللّهُ عَلَى النّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ السّنَطَاعَ إِلَيْهِ مَنِ السّنَطَاعَ إِلَيْهِ مَنِ السّنَطَاعَ إِلَيْهِ مَنِ السّنَطَاعَ إِلَيْهِ مَنِ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْ عَلَيْ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ

إننا نجد أن صيغة الجمع موجودة في قوله الحق : « قبه آيات » وه بينات «وهي وصف الجمع ، وبعد ذلك قال الحق : « مقام إبراهيم » إنه سبحائه لم يذكر إلا مقام إبراهيم بعد الآيات ، والمقام آية واحدة ، وهذا يدل على أن مقام إبراهيم قيه الآيات البينات ، ونحن نقرأ « مقام إبراهيم » بفتح الميم الأولى في كلمة « مقام » ولا تنطقها « مقام » بضم الميم الأولى لأن المقام بضم الميم الأولى لأن المقام بضم الميم عليه السلام ؟

لقد كان إبراهيم يقوم ليرفع قواعد البيت الحرام ، وكان إبراهيم يقوم على ه حجر ، وعندما ننظر إلى مقام إبراهيم فإنك تجد فيه كل الآيات البينات ؛ لأن الله طلب من إبراهيم عليه السلام أن برفع قواعد البيت ، وكان يكفيه حين يوفع قواعد البيت ، وكان يكفيه حين يوفع قواعد البيت أن يعطيه الارتفاع الذي يؤديه طول يديه ، وبذلك يكون إبراهيم عليه السلام قد أدى مطلوب الله - كها قلنا من قبل - لكن إبراهيم عليه السلام تعود مع

الله أن يؤدى كل تكليفات الله بعشق وحب وإكمال وإتمام ، فقال إبراهيم في نفسه : و ولماذا لا أرفع البيت أكثر تما تطول بداى ؟ ولم تكن هناك في ذلك الزمن القديم فكرة و السقالات ، ، ولم يكن مع إبراهيم عليه السلام إلا ابنه إسماعيل ، وأحضر إبراهيم عليه السلام حجرا ، ووقف عليه ؛ لبرفع القواعد قدر الحجر .

إذن فإبراهيم خليل الرحمن أراد أن ينفذ أمر الله بالرقع للقواعد لا بقدر الاستطاعة البدنية فقط ، ولكن بقدر الاحتيال على أن يرفع القواعد قوق ما يطلبه الله ، وهذا معنى قول الله عن إبراهيم عليه السلام :

﴿ وَإِذِ ٱبْنَالَ إِرَامِتُ رَبُّهُ بِكَلِنْتِ فَأَنَّمَهُ أَنَّ قَالَ إِنِي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذَرِيْتِي عَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّلِينَ ﴿ ﴾

(سورة البغرة)

اى انه أدى مطلوب الله أداء كاملا ، ولا أدل على هذا الأداء الكامل من أنه أق بحجر ليقف عليه ليزيد من ارتفاع البيث قدر هذا الحجر . ونعرف أن الذي ساعده وشاركه في رفع القواعد هو ابنه إسهاعبل . ومن أكرمه الله برزية مقام إبراهيم يجد أن الحجر يسم وقوف إنسان واحد ، وهكذا نقهم أن إسهاعيل كان يساعد ويناول والده الأحجار ، أما مكان الأقدام الموجودة في هذا الحجر ، فهذا يعني أن إبراهيم عندما كان يقف ويحمل حجرا من المفروض أن يحمله اثنان فإن هذا يتطلب ثبات القدمين في مكان آمن حتى لا يقع .

فهل يا ترى أن الله سبحانه وتعالى جلت قدرته ساعة رأى إبراهيم يمتال هذه الحيلة قال لخليله: سأكفيك مؤنة ذلك. وجعل الحق القدمين تغوضان في الحجر عوصها يستدهما حتى لا تقعا ، والذي لا يتسع ذهنه إلى أن الله ألأن لإبراهيم الحجر ، ثقول له: إن إبراهيم قد احتال ، وخاف أن تزل قدمه ، فنحت مكانا في الحجر على قدر قدمه حتى تثبت قدمه حين يحمل ويرفع الحجر ، وهذه آيات بينات . فخذ ما يتسع ذهنك وفهمك له ، إن الله أعان إبراهيم لأنه فكر أن ببني القواعد ويرفعها أكثر مما تطول يداه ، وقد مكن الله له في ذلك وأعانه عليه ، وتحن نعلم أن الهداية تكون هداية الدلالة وهذاية المعونة .

﴿ وَالَّذِينَ الْمُتَدُواْ زَادَهُمْ مُدَّى وَوَاتَنَّهُمْ تَقُونِهُمْ ﴿ }

(سورة عبد)

و فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا ، والآيات هي الأمور العجيبة ، وعندما تراها فإنك لا تستطيع أن تنكرها . ودخول البيت يعني الأمن للإنسان الذي يدخله ، ونحن نعلم أن البيت قد تم بناؤه في هذا المكان . وهذا المكان تجتمع فيه القبائل ، وبين بعض هذه القبائل ثارات ودماء وحروب ، لذلك يئين الله الموضع الذي بمقتضاه تحقن الدماء و ومن دخله كان آمنا ، لماذا ؟ لأنه بيت الرب ولا يصح أن يدخل واحد بيت الرب ويعاقب حتى ولو كان قد أجرم جرما يوجب الله عليه الحد فيه ، ولذلك قال صيدنا عمر رضى الله عنه : لو ظفرت فيه يؤجب الله عليه الحد فيه ، ولذلك قال صيدنا عمر رضى الله عنه : لو ظفرت فيه يقائل الخطاب _ والده لم أتعرض له .

ولكن يُضَيِّق الحناق على المجرم حتى يخرج . وهذا الأمن محدد بأي أمر اقترفه في دنياه ، أما من دخله كان آمنا يوم القيامة فالحكم فيه شيء آخر ، إنها درجة عالية من فضل الله ، والأيات البينات الواضحة في البيت الحرام يراها من زار البيت الحرام ، وليحقق الله أمل كل راغب في زيارة البيت الحرام ، وأن يكرر الزيارة لمن ذهب واراد أن يعود للزيارة مرة أخرى . فساعة تدخل البيت الحرام فانت هنا تتجه إلى مكان في البيت والمقابل لك في الكرة الأرضية يتجه إلى المكان المقابل ، إلى أن تصير الاتجاهات البيت والمقابل لك في الكرة الأرضية يتجه إلى المكان المقابل ، إلى أن تصير الاتجاهات مشتملة على الكعبة كلها . ونحن عندما نكون في الكعبة فإننا توجه وجوهنا إلى المبنى المنظوع بأنه منها ، والحطيم ، وهو القوس المبنى حول حجر إسهاعيل ، هو من الكعبة أيضا ، ولكن النفقة قصرت ، فجملوه المبنى حول حجر إسهاعيل ، هو من الكعبة أيضا ، ولكن النفقة قصرت ، فجملوه المبدد مكان الكعبة واتجه إليها فإنه المبدد مكان الكعبة ، إلى جهتها .

ولذلك نجد الصفوف في الصلاة حول الكعبة تتخد شكل الدائرة ؛ لأن الذين يصلون في داخل الحرم يشاهدونها ، أما الذين يصلون خارجها فيكفى أن يتجهوا إلى جهتها ولو طال الصف إلى ألف متر ، لذلك فالصف للمصلين خارج الحرم يكون معتدلا ، أما في داخل الحرم فالصفوف تأخذ شكل الدائرة لأن أقصى بعد في الكعبة هو اثنا عشر مترا وربع المترفونجد من الآيات العجيبة أنك إذا ما نظرت إلى الحجر الأبهود تجد الناس تتهافت على تقبيله ، والحجر يمثل أدني أجناس الكون ، ونعلم

جميعاً أن الإنسان مستخلف كسيد في الكون ، ومن بعده الحيوان أقل منه في الفكر ومسخر ، ومن بعد الحيوان يكون جنس النبات ، ومن بعد ذلك يأتي جنس الجهاد ومنه الحجر .

إننا فرى هذا الإنسان السيد في الكون لا يقبل الله منه النسك القبول التام الحسن إلا إذا قبل الحجر ، أو حباه ، وهكذا ينقل الحق أعلى الأجناس إلى أدناها ، والناس تؤدحم حول الحجر ، ومن لم يقبل الحجر يحس أنه افتقد شيئا كثيرا ، وهكذا ترى استطراقا وسلوكا من الحلق إلى باب الله ، فالإنسان المتكبر الذي يتوهم أنه سيد على غيره ، ياتي إليه أمر في النسك بتقبيل الحجر أو تحيته بالسلام ، وهذا الإنسان برغم أن الحق سبحانه . يقبل منه أن يجبي الحجر الأسود بالسلام ولم يفرض عليه أن يقبله ولكنه مع ذلك يحاول أن يقبل الحجر ، وهو أدني الأجناس ، لأن الله قد عظمه ، وهذا أول كسر الأنف غرور الإنسان ، وحتى لا يظن ظان أنها حجرية أو وثنية ، يأن الأمر من الحق برجم حجر آخر .

إذن فالحجرية لا ملحظ لها هنا ، فنحن تجد حجرا يُقدس ، وحجرا أخر يُرجم . نجد حجرا يقبله الإنسان ويعظمه وحجرا أخر يؤدريه ويحقره . وذلك يدل على رضوخنا لإرادة الأمر سبحانه وتعالى فقط ، فعندما يأمرنا بأن تعظم حجرا فالمؤمن يؤدى حق التعظيم بالسمع والطاعة ، وعندما يأمرنا سبحانه برجم حجر آخر ، فالمؤمن يرجم هذا الحجر بالسمع والطاعة لله أيضا ، فالذاتية الحجرية لا دخل لها على الإطلاق . وبعض من أصحاب الظن السبيء قالوا:إن الإسلام قد استبقى بعض الوثنية .

ولهؤلاء نقول: ولماذا تذكرون تعظيم الحجر الأسود، ولم تذكروا رجم إبليس وهو ثلاثة أحجار؟ لفد عظم المؤمن المؤدى للنسك حجرا واحدا ورجم ثلاثة أحجار، إن المؤمن إنما يطبع أمر الله، فليست للحجر أى ذاتبة فى النسك أو العبادة. لمقد رفعنا الحق من حضيض عبادة الاصنام التي هي عين الكفر، لكنه قال لنا: وقبلوا الحجر الأسود، فقد قبلنا الحجر احتراما لأمر الأمر، وذلك هو منتهى اليقين. لقد نقلنا الحق من مساو إلى مساو، من عبادة الحجر إلى تعظيم وتقديس حجر مثله، لكن الأصنام كانت منتهى الشرك، وتقبيل الحجر الاسود منتهى اليقين. أليست هذه المات بيئات؟

وزمزم الني توجد في حضن الكعبة ، ألبست آيات بينات ؟ إن و هاجر و تترك الكعبة وتروح إلى و الصفاء وتصعد إلى و المروة ، بعد أن تضع و إسهاعيل ، بجانب الكعبة ، وتدور بحثا عن المياه ، وسعت هاجر سبعة أشواط لعلها ترى طيرا أو تجد إنسانا يعرف طريق المياه لأن ابنها يحتاج إلى الشرب ، ولو أنها وجدت على الصفا أو المروة مياها في أول سعيها أكانت تجد تصديقا لقولها لإبراهيم عندما جاء بها للإقامة في هذا المكان وإن الله لا يضيعنا ، إنها صعت .

وكأن الله يغول لها ولكل إنسان: عليك بالسعى ، ولكن لن أعطيك من السعى ، إنما أعطيك الماء من تحت رجل إسهاعيل، إذن فصدقت في قوفا: لن يضيعنا الله ، لقد جعلها الحق سبحانه تسعى سبعة أشواط ، ولا يمكن لامرأة في مثل عمرها أن تقدر على أكثر من ذلك ، وهذا يعلمنا أن الإنسان عليه أن يباشر الأسباب ، ولكن القلب عليه أن يتعلق بمسبب الأسباب ، وهو الله مبحانه وفي هذا ما يعدل سلوك الناس جميعا . فساعة يرى الإنسان أن البئر مكان قدم إسهاعيل وعلى البعد تكون الصفا والمروة ، وتسعى بينها ، وبعد ذلك تجد زمزم مكان ضربة قدم إسهاعيل ، أليس في هذا أيات بينات تهدى الإنسان أن يباشر الأسباب ويأخذ بها ، ويتعلق القلب بمسبب الأسباب ؟

إن هذا يعطى المؤمن إبمانية النوكل ، وهي تختلف عن الكسل وه بلادة النواكل ، فإيمانية النوكل هي أن الجوارح تعمل ، والقلوب تتوكل ، أما الكسل عن الأخذ بالأسباب مع الادعاء بالتوكل فهذه بلادة ، ومثل هذا الكسول المتواكل عندما يأى الأكل أمامه يأكل بنهم وشره ، ولو كان صادقا لترك اللقمة تقفز إلى قعه ، ولماذا يضغها إذن ؟ لماذا يخنار التواكل والكسل ، وعدم العمل ، ثم يمد يده ليأكل ؟ إن هذه هي ه صفات التواكل ه .

إننا نأخذ من سمى وهاجر وتفجر الماء عيرة وهي الأخذ بأسباب الله ويعد ذلك فإننا نجد كل إنسان في البيت الحرام مشغولا بنفسه مع ربه ومن فرط انشغاله يكون غافلا عمن يكون معه ولوكان أحب إنسان له فإنه لا يدرى به وساعة تدخل وتنظر إلى الكعبة ينقض من عقلك كل فكر في أي شيء من الأشياء ولا تذكر أولادك أو مالك و لكنك بعد أن تقرغ من المناسك تعود للتفكير في أولادك وعملك و والا لو ظل حيث وشوقك وتعلقك ومواجيدك بهذه البقعة لضاق المكان

بالناس جيعاً . بعد ذلك يقول الحق سبحانه عن البيت الحرام : « ومن دخله كان آمناً » . وهنا يجب أن نفهم أن هناك فارقا بين أن يكون « الخبر » تاريخا للواقع » وبين أن يكون « الخبر » خبرا تكليفيا فلو كان « وَمَنْ دخله كان آمناً » تاريخا للواقع لشم نقض ذلك بأشياء كثيرة ، فقد وجد فيه قوم ولم يأمُنُوا .

وتحن نعرف حادث الاعتداء الأخير الذي حاوله جهيهان منذ سنوات قال الناس: إن جهيهان عندما اعتدى على الناس ، لم يستطع حجيج بيث الرحمن أن يكونوا آمنين في البيث وتساءل بعضهم ، فكيف قال الحق : « ومن دخله كان آمنا » ؟ بل قال بعض أهل الاتحراف : إذن مسألة دخول جهيهان إلى البيث الحرام تجعل « ومن دخله كان آمنا » ليست صادقة ! ولحؤلاء نقول :

إن هناك فرقا بين إخبار الحق بواقع قد حدث ، وبين إخبار بتكليف ، إن الإخبار بالمواقع كان معناه ألا يدخل أحد البيت الحرام ويهبجه أو يهاجمه أحد أبدا ، ولكن الإخبار التكليفي معناه : أن يخبر الله بخبر ويقصد به تكليف خلقه به ، والتكليف كما نعرف عرضة لأن يطاع ، وعرضة لأن يعصى ، فإذا قال الله سبحانه : ه ومن دخله كان أمنا ، فهذا معناه : يأبها المؤمنون ، من دخل البيت الحرام فأمنوه . ونضرب المثل ولله المثل الأعلى - تقول أنت لولدك: يا بني هذا بيت يفتح للضيوف من دخله يكرم ، أهذا يدل على إنجاز الإكرام لكل من دخل هذا البيت وحصوله له بالفعل وأن هذا لا يتخلف أبدًا أم أنك قلت الخبر وتويد لولدك أن ينفذه ؟

إن هذا خبر يحمل أموا لابنك هو ضرورة إكرام من يدخل هذا البيت ، وتلك الوصية عرضة لنطاع وعرضة لأن تخالف ، لذلك فنحن نفهم من قول الحق : و ومن دخله كان آمنا ، على أساس أنها أمر تكليفي ، عرضة للطاعة وللعصيان ، ومثال آخر على ذلك هو قول الله تعالى :

(سورة النور)

بعض الناس يقول : نجد واقع الحياة غير ذلك ، حيث نجد امرأة طيبة تقع في

عصمة رجل غير طيب وتتزوجه . ونجد وجلا طيبا يقع مع امرأة غير طيبة ويتزوجها ، فكيف يقول الله ذلك ؟ ونحن نرد على أصحاب هذا القول : إن الله لم يقل ذلك تأريخا للواقع . ولكنه أمر تكليفي . أي افعلوا ذلك ، وحكمي وتكليفي أن يكون الطيبات للطبين والطيبون يكونون للطبات . فإذا امتثل الخلق أمر الحق فعليهم أن يفعلوا ذلك ، وإن لم يمتثل بعض الخلق الامر الحق فإن الواقع ينبيء بحدوث وجود طبين لغير طبيات أو العكس .

إذن فقول الحق : « ومن دخله كان آمنا » هو خبر يراد به أمر تكليقى ، فمن أراد أن يكون صادقا فيها كلفه الله به فليُؤمن من دخل البيت الحرام . ويعد ذلك يقول الحق سبحانه :

﴿ وَقِهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَيِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِي عَنِ ٱلْعَلَيْنِ ﴾ عَنِ ٱلْعَلَيْنِ ﴾

وحين تسمع وله ووعلى ، فافهم أن الفائدة تقع على ما دخلت عليه واللام ، والتبعة تقع على ما دخلت عليه وعلى ، فحين نقول : ولفلان عَلَى فلان كذا ، والتبعة تقع على ما دخلت عليه وعلى ، وحين يقول الحق سبحانه فلان كذا ، فالنفعية لفلان الأول والتبعة على فلان الثانى ، وحين يقول الحق سبحانه وتعالى : وولله على الناس حج البيت ، فعل هذا فالنفعية هنا تكون نله ، والتبعة هنا تكون على الناس ، لكن أو فطنا إلى سر العبارة لوجدنا أن الله لا ينتفع بشيء من تكليفه لنا ، فالحج بله ، ولكنه يعود إليك ، فها بله عاد إليك ، وما عليك عاد لك .

وكل تكليف عليك فأثره لك ، فإياك أن تفهم من ذلك القول الكريم : ، ولله على الناس حج البيت ، أن اللام الأولى للنفعية ، وإياك أن تفهم أن وعلى ، هى للتبعة ، نعم إن الحج لله ، ولكن الفائدة لا تعود إلا عليك ، وهو تكليف عليك ، وفائدته تعود عليك ، فالحق سبحانه وتعالى منزه عن أن يُفيد من حكم من أحكامه ، وهو سبحانه حين يتزل حكها تكليفها فعلى العيد المؤمن أن يعرف أن فائدة الحكم وهو سبحانه حين يتزل حكها تكليفها فعلى العيد المؤمن أن يعرف أن فائدة الحكم عائدة عليه وعلى حياته ، ولله يكون القصد والحج ، لا لشيء سواه .

ولماذا يقول الحق : إن على العبد المؤمن أن يجج البيت الحرام ؟ لأنه الحالق وهو

0118100+00+00+00+00+00+0

خبير وعليم بأن التكليف شاق على النفس ، ولكن على المؤمن المكلف حين يجد تكليفا شاقا عليه أن ينظر إلى الفائدة العائدة من هذا الحكم ، فإن نظر إلى الفائدة من الحكم وجد أنها تعود عليه ، ولذلك يسهل على العبد المؤمن أمر الطاعة . والذي لا يقبل على الطاعة ويهمل الجزاء عليها ويغفل عنه . تكون الطاعة شاقة عليه . والذي يقبل على المعصية ويهمل الجزاء عليها تكون المعصية هيئة عليه . ولكن الطائع لو استحضر غاية الطاعة لعلم أنها له لا عليه .

ولو أن العاصى استحضر العذاب على المعصية لعلم أنها عليه لا له ؛ فالعاصى قد يحقق لنفسه شهوة ، لكنها شهوة عاجلة ، أمدها قصير ، ولو استحضر العاصى العقوبة على المعصية وقت عملها ما أقدم على معصيت أبدا . ولكن الذين يرتكبون المعصية ينظرون إلى الشهوة الطارئة ، ويعزلون جزاء المعصية عنها ، ولو أنصفوا أنفسهم ، لاستحضروا العقاب على المعصية في وقت الرغبة في ارتكابها . وحين يستحضرون جزاء المعصية مع المعصية فإن شهوة المعصية تشهى منهم ، وأضرب هذا المثل دائها عن أعنف غوائز الإنسان وهي غريزة الجنس .

هب أن هناك واحدا رأى فناة جميلة ثم أراد أن ينالها نقول لهذا التشرد جنسيا : استحضر العدّاب على هذا العمل ، وإن أخذت هذه الفناة فنعال لنويك بعينيك ما أعده الله لك حين تتمتع بهذه الفناة خارجا عن شرع الله ، وأوقد له فرنا مسجورًا ومحميًا ، وقُل له : في مثل هذا سندخل بل وأشد منه إن نلت من الفناة .

أيقبل هذا المتشرد على ارتكاب تلك المعصية ؟ لا ؛ فشهوة المعصية تضبع عندما يُستحضر العذاب عليها . إن الحق سبحانه يقول : « ولله على الناس حج الببت من استطاع إليه سبيلا » والسبيل هو الطريق الموصل للغاية ، والطريق الموصل للغاية عادة ما يكون مطروقا ، وعندما يتجه الإنسان لأداء فريضة الحج فهو طارق للطريق ، أي سيسير عليه ، هكذا تعرف أن هناك ثلاثة أشياء :

وغاية ، وهي حج البيث .

ومادام الطارق سيسلك طريقا فلا بد أن يكون عنده قدرة على أن يسلك هذا الطريق فكيف تتأتى هذه القدرة ؟ إن أول شيء في القدرة هو الزاد ، وثاني شيء في القدرة هو الطبة التي يركبها ، وهكذا نتين أننا نحتاج إلى زاد وراحلة لطارق الحج . والسبيل الذي يطرقه ، أيكون عفوفا بالمخاطر ؟ لا ، بل يُفترض أن يكون السبيل آمنا . إذن فالاستطاعة تلزمها ثلاث حاجات ، هي : الزاد ، والراحلة ؛ وأمن الطويق . والزاد عادة يخص الإنسان نفسه ، ولكن ماذا يكون الحال إن كان الإنسان يعول أمرة وصغارا ؟

إذا كان الإنسان على هذا الحال نمن الاستطاعة أن يكون قد ثرك زادا لمن يعولهم إلى أن يعود . وعلينا أن نتبه إلى أن الله قال في كل تكليف : ويأيها الذين آمنوا كتب عليكم » . ولكنه سبحانه جاء في قريضة الحج بالقول الواضح ، بأن الحج الله على الناس وليس لمن أسلموا فقط ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قد دعا أهل الكتاب الذين كانوا يتمحكون في إبراهيم عليه السلام أن يججوا الببت الحرام ، فامتعوا عن الحج ، ولو كان الحج للمسلمين المؤمنين برسالة محمد صلى الله عليه وسلم لما عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم على اليهود والنصارى أن بججوا ليكون ذلك جمّا لهم على أن يتجه الخلق جميعا إلى بيت الله ويعبدوا إلها واحدًا هو ربّ هذا البيت ، ولكنهم امتنعوا عن الحج . ولذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم فيمن لم يحج ولكنهم امتنعوا عن الحج . ولذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم فيمن لم يحج بدون مرض حابس ، أو سلطان جائر ، أو فقر وعوز ، يقول في الحديث الشريف ؛

عن على رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من ملك زادًا وراحلة تبلغه إلى بيت الله ولم يجع فلا عليه أن يموت إن شاء يهوديا وإن شاء نصرانيا ، وذلك أن الله تعالى يقول : « ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ») (١٠) .

وللذلك نجد التكليف بالحج قد التبع مباشرة يقول الحق : ﴿ وَمِنْ كَفُو ۗ فَهِلَ يَقْعُ مِنْ لَا يُحِجُ بِدُونَ مِانِعُ قَاهِرِ فِي الْكَفُرِ لا هِنَا يَقْفَ الْعَلَمْءِ وَقَفَةً . العلماء يقولون : نعم إنه يدخل في الْكَفَر ، لمَاذَا ؟ لأن الْكَفَر عند العلماء نوعان كفر بالله ، أو كفر بنعمة

(1) رواء الترمذي ، والحديث وإن كان في إسناده هلال بن عبدالله مجهول إلا أنه ورد في طرق أخرى
 حسان وكلها ندل عن أن صاط الرجوب في توافر الزاد والراحلة .

الله ، ومثال ذلك قوله _ جل شأنه .. :

﴿ وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا قَرْبَهُ كَانَتْ عَامِنَةً مُطْلَبِنَةً يَأْتِبَ وِزْفُهَا وَغَدًا مِن كُلِّ مَكَانِ فَكَفَرَتُ بِأَنْهُمِ اللهِ فَأَذَا قَهَا اللهُ لِبَاسَ الجُنُوعِ وَالخُرْوِ بِمَا كَانُوا يَمْنَعُونَ شَيْ

إ سورة النحل)

او هو الكفر، كأن يموت الإنسان يهوديا أو نصرانيا، وهنا نقول: اثنبه، لا تأخذ الحكم من زاوية وتترك الزاوية الأخرى. إن المسألة التكليفية يوضحها الحق بقوله: و وقد على الناس حج الببت، فهل تعارضون في هذا التكليف؟ أو تؤمنون به ولكن لا تتقذونه؟

إن القضية التكليفية الإيمانية هي ۽ وقف على الناس حج البيت ، فهل أنت مؤمن بها أو لا ؟ سنجد الإجابة من كل المؤمنين بـ « نعم » . ولكن الموقف مختلف من مؤمن إلى آخر ؛ فنحن نجد مؤمنا يحرص على أداء الحكم من الله ، وهو الطائع ، ونجد مؤمنا أخر قنر لا يحرص على أداء الحكم فيصبح عاصيا .

وتجد في هذا الموقف أن الكفر نوعان ، هناك من يكفر بحكم الحج ، أى من كفر في الاعتقاد بان لله على الناس حج البيت ، وهذا كافر حقا ، لكن هناك نوع آخر وهو الذي يرتكب معصية الكفران بالنعمة ؛ لأن الله أعطاه الاستطاعة من زاد ، ومن راحلة ، ومن أمن طريق ، ومن قدرة على زاد يكفى من يعولهم إلى أن يعود ، وهنا كان يجب على مثل هذا الإنسان أن يسعى إلى الحج . لذلك قال بعض العارفين لو أن أحدهم أخير بأن له ميراثا عكة لذهب إليه حبوًا .

إذن فقوله تعالى : ﴿ وَلِلْهُ عَلَى النَّاسَ حَجَ الْبَيْتِ ﴾ هي قضية إيمانية ، قمن اعتقدها يبرأ من الكفر ، ومن خالفها وأنكرها فهو في الكفر ، ومن قام بالحج فهو طائع ، ومن لم يفعل وهو مؤمن بالحج فهو عاص .

ولنتظر إلى دقة الأداء القرال حين يقول الحق : ومن كفر فإن الله غنى عن

العالمين . قد يقول قائل : ولماذا لم يقل الله ; ومن كفر فإن الله غنى عنه ؟ وقال : و فإن الله غنى عن العالمين ، ؟ ونقول : إنّ الله غنى عن كل مخلوقاته ، وإيّاك أن تفهم أن الذي لم يكفر وآمن ، وأدى ما عليه من تكليف ، أنه عمل منفعة لله ؛ إن الله غنى عن الذي أدّى وعن الذي لم يؤد ، إياك أن تظن أن من أدّى قد صنع لله معروفا ، أو قدم لله يدا ؛ و فإن الله غنى عن العالمين ، عمن لا يفعل ، وعمن يفعل . وبعد ذلك يقول الحق صبحانه :

﴿ قُلْ يَنَا هُلُ الْكِلْنِ لِمَ تَكُفُرُونَ بِعَايِكِتِ اللَّهِ وَلَا يَكُونَ بِعَايِكِتِ اللَّهِ وَاللَّهُ مُنْ اللَّهُ مَاللَّهُ مَا لَقَدُمُ لُونَ اللَّهِ اللَّهِ مَا لَقَدُمُ لُونَ اللَّهِ اللَّهِ مَا لَقَدُمُ لُونَ اللَّهِ مَا لَقَدُمُ لُونَ اللَّهِ مَا لَقَدُمُ مُلُونَ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّ

وحين تسمع 1 فل 1 فهى أمر من الله لرسوله كيا قلنا من قبل 1 إنك إذا كلفت إنسانا أن يقول جملة لمن ترسله إليه فهل هذا الإنسان يأنى بالأمر 1 قبل 1 أو يؤدى الجملة ٢ إنه يؤدى الجملة ، ومثال ذلك حين تقول لابنك مثلا: قل لعمك : إن أبي سيأتيك غدا 1 فابنك يذهب إلى عمه قائلا : 1 أبي يأتيك غدا 2 .

وقد يقول قائل: ألم يكن يكفي أن يقول الله للرسول: قل يا عمد ، فيبلغنا رسول الله يا أهل الكتاب لم تكفرون ؟ كان ذلك يكفى ، ولكن الرسول مبلغ الامر نفسه من الله ، فكانه قال ما تلقاه من الله ، والذي تلقاه الرسول من الله هو : وقل يا أهل الكتاب ، وهذا يدل على أن الرسول يبلغ حرفيا ما سمعه عن الله . وهناك آيات كثيرة في القرآن تبدأ بقول الحق : ويا أهل الكتاب ، ولا يأتي فيها قول الحق : وقل » . رهناك آيات تأن مسبوقة بدوقل » وما الفرق بين الاثنين » ؟

نحن نجد أن الحق مرة يتلطف مع خلقه ، فيجعلهم أهلا لحظابه ، فيقول : « يا أهل الكتاب ؛ إنه خطاب من الله لهم مباشرة . ومرة يقول لرسوله : قل لهم يا محمد لأنهم لم يتساموا إلى مرتبة أن يُخاطبوا من الله مباشرة : فإذا ما وجدنا خطابا من الحق للخلق ، مرة مسبوقا بـ • قل » ومرة أخرى غير مسبوق فلتعلم أن الحق مسبحانه حين مخاطب خلفه الذين خلقهم يتلطف معهم مرة ، ويجعلهم أهلا لأن مخاطبهم ، ومرة حين يجد منهم اللجاج فإنه يبلغ رسوله صلى الله عليه وسلم : قل لهم .

والمثال على ذلك ـ ولله الخل الأعلى ـ في حياتنا ، نجد الواحد منا يقول لمن بجانبه : قل لصاحب الصوت العالى أن يصمت ـ إن هذا القائل قد تُعَالَى عن أن يُخاطب هذا الإنسان صاحب الصوت المرتقع فيطلب عن يجلس بجانبه أن يأمر صاحب الصوت العالى بالسكوت . وحين يجيء الخطاب لأهل الكتاب فنحن نعوف أنهم اليهود أصحاب التوراة ، والتصارى أصحاب الإنجيل ، وهؤلاء هم من يقول عنهم الحق : «يا أهل الكتاب» .

ولم يقل أحد لنا و يا أهل القرآن علاذا ؟ لأن الحق حين يقول لهم و يا أهل الكتاب و قنحن نعرف أن الكتاب يطلق على كل مكتوب و كفرهم يعارض ما علم الله أنه موجود في الكتاب الذي أنزل عليهم ؛ لأنه هو الذي أنزل الكتاب ويعلم أن ما في الكتاب يدعو إلى الإيمان ، ولا يدعو إلى الكفر . ومادام هو الحق الذي نَزْل الكتاب ، وهو الشاهد ، فيصبح من الحمق من أهل الكتاب أن يوقعوا أنفسهم في الكتاب ، وهو الشاهد ، فيصبح من الحمق من أهل الكتاب أن يوقعوا أنفسهم في فخ الكفر ؛ لأنهم بذلك يكذبون على الله : والله _ سبحانه _ يسجل عليهم أنهم خالفوا ما هو مكتوب ومنزل عليهم في كتابهم ، إنهم _ أهل الكتاب _ إن استطاعوا تعمية أهل الأرض قلن يستطيعوا ذلك بالنسبة لخالق الأرض والساء .

والحق حين يقول: « لم تكفرون بآيات الله » فهل نفهم من ذلك أن كفرهم بآيات الله » فهل نفهم من ذلك أن كفرهم بآيات الله سترا أوليا أو أنهم آمنوا بها ، ثم كفروا بها ؟ لنرى ماذا حدث منهم ، لقد كانت البشارات به صلى الله عليه وسلم مكتوبة في التوراة، ومكتوبة في الإنجيل وهم قد آمنوا بها قبل أن يجيء مبيدنا رسول الله ، فلها جاء رسول الله بالفعل كفروا بها . وفي هذا جاء القول الحكيم :

﴿ وُلَمَّا جَاءَهُمْ كِنَنْ مِنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مُعَهُمْ وَكَالُوا مِن قَبْلُ يُسْتَفْيَعُونَ

عَلَى الَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآمَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُوا بِهِ مَ فَلَعْتُ اللَّهِ عَلَى ٱلْكَنفِرِ بنَ ١٠٠٠ عَلَى اللَّذِينَ كَفَرُواْ فِيهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى ٱللَّهِ عَلَى ٱللَّهِ عَلَى ٱللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللّ

لماذا كفروا به صلى الله عليه وسلم ؟ لأنه زحزح عنهم السلطة الزمنية ، فلم تعد لهم السلطة الزمنية التي كاتوا يبيعون فيها الجنة ويبيعون فيها رضوان الله ويعملون ما يحقق لهم مصالحهم دون التفات لأحكام الله . وسبق أن قلت : إن قريشا قد امتنعت عن قول: لا إنه إلا الله ، وهذا الامتناع دلبل على أنها فهمت المراد من لا إله إلا الله ، فلو كانت مجود كلمة تقال لفالوها ، لكنهم عرفوا وفهموا أنه لا معبود ولا مطاع ولا مشرع ، ولا مكلف إلا الله .

إن الحق يقول لأهل الكتاب:

﴿ قُلْ يَنَا هَلَ الْكِنْكِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَيِيلِ اللهِ مَنْ ءَامَنَ تَبَعُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهُ كَدَآءٌ وَمَااللَّهُ بِغَلِفِلٍ عَمَّانَعُمَلُونَ ﴿ ثَالَا عَمَّالَقَهُ مِلُونَ ﴿ ثَالَهُ مِنْكُونَ اللهِ عَلَيْهِ لِللهِ عَلَيْهِ لِللهِ عَمَّانَعُمَلُونَ ﴿ فَا لَيْكُ اللهِ عَمَّانَعُمَلُونَ ﴿ فَا يَعْلَمُ اللهِ اللهِ عَمَّانَعُمَلُونَ ﴿ فَا يَعْلَمُونَ اللهِ عَلَيْهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ ا

هب أنكم خبتم فى ذواتكم ، وحملتم وزر ضلالكم ، فلهاذا تحملون وزر إضلالكم للناس ؟ . كان يكفى أن تحملوا وزر ضلالكم أنتم ، لا أن تحملوا أيضاً وزر إضلالكم للناس ؟

إنَّ الحق _سبحانه_ قال :

﴿ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةٌ يَوْمُ الْقِيَدَمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُونَهُم مِغَبِّرِ عِلْمِمَ أَلْقِيدَمَةً وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُونَهُم مِغَبِّرِ عِلْمِمِ أَلَاسًا وَ مَا يَزِرُونَ ﴿ ﴾ أَلَاسًا وَ مَا يَزِرُونَ ﴿ ﴾ (سورة النحل)

إنه سبحانه قال ذلك مع أنه قد قال:

﴿ وَلَا تَزِرُ وَاذِرَةً وِزْرُ أَنْمَوَىٰ ﴾

(من الآية ١٨. سورة فأطر)

إن الذي لا يحمل وزرا مع وزره هو الضال الذي لم يُضِل غيره ، فهذا يتحمل إثمه فقط . أما الذي يحمل وزر نفسه ، ووزر غيره فهو الضال المضل لغيره ، وهنا يسألهم الحق سبحانه وتعالى على لسان رسوله : « لم تصدون عن سبيل الله من آمن » .

كانه يقول الم ماذا تريدون من الدين الذي يربط العبد يربه ؟. إنكم لا تريدونه دينا قيها ، إنكم تريدونه دينا معوجا ، والمعرج عن الاستقامة إنما يكون معوجا يغرض ؛ لأن المعوج يطيل المسافة ، إنّ الذي يسير في طريق مستقيم ما الذي يدعوه إلى أن يتحرف عن الطريق المستقيم ليطبل على نفسه السبيل ؟ . إن كان يريد الغاية مباشرة فإنه يفضل الطريق المستقيم . أما الذي ينحرف عن الطريق المستقيم فهو لا يبغى الغاية المنشودة ، بل يطبل على نفسه المسافة ، وقد لا يصل إلى الغاية .

والحق يقول: «لم تصدون عن سبيل لله من آمن تبغونها عوجا » وساعة تسمع «عوجا » فإننا قد نسمعها مرة «عوج » بفتح العين ، ومرة نسمعها «عوج » بكسر العين ، حين نسمعها «عوج » بفتح العين ، فالعَوْج هو للشيء الذي له قيام ، كالحائط أو الرمح ، أما « البوج » بكسر العين فهو في المعاني والقيم ، لذلك يقول هم الحق عن انحرافهم في المعاني والقيم : « تبغونها عوجا وأنتم شهداه » .

إن الحق يبلغهم : أنتم تبغون الدين عوجا برغم أنكم شهداء على أن ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم هو الحق ، إنه جاء مبلغا بالصدق ، وكنتم تبشرون برسالة محمد ، وكنتم تستقتحون على الذين أشركوا من أهل مكة وتقولون : سيأتى نبى نتبعه ثم نقتلكم معه قتل عاد وإرم . أنتم _يا أهل الكتاب ـ شهود على صدق هذا الرسول .

لقد ارتكبوا سلسلة من المعاصى ؛ هم ضلوا وجهدوا أن يُضلوا غيرهم . ويا ليت

ذلك يتم عن جهل ، ولكنه أمر كان يتم بقصد وعن علم . ويلغت المسألة منهم ميلغ أنهم شهود على الحق . ويرغم ذلك أصروا على الضلال والإضلال . ومعنى و الشهود ، أنهم عوفوا ما قالوا ورأوه رأى العين ، فالشهود هو رؤية لشىء تشهده ، وليس شيئا سمعته ، لذلك يذكرهم الحق سبحاته بقوله : و وما الله بغافل عما تعملون » .

إنَّ الرسالة التي جاء بها محمد مبلغا واضحة ، وهذا مذكور في كتبكم السهاوية . فها الذي يجعلكم ـ يا أهل الكتاب ـ لا تلتزمون طريق الحق وأنتم شهود ؟ لابد أنكم قد مستكم شبهة إن الله يغفل عن ذلك ، فقال لهم لا : « وما الله بغافل عها تعملون » .

وبعد ذلك يأتي قول الحق سبحاته :

﴿ يَثَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوۤ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقَامِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِنْبَيرُدُّوكُم بَعِّدَ إِيمَنِيكُمْ كَفرِينَ ٢٠٠٠ ﴿ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللّ

معنى ذلك أن الله نبّه الفئة المؤمنة إلى أن الذين يكفرون بآيات الله لن يهدأ بالهم مادمتم أنتم ـ أيها المؤمنون ـ على الجادة ، ومادمتم مستقيمين ، ولن يهدأ للكافرين بآيات الله بال إلا أن يشككوا المؤمنين في دينهم ، وأن يبغوها عوجا ، وأن يكفروهم من بعد إسلامهم .

وهذه قضية يجب أن ينتبه لها الذين أمنوا ؛ لأن الذين يبغون الأمر عوجا قد ضلوا وأضلوا ، وهم يشهدون على هذا ، ويعلمون أنّ الله غير غافل عها يعملون ، فهاذا يكون موقف الطائفة المؤمنة ؟ إن الحق سبحانه يوضحه بقوله : «يأيها الذين أمنوا » .

0171700+00+00+00+00+00+0

إنْ أهل الكتاب بحاولون أن يصدوا المؤمنين عن سبيل الله ، وليس المقصود بالصد ، أن هناك من يمنع المؤمنين من الإيمان ، لا ، يل هي محاولة من أهل الكتاب لإقناع المؤمنين بالرجوع والارتداد عن الإيمان الذي اعتنقوه ؛ فالمؤمنون هم الطائفة التي تلتزم بالتكليف من الله ، لذلك يجدرهم الحق صبحانه بقوله :

و إن تطيعوا قريقا من اللدين أوتوا الكتاب ، يردوكم بعد إبمانكم كافرين و الحق يحدد قسيا من الذين أوتوا الكتاب ، وذلك تأريخ بنزاهة وصدق وحق ودون تحامل . كأن الحق سبحانه يبلغنا أن هناك قريقا من أهل الكتاب سيسلكون الطريق السوى ، ويجيئون إلى المسلمين أرسالا وجماعات وأفرادا مع الإسلام ، فالحق لا يتكلم عن كل الذين أوتوا الكتاب . لذلك يقول الحق و إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب وإن الحق ويقول سبحانه بعد ذلك :

مِنْ وَكَيْفَ تَكُفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتَلَىٰ عَلَيْكُمُ عَايَئتُ اللّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ أُومَن يَعْنَصِم بِاللّهِ فَقَدْ هُدِي إِلَىٰ صِرَطِ تُسْنَقِيمِ اللّهِ فَقَدْ هُدِي إِلَىٰ صِرَطِ تُسْنَقِيمِ اللّهِ اللّهِ فَقَدْ هُدِي إِلَىٰ

إنه استعظام وتعجيب من أن يأن الكفر مرة أخرى من المؤمنين وهم في نعيم المعرفة بالله ، فآيات الله تُتلى عليهم ، ورسول الله حتى ومعهم وفيهم .

ويقول الحق سبحانه للمؤمنين: « إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب » إنَّ لذلك قصة ؛ فقد كان البهود في المدينة علكون السلطة الاقتصادية ؛ لأنهم يجيدون المتعامل في المال ، وكل من يريد مالا يذهب إليهم ليقترض منهم بالربا ، وكان للبهود أيضا التقوق والتميز العلمي ؛ لأنهم يعلمون الكتاب ، بينها كان غالبية أهل مكة والمدينة من الأميين الذين لا يعرفون كتابا سهاويا ، وكذلك كان هناك غيز آخر للبهود

هو خبرتهم بالحرب ؛ فلهم قلاع وحصون . هكذا كإن لليهود ثلاثة أسباب للتميز :

المال يحقق الزعامة الاقتصادية ، والعلم . . بالكتاب وهو تقوق علمى ، ثم خبرتهم بفنون الحرب ، وكانوا فوق ذلك مجاولون إيجاد الخلاف بين الناس وتعميقه . مثل محاولتهم إثارة العداوات بين الأوس والخزرج . والمتاجرة بذلك حتى تظل الحروب قائمة ، وبذلك يضمنون رواج تجارة الأسلحة التي يصنعونها ويمدون بها كل فريق من المتحاربين .

ولما جاء الاسلام وحد الرسول صلى الله عليه وسلم بين الأوس والخزرج وبذلك ضاع منهم التفوق الاقتصادى . وجاء الاسلام بدين وكتاب مهيمن على الكتب ، فضاعت من اليهود المنزلة العلمية . وكذلك ضاعت من اليهود المنزلة الحربية ؛ فقد رأوا قلة من المؤمنين هزموا الكفار وآنزلوا بهم هزيمة نكراء في بدر ، وهكذا ضاع كل سلطان لليهود في المدينة ، لذلك أرادوا أن يعيدو الأمر إلى ما كان عليه قبل أن يجيء الإسلام ، فقالوا فلنؤجج ونشعل ما بين الأوس والخزرج من العداوات ونهرجها ، وقال شخص اسمه و شأس بن قيس ه وقد رأى نور الإيمان يعلو وجوه الأوس والخزرج ويشملهم الانسجام الإيمان . وتوجد بينهم المودة وابتسامات الصفاء ، هيج والخزرج ويشملهم الانسجام الإيمان . وتوجد بينهم المودة وابتسامات الصفاء ، هيج من أحقاد وعداوات ، فلا استقرار لنا ماداموا قد اجتمعوا » .

فأرسل فتى من ألبهود وجلس بين الأوس والخزرج ، ثم تطرق الحديث منه إلى يوم يسمى بوم و بعاث و ، وهو اسم يوم من أيام العرب قبل الإسلام ، وكان بين الأوس والحزرج ، وجلس الفتى اليهودى الأوس والحزرج ، وجلس الفتى اليهودى يذكر ويأتى بالشعر الذى قبل فى هذا اليوم فهيّج حية الأوس والحزرج وحدث النزاع ، وحصل التفاخر واستيقظ النباغض ، وقالوا : د السلاح . . السلاح وهكذا نجحت الكيدة ، ونمى الحبر إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقام صلى الله عليه وسلم ، فقام صلى الله عليه وسلم ، فقام ملى الله عليه وسلم ومعه صحابته ، حتى انتهوا إلى اجتماع الأوس والحزرج ، فوجدوا الحال على أشد درجات الهياج ، نزاع ، وتباغض ، وسلاح محمول ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : أيدَعْوَى الجاهلية وأنا بين اظهركم !!

أى كان عن الواجب أن تخجلوا من انفسكم ؛ لأن رسول الله بينكم ، واضاف رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد أكرمكم الله بالإسلام ، وقطع به عنكم أمر الجاهلية ، وألف بين قلوبكم ، فهاذا كانت مواقع كليات الرسول في نفوس القوم ؟ لقد دفعتهم كلياته صلى الله عليه وسلم إلى إلقاء السلاح ، وبكوا وعائق بعضهم بعضا وانصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فها كان يوم أقبح أولا وأحسن آخرا من ذلك اليوم .

وعندما نتامل ما فعله هؤلاء القوم من البهود لإشعال الفتنة بين الأوس والخزرج نجد أنهم قد أدركوا طبيعة النزاع القديم بين الأوس والخزرج فأرادوا أن يهيجوا قلك العداوات والأحقاد القديمة ، وكذلك نجد أن تهيج المشاعر بين الأوس والخزرج جعل للانقلات بايا فكاد الفتال يشتعل ، وعندما تكلم فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هدأت المواجيد ، وألقوا السلاح ، وندموا على ما فعلوا .

وإذا أردنا أن نرى الأمر بعمق النصور لل حدث فإننا نجد أن إدراك العداوة بين الأوس والخزرج من اليهود هو الذي دفع اليهود لتحريك هذا الإدراك الخاطيء وإحياء الثارات القديمة ، ثم كان انفعال الأوس والخزرج بتلك الثارات القديمة قد فتح الباب لحمل السلاح للاقتتال .

وهكذا نجد أن الإدراك للشيء ، يمر بثلاث مراتب : أولا : الإحساس بالشيء ، ثانيا : انفعال النفس له ، ثالثا ؛ النزوع السلوكي ، وعندما تحدث الرسول صلى الله عليه وسلم ، أدرك الأوس والحزرج الأمر بطريقة عكسية فألقوا السلاح ، وهدأت مواجيد البغضاء ، وتركوا الإدراكات الحاطئة .

لقد ذكرهم النبى صلى الله عليه وسلم بثلاثة أشياء هى : و أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم وقد أكرمكم الله بالإسلام وقطع به عنكم أمر الجاهلية . وألف بين قلوبكم » . وقد استقبلوا ذلك بإلقاء السلاح أولا ، ثم البكاء ثانيا ، وهو أمر حركته المواجيد فيهم ثم تمانقوا أى صححوا الإدراكات ثالثا ، وهكذا حدث النزوع بالعكس . ولما حدث ذلك أصاب اليهود الغيظ والحيبة والنكد . وقال المؤرخ لهذه القصة: فهاكان يوم فى الإسلام أسوأ أولا وأحسن آخراً إلا ذلك اليوم .

لقد بدأ اليوم بعبوس ، وانتهى بإشراق الطمأنينة ، وبعد ذلك وُجلت الحُلية التي تكوّن المناعة في نقوس المؤمنين ، بعد أن قال الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك اللقول : « أَبِذَعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد إذ أكرمكم الله بالإسلام ، وقطع به عنكم أمر الجاهلية وألف بينكم » .

لقد صار هذا القول الكريم مستحضرا عند كل نزع لشيطان ، أو كيد لعدو . لغد جعل الحق المناعة ضد فعل الكيد ، ونزغ الشيطان عند المؤمنين من الأوس والحزرج ، وهكذا نرى أن الله يسخر الكافر حتى في رفعة شأن الإبجان ، فلو لم تحدث هذه المسألة ويأتي الرسول صلى الله عليه وسلم بمنطقه المؤثر وهو بين القوم ليقول ذلك القول لما أصبح لذى المسلمين هذه المناعة من الارتفاع عن البغضاء فيها بينهم ، ولو كان أحد من أتباع الرسول قد قال مثل هذه الكلمة فقد كان من المحتمل أن يحدث هذا الأثر ، لكن عندما قالها الرسول صلى الله عليه وسلم فقد أوجدت المناعة لغيرها من الأحداث التي تأتي وقد لا يكون الوسول موجودا .

ولذلك فأنت أيها المؤمن إن نظرت إلى الكافرين . فإنك تجد عقولهم خائبة . لقد نشروا الإسلام ـ دون إرادتهم ـ بمواقفهم الحمقاء ، فمثلا حين قالوا : سيأتي نهى نتبعه ونفتلكم معه قتل عاد وإرم ، فيا الذي حدث ؟

إن الأنصار ساعة أن سمعوا بالدين الجديد قال بعضهم ليعض : اسمعوا يا قوم ، إنه الدين الذي بشرتكم به يهود ، فقبل أن يسبقونا إليه هيا بنا نسبق نحن اليهود إليه .

لقد كان استعلاء اليهود وتفاخرهم على الأوس والحزرج دافعا للأوس والحزرج على الدخول في الإسلام، وهكذا يجعل الحق سيحانه وتعالى كفر الكافر مؤثرا في تثبيت إبمان المؤمن .

وحين يقول الحق سبحانه : 1 وكيف تكفرون وأنتم تنل عليكم أيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم ، نفهم أنه استعظام وتعجيب يأتي من الحق . فساعة تسمع : 1 كيف تكفرون ، فذلك أمر عجيب ، لأنه من

(連続)(1707)<l

المستبعد أن يكفر المؤمنون وكتاب الله يتلى عليهم ، ورسول الله فيهم .

ويجيء من بعد ذلك الدعوة إلى الاعتصام بالله ، ومعنى الاعتصام : التمسك ، ولا يتأتى إلا في علو ، فيقال : « اعتصمت بحبل الإيمان ، لأن للإنسان ثقلا ذاتيا ، هذا الثقل الذاتي إن لم يرفعه سواه ، فإنه يقع بالإنسان ، وهذا لا ينشأ إلا إذا كان الإنسان معلقا في الجو ويمسك بحبل ولا يوجد من يدفعه إلى أسفل ، بل الإنسان بثقله الخاص يبط إلى الأرض . فمن يعتصم بالله ويمسك بحبل الإيمان فإنه يمنع نفسه من الموي والسقوط .

وهنا نشعر أن الاعتصام بالله هو أن نتبع ما تُلِ علينا من الآيات ، وما سنة لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم . إذن فباب الاعتصام هو كتاب الله وسنة رسوله ، وكذلك كان وجود الرسول بين أظهرهم هو الأمر الضرورى ، لأنهم كاتوا منغمسين في حماة الجاهلية ، فلابد أن توجد إشراقة الرسول بينهم حتى تضيء لهم ، فيروا أن الله قد أخرجهم من الظلمات إلى النور . ولم يقيض الحق وسوله إلا بعد أن أكمل لنا الدين ، وأتم علينا النعمة ورضى لنا الإسلام دينا . قال الرسول صلى الله عليه وسلم : (تركت فيكم شيتين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنق الله .

هكذا نرى أن وجود آيات الله ، وسنة رسول الله هي العاصم الذي يهدى إلى صراط مستقيم . والهدى كما نعرف هو ما يوصل إلى الغاية المرجوة ، فهب أن غايتك أن تذهب إلى مكان معين فالذي يوصلك إلى ذلك المكان هو هدى ، وكل ما يدل إنسانا على الموصل للغاية اسمه هدى . والحق سبحانه وتعالى خلق الخلق جيما ، وجعل بعض الخلق مقهورا ، ويعض الخلق غيرا .

والمقهور من خلق الله هو كافة المخلوقات في الكون ما عدا الإنسان . إلا في بعض أموره فإنه مقهور فيها أيضا ولذلك قلنا : إن كل ما عدا الإنسان من خلق الله يؤدى مهمته كيا طُلبت منه ، فيا امتنعت الشمس أن تشرق على الناس يوما ، ولا امتنعت الربح أن تهب ، ولا امتنعت السياء عن أن تحطر ، ولم تقل الأرض للإنسان إنك

⁽١) رواه الحاكم في المستدرك عن أبي هريرة .

تعصى الله فلا أنبت لك ، ولا جاء إنسان ليركب الدابة المسخرة فقالت : لا ؛ إنك عاص ، ولذلك سأحرن فلا أمكنك من ركوب ظهرى .

هكذا نرى أن كل شيء ماعدا الإنسان مسخر مقهور للغاية المرجوة منه ، وهو خدمة ذلك الإنسان . والإنسان وحده هو الذي له اختيار . . ولذلك يجب أن تتبه دائها إلى أن الله قد جعل للخلق تسخيرا وتسييرا ، وجعل الإجماع في كل الأجناس ، ولكن الانقسام جاه عند الإنسان فقال الحق سبحانه :

﴿ أَلَا تَرَانَ اللّهَ يَسْجُدُلُهُ مِن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنَّجُومُ
وَا إِلْحَبَالُ وَالشَّجُرُ وَالدَّوَآبُ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرُ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُونِ
اللّهُ أَنَا لَهُ مِن مُحَكِرِم أَإِنَّ اللّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿ ﴾

(سورة الحج)

إن الجهادات الساجدة المسخرة هي : والشمس والقمر والنجوم ، والنبات التي الساجد المسخر هو والشجر ، وكذلك والدواب ، فهي ضمن الكائنات التي عليها حكم الحق بالإجاع ، بأنها كلها تسجد خاضعة مسخرة . أما الإنسان فقد قال الحق عنه وه وكثير من الناس ، وكثير حق عليه العذاب ،

إذن فالانقسام جاء عند من ؟ لقد جاء الانقسام عند الإنسان . لماذا ؟ لأن الله خلق الإنسان محتارا . ألم يكن من المكن أن يخلق الله الإنسان مسخرا كبقية الكائنات ؟ أليس التسخير دليلاً على قدرة المسخر ، وأن شيئا من خلقه لن يخرج من قدرته ، هذا صحيح ، لكن الحق سبحانه كها أراد أن يثبت القدرة والقهر بالتسخير ، أراد أن يثبت المحبوبية بالاختيار . فمن كان مختارا أن يؤمن أو يعصى ، ثم اختار أن يؤمن ، فهذا الاختيار إنما يثبت به الإنسان المحبوبية الله .

هكذا صنف الله الخلق بين قسم فهرى يثبت القدرة ، وقسم اختيارى يثبت المحبوبية ، ولهذا أراد الله للإنسان أن يكون مختارا أن يفعل أو لا يفعل ، فلهاذا وإذن لل للهاذ كل أفعاله وهي منسجمة مع الإيمان ؟ لأن للشهوة بريقا سطحيا ، وهذا البريق السطحي يجلب الإنسان كما تجذب النار الفراش .

عندما يوقد الإنسان نارًا ما في الخلاء فضوؤها يجذب الفرّاش ، ويحترق الفراش ، بغيران الضوء ؛ فقد جذبه النور وأغراه ، ولكنه لم يعرف أن مصرعه في تلك النار . والحكمة العربية تقول : « رب نفس عشقت مصرعها » كذلك في الشهوات ، تتزين الشهوة للإنسان ، فتجذبه إليها فيكون فيها مصرع الإنسان .

لكن ما الحماية للإنسان من ذلك ؟

إن الحياية هي في منهج الله و افعل ، وو لا تفعل ، فمن يرد أن ينقذ نفسه من كيد الشيطان وكيد النفس فعليه أن يخضع لمنهج الله في و افعل ، وو لا تفعل ، وقد قلت قديما : إنه من الحمق أن يصنع صائع صنعة ما ، ثم ينسى أن يضع لها قانون الصيانة ، والإنسان في حدود صناعته لا ينسى ذلك ، فيا بالنا بالحق سبحانه بطلاقة قدرته ؟

إن الحائق سبحانه وتعانى قد صنع الإنسان ، ووضع الحق سبحانه وتعالى قانون صيانة صنعته فى الإنسان فقال جل وعلا : افعل كذا ولا تفعل كذا ، فمن أراد أن يعتصم بالحبل المنين فلا يأتي له نزغ شيطان أو كيد عدو ولا هوى نفس . فليعتصم بمنهج الله ؛ لأن الله هو الذى خلقه وهو الذى وضع منهجه كفانون لصيانة صنعته ، وهو القانون الموجز فى و افعل ولا تفعل » .

ويقول الحق: وومن يعتصم بالله فقد هُدِى إلى صراط مستقيم وكلمة الاعتصام أروع ما تكون عندما يكون الإنسان في الهواء معلقا في الفراغ ، وهو في أثناء وجوده في الفراغ فإن ثقله الذاتي هو الذي يوقعه ويسقطه ، لكن عندما يتمسك الإنسان بمنهج الله فإنه ينقذ نفسه من السقوط والهوى (بضم الهاء وكسر الواد) ومهمة الشيطان أن يزين المعصية بالبريق ، فتندفع شهوات النفس هائجة إلى المعصية ، ولذلك يأتي الشيطان يوم القيامة ويأخذ الحجة علينا . يقول الحق :

﴿ وَقَالَ الشَّبْطَانُ لَمَّا تُعْنِي ٓ الأَمْمُ إِنَّ اللَّهُ وَعَدَ كُرٌ وَعَدَ الْحَـنَ وَوَعَدَثُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْتُكُمْ مِن سُلطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَأَسْتَجَبُّتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا

أَنفُسَكُمُ مَّا أَنَا بِمُصْرِعَكُ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِعِينٌ إِنِي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكُنمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّلِينَ لَمُمْ عَذَابُ أَلِيمٌ ﴿ ﴾

(سورة إبراهيم)

والسلطان كما نعرف نوعان : النوع الأول هو أن يقهر الشيطان الإنسان ، والشيطان لا قدرة له على ذلك . والنوع الثاني هو أن يقنع الشيطان الإنسان بأن يفعل ذلك الخطأ .

ما الفرق بين الإقناع والقهر في هذا المجال؟

إن القهر هو أن يجبر الشيطان الإنسان على أن يفعل شيئا لا يويده الإنسان . أما الإقناع فهو أن يؤين الشيطان الأمر للإنسان فيفعله الإنسان بالاختيار ويعلن الشيطان يوم الفيامة : لم يكن لى سلطان أفهوك به أيها الإنسان حتى تعصى الله ، لقد زينت لك المعصية أيها الإنسان عاستجبت لى .

إن الشيطان يوم القيامة يقول: أو ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى و ما معنى و مصرخكم و لا أنتم بمصرخى و ما معنى و مصرخكم و لا إنها مشتقة من و أصرخ و و أى سمع صراخك فأغاثك وأنجدك و قمصرخ : مغيث ومنجد و والشيطان يعلن أنه لن يستطيع نجدة الإنسان و ولا الإنسان وستطيع أن ينجد الشيطان .

إذن ، فئقل النفس البشرية هو ما يوقع الإنسان في الهارية دون أن يلقبه أحد فيها ، ولا إنقاد للإنسان من الهاوية إلا بالاعتصام بحبل الله . كان منهج الله هو الحبل المدود إلينا ، فمن يعتصم به ينجو من الهاوية .

ومادمنا نعتصم بحبل الله وهو القرآن المنزل من خالفنا والسنة النبوية المطهرة ، وسبحانه يعلم كيد النفس لصاحبها ـ فلابد أن يهدينا الله إلى الصراط المستقيم ، وبعد ذلك يقول الحق سبحانه :

(基準)(本)</li

﴿ يَنَا يُهَا ٱلَّذِينَ مَامَنُوا ٱنَّفُوا ٱللَّهَ حَقَّ ثُقَالِنهِ ، وَلَا تَعُوا ٱللَّهَ حَقَّ ثُقَالِنهِ ، وَلَا تَمُونُ اللَّهِ مُسْلِمُونَ ﴿ لَا تَعْمُ مُسْلِمُونَ ﴿ لَا اللَّهِ اللَّهُ مُسْلِمُونَ ﴿ لَا اللَّهِ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللّ

إن الله قد أعطى المؤمنين المناعة أولا بألا يسمعوا كلام أعداء الدين . وحين نسمع كلمة : اتقوا : فلنفهم أن هناك أشياء تسبب لك النعب والأذى ، فعليك أن تجعل بينك وبينها وقاية ، ولذلك قال الحق :

﴿ وَانْفُوا النَّارَ الَّتِيَّ أُعِدَّتْ الْكَنْفِرِينَ ١٠٠٠

(سورة آل عمران)

إنه الحق يطلب من الإنسان أن يجمل بينه وبين النار وقاية وحجابا يقيه منها . والحق صبحانه وتعالى حين يقول على صبيل المثال :

﴿ وَآغَفُواْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهُ سَرِيعُ الْحَسَابِ ﴾

(من الأية ٤ سورة الماثلة)

أى اجمل بينك وبين الله حجابا يقيك من غضبه . وقد يقول قائل : كيف يكون ذلك وأنا كمؤمن أريد أن أعيش في معية الله ؟

نقول: إنك تجعل الوقاية لنفسك من صفات جلال الله ، وأنت تسنظل بصفات الجيال ، فالمؤمن الحق هو من يجعل لنفسه وقاية من صفات الجلال ، وهي القهر والجبروت وغيرها ، وكذلك النار إنها من جنود صفات جلال الله . فحين يقول الحق : واتقوا النار ، أو و اتقوا الله ، فالمعنى واحد . وعندما يسمع إنسان قول الحق سبحانه : و اتقوا الله حق تفاته ، ماذا تعنى (حق تقاته) ؟ إن كلمة وحق ، - كها نمرف - تعنى الشيء الثابت الذي لا يزول ولا يتزحزح ، أي لا ينتهى ولا يتذبذب ، هذا هو الحق .

إذن ماحق التقى ؟ هو أن يكون إيمانك أيها المؤمن إيمانا راسخا لا يغادرك ولا تتذبذب معه ، واتقاء الله حق تقاته هو اتباع منهجه ، فيطاع الله باتباع المنهج

فلا يعصى ، ويُذكر فلا ينسى ، ويُشكر ولا يُكفر . وطريق الطاعة يوجد فى اتباع المنهج بده افعل » و« لا تفعل » ويذكر ولا ينسى ، لأن العبد قد يطبع الله ، وينفذ منهج الله ، ولكن النعم التى خلقها الله قد تشغل العبد عن الله ، والمنهج يدعوك أن تتذكر فى كل نعمة من أنهم بها ، وإياك أن تنسيك النعمة المنعم .

ويشكر العبد الله ولا يكفر بالنعم التي وهبها له الله . ومادمت أيها العبد تستقبل كل نعمة وتردها إلى الله وتقول : « ما شاء الله ، لا قوة إلا بالله ، ولا تكفر بالنعم أي أنك تؤدى حق النعمة ، وكل نعمة يؤدى العبد حقها تمني أنها نعمة شكر العبد ربه عليها ، ولم يكفر جا .

و قبل في معنى : ﴿ حَن تَفَاتُه ﴾ أَن لا تَأْخَذُكُ في الله لومة لائم ، أو أن تقول الحق ولو على نفسك . هذا ما يقال عنه ﴿ حَن التَّقَى ﴾ أى التقى الحق الذي يعتبر تقى بحق وصدق . وقال العلماء : إن هذه الآية عندما نزلت وسمعها الصحابة ، استضعف الصحابة نقوسهم أمام مطلوبها ، فقال بعضهم : من يقدر على حق التقى ؟ ويقال : إن الله أنزل بعد ذلك :

﴿ فَاتَّفُواْ اللَّهُ مَا اسْنَطَعْتُمْ ﴾

(من الأية ١٦ سورة التغابن)

قهل معنى هذا أن الله كلف الناس أولا ما لا يستطيعون ، ثم قال من بعد ذلك :

و فاتقوا الله ما استطعتم ؟ ؟ لا ، إنه الحق سبحانه لا يكلف إلا بما في الوسع ،
والناس قد تخطىء الفهم لقوله تعالى : و فاتقوا الله ما استطعتم ؟ فيقول العبد : أنا
غير مستطيع أن أقوم بذلك التكليف ، ويظن هذا العبد أن التكليف يسقط عنه .
لا ، إن هذا فهم خاطىء ؛ إن قوله الحق : و فاتقوا الله ما استطعتم ؟ أى إنك تتقى
الله بما كان في استطاعتك من الوسع ، فيا باستطاعتك أن تقوم به عليك أن تقوم
به . فلا يهرب أحد إلى المعنى المناقض ويقول : أنا غير مستطيع ؟ لأن الله يعلم
حدود استطاعتك .

وساعة تكون غير مستطيع فهو .. سبحانه .. الذي يخفف . . إنك لا تخفف أنت على نفسك أيها العبد ، فالحالق الحق هو الذي يعلم إذا كان الأمر خارجا عن

@1701@@#@@#@@#@@#@

استطاعتك أو لا ، وساعة يكون الأمر خارجًا عن استطاعتك قالله هو الذي يخفف عنك . ولذلك فعلى الإنسان ألا يستخدم القول الحق :

﴿ لَا يُحْكِلِّنُ آللهُ نَفْنًا إِلَّا وُسْمَهَا ﴾

(من الأية ٢٨٦ صورة البقرة)

في غير موضعه ؛ لأن الإنسان لا يستطيع أن يقدر الوسع ، شم يبنى التكليف على الوسع . بل عليك أن تفهم أيها الإنسان أن الله هو الذي خلق النفس ، وهو الذي انزل التكليف لوسع النفس ، ومادام الخالق للنفس هو الله فهو العليم بوسع النفس حينها قرر لها المنهج . إنه سبحانه الذي كلف ، وهو العليم بأن النفس قد وسعت ، ولذلك فهر لا يكلف نفسا إلا وسعها . فإن كان سبحانه قد كلف فأعلم أيها العبد أنه سبحانه قد كلف عاق وسعك ، وعندما يحدث للإنسان ما يشق عليه أو يمنعه من أداء ما كلف به تامًا فهو - سبحانه - يضع لنا التحقيف وينزل لنا الرخص . مثال ذلك : المريض أو الذي على صفر ، له رخضة الإقطار في رمضان ، والمسافر له أن يقصر الصلاة .

إذن فاظه سبحانه هو الذي علم حدود وسع النفس التي خلفها ، ولذلك لا تقدر وسعك أولا ثم تقدر التكليف عليه ، ولكن قدر التكليف أولا ، وقل : مادام الحق قد كلف قذلك في الوسع - وفي تذييل الآية الكريمة بقوله : « ولا تموتن إلا والإنسان وانتم مسلمون ، تجد أنفسنا أمام نهي عن فعل وهو ، عدم الموت إلا والإنسان مسلم .

كيف ذلك ؟ أيقول لك أحد : لا تحت ؟ إن ذلك الأمر ليس لك فيه اختيار ؟ لأنه أمر نازل عليك . فإذا قبل لك : لا تحت ، فإنك تنعجب ؛ لأن أحدا لا يملك ذلك ، ولكن إذا قبل لك : لا تحت إلا وأنت مسلم ؛ فأنث تفكر ، وتصل بالتفكير إلى أن الفعل المنهى عنه : لا تحت ليس في قدرة الإنسان ، ولكن الحال الذي يقع عليه الفعل وهو : إلا وأنت مسلم ، في قدرة الإنسان ؛ لذلك تقول لنفسك : إن الموت بأن بغير عمل مني ، ولكن كلمة : إلا وأنت مسلم ، فهي باستطاعتي ، لأن الإسلام يكون باختياري . صحيح أنك لا تعرف متى يقع عليك الموت ؟ ولذلك تحتاط والاحتياط يكون بأن تظل مسلما حتى يصادقك الموت في أي لحظة وأنت

إذن . . فقول الله : و ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، هو نهى عن الفعل الأول وهو ليس باختيارنا . والحال الذي لنا فيه اختيار هو و وأنتم مسلمون ، فكيف نوفق بين الأمرين ؟ إن الموت لا اختيار لأحد فيه ، ولا يعلم أحد منا متى يقع عليه ، ولذلك نأق إلى الأمر الذي لنا فيه اختيار ، وهو أن تحرص على أن فكون مسلمين ، ويظل كل منا متمسكا بأهداب الإسلام ، فإن صادف الموت في أي لحظة يكون مسلما وكأن الحق صبحانه يقول لنا : تمسكوا بإسلامكم ، لانكم لا تدرون متى يقع عليكم الموت .

وإخفاء الموت عن الإنسان ليس إبهاما كما يظن البعض ، لا ؛ إنه منتهى البهان الواسع ؛ لأن إخفاء الموت ، وميعاده عن الإنسان زمنا وحالا ، وسنا وسببا ، كل ذلك يوضح الموت أوضح بيان . لماذا ؟ لأن الله حين استأثر بعلم الموت فالإنسان منا يترقب الموت في أى لحظة فهذا بيان واسع يترقب الموت في أى لحظة فهذا بيان واسع بل هو أوسع بيان . ويقول الحق بعد ذلك :

مَثْنَةُ وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُوانِعْ مَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْكُنتُمْ أَعْدَاهُ فَالْفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصَبَحْتُم بِنِعْ مَتِهِ وَإِخْوَانَا وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرُ وَمِنَ النّادِ فَأَنقَذَكُم مِنْهَا كَذَاكِ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ ءَاينتِهِ الْعَلَكُرُ نَهْ مَدُونَ كَنَاكِ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ ءَاينتِهِ الْعَلَكُرُ نَهْ مَدُونَ كَنَاكِ يُبَيِّنُ اللّهُ

جاء هذا القول الكريم لينبه كل المؤمنين ، من خلال الثنبيه للأوس والخزرج ، وكأنه يقول : اعلموا أن التفاخر قبل الإسلام كان لأشياء وبأشياء ليست من الإسلام في شيء . لكن حين يجيء الإسلام فالتفاخر يكون بالإسلام وحده فإذا ما تغاضي إنسان بما قبل الإسلام بقوله : مناكذا . . ومناكذا ، فهنا يأتي الرد : لا ؛ إن ذلك قبل الإسلام .

وقد حدث أن قال الأوس من بعد الإسلام: ومنا خزيمة ، فقال واحد من الأوس: منا حنظلة الحزوج: ومنا أبيّ بن كعب وزيد بن ثابت فقال واحد من الأوس: منا حنظلة ابن الراهب وحنظلة هذا هو غسيل الملائكة ، وخزيمة بن ثابت صحابي جليل جعل الرسول صلى الله عليه وسلم شهادته بشهادتين ؛ لأن خزيمة صاحب إبمان نوران ، ونورانية اليقين هدته إلى الحكم الصواب ؛ فقد اشترى النبي صلى الله عليه وسلم قرسا من أعرابي وذهب ليحضر له الثمن ، ولكن الأعرابي أنكر البيع لأن بعض الناس زاده في ثمن القوس دون علم أن الوسول قد اشتراه فنادى الأعرابي الرسول وقال له إن كنت مبتاعا هذا القوس فابتعه وإلا يعته .

فقال النبي للرجل : « ألست قد ابتحت منك » . فقال الرجل هات شاهدا يشهد بذلك . لقد انتهز الرجل فرصة أن النبي ابناع منه دون وجود أحد في هذا الوقت ، وكان سيدنا خزيمة جالسا لحفلة مطالبته للنبي بشاهد . فقال سيدتا خزيمة : أنا أشهد يا رسول الله أنك قد بايعته .

ولأن الرجل كاذب ، قال لنفسه : لعل خزيمة رآنا وأنا أبيع الفرس للنبى فسكت الرجل وانصرف ، وبعد أن انصرف الرجل نادى الرسول خزيمة ، وقال له : «يا خزيمة بم تشهد ولم تكن معنا ؟ و فقال ؛ أنا أصدقك في خبر السياء ولا أصدقك بما تقول ؟ أعلم أنك لا تقول إلا حقاً قد آمناك على أفضل من ذلك ، على ديننا . فعلم الرسول أن خزيمة نورائية التصديق وحسن الاستنباط ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من شهد له خزيمة فحسبه ع(١) .

فالأمر الذي بجتاج شاهدين تكفى فيه شهادة خزيمة ، وبذلك أعطى الرسول صلى الله عليه وسلم الوسام لحزيمة وجعل شهادته شهادة رجلين ، ولنر كيف جع الله بين الأوس والحزرج في جمع القرآن ، قال زيد بن ثابت :

⁽۱) رواه أبو دارد من طويق الزهوى عن هُبارة بن عزيمة بن ثابت .



فاليت على نفسى ألا أكتب أية إلا إذا وجدتها مكتوبة وشهد عليها اثنان ، إلا آخر التوبة فوجدتها مكتوبة ولم يشهد عليها إلا خزيمة ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قد قال فى خزيمة : لا من شهد له خزيمة فحسبه ، ولنا أن نعرف أن زيد بن ثابت من الحزرج وأن خزيمة من الأوس . لقد جعها الله فى جمع القرآن ، فنفع الأوسى الحزرجى ، وذلك ليدلنا الحق سبحانه دلالة جديدة ، وهي أن التفاخر قبل الإسلام الحزرجى ، وذلك ليدلنا الحق سبحانه دلالة جديدة ، وهي أن التفاخر قبل الإسلام كان بغير الإسلام ، لكن ساعة يجىء الإسلام فأى واحد من أى جنس مادام قد أحسن الإسلام ، فله أن يفخر به ، فإياك يا أوسى أن تقول : « منا خزيمة » ؛ فالحزرجى له الفخر بخزيمة أيضا ، وليس للخزرجى أن يقول : « منا زيد بن فالجنرجى له الفخر بخزيمة أيضا ، وليس للخزرجى أن يقول : « منا زيد بن فالجنب ، فلا أن يفخر به ، لأن كلاً منها قد جمعه الله بالأخر فى القرآن ، والإسلام ، وهكذا يكون الاعتصام بحبل الله .

يفول الحق سبحانه وتعالى ؛ ﴿ وَاعْتُصْمُوا بَحَبِلِ اللهُ جَيْمًا وَلاَ نَفْرَقُوا وَاذْكُرُوا نَعْمَةُ اللهُ عليكُم إِذْ كَنَتُم أَعْدَاءُ فَالْفُ بِينَ قَلُوبِكُم ﴾ إِنَّ الحُوبِ فَلْتُ مُستَعَرَةً بِينَ الأوسُ وَالْحُرْرِجِ مَائَةً وَعَشَرِينَ عَامًا مَعَ أَنْ أَصُلُ القَبِيلَتِينَ وَاحْدَ ، هَمَا أَخُوانَ لَابِ وَأَمْ وَالْحَدَ مَا أَخُوانَ لَابِ وَأَمْ وَعَنْدُما جَاءُ الْإِسْلَامِ أَلْفُ اللهُ بِينَ قُلْرَبُهُمْ وَأَصْبِحُوا بِنَعْمَتُهُ إِخُوانًا .

وهذا يدلنا على أن كل نزغة جارحة من الجوارح لابد أن يكون وراءها هبة قلب وثورته وهياجه ، فاليد لا تصفع أحدا من فراغ ، ولكن الصفعة توجد في القلب أولا و فألف بين قلوبكم ، إن الحق سيحانه يقول : و وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، والشفا هي الحافة،ومرة يقال : « شفا ، ومرة يقال : شفة ، لقد كانوا على حافة النار ، ومن كان على الحافة فهو يوشك أن يقع ، فكان الله يقول : لقد تداركتم بالإسلام ، ولولا الإسلام لهويتم في النار .

ويقول سبحانه: وكذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تبتدون؛ وهكذا نرى نعمة الإسلام في الدنيا، فقدرة الإيمان على إنقاذ الإنسان من النار لا تحتاج إلى انتظار بل يستطبع المؤمن أن يراها في الدنيا، ولقد كان العرب قبل الإسلام مؤرقين بالاختلافات، وموزعين بالعصبية، وكل يوم في شقاق. ولما جاء الإسلام صاروا إخوانا، وهذه نعمة عاجلة في الدنيا، والدنيا كما نعرف ليست دار جزاء، فها بالك يكون في الأخرة وهي دار الجزاء والبقاء.

وقوله الحق: « لعلكم تهتدون ، المقصود به أن تظلوا على هدايتكم . لقد خاطبهم الحق: « إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ، وساعة يطلب التشريع منك ما أنت عليه ، فاعلم أن التشريع يريد منك استدامته ، فعندما يقول الحق (يا أيها الذين آمنوا) أى مع الإيجان الذي معكم قبل كلامي ، جددوا إيمانا بعد كلامي ليستمر لكم الإيجان دائيا . وبعد ذلك يقول الحق صبحانه :

﴿ وَلَتَكُن مِنكُمُ أُمَّةً يُدَّعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَخْرُونِ. وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُولَتِهِكَ هُمُ الْمُفلِحُونَ فَيَ ٱلْمُنكِرِ وَٱلْمَهِكَانِهِ الْمُعَالِحُونَ فَيْهِ

وكلمة وأمة » تطلق مرة ، ويواد بها الجماعة التي تنتسب إلى جنس ، كأمة العرب ، أو أمة الفوس ، أو أمة الروم ، ومرة تطلق كلمة وأمة ، ويواد بها الملة أى الدين ، ومرة ثالثة تطلق كلمة وأمة ، ويواد بها الفترة الزمنية كقول الحق :

إن الرجل الذي فسر له سيدنا يوسف الرؤيا تذكر سيدًنا يوسف بعد أمة أي بعد فترة من الزمن ، ومرة تطلق كلمة ، أمة ، على الرجل الجامع لصفات الخير،

لأن خصال الحنير ليس من الضرورى أن تجتمع فى واحد ، ولكنها قد تجتمع فى عدد من الأفراد فيكون هناك فلان المتميز بالصفة الطيبة ، وغيره متصف بصفة أخرى طيبة ، وثالث فيه صفة طببة ثالثة ، ومن مجموع الأمة تظهر صورة الكيال ، لكن إبزاهيم عليه السلام اجتمعت فيه كل خصال الحير المكتمل .

وساعة أن تأن الإنسان ونَقول له: ليكن منك شجاع فيا معنى ذلك ؟ إن معناه ، أن يجرد الإنسان من نفسه ويخرج منها شخصا شجاعا ، وذلك بتدريبها وتعويدها على ذلك حتى يكون الإنسان شجاعا ، أو تقول الآخر : ليكن منك كريم ، أى أخرج من نفسك رجلا كريما .

وقوله الحق سبحانه : ﴿ وَلَنْكُنَّ مَنْكُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى الْحَيْرِ ﴾ .

هذا القول يعنى أن يكون منكم أبها المخاطبون أمة تدعو إلى الخير ، ومعناه أبضا أن تكونوا جيما أمة تدعو إلى الخير ، وبعض العلماء يرى أن هذا القول يعنى : أن تكون منكم جماعة يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر . ولكنّ هناك فهما أعمق من هذا ، وهو أن هذه الآية تأمر بأن تكون كل جماعة المسلمين أمة تدعو إلى الخير ، وتأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر ، أى أن هذه الآية تطالب كُلّ أمة المسلمين بذلك ، فلا تحتص جماعة منها فقط بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكو ، بل الواجب بذلك ، فلا تحتص جماعة منها أمرة بالمعروف ، وناهية عن المنكر ، قمن يعرف حكما أن تكون أمة المسلمين كلها آمرة بالمعروف ، وناهية عن المنكر ، قمن يعرف حكما من الأحكام عليه أن يأمر به .

وهناك من العلياء من قال: إن الذي يأتي المنكو له حكم آخر أيضا وهو أن ينهي غيره عن المنكو ، أي أن الإنسان المؤمن مطالب بأمرين : الأول : ألا يصنع المنكر ، والثاني : أن ينهي عن المنكو ، ولذلك إن جاء نصبح من إنسان ينهاك عن المنكر ، وهو قد قعله ، فلا تقل له : أصلح نفسك واتبع أنت ما تنصح به أولا ، لا تقل له ذلك حتى لا يقول لك ما قائه الشاعر :

خبذ بعلمي ولانبركن إلى عمل

واجن الشهار وخبل العمود للنمار

لكن الأجدر بمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر أن يكون أول العاملين بقوله حتى لا يدخل فى زمرة من قال الله فيهم :

﴿ يُنَأَيُّنَا الَّذِينَ مَامَنُوا لِمُ تَفُولُونَ مَالَا تَفْعَلُونَ ﴿ كَابُرٌ مَقْتًا عِندَا لَهِ أَن تَقُولُواْ مَالَا تَفْعَلُونَ ﴿ ﴾

@1110@0+@@+@@+@@+@

إذن فقوله الحق : ﴿ وَلَتَكُنَ مَنْكُمَ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ﴾ أَى جَرِدُوا مِنَ أَنْفُسكم أمة مجتمعة على أنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، واستمعوا إلى قوله تعالى :

﴿ وَالْعَصْرِ ﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَنِي نُصْرٍ ﴾ إِلَّا الَّذِينَ وَاسْنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ
وَقُواصُواْ بِالْحَقِّ وَقُواصُواْ بِالصَّهِرِ ﴾

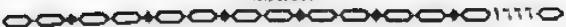
(سورة العصر)

إن السورة الكريمة توضح المقيدة ومطلوبها وهو الإيمان والعمل الصالح. ويعد ذلك قال الحق: « وتواصوا » ولم يقل « ووصوا » ما معنى « تواصوا » ؟ أى أن يعرف كل مؤمن أنه من الأغيار ، وكذلك أخوه المؤمن ، وقد يضعف أخدهما أمام معصية فيصنعها ، لكن الآخر غير ضعيف أمام تلك المعصية ، لذلك يكون على غير الضعيف توصية الضعيف ، وعلى الضعيف أيضا ضرورة الانتباء حتى يتواصى مع غيره . فالإسلام لم يجعل جماعة يوصون غيرهم ، وجماعة أخرى تتلقى الوصاية ، بل كلنا موص - بكسر الصاد - حينها نجد من من يضعف أما معصية ، وكلنا موصي ، - بفتح الصاد - حين يكون ضعيفا أمام المعصية ؛ فالتواصى يقتضى النفاعل بين جانبين . . فعرة تكون موصيا ، ومرة تكون موصي ، وكذلك التواصى ياتصي بالصير .

فساعة تحدث كارثة لواحد من المسلمين يأت أخوه ليصبره ، وكذلك إن خدثت كارثة للأخ المسلم يصبره أخوه المسلم ، فعندما يجتاج مسلم في وقت ما إلى أن يُصَبِّر ، يجد من إخوته من يصبره ، فالأمة كلها مطالبة : « وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » .

هكذا نفهم معنى قول الحقيرة ولتكن منكم أمة يدعون إلى الجير وبأمرون بالمعروف ويتهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ، والدعوة إلى الخير بفسرها الحق بأن يأمر الإنسان بالمعروف ، وأن ينهى عن النكر .

ويقول الحق: « وأولئك هم المفلحون » أن كلمة « المفلحون » هى كلمة معها دليلها ، فالمفلح هو الذي أخذ الصفقة الرابحة . والكلمة مأخوذة ، من فلح الأرض . فالذي يفلح الأرض ويحرثها ثم يزرعها يجد الثمرة تجيئه في النهاية ، وقد جاء الحق بالمسألة المعنوبة من أمر عمس . وبعد ذلك يريد الحق أن يعطينا شيئا آخر



فيقول: إياك أن نظن أن المشقة التي تصيبك حين تفعل خيرا لا تعود عليك بالراحة ، أو أن النقص الذي تفعل به الحير لا يعود عليك بالكيال ، فمثلا الإنسان الذي فلح الأرض وأخرج وكيلة و من القمح وبذرها فيها . هذا الإنسان قد تكون له زوجة حمقاء تقول له : إننا لا غلك إلا أربع وكيلات و من القمح فكيف تأخذ وكيلة و لترميها في الأرض ، إن هذه المرأة لا تعرف أن و الكيلة و التي اخذها الزوج هي التي متأتي بعدد من الأرادب من القمح . فإياك أن تفهم أن الإسلام يأخذ منك شيئا إلا وهو يربد أن يعطيك أشياء .

إن الفلاح الذي يشقى بالحرث وبائرى ، وتراه وقد علا جبهته العرق وتراب الأرض وتغوص أقدامه في الطين والمياه ، إنك تراه يوم الحصاد وهو فرح مسرور بغلته . أما غيره الذي لم يشق بالحرث ولم تعل جبهته حبات العرق ، فيأن في هذا اليوم وهو حزين ونادم فإياك أن تنظر إلى تكاليف الدين على أنها أمور تحرمك النفع ، اليوم وهو حزين ونادم فإياك أن تنظر إلى تكاليف الدين على أنها أمور تحرب لك النفع أي تكثر لك النفع . وإياك أن تظن أن حكما من أحكام الله يحد جاء ليجور على حريتك بل جاء ليمنع عنك اعتداء الأخرين .

وقلنا من قبل: إن الشرع حين كلف كل إنسان ألا يسرق مال أحد، فهو تقييد من أجل حقظ أموال الملايين، وهو أمر ضمني لكل الناس ألاً يسرقوا شيئا من هذا الإنسان، وهنا نجد الأمان يتنشر بالإيمان بين الجميع.

ولو نظرت إلى ما منع الدين الناس أن يمارسوه معك لعرفت قيمة التكاليف الإيمانية . إن التكليف حين يامر ألا يمد أحد عيونه إلى محارم جاره ، هذا التكليف صادر للناس جميعا حتى مجمى الله لك محارمك من عيون الناس ، لقد قيد التكليف حرية الإخرين من أجلك وهم كثيرون ، وقيد حريتك من أجل الاخرين وأنت واحد . .

إذن فيجب أن نذكر أن كل تكليف يعطى صلاحا وفلاحا ، فالأرض تاخذ الحبة ، وتعطيك سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة ، فلا تنظر إلى ما أخذه التكليف من حريتك ، لأنه أخذ لك من حريات الأخرين أيضا . ولا تقل : إن النكليف قد نقص حركتي لتفيى ، لأنه سبعطيك ثمرات أكثر مما أفقدك .

ويقول الحق من بعد ذلك :

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِمَا جَاءَهُمُ الْبُيِنَدُ فَ وَأُوْلَئِيكَ لَمُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ فَ الْمُ

وهذا القول الحكيم ينهى عن اتباع الهوى الذى يؤدى إلى الفرقة . بوغم وضوح آيات الحق سيحانه لهم ، لأن لهؤلاء الذين يتبعون الهوى من بعد وضوح قضية الحق سيصليهم الله النار ، ولهم عظيم العذاب . وبعد ذلك يقول الحق :

﴿ يَوْمَ تَبْيَضُ وَجُوهُ وَلَسْوَدُ وَجُوهُ فَأَمَّا الَّذِينَ السَّوَدَّتُ وَجُوهُ فَأَمَّا الَّذِينَ السَّوَدَّتُ وَجُوهُ فَأَمَّا الَّذِينَ السَّوَدَّتُ وَجُوهُ هُمُ مَا كَفَرْتُمُ بَعْدَ إِيمَانِكُمُ فَذُوقُوا السَّوَدَّتُ وَقُوا السَّوَدَ الْحَالِكُمُ فَذُوقُولُ اللَّهُ الْعَدَابَ بِمَاكُنتُمُ تَكَفُرُونَ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللللْمُ الللْمُواللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللْمُ الللْمُولُولُولُولُولُولُولُولُولُولُولُول

وهنا يجب أن نعلم أن الاسوداد والابيضاض هما من آثار اختلاف البيئات في الدنيا ، فالشخص الأسود يزيد الله في تكوينه عن الشخص الأبيض بما يناسب البيئة ، لأن المادة الملونة للبشرة في جسده موجودة بقوة ، لتعطيه اللون المناسب لمايشة ظروف البيئة ، أما أبيض البشرة فلا يملك جسده القدر الكافي من المادة الملونة ، لأن بيئته لا تحتاج مثل هذه المادة الملونة .

إذن فالسواد في الدنيا لصالح المسود ، أما في هذه الآية ، فهي تتحدث عما سوف نواه في الأخرة حيث يكون السواد والبياض مختلفين ، تماما كما تتبدل الأرض غير الأرض والسموات غير السموات ، وكذلك يتبدل أمر السواد والبياض ، أنه لن يكون سواداً أو بياضا من أجل البيئات . ولذلك سنتعجب يوم القيامة ؛ لأنك قد ترى إنسان كانا أسود في الدنيا ، وتجد، أبيض في الآخر ، وتجد إنسانا آخر كان لونه أبيض في الدنيا ثم صار أسود في الآخرة .

فلا يظن ظان أن الإنسان الأسود في الدنيا مكروه من الله ، لا ، إن الله يعطى كل واحد ما يناسبه ، بدليل أن الله قد أمده باللون الذي يقويه على البيئة التي يجيا فيها . وفي مجالنا البشرى ، نحن نعطى المصل لاى إنسان مسافر إلى مكان ما ، حتى نحميه من شر مرض في المكان الذي يذهب إليه ، كذلك خَلْقُ الله في الأرض فقد أعطى سبحانه لكل إنسان في تكوينه المناعة التي تحفظه ؛ فالله لا يكره السواد لانه حماية للإنسان من البيئة . وهذه المسألة ستتبدل يوم القيامة كها تتبدل الأرض غير الأرض ، وتسود الوجوه الكافرة .

أو أن البياض والسواد كليهيا، أمو اعتبارى، بدليل أنك ترى واحدا أبيض ولكن وجهه عليه غبرة ترهقه قترة، وترى واحداً آخر أسود اللون، ولكن نور اليقين علا وجهه ، وبريق الصلاح يشع منه، وأنت لا تقدر أن تمنع عينيك من أن تديم النظر إليه، ولذلك قال الحق:

﴿ وُجُوهٌ بَوْسَهِ نَافِرَةً ١ إِلَّا رَبِّهَا نَاظِرَةً ١

(سورة الفيامة)

أى أن ما فى داخل النفس إنما ينضح على قالب الإنسان ؛ وتظهره ملامحه ، فقد يكون الأسود مضىء الوجه بالبشر والإشراق والتجل بالجاذبية الأسرة ، وقد يكون الإنسان أبيض الوجه لكنه مظلم الروح .

وهكذا نفهم أن اسوداد بشرة إنسان في الدنيا ، إنما هو لمساعدة الإنسان على التوازم مع البيئة ، ومثال ذلك سواد العين وبياضها ، هل يستطيع أحد أن يقول : إن بياض العين أحسن من سوادها ؟ أو العكس ؟ . لا ؛ لأن كل شيء معد لمهمته .

ومثال آخر : عندما يأتي عامل البناء ليثني عمود الحديد المستقيم ؛ ويلويه ، فهل

بقال: إن هذا الإنسان قد عوج الحديد؟. لا ؛ إنه يربد أن يشكل عود الحديد ليكون صالحًا لمهمة معينة . وكذلك الاسوداد أو الابيضاض في الدنيا ، إنما أراده الله ليتناسب مع ظروف الحياة في البيئة ، أما في الأخرة فالدنيا قد زالت وفنيت ، والأرض لن تكون هي الدرض والسهاء لن تكون هي السهاء ؛ فالحق يقول :

﴿ يَوْمُ تُبَدُّلُ ٱلْأَرْضُ عَيْرَ ٱلأَرْضِ وَالسَّمَنُوَتُ وَيَرَزُواْ بِنَهِ ٱلْوَاحِدِ ٱلْقَهَادِ ﴿ ﴾ وَ يَوْمُ تُبَدُّلُ ٱلْأَرْضُ عَيْرَ ٱلأَرْضِ وَالسَّمَنُوتُ وَيَرَزُواْ بِنَهِ ٱلْوَاحِمِ ﴾ وسورة إبراهيم)

فالمؤمن حين يرى ما أعده الله له من النعيم المقيم يفابل عطاء الله باستشراف نفس وسرور وانبساط، أما الله يرى مقعده من النار فلابد أن يكون مظلم الوجه . والحق سبحانه يوجه سؤالا لهؤلاء : « أكفرتم بعد إيمانكم » أو كأن هذا أمر يُفاجى من كان يعرف هؤلاء الناس في الدنيا ؛ فقد رأوهم في الدنيا بيض الوجوه ، ولكن برونهم يوم القيامة وعلى وجوههم غيرة سوداء وترهقهم قترة ، فيقولون لهم : وأكفرتم بعد إيمانكم »؟ . وكأن ذلك هو مسمة من يكفر بعد الإيمان . هذه هي مسمتهم وعلامتهم في الآخرة أي ما الذي صبركم إلى هذا اللون ؟ إنه الكفر بعد الإيمان .

فمن هم الذين كفروا بعد الإيمان؟

هذا يعنى أن الإيمان قد سبق ثم طرأ على الإيمان كفر ، وماتوا على ذلك الكفر ، وهذا قول ينطبق على الذين ارتدوا عن الإسلام مثل ابن الأسلت وغيره ، وهؤلاء كفروا بعد الإيمان . أو يكون و أكفرتم بعد إيمانكم ، يجعلنا نقول : البعدية هنا لابد أن يكون لها قبلية : ألم يأخذ الله على خلقه عهذا في عالم الذر حين استخرجهم من ظهر آدم ؟ وقال سبحانه :

﴿ أَنْتُ بِرَيْكُمْ قَالُواْ بَكِنَ ﴾

(من الأية ١٧٢ سورة الأعراف)

إنه إقرار إيمان موجود في عالم الذّر ، فمن جاء في الواقع لينقض هذه المسألة فقد كفر بعد إيمان . أو أكفرتم بعد إيمانكم بمحمد ، بعد أن جاءتكم به البشارات التي

(現)(説 ○○+○○+○○+○○+○○+○○+○○17V·○

عرفتموها ، وقرأتموها في النوراة والإنجيل ، وقد تأكدتم أنه قادم لا عالة ، وأنه وسول هذه الأمة وخاتم الرسل ، وانطبق عليكم قول الحق :

(من الآية ٨٩ سررة البثرة)

إذن فهذا الفول ، إما أن يكون في المرتدين ، وإما أن يكون الكفر في واقع الدنيا. بعد الإبجان في عالم الذر عندما أخذ الله العهد على الناس جميعا ، أو يكون الكفر بعد الإبجان برسول الله صلى الله عليه وسلم وقد جاءت به البشارة في الترراة والإنجيل ، أو يكون ذلك من أهل الأهواء الذين أخذوا الدبن وجعلوه شيعا ، كالفرق التي خرجت عن الإسلام ، وهي تدعى الانتساب إليه كالبهائية والقاديائية وغيرها . إن الآية تحتمل كل هذا ، وعندما تمعن النظر إلى النص القرآني نجده يستوعب كل هذه المعاني .

وهنا للاحظ أن الحق سبحانه أورد فقط : « أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العداب بما كنتم تكفرون » وهذا قول بخنص بالكفار فقط يذوقون العذاب بسبب الكفر ، وذلك يعنى أن المؤمن بإيمانه سينال ثواب عمله . يقول تعالى :

﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتَ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمُّ فِهَا خَلِادُونَ ۞ نَهِهَا

ولنلاحظ دائها أن الله حين يبين جزاءً لمؤمن على إيمانه وطاعته فسبحانه يقول موة :

﴿ أُولَكُمْ لِكُ أَحْمَدُ الْحَنَّةِ مُمْ فِيهَا خَلِدُونَ ﴾

(من ألأية ٤٢ صورة الأعراف)

رمرة أخرى يقول:

﴿ نَائُمًا الَّذِينَ وَامْنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ مَنَدُدُ ظِلْهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَقَضْلِ وَيَهْدِيهِم إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿ ﴾

(صورة النساء)

ما انقرق بين الاثنين ؟ إن الناس في العبادة صنفان : منهم من يعبد الله ويريد نعيم الجنة ، فيعطيه الله الجنة جزاء لعبادته ولعمله الصالح . وآخر يعبد الله ؛ لأن الله يستحق العبادة ولا تمر الجنة على باله ، وهذا ينال ذات الرحمة ، إنه ينال لفاء وجه الله .

وما الفرق بين الجنة والرحمة ؟ إن الجنة مخلوقة لله ، فهى باقية بإبقاء الله لها ، ولكن الرحمة باقية بيقاء الله ، وهذا ضيان كاف ، فمن يرى الله فيه حسن العبادة لذاته ـ سبحانه ـ يضعه الله في الرحمة .

وقلنا من قبل : إن هناك جنة من الجنات اسمها وعليُون وليس فيها متعة من المتع التي سمعنا عنها في الجنة ، كلحم الطير وغير ذلك ، وليس فيها إلا أن ترى الله . ومادام العبد لا يأكل عن جوع في الأخرة ، فها الإفضل له ، جنة المتع ، أو متعة رؤية وجه الله ؟

أتتمتع بالنعمة أم بالمنعم؟ لا جدال أن التمتع برؤية المنعم أرقى وأسمى من التمتع بالمتح الأخرى . والدقة الأدائية في القرآن توضح لنا أن الرحمة تكتنف هؤلاء العباد الصالحين ، وتحيط بهم ، إنهم ظرف للرحمة وداخلون فيها فلا تمسهم الرحمة فقط ، ولكن تحيط بهم ، وهم خالدون فيها ، ويؤكدها الحق بظرفية جديدة بقوله إلا هم فيها خالدون ، فكأن هناك رحمة يُدخل فيها العباد ، ثم يطمئتنا على أنها لا تُنزع منا أبدا . في و فيها ، الثانية للمخلود ، و وفي ، الأولى للدخول في الرحمة .

وبعد ذلك يقول الحق سبحانه :

﴿ يُلِكَ مَالِكُ أَلِكُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ وَمَا اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنَا اللَّهُ وَمَا اللَّهُ مُنْ اللَّهُ اللَّاللَّاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّالَّاللَّاللَّا اللَّهُ اللَّهُ الل

إن آيات الله هي حججه وبراهيته وجزاءاته ، فمن اسود وجهه يوم القيامة نال العداب ، ومن ابيض وجهه نال الرحمة وهو فيها خالد و تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق » ، فها الذي يجعل إنسانا لا يخبر بالحق ؟ لابد أن هناك داعيا عند ذلك الإنسان ، فلإن الحق يُتعبه ، فهو يخبر بغير الحق . لكن هل هناك ما يتعب الحائق ؟ لا ، فسبحانه وتعالى منزه عن ذلك وعن كل نقص أو عيب إذن فلابد ألا يقول لا ؛ فسبحانه وتعالى منزه عن ذلك وعن كل نقص أو عيب إذن فلابد ألا يقول لا الحق ، فلا شيء خارج عن ملكه بعد ذلك . يقول سبحانه : و وما الله يريد ظلها للعالمين » . إنه سبحانه ينفى الظلم عن نفسه كها قال :

﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظُلَّتِمِ لِلْعَبِيدِ ﴾

(من الآية ٤٦ سورة فعملت)

والحق لا يريد الظلم على إطلاقه ، من نفسه ومنكم أنتم أيها العباد . وكيف يأنى الظلم ؟ إن مظاهر الظلم هي ـ كها نعرف ـ أن تأخذ إنسانا بغير جرم . . هذا ظلم ، أو أن تعاقب إنسانا فوق الجرم . . هذا ظلم . أو ألا تعطى إنسانا مسترى إحسانه . . هذا ظلم . وماذا يفعل من يقوم بالظلم ؟ إنه يريد أن يعود الأمر بالنقع له ، فإن كان يريد أُخذ إنسان بغير جرم فهو يقعل ذلك ليروى حقدا وغلا في نفسه ، وقد يلفق لإنسان جرما ؛ لأنه يرى أن هذا الإنسان قد يهدده في أى مصلحة من المصالح ، وهو يعلم انحرافه فيها ، فيعنقله مثلا ، أو يضعه في السجن حتى لا نفضحه .

إذن لا يمكن أن يذهب إنسان عن الحق إلى الظلم إلا وهو يريد أن يحقق منفعة أو يدفع عن نفسه ضررا ، والله لن يحقق لذاته منفعة بظلم ، أو يدفع ضررا يقع من خلفه عليه ، إنه منزه عن ذلك ؛ فهو القاهر فوق عباده . والحديث القدسي يقول : و يا عبادي إنى حرمت الظلم على نفسي . وجعلته بينكم عرما فلا تظالموا و(١) .

⁽¹⁾ رواه أحمد في المسند، ورواه مسلم أن البر.

@17VF@@+@@+@@+@@+@@+@

والظالم من البشر جاهل . لماذا ؟ لأنه قُوَّى الذى ظلمه ، ولم يضعفه ، فالغالم يظلم ليضعف المظلوم آمامه ، فنقول له : أنت غبى ، قليل الذكاء ؛ لأنك قويته على نفسك وفعلت عكس ما تربد . ولنوضحُ ذلك ـ ولله المثل الأعل ـ نحن جميعا عيال الله ، سنتقل إلى دائرة حياتنا اليومية ونرى عيالنا ، إن الواحد منا عندما يكون له أولاد ، وجاء ولد من الأولاد وظلم أخاه فَقلَبُ الوائد يكون مع المظلوم ، ويحاول الوائد أن يترضّى ابنه المظلوم . إذن فالوئد الظالم ضر أخاه ضررا يتاسب طفولته ، ولكنه أعطاء نقما يناسب قوة والده ، إنه يجهل حقيقة تقويته لأخيه .

ومادمنا جميعا عبال الله فهاذا يفعل الله حين يرى سبحانه واحدا من خلقه يظلم أخر من خلقه ؟ لا بد أن الحق سيشمل المظلوم برعايته ، وهكذا يقوى الظالم المظلوم ، والظالم بدلك يعلن عن غبانه ، فلوكان ذكيا ، لما ظلم ، ولضن على عدوه أن يظلمه ، ولقال : إنه لا يستأهل أن أظلمه ؛ لأنه عن طريق ظلمي له سيعطيه الله مكافأة كبرى ، وهي أن بجعله في كنفه ورعايته مباشرة .

وقد نجد واحدا يظلم من أجل نفع عاجل ، ويتسى هذا الإنسان أنه لن يشره أبدا عن خلقه . ونقول لمثل هذا الإنسان : أنت لن تشرد عن خلقك ، ولكنك شردت من المخلوق وداريت نفسك ، وحاولت أن تحقق النفع العاجل لنفسك ، لكن الخالق قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم . وكأن الحق سيحانه يطمئتنا بأن ثنام مل جغوننا لأنه صبحانه لا تأخذه سنة ولا نوم .

وما الله يريد ظلما للعالمين ۽ لأن الظلم لا ينشأ إلا عن إرادة نفعية بغير حتى ، أو إرادة الضرر بغير جرم ، والله غنى عن ذلك ؛ ولذلك نجد الحتى يؤكد غناه عن الحلق وأنه مالك للكون كله فيقول :

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلمُسْتَدَوَتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَإِلْيَاللَّهِ وَلِيَّ اللَّهِ وَإِلَى ٱللَّهِ وَالْدَاللَّهِ وَاللَّهُ وَلَيْ اللَّهِ اللَّهُ مُودُ اللَّهِ اللَّهُ مُودُ اللَّهِ اللَّهُ مُودُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ مُودُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ مُودُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مُودُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّلْحُلَّا اللّهُ اللَّا اللّهُ اللَّهُ الللّهُ ا

إنه مالك الملك ، كل شيء له وبه وملكه ، وإليه يُرجع كل أمر ، ونحن نعلم أن القرآن الكريم قد نزل من عند الله بقراءات متعددة وقد ورد وفي بعضها (تُرجعُ الأمور) بفتح الناء بالبناء للفاعل ، وفي قراءة أخرى : و ترجع الأمور ، بضم الناء بالبناء للمفعول ، وكذلك (ترجعون) تأتي أيضا بضم الناء وفتحها ، وكلها -كها قلنا ـ قراءات من عند الله .

وعندما يقول الحق : « وإليه تُرجعون » بفتح النا، فمعنى ذلك أننا نعود إليه عنارين ؛ لأن المؤمن يُحبُّ ويرغب أنْ يصل إلى الآخرة ، لأن عمله طبب في الدنيا ، فكأنه يجرى ويسارع إلى الآخرة ، ومرة يقول تعالى : « وإليه تُرجَعون » بضم الناه . وهذا ينطبق على الكافر أو العاصى . إنّ كُلا منها يجاول ألا يذهب إلى الآخرة ، لكن المسألة ليست بإرادته ، إنه مقهور على العودة إلى الآخرة ولذلك نجد التعبير القرآني :

﴿ يُومُ يُدَّعُونَ إِلَّ نَارِجَهَنَّمُ دُعًا ﴿ ﴾

(سورة الطور)

هناك من يدفعهم إلى النار دفعا , وقى حياتنا وقد المثل الأعلى - نجد الشرطى عسك بالمجرم من ملابسه ويدفعه إلى السجن . . ذلك هو الدع . وهكذا يكون قول الحق : « وإليه ترجّعون » بضم التاء وفتح الجبم ، أي أنه مدفوع بقوة قاهرة إلى النهاية . أما المؤمن الوائق فهو يهرول إلى آخرته مشتاقا لوجه ربه .

وعندما تقرأ و وإلى الله تُرجع الأمور و . قد يقول قائل : ومتى خرجت الأمور منه حتى ترجع إليه ؟ وتقول : حين خلق الله الدنيا ، خلقها بقهر تسخيرى لنفع الإنسان ، وجعل فيها أشياء بالأسباب ، فإن فعل الإنسان السبب فإنه يأخذ المسبب مينتج الباء للشددة ، فالشمس تشرق علينا جميعا ، والضوء والدفء والحرارة ، هي لهم الله للمؤمن والكافر معا ، ولم يصدر الله لها أمرا أن تختص المؤمن وحده بمزاياها ، والهواء لا يمر على المؤمن وحده ، إنما يمر على المؤمن والكافر ، وكذلك . الماء ، والأرض يزرعها الكافر فيأخذ منها الثيار ، ويزرعها المؤمن كذلك .

إذن ففي الكون أشياء تسمنيرية ، وهي التي لأ تدخل فيها طاقة الإنسان ، وهناك

0177400+00+00+00+00+00+0

أشياء سببية ، فإن فعلت السبب يأت لك المسبب ، والله قد جعل الأسباب للمؤمن والكافر . وعندما يُملِّك الله بعض الحلق أسباب الحلق فهو القيوم فوق الجميع ، لكن في الآخرة ، فلا أسباب ولا مسببات ، ولذلك يكون الأمر له وحده ، اقرآوا جيدا :

﴿ لِمَنِ المُلْكُ الْبُومَ مِنْ الْوَاحِدِ الْفَهَارِ ﴾

(من الآبة ١٦ صورة غافر)

إنّ في الدنيا أناسا بإرادة الله علك أسبابا ، وتملك عبيدا ، وتملك سلطانا ؟ لأن الدنيا هي دنيا الأسباب . أما في الأخرة فلا مجال لذلك . لقد بدأت الدئيا بأسبابها بن منه ، ورجعت منه إليه ولمن الملك اليوم لله الواحد القهار ، ومن يمتز بالسببة نقول له : كن أسير السببية لوكنت تستطيع . ومن يعتز بالقرة لأنها يظاهرا سبب للحركة ، نقول له : احتفظ بقوتك إن كنت قادرا . ومن يعتز بالملك نقول له : احتفظ بقوتك إن كنت قادرا . ومن يعتز بالملك نقول له : احتفظ بقوتك إن كنت قادرا . ومن يعتز بالملك نقول له : لتحتفظ بأى الله ، ولا أحد بقادر على أن يحتفظ بأى شيء ، فكل شيء مرده إلى الله ، وإن كان في ظاهر الأمر أن بعض الأشياء لك الآن ، وفي الأخرة الله يكون كل أمر ، ويرجع إليه كل شيء ، لقد بدأت به ، ورجعت إليه ، ويقول الحق بعد ذلك :

مَنْ أَمْهُ وَنَ أَمْهُ أَمْهُ أَمْهُ الْمُرْجَةُ لِلنَّاسِ تَأْمُهُ وَنَ الْمُنْ وَنَ الْمُنْ وَتَنْهُ وَنَ عَنِ الْمُنْ حَيْرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ عَامَرُ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ عَنِ الْمُنْ مِنْونَ لَكَانَ بِاللَّهِ وَلَوْ عَامَرُ الْمُؤْمِنُونَ الْمُؤْمِنُونَ وَأَحْتُمُ اللَّهُ وَمِنُونَ وَأَحْتُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَالْحَارِيَةُ وَاللَّهِ اللَّهُ وَمِنُونَ وَأَحْتُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَالْحَارِيَةُ وَلَا اللَّهُ اللَّهُ وَمِنُونَ اللَّهُ وَمِنْ وَاللَّهِ اللَّهُ وَمِنْ وَاللَّهِ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ ولِهُ وَاللَّهُ وَاللَّالِمُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَالْحُلَّالَالِهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّلْمُ وَاللَّلْمُ وَاللَّالِمُ وَاللَّالِمُ اللَّهُ وَلَا مُؤْمِلُونَا اللَّهُ وَاللَّالِ

وتؤمنون بالله ع . فإن تخلف عنصر من هذه العناصر ، انحلت عنكم الخيرية ، فالحنرية ، فالحديث المنكر . إيمان بالله .

وساعة تسمع كلمة «معروف» و«منكر » فإنك تجد أن اللفظ موضوع في المعنى الصحيح ، ف « المعروف» هو ما يتعارف الناس عليه ويتفاخرون به ، ويُسُرُّ كل إنسان أن يعرفه الأخرون عنه ، و« المنكر » هو الذي يتكره الناس ويخجلون منه ، فمظاهر الخير يجب كل إنسان أن يعرفها الأخرون عنه ، ومظاهر المشر ينكرها كل إنسان .

إن مظاهر الحير محبوبة ومحمودة حتى اعتد المنحرف ، ومظاهر المنكر مذمومة ومكروهة حتى عند المنحرف ، فاللص نفسه عندما يوجد في مجلس لا يعرفه فيه أحد ، ويسمع أن فلانًا قد سرق فإنه يعلن استنكاره لفعل اللص ، إنه أمر منكر ، حتى وإن كان هو يفعله . وهكذا تعرف أن «المعروف» و«المنكر » يخضعان لنقدير الفطرة . والفطرة السليمة تأتي للأموز الخيرة ، وتجعلها متعارفا عليها بين الناس ، وتنكر الفطرة السليمة الأمور المنكرة ، حتى ممن يفعلها .

ويورد الله مائة الإيمان بالله من بعد الأمر بالمعروف والنهى المنكر ، لماذا ؟ لأنه من الجائز أن يوجد إنسان له صفات الأربحية والإنسانية ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويصنع الخير ، ويقدم الصدقات ، ويقيم مؤسسات رعاية للمحتاجين والعاجزين سواء كانت صحية أو اقتصادية ، لكنه يفعل ذلك من زاوية تفسه الإنسانية ، لا من زاوية منهج الله ، فيكون كل ما فعله حابطا ولا يُعترف له بشيء لأنه لم يفعل ذلك في إطار الإيمان بالله ، ولذلك فلا تظن أن الذي يصنع الخير دون إيمان بالله له أجر عند الله ؛ فالله يجازي من كان على الإيمان به ، وأن يكون الله في بال العبد ساعة يصنع الخير . فمن صنع خيرا من أجل الشهامة والإنسانية والجاء بالله العبد ساعة فإنه ينال جزاءه عمن عمل له ، ومادام قد صنع ذلك من أجل أن يقال عنه ذلك من أجل أن

ان أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأن به فعرفه نعمه فعرفها
 فقال : ما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتى استشهدت . قال : كذبت ،

ولكنك قائلت لأن يقال جرى فقد قبل ، ثم أمر به فسحب ، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأن به فعرقه نعمه فعرفها فقال : ما عملت فيها قال : تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن ، قال كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال : عالم ، وقرأت القرآن ليقال : قارى فقد قبل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألفى فى النار ، ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأن به فعرفه نعمه فعرفها قال : فيا عملت فيها ؟ قال : ما تركت في سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها ، قال : كذبت ولكنك فعلت ليقال : هو جواد ، فقد قبل ، ثم أمر فسحب على وجهه ثم ألقى فى النار الله الله .

إنه ينال جزاء عمله من قول الناس ، لكن الله يجازى في الآخرة من كان الله في بالله صاعة أن عمل . ولذلك فالحق سبحانه وتعانى يقول :

إن المؤمن يفعل العمل الصالح ، ويعلن أنه يفعل ذلك لأنه من المسلمين ، إنه لا يفعل الخير ، لأنه شيوعى ، أو وجودى ، أو إنسان إلخ ، فمهما صنع إنسان من الحير ، وترك الاعتراف بالله فخيانة الكفر تفسد كل عمل . لأنه جحد وأنكر خالفه وكفر به ، والذي يعمل خيرا من أجل أحد فلينل من هذا الأحد جزاء هذا العمل .

وهنا في هذه الآية ، أمر بالمعروف ، ونهى عن المنكر ، وإيمان بالله . ولكن ما الذي يجعلهم لا يؤمنون بالله وإن عملوا معروفا ؟ إنه حرصهم على الجاه الزائف ، فلمّا جاء الإسلام ، ظن أهل الحاه في الديانات الأخرى أن الإسلام سيسلبهم الجاه والسلطة والمكانة والمنافع التي كاثوا يحصلون عليها ، وكان من حافة بعضهم أن باعوا الجنة على الأرض وخافوا على المركز والجاه والمنافع ، وكان ذلك من قلة القطئة ، فالحق يقول :

⁽١) رواه مسلم في صحيحه .

فلو آمتوا لظل لهم الجاه والسلطة في ضوء الإيمان بالله ، فلا تجارة بالدين ، وكانوا سيحصلون على الجرهم مرتين ، أجر في الدنيا ، وأجر في الأخرة ، أو أجر على إيمانهم بنبيهم ، وأجر آخر لإيمانهم برسول الله ، ولكن هل معني هذا القول أن أهل الكتاب لم يؤمنوا ؟ لا ، إن بعضهم قد آمن ، فالحق سبحانه وتعالى يؤرخ لهم تأريخا حقيقيا فيقول سبحانه : « منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون » وكان الفياس أن يأتي وصف بعضهم بالإيمان ، وأن يكون غيرهم من أبناء ملتهم كافرين ، لأن الإيمان يقابله الكفر ، لكن الحق يجدد المعنى المناسب لفعلهم فيقول : « وأكثرهم الفاسقون » .

إنه الحق سبحانه وتعالى الذي يتكلم فيورد كل كلمة بمنتهى الدقة ، فهناك فرق بين أن تكفر وليس عندك مقدمات الإيمان وأدلته ، وأن تكفر وأنت تعرف مقدمات الإيمان كقراءة التوراة والإلجيل .

لقد قرأ أهل الكتاب التوراة والإنجيل ورأوا الأيات البيئات وعرفوا البشارات ، لذلك فهم عندما كفروا برسول الله ، فسقوا أبضا مع الكفر . إن الذين كفروا برسول الله من أهل الكتاب هم فاسقون حتى فى كفرهم ، لأن مفتضى معرفتهم للبشارات والآيات أن يعلنوا الإيمان برسالة رسول الله ، فالواحد منهم ليس كافرا عاديا ، بل هو فاسق حتى فى الكفر ؛ لأنه عرف الحق ، ثم خرج وفسق عنه .

ومادام الحق قد قال : « منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون » إذن ماذا يفعل المؤمن منهم مع الفاسق ؟ سيتربص الفاسقون وهم الأكثرية في اليهودية والنصرائية بالأقلية المؤمنة ليوقعوا يهم الأذى والضرر ، ويقول الحق سبحانه :

﴿ لَن يَضُرُّوكُمُ إِلَّا أَذَكُ مَ إِلَّا أَذَكُ فَ وَإِن يُقَانِلُوكُمُ وَان يُقَانِلُوكُمُ وَان يُقَانِلُوكُمُ وَالْأَدْبَارَثُمُ آلاَيْنَصَرُونَ ۞ ﴿ اللَّهُ مَا لَائْدَارُ ثُمُ آلاَيْنَصَرُونَ ۞ ﴿ اللَّهُ اللَّهُ مَا لَائْدَارُ ثُمَّ آلاَيْنَصَرُونَ ۞ ﴿ اللَّهُ اللَّهُ مَا لَائْدَارُ ثُمَّ آلاَيْنَصَرُونَ ۞ ﴿ اللَّهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللّهُ اللَّهُ اللَّاللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الل

0111400+00+00+00+00+00+0

لكن الحق سبحانه يطمئن هذه الأقلية من إضرار الأكثرية بهم فيقول : « لن يضروكم إلا أذى » . أى يا أيتها الأقلية التي آمنت من أهل الكتاب _ مثل عبدائة بن سلام الذى أسلم وترك اليهودية _ إياكم أن تظنوا أن الأكثرية الفاسقة قادرة على إنزال العذابيكم ؛ فالحق _ سبحانه _ يعلن أن عاولة الأكثرية لإنزال الضرر بالأقلية التي آمنت منهم لن يتجاوز الأذى .

ما هو الضرر؟ وما هو الأذى؟

إن الأذى هو الحدث الذى يؤلم ساعة وقوعه ثم ينتهى ، أما الضرر فهو أذى يؤلم وقت وقوعه ، وتكون له آثار من بعد ذلك ، فعندما يصفع الإنسان إنسانا آخر صفعة بسيطة فالصفعة البسيطة تؤلم ، والمها يذهب مباشرة ، لكن إن كانت الصفعة قوية وتنسبب فى كدمات وتورم فهذا هو الضرر . إذن قالأذى يؤلم ساعة يباشر الفعل فقط ، وقد يكون الأذى بالكلمة كالاستهزاء ، فالفاسق قد يستهزى وبالذى آمن ، فقط ، وقد يكون الأذى بالكلمة كالاستهزاء ، فالفاسق قد يستهزى وبالذى آمن ، فينطق بكلمة الكفر أو الفرين ولكنها فينطق بكلمة الكفر أو الفرير ، هذه الكلمة ليس لها ضرر فى ذات المؤمن ولكنها توذى سمعه . إن الحق سبحانه يطمئن المؤمنين على أن أهل الكفر لن يضروا المؤمنين إلا أذى ، وهذا أقصى ما فى استطاعتهم ، وليس لهذا الأذى اثر .

إذن فقول الحق : ولن يضروكم إلا أذى و يعنى أنهم لن يستطيعوا أن ينالوا منكم أبدا اللّهم إلا الاستهزاء أو الغمز واللمز ، أو إشارة بحركة تؤذى شعور المؤمن ، أو غجد الكفر ، وتعظمه أو بنطق كلمة عهر أو فجر لا يوافق عليها الدين ، هذا أقصى ما يستطيعه أهل الفسق ، وهم لا يملكون الضرر لأهل الإيمان . وبعد ذلك نرى أن واقع الأمر قد سار على هذا المنوال سع الدعوة المحمدية ومع جنود سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم . لقد أطلقها الله كلمة : ولن يضروكم إلا أذى ، فصارت الكلمة قانونا . فقد وقعت الوقائع بين جند رسول الله وأهل الفسق ، وثبت أن أهل الفسق ، وثبت

ولننظر إلى ما حدث لبنى قينقاع ، ولما حدث لبنى قريظة ، ولما حدث لبنى النضير ، ولما حدث لبنى النضير ، ولما حدث ليهود خيبر ، هل ضروا المؤمنين إلا أذى ؟ لقد قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يغرنك يا محمد أنك لقيت قوما أغرارا لا علم فم بالحرب فانتصرت عليهم ، فإذا أنت حاربتنا فستعرف من الرجال ، وكان ذلك هو مجرد كلام باللسان .

إن التاريخ يحمل لنا ما حدث لهم جميعا ، لقد هزمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم . وبعد هذا أرادوا أن برتفعوا عن الأذى إلى الضرر الحقيقى فلم يحكنهم الله ؛ لأن الحق يقول : « وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ، ثم لا ينصرون » ، فإن أراد أهل الغسق أن يُصَعَدوا الأذى للمؤمنين ليوقعوا ضروا حقيقيا ، فإن الكافرين يولون الأدبار أمام المؤمنين ، فهزيمتهم أمر لا مناص منه . ونحن نعوف في اللغة أن هناك ما نسميه « الحواب » في « إن » حرف شرط تجزم فعل الشرط ما نسميه « الحواب » في « إن » حرف شرط تجزم فعل الشرط وجوابه فإن كان الفعل من الأفعال الحمسة فإنّنا نحذف النون ، ولذلك نجد القول الحق : « وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار » .

إن ويقاتلوكم على غمل شرط محلوفة منه النون . وويولوكم الأدبار على أصلها بولونكم الأدبار . وهي جواب شرط حذفت منه النون ، وعندما يأن العطف بعد ذلك ، فهل يكون بالرفع أو بالجزم ؟ إن العادة أن يكون العطف بالجزم !! لكن الحق يعطف بالرفع فيأتي قوله : وثم لا يُنصرون ع . إنها كسرة إغرابية تجعل الذهن المعرب يلتقت إلى أن هناك أمرا جللا ، لأن المتكلم هو الله سبحانه . كيف جاءت النون ع ؟

منا نقف وقفة فلننطق الآية ككلام البشر: إن يقاتلوكم يولوكم الأدبار شم لا ينصروا ، وهذا القول يكون تأريخا لمعركة واحدة ، لكن ما الذي سوف يحدث من بعد ذلك ؟ ماذا مجدث عندما يقاتل المؤمنون أهل الكفر والفسق ؟ وتكون الإجابة هي : وشم لا ينصرون ، إن هذا القول الحكيم مجمل قضية بعيدة عن الشرط والجزاء ، إنها حكم من الله على أهل الفسق بأنهم لا يُنصرون أبدا سواء أفاتلوا أم لم يفاتلوا إنها قضية نابتة منفصلة ، وليست معطوفة على الشرط ، فعلة عدم النصر ، ليست القتال ، ولكنها الكفر .

وإذا دققتا الفهم في العبارة حروقا بعد أن دققنا فيها الفهم جملا لوجدنا معنى جديدا ، فقد يظن إنسان أن القول كان يفترض أن يتأن على نحو مغاير ، هو «يولوكم الأدبار فلا ينصرون » لأن الذي يأن بعد الـ « فاء » يعطى أنهم لا ينتصرون عليكم في بداية عهدكم ، وهذا ما تفيده الغاء لأنها للترتيب والتعقيب . لكن الحق أورد حرف « ثم » وهو يفيد التراخى ، وهذا يعنى أنهم لا ينتصرون عليكم أيها

0171/1 00+00+00+00+00+00+00

المؤمنون حتى لو استعدوا بعد فترة لمعركة يَرُدُونَ بها على توليهم الأدبار . إنه حكم تأييدى ، لأن « ثم » تأتى للتعقيب مع التراخى ، والفاء تأتى للتعقيب المباشر بدون تراخ . ولذلك فعندما نقرأ القرآن نجد وضع الفاء كالأتى :

﴿ ثُمَّ أَمَانَةً مَا أَفْرَهُمُ ١٠٠٠ ﴾

(سورة عبس)

لأن دخول القبر يكون بعد الموت مباشرة ، وبعدها يقول الحق :

﴿ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْتُرُهُ ۞ ﴾

(صورة عيس)

فإذا كان هناك تعقيب بعد علّة زمنية فالحق يأى بده ثم ، وإذا كان هناك تعقيب فورى بلا مدّة يأى الحق بدوف ، والتعقيب في الآية التي نتناولها يأى بعد و ثم ، ولو وكأن هذا حكم مستمر من الحق بأن أهل الفسق لن ينتصروا على أهل الإيمان ، ولو بعد انتهاء المعركة القائمة الآن بينهم ، إنها هزيمة بحكم نهائى ، هذا هو القول الفصل : و ثم لا يُنصرون ، وهو أشد وقعا بما لوجاء و لا ينتصرون ، لماذا ؟ لأن من الممكن ألا ينتصرون الهل الكفر بذواتهم ، ولكن الإيضاح يؤكد أنهم _أهل الكفر لا ينتصرون لا بذواتهم ، ولا يُنصرون بغيرهم أيضا .

إن « ثم لا ينصرون » قضية دائمة فليست المسألة مقصورة على عهد رسول الله فقط ، ولكنها ستظل إلى أبد الآبدين .

رمن السطحية في الفهم أن نقول: إن الآية كانت تنطلب أن يكون القول: ثم لا ينصروا ، لأن الاعراب يقتضى ذلك . لكن المعنى اللائق بالمتكلم وهو الحق سيحانه وتعالى الذي يعطى الضهان والاطمئنان للأمة المسلمة أمام خصومها لابد أن يقول : « ثم لا ينصرون » وهي أكثر دقة حتى من « لا ينتصرون » لأن « ينتصرون » فيما مدخلية الأسباب منهم ، أما « ثم لا ينصرون » فهي تعنى أن لا نصر لهم أبدأ ، حتى وإن تعصب لأهل الفسق قوم غيرهم وحاولوا أن ينصروهم فلن يستطيعوا ذلك .

فإن رأيتم _أيها المسلمون ـ نصرا للكافرين عليكم منهم أو بتعصب قوم لهم

فاعلموا أنكم دخلتم معهم على غير منهج الله . وقد يأتى إنسان ويقول : كيف ينتصر علينا البهود ونحن مسلمون ؟ ونقول : هل نحن نتبع الآن منهج وروح الإسلام ؟ وماذا عندنا من الإسلام ومن الإيمان ؟ هل تحسب نفسك على ربك أثناء هزيمتك ؟ وهل دخلت معركتك كمعركة إسلامية ؟

لا ، لقد انتبهنا إلى كل شيء إلا الإسلام . قدمنا الانتباء لعصبية وقومية وعرقية على الإيمان فكيف نطلب نصرا من الله ؟ لا يحق لنا أن نطلب نصرة لله إلا إذا دخلنا المعركة ونحن من جند الله . والهزيمة تحدث عندما لا تكون جنداً لله ؛ لأن الله ضمن النصر والغلبة الجنوده فقال :

﴿ وَإِنَّ جُندَنَا مَّهُمُ ٱلْغَلِّبُونَ ١

(سورة الصاقات)

فإذا لم نغلب فتأكدوا أننا لسنا من جنود الله . . ويقول الحق من بعد ذلك .

وتحن نستخدم كلمة وضرب وفي النقود بر عندما نقول : ضرب هذا الجنيه في مصر ، ومعتى ذلك أن الصانع يقوم بصنع قالب من مادة أكثر صلابة ، من المادة التي يصنع منها النقد ويرسم فيها الحفريات التي تبزر الكتابة والصور على وجهى الجنيه ،

ثم يصب المادة في ذلك الفائب ، وتخضع للقالب فتبرز الكتابة والصور ، ولا تتأبي المادة على الفالب . كأن د ضُرب ، معناها د أُلزم ، بالبناء للمجهول فيها ، وكأن المادة المصنوعة تَلْزَمُ الغالبُ الذي تصب فيه ولا تتأبي عليه ولا يجكن أن تنشكل إلا به .

إذن فالضرب معناه الإلزام والقسر على الفعل . وعندما يقول الحق : وضربت عليهم الذلة و أى لزمنهم الذلة لا يستطيعون الانفكاك عنها أبدا ، كها لا يستطيع المعدن المضروب نقدا أن ينفك عن القالب الذى صك عليه ، وكأن الذلة قبة ضربت عليهم ، وقالب لهم ، وقول الحق : و أينها ثقفوا » نقيد أنهم أذلاء أينها وجدوا في أى مكان . ولكن هناك استثناء لذلك ، ما هو ؟

إنه قول الحق : * إلا يحيل من الله وحيل من الناس * إنهم لا يعانون من الذلة في حالة وجود عهد من الله أو عهد من أناس أقوياء أن يقدموا لهم الحياية . قلما كانوا في عهد الله أولا وعهد رسوله ساعة دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وأعطاهم العهد ، فكانوا أمنين ، ولما خانوا العهد ، ولم يُوفوا به ؛ ماذا حدث ؟ ضرّبت عليهم الذلة موة أخرى .

إذن لقد كانوا في عهد الله آمنين لكنهم خانوا العهد ، وانقطع حبل الله عنهم ، نهيجوا الهبجة التي عرفتاها ونزل بهم ما نزل ، وهو ما حدث لبني قينقاع ولبني النضير وبني قريظة ويهود خبر .

إذن فهم قبل ذلك كانوا في عهد مع الله . وأنتم تعرفون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما نزل المدينة بني المسجد وعقد العهد بينه وبين اليهود وعاشوا في اطمئنان إلى أن خانوا العهد ، فضربت عليهم الذلة . وطُردوا من المدينة ، كما يقول الحق : « ضربت عليهم الذلة أينها ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس ، .

لقد أخذوا المِهد من الله من خلال من له الولاية على الناس ، فالرسول في عهده كان قائها على أمر المسلمين ، وكذلك يكون الأمر معهم في ظل القائمين على أمر الإسلام ، ويحدث هذا عندما تسير الأمور بمنهج الإسلام .

أما عن حبل الناس فذلك لأنهم لا يملكون أى عزة ذائية ، إنهم دائها في ذلة إلا أن يبتغوا العزة من جانب عهد وحبل من الله ، أو من جانب حماية من الناس . ونحن فراهم على هذا الحال في حياتنا المعاصرة ، لابد لهم من العيش في كنف أحد ؛ لذلك فعندما حاربنا و إسرائيل و في حرب أكتوبر ، انتصرنا عليهم إلى أن تدخلت أمريكا وبثقلها العسكرى . فقال رئيس الدولة المصرى : و لا جُلْدٌ لى أن أحارب أمريكا و بثقلها العسكرى . فقال رئيس الدولة المصرى : و لا جُلْدٌ لى أن أحارب أمريكا و بثقلها العسكرى .

إذن لو كانت الحرب بيننا وبينهم فقط لانتهت قوتهم ؛ فهم بلا عزة ذائبة ، وتكون لهم عزة لو كانوا في جانب حبل من الله ، أو حبل من الناس . يقول الحق سبحانه عنهم من بعد ذلك : « وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة » ولنا أن نلاحظ أن الذلة لها استثناء ، فهم ينالون العزة لو كانوا بجانب حبل من الله أو حبل من الناس ، أما المسكنة ، فلا استثناء فيها ، وقد قال الحق عنهم في موضع آخو في القرآن الكريم :

﴿ وَضُرِبَتَ عَلَيْهِمُ النَّلِمَةُ وَالْمُسْكَنَّةُ وَبَاهُ و بِغَضَبِ مِنَ اللَّهِ ﴾

(من الأية ٦١ سورة البقرة)

لأن المسكنة أمر ذاتى في النفس ، إنهم مساكين بأمر من الله ، أما الذلة فقد يأتى لهم من ينصرهم ويقف بجانبهم ؛ فالذلة أمر من خارج ، أما المسكنة فهى في ذائبتهم ، وعندما تكون المسكنة ذائبة ، قلا إنقاذ لهم منها ؛ لأنه لا حبل من الله يأتبهم فينجيهم منها ، ولا حبل من الناس يعصمهم من أثارها . ويقول الحق : « وباءوا بغضب من الله » وهل رأى أحد منا غضبا أكبر من أن الحق قد تطعهم في الأرض ؟ ولنقرأ قول الله »

﴿ وَتَطَعَّنْهُمْ فِي الْأَرْضِ أَمَّنَا ﴾

(من الآية ١٦٨ سورة الأعراف)

المكان الرحيد الذي آواهم في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الجزيرة العربية في يترب ، واستقروا قليلا ، وصارت لهم سيادة علمية ؛ لأنهم أهل كتاب ، وصارت لهم سيادة المكان الذي أواهم من وصارت لهم سيادة اقتصادية ، وكذلك سيادة حربية ، وهذا المكان الذي أواهم من الشتات في الأرض هو المكان نفسه الذي تمردوا عليه . لقد كان السبب الذي من أجله قد جاءوا إلى يترب هو ما كانوا يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة ؛ ففي التوراة

جاء ما يفيد أن نبيا سيأتي في هذا المكان ولابد أن يتبعوه كالميثاق الذي قلنا عليه من قبل :

﴿ وَإِذَ أَخَذَ اللَّهُ مِبِثَنَقَ النَّبِيلِيُّ لَمَا قَالَبَيْتُ مُ مِن كِنَكِ وَحِكْمَ مُمْ جَآءَكُمْ وَسُولُ مُصَدِقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُوْمِنُ بِهِ مَ وَلَنَنصُرُنَهُ مَا اللَّهِ مِنْ الشَّهِدِينَ مَا أَعْدَمُمْ عَلَى ذَالِكُمْ الْمَاكِمُ مِنَ الشَّهِدِينَ مِنْ الشَّهِدِينَ اللهِ ﴾ المُرى قَالُوا أَوْرَنا قَالَ فَاشْهِدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِنَ الشَّهِدِينَ (إِن) ﴾

﴿ سورة آل عمران)

وهذا الميثاق يقضى بأن يتولى الرسل بلاغ الأمم التى بُعِثوا إليها ، وأن يُبلغ أهلُ الإعان القادمين من بعدهم بأن هناك رسولا قادما من عند الله بالمنهج الكامل . واليهود _ لم يأتوا إلى يترب إلا على أمل أن يتلقفوا النبي المنتظر ليؤمنوا به ، ومن بعد ذلك يكونون حربا على الكافرين بالله ، لكن ما الذي حدث ؟ إنه سبحانه يخبرنا بما حدث منهم في قوله :

﴿ نَلْمًا جَاتِهُم مَّا عَرَفُواْ كَغُرُوا بِهِ ، ﴾

رُ مِن الأَيَّة A4 سورة البقرة)

فهاذا بعد أن باءوا بغضب من الله . وبعد أن ختم الله قائبهم بالمسكنة ؟ وما السبب ؟ تكون الإجابة من الحق سبحانه : وذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ، لقد أرسل الله لهم آيات عجيبة ولكنهم كفروا بها ، تلك الآيات التي جاءنا ذكر منها في قوله الحق :

﴿ وَظُلَّتُنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامُ وَأَرْزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنْ وَٱلسَّلُوئُ كُلُوا مِن طَيِبَاتِ مَارَزَقَنْكُمُ ﴾ ﴿ وَظُلَّتُنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنْ وَالسَّلُوئُ كُلُوا مِن طَيِبَاتِ مَارَزَقَنْكُمُ ﴾ (من الآية ٧٥ سورة البقرة)

كثير من الآيات أرسلها الحق لبنى إسرائيل ، منها ما جاء فى قوله الحق : ﴿ وَإِذْ أَخَذَنَا مِثَنَقُكُمْ وَرَقَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا مَا تَاتَبَنَنَكُمْ بِفُورٍ وَٱذْ كُوا مَاقِيهِ لَنَقُونَا مِثَنَقُكُمْ وَمُورٍ وَأَذْ كُوا مَاقِيهِ لَكُمَّكُمْ لَتَقُونَا مِنْ ﴾ لَمَلَكُمْ لَتَقُونا إِنْ ﴾ ﴾

ولكنهم تولوا عن الإيمان وأمامهم ضرب موسى عليه السلام الحجر بالعصا فانفجرت منه عيون المياه ليشربوا.

﴿ وَإِذِ ٱسْتَسْقُ مُومَى لِقُومِهِ مَ فَقُلْنَا آصْرِب بِعَصَاكَ ٱلْحَجَرُ فَاتَفَجَرَتْ مِنْهُ ٱلْفَتَاعَشَرَةُ عَبْرَةً عَشَرَةً عَشَرَةً عَبْرًا قَدْ عَلِمَ كُلُ أَنَاسٍ مَّشْرَبُهُمْ ﴾ عَبْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُ أَنَاسٍ مَّشْرَبُهُمْ ﴾

(من الآية ٦٠ سورة البقرة)

ويرغم ذلك فقد قاموا بقتل الأنبياء بغير حق . وادعوا الكذب على أنبيائهم وقتلوهم ، وفي شأنهم يقول الحق : وذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كَانَ العصيانُ سبباً لأن تُضرب عليهم الذلة ، وأن يبوءوا بغضب من الله ، وأن تُضرب عليهم النسكنة ، وكل ذلك ناشىء من قعلهم . وهناك فرق بين أن يبدأهم الله بقعل ، وبين أن يعاقبهم الله على قعل ، وحتى نفهم ذلك فلنقرأ قوله الحق :

﴿ فَيِظُلْهِ مِنَ الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتِ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَيِعَسَدِهِمْ عَن سَيِيلِ الله كَثِيرًا ﴿ اللهِ كَثِيرًا ﴿ ﴾

(سورة النساء)

لقد حرم الله عليهم الطبيات بظلم منهم لانفسهم ، لأن معنى تحريم الطبيات أن الله حرمهم منعة في طبب ، وذلك لأنهم استحلوا منعة في غير طبب ، لأن مرادات الشارع تأتى على عكس مرادات الخارجين عن أمر الشارع . وكما قلنا من قبل : إنّ المئن سبحانه وتعالى يؤرخ للحق وللواقع ولا يشملهم كلهم بحديث يجمعهم جميعا ، فقد كان منهم أناس تراودهم فكرة الإيمان بالرسول ، وفكرة الإيمان بالقرآن ، ومنهم من أمن فعلا ؛ لذلك كان من عدل الله أن يقصل بين الذين يفكرون في الإيمان والمصرين على الكفر . لذلك يقول سبحانه :

﴿ لَيْسُوا سَوَآءٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَالِمَةٌ بَتْلُونَ عَلَيْ لَكِتَابِ أُمَّةٌ قَالِمَةٌ بَتْلُونَ عَلَيْ اللَّهِ عَالِنَاءَ النَّامِ اللَّهِ عَالِنَاءَ النَّامِ اللَّهِ عَالَمَا اللَّهِ عَالِنَاءَ النَّامِ اللَّهِ عَالَمَا اللَّهِ عَالنَّاءَ النَّامِ اللَّهِ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلِي عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْ

@17AY@@+@@+@@+@@+@@+@@

وهذا ما حدث بالفعل ، لكن أى آيات لله كانوا يتلونها ؟ إنها الآيات المهيمنة ، آيات القرآن ولماذا يقول الحق : ووهم يسجدون ، وهل هناك قراءة للقرآن ساعة السجود ؟ حتى نعرف تفسير ذلك لابد لنا أن نعرف أن اليهود لا يصلون العتمة ، أي الهيلاة في الليل ، وحتى يعطيهم الله السعة الإسلامية قال عنهم : ويسجدون ، ويعرفهم بأنهم يقيمون صلاة العتمة ، العشاء - وهي صلاة المسلمين ، وماداموا يصلون صلوات المسلمين ويسجدون ، إذن فهم مسلمون أو نفهم من قوله : ووهم يصلون على المسلمين المخفوع في يسجلون ، أن الصلاة عنوان الحضوع ، والسجود أقوى سيات الحضوع في الصلاة . وهاداموا يصلون فلا بدأنهم يتلون آيات الله آناء الليل وهم يؤدون الصلاة بخشوع كامل . ونعرف أن من حسن العبادة في الإسلام ، ومن السنن المعروفة قراءة القرآن ليلا ، وصلاة التهجد ، وهذه في مدارج العملية الإيمانية التي يدخل بها الإنسان إلى مقام الإحسان .

ود آناه على جمع دان عليها مثل و أمعاه على على على و الآناء على جموع الأوقات في الليل ، وليست في وإن على واحد . فهناك مؤمن يقرأ القرآن في وقت من الليل ، ومؤمن آخر يقرأ القرآن في وقت آخر ، وكأن المؤمنين يقطعون الليل في قراءة للغرآن ، والذي يدخل مع ربه في مقام الإحسان ، فهو لا يصلي فقط صلاة العتمة وهي ستأخذ وإن ، واحدا ، أي وقتا واحدا ، ولكنه عندما يصلي في أناء الليل فذلك دليل على أنه يكرر الصلاة ، وزاد عن المفترض عليه ، ومادام قد زاد عن المفترض ، فهو لا يكنفي بتلاوة القرآن لأنه يربد أن يدخل في مقام الإحسان ، أي أنه وجد ربه أهلا لأن يصلي له أكثر مما افترض عليه ، كأنه قد قال لنفسه : أنت كلفتني يارب بخمس صلوات لكنك يارب تستحق أكثر من ذلك وكأن هذا البعض من أهل الكتاب لم يكتفوا بإعلان الإيمان بالإسلام فقط ، ولكنهم دخلوا بثقلهم ، فصلوا آناء الليل . وأحبوا أن ينظبق عليهم قول الله تعالى :

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنْدِتِ وَعُبُونٍ ۞ وَالْجَذِينَ مَا وَالنَّهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَالُواْ قَبْلَ وَلِكَ تُعْسِنِينَ ۞ ﴾

﴿ سَوْرُهُ الْقُارِيَاتُ ﴾

ما معنى ﴿ محسن ﴾ ؟ إنها وصف للإنسان الذي أمن بريه فعبَّد الله بأكثر مما افترض

تعبدنا الله بخمس صلوات فنزيدها لتصل إلى عشرين مَثَلًا ، ونحن تعبدنا الله بصيام شهر فى الديام ومنا من يضوم فى كل شهر عددا من الأيام . العام ومنا من يصوم فى كل شهر عددا من الأيام .

وتعبدنا بانزكاة بالنصاب ، ومنا من يزيد على النصاب ، وتعبدنا سبحانه بالحج مرة ، ومنا من يزيد عدد مرات الحج . فحين يريد العبد أن يدخل في مقام الإحسان فبابه هو أداء عبادات من جنس ما تعبده الله به ، فالعبد لا يخترع أو يقترح العبادة التي يعبد بها الله ، ولكنه يزيد فيها افترضه الله . وهؤلاء الذين آمنوا بالله من أهل الكتاب ويتحدث عنهم القرآن ، لقد دخلوا بثقلهم في الإسلام فصلوا آناء الليل وقرءوا القرآن ، ودخلوا مقام الإحسان ، وأرادوا أن يطبقوا القول الحق :

﴿ كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ الَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ١٠٠٠

(صورة الداريات)

اى أنهم ماداموا قد صلوا فى الليل ، وقليلا ما هجعوا قلا بد أنهم قد أدوا الصلاة فى آناء كثيرة من الليل ، وتحن حين للخل فى مقام الإحسان ونصلى فى الليل ، ونكون يارزين إلى السهاء فلا يقصلنا شىء عنهاء ونظر فنجد نجوما لامعة تحت السهاء الدنيا ، وأهل السهاء ينظرون للأرض فيجدون مثلها نجد من النجوم المتلألئة اللامعة فى الأرض ، ويسألون عنها فيقال لهم : إنها البيوت التي يصلى أهلها آناء الليل وهم يسجدون ، وكل بيت فيه هذا يضىء كالنجوم لاهل السهاء . ويضيف الحق فى صفات هؤلاء : د وبالأسحار هم يستغفرون د وهل فرض الله على خلقه بأن يصلوا أناء الليل فلا يهجعون إلا قليلا من الليل ؟ لا ، ولكن من يريد أن يدخل فى مقام الإحسان ، فهو يقعل ذلك . أما المسلم العادى فيكتفى بصلاة العشاء ، وعندما يأن الصبح فهو يؤدى الفريضة . لكن من يدخل فى مقام الإحسان فقليلا من الليل ما يهجم . وينطبق عليه القول الحق :

﴿ إِنَّ الْمُنَفِينَ فِي جَنَّاتِ وَعُيُونِ ﴿ وَاللَّهِ مِنَ اللَّهِ مَ اللَّهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُواْ مُلِّلِلًا مِنَ النَّهِمْ مَا النَّهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُواْ مُلِّلِلًا مِنَ النَّهِلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿ وَ وَإِلَّا تَعَادِهُمْ فَنَ النَّهِلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿ وَ وَإِلَّا تَعَادِهُمْ فَنَ النَّهِلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿ وَ وَإِلَّا تَعَادِهُمْ فَنَ النَّهِلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿ وَ وَإِلَّا أَعَادِهُمْ فَنَ النَّهِ اللَّهُ مَا يَعْدُومِ فَ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَاللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَاللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُمْ وَاللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهُمْ وَاللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُمُ وَاللَّهُ عَلَيْهُمْ وَاللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ عَاللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ مَا عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ عَلَّا اللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ عَلَيْكُولُومُ وَاللَّهُ عَلَيْكُولُ وَاللَّهُ عَلَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ عَلَيْكُولُومُ وَاللَّهُ عَلَّهُ وَاللَّهُ عَلَّهُ عَلَيْكُمُ وَاللَّهُ عَلَيْكُولُومُ وَاللَّهُ عَلَيْكُولُومُ وَاللَّهُ عَلَيْكُولُومُ وَاللَّهُ عَلَيْكُولُومُ وَاللَّهُ عَلَّهُ وَاللَّهُ عَلَيْكُولُومُ وَاللَّهُ عَلَيْكُولُومُ وَاللَّالِمُ اللَّهُ عَلَيْكُومُ وَاللَّهُ عَلَيْكُولُومُ وَاللَّهُ عَلَّهُ عَلَيْكُولُومُ وَاللَّهُ عَلَيْكُولُومُ وَاللَّهُ عَلَّهُ عَلَّهُ مِنْ اللَّهُ عَلَيْكُولُومُ وَاللَّهُ عَلَيْكُولُومُ وَالْمُعَلِّمُ عَلَيْكُولُومُ وَاللَّهُ عَلَيْكُولُومُ وَاللَّهُ عَلَّهُ عَلَّهُ عَلَيْكُولُومُ وَاللَّهُ عَلَيْكُولُوا لَلَّهُ عَلَيْكُولُومُ وَاللَّهُ عَلَيْكُوا لَا عَلَيْكُولُوا اللَّهُ عَلَيْ عَلَا عَلَا عَلَامُ عَلَيْكُولُولُولُوا اللَّهُ عَلَّهُ عَلَا عَلَّا عَلَا عَلَالْمُعُولُولُوا عَلَيْكُوا اللَّهُ عَلَيْكُوا الل

وهذه دقة البيان الفرآن التي توضح مقام الإحسان ، فيكون في مالهم حتى للسائل والمحروم ، وليس هناك قدر معلوم للهال الذي يخرج ، لأن المقام هنا مقام الإحسان الذي يعلو مقام الإيمان ، ومقام الإيمان ـ كها نعرف ـ قد جاء ذكره في قوله الحق :

﴿ وَاللَّذِينَ فِنَ أَمْوَ لِمِمْ حَقَّ مَعْلُومٌ ﴿ لِلسَّآمِ إِلَى وَالْمَحْرُومِ ﴿ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِبَوْمِ الدِّينِ ﴿ ﴾ وَاللَّذِينَ فِي أَمْوَ لِمِمْ حَقَّ مَعْلُومٌ ﴿ لِلسَّآمِ إِلَى اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهُ اللَّهِ ﴾ (سورة المعارج)

فالإنسان في مقام الإيمان قد يقيد الإخراج من ماله بحدود الزكاة أو فوقها قليلا ، لكن في مقام الإحسان فلا حدود لما يخرج من المال ، وهكذا نعرف أن أهل الكتاب ليسوا سواه ؛ فمنهم من دخل الإسلام من باب الإحسان ، فقال فيهم الحق ؛ ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آتاء الليل وهم يسجدون » ، وكان الحق بهذا الاستثناء الواضح ، يؤكد لنا أننا لا يصح أن نظن أن أهل الكتاب جيعهم هم الذين جاء قبهم قوله : « ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » لا ؛ فأهل الكتاب ليسوا سواء ، ولذلك لا يكون حكم الله منسحها عليهم جمعا ، فمن أهل الكتاب ليسوا سواء ، ولذلك لا يكون حكم الله منسحها عليهم جمعا ، فمن أهل الكتاب جماعة قائمة بتلاوة القرآن آتاء الليل وهم يسجدون ، إنهم أمة قائمة ، وكلمة فقائم » هي ضد ؛ قاعد » ، والقعود غير الجلوس ، قالجلوس يكون عن الاضطجاع فيقال : كان مضطجعا فجلس ،

لكن عندما نقول: وكان قائها و فإننا نقول فقعد و فالقعود يكون بعد القيام . والقعود في الصلاة مربح ، أما القيام فهو غير مربح ، ونحن نعرف أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يقف في الصلاة حتى تتورم قدماه و لأن الثقل كله على القدمين ، ولكن عندما نقعد فتحن نوزع الثقل على جملة أعضاء الجسم . وعندما يصفهم الحق : ومن أهل الكتاب أمة قائمة و فمعنى ذلك أنهم أخذوا أمانة أداء القروض بكل إخلاص ، وكانوا يؤدون الصلاة باستدامة وخشوع . ويستمر الحق في وصفهم في الآية التالية :

عَنْ بُوْمِنُونَ بِأَللَهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآنِخِدِ وَيَأْمُرُونَ

بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكِّرِ وَيُسَارِغُونَ فِي الْمُنكِّرِ وَيُسَارِغُونَ فِي الْمُنكِرِ وَيُسَارِغُونَ فِي الْمُنكِرِ وَيُسَارِغُونَ فِي الْمُنافِينَ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ

وهم بالإيمان بالله واليوم الأخر، وبالامر بالمعروف، والنهى عن المنكر، إنما يتصفون بالصفات التى أوردها الله صفة لخبر أمة أخرجت للناس وهى أمة عمد صلى الله عليه وسلم. لقد دخل هذا البعض من أهل الكتاب بتقلهم - ومن أول الأمر - فى مقام الإحسان، وماداموا قد دخلوا فى مقام الإحسان فهم بحق كانوا مستشرفين لظهور النبى الجديد. ويمجرد أن جاء النبى الجديد تلقفوا الخيط وآمنوا برسالته، وصاروا من خير أمة أخرجت للناس، ويكمل الحق سبحانه صفاتهم بقوله: « ويسارعون فى الخيرات » وهذا كمثل قوله سبحانه وتعالى فى حق المؤمنين ؛

﴿ وَمَادِعُوٓا إِلَىٰ مَغَفِرَةٍ مِن ذَبِكُمْ وَجَنَّةٍ عَرَّضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أَعِدَّتْ لِلمُنْفِينَ وَالأَرْضُ أَعِدَّتْ لِلمُنْفِينَ وَالأَرْضُ أَعِدَتْ لِلمُنْفِينَ وَاللهُ وَاللّهُ وَاللهُ وَاللّهُ وَاللّ

و سورة أل عمران)

ونحن نعرف أن هناك فرقا بين و السرعة وو العجلة و قد السرعة وو العجلة و يلتقيان في تقليل الزمن بالنسبة للحدث و ومثال ذلك أن يقطع إنسان المسافة من مكان إلى مكان في زمن معين والذي يسرع في قطع المسافة هو الذي يستغرق من الزمن أقل وقت ممكن ولكن هناك اختلاف بين السرعة والعجلة ، وأول خلاف بينها ينضح في المقابل ، فمقابل السرعة الإبطاء ، ويقال : فلان أسرع ، وعلان أبطأ ومقابل و العجلة و هو و الإناة و فيقال : فلان تأنى في اتخاذ قراره ، فالسرعة محدوحة ومقابل وهو و الإبطاء و والعجلة و ملمومة ، ومقابلها وهو التأنى عدوح و لأن السرعة هي التقدم فيها ينبغي التقدم فيه ، والعجلة هي التقدم فيها لا يتبغى التقدم فيه ، والعجلة الندامة ، وفي التأنى السلامة و وقال الحق :

﴿ وَسَارِعُوا إِنَّ مَغْفِرَ إِنَّ رَبُّكُمْ ﴾

@1111@@+@@+@@+@@+@@+@

وهو سبحانه: هنا يقول و ويسارعون في الخيرات ، أى كلما لمحت لهم بارقة في الخير فهم يسرعون إليها ، أى أنهم يتقدمون فيها ينبغي التقدم فيه ، إنهم يعلمون أن الإسراع إلى الخير حدث ، وكل حدث يقتضي حركة ، والحركة تقتضي متحركا ، والمتحرك يقتضي حياة ، فيا الذي يضمن للإنسان أن تظل له حياة ، لذلك يجب أن تسرع إلى الخيرات ، وسيدنا عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه وأرضاه كان ينام القيلولة ، وكان حاجبه يمنع الناس من إيقاظ الخليفة ، فجاء ابن عمر بن عبدالعزيز وقال للحاجب :

اريد أن أدخل على أمير المؤمنين الساعة ، فمنعه الحاجب قائلا ; إنها ساعة يستربح فيها وهو لا يستربح من الليل أو النهار إلا فيها ، قدعه ليستربح . وسمع سيدنا عمر بن عبدالعزيز الضجة ، فسأل الحاجب . قال الحاجب : إنه ابنك ، ويريد أن يدخل عليك وأنا أطالبه ألا بدخل حتى تستربح . قال عمر بن عبدالعزيز للحاجب : دعه يدخل . فلما دخل الابن على أبيه ، قال الابن : يا أبي بلغتى أنك ستخرج ضبعة كذا لتقفها في سبيل الله . قال عمر بن عبدالعزيز ؛ أفعل إن شاء الله . غدا نبرمها . قال الابن متسائلا : هل يبقيك الله إلى غد ؟ فقال عمر بن عبدالعزيز وهو يبكى : الحمد لله الذي جعل من أولادى من يعينني على الخير . عبدالعزيز وهو يبكى : الحمد لله الذي جعل من أولادى من يعينني على الخير .

لقد أراد الابن من أبيه أن يسارع إلى الخبر ، فهادامت هبة الخبر قد هبت عليه فعلى الإنسان أن يأخذ بها ، لأن الإنسان لا يدرى أغبار الأحداث في نفسه ، لذلك فعليه أن يسارع إلى اقتناص هبة الخبر ، وها هو ذا أبن عمر بن عبدالعزيز يعين والده على الخبر ، لكتنا في زماننا قد نجد من الأبناء من يطلب الحجر على أبيه إن فكر الأب في فعل الخبر ، متناسين قول الحق : « ويسارعون في الخبرات وأولئك من الصالحين » .

وهنا يبرز سؤال هو: لأى عمل هم صالحون؟

والإجابة تقتضى قليلا من التأمل . إننا نقول في حياتنا : « إن فلانا رجل صالح » ومقابله « رجل طائح » . والإنسان صالح للمخلافة ، فقد جعل الله آدم وذريته خلفاء في الأرض ، والرجل الصالح يرى الشيء الصالح في ذاته فيترك هذا الشيء على ما هو عليه أو يزيده صلاحا . أما الرجل الطالح أو المفسد فهو يأتى إلى الشيء الصالح فيفسده ، ولا يفعل صلاحا .

00+00+00+00+00+00+01141

إن الرجل على سبيل المثال قد يجد بثرا يأخذ منه الناس الماء ، فإن لم يكن من أهل العزم فإنه يتركه على حاله ، وإن كان طالحًا فقد يردم البئر بالتراب ، أما إن كان الرجل من أهل الصلاح والعزم فهو يجاول أن يبدع في خدمة الناس التي تستقى من الرجل من أهل الصلاح والعزم فهو يجاول أن يبدع في خدمة الناس التي تستقى من البئر ، فيفكر لببني خزانا عاليا ويسحب الماء من البئر بآلة رافعة ، ويخرج من الجزان البئر ، فيفكر لببني خزانا عاليا ويسحب الماء وهم في المنازل ، إن هذا الرجل قد أنابيب ويحدها إلى البيوت ، فيأخذ الناس المياه وهم في المنازل ، إن هذا الرجل قد استخدم فكره في زيادة صلاح البئر .

إذن فكلمة و رجل صالح و تعنى أنه صالح لأن يكون خليفة في الأرض وصالح لاستعبار الأرض أي أن يجعلها عامرة ، فيترك الصالح في ذاته ، أو يزيده صلاحا ، ويجاول أن يصلح أي أمر غير صالح . الرجل الصالح عندما يعمل فهو يجاول أن يجعل عمله عن عمق علم ، فلا يقدم على العمل الذي يعطى سطحية نفع ثم يسبب المضرر من بعد ذلك .

ومثال ذلك حين اخترعوا المبيدات الحشرية ظنوا أنهم تغلبوا على الآفات في الزراعة ، لكنهم لم يعرفوا أنهم قد أضروا بالزراعة وبالبيئة أكثر 18 أفادوا ، لذلك عادوا يقولون : لا تستعملوا هذه المبيدات ؛ لأنها ذات أضرار جمة ؟ ولهذا لابد أن يكون كل عمل قائها على قواعد علمية سليمة ، ولنقرأ قوله تعالى :

﴿ وَلَا تَنْفُ مَالَيْسَ لَكَ يِهِ عَلَمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادُكُلُ أَوْلَئَيْكَ كَانَ عَنَهُ مَسْتُولًا ﴿ وَلَا تَنْفُ مَالَيْسَ لَكَ يِهِ عَلَمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادُكُلُ أَوْلَئَيْكَ كَانَ عَنَهُ مَسْتُولًا ﴿ وَلَوْلِهِ عَلَيْهِ اللَّهِ الْمُعْلَى اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللهِ وقوله سبحانه :

﴿ قُلُ عَلَى نَنْيَنَكُمُ بِاللَّهُ عَسَرِ بِنَ أَعْمَالًا فِي اللَّذِينَ ضَلَّ سَعَبُهُمْ فِي الْحَيَوْةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَعْسَبُونَ أَنْهُمْ بُعْسِنُونَ صَنْعًا فِي ﴾

(سورة الكهف ع

إذن فقد أكرم الله من آمن من أهل الكتاب قوصفهم المرحيف الحقيقى ، فهم يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون ، ويؤمنون بالله واليوم الأخر ، ويأمرون بالله وينهون عن المنكر ، ويسارعون في الحيرات ، ثم يحكم الحق عليهم حكما عاما بأنهم من الصالحين لعمارة الكون والحلافة في الأرض .

ومن بعد ذلك بضيف الحق :

﴿ وَمَا يَفْعَكُواْ مِنْ خَيْرِ فَلَن يُحَكِّفُوهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ اللَّهُ الل

إنه سبحانه يعطيهم الجزاء العادل ، وإن شيئا لا يضيع عنده وهو الحق ؛ قالحير الذي يفعلونه لن يُجحد لهم أو يُستر عن الناس ؛ لأنه سبحانه عليم بالمتفين ، فمن الجائز أن يصنع إنسان الأعيال ولا يراها أحد ، أما الحق فهو يرى كل عمل ، وهو الذي يملك حسن الجزاء ، وبعد ذلك يعود الحق لتبيان حال اللاين كفروا فيقول :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغَنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَآ أَوْلَكُدُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأَوْلَتَهِكَ أَصْعَبُ النَّادِ هُمْ فِهَا خَلِدُونَ شَلَيْ عَلَيْهِ فِهَا خَلِدُونَ شَلَيْ عَلَيْهِ

يظن الكافرون أن الأموال والأولاد قد تغنى من الله ، إنهم لا يجسنون التقدير ، فالأموال والأولاد هما من مظان الفتنة مصداقا لقوله تعالى :

﴿ وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أَمْوَالُكُرُ وَأُولَكُ كُرْ فِنْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهُ عِندَهُ وَأَخْرَ عَظِيمٌ ١٠٠

(سورة الأنفال)

ومادامت الأموال والأولاد فتنة فلا بد أن نفهم الأمر على حقيقته ؛ فالفتنة ليست مذمومة في ذاتها ؛ لأن معناها اختبار وامتحان ، وقد يمر الإنسان بالفتنة ، وينجح . كأن يكون عنده الأموال والأولاد ، وهم فتنة بالفعل فلا يغره المال بل إنه استعمله في الخير ، والأولاد لم يصيبوه بالغرور بل علمهم حمل منهج الله وجعلهم ينشأون على النهاذج السلوكية في الدين ، لذلك فساعة يسمع الإنسان أى أمر فيه فتنة فلا يظن أنها أمر سبى ، بل عليه أن يتلكر أن الفتنة هي اختبار وابتلاه وامتحان ، وعلى الإنسان أن ينجع مع هذه الفتنة ؛ فالفتنة إنما تضر من يخفق ويضعف عند مواجهتها . والكافرون لا ينجحون في فتنة الأموال والأولاد ، بل سوف يأتي يوم لا يملكون فيه هذا المال ، ولا أولئك الأولاد ، وحتى إن ملكوا المال فلن يشتروا به في الأخرة شيئا ، وسيكون كل واحد من أولادهم مشغولا بنفسه ، مصداقا لقول الحقي :

(سورة لقيان ع

إن كل امرى، له يوم القيامة شأن يلهيه عن الأخرين ، والكافرون في الدنيا مشغولون بأموالهم وأولادهم وعندما نتأمل قوله : « لن تغنى عنهم » نجد أننا نقول : أغناه عن كذا أي جعله في استغناء فمن هو الغني إذن ؟ الغني هو من تكون له ذائية غير محتاجة إلى غيره ، فإن كان جائما فهو لا يأكل من يد الغير ، والنبي صل الله عليه وسلم يقول : « ليس الغني عن كثرة العرض ، ولكن الغني غنى النفس ه(١) .

والمقصود بالعَرَض هو مناع الحياة الدنيا قلّ أو كثر ، ومناع ، وعرض الدنيا كالماء المالح ، كلما شربت منه ازددت ظمأ . إن الكافر من هؤلاء يخدع نفسه ويفشها ، ويغتر بالمال والأولاد وينسى أن الحياة تسير بأمر من يملك الملك كله ، إن الكافر يأخذ مسألة الحياة في غير موقعها ، فالغرور بالمال والأولاد في الحياة أمر خادع ، فالإنسان يستطيع أن يعيش الحياة بلا مال أو أولاد . ومن يغتر بالمال أو الأولاد في الحياة يأتي بوم القيامة ويجد أمواله وأولادة حسرة عليه ، لماذا ؟ لانه كلما تذكر أن المال والأولاد أبعداء عما يؤهله لهذا الموقف فهو يعاني من الاسى ويقع في الحسرة .

⁽١) رواه أحمد في المسند، والبخاري، ومسلم، والترمذي وابن ماجه عن أبي عريرة.

@11100+00+00+00+00+00+0

ويقول الحق سبحانه عن هذا المغتر بالمال والأولاد وهو كافر بالله : و وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ، وهذا مصير يليق بمن يقع في خديمة نفسه بالمال أو الأولاد . وكيف يكون الإنسان صاحباً للنار؟ لنعرف أولا معنى كلمة و الصاحب ، إن الصاحب هو الملازم ؛ فنحن نقول : فلان صاحب فلان أي ملازمه ، لكن من أين نبدأ الصحبة ؟ . إن الذي يبدأ الصحبة هو و فلان ، الأول ، لـ و فلان الثانى ، الذي يقبل الصحبة أو يرفضها ، وهذا أمر قد نعرفه وقد لا نعرفه ، وعن الصحبة مع النار قرى أن الإنسان يلوم نفسه ويؤتبها على أنه اختار النار وصاحبها .

السنا نرى فى الحياة إنسانا قد ارتكب ذنبا وأصابه ضرر، فيضرب نفسه ويقول: انا الذى استأهل ما نزل بى واستحقه، وكذلك الإنسان الكافر يجد نفسه يوم القيامة، وهو يدخل النار، ويقول لنفسه: أنا استحق ما فعلته بنفسى ، وتقول النار لحظتها ردا على سؤال الحق لها:

ع يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمُ عَلِي أَنْكَانَّتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ١٠٠٠ ﴾

(سورة ق)

وفي الأخرة نرى أبعاض الإنسان الكافر وهي تبغض صاحبها ، فإذا كان للإنسان ولاية على أبعاضه في الدنيا ، وهي خاضعة لإرادته إلا أن هذه الأبعاض تأتى يوم القيامة وصاحبها خاضع لإرادتها . إن الظالم يقول ليده في الدنيا ، و اضربي فلانا وشددي الصفعة ، فلم تعصه يده في الدنيا ؛ لأن الله خلقها خاضعة لإرادته ، والظالم لنفسه بالكفر يأمر لساته أن ينطق كلمة الكفر ، فلا يعصاه اللسان في الدنيا ، لماذا ؟ لأن أبعاضه خاضعة لإرادته في الحياة الدنيا ، لكن ذلك الكافر يأتي يوم القيامة وتنعول عنه إرادته ، فتتحرر أبعاضه ، ولا تكون مرغمة على أن تفعل الأفعال التي لا ترتضيها ، وتشهد عليه . قد يقول قائل : ولكن الأبعاض على صاحبها ، وتشهد عليه . قد يقول قائل : ولكن الأبعاض هي التي تتعلب . نعم ، ولكنها تقبل العذاب تكفيرا عها فعلت .

إذن فالصحبة تبدأ من الأبعاض للنار و أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ، فإن رأينا كفارا يعملون خيرا في الدنيا فليحذر كل منا نفسه قائلا : إياك يا نفس أن تنخدعى بذلك الخير . لماذا ؟ لأن الكافر يعيش كفر القمة ، وكل عمل مع كفر القمة هو عمل حابط عندالله ، وإن كان غير حابط عند الناس . وبعد ذلك يقول الحق عن هؤلاء الكافرين :

مَثُلُمَا يُنفِقُونَ فِي هَاذِهِ ٱلْحَيَوْةِ ٱلذُّنيَاكَمَثَلِ ربيح فِهَا صِرُّ أَصَابَتْ حَرْثَ فَوْمِ ظَلَمُو ٱلنَّفُسَهُمْ فَأَهْلَكَكَتُهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَذِينَ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتَهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَذِينَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ وَلَذِينَ أَنفُسَهُمْ

إن الحق يصف ما ينفقه هؤلاء الكافرون في أثناء الحياة الدنيا وهم بعيدون على منهج الله إنه ـ سبحانه ـ يشبهه بريح فيها صر ، أي شدة ، فهادة ، الصاد والراء ع تنال على الشدة والضجة والصخب ، ومثال ذلك ما قاله الحق عن امرأة إبراهيم :

(سورة الذاريات)

إنها أنت وجاءت بضجيج ؛ لأنها عجوز وعقيم ويستحيل عادة أن تلد . ومثل قوله الحق :

﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُواْ بِرِيجٍ صَرْصَرٍ عَانِبَةٍ ۞ ﴾

(صورة الحاقة)

والريح الصرصر هي التي تحمل الصفيع ولها صوب مسموع.

رقوله الحق : « كمثل ربح فيها صر » أى أن الربح جملت البرد شائعا وشديدا ، فالبرد قد يكون في منطقة لا ربح فيها ، ويظل باقيا في منطقته تلك ، وعندما تأن

الربح فإنها تنقل هذا البرد من مكان إلى مكان آخر ، فتتسع دائرة الضرر به . وماذا نفعل الربح التى فيها شدة برد ؟ إنها تفعل الكوارث ، ويقول عنها الحق : وأصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته ، وساعة نسمع كلمة و حرث ، فنحن نعرف أنه الزرع ، وقد سهاه الله حرثًا ، ليعرف الإنسان إنه إن لم يجرث فلن يجصد ، يقول الحق :

﴿ أَنْرَةَ يْتُمُ مَّا تَعْرُنُونَ ﴿ ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ وَأَمْ غَنْ الزَّارِعُونَ ۞ لَوْ نَشَآهُ بِخَعَلْتُهُ حُطَنَهُ فَظَلْتُمْ تَفَسِّكُهُونَ ۞ ﴾

ر سورة الواقعة }

كأن الربح العارمة تفسد الحرث ، وهو العملية اللازمة للإنبات ؛ فالحرث إثارة للأرض ، أى جعل الأرض هشة لتنمو فيها الجذور البسيطة ، وتقوى محل اختراقها ، وأخذ الغذاء منها ، وهذه الجذور تستطيع - أيضا - من خلال هشاشة الأرض المحروثة أن تأخذ الهواء اللازم للإنبات .

إن الحق سبحانه يربد أن يضرب لنا المثل وهو عن جماعة غير مؤمنين أنفقوا أموالهم في الحير ، لكن ذلك لا ينفعهم ولا جدوى منه . مصداقا لقوله تعالى : و كمثل ربح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون ، وهكذا يكون مصير الإنفاق على نية غير مؤمنة ، كهيئة الحرث الذي هبت عليه ربح فيها صوت شديد مصحوب ببرد ، فألد عسر ، فيه المشدة والبرودة والعنف ، وحاتم الطائى كريم العرب يقول لعبده :

أوقعد؛ فمإن البليمل لبيمل قمر والمربع ياغلام ريع صر عُملٌ يمرى تمارك من يمر إن جمليت ضميفا فأنت حمر

إن هذا الرجل الكريم يطلق سراح العبد إذا ما هدى ضيفًا إلى منزل حائم الطائى . ووالليل القره: هو الليل الشديد البرودة . وه الربح الصرة : هي

الربح الشديدة المصحوبة بالبرد. ونعرف في قُرَانًا أن الصقيع ينزل على يعض المزروعات، فيتلفها وتلاحظ منا أن الحق سبحانه قد جاء بهذه الآية الكريمة بعد أن أوضح لنا في الآية السابقة عليها أن الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم شيئًا ومصيرهم النار، وهو سبحانه يدفع أي شبهة تطرأ على السامع، وهي أن هذه الأموال التي أنفقها الكافرون لعمل الخير، لن تغنى عنهم شيئًا في الأخرة ؛ لأنهم لا يملكونها . لماذا ؟

لأن العمل إنما يراد النواب عليه ، واثنية دانها هي التي تحدد الهدف من كل حركة . . فهل كان في نية الكفار حين أنفقوا أمواقم في الخير الذي يعلمه الناس كالمساعدات ، وتقريج الكرب ، وإنشاء المستشفيات هل كان في بال هؤلاء الكفار رُبُّ هذه النعم ، أو كانوا يعملونها طمعا في جاه الدنيا ، وتقدير التاريخ وذكر الإنسانية ؟

لاشك أنهم كانوا بعملونها للجاه ، أو للناريخ ، أو للإنسانية ؛ لأنهم لا يؤمنون بما وراء ذلك ، فهم لا يؤمنون بوجود إله ، ولا يؤمنون بوجود يوم آخر يُحاسبون فيه على ما تُدموا . وقلنا من قبل : إن الذي يعمل عملا فليطلب أجره ممن عمل له ، وماداموا قد عملوا للدنيا وذكرها ، وجاهها ، والفخر فيها ، فقد أعطتهم الدنيا كل شيء .

الحق سيحانه وتعالى يضرب لنا مثلا ، وهو الذي يضرب الأمثال للناس لعلهم يتذكرون . ومعنى المثل : أن يأتى إلى أمر معنوى قد يغيب عن بعض العقول فهمه ، فيشخصه وعمثله بأمر حسى يعرفه الجميع ، ونحن نعرف أن المحسات هي أصل المعنويات في الفهم . ونعرف أن الطفل أول ما تتفتح إدراكاته يدرك الشيء المحس أولا ، ثم بعد ذلك يكون من المحسات المعقولات .

'فالطفل على سبيل المثال يرى نارا فيمسكها فتحرقه، فيتكون عند الطفل اقتناع بأن النار عرقة . ويشرب الطفل عسلا ، فيجده حلوا ، فيتكون عنده اقتناع بأن العسل حلز الطمم ، ويأكل الطفل شيئا مرا كالحنظل ، فتتكون عنده قضية معلومة وهي أن هذا الشيء مر الطعم ، فكل المعلومات التي يعرفها الإنسان بوسائل

[دراكه المتعددة إنما ثأتي من الأمور المحسة أولاً .

والأمور المحسة . كما علمنا . وسائلها الحواس الحمس الظاهرة ، وهي : العين لترى ، والأذن لتسمع ، والأنف ليشم ، واللسان ليلوق ، والأنامل لتلمس ، وهكذا نعرف أن كل حاسة ظاهرة لها غاية في الإدراك . والإنسان يتمتع بحواس الحرى ندرك أعالها ، ولكنا لا تدرك أجهزتها أو آلاتها .

مثال ذلك : حاسة البعد وهي أن يعرف الإنسان على الشيء الذي يراء قريب منه أو بعيد عنه ؟ وكذلك حاسة الثقل فيحمل الإنسان الشيء فيعرف مدى ثقله ، إنه يدرك ذلك الثقل بحاسة غير الحواس الخمس الظاهرة ، هذه الحاسة عي حاسة الثقل يكتشف بها الإنسان أن شيئا أثقل من شيء آخر ؛ ذلك أن العضلات التي تحمل الشيء تعرف قدر الجهد المبذول في الحمل . وهناك حاسة أخرى غير ظاهرة مي حاسة و البين ؛ فيمسك الإنسان القياش بأنامله ليعرف هل صمك هذا القياش أكبر من سمك قياش آخر ؟ ولمعرفة سمك الشيء لابد أن يكون واقعا بين لامسين ، إذن فهناك حواس كثيرة تربى المعانى عندتا ؛ فكل الإدراكات بنت الحس ، ولذلك يتول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ وَاللَّهُ أَنْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهُ ثِكُرُ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُرُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَلَ وَالْأَوْيَدُةُ لَعَلَكُمْ تَشْكُرُونَ فَي ﴾

(سورة التحل)

هذه هي الوسائل للإدراك ، وقد أورد سبحانه السمع والأبصار أولا لأنها الوسبلتان الأساسيتان ، وأورد من بعد ذلك و الأفئدة ، وهي المختصة بالمعاني والقلبيات وغيرها ، فإذا أراد الله أن يضرب مثلا في أمر معنوى قد تختلف فيه العقول قهو سبحانه يأتي بأمر حسى تتفق فيه الحواس . ونعلم أن في الملغة أمرا اسمه و التشبيه ، فعندما يجهل إنسان شيئا يقول لمعلمه : شبه لي الأمر الذي أجهله بأمر أعرفه . والإنسان منا قد يسأل صاحبه : أنعرف فلانا ؟ فيقول المساحب : انعرف فلانا ؟ فيقول المساحب : إن فلانا الذي لا تعرفه بساوى فلانا في الطول ، ويساوى فلانا في اللون . وهكذا ينتقل الإنسان من أمر

○○+○○+○○+○○+○○+○○+○○

لا يعرفه إلى أمر يعرفه . والحق صبحانه يضرب لنا المثل بالأمور الحسية ، لنفهم الأمور المعنوية ، وألله يوضح لنا أن الذين كفروا ساعة تكون لهم الحة متعددة فملكاتهم تصاب بالاضطراب يقول مسبحانه .:

﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكًا اللَّهُ مُتَنَكِمُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلِ هَلْ يَسْتَوِبَانِ مَثَلًا الحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۞ ﴾

(سورة الزمر)

إنه سبحانه بوضح لنا بالمثل الواضع مصير وحال رجل مملوك لعدد من الشركاء ، والشركاء الذين بملكون هذا العبد ليسوا متفقين ، بل بينهم نزاع وشقاق ، وبطبيعة الحال لابد أن يكون هذا العبد مرهقا ، وهكذا تكون قضية الشرك بالله ، إن العبد قى مثل هذه الحالةبكون مُشتتاً وموزع النفس بين اللين يملكونه وهم متشاكسون ، أما قضبة التوحيد فالحق يشهها بالقول : « ورجلا سلما لرجل » .

وهكذا ينقلنا الحق سبحانه _ رحمة بنا من المعنى العقدى العالى إلى معنى محس من الجديع ، لمنرى أن الرجل المملوك لسبد واحد بتلقى أوامره من واحد فقط ، وكذلك بريد الله فى هذه الآية أن يضرب مثلا لمن ينفق شبئا على غير بية إرضاء الله فى طاعته ، فمها أنفق هذا الإنسان فإن إنفاقه حابط . ونحن عندما نقرأ أمثال القرآن الكريم علينا ألا نأخذ جزئية فقط ، لا ، لكن يجب أن نأخذ الجملة كلها ليفهم المثل كله كصورة مؤتلفة مثلها ضرب الله لنا مثلا بالشركاء المتشاكسين الذبن يملكون المثل كله تعلينا إذن ألا نأخذ المثل بحرفيته ، ولكن ناخذ الأمر بمجموع المثل . مثال رجلا ، فعلينا إذن ألا نأخذ المثل بحرفيته ، ولكن ناخذ الأمر بمجموع المثل . مثال

﴿ وَاصْرِبْ هُمُ مُثَلَ الْحَبُوْةِ الدُّنْبَاكُمَا وَأَرَّلْنَهُ مِنَ السَّمَا وَفَا خَتَلَطَ بِهِ م نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا نَذْرُوهُ الرِّينَ عُوكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءِ مُقْتَدِرًا ﴿ ﴾

(سورة الكهاب)

فهل الحياة الدنيا كالماء؟ لا ، ولكن قصة الحياة كلها ، نشبه القصة التي يضربها الحق كمثل ، الماء حين ينزل يختلط بالأرض ، وبعد ذلك عهتز ، فتعطى نباتا ، والخبات ينتج الزهر الجميل ، وبعد ذلك ينتهى إلى هشيم ، هكذا هي الدنيا في

زخرفتها ؛ فالبداية مزهرة ، فبها نضارة وخضرة وبهجة ، ونهاية مؤلمة ومدمرة .

إذن فالحق مبحانه ينفل لنا معنى الحياة الدنيا ويشبهها بالأزهار والنبات ونهايته أن يصبح هشبها تذروه الرياح ، وهو ما يقوله في موضع آخر من القرآن الكريم .

﴿ فَجَعَلْنَنَهَا حَصِينَا كَأَنْ لَمْ تَغْرَبَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِ لُ الْآيَتِ لِقَوْرِ يَتَفَكَّرُونَ ﴾
(من الابة ٤٤ سورة يونس)

وعندما نمعن النظر في قوله الحق :

﴿ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَنذِهِ الْحَيَزَةِ الدُّنْيَ الْمُثَلِ رِيحِ فِيهَا صِرُّ أَصَابَتْ مَرْثُ قُوْمِ ظَلَهُ وَأَنفُهُمْ مَا أَنفُهُمْ فَأَهْلَكُنَهُ وَمَا ظَلَهُمُ اللهُ وَلَكِينَ أَنفُسَهُمْ يَظَلِمُونَ اللهَ عران ﴾

نجد في هذه الآية ومشبها ۽ ولامشبها به ۽ ، الْمُشَبَّه هم القوم الذين ينفقون أموالهم بغير نية الله ، أي كافرون بالله ، والْمُشَبَّه به : هو الزرع الذي أصابته الربح وفيها الصر ، والتنبجة أنه لا جلوى هنا ، ولا هناك .

ولماذا تصبب الربح حرث قوم ظلموا أنفسهم ، رهل لا تصبب الربح حرث قوم لم يظلموا أنفسهم ؟

إن الذين ظلموا أنفسهم ننزل بهم هذه الكارثة كعقوبة ، مثلهم ف ذلك مثل أصحاب الجنة الذين يقول قيهم الحق سبحانه :

﴿ إِنَّا بَكُوْنَا أَمْمُ كَا بَكُوْنَا أَضْحَابُ أَلِمُنَا إِذْ أَفْسَمُواْ لَيَصْرِمُنَهَا مُصْبِحِينَ ۞ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ۞ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآمِقٌ مِن رُبِّكَ وَمُمْ نَاتِهُونَا ۞

قَاصْبَحَتْ كَالْمَرِيمِ ۞ ﴾

لقد جزاهم الله بظلمهم ، ولكن ألا نرى رجلا لم يظلم نفسه وتصيب زراعته كارثة ؟ إننا نرى ذلك فى الحياة ، والرجل الذي لم يظلم نفسه وتصيب زراعته كارثة ، ويصبر على كارثته ، يأخذ الجزاء والثواب من الله ، ولعل الله قد أهلك بها مالا كانت الغفلة قد أدخلته فى ماله من طريق غير مشروع .

هكذا تكون الكارثة بالنسبة للمؤمن لها ثواب وجزاء ، أو تكون تطهيرا للهال . أما الذي ينفق على غير نية الله وهو كافر ، فلا ثواب له .

ويذيل الحق الآية بقوله و وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون ع فهو سبحانه لم يظلم الكافرين حين جعل نفقتهم بدون جدوى ولا حصيلة لها عنده ، ولكتهم هم الذين ظلموا أنفسهم ، لأنهم أنفقوا النفقة على غير هيئة القبول ، وهم الذين صنعوا ذلك عندما ظلموا أنفسهم بالكفر فَحَبطت أعالهم ، وتلك هي عدالة الحق سبحانه وتعالى :

ويقول الحق من بعد ذلك :

﴿ يَنَا يُهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَنَخِذُوا بِطَالَةٌ مِن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُوامَاعَنِتُمْ قَدْبَدَتِ الْبَغُضَاةُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَاتُخَهِى صُدُورُهُمْ أَلْبُغُضَاةً مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَاتُخَهِى صُدُورُهُمْ أَكْبُرُ قَدَّ بَيَّنَا لَكُمُ ٱلْآينَتُ إِن كُنتُمْ نَعْقِلُونَ اللهِ اللهِ

راجع أصله وخرّج أحاديثه الدكتور أخد عسر عاشم نائب رئيس جامعة الأزعر.

حين يخاطب الله المؤمنين ويناديهم بقوله: وياأيها الذين أمنوا ؛ فلتعلم أن ما يجيء بعد ذلك هو تكليف من الحق سبحانه. فساعة ينادي الحق المؤمنين به ، فإنه ينادي ليكلف ، وهو سبحانه لا يكلف إلا من أمن به ، أما حين يدعو غير المؤمن به إلى رحاب الإيمان ، فإنه يثير فيه القدرة على التفكير ، فيقول له :

فكُر في السياء ، فكُر في الأرض ، فكُر في مظاهر الكون ، حتى تؤمن أن للكون إلى الحاد الله وتعالى يقول له الما واحدا . فإذا أمن الإنسان بالإله الواحد ، فإن الحق سبحانه وتعالى يقول له مادمت قد أمنت بالإله الواحد ، فَتَلَقَّ عن الإله الحُكم .

إن الحق حين يقول: « ياأيها الذين آمنوا » فهو سيحانه مخاطب بالتكليف المؤمنين به ، وهو لا يكلف بد ه افعل » وه لا تفعل » إلا من آمن ، أما من لم يؤمن فيناديه الله ليدخل في حظيرة الإيمان: « ياأيها الناس اعبدوا ربكم » فإذا ما دخل الإنسان في حظيرة الإيمان فالحق سبحانه وتعانى يكرم هذا المؤمن بالتكليف بد افعل » وه لا تفعل » ومادام العبد قد آمن بالإله القادر الحكيم الحالق ، القيوم ، فليسمع من الإله ما يصلح حياته . ويجى ، في بعض الأحيان ما ظاهره أن الله ينادى مؤمنا به ، ثم يامره بالإيمان كقول الحق : « ياأيها اللين امنوا آمنوا » .

ويتساءل الإنسان كيف ينادى الله مؤمنا به ، ثم يأمره بالإيمان ؟ وهنا ترى أن المطلوب من كل مؤمن أن يؤدى أفعال الإيمان دائما ويضيف لها ليستمر ركب الإيمان قويا ، فالحق حين يطلب من المؤمن أمرًا موجودا فيه ؛ فلنعلم أن الله يريد من المؤمن الاستدامة عنى هذا اللون من المسلوك الذي يجبه الله ، وكأن الحق حين بقول : ويأيها الذين آمنوا آمتوا ، إنما يحمل هذا القول الكريم أمرًا بالاستدامة على الإيمان ، لأن البشر من الأغيار . ونحن نعرف أن الله أفسح بالاختيار مجالاً لقوم آمنوا فارتدوا ، فلبس الأمر نجرد إعلان الإيمان ثم تنتهى المسألة ، لا ، إن المطلوب هو استدامة الإيمان .

وحين نقرأ قول الحق : وياأيها الذين آمنوا » فَلنفهم أن هناك تكليفا جديدا » ومادام في الأمر تكليف فعنصر الاختيار موجود ، إذن فحيثية كل حكم تكليفي من الله له مقدمة هي : وياأيها الذين آمنوا ه ولا تبحث أيها المؤمن في علمة الحكم ،

وتسالى: لماذا كففتى يارب بهذا الأمر ؟ فليس من حقك أيها المؤمن أن تبالى: إلى الماذا المادمت قد أمنت ؛ فالحق سبحانه لم بكلف إلا من آمن به ، فإذا كنت أيها المؤمن - قد آمنت بأنه إنه صادق قادر حكيم فأمن الله على نفسك ، ونفذ مطلوب الله بدا أفعل الا بوالا تفعل السواء فهمت العلة أم لم تفهمها . ومبق أن ضربنا المثل ومازلنا نكرره .

إن المريض الذي يشكو من سوء الهضم يعد تناول الطعام يفكر أن جهازه الهضمي مصاب بعلة ، ويفكر في اختيار الطبيب المعالج ويختار طبيا متخصصا في الجهاز الهضمي ، ويدهب إلى هذا الطبيب . وهنا ينتهى عمل العقل بالنسبة للمريض ؛ فقد اختار طبيا وقرر الذهاب إليه ، والطبيب يجرى الفحص الدقيق ، ويطلب التحاليل اللازمة إن احتاج الأمر ، ويشخص الذاء ، ثم يكتب الدواء ، وحين يكتب الدواء ، للمريض بكتب الدواء أخذ هذا الدواء إلا إدا أفنعتني بحكمته . بل عليه أن ينفذ كلام الطبيب ، وهكذا يطبع المريض الطبيب ، وكلاهما مساو للاخر في البشرية ، فكيف يكون أدب يطبع المريض الطبيب ، وكلاهما مساو للاخر في البشرية ، فكيف يكون أدب يطبع المريض الطبيب ، وكلاهما مساو للاخر في البشرية ، فكيف يكون أدب الإنسان مع خالفه ؟ إن كل عمل العقل عند المؤمن هو أن يؤمن بالله ، وبعد أن الإنسان مع خالفه ؟ إن كل عمل العقل عند المؤمن هو أن يؤمن بالله ، وبعد أن المنت منعة .

إن الحق بأمر المؤمن بالصلاة ، وعنى المؤمن أن يؤديها ، ولا يبحث عن علة الصلاة كاب رياضة مثلا ، لا ، إن الأمر صادر من الحق بالصلاة ، وحبن تصلى ، فإنك تنتفت إلى أن نفسك قد انشرحت بالصلاة وشعرت بالراحة ، فتقول لنفسك ، ما أحلى راحة الإيمان ، هذه هي علة الحكم الإيماني . إن علة الحكم الإيماني يعرفها المؤمن بعد أن يتفذه ، ولذلك نجد الحق من فضل كرمه ، يقولنا لنه :

﴿ وَا تَغُوا اللَّهُ وَيُعَلِّمُ كُو اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

(من الآية TAY سورة العرة)

فانت ساعة أن تنقى الله في الحكم ، يعطيك العلة ، ويعطيك راحة الإيمان ، إنك أيها العبد لا تسأل أولا عن الافتناع بالعلة حتى تنفذ حكيا له ، لان الحق مبحانه قد يؤجل بعض حيثيات الأحكام لحلقه قرونا طويلة ، ومثال ذلك أننا ظللنا لا نعرف علة حكم من الأحكام لما ة أربعة عشر قرنا من الزمان مثل تحريم أكل لحم الحنزير ، فهل كان على العباد المؤمنين أن يؤجلوا أكل لحم الحنزير أربعة عشر قرنا إلى أن يجتلكوا معامل للتحليل حتى نعرف المضار التي فيه ؟ ثلك المضار التي ثبتت معمليا . . لا .

إن العباد المؤمنين لم يؤجلوا تنفيذ الحكم ، ولكنهم نفذوه ، واكتشف أحقاد الأحفاد أن فيه ضررًا ، وهذا يدفعنا إلى تنفيذ كل حكم لا نعرف له علة ، إن هذا الحكم له حكمة عند الله قد لا يستطيع عقل الإنسان أن يفهمها ، ولكن ستان أشياء توضح بعض الأحكام فيها لم يكن يعرفه الإنسان ، وتعطينا تلك الإيضاحات النقة في كل حكم لا تعرف له علة ، وتصبح علة كل حكم هي : « ياأيها الذين آمنوا » .

إن الحق بهذا القول بنادى كل عبد من عباده: يا من آمنت بى إلها خذ منى هذا التكليف . ومثال ذلك ـ ولله المثل الأعلى ـ عندما يقول الطبيب : يا من صدقت ألى طبيب لمرضك خذ هذا الدواء وستشفى بإذن الله .

وعندما يرور الإنسان مريضا ويسأله : لماذا تأخذ هذا الدواء ؟ فالمريض يجيب : لقد كتب الطبيب لى هذا الدواء ، فها بالنا بتنفيذ أحكام الله ؟ إنه يجب أن ننفذها لان الله قالها ، ولذلك فالعاقلون بعمق وجدية يختلفون عن مُدعى العقل بسطحية ، مؤلاء العاقلون الجادون يقولون : إن هذا العقل مطبة يوصلك إلى باب السلطان ولكن لا يدحل معك عليه . فكان العقل يوصلك إلى أن تؤمن بالله ، ولكنه لا يحشر فقسه فيها ليس له قدرة عليه .

إن الحق سبحانه في هذا التكليف القادم: « ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم » أى إنكم مادمتم قد آمنتم ، فعلبكم الحفاظ على هذا الإيمان بأن تبعدوا عنه نزغ الشبطان وكيد الأعداء إن نزغ الشيطان وكيد الأعداء إنما من البطانة التي تتداخل مع الإنسان .

ولنفهم كلمة وبطانة ، جيدا ، إن يطانة الرجل هم خاصته ، أي الناس الذين

يصاحبهم ويجلسون معه ويعرفون أسراره ، وكلمة و يطانة ، مأخوذة أيضا من بطانة الثوب ؛ فنحن عندما غسك أى قطعة من ثباب نرى أن الثوب خشن ، ولذلك فالصانع يضع للثوب الخشن بطانة ناعمة ويختارها كذلك ؛ لأنها متصلة بالجسم ، والبطانة من الأصدفاء تدخل على الناس بالنعومة وتسميلهم وتستعيدهم ، ولذلك نجد النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « الأنصار شعار ، والناس دئار ، () .

و والشعار و هو النوب الذي يلامس شعر الجسد ، والنبي صلى الله عليه وسلم يُعلى من قيمة الذين استقبلوا الدعوة الإسلامية بجودة وحب , وهكفا تعرف أن كلمة و بطانة ، مأخوذة - كها قلما - من بطانة النوب ، لأنها التي تلتحم بالجسم حتى تحميه و فتحن نرتدي الصوف ليعطينا الدفء ، ونضع بينه وبين الجسم بطانة لنبعد عن الجسم خشونة الصوف ، ويسمون البطانة بالوليجة ، أي التي تدخل في حياة الناس ، وكل شر في الوجود من هذه البطانة .

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معصوم وتُوجَّى إليه وله من الصحابة ما يطمع أي عبد مؤمن أن يتخذه فدوة له ، هذا الرسول الكويم نجد بعضا من وصفه في حوار بين سبدنا الحسين رضوان الله عليه و أبيه سيدنا على كرم الله وجهه قال الحسين :

ياأبي قل لي عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال على كرم الله وجهه :

كان رسول الله لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر . وفي الحديث : وكان رسول الله يكثر الذكر ع⁽¹⁾ .

لماذا ؟ لأن الجلوس والقيام هو إبدانال حركة بحركة ، فمن كان قائيا فقعد فقد أدى حركة هي القعود ، ومن كان جنالسا فقام ، فقد أدى حركة هي القيام . وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يذكر الله في كل حركة ، شاكرا نعمة الحنائق عز وجل ، والإنسان منا يستطيع أن يسأل نفسه : كم عضلة يحركها الإنسان حتى يقعد أو يقوم ؟

و 1 ﴾ رواه المخارى في الخازي ، ورواه مسلم في الزكاة ، ورواه ابن ماجه في المتدمة ، ورواه أحمد في هستاء .

[﴿] ٢ ﴾ رواه السائي في الجمعة .

إنها أعداد كبيرة من العضلات تتحرك لتوازن ارتفاع الجسم أو جلوسه ، وهمى أعداد لا يعرفها الإنسان . فها الذي جعل هذه الأجهزة الصهاء تفهم مراد الإنسان ، وبمجرد أن يجاول الإنسان القيام ، فإنه يقوم ، وبمجرد أن يجاول الإنسان القعود ، فإنه يقوم ، وبمجرد أن يجاول الإنسان القعود ، فإنه يقعد ؟ إنك إذا رفعت يدك لا تعرف ما هي العضلات التي تتحرك لترفع البد ، وتلك إدارة عالية يقول عنها الشاعر :

ووفيك انطوي العالم الأكبر،

كأن العالم الكبير قد النطوى وصار في داخلك أنت . إنك إن أردت أن تنام فإنك تنام ، وتحب أن تقوم فنقوم . ويبين لك الحق أن أوامرك لعضلاتك وتحكمك في علكة جسدك ، هي من تسخير الله ؛ تدرك ذلك حين تنظر حولك فتجد أنه سبحانه قد سلب أحدا غيرك القدرة على رفع الذراع . وإياك أن تظن أن الحركة قد واتتك لمجرد أن لك يدا ، لا ، إن غيرك قد تكون له يد ؛ ولكنه لا يستطيع أن يأمرها فتتحرك . وهكذا نعرف أن كل الإرادات في النفس إنما تتحرك بتسخير الحق لها خدمة الإنسان .

قال صلى الله عليه وسلم : « إذا استيقظ أحدكم فليقل:الحمد لله الذي ردَّ علىَّ روحي وعافاتي في جسدي وأذِن في بذكره و(١).

انه يُوجه الإنسان إلى ذكر خالقه عند كل قيام أو قعود ، ورسولنا صلى الله عليه وسلم يعلمنا أنه عند كل انفعال بكل حركة من الحركات علينا أن نذكر الذي خلقنا وخلق فينا القدرة على الحركة .

وليسال كل منا نفسه: كم حركة يتطلبها أمر من ألإنسان بأن يُعك ظهره مثلاً ؟ إنه عدد غير معروف من الحركات , وهكذا علينا أن نحسن الأدب مع الله بأن تذكره في كل حركة فهو الذي خلق كل إنسان منا صالحا لكل هذه القدرات .

⁽¹⁾ رواه ابن السلي

(現場)(学 **(1)** - (1) -

ونعود إلى وصف عل كرم الله وجهه مجلسَ الرسول صلى الله عليه وسلم : كان لا يجلس ولا يقوم إلا عن ذكر .

ولنتنبه إلى دقة الرسول في النعامل مع البطانة من البشر ، فهاهو ذا رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يوطن الأماكن وينهى عن إيطانها . ويوطن المكان ، أي أن يخصص مكانا لفلان ليجلس فيه ، لقد كان الرسول يجلس حيث انتهى به المجلس ، وكذلك كان صحابته ، فلا أحد يجلس دائها بجائبه حتى لا يأخذ أحد من مكانته عند الرسول قرصة يتخبل معها الآخرون أنه صاحب حظوة ؛ فكلهم سواسية ونحن نرى في عصرنا أن هناك من يتخل لنفسه مكانا في المسجد ، وهذا منهى عنه . فعن ابن عمرو رضى الله عنها قال : (نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نقرة الغراب وافتراش السبع وأن يوطن الرجل المكان في المسجد كها يوطن البعير ه(١) .

ويضيف على كرم الله وجهه في وصف مجلس رسول الله : وكان إذا ذهب إلى قوم جلس حيث ينتهى به المجلس ، وكان يجلس على الأرض ويأكل على الأرض ، يعتقل الشاة ويجيب دعوة المملوك (٢٠٠) .

اهناك أدب أكثر من هذا؟ إنه الوسول الكريم ، يجلس حيث ينتهى به المجلس ، لقد أراد أن يضرب لنا المثل حتى تتنوع اللقاءات ؛ فاليوم قد يجلس مؤمن بجانب مؤمن من مكان بعيد ، وغدا يجلس كلاهما بجانب اثنين جاء كل منها من مكان آخر ، وهكذا تتحقق اندماجية الإيمان بتنوع اللقاءات .

ويقول على كرم الله وجهه: وكان رسول الله يعطى كل جلساله لصبيهم من مجلسه حتى لا يُعسب جليسه أن أحدا أكرم عليه منه.

إن الرسول صلى الله عليه وسلم عندما يعطى نظرة لواحد ، فهو ينظر كذلك لكل

 ^(1) رواه أحمد وأبو داود والنسائي في الصلاة والنبي عن نقرة الغراب إلى تحقيف السحود بقدر رضح الغراب صفاره ،
 وافتراش السح : هو بسط الفراعين في السجود وصدم رفعها ، وأن يوطن المكان : أي يلازمه فلا بصل في غيره .
 (7) رواه الطيراني

واحد فى مجلسه ، وإن تكلم كلمة إلى ناحية فهو يعطى كلمة أخرى إلى الناحية المقابلة ، وذلك حتى يعرف كل جليس للرسول أن المؤمنين سواسية ، وأنّه صلى الله عليه وسلم رسول إلى الناس كافة ؛ وليس رسولا إلى قوم بعينهم ، وحتى يعرف كل واحد من جلسائه أنه بجلس إلى وسوله الذي بعثه الله إليه .

هكذا كان سلوك الرسول صلى الله عليه وسلم حتى يعطى القدوة للناس ، وحتى يعرف كل إنسان أن التحام الناس بعضهم ببعض ؛ قد يسبب لواحد استغلال الالتحام في غير صالح الإيمان .

لذلك يقول الحق سبحانه : ياأيها المؤمنون تنبهوا إلى أنكم في معسكو من غير المؤمنين يقاتلكم وبعاند إيمانكم ، وهؤلاء لا يمكن أن يتركوكم على إيمانكم ، بل لابد أن يكيدوا لكم ، وهذا الكيد يتجل في أنهم يدسون لكم أشياء ، وينفذون إليكم .

ونعرف جميعا أن الإسلام عندما جاء كان كثير عن آمن له ارتباطات بمن لم يسلم ؟ فهناك القرابة ، والصداقة ، والإلف القديم والجوار ، والأخوة من الرضاعة ، لذلك يجذر الحق من هذه المسائل ، فلا يقولن مؤمن:هذا قريبي ، أو هذا صديقي ، أو هذا حديقي ، أو هذا حديقي ، أو هذا أخى من الرضاعة ، فالإسلام يحقق لكم أخوة إيمانية تفوق كل ذلك ، ولهذا فإياكم أن تتخذوا أناسا يتداخلون معكم بالود ؟ لأن الشريأي من هذا المجال ، وإياكم أن تعتقدوا أن قجوة الإيمان والكفر بينكم سنذهب أو تضيق ؛ لأن الكفار لن يتورعوا أن يدخلوا عليكم من باب الكيد لكم ولدينكم بكل لون من الألوان ، وهم حالكفار على يقصرون في هذا أبدا ، لذلك يأن الأمر من الحق :

باليها الذين آمنوا ، احموا هذا الإيمان فلا تتداخلوا مع غير المؤمنين تداخلا يفسد عليكم أمور دينكم ؛ لأنهم لن يهدأوا ، لماذا ؟ لأن سال هذه البطانة معكم سيكون كها يل : و لا يألونكم خبالا ، أي لا يقصرون أبدا في الكيد لكم ، والخبال: هو الفساد للهيئة المدبرة للجسم وهو العائل ، وتحن نسمى اختلال العقل و خبلا ، .

إن الحق بغول :

﴿ يَنَأَبُ الَّذِينَ عَامَنُواْ لَا تَظِيدُواْ بِطَانَةً مِن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُواْ مَاعَيْتُمْ

عَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْرَهِهِمْ وَمَا تُحْنِي صُدُورُهُمْ أَكْبُرُ قَدْ يَبَنَا لَكُو ٱلآيكِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿ ﴾

(سورة آل عمران)

فالمنبى عنه ليس أن تتخذ بطانة من المؤمنين ، ولكن المنبى عنه هو أن تنخذ بطانة من غير المؤمنين ؛ لأن المؤمن له إيمان يجرسه ، أما الكافر فليس له ما يجرسه ، والبطانة من غير المؤمنين لا تقصر في لحظة واحدة في أنها تريد للمؤمنين الجبال والفساد ، ولا يقف الأمر عند هذا الحد ، بل إنهم يجبون العنت والمشقة للمؤمنين ، ودوا ماعنتم ، والحق سبحانه وتعالى لا يريد لنا العنت ، وفي هذا يقول سبحانه ;

﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَا عُنتَكُرٌ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَنِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

(من الآية ٢٣١ سورة البقرة)

أى أنه سبحانه لو أراد، لكلفكم بأمور كثيرة تحمل المشقة ، لكن الحق سبحانه يسرّ لكم أيها المؤمنون ، لكن أهل الكفر لا يودون إلا الحبال للمؤمنين ، ويجبون المشقة لهم .

ومن أين تنشأ المشقة ؟ إنك حين تكون مؤمنا فأنت تقوم بما فرضه عليك الدين ، وهم يحاولون أن يتفخوا في المؤمن بغير ما يقتضيه هذا الدين ، فتتوزع نفس المؤمن ، ويهذا النفخ تنقسم ملكات المؤمن على نفسها ، وعندما تنقسم الملكات على نفسها فإن القلق والاضطراب يسيطران على الإنسان ، فالقلق والاضطراب ينشآن عندما لا تعيش الملكات النفسية في سلام وانسجام .

ونحن نرى ذلك فى المجتمعات التى وصلت إلى أرقى حياة اقتصادية وأمورهم المادية ميسرة كلها ، فالشيخوخة مُؤمَّنة ، وكذلك التأمينات الصحية والاجتهاعية ، ودخل الإنسان مرتفع ، لكنهم مع ذلك يعيشون فى تعب ، وترتفع بينهم نسبة الانتحار ، وينتشر بينهم الشذوذ ، والسبب وراء كل ذلك هو أن ملكاتهم النفسية غير منسجمة ، وسلام الملكات النفسية لا يتحقق إلا عندما يؤمن الإنسان ، ويطبق

تعاليم ما يؤمن به . فالرجل ـ على سبيل المثال ـ حين ينظر إلى حلاله ، أى زوجته ، ينظر إليها براحة ويشعر باطمئنان ؛ لأن ملكاته النفسية منسجمة ، أما عندما تتجه عيناه إلى امرأة ليست زوجته ، فإنه يراقب كل من حوله حتى يعرف هل هناك من يراه أو لا ؟ وهل ضبطه أحد أو لا ؟ وعندما يضبطه أحد فهو يفزع وتنخبط ملكاته .

لذلك بعدر الحق سبحانه المؤمنين: إباكم من البطانة من غير المؤمنين، لأنهم لا يقصرون أبدا ولا يتركون جهدا من الجهود إلا وهم يحاولون فيه أن يلخلوكم في مشقة. والمشقة إنما تبشأ من أن الكافر محاول أن يجذب المؤمن إلى الانحراف والاضطراب النفسي وتشت الملكات مستغلا القرابة والصداقة، مطالبا أن برضيه المؤمن بما يخالف الدبن، ولا يستطيع المؤمن النوفيق بين ما يطبه الدبن وما يطلبه الكافر، لذلك تنقسم ملكات المؤمن ويحس بالمشقة. ولكافرون لا يتركون أي فرصة تأتي بالفساد للمؤمنين إلا انتهزوها واغتنموها. وياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا بالونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم».

ومادامت البغضاء قد بدت من أفواههم فكيف تتخذهم بطانة ؟ إنك حين تصنع لنفسك جماعة من غير المؤمنين ، فإنها تضم بعضا من المنافقين غير المنسجمين مع أنفسهم . والمنافق له لسان يظهر تحلاف ما يبطن ، وعندما يذهب المنافق إلى غير المؤمنين فإن لسان المنافق ينقل بالسخرية كلام المؤمن .

هكذا تظهر البغضاء من أفواه المنافقين المذيذيين بين ذلك ، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء و إلى هؤلاء يا إلى مؤلاء يا إلى الإيمان ولا ينتمون إلى الكفر ، والذي يصل المؤمنين من بغضاء هؤلاء قلبل ؛ لأن ما تخفى صدورهم أكبر . وحين تبدر البغضاء من أفواههم ، فإما أن يقولوها أمام منافقين ، وإما أن يقولها بعضهم لبعض ، فيتبادلوا الاستهزاء والسخرية بالمؤمن والله أعلم بمن قبل فيه هذا الكلام ، ولذلك قعندما يتحدث الكافرون بكلام فيها بينهم فالله يكشفهم ويفضحهم لنا نحن المؤمنين .

إن الله تعالى يكشف بطلاقة علمه كل الخبايا ، وكان على الكافرين والمنافقين أن يعلموا أن هناك إلها يرقب عملية الإنجان في المؤمن حتى بنبهه إلى أدق الأشياء ، لكتهم كأهل كفر ونفاق في غباء ، ألقد كان مجرد نزول قول الحقرد قد بدت المغضاء من

00+00+00+00+00+011110

أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر، كان ذلك فرصة أمامهم ليدفعوا عن أنفسهم لوكانت صدورهم خالية من الحقد . لكنهم عرفوا أن الله قد علم ما في صدورهم . إن الغيظ الذي في قلوب هؤلاء الجاحدين الحاقدين قد نضح على ألسنتهم ، ولكن من ألذي نقل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته ما في صدور الكافرين مما هو أكثر من ذلك ؟

إنه الله -جلت قدرته ـ قد فضحهم بما أنزل من قوله تعالى: و وما تخفى صدورهم أكبر، إذن لم يعد لمن آمن بالله حجة ؛ لأن الله أعطاء المناعات القوية لصيانة ذلك الإبمان، وأوضح الحق للمؤمنين أن أعداءهم لن يدخروا وسعا أبدا في إفساد انتهائهم لهذا الدين، فيجب أن ينتبه المؤمنون.

وإذا ما دققنا النامل في تذبيل الآية نجد أن الحق قال : • قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون ، إذن ، فالآيات المنزلة من الله تعالى توضح ذلك ، وقد قلنا من قبل:إن الآيات ، إما أن تكون آيات قرآنية ، وإما أن تكون آيات كونية ، فالقرآن له آيات ، والكون له آيات . ولنسمع قول الحق بالنسبة للقرآن :

﴿ وَإِذَا بَدَلْكَ آءَايَةً مُحَكَانَ ءَايَةٍ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓ إِلَى آلْكَ مُغْتَرِّ بَلَ أَكْثَرُهُمْ لَا يَمْلَمُونَ ۞ ﴾

¿ سورة النجل)

وفي مجال الكون يقول الحق سبحانه :

﴿ وَمِنْ عَايَنتِهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهَ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ
وَاشِهُ دُواْ لِللَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿ ﴾

دٍ سورة فصلت ٢

وهكذا نعلم أن الآية هي الشيء العجيب الثلافت الذي يجب أن تنتبه إليه لنأخذ ، منه دستورا لحياتنا . وعلى ذلك ، فالآيات الغرآنية تعطى المنهج ، والآيات الكونية

تؤيد صدق الآيات المنهجية . ويجب أن تتغطنوا أيها المؤمنون إلى هذه الآيات . والذي يدل على أن المؤمنين قد عقلوا وتفطنوا ، أن الآية الأولى بينت أنهم قد نهوا عن أن يتخذوا بطانة من دونهم ـ أي من غير المؤمنين ـ وها هي ذي الآية التالية تقول :

> ﴿ وَالْهِ مَنَا أَنَهُ أَوْلَاءِ يَجُبُونَهُمْ وَلَا يُحِبُونَكُمْ وَتُوْمِنُونَ مِالْكِلَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَا وَإِذَا خَلُواً عَضُوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْفَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمُ إِذَاتِ الصَّدُورِ ﴿ حَجَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمُ إِذَاتِ الصَّدُورِ ﴿ حَجَيْهِ

ومازال الحديث والكلام عن البطانة ، وهويدل على أن البطانة لم تستطع أن تلوى المؤمنين عن الإيمان ، بل إن المؤمنين الذين ذاقوا حلاوة الإيمان حاولوا أن يغيروا من المؤمنين ، وكذلك لم يفنح الكافرون الكافرون أن يغيروا من المؤمنين ، وكذلك لم يفنح الكافرون أيضا أن يسيطروا على أنفسهم ، ولم يكن أمام هؤلاء الكافرين إلا النفاق ، لذلك قالوا: و آمنا ، إن الآية تدلنا على أن المؤمنين قد عقلوا أيات الحق ، ولماذا - إذن - جاء الحق بقوله : عبونهم ولا يجبونكم » ؟

لقد أحب المؤمنون الكافرين حين شرحوا لهم قضية الحق في متهج الإسلام، وأراد المؤمنون أن يجنبوا الكافرين متاعب الكفر في الدنبا والآخرة، وهذا هو الحب الحقيقي، فهل بَادُهُم الكافرون الحب؟ لا؛ لان هؤلاء الكافرين أرادوا أخذ المؤمنين إلى الكفر، وهذا دليل عدم المودة. ولم يستطع الكافرون تحقيق هذا المؤمنين إلى الكفر، وهذا دليل عدم المودة. ولم يستطع الكافرون تحقيق هذا المأرب، ولذلك قالوا: و آمنا و ومعنى قولهم : و آمنا و يدلنا على أن موقف المسلمين كان موقفا صلبا قوبا ؛ لذلك لم يجد الكافرون بدًا من نقاقهم و وإذا لقوكم قالوا آمنا و قالوا ذلك على الرغم من ظهور البغضاء في أفواههم، ولم يكن سلوكهم مطابقا لما يقولون. وهنا بدأ المسلمون في تحجيم وتقليل مودتهم للكافرين ؛ ولذلك مطابقا لما يقولون.

قال أهل الكفر: لو استمر الأمر هكذا فسوف يتركنا هؤلاء المسلمون ... وحتى يتجنبوا هذا الموقف ادعوا الإيمان في الظاهر ، وينقلب موقفهم إذا خلوا لأنفسهم ، ويصور الحق هذا الموقف في قوله : « وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الخيظ ، فها هو العض ؟

إن العضَّ لغويا ، هو التقاء الفكين على شيء ليقضياه . وما الأنامل ؟ إنها أطراف الأصابع ، والأنامل فيها شيء من الدقة ، وشيء من خفة الحركة المأخوذة من خلية النمل ، ويسمون الأنامل أيضا البنان ، وعملية عض الأنامل عندما نراها نجدها عملية انفعالية تسرية . أي أن الفكر لا يرتبها ؛ فليس هناك من يرضى أن يظل مرتكبا لعملية عض أصابعه ، فعض الأصبع يسبب الألم ، لكن الامتلاء بالغيظ يدفع الإنسان إلى عض الأصابع كمسألة قسرية نتيجة اضطراب وخلل في الانفعال .

رمن أبن يجيء الغيظ؟.

لقد جاء الغيظ إلى الكافرين لأنهم لم يستطيعوا أن يزحزحوا المؤمنين قيد شعرة عن منهج الله ، بل حدث ما هو العكس ، لقد حاول المؤمنون أن يجذبوا الكافرين إلى نور الإيمان ، وكان الكافرون يريدون أن يصنعوا من أنفسهم بطانة يدخلون منها إلى المؤمنين لينشروا مفاسدهم ؛ ولذلك وقعوا في الغيظ عندما لم يحكنهم المؤمنون من شيء من موادهم .

إن الإنسان يقع أحيانا فريسة للغيظ حين لا يتمكن من إعلان غضبه على خصمه ؛ ولهذا إذا أراد إنسان من أهل الإينان أن يواجه حسد واحد من خصومه فعليه أن يزيد في فضله على هذا الإنسان ، وهنا يزداد هذا الحصم غيظا ومرارة ، أيضا نجد أن من تعاليم الإسلام أن الإنسان المؤمن لا يقابل السيئة التي يصنعها فيه آخر بسيئة ، وذلك حتى لا يرتكب الذنب نفسه ، ولكن يتبع القول المأثور :

ه إننا لا تكافى من عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه ١٠١٠

(1) هذا المقول مسئد إلى عبدائة بن مسعود رضي الله عنه عندما جاء رجل فعال له : إن لى جارا بوفيني ويشتمي وبضيق على نفال : و اندهب فإن هو عصى الله قبلك فأصع الله فيه و من كتاب و إحياء عشوم الدين و للإمام العزالي .
 فصل حضوق الجوار .

إنهم بإحسان المسلمين إليهم يزدادون خصومة ، وغيظا وحقدا على الإسلام وكان المسلمون الأوائل بتصرفون مذلك الأسلوب لقد كانوا جمالا إيمانية واسمخة .

فخصوم الإسلام يعصون الله بسوء معاملتهم للمسلمين ، لكن المسلمون بردون على سوء المعاملة بحسن المعاملة ، وساعة يرى خصوم الإسلام أن كيدهم لا يحقق هدفه فإنهم يقعون في بئر وحماة الغيظ . وعندما يخلو الكافرون لأنفسهم فأول أعمالهم هو عض الأصابع من الغيظ ، وهو كما أوضحت نتيجة الانفعال القسرى النابع للغضب والعجز عن تحقيق المأرب ؛ ذلك أن كل تأثير إدراكي في النفس الشرية إغا يظرق مجالا وجدانيا فيها .

والمجال الوجدان لابد أن يعبر عن نفسه بعملية نزوعية نظهر بالحركة ؛ فالإنسان عندما يسبب لواحد يعرفه لونا من الغضب فهو ينفعل بسرعة ويثور بالكليات ، هذا دليل على طيبة الإنسان الغاضب . أمّا الذي لا يظهر انفعاله نيجب الحذر منه ؛ لأنه يجزن انعمالاته ، ويسيطر عليها ، فلا تعرف متى تظهر ولا على أبة صورة تبدو ؛ ولذلك يقول الأثر : « اتقوا غبظ الحليم » فعندما تتجمع انفعالات جديدة فوق الفعالات قديمة متراكمة في قلب الحليم فلا أحد يعرف متى يفيض به ألكيل .

إذن فالإدراك ينشأ عنه وجدان ، فينفعل الإنسان بالنزوع الحركى . والتشريع الإسلامي لا يريد من الإنسان أن يكون حجرا أصم لا ينفعل ، لكنه يطلب من المسلم أن ينفعل انفعالا مهذبا ؛ ولذلك يضع الحق للمؤمن منهجا ، فيقول مبحانه :

﴿ وَٱلْكَنظِمِينَ ٱلْغَيْظُ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾

(من الأية ١٣٤ صورة أله عمران }

إن القرآن يعترف بأن هناك من الأحداث ما يستدعى غيظ الإنسان ، والذى لا يغضب على الإطلاق إنما يسلك طريقا لا يتوافق مع طبيعة البشر السوية ، والله يريد من الإنسان أن يكون إنساناً ، له عواطفه وشعوره وانقعالاته ، ولكن الله المربى الحق يهذب انفعالات هذا الإنسان ، ولنا في النبي صلى الله عليه وسلم القدوة

الحسنة ، فحين مات ولده إبراهيم :

قال علیه الصلاة والسلام : « إن العین تدمع والقلب تجزن ولا نقول إلا ما یرضی ربتا ، وإنا بفراقك یا إبراهیم للحزونون وال

إن النبي صلى الله عليه وسلم يمزج بين العاطفة والإيمان ، فالعين تدمع ، والقلب يحزن ، والإسال لا يكون أصم أمام الأحداث ، إنما على الإسال أن يكون منفعلا التعالا مهذبا

وعندما يعبرُ الفران عن الإنسان السوي فهو لا يضع المؤمن في قالب حديدي بحيث لا يستطيع أن يتغير فيقول سحانه .

ومن الآية \$10 سورة المائدة)

إذن فليس المؤمن مطبوعا على الذلة ، ولا مطبوعا على العزة ، لكنه ينفعل للمواقف المحتلفة ، فهذا موقف بنطلب دله وتو ضعا للمؤمنين فبكون المؤمن دليلا ، وهناك موقف أحر ينطلب عرة على الكافرين المتكبرين فيكون المؤمن عزيزا ، والحق سيحانه يقول عن المؤمنين

(من الابد من سورة العنج)

إن الرحمة ليست خلقا ثابتا ، ولا الشدة خلفا ثابنا ولكنَّ المؤمنين ينفعلون للأحدث ، فحين يكون في مواجهة للأحدث ، فحين يكون في مواجهة الكفار فهو قوى وشديد . والله سبحانه لا يويد المؤمن على قالب واحد متجمد ،

(١) رواه السخاري في الجنائر ومسلم في الغصائل، وابن ماحه في الحنائز ورواه أحمد في المسلم،

@1Y1Y @@+@@+@@+@@+@

لذلك يقول الحق:

﴿ وَٱلْسَكَنْفِلُومِنَ ٱلْغَيْظُ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُجِبُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ ﴿ وَٱللَّهُ يُجِبُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ ﴿ وَٱللَّهُ يَجُبُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ ﴿ وَاللّهُ يَجُبُ اللَّهُ عَلَى اللهِ عَمَانَ ﴾

ولهو سبحانه القائل :

﴿ وَإِنَّ عَاقَيْتُمْ فَكَ لَيْهِوا عِنْدِلِ مَا عُوقِيتُمْ بِهِ ، ﴾

(من الآية ١٢٦ سورة النحل)

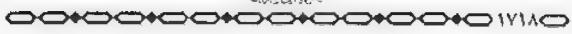
إذن فالحق لم يمنع المؤمن من أن يعاقب أحدا على خطأ ، وذلك لأنه خلق الحلق وعليم بهم ، ولا يمكن أن يصادم طباعهم ، وذلك حتى لا يتهدد المؤمن في إيمانه فيها بعد ، فالمؤمن لو ترك حقوقه فإن الكفار سيصولون ويجولون في حقوق المسلمين ؛ وفذا فالمؤمن يتدرب على ترقيع العقاب حتى على المؤمن المخطئ ، وذلك ليعرف المؤمن كيف يعاقب أى مجترىء على حق من حقوق الله ، والمؤمن أيضا مطالب بأن يرتقى بعقابه ، فهو إما أن يعاقب بمثل ما عوقب به ، وإما أن يرتقى أكثر ، ويستمع لقول الحق :

﴿ وَلَهِنْ صَدِيمٌ لَمُوْخَدِرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾

(من الآية ١٣٦ سررة النحل)

لقد وضع الحق منهج الارتقاء بعد أن أعطى المؤمن الحق في توقيع العقاب قصاصا ، وهكذا لم يقسر الله طبع الإنسان ولو أراد سبحانه ذلك لما خلق هذا الطبع إنه مسبحانه يوضح لنا أن هناك اتفعالا بالغيظ ، وأن المؤمن عليه أن يحاول كظم الغيظ أي لا يعبر عن الغيظ نزوعيا ، فإن أخرج المؤمن هذا الأمر من قلبه فمعناه أنه قد برىء وشفي منه وارتقى .

إذَن فكظم الغيظ هو ألا يعبر المؤمن عن الغيظ نزوعيا ، فإن سبّكَ أحدُ فأنت لا تسبّه ، وهذا الكظم يعنى كتيان الانفعال في القلب ، فإذا ارتقى المؤمن أكثر وتجاهل حتى الانفعال بذلك ، فإنه يُخرج الغيظ من قلبه ، وهو بدلك يرتقى ارتقاء



أعلى، ويصفه الحق بأنه دخول إلى مرتبة الإحسان، فهو القاتل: « والله يحب المحسنين، وهكذا يحسن المؤمن إلى المسبب للغيظ بكلمة طببة.

فهاذا يكون موقف الذي تسبب في غيظك أيها المؤمن وأنت قد كظمت الغيظ في المرحلة الأولى وعفوت في المرحلة الثانية وإن أخرجت الانفعال من قلبك ، وصلت إلى المرحلة الثالثة وهي التي تمثل قمة الإيمان إنها الإحسان . . ، والله يجب المحسنين ، لابد أن يراجع المسبب للغيظ نفسه ويندم على ما فعل .

إن الإسلام لم يتجاهل المشاعر الإنسانية عندما طائب المؤمنين أن يحسنوا لمن أساء إليهم ، فالذي يمعن النظر ويدقق الفهم يعرف أن الإسلام قد أعطى المؤمن الحق في الطبع البشرى حين قال : « وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به » ولكنه ارتفى بالمؤمن ، وعندما ننظر إلى هذا الأمر كقضية اقتصادية وتحسبها به منه » وه له ه فسنجد أنّ المؤمن قد كسب . . ومثال ذلك _ ولله المثل الأعلى _ ساعة يجد الأب ابنا من أبنائه قام بظلم أخ له فإن قلب الأب يكون مع المظلوم . فهب أن إنسانا أساء لعبد من عباد الله فإن الله كرب مربّ يغار له ونحن نعرف أن واحدا قال لعارف بالله :

أتحسن لمن أساء إليك ؟ فقال العارف بالله : أفلا أحسن لمن جعل الله في جانبي ؟

ولنعد الان إلى غيظ الكافرين من المؤمنين ، إن غيظ الكافر ناتج من أن خصمه المؤمن يحب له الإيمان وليس في قلبه ضغينة بينها الكافر يغلى من الحقد ، وبسبب هذا الأمر يكاد يفقد صوابه ؛ للذلك يقول الحق : « وإذا خلوا عضوا عليكم الأناس من الغيظ » .

وا خلوا المقصود بها . أن الكافرين إذا ما أصبحوا في مجتمع كفرى وليس معهم مسلم أعلنوا الغيظ من المؤمنين ، ولقد فعلوا هذا الأمر عض الأنامل من الغيظ في غيبة الإيمان والمؤمنين بالله ، لو كان عند هؤلاء الكافرين ذرة من تعقل لفكروا كيف فضحهم القرآن ، وهم اللين ارتكبوا هذا الفعل بعيدا عن المؤمنين ؟

ألم يكن لتفكيرهم أن يصل إلى أن هناك ربًّا للمؤمنين يقول الحاق من الأمور لرسوله ، ويبلغها الرسول للمؤمنين .

لكنهم مع ذلك لم يقهموا هذا الفضح لهم و راذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ و وهنا ينبخى أن نفهم أن هناك أمرًا قد يغيظ ، ولكن الإنسان قد يجبن أن ينفث غيظه ، فإذا غاظك أحد فقد تذهب إليه وتنفعل عليه ، أو قد تنفعل على نفسك وذلك هو ما يسمى بدو تحويل النزوع و . فالغاضب يحتلى بطاقة غضبية ، ومن يغضب عليه قد يكون قويا وصاحب تفوذ ، فيخاف أن ينفعل عليه ، فينفث الغاضب طاقة غضبه على نفسه بأن يعض على أنامله ، ومادامت المسألة هكذا ، فقد قال الحق :

﴿ قُلْ مُوتُواْ بِغَبْظِكُمْ إِنَّ اللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصَّدُودِ ﴾

(من الآية ٦١٩ سررة آل همران)

ومعنى ذلك أن إغاظة المؤمنين لكم أيها الكافرون ستستمر إلى أن تموتوا من الغيظ ؛ لذلك فلا طائل من محاولتكم جذب المؤمنين إلى الكفر : « قل موتوا بغيظكم » .

ونحن قد عرفنا أنه ساعة يؤمر الإنسان بشيء ليس في اختياره ـ لأن الموت ليس في اختيارهم ـ وأن مختار بينه وبين شيء في اختياره كالغيظ ، فمعنى ذلك أن الأمر قد صدر إليه ليظل أسبر الأمر الذي يقدر عليه وهو الغيظ حتى يدركه الموت .

وعندما يقول الحق: وموتوا بغيظكم و فهذا يعنى أن الكافرين أن يستطيعوا الموت ، ولكن سيظلون في حالة الغيظ إلى أن بموتوا ؛ لأنهم لا يعرفون متى بموتون ، وهكذا يظلون على حالهم من الغيظ من المؤمنين ، ومادام الكافرون في حالة غيظ من المؤمنين فهذا دليل على أن المؤمنين يطبقون منهجهم بأسلوب صحيح .

وفي هذه الآية بشارة طيبة للمؤمنين ونذارة مؤلمة للكافرين « قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور ، أي بالأمور التي

(現)(数 **○○+○○+○○+○○+○○+○** 1VT+○

تطرأ على الفكر، ولم تخرج بعد إلى مجال الفول، وهو سبحانه القائل: ﴿ وَمَا نُحْتِي صُدُورُهُمُ أَكْبُرُ ﴾

(من الآية ١١٨ سورة آل عمران)

ومادام هو الحق العليم بما تخفى الصدور فهو قادر ليس فقط على الجزاء بما يفعلونه من عمل نزوعى ولكنه قادر على أن يجازيهم أيضا بأن يقضح الأعيال غير النزوعية الكامنة في صدورهم ، وبعد ذلك يقول سبحانه :

﴿ إِن تَمُسَكُمْ حَسَنَةٌ تَسُوَّهُمْ وَإِن تَصِبَكُمْ اللَّهِ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللللْمُ اللللْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللللْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللْمُ اللَّهُ الللْمُ اللَّهُ الللْمُ اللَّهُ اللَّهُ الللْمُ الللْمُ الللْمُ الللْمُ الللْمُ الللْمُ الللْمُ اللْمُلْمُ الللْمُ الللْمُ الللَّهُ اللَّهُ اللْمُلْمُ اللَّهُ اللْمُلْمُ اللْمُ اللْمُلْمُ اللَّهُ اللْمُلْمُ الللْمُ ال

والقرآن كلام الله وله _ سبحانه _ الطلاقة التاسة والغنى الكاسل ، والعبارات في المعنى الواحد قد تختلف لأن كل مقام له قوله ، وسبحانه بجدد بدقة متناهية اللفظ المناسب . . إنه هو سبحانه الذي قال :

﴿ إِنَّ الْإِنسَانَ عَلِقَ هَلُوعًا ﴿ إِذَا مَسْهُ الشَّرْبَرُوعَ ﴿ وَإِذَا مَسْهُ الْكَبْرُ مَنُوعًا ﴿ إِنَّ الْإِنسَانَ عَلِقَ هَلُوعًا ﴿ إِذَا مَسْهُ الشَّرْبَوْءَ ﴿ وَإِذَا مَسْهُ الْكَبْرُ مَنُوعًا ﴾ ﴿ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿ اللَّهِ مِنْ مُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دُا يَمُونَ ﴿ ﴾

(سورة المعارج)

وهو سبحانه الذي قال :

﴿ مَآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَيِنَ اللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِنَةٍ فَين نَّفَسِكُ وَأَرْسَلَنَكَ وَلَ النَّاسِ رَسُولًا وَكُنِّ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿ ﴾

و سورة النساه)

إنه جل وعلا يتكلم عن المس فى الشر والخبر ، ومرة يتكلم عما يحدث للإنسان كإصابة فى الخبر أو فى الشر ، وفى الآية التى تحن بصدد الخواطر عنها تجد خلافا فى الأسلوب فسبحانه يقول : 1 إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها يه إنه لم يورد الأمر كله مَسًا ، ولم يورد، كله وإصابة ، إنه كلام رب حكيم وعندما نتمعن فى المعنى فإن الواحد منا يقول : هذا كلام لا يقوله إلا رب حكيم .

ولنتعرف الآن على « المس » و« الإصابة » بعض العلماء قال : إن المس والإصابة يمعنى واحد ، بدليل قوله الحق :

عَلَى إِنَّ ٱلْإِنسَنْنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿ إِذَا مَسْهُ ٱلشَّرْجَزُوعًا ﴿ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلطَّيْرُ مَنُوعً ﴿ فَي الْإِنسَنْنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿ إِذَا مَسْهُ ٱلشَّرْجَزُوعًا ﴿ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلطَّيْرُ

(سورة المعارج)

ولكننا نقول إن المس هو إيجاد صلة بين الماس والممسوس ، فإذا مس الرجل امرأته ، فنحن نامره بالوضوء فقط ، لأنه عجرد النقاء الماس بالممسوس ، والأمر ليس أكثر من النقاء لا تحدث به الجنابة فلا حاجة للغسل ، أما الإصابة فهى النقاء وزيادة ؛ فالذي يضرب واحدا صفعة فإنه قد يورم صدغه ، فالكف يلتقى بالخد ، ويصيب الصدغ ، وهكذا نعرف أن هنك فرقا بين المس والإصابة ، وحين يقول الحق : ه إن تحسيكم حسنة تسؤهم ه .

فمعنى ذلك أن الحبئة الواقعة بسيطة ، وليست كبيرة إنها مجرد غنيمة أو قلبل من الخبر . . . وفي حياتنا اليومية نجد من يمتل، غيظا لأن خصمه قد كسب عشرة قروش ، وقد يجد من يقول له : لماذا لا تدخر غيظك إلى أن يكسب مائة جنيه مثلا ؟ ومثل هذا الغيظ من الحسنة الصغيرة هو دليل على أن أي خير يأتي للمؤمنين إنما يسبب

00+00+00+00+00+014110

التعب والكدر للكافرين . فمجرد من الحير للمؤمنين يتعب الكافرين فهاذا عن أمر السيئة ؟

إن الحق يقول : « وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها « إن الكافرين يفرحون لأي سوء بصيب المؤمنين مع أنه كان مقتضى الإنسانية أن ينقلب الحاسد راحما :

وحسبها من جادث بامبری، تری حامدیه له راحمینا

يعنى حسبك من حادث ومصيبة تقع على إنسان أن الذي كان يحسده ينقلب راحما له ويقول : والله أنا حزنت من أجله .

إذن فلمّا تشتد إصابة المؤمنين أكانت تغير من موقف الكفوين ؟. لا ، كان أهل الكفر يفرحون في أهل الإيمان ، وإذا جاء خير أي خير للمؤمنين يجزنون فالحق يقول : « أن تحسكم حسة تسؤهم » والحسنة هي أي خير يجسهم مسأ خفيفاً ، د وإن نصبكم صيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتنفوا لا يضركم كيدهم شيئا » ، فأنت مهها كادوا لك فلن يصيبوك بأذى .

إن المطلوب منك أن تصبر على عداوتهم ، وتصبر على شرّهم ، وتصبر على فرحهم في المصائب ، وتصبر على حزنهم من النعمة تصبيك أو تحسك ، اصبر فيكون عندك مناعة ، وكيدهم لن ينال منك . اصبر واتق الله : لتضمن أن يكون الله في جانبك ، ، وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً ، .

وما الكيد ؟ الكيد هو أن تبيت وتحتال على إيقاع الضرر بالغير بحيث يبدو أنه كيدً من غيرك ، أي تدير لغيرك لتضره , وأصل الكيد مأخوذ من الكيد والكبد ، وهما بمعنى واحد ، فما يصيب الكبد بؤلم ؛ لأن الكبد هو البضع القوى في الإنسان ، إذا أصابه شيء أعيى الإنسان وأعجزه ، ويقولون : فلان أصاب كبد الحقيقة أي توصل إلى نقطة القوة في للوضوع الذي يحكى عنه .

وما معنى يبيتون؟ قالوا : إن التبييت ليس دليل الشجاعة ، وساعة ترى واحداً

يبيت ويمكر فاعرف أنه جبان ؛ لأن الشجاع لا يكيد ولا يمكر ، إنما يمكر ويكيد الضعيف الذي لا يقدر على المواجهة ، فإن تصبروا على مقتضيات عداواتهم وتنقوا الله لا يضركم كيدهم شيئا ؛ لأن الله يكون معكم .

ويذيل الحق الآية بالقول الكريم: « إن الله بما بعملون محيط » . وساعة ترى كلمة و محيط » فهذا يدلك على أنه عالم بكل شيء . والإحاطة : تعنى ألا تشرد حاجة منه . وها هي ذي تجربة واقعية في تأريخ الإسلام ؛ يقول الحق فيها مؤكدا : « وإن تصبروا وتنقوا لا يضركم كيدهم شيئاً إن الله بما يعملون محيط » وعلى كل منا أن يذكر صدق هذه الغضية .

عَنْ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَنْعِدَ لِلْقِتَالِ وَٱللَّهُ سَمِيعُ عَلِيمٌ ﴿ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّ

إنه في هذه المرة ـ في غزوة أحد ـ جاء الكفار بثلاثة آلاف وكان المسلمون قلة ، مسبعهائة مقاتل فقط ، وحتى يبين الحق صدق قضاياه في قوله : « وإن نصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا » وليس المقصود هنا الكيد التبييتي بل عملهم العلني ، أي واذكر صدق هذه القضية :

« وإذْ غدوت من أهلك » ، والغدوة هي : أول النهار ، والرواح : آخر النهار ، والأهل : تطلق ويراد بها الزوجة ، والمقصود هنا حجرة عائشة ؛ لأن الرسول كان فيها في هذا الوقت الذي أراد فيه كفار قريش أن يتاروا لأنفسهم من قتل بدر وأسراهم ، فقد جعوا حشودهم ، فكل هوتور من معركة بدر كان له فرسان وله رجال ، حتى أنهم بعد معركة بدر قال زعيمهم أبو سفيان لأصحابه : قل للنساء لا تبكين قتلاكم فإن البكاء يذهب الحزن ، فالدموع يسمونها غسيل الحزن ، أو فوب المواجيد ، فساعة يبكى إنسان حزين يقول من حوله : دعوه يرتاح .

فلو حزنت النساء وبكين على تنلى بدر لهبطت جذوة الانتقام ؛ لذلك قال أبو سفيان : قل لهن لا يبكين . إنه يريد أن يظل الغبظ في مسألة بدر موجوداً إلى أن يأخذوا الثار . وفعلاً اجتمع معسكر الكفر في ثلاثة آلاف مقاتل عند أحد ، وبعد ذلك استشار النبي صلى الله عليه وسلم في هذه المسألة أصحابه وأرسل إلى واحد من أكبر المنافقين هو عبدالله بن أبي بن سلول ، وما استدعاه إلا في هذه المعركة ، فقال عبدالله بن أبي بن سلول وأكثر الانصار :

يا رسول الله نحن لم تخرج إلى عدو خارج المدينة إلا غال منا، ولم يدخل علينا عدو إلا ثلنا منه، فإنا نرى ألا تخرج إليهم فإن أقاموا أقاموا بشر محبس، وإن دخلوها قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصيبان بالحجارة من فوقهم، وإن رجعوا رجعوا خائبين وأشار آخرون من الصحابة بالحروج إليهم، وقالوا:

« يارسول الله اخرج بنا إلى أعدائنا لا يرون أنا جُبُنا عنهم وضعفنا ، ولم يترك أصحاب هذا الرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وافقهم على ما أرادوا ،

فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته فليس درعه وأخذ سلاحه ، وظن الله المنتزهوه على الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج أنهم قد استكرهوه على ما لا يريد فندموا على ما كان منهم ، ولما خرج عليهم قالوا : استكرهناك يا رسول الله ولم يكن لنا ذلك ، فإن شئت فاقعد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ه ما ينبغي لنبي لبس لأمَّنَّهُ أنْ يضعها حتى يقاتل ١٩٠٠.

وخرجوا إلى الحرب ، وهذا هو الذي يُذَكِّرُ به القرآن صدقاً للقضية التي جاءت في الآية السابقة : • وإن تصبروا وتنقوا لا يضركم كيدهم شيئاً إن الله بما يعملون محيط • .

⁽٦) رواه ابن إسحاق والإمام أحمد ورواه الطيراني ينمعوه، والكلامة : هي الدرخ .

اذكر يا محمد :

﴿ وَ إِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْفِتَالِ ﴾

(الآية ١٢١ سورة أل عمران)

ور تبوىء المؤمنين مقاعد للفتال ۽ أي توطن المؤمنين في أماكن للفتال ۽ ويوأت فلاتا يعني : وطنته في مكان يبوء إليه أي يرجع ، واسمه وطن ؛ لأن الوطن يرجع إليه الإنسان .

انظر إلى الدقة الأداثية لقول الحق : ق وإذ غدوت من أهلك تبوى، المؤمنين مقاعد للفتال ، أى تجعل لهم مباءة ووطنا . وكلمة ه مقاعد » أى أماكن للثبات ، والحرب كرّ وقرّ وتيام ، والذى يحارب يثبته الله فى المعركة ، فكأنه مُوطَنّ فى الميدان ، فكأن أمر الرسول إلى المقاتلين يتضمن ألا يلتفت أى منهم إلى موطن آخر غير موطنه الذى ثبتّه وبرّاته فيه أى إن هذا هو وطنك الآن ؛ لأن مصيرك الإيماق سيكون رهناً به .

إذن فقوله : « وإذْ غدوت من أهلك ثبوى، » أى توطن « المؤمنين » وتقول لهم : إن وطنكم هو مقاعدكم التي ثبتكم جا . ورسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بالرماة ؛ وأثر عليهم « عبدالله بن جبير » وهم يومئذ خمسون رجلا وقال رسول الله لهم :

ه قوموا على مصافكم هذه فاحموا ظهورنا فإن رأيتمونا قد انتصرنا فلا تشركونا ، وإن رأيتمونا انقتل فلا تنصرونا يم(١٠) ·

لكنهم لم يقدروا على هذه لأن نفوسهم مالت إلى الغنيمة ؛ وشاء الله أن يجعل التجربة في محضر من رسوله صلى الله عليه وسلم : حتى يبين للمؤمنين في كل المعارك التي تلى ذلك أن اتباع أمر القائد يجب أن يكون هو الأساس في عملية الجندية . وإنكم إن محالفتم الرسول قلا بد أن تنهزموا .

⁽ ۱) رواه ابن سعد وابن فشام والبخاري ينحوه .

وقد يقول قائل : الإسلام انهزم في أحُد . ونقول : لا ، إن الإسلام انتصر.ولو أن المسلمين انتصروا في وأحد ع مع مخالفة الرماة لأمر النبي صلى الله عليه وسلم ، أكان يستقيم لرسول الله أمر ؟

إذن فقد انهزم المسلمون الذبن لم ينفذوا الأمر، وكان لابد أن يعيشوا التجربة وهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. فحينها هبت ربح النصر على المؤمنين في أول المعركة، ابتدأ المقاتلون في الانشغال بالأسلاب والغنائم، فقال الرماة: سيأخذ الأسلاب غيرنا ويتركوننا ونزلوا ليأخذوا الغنائم، فانتهز خالد بن الوليد وكان على دين قومه انتهز الفرصة وطوقهم وحدث ما حدث وأذبع وفشا في الناس خبر فتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فالكفأوا وانهزموا فجعل رسول الله يدعو ويقول: وإلى عباد الله عدى الحازت إليه طائفة من أصحابه فلامهم على هربهم فقالوا: يا رسول الله : فديناك بأيائنا وأمهاتنا، أثانا خبر قتلك فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين

إن التحقيق التاريخي لمعوكة أخد قد أكد أن المسألة لا تُعتبر هزيمة ولا انتصاراً ٢ لأن المعركة كانت لاتزال مائعة . وبعدها دعا الرسول من كان معه في غزوة أحد إلى الحروج في طلب العدو ، وأدركوهم في حمراء الأسد وفر الكافرون . إنّ الله أراد أن يعطى المؤمنين درساً في النزام أمر الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقال الحق . و وإذ غدوت من أهلك تبوىء المؤمنين مقاعد للقتال . .

إن الحق يذكر بمسئوليات القائد ، الذي يوزع المهام ، فهذا جناح أيمن وذاك جناح أيسر ، وهذا مقدمة وهذا مؤخرة . ويذيل الحق هذا بقوله : ووائلة سميع عليم ، حتى يعرف المؤمنون أنه سبحانه قد شهد أن رسوله قد بوأ المؤمنون مقاعد الفتال ، وسبحانه و عليم ، بما يكون في النيات ؛ لأن المسأئة في الحرب دفاع عن الإيمان وليست انقياد قوالب ، ولكنها انقياد قلوب قبل انقياد القوالب .

ويقول الحق من بعد ذلك :

وَلِيُّهُمَّا وَعَلَىٰ ٱللَّهِ فَلْيَـنَّوَكَّلِي ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ

والفشل هو الجين ، والطائفتان هما ؛ بنو حارثة » من الأوس ، » وبنو سلمة ، من الخزرج ، وهؤلاء كانوا الحناح اليمين والجناح اليسار ، فجاءوا في الطريق إلى المعركة ، وسمعوا كلام المافق ابن سلول ، إذ قال المن يحدث قنال ؛ لأنه بمجرد أن يرانا مقاتلو قريش سيهربون .

وقال ابن مبلول المنافق للرسول: لو نعلم قنالًا لاتبعناكم. إلا أن عبدالله ابن حارثة قال: أنشدكم الله وأنشدكم دينكم. فساروا إلى القتال وثبتوا بعد أن هموا في التراجع.

وما معنى « الهمّ » هنا ؟ إن الهم هو تحرك الحاطر نحو عملية ما ، وهذا الخاطر يصير في مرحلة ثانية قصداً وعزماً ، إذن فالذي حدث منهم هو مجرد همّ بخاطر الانسحاب ، لكنهم ثبتوا .

ولماذا ذلك ؟ لقد أواد الله بهذا أن يُثبت أن الإسلام منطقى في نظرته إلى لإسدن، فالإنسان تأتيه خواطر كثيرة . لذلك يورد الحق هذه المسألة ليعطينا العلاج . فقال : « إذ همّت طائفنان منكم أن تفشلا » .

وقد قال واحد من الطائفتين : والله ما يسرن أنى لم أهم ـ أى لقد انشرح قلبى الأنى هممت ـ لأنى ضمنت أن من الذين قال الله فيهم : ه والله وليهما » ، وحسبى ولاية الله . لقد فرح لأنه أخذ الوسام ، وهو ولاية الله .

وهكذا للنقط العبر الموحية من الآيات الكريمات حول غزوة أحُد ، وتحن نعلم أن هذه الغزوة كانت الغزوة النائية لغزوة بدر الكبرى . وغزوة بدر الكبرى انتهت بنصر المسلمين وهم قئة في العدد والعُدة ، ففي بدر لم يذهب المسلمون إلى

المعركة ليشهدوا حرباً ، وإنما ليصادروا أموال قريش في العِير تعويضاً لأموالهم التي تركوها في مكة . ومع ذلك شاء الله ألا يواجهوا العِير المحملة ، ولكن ليواجهوا الفئة ذات الشوكة ، وجاء النصر لهم .

ولكن هذا النصر ، وإن يكن قد ربَّ المهابة للمسلمين في قلوب خصومهم ، فإنه قد جُع همم أعداء الإسلام ليتجمعوا لتسديد ضربة يردون بها اعتبار الكفر ؛ ولذلك رأينا رءوس قريش وقد منعت نساءها أن يبكين على قتلاهم ؛ لأن البكاء يُريح النفس المتعبة ، وهم يُريدون أن يظل الحزن مكبوتاً ليصنع مواجيد حقدية تحرك النفس البشرية للأخذ بثار هؤلاء ، هذا من ناحية العاطفة التي يجبون أن تظل مؤججة ، ومن ناحية المال فإنهم احتفظوا بمال العِير الذي نجا ليكون وسيلة لتدبير معركة يردون فيها اعتبارهم .

وقد حاولوا قبل أحد أن يفعلوا شيئاً ، ولكنهم كانوا يُردُونَ على أعقابهم . فمثلاً فاد أبو سفيان حملة مكونة من مائة ، وأراد أن يهاجم بها المدينة فلها غى خبرها إلى سيدنا رسول الله تهض بصحابته إليهم ، فبلغ أبا سفيان خروج وسول الله ، ففر هارباً وألقى ما عنده من مؤنة فى الطريق ليخفف الحمل على الدواب لتسرع فى الحركة ، ولذلك يسمونها ، غزوة السويق ، لأنهم تركوا طعامهم من السويق . كها حول بعض الكفار أن يُغروا على المدينة بعد ذلك أكثر من مرة ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدهب إليهم على رأس مقاتلين ، فمرة عددهم مائة ومرة مائة وخصون ومرة مائنان ، وفعلاً شت الرسول صلى الله عليه وسلم شملهم . وكان من خطته صلى الله عليه وسلم حين يذهب إلى قوم كان يبلغه أنهم يُريدون أن يتأمروا لغزو المدينة أن يظل فى بلدهم وفى معسكرهم وقنا ليس بالقليل .

كل ذلك سبق غزرة أحد . وبعد ذلك تجمعوا ليجيئوا لغزوة أحد ، وكان ما كان ، والآيات التي تعالج هذه الغزوة فيها إيجاءات بما جاء في المعركة ، فالرسول صلى الله عليه وسلم بوأ للمقاتلين مقاعد للقتال ، وأمرهم بالثبات في تلك المواقع لكن بعضا من المقاتلين تبرك مكانه ، والبعض الآخر هم بالانسحاب ، لكنه ثبت أخيراً ، وفر كفار قريش . وقد تجلت في هذه المعركة آيات الله الكبيرة .

0171100+00+00+00+00+0

فحين نصر الله سبحانه وتعالى المسلمين و ببدر وهم قلة ، لم يخرجوا لمعركة وإنما خرجوا لمصادرة عير . وربما ظن أناس أنهم بمجرد نسبتهم إلى الله وإلى الإسلام سيتصرون على هذه الوتيرة ، ويتركون الأسباب فأراد الله أن يعلمهم أنه لابد من استنفاد الأسباب ، إعداداً لعدة ولعدد ، وطاعة لتوجيه قائد .

فلها خالفوا كان ولابد أن يكون ما كان . والمخالفة لم تنشأ إلا بعد استهلال بالنصر ، ولذلك سيجيء فيها بعد ستون آية حول هذه الغزوة ؛ لتبين لنا مناط العبرة في كل أطوارها لنستخرج منها العظة والدرس . ونعلم أن المنتصرين عادةً يكون الجو معهم رخاة . ولكن الكلام هنا عن هزيمة من لا يأخذون بأسباب الله ، وهذا أمر بحتاج إلى وقفة ، فجاء الفرآن هنا ليفص علينا طرفاً من الغزوة لنستخرج منها العبرة والعظة ، العبرة الأولى :

أنهم حينها خرجوا ، تخلف المنافقون بقيادة ابن أيّ ، إذن فالمعركة إنما جاءت لتمحص المؤمنين . والتمحيص بأق في الشيء الواحد ، أما التمبيز فيأق في شيئين : هذا مؤمن ، وهذا كافر ، إنما التمحيص بأق في الشيء الواحد ، أما التمبيز فيأق في شيئين : هذا مؤمن ، وهذا كافر ، إنما التمحيص بأق للمؤمن ويعركه عركا ، وببين منه مقدار ما هر عليه من الثبات ومن البقين ، والحق إنما يمحص الفئة المؤمنة لأنها ستكون مأمونة في الناريخ كله إلى أن تقوم الساعة على حماية هذه العقيدة ، فلا يمكن أن يتولى هذا الأمر إلا أناس لهم فلوب ثابتة ، وجأش قوى عند الشدائد ، وهمة دونها زخارف الدنيا كلها .

وبعد ذلك يعالج النفس البشرية في أوضاعها البشرية ، فعقائد الإيمان لا تنصب في قلوب المسلمين بمجرد إعلان الإيمان ، ولكن كل مناسبة تعطى دفعة من العقيدة يتكون بعد ذلك الأمر العقدى كله ، ولذلك يبين لنا الحق أن طائفتين من المؤمنين قد همت بالتراجع ، فهم تقوس بشرية ، ولكن أنفذت الطائفتان ذلك الهم أم رجعت وفاءت إلى أمر الله ؟ لقد رجعت الطائفتان . وهكذا رأينا بين الذين أعلنوا إيمانهم فنة نكصت من أول الأمر ، وفئة خرجت ثم عادت .

لفد تحدثت النقوس ولكن أفراد تلك الفئة لم يقفوا عند حديث النقس بل ثبتوا إلى نهاية الأمر ، ومنهم من ثبت إلى الغاية السطحية من الأمر كالرماة الذين رأوا النصر أولا ، وهؤلاء من الذين ثبتوا ، ما فرّوا أولاً مع ابن أبيّ ، وما كانوا من الطائفة التي

همت ، ولكتهم كانوا من الذين ثبتوا . لكنهم عند بريق النصر الأول اشتاقوا للغنائم ، وخالفوا أمر الرسول ، ولنقرأ قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ أَنَكُ وَعُدُهُ - إِذْ تَحَسُّونَهُم بِإِذْ بِهِ حَتَىٰ إِذَا فَيُسْلَمُ وَتَنْتَزَعَتُم فِي الأَمْسِ وَعَصَبْتُم مِنْ بَعْدِمَا أَوَنَكُم مَا تُعِبُّونَ مِنكُم مَن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَن يُرِيدُ الآيورَة مُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبَنَائِكُمْ وَلَقَدْ عَنَا عَنكُمْ وَاللّهُ ذُو فَضْ إِعَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿ ﴾

﴿ سورة آل عمران)

وبعد ذلك تأتى لقطة أخرى وهى ألا نقتن في أحد من البشر ، فخالد بن الوليد بطل معسكر الكفر في أحد ، وهو الذي استغل فرصة نزول الرماة عن . أماكنهم ، وبعد ذلك طوق جيش المؤمنين ، وكان ما كان ، من خالد قبل أن يسلم ، أماكنهم ، فغزوة الحندق ؟ لقد كان في غزوة الحندق . وكان في غزوات كثيرة غيرها مع جند الشرك ، فأين كانت عبقريته في هذه الغزوات ؟ . .

إن عيقرية البشر تتصارع مع عيقرية البشر، ولكن لا توجد عبقرية بشرية تستطيع أن تصادر ترتيباً ربانياً، ولذلك لم يظهر دور خالد في معركة الخندق، لقد ظهر دوره في معركة أحد؛ لأن المقابلين لخالد خالفوا أمر الفيادة فبقيت عيقرية بشر لمعبقرية بشر ، ولكنهم لو ظلوا في حضن المنهج الإلمي في التوجيه لما استطاعت عبقرية خالد أن تطفو على تدبيرات ربه أبداً.

والتحقيق التاريخي لكل العسكريين الذين درسوا معركة أحد قالوا : لا هزيمة للمسلمين ولا انتصار للكفار ؛ لأن النصر يقتضي أن يجل فريق فريقاً عن أرض المعركة ، ويظل الفريق الغالب في أرض المعركة ، فهل قريش ظلت في أرض المعركة أو قرّت ؟ لقد فرّت قريش .

ويُفسر النصر أيضاً بأن يؤسر عدد من الطائفة المقابلة ، فهل أسرت قريش واحداً من المسلمين ؟ لا . ولفد علموا أن المدينة خالية من المؤمنين جميعاً وليس فيها إلا من تخلف من المنافقين والضعاف من النساء والأطفال ، ولم يؤهلهم فوزهم السطحى لأن

يدخلوا المدينة .

إذن فلا أسروا ، ولا أخذوا غنيمة ، ولا دخلوا المدينة ، ولا ظلوا في أرض المعركة ، فكيف تسمى هذا نصراً ؟ فلنقل: إن المعركة ماعت ، وظل المسلمون في أرض المعركة .

وهنا تتجلّ البطولة الحقة ؛ لأننا كما قلنا في حالة النصر يكون الأمر رخاء ، حتى من لم يُبْلِ في المعركة بلاة حسناً ينتهز فرصة النصر ويصول ويجول ، ولكن المهزومين والذين أصيب قائدهم صلى الله عليه وسلم ، وضعف أن يصعد الجبل ، حتى أن طلحة بن عبيد الله يطأطيء ظهره لرسول الله ليمتطبه فيصعد على الصخرة ، ورسول الله يسبل منه اللم بعد أن كسرت رياعيته وتأتى حلقتان من حلق المغفر في وجنته ، بعد هذا ماذا يكون الأمر ؟ حتى لقد أرجف المرجقون وقالوا : إن رسول الله قد أب

وكل هذا هو من التمحيص ، قمن يثبت مع هذا ، فهو الذي يؤتمن أن يجمل السلاح لنصرة كلمة الله إلى أن تقوم الساعة . ويتفقد رسول الله صلى الله عليه وسلم بطلًا من أبطال المسلمين كان حوله فلا يجده ، إنه ، سعد بن الربيع ،

يقول عليه الصلاة والسلام: « مَن رجل ينظر لى ما فعل سعد بن الربيع ؟ أفى الأحياء هو أم فى الأموات؟ فقال رجل من الأنصار هو أبي بن كعب: فذهبت لانحسسه ، فرأيته وقد طُعن سبعين طعنة ما بين ضربة سيف وطعنة رمح ورمية قوس . فلها وآه قال له : رسول الله يقوئك السلام ، ويقول لك : كيف تجدك _ أى كيف حالك _ ؟

قال سعد ابن الربيع : قل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : جزاك الله عنّا خير ما جزى نبيا عن أمنه ، وقل للأنصار ليس لكم عند الله عُذر إن خَلص إلى رسول الله ونيكم عين تطرف . ثم فاضت روحه .

انظروا آخر ما كان منه ، حين أثخن في المعركة فلم يقو على أن يحارب

بنصاله(') ، انتهز بثية الحياة ليحارب بمقاله ، ولتصير كلماته دوياً في آذان المسلمين . وليعلم أن هؤلاء الذين النخنوه جراحاً ما صنعوا فيه إلا أن قربوه إلى لفاء ربه ، وأنه ذاهب إلى الجنة . وتلك هي الغاية التي يرجوها كل مؤمن .

ونجد أيضاً أن الذين يعذرهم القرآن في أن يشهدوا معارك الحرب، يتطوعون للمعارك ! فمثلا عمرو بن الجموح ؛ كان أعرج ، والعرج عذر أقامه الله مع المرض والعمى ؛ لأنه سبحانه هو القائل :

﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ مَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ ﴾

(عن لآية ١٦ صورة النور)

وكان لعمرو بن الجموح بنون أربعة مثل الأسد قد ذهبوا إلى المعركة ، ومع ذلك يطلب من رسول الله أن يذهب إلى المعركة ويقول له : يا رسول الله إن بَنيُ يريدون أن يجسوني عن هذا الرجه والحروج معك فيه ، فوالله إن لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة .

فقال له وسول الله صلى الله عليه وسلم : أمَّا أنت فقد عذرك الله فلا جهاد عليك . وقال لبنيه : ما عليكم ألاّ تمتعوه ، لعل الله أن يرزقه الشهادة ، فخرج معه فقتل .

وهذا مؤمن آخر يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله إن ابنى اللكى استشهد ببدر رأيته في الرؤيا يقول في : ويا أبت أقبل علينا ؛ فأرجو أن تأذن لي بالفتال في « أحّد، فأذن له فقاتل فقُتل قصار شهيداً .

وتنجلَى الروعة الإيمانية والنسب الإسلامي في حذيفة بن اليهان، لقد كان أبوه شيخاً كبيرا مسلما فأخذ سيفه ولحق برسول الله صلى الله عليه وسلم لعل الله يرزقه الشهادة في سبيل الله، فدخل في المعركة ولا يعلم به أحد فقتله المسلمون

⁽¹⁾ النَّصَالَ : جمع مصل وهو حقيقة السيف والسهم والرمج والسكين .

ولا يعرفونه ، فقال ابنه حذيفة : أبي والله . فقالوا والله ما عرفناه ، وصدقوا ، فال حذيفة : يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين . وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يؤدي دينه ، فقال له حذيفة بن البهان : وأنا تصدقت بها على المسلمين .

هذه الأحداث التي دارت. في المعركة تدلنا على أن غزوة أخد كان لابد أن تكون هكذا ، لتمحص المؤمنين تمحيصاً يؤهلهم لأن يجملوا كلمة الله ويعلوها في الأرض . ويقول الحق صبحانه وتعالى :

﴿ وَلَقَدْ نَصَرَّكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِوَ أَنْتُمْ أَوْلَدُّ فَأَتَّقُوا اللَّهَ لَا لَكُمْ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ الللْمُواللَّالِمُ اللللْمُ الللْمُولِمُ اللللْمُولُولُولُولُولُولُولُولُولُولُلِمُ الللْمُولُولُول

لقد نقلهم من معركة فيها شبه هزيمة أو عدم انتصار إلى نصر ، فكأنه يريد أن يقول : إن الأمر بالنب لكم أمر إلهكم الذى يرقبكم ويعينكم ويمدكم ويرعاكم ، وإياكم أن تعتمدوا على العدد والعدة ولكن اعتمدوا على الحق سبحانه وتعالى وعلى ما يريده الحق توجيها لكم ، لأن مدد الله إنما يأتي لمستقبل لمدد الله ، ولا يأتي المدد لغير مستقبل لمدد الله .

ونعرف أن قيه فرقاً بين الفاعل وبين القابل ، فالفاعل شيء والقابل للانفعال بالفعل شيء آخر . وضرينا لذلك مثلاً : بأن الفاعل قد يكون واحداً ، ولكن الانفعال يختلف ، وحتى نقرب المسألة نقول : كوب الشاى تأن لتشرب منه فنجده ماخناً فتنفخ فيه ليبرد ، وفي الشتاء تصبح لتجد يدك باردة فتنفخ فيها لتدفأ ، إنك تنفخ حرة لتبرد كوب الشاى ، ومرة تنفخ لتدفى يدك ، إذن فالفاعل واحد وهو النافخ ، ولكن القابل للانفعال شيء آخر ، ففيه فاعل وفيه قابل ، ومثال آخر : إن القرآن كلام الله ولو أنه نزل على الجبال لحرّت خاشعة ، ومع ذلك يسمعه أناس ،

لا يستر الله عليهم بل بكشفهم لنا ويمضحهم بعظمة الوهيته :

﴿ وَمِنْهُم مِن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَى إِذَا نَوَجُواْ مِنْ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ وَانِفًا ۚ أُولَنَهِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَالْتَبَعُواْ الْمُواَةِ مُمْ (١٠) ﴾

(سورة محمد)

إنهم لم ينفعلوا بالمقرآن ، وقولهم . ه ماذا قال آنفاً ، معناه استهتار بما قبل . ونجد الحق نبرد على ذلك بقوله تعالى :

﴿ أُولَنَّهِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَالنَّبَعُوا أَهُوا مَهُمْ ﴾

(مبورة محمد)

إن الفاعل واحد والقابل غتلف. ويتابع الحق بلاغه الحكيم في قوله:

عَ وَلَقَدْ نَصَرُكُ ٱللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْهُمْ أَذِلَةً فَا تَفُواْ ٱللَّهَ لَعَلَكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿

-)

إذن فمدد الله لكم إنما بتأن لمستقبل إيمان ، فإن لم يوجد المستقبل بكسر الباء ملا يوجد المدد . فإذا كنت لا تستطيع أن تستقبل ما ترسله السهاء من مدد نقول فلا يوجد المدد . فإذا كنت لا تستطيع أن تستقبل كالمذباع الفاسد ، إن الإرسال لله : أصلح جهاز استقبائك ؛ لأن جهاز الاستقبال كالمذباع الفاسد ، إن الإرسال من الإذاعات مستمر ، لكن المذباع الفاسد هو الذي لا يستقبل ، إذن فإن كنت تربد أن تستقبل عن الله فلابد أن يكون جهاز استقبالك سليها . ويوضح الحق ذلك بقوله جل جلاله :

﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُوْمِنِينَ أَلَنَ يَكُفِيكُمْ أَن يُمِذَّكُمْ

رَبُّكُم بِثَلَثَةِ وَاللَّفِ مِنَ ٱلْمَكَيِّكَةِ مُنزَلِينَ ﴿

ويبين سبحانه وتعالى كيفية إصلاح جهاز الاستقبال لتلقى مدد الله فيقول:

حَيْثُ بِكُنَّ إِن تَصْبِرُواْ وَتَنَقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْدِهِمَ هَلْنَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَكفِ مِّنَ ٱلْمَلَتَهِكَةِ مُسَوِمِينَ ۞ ﴿

إن الحق سبحانه وتعالى ضرب المثل بالصبر والتقوى في بدر مع القلة فكان النصر ، وهنا في أحد لم تصبروا ؛ نساعة أن رأيتم الننائم سال لعابكم فلم تصبروا عنها ، ولم تتقوا أمر الله المبلغ على لسان رسوله في التزام أماكنكم . . فكيف تكونون أملاً للمدد ؟

إذن من الذي يحدد المدد؟ إن الله هوالذي يعطى المدد ، ولكن من الذي يستقبل المدد لينتفع به؟ إنه القادر على الصبر والتقوى .

إذن فالصبر والنقوى هما العُدّة في الحرب. لا تفل عدداً ولا عدة. ولذلك قال ربنا لنا: « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » ولم يفل: أعدوا لهم ما نظنون أنه يغلبهم ، لا . أنتم تعدون ما في استطاعتكم ، وساعة تعدون ما في استطاعتكم وأسبابكم قد انتهث . . فالله هو الذي يكملكم بالنصر .

والبشر في ذواتهم يصنعون هذا ، فمثلاً ولله المثل الأعلى من قبل ومن بعدً

لنفترض أنك تاجر كبير. وتأثيث العربات الضخمة محملة بالبضائع ، صناديق وطرود كبيرة ، وأنت جالس بينها يفرغ العهال البضائع ، وجاء عامل لينزل الطود فغلبه الطرد على عافيته ، وتجد نفسك بلا شعور منك ساعة تجده سيقع نهب وتقوم لنصرته ومعاونته ، لقد استنفذ هذا العامل أسبابه ولم يقدر ، فالذي يعنيه الأمر يمد يده إليه ، فيا بالنا بالحق سبحانه وتعالى . كأنه يقول ابذل وقدّم أسبابك ، فإذا ما رأيت أسبابك انتهت والموقف أكبر منك ، فأعلم أنه أكبر منك أنت ولكنه ليس أكبر من ربك إنه سبحانه يقول :

مَنْ وَمَاجَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشَرَىٰ لَكُمْ وَلِلطَّمَ بِنَّ قُلُوبُكُم بِيَّةِ وَمَا اَلتَّصَرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَرْبِيزِ ٱلْحَكِيمِ مِنْ عَندِ ٱللَّهِ ٱلْعَرْبِيزِ ٱلْحَكِيمِ مِنْ عَندِ ٱللَّهِ ٱلْعَرْبِيزِ ٱلْحَكِيمِ مِنْ عَندِ ٱللَّهِ اللَّهِ ٱلْعَرْبِيزِ ٱلْحَكِيمِ مِنْ عَندِ اللَّهِ ٱلْعَرْبِيزِ ٱلْحَكِيمِ اللَّهِ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْعُلِيمِ اللِي اللْعُلِيمِ الللْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللللْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللللْمُ الللَّهُ اللَّهُ الللْمُ الللْمُ اللَّهُ اللَّهُ الللْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللْمُ الللِّهُ الللْمُ اللْمُ اللَّهُ اللْمُؤْمِنِ اللْمُلْكِمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُؤْمِنِ الللِهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُؤْمِنِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُؤْمِنِ الللْمُومِ اللَّهُ الللْمُلْلُولُولُولِ اللللْمُ اللللْمُ الللللْمُ اللللْمُ اللللْمُ اللللْمُ اللللْمُ الللْمُ الللْمُ الللللْمُ اللللْمُ اللللْمُ اللللْمُ اللللْمُ اللللْمُ الللْمُ اللللْمُ اللللْمُ الللْمُ الللْمُ الللْمُ الللْمُ الللْمُ اللللْمُ الللْمُ الللْمُ اللللْمُ اللللْمُ الللْمُ اللْمُ الللْمُ الللْمُ الللِمُ الللْمُ الل

فإباك أن تظن أن المدد بالثلاثة آلاف أو الخمسة آلاف ، الذين أنزلهم الله وأمدكم بهم أو بالملائكة المدربين على القتال . . إياكم أن تظنوا أن هذا المند ، هو شرط في نصر الله لك . بذاتك أو بالملائكة ؛ إنه قادر على أن ينصرك بدرن ملائكة ، ولكنها بشرى لتؤنس المادة البشرية ، فساعة يرى المؤمنون أعداداً كبيرة من المدد ، والكفار كانوا متفوقين عليهم في العدد ، فإن أسباب المؤمنين تطمئن وتثق بالنصر . إذن فالملائكة مجرد بُشرى ، ولكن النصر من عند الله العزيز الذي لا يُغلب ، وكل الأمور تسير بحكمته التي لا تعلوها حكمة أبداً ، يقول الحق من بعد ذلك :



وقطع الطرف يتحدد بمعرفة ما هو طرف لماذا ؟ فإن كان الطرف هو المعدد الكثير فقطع الطرف أن يُقتل بعضه . وإن كان الطرف هو أرضا واسعة فقطع الطرف أن يأخذ من أرضهم . ولذلك يقول الحق سبحانه :

﴿ أَوَلَمْ يَرُواْ أَنَا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَاللَّهُ يَعَكُرُ لَامُعَقِّبٌ لِمُحَكِّمِهِ ۚ وَهُوسَرِيعُ الحِسَابِ ۞ ﴾

(سورة الرعد)

لقد كانت الأرض الكُفّريّة تخسر كل يوم جزءاً منها لينضم هذا الجزء إلى الأرض الإيمائية ، هذا بالنسبة لسعة الأرض ، وافرض أن الطرف هو المال ، فقطع الطرف هنا يكون بأن نأخذ بعض المال كغنائم ، ثم هناك المنزلة التي كانت تهاجها الجزيرة كلها ، كل الجزيرة تهاب قريشاً ، وقوافلها التجارية للشيال والجنوب لا تستطيع قبيلة أن تتعرض لها ؛ لأن كل القبائل تعرف أنها ستذهب إلى البيت في موسم الحج ، فلا توجد قبيلة تتعرض لها لأنها غداً ستذهب إلى قريش ، إذن فالسيادة والعظمة كانت لقريش ، وساعة تعلم القبائل أن رجال قريش قد كسروا وانهزموا ، وأن كانت لقريش أن الشام أصبحت مهددة ، فإنهم يبحثون عن فريق آخر يذهبون إليه .

إن قطع الطوف كان على أشكال متعددة ، فإن كان طوف عدد فيفتل بعضهم ، وإن كان طوف أرض فبعضها يؤخذ وتذهب إلى أرض إيمانية ، وإن كانت عظمة وقهرا تأتهم الهزيمة ، وإن كان نفوذاً في الجزيرة فهو يتزلزل ، ليقطع طرفاً من الذين كفروا » .

ولنلحظ أن الحق قد قال : « ليقطع طرفاً » ـ لم يقل ليستأصل ـ لأن الله سبحاته وتعالى أبقى على يعض الكفار لأن له فى الإيمان دوراً ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ممتلئا بالعطف والرحمة والحنان على أمنه ، وكان يحسن الظن بالله أن يهديهم ، ولذلك تعددت آيات القرآن التي تتحدث فى هذا الأمر . ها هو ذا الحق يقول :

﴿ فَلَعَلَّكَ بَاحِعٌ نَفْسَكَ عَلَى وَالْنِرِهِمْ إِنْ لَرْ يُؤْمِنُواْ بِهَاذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ١ ﴿

وَقُ مُوقِعِ آخِرَ بِالقَرَآنِ الكريم يقول الحَقِ: ﴿ لَكَنَّكُ بَدْخِعُ نَّقْسُكَ أَلَا يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ۞ إِن نَشَأَ نُنْزِلَ عَلَيْهِم أَنِّ ٱلسَّمَاةِ وَابَةً فَظَلَّتُ أَعْنَدُقُهُمْ لَمَا خَرْضِعِينَ ۞ ﴾

(سورة الشعراء)

والله يقول لرسوله صلى الله عليه وسلم : ﴿ فَإِنُّمَا عَلَيْكَ الْبِلاغِ ﴾ والرسول يحب أنَّ يهتدى إلى الإيمان كل فرد في أمنه ، فقال الحق :

﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أُوِّيتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَلِيمُونَ ۞ ﴿ يَعَدِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَلِيمُونَ ۞ ﴾

أى ليس لك يا محمد من الأمر شيء إلا أن يتوب الله عليهم فتفرح بتوبتهم ، أو يعذبهم ، فلا يحزنك ذلك لانهم ظالمون أى ما عليك يا محمد إلا البلاغ فقط . أما هم فقد طلموا أنفسهم بالكفر . والظلم كما نعرف هو أخذ الحق من ذى الحق وإعطاؤه لغيره . وقمة الظلم هو إضفاء صفة الألوهية على غير الله ، وهو الشرك . وتذلك يقول الحق :

﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلَّمُ عَظِيمٌ ﴾

(من الآية ١٦ سورة القيان)

إن الحق يقول لرسوله صلى الله عليه وسلم:

﴿ لَنِسَ لَكَ مِنَ ٱلأَمْرِ شَيَّ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِم أَوْ يُعَلِّيْهُمْ فَإِنَّهُمْ خَلَيْمُونَ ١٠٠٠ ﴿

و مورة أل عمران و

وهذه مسألة لم تخرج عن ملك الله ، لماذا ؟ لأن السهاوات والأرض وما فيهن ملك الله : قبل أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم .. بعد أن خضب المشركون وجهه بالدم وهو يدعوهم إلى ربهم .. أراد عليه الصلاة والسلام أن يدعو عليهم فنهاه الله لعلمه .. سبحانه .. أن فيهم من يؤمن وأنزل قوله تعالى :

مَنْ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَتِ وَمَا فِي الْأَرْضَ يَغْفِرُ لِمَن يَسُلَّهُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَفُورٌ زَّحِيهُ اللَّهُ عَفُورٌ زَّحِيهُ اللَّهُ عَنْ اللَّهُ عَفُورٌ زَّحِيهُ اللَّهُ عَنْ اللَّهُ عَنْ وَرُدُ وَيَعِيدُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَنْ وَرُدُ وَيَعِيدُ اللَّهُ اللَّهُ عَنْ وَرُدُ وَيَعِيدُ اللَّهُ اللَّهُ عَنْ وَرُدُ وَيَعِيدُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَنْ وَرُدُ وَيَعِيدُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَنْ وَرُدُ وَيَعِيدُ اللَّهُ اللَّ

وبما أننا نتحدث عن ملامح في غزوة أحد أريد أن أقول: وجبل أحدٍ رضى الله عنه و الأننا سمعنا بعض العارفين بالله حين تذكر كلمة و أحد و قال: أحد رضى الله عنه عنه و النتا سمعنا بعض العارفين بالله حين تذكر كلمة و أحد و قال: أحد رضى الله عنه و فتعجب القوم لقول الشيخ عبدالله الزيدان الذي قال ذلك و قلها رأى عجبهم قال لهم: ألم يخاطبه رسول الله بقوله: و اثبت أحد فإنما عليك نبى وصديق وشهيدان و الله و ألم يقل فيه رسول الله: و أحد جبل يجبنا وتحيه و (۱) أتريدون أحسن من ذلك في الصحبة ا، قل: أحد رضى الله عنه .

وقلنا مبابقاً: إنك إذا وقف عقلك في حاجة فلا تاخذها بمفايسك أنت ، بل خذها بالمقاييس الأعلى . ونحن نقول هذا الكلام لأن العلم الآن يجرى ويسعى سعباً حثيثا مسرعاً حول استخراج بعض أسرار الله في الكون ، فبين لنا أن الحيوانات لها لغات تتقاهم بها ، ويحاولون الآن أن يضعوا قاموسا للغة الأسهاك . والحق سبحانه وتعالى ذكر لنا حكاية النهلة مع صلبهان عليه السلام ـ فقال :

⁽١) رواه البخاري في قضائل الصحابة، وأبو داود في انسبَّة ورواه أحمد في المستد.

 ^(7) رواه البحاري عن سهل بن سعد ، والترمذي ، والطبران عن أنس وأحمد والطبران والضياء عن سويد بن عامر الأنصاري .

﴿ يَكَأَيْبُ النَّمَلُ ادْخُلُواْ مَسَنَكِنَكُوْ لَا يَعْظِمَنْكُوْ سُلِيْمَنُ وَجُنُودُمُ وَهُمْ لَا يَعْظِمُنْكُوْ سُلِيْمَنُ وَجُنُودُمُ وَهُمْ لَا يَعْظِمُرُونَ ﴾ لَا يَشْعُرُونَ ﴾

(من الآية ١٨ سورة النمل)

هذا القول يدل على أنَّ غلة خرجت وقامت بعمل (وردية) كى تحافظ على من معها ثم عادت لتتكلم مع أبناء فصيلتها ، وسمعها سيدنا سليهان ، فتبسم من قولها . إذن العلم يتسابق ويجد ويُشارع الآن ليثبت أن لكل جنس فى الوجود لغة يتفاهم بها ، وكل جنس فى الوجود له تكائر ، وتلل جنس فى الوجود له تكائر ، ولذلك قال الحق لنا على لسان سيدنا سليهان :

﴿ يَنَأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عَلِيْنَا مَنْطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ مِّيْءٍ إِنَّ هَنْدَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلمُبِينُ ﴾

(من الآبة ١٦ صورةالنمل)

وكانت هذه خصوصية لسيدنا سليهان عليه السلام ، إذن فللطير منطق . وعندما نشامي ونذهب إلى الجهاد نسمع قول الحق سبحانه في آل فرعون وعدم بكاء الجهاد عليهم :

﴿ كُمْ تَرَكُواْ مِن جَنَّنْتِ وَعُيُونِ ﴿ فَيَ وَذُرُوعِ وَمَقَامِ حَمِرِ مِن ﴿ وَنَعْمَةٍ كَانُواْ فِيهَا فَنَكِهِينَ ﴿ كَذَالِكُ وَأَوْرَثَنَنَهَا قَوْمًا ءَانْحِينَ ﴿ فَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ ﴾

﴿ سَوِرِةِ الْدَعَاتِ)

هل تبكى السهاء والأرض؟ إنه أمر عجيب؛ فالجهاد من سهاء وأرض لا تنفاهم فقط ولكن لها عواطف أيضاً ؛ لأن البكاء إنما ينشأ عن انفعال عاطفي وجداني . وهذا يعنى أن الجهادات لا تتكلم فقط ، ولكنها تحس أيضاً . فالأرض تخرج أثقالها ، وتحدث أخبارها ، كيف ؟

﴿ بِأَنَّ رَبِّكَ أُوْحَىٰ لَكَ آيَ

(سورة الزلزلة)

والسماء والأرض أتيا إلى الله في منتهى الطاعة والحشوع :

﴿ ثُمُّ أَسْتَوَىٰ إِلَى ٱلسَّمَاءِ وَمِمَى دُخَانُ فَقَالَ لَمَا وَلِلْأَرْضِ ٱثْنِيَا طَوْعًا أَوْ كُرُهُمُ

عَالَتُنَا أَنْيَنَا طُمَآيِهِ مِنَ ﴿ ﴾

قَالَتَنَا أَنْيَنَا طُمَآيِهِ مِنَ ﴿ ﴾

(سورة فعبلت)

إذن فهناك ما هو أكثر من التفاهم ، إن لها عواطف مثلك تماما ، وكها تحزلك حاجة فالأرض أيضاً تبكى ، ومادامت تبكى إذن فلها مقابل بأن تفرح ، ويقول الله تعلى عن أرض فرعون : • فها بكت عليهم السهاء والأرض ، فلو أنها لم تبك مع بعض الناس ؛ لما كان لهذا الكلام ميزة .

لذلك قال الإمام على - كرم الله وجهه - : إذا مات المؤمن بكى عليه موضعان : موضع مصلاه ؛ لأنه سيحرم من نعمة الإنجان ، ومصعد عمله ، موضع في الأرض وموضع في السياء . إذن فلابد أن نقهم أن لكل شيء شعوراً . وقال صلى الله عليه . وسلم : « إذا مات المؤمن استبشرت له بقاع الأرض فليس من بقعة إلا وهي تتمنى أن يدفن فيها عالاً)

لماذا نقول هذا الكلام الآن؟ نقول ذلك حتى إذا ثبت بالعلم أن لكل شيء لغة ، ولكل شيء في أجناس الكون تقاهما ، يقال إن فيه ناساً هبت عليهم نسبات الإيمان فأدركوها وأحسوها من القرآن ، فلا يرسى أحد أنه ابتكر من ذات نفسه لأنها في القرآن وإن كنا لا نعرف كيف تأتي .

 ⁽١) دواه الديلمي عن ابن عمر رض الله عنهي ، وتكمئة الحديث : ١ وإذا مات الكافر أظلمت الأرض قليس
 من بقمة إلا رهي تستميذ بالله أن يدفن فيها ١ .

وهذه المعركة معركة أحد التي أخذت ستين آية ، نجد أن الحق تكلم عنها هنا فقال : و وإذ عدوت من أهلك » وه إذ همت طائفتان » ، وقوله : « ولقد نصركم الله بهدر وأنتم أذلة » ، وبعد ذلك يترك الغزوة في حرارتها ويأتينا بأشياء يضعها هنا ، ثم يأتي ليكمل الغزوة . لو أن هذه لفطة من الغزوة وتنتهي ثم يأتي موضوع آخر ، لما شغلنا أنفنا ، إنما الغزوة ستأتي فيها ستون آية ، فكيف ينهي الكلام في الغزوة ولا يعطينا إلا استهلال الغزوة ، وبعد ذلك ينصب القرآن على معاني بعبدة عن الغزوة ؟ فيا الذي يجعله مسجانه مي يترك أمر الغزوة ليقول :

﴿ يَمَا أَبُ اللّٰهِ اللّٰهِ اللّٰهُ اللّٰلِمُ الللّٰهُ اللّٰهُ اللّٰهُ اللّٰهُ اللّٰهُ اللّٰهُ الللّٰهُ اللّٰهُ اللّٰهُ اللّٰهُ اللّٰهُ اللّٰهُ اللّٰهُ الللّٰمُ اللّٰمُ الل

﴿ سورة آل عمران ﴾

لماذا لم يعطنا الحق إلا استهلال الغزوة وبعد ذلك انصب على قضايا أولها قضية الرباء ما العلاقة بين هذه القضايا وتلك الغزوة ؟ . وأقول : رحم الله صاحب

الظلال الوارفة الشبخ سيد قطب فقد استطاع أن يستخلص من هذه النقلة مبادىء إبمائية عقدية لو أن المسلمين في جميع بقاع الأرض جعلوها نصب أعينهم لما كأن لأى دولة من دول الكفر غلب علينا.

ونريد أن تفهم هذه اللقطات ، ولماذا استهلت بمسألة الربا ؟ لأن الذي كان سبباً في الهزيمة أو عدم النصر في معركة أخد أنهم طمعوا في الغنيمة . والغنيمة مال زائد ، والربا فيه طمع في مآل زائد .

والقرآن حين يعالج هنا قضية حدثية ، والأحداث أغيار تمر وتنتهى ، فهو سبحانه يريد أن يستبقى عطاء الحدث ليشبع فى غير زمان الحدث ، وإلا فالحدث قد يمر بعظاته وعبره وينتهى ولا تكون له فائدة . والنفس حين تمر بالأحداث تكون ملكاتها متفتحة ؟ لأن الحدث - كها قال المغفور له الشيخ سيد قطب - يكون ساخناً ، فحين يستغل القرآن الحدث قبل أن يبرد فإن القضية التى تتعرض لها الموعظة تتمكن من النفس البشرية . وهو سبحانه لم يرد أن تمر أحداث أحد بما فيها من العبر والعظات النفس البشرية . فهو سبحانه لم يرد أن تمر أحداث أحد بما فيها من العبر والعظات الحروب وغيرها لتنتظم أيضاً وقت السلام . فأية الربا هنا كأنما سقطت وسط النصوص التى تتعرض لغزوة أحد .

والسطحيون قد يقولون : ما الذي جعل القرآن ينتقل من الكلام عن أحّد إلى أن يتكلم في الربا مرة ثانية بعد أن تكلم عنه أولاً ؟

ونقول: إن القرآن لا يؤرخ الأحداث، وإنما يُريد أن يستغلى أحداناً ليبسط ويوضح ما فيها من المعانى التي تجعل الحدث له عرض وله طول وله عمق ؛ لأن كل حدث في الكون يأخذ من الزمن قدر الحدث ، والحدث له طول هو قدر من الزمن ، يكون ساعة أو ساعتين أو ليلة مثلا ، هذا هو طول الحدث .

والأحداث التي يجربها الله لها طول يجدده عمر الحدث الزمني ، ولها عرض يعطيها الاتساع ، فبعد أن كانت خطأ مستقيهاً صارت مساحة ، ويجعلها الحق شاملة لأشياء كثيرة ، فهو لا يربد للحدث أن يسير كخط مستقيم ، بل يربده طريقا واسعاً له



مساحة وله عرض . هذا العرض يعطيه رقعة مساحية تأخذ كثيراً من الأشياء ، وهذا أيضا قد ينتهى مع الحدث ، ولذلك يربد الله أن يعطى للحدث بعداً ثالثاً وهو العمق في الناريخ فيعطى عطاءه ، كها نستفيد نحن الآن من عطاء حدث هو غزوة أحد .

إذن فالحدث له حجم أيضاً ، وهذا ما يجعل الناس تقف لتقول : إن صلة الرحم تعلى الخمر ، والعمر له حد زمني محدد وهو الخط المستقيم له ، فهناك واحد يزيد من عرض عمره ، فبدلاً من أن ينقع الناس في مجال صغير فهو يعمل وينقع في مجال أوسع ، إذن فهو يعطى لحمره مساحة .

وهناك إنسان آخر بريد أن يكون أقوى فى العمر ، فياذا يعمل ؟ إنه يعطى لعمره عمقاً ، فبدلاً من أن يعمل لمجرد حباته وينتهى عمره مهيا كانت رقعته واسعة ، فهو يزيد من عمله الصالح ويترك أثراً من علم أو خبر يستمر من بعد حباته كيا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ٤ إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة : صدقة جارية أر علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له ١٧٥٤.

وللذلك يقول الحق :

﴿ أَلَمْ ثَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَنْلَا كَلِيهُ طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتُ وَقَرْعُهَا فِي السَّمَآءِ ١٤ تُؤْنِيَ أَكُلَهَا كُلَّ حِينِ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۖ وَيَضْرِبُ اللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَهُمْ بَنَذَ كُرُونَ ١٤٤٠

﴿ سورة إبراهيم ﴾

هي كلمة طيبة قيلت ، لكنّها مثل الشجرة الطبية ؛ لأنها ترسخ في أذن من يسمعها فتصير حركة خاضعة للكلمة ، وكلها فعل السامع لهذه الكلمة فعلاً تأتجاً من تأثير هذه الكلمة فإن بعض الثواب يعود إلى من قال هذه الكلمة حتى ولو كان قد مات .

⁽١) رواه أبو دارد والترمذي والنسائي والبخاري في الأدب المفرد.

فكأن قائل هذه الكلمة مازال يعيش ، وكأن عمره قد طال بكلمته الطية . إذن فأعيال الخبر التي تحدث من الإنسان ليس معناها أنها تطيل العمر ؛ لأن العمر محدود بأجل ، ولكنّ هناك إنسان يعطى عمره عرضاً ، وآخر يعطيه عمقاً ويظل العطاء منه موصولاً إلى أن تقوم الساعة ، فكأنه أعطى لنفسه عمراً خائداً . ويقولون : والذكر للإنسان عمر ثان .

والحق سبحانه وتعالى يوضح الدروس المستفادة من غزوة أحد ، إن أول مخالفة كانت سبباً لبس فى الهزيمة ، ولكن دعنا نقل : « فى عدم إتمام النصر » لانهم بدأوا منتصرين ، ولم يتم النصر لانه قد حدثت مخالفة ، ودوافع هذه المخالفة أنهم ساعة رأوا المعناشم ، اندفعوا إليها ، إذن فدوافعها هى طلب المال من غير وجه مشروع ؛ لان النبى قال لهم : (انضحوا عنا الخيل ولا نؤتين من قبلكم ، الزموا أماكنكم إن كانت المنوبة لنا أو علينا ، وإن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم) وبهذا صارت مبارحة المكان أمراً غير مشروع ، فتطلع النفس إلى شيء فى غير ما أمر به رسول الله مبارحة المكان أمراً غير مشروع والنطلع هنا كان المهال ، وهكذا الربا .

وأراد الحق أن تكون سخونة الحدث ، والأثر الذي نشأ من الحدث في أن المسلمين لم يتم نصرهم ، وتعبوا ، وكان مصدر التعب أن قليلًا منهم أحبوا المال الزائد من غير وجهه المشروع ، فأراد مسبحانه أن يكون ذلك مدخلا لبيان الأثر السبيء للتعامل بالربا .

إذن فهذه مناسبة في أننا نجد آية الربا هنا وهي توضح الآثار السبئة للطمع في المال الزائد عن طريق غير مشروع ، والفرآن فيه الكثير من المواقف التي توضح آثاراً تبدو في ظاهرها غير مترابطة ، ولكن النظرة العميقة تؤكد الترابط .

وقلنا من قبل في قول الله تعالى :

﴿ صَنفَظُواْ عَلَى الصَّلَوْتِ وَالصَّلَوْقِ الْوُسْطَى وَقُومُواْ فِيْهِ قَنْيَتِينَ ﴿ فَإِنْ خِفْتُمُ الْمُ مَنفُونَ ﴿ وَالصَّلَوْ الْمُسْتَمُ مَا لَرْ تَسْتُونُواْ تَعَلَّمُونَ ﴾ فَرِيبَالًا أَوْرُبُكُانًا فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُواْ اللّهُ كَا عَلْمُكُمْ مَا لَرْ تَسْتُونُواْ تَعَلَّمُونَ ﴾ فَرَيْبَالًا أَوْرُبُكُانًا فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُواْ اللّهُ كَا عَلْمُكُمْ مَا لَرْ تَسْتُونُواْ تَعَلَّمُونَ ﴾ في المُنافِق المُنافِق المُنافق الله المُنافق المُناف

قد يقول أحد السطحيين : إن الحق سبحانه وتعالى كان يتكلم عن الطلاق قبل هاتين الآيتين فقال سبحانه :

﴿ وَإِن طَلَّقَتْمُوهُنَّ مِن قَبْلِ لَن تَمَنَّوْهُنَّ رَقَدُ فَرَضَتُمْ لَمُنَ فَرِيضَةٌ فَيْضَفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَا أَن يَعْفُونَ أَوْ يَغْفُوا اللَّذِي بِيدِهِ، عُقْدَةُ النِّكَاجِ ۗ وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ اللَّقَوَىٰ وَلَا تَنْسُواْ الْفَصْلَ بَيْنَكُمُ ۚ إِنَّ اللَّهُ مِنَا تَعْمَلُونَ يَصِيرُ ۞ ﴾

﴿ سررة البقرة ﴾

ويترك الحق الحديث عن الطلاق ويأمر بالحفاظ على الصلاة بقوله الحكيم : « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين » .

وبعد ذلك يعود الحق لاستكهال حديث الطلاق والفراق بالموت .

﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفُّونَ مِنكُرٌ وَيَذَرُّونَ أَزْوَاجًا وَمِئَّةً لِأَزْوَاجِهِم مُتَنَّا إِلَى الْخَنُولِ غَيْرَ إِنْوَاجٍ قَالِنْ تَتَرَجْنَ فَلَا جُنَّاحٌ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلَنَ فِي أَنفُسِينَ مِن مُعُرُونِ فَيَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۞ ﴾

﴿ سورة البقرة ﴾

إنه يتكلم عن الطلاق ، والوفاة ، ثم ينزل بينها آية الصلاة ، لماذا ؟ ليتضح لنا أن المنهج الإسلامي منهج متكامل . إياك أن تقول : إن الطلاق غير الصلاة ، غير الوفاة ، أبداً ، إنه منهج متكامل . ولانه مسبحانه وتعالى يريد أن ينبهنا إلى أن لطلاق عملية نأن والنفس فيها غضب ، وتأن والزوج والزوجة وأهل الزوج وأهل لزوجة في كدر ، فيقول لهم المنهج : لوكنتم تحسنون الفهم لفزعتم إلى الصلاة حين نواجهكم هذه الأمور التي فيها كدر .

وساعة تكون في كدر قم رئوضاً وصْلُّ ، لأن النبي علمنا أنه إذا خَزْبَه أمر قام

إلى الصلاة ، فساعة تحد الجو المشجون بالتوتر بين الزوج والزوجة وأهلها قل لهم : المسألة صارت أكبر من حيلنا ، فهيا نصل ليساعدنا الله على حل هذه المسائل الصعبة ، وأنا أتحدى ألا يوجد الله حلاً لمشكلة لجا فيها المسلم إلى الصلاة قبلها .

وهكذا نفهم أن الحق قال : « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى » لأن عافظتكم عليها هى التى ستنهى كل الحلاقات ؛ لأن الله لا يكون فى بالكم ساعة ضيقكم وفى ساعة شدتكم فتستسلمون للضيق والشدة ونتسون الصلاة ، فى الوقت الذي يكون فيه الإنسان أحوج ما يكون إلى الصلاة ، إنك فى وقت الضيق والشدة عنيك أن نذهب إلى ربك ، وأقول هذا المثل ـ ولله المثل الأعلى ـ إن الولد الذي يضربه أصحابه يذهب إلى أبيه ، كذلك زوجتك إذا أغضبتها تذهب إلى أهلها ، فكيف لا نذهب إلى ربك وقت شدتك وكربك ؟.

وهكذا نجد أن قوله الحق : « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى » جاء فى المكان الصحيح ، وهكذا آية الربا ، جاءت فى مكانها هنا وخصوصاً أنه تكلم عن الربا أولاً ، فتاق الحادثة وسخونة الحدث وينزل هذا القول الكريم . كى يعرف كل من بريد مالاً زائداً على غير ما شرع الله أنّه سيأتى منه البلاء على نفسه وعلى غيره ، فالبلاء فى أحد شمل الجميع : الرماة وغير الرماة أيضا .

إذْن فكل الدنيا تتعب عندما تخالف منهج الله ، والمال الزائد من غير ما شرع الله إن لم يترك فقد اذن الله من يأكله بجرب من الله ومن رسول الله .

﴿ يَتَأَيُّهُا ٱلَّذِيكَ مَامَنُوا لَا تَأْجُلُوا ٱلرِّبَوَّا أَضْعَنفًا مُّضَكَعَفَةً وَاتَّفُوا آللَهَ لَعَلَكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿ يَهِ اللَّهِ لَعَلَكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿ يَهِ اللَّهِ اللّ

والربا زيادة في المال ، فهل يؤكل ؟ نعم ؛ لأن كل المسائل المائية من أجل اللقمة

الَّتَى تَأْكُلُهَا ، هَذَا هُو الأصل ، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « من أصبح منكم أمنا في سِرْبِهِ مُغَافِي في جسده عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا ه(١٠) .

وتعرف أنه عندما يكون الواحد منا في منطقة ليس قيها رغيف خبز ، فلن تنفعه ملكية جبل من الذهب . و لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة » وقوله سبحانه : و أضعافا » وو مضاعفة » هو كلام اقتصادي على أحدث نظام ، فالأضعاف هي : الشيء الزائد بحبث إذا قارنته بالأصل صار الأصل ضعيفاً ، فعندما يكون أصل المأل مائة _ على سبيل المثال _ وسيؤخذ عليها عشرون بالمائة كفائدة فيصبح المجموع مائة وعشرين . إذن فالمئة والعشرون تجعل المائة ضعيفة ، هذا هو معني أضعاف .

فهاذا عن معنى و مضاعفة و ؟ إننا سنجد أن المائة والعشرين ستصبح رأس مال جديداً و وعندما تمر سنة ستأخذ فائدة على المائة وعلى العشرين أيضاً و إذن فالأضعاف ضوعفت أيضاً وهذا ما يسمى بالربح المركب وهل معنى هذا أننا نأكله بغير أضعاف مضاعفة ؟ الا و لأن الواقع في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان هكذا .

وقد يقول لك واحد , أنا أفهم القرآن وأن المنهى هو الأضعاف المضاعفة ، فإذا لم تكن أضعافاً مضاعفة فهل يصح أن تأخذ ربحاً بسيطاً يتمثل في نسبة فائدة على أصل المال فقط ؟ . ولكن مثل هذا الفائل نرده إلى قول الله :

(من الآيه ٢٧٩ سورة البقرة)

إن هذا القول الحكيم يوضح أن التوبة تقتضى أن يعود الإنسان إلى حدود رأس ماله ولا يشوب ذلك ربح بسيط أو مركب . وعندما نجد كلمة و أضعافا مضاعفة ، فهى قد جاءت فقط لبيان الواقع الذي كان سائداً في أيامها .

وبعد ذلك يقول الحق تذبيلًا للآية : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهِ لَمَلَّكُمْ تَفْلُحُونَ ﴿ وَنُقُولُ وَاثْمُأ

⁽١) رواد البخاري في الأدب، والمترمذي وامن عاسه هن صداعة بن محمس

ماعة نرى كلمة ، انقوا ، يعنى اجعلوا بينكم وبين الله وقاية ، وهلي تكون الوقاية بينكم وبين الله بكل صفات جمله وجلاله ؟ لا ، فالوقاية تكون بما يتعب ومما يؤلم ويؤذى ، إذن فاتقوا الله يعنى : اجعلوا بينكم وبين صفات جلاله من جبروت وقهر وانتقام وقاية ، وعندما يقول الحق : « واتقوا النار » فهى مثل قوله : « واتقوا الله » ، لأن النار جند من جنود صفات الجلال .

وعندما بقول الحق: « لعلكم تفلحون » نعرف أن كلمة « القلاح » هذه تأتى لترغيب المؤمن في هنهج الله ، وقد جاء الحق بها من الشيء المحس الذي نواه في كل وقت ، ونراه لأنه متعلق بيقاء حياتنا ، وهو الزرع والفلاحة ، أنت تحرث وتبذر وتروى ، وبعد ذلك تحصد .

إذن فهو بريد أن يوضح لك أن المتاعب التي في الحرث ، والمتاعب التي في البذر ، والمتاعب التي في البذر ، والمتاعب التي في السقى كلها متى نرى نتيجنها ؟ أنت نرى النتيجة ساعة الحصاد ، فالفلاح يأخذ (كيلتين) من القمح من غزنه كي يزرع ربع فدان ، ولا نقول له : أنت أنفصت المخزن ؟ لأنه أنقص المخزن للزيادة ، ولذلك فالذي لم ينقص من غزنه ولم يزرع ، يأن يوم الحصاد يضع يده على خده نادماً ولا ينفع الندم حيثذ !

إن الحق يويد أن يقول لنا : إن المنهج وإن أتعبك ، وإن أخذ من حركتك شيئاً كثيراً إلا أنه سيعود عليك بالحير حسب نيتك وإقبالك على العمل ، ولقد ضرب لنا الله المثل في قوله :

﴿ كَنَالٍ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِّالَةً حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنَ بَشَآهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾

(الآية ٢٦١ سورة البغرة)

هذا أمر واضح ، حبة نأخذها منك فتنقص ما عندك ، لكنها تعطيك سبعهائة ، إذن فساعة تؤخذ منك الحبة لا تقل : إنك تقصت ، إنما قَدِّرْ أنك سنزيد قدر كذا , ويعطينا الله ذلك المثل في خلق من خلقه وهو الأرض ، الأرض الصهاء ، أنت تعطيها حبة فتعطيك سبعهائة . فإذا كان خلق من خلق الله وهو الأرض يعطيك أضعاف أضعاف ما أعطيت . أفلا يعطيك ربّ هذه الأرض أضعافاً مضاعفة ؟ إنه قادر على أجزل العطاء ، هذا هو الفلاح على حقيقته ، وبعد ذلك فإنه ساعة يتكلم عن الفلاح يقول لك : إنك لن تأخذ الفلاح فقط ولكنك تتقى النار أيضاً .

فيقول الحق سبحانه :

﴿ وَاتَّفَوا ٱلنَّارَ ٱلَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَفِرِينَ ﴿ وَاتَّفُوا ٱلنَّارَ ٱلَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَفِرِينَ ﴿ ﴿

إذن ففيه مسألتان : سلبُ لمضرَّة ، وإيجابُ منهمة ، إنه يوجب لك منفعة الفلاح ويسلب منك مضرَّة النار . ولذلك يقول تعالى :

﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأَدْخِلَ ٱلِخَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾

(من الأبة ١٨٥ سورة ال عمران }

لأنه إذا زُحرَح عن النار ولم يعد في مار ولا في جنه فهذا حسن ، فيا بالك إذا رُحرَح عن النار وأدخل الجنة ؟ إن هذا هو الفوز الكبير ، وهذا السبب في أن ربنا سبحانه وتعالى ساعة السير على الصراط سيرينا النار ونمزُ عليها ، لماذا ؟ كي نعرف كيف نجانا الإيجان من هذه ، وما الوسيلة كي نفلح ونتقى النار ؟ إن الوسيلة هي اتباع منهج الله الذي جاء يه على لسان رسوله :

﴿ وَٱطِيعُوااللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ أَرْحَمُونَ ۞ ﴾

وه الرحمة » تتجلى في ألا يوقعك في المتعبة ، أما الشفاء فهر أن تقع في المتعبة ثم تزول عنك ، لذلك فنحن إذا ما أتخذنا المنهج من البدء فسناخذ الرحمة .

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْءَانِ مَالْعُوشِفَاةُ وَرَحْمَةً ﴾

(من الآيه ٨٤ سورة الإسراء)

إنَّ الشَّفاء هو إزالة للذَّتِ الذِّي تُورطنا فيه ويكونَ القرآنَ علاجاً ، والرحمة تتجلُّ إذا ما أخذنا المنهج في البداية فلا تأتي لنا أبة مناعب . ويقول الحق من بعد ذلك :

﴿ وَسَادِعُوا إِلَى مَعْفِرُ وَمِن زَّبِكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَوَتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿ ثَالَا السَّمَانَ الْمَائِقَةِ عِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿ الْمُتَّقِينَ اللهُ الْمُتَّقِينَ اللهُ الْمُتَّقِينَ اللهُ اللّم

والسرعة كما عرفنا مقابلها العجلة ، إن السرعة هي : النقدم فيها ينبغي ، ومعنى أن تتقدم فيها ينبغي : أنك تجعل الحدث يأخذ زمناً أقل ، والمثال على ذلك عندما يسرع الإنسان بسيارته من القاهرة إلى الإسكندرية فهو يجاول أن يقطع المائتين والعشرة كيلو مترات في زمن أقل ، فبدلاً من أن تأخذ منه ثلاث ساعات في السيارة فهو يسرع كي تأخذ منه ساعتين . إذن فالسرعة هي : التقدم فيها ينبغي ، وهي عمودة ، والإبطاء مذموم .

لكن و العجلة ، تقدم فيها لا ينبغى ، وهى مذمومة ، مقابلها و التأنى ، والثان عدوح ، إذن فالسرعة محمودة ، ومقابلها الإبطاء مذموم ، والعجلة مذمومة ، ومقابلها التأنى ممدوح ، والمثل الشعبى يقول : في التأنى السلامة وفي العجلة الندامة .

إن الحق يقول : و وسارعوا إلى مغفرة من ربكم ، أى : خذوا المغفرة وخذوا الجنة سرعة ، لأنك لا تعرف كم ستبقى في الدنيا ، إباك أن تؤجل عملًا من أعمال الدين أو عملا من أعمال الحير ؛ لأنك لا تعرف أتبقى له أم لا . فانتهز فرصة حياتك وخذ المغفرة وخذ الجنة ، هذا هو المعتى الذي يأتى فيه الأثر الشائع ، اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لاخرتك كأنك تموت غداً ، .

الناس تفهمها فهماً يؤدى مطلوباتهم النفسية بمعنى : اعمل لدنياك كانك تعيش أبداً : يعنى اجمع الكثير من الدنيا كى يُكفيك حتى يوم القيامة ، وليس هذا فهماً صحيحاً لكن الصحيح هو أن ما فاتك من أمر الدنيا اليوم فاعتبر أنك ستعيش طويلاً وتاخذه غذاً ، إمّا أمر الاخرة فعليك أن تعجل به .

الرساحات له الحرق من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض و ونحن نعرف أن المساحات له الحول وعرض الذي طوله كعرضه يكون مربعاً ، إنما الذي عرضه المساحات له الحولة فنحن نسميه و مستطيلا و ، وحين يقول الحق و عرضها السموات والأرض و نعرف أن العرض هو أقل البعدين ، أي أنها أوسع مما نراه ، فكانه شبه البعد الأقل في الجنة بأوسع البعد لما نعرفه وهو السموات والأرض ملتصفة مع بعضها بعضا فأعطانا أوسع ثما نراه ، فإذا كان عرضها أوسع ثما نعرف في طولها ؟ أنه حد لا نعرف نحن .

قد يقول قائل لماذا بين عرضها فقال : (عرصها السموات والأرض) . فأين طولها إذن؟ ونقول : وهل السموات والأرض هي الكون فقط؟ إنّه سبحانه يقول :

﴿ وَسِعَ كُرْسِيهُ السَّدُولِ وَالأَرْضَ ﴾

(من الآية دولا سورة البقرة)

ويقول صلى الله عليه وسلم . (ما السموات والأرض وما بينها إلا كحلقة ألقاها ملك في فلاة) . ألبست هذه من ملك الله ؟

وهكذا نرى أن هذه الجمة قد أعدت للمنقين ، ومعنى «أعدت » أي هيئت وصُّنعت وانتهت المسألة ! يؤكد ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول :

(عرضت على الجنة ولو شئت أن أتيكم بقطاف منها لفعلت)^(١).

لماذا؟ لأن الإخبار بالحدث قد يعنى أن الحدث غير موجود وسيوجد من بعد ذلك ، ولكن الوجود للحدث بنفى أن لا يوجد ؛ لأن وجوده صار واقعا ، فعندما بقول ؛ « أعدت ، فمعناها أمر قد النهى الحق من إعداده ، ولن يأخذ من خامات الدنيا وينتظر إلى أن ترتقى الدنيا عندكم وياخذ وسائل وموادّ بما ارتقيتم ليعد بها الجنة ، لا .

لقد أخبر سبحانه عنها فقال: وفيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ه ، وأعد سبحانه الجنة كلها بد « كن » ، فعندما يقول : « أعدت » تكون مسألة مفروغاً منها إذن فالمصير إليها أو إلى مقابلها مفروغ منه ، والجنة أعدت للمتقين ، فمن هم المتقون ؟

حَيْثِهِ اللَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّآءِ وَالضَّرَّآءِ وَالصَّخَطِمِينَ الْعَيْظُ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُ الْعَيْظُ وَالْعَافِينَ شَ حَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُ الْمُحْسِنِينَ شَ حَيْثَ

هذه بعض من صفات المتقين و والكاظمين الغيظ و لأن المعركة معركة أحد م ستعطينا هذه الصورة أيضاً . فحمزة وهن سيد الشهداء وعم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يُقتل . وليته يُقتل فقط ولكنه مُثُل به ، وأخذ بضع منه وهو الكبد فلاكته وهند و هذا أمر أكثر من النتل . وهذه معناها ضغن دن. .

وحينها جاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم خبر مقتل حمزة وقالوا له : إن و هنداً ،

⁽¹⁾ رواء البخاري في الأذان .. وابن ماجه في الإقامة ورواء أهمد في تسند

أخذت كبده ومضعتها ثم لفظتها ، إذ جعلها الله عَصِيَّة عليها ، قال : ه ما كان الله ليعذب بعضاً من حمزة في النار ، كأنها ستذهب إلى النار ، ولو أكلتها لتمثلت في جسمها خلايا ، وغندما تدخل النار فكأن بعضاً من حمزة دخل النار ، فلابد أن ربها يجعل نفسها تجيش وتتهيأ للقيء وتلفظ تلك البضعة التي لاكتها من كبد سيد الشهداء .

وقد شبه النبى صلى الله عليه وسلم هذه الحادثة بأنها أفظع ما لقى : إنها مقتل حمزة فقال : (لئن أظفرت الله على قريش فى موطن من المواطن لأمثلن بثلاثين رجلا منهم) .

وهنا جاء كظم الغيظ ليأخذ ذروة الحدث وقمته عند رسول الله في واحد من أحب البشر إليه وفي أكبر حادث أغضبه ، وينزل قول الحق :

كى تعرف أن ربنا _ جل جلاله _ لا ينفعل لأحد ؛ لأن الانفعال من الأغبار ، وهذا رسوله فأنزل _ سبحانه _ عليه : « وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به « ويأتي هنا الأمر بكظم الغيظ ، وهو سبحانه يأتي بهذا الأمر في مسألة تخص الرسول وفي حدث « أحد » . وبعد ذلك يُشيعها قضية عامة لتكون في السلم كها كانت في الحرب . وتكون مع الناس دون رسول الله ؛ لأنها كانت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

و والكاظمين الغيظ و وتعرف أن كل الأمور المعنوية مأخوذة من الحسّبات . وأصل الكظم أن تملأ القِرْبة ، والقِرْب -كيا نعرف - كان بجملها والسقا في الماضي ، وكانت وعاء نقل الماء عند العرب ، وهي من جلد مدبوغ ، فإذا مُلئت القربة بالماء شد على رأسها أي ربط رئسها ربطاً محكاً بحيث لا يخرج شيء تمّا فيها ، ويقال عن هذا الفعل : كظم القربة و أي ملأها وربطها ، و القربة لينة وعندما توضع على ظهر واحد أو على ظهر الدابة قمن ليونتها تخرج الماء فتكظم وتربط بإحكام كي لا يخرج منها شيء .

كذلك الغيظ يفعل في النفس البشرية ، إنه يهيجها ، والله لا يمنع الهياج في النفس لأنه انفعال طبيعي ، والانفعالات الطبيعية لو لم يردها الله لمنع أسبابها في التكوين الإنسان . إنما هو يريدها لأشياء مثلا : الغريزة الجنسية ، هو يريدها لبقاء النوع ، ويضع من التشريع ما يهذب فقط ، وكذلك انفعال الغيظ ، إن الإسلام لا يريد من المؤمن أن يُصَب في قالب من حديد لا عواطف له ، لا ، هو سبحانه يريد للمؤمن أن ينفعل للاحداث أيضاً ، لكن الانفعال المناسب للحدث ، الانفعال السامي الانفعال المنمر ، ولا يأتي بالانفعال المدمر .

لذلك يقول الحق :

عَلَىٰ الْمُعَلَّدُ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَاللَّذِينَ مَعَهُ وَالْمِثَالَةُ عَلَى ٱلْكُفَارِ رُحْمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرْعَهُمْ رُكُمًا مُجْمَدُا يَبْنَعُونَ فَضَلًا مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَانَا ﴾

(من الآية ٢٩ سورة الفتح)

فالمؤمن ليس مطبوعاً على الشدة ، ولا على الرحمة ، ولكن الموقف هو الذي يصنع عواطف الإنسان ، فالحق صبحانه يقول :

﴿ أَذِلَةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزْةٍ عَلَى ٱلْكَتْضِرِينَ ﴾

(من الآية £ء سورة المائدة)

وهل هناك من هو ذليلٌ عزيزٌ مماً ؟ نقول : المنهج الإيمان يجعل المؤمن هكذا ، ذلة على اخيه المؤمن وعزة على الكافر . إذن فالإسلام لا يصب المؤمنين في قالب كى لا ينفعلوا في الأحداث .

ومثال آخر : ألم ينفعل الرسول صلى الله عليه وسلم حين مات ابنه إبراهيم ؟ لقد انفعل وبكى وحزن . إن الله لا يريد المؤمن من حجر . بل هو بربد المؤمن أن ينفعل للأحداث ولكن يجعل الانفعال على قدر الحدث ، ولذلك قال سيدنا رسول الله عند فراق ابنه : (إن العين تدمع وإن الفلب يجزن ولا نقول إلا مايرضى ربنا وإنا بفراقك

با إبراهيم لمحزونون (١١).

ولا نقول لحظة الانفعال ما يسخط الرب . بل انفعال موجّه ، والغيط بحتاج إليه المؤمن حينها يهيج دفاعاً عن منهج الله ، ولكن على المؤمن أن يكظمه . . أى لا يجعل الانفعال غالبا على حسن السلوك والتدبير . والكظم ـ كها قلنا ـ مأخوذ من أمر بحس . مثال ذلك : نحن نعوف أن الإبل أو العجهاوات التي لها معدتان ، واحدة يُخترن فيها الطعام ، وأخرى يتغذى منها مباشرة كالجمل مثلاً ، إنه يجتر .

ومعنى ؛ يجتر الجمل أى يسترجع الطعام من المعدة الإضافية ويمضغه ، هذا هو الاجترار . فإذا امتنع الجمل عن الاجترار يقال : إن الجمل قد كظم . والحق سبحانه يقول : « والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس » .

وقلنا : إن هناك فرقاً بين الانفعال في ذاته ، فقد يبقى في النفس وتكظمه ، ومعنى كظم الانفعال : أن الإنسان يستطيع أن يخرجه إلى حيز النزوع الانفعالي ، ولكنّه يكبح جماح هذا الانفعال . أما العفو فهو أن تخرج الغيظ من قلبك ، وكأن الأمر لم يحدث ، وهذه هي مرتبة ثانية . أما المرتبة الثالثة فهي : أن تنفعل انفعالاً مقابلاً ؛ أي أنك لا تقف عند هذا الحد فحسب ، بل إنك تستبدل بالإساءة الإحسان إلى من أساء إليك . إذن فهناك ثلاث مراحل : الأولى : كظم الغيظ . والثانية : العفو . والثالثة : أن يتجاوز الإنسان الكظم والعفو بأن يحسن إلى المسيء إليه .

وهذا هو الارتفاء في مراتب اليفين ؛ لانك إن لم تكظم غيظك وتنفعل ، فالمفابل لك أيضاً لن يستطيع أن يضبط انفعاله بحيث يساوي انفعالك ، ويمتليء تجاهك بالحدة والغضب ، وقد يظل الغيظ نامياً وربما ورّث أجيالا من أبناء وأحفاد . لكن إذا ما كظمت الغيظ ، فقد يخجل الذي أمامك من نفسه وتنتهى المسألة .

والعافين عن الناس ، مأخوذة من ، عفّى على الأثر ، والأثر ما يتركه سير الناس

⁽١) رواه البخاري في الجنائز، ومسلم في الفضائل، وابن عاجه في الجنائز ورواء أحمد في السند

في الصحراء مثلاً ، ثم تأتي الربح لتمجو هذا الأثر , ويقول الحق في تذبيل الآية : « والله بجب المحسنين ۽ .

وقلنا فى فلسفة ذلك : إننا جميعاً صنعة الله ، والحلق كلهم عيال الله . وما دمنا كلنا عيال الله فعندما يُسىء واحد لآخر فالله يقف فى صف الذى أسىء إليه ، ويعطيه من رحمته ومن عفوه ومن حناته أشياء كثيرة . وهكذا يكون المُسّاء إليه قد كسب . أليس من واجب المُسَاء إليه أن يُحسِن للمسيء ؟.

لكن العقل البشرى يفقد ذكاءه في مواقف الغضب ؛ فالذي يسيء إلى إنسان يحسبه عدوًا . لكن على الواحد منا أن يفهم أن الذي يسيء إليك إنما يجعل الله في جانبك ؛ فالذي نالك من إبذاته هو أكثر مما سلبك هذا الإيذاء . هنا يجب أن تكون حسن الإيمان وتعطى المسيء إليك حسنة .

ويضيف الحق من بعد ذلك في صفات أهل الجنة :

مَنْ ﴿ وَاللَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَنْحِشَةً اَوْظَلَمُواْ اللَّهُ وَاللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا يَعْفِرُ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ فَي اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ فَي اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ فَي اللَّهُ وَلَمْ يَصِرُوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ فَي اللَّهُ وَلَمْ اللَّهُ وَلَيْ اللَّهُ وَلَمْ يَصِرُوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ فَي اللَّهُ وَلَكُمْ اللَّهُ وَلَهُمْ يَعْلَمُونَ فَي اللَّهُ وَلَهُمْ يَعْلَمُونَ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ فَالْمُونَا وَهُمْ اللَّهُ اللَّالَةُ اللَّهُ الْمُؤْلَّا اللَّهُ اللَّلَّا الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الل

والفاحشة هي الذنب الفظيم . فهل معنى ذلك أن الرماة في غزوة أحد حين تركوا مواقعهم ، قد خرجوا من الإيمان؟ لا ، إنها زلة فقط ، لكنها اعتبرت كبيرة من الكبائر لمن أشار على المؤمنين أن ينزلوا ، واعتبرت صغيرة لمن حُرَّض - بالبناء للمفعول -على أن ينزل من موقعه . إذن فهو قول مناسب، : * والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله ع وجاء الحق هنا ـ * ذكروا الله * كتنبيه لنا إلى أن من يفعل الفاحشة أو يظلم نفسه هو من نسى الله ، فلحظة فعل الفاحشة أو ظلم النفس لا يكون الله على بال الإنسان الفاعل للفاحشة أو على بال من ظلم نفسه ، والذي يُجرِّي، الإنسان على المعصبة ليحقق لنفسه شهوة ، أنه لم ير الله ولم ير جزاءه وعقابه في الأخرة ماثلا أمامه ، ولو تصور هذا الامتنع عن الفاحشة .

وكذلك الذى يهمل فى الطاعة أيضاً ، لم يذكر الله وعطاءه للمتقين . ولو ذكر الله وعطاءه للمتقين لما تكاسل عن طاعة الله . ولذلك يقول الحنى : « ذكروا الله فاستغفروا لذنوجم » فمن يستغفر لذنبه فقد ذكر الله .

وموقف العلماء من الفاحشة فيه اختلاف. بعض العلماء قال : إنها الكبيرة من الكبائر ، وظلم النفس صغيرة من الصغائر . وقال بعض آخر من العلماء : إن الفاحشة هي الزنا ؛ لأن القرآن نص عليها ، ومادون ذلك هو الصغيرة .

ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لا كبيرة مع الاستغفار . ولا صغيرة مع الإصرار) ⁽¹⁾

فلا يجوز للإنسان أن يتجاوز عن أخطاته ويقول: هذه صغيرة وتلك صغيرة لأن الصغيرة مع الصغيرة تصير كبيرة . وحين ننظر إلى قول الله تعالى : « والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم » نجد أن الذي فعل الفاحشة ظالم لنفسه أيضا لأنه حقق لنفسه شهوة عارضة ، وأبقى على نفسه عذاباً خالداً .

ولماذا لم يقل الحق إذن : والذين ظلموا أنفسهم فقط؟ أي يكون العطف بـ (الواو) لا بـ (أو) ؛ لأن الحق بريد أن يوضح لنا الاختلاف بين فعل الفاحشة وظلم النفس .

لأن الذي يفعل الفاحشة إنما محقق لنفسه شهوة أو متعة ولو عاجلة ، لكن الذي الذي يفعل الفاحشة إنما محقق لنفسه شهوة أو متعة ولو عاجلة ، لكن الذي الرام عند عند الله أو المنبخ والديلمي عن ابن عباس رفعه ، ورواه البيهني - عن ابن عباس - مووواه ، وله شاهد عند الساوى ، ومن جهة الديلمي عن انس مرفوها ، واخرجه الطيران عن ابن هريرة ، وزاد في احره د قطول لمن وحد في المناده بشر من شيد العارمي متروك .

يظلم نفسه بذنب الذنب ولا يعود عليه شيء من النفع ؛ فالذي يشهد الزور - على سبيل المثال - إنه لا يحقق لنفسه النفع ، ولكن النفع يعود للمشهود له زوراً . إن شاهد الزور يظلم نفسه لأنه لبّى حاجة عاجلة لغيره ، ولم ينقذ نفسه من عذاب الأخرة . أما الإنسان الذي يرتكب الفاحشة فهو قد أخذ متعة في الدنيا ، وبعد ذلك ينال العقاب في الأخرة .

لكن الطائم لنفسه لا يفيد نفسه ، بل يضر نفسه ؛ فائذى هو شر أن تبيع دينك بدنياك ؛ إنك في هذه الحالة قد تأخذ متعة من الدنيا وأمد الدنيا قليل . والحق لم ينه عن متاع الدنيا ، ولكنه قال عنه : « قل متاع الدنيا قليل » . وهناك من يبيع دينه بدنيا غيره ، وهو لا ياخذ شيئاً ويظلم نقسه .

ويقول الحق : « فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله » . ومعنى « ذنب » هو غالفة لتوجيه منهج . فقد جاء أمر من المنهج ولم ينفذ الأمر . وجاء نهى من المنهج فلم يُلتزم به . ولا يسمى ذَنَّهُ إلا حين يعرفنا الله الذنوب ، ذلك هو تقنين السهاء . وفى بجال التقنين البشرى نقول : لا تجريم إلا بنص ولا عقوبة إلا بتجريم .

وهذا يعنى ضرورة إيضاح ما يعتبر جريمة ؛ حتى يمكن أن يجدث العقاب عليها ، ولا تكون هناك جريمة إلا بنص عليها . أى أنه يتم النص علي الجريمة قبل أن يُنص على العقوبة ، فها بالنا بمنهج الله ؟ إنه يعرفنا الذنوب أولاً ، وبعد ذلك يجدد العقوبات التي يستحقها مرتكب الذنب .

ولنتبه إلى قول الحق : ﴿ وَلَمْ يَصِرُوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلُمُونَ ﴾ إذن فالاستغفار ليس أن تردف الذئب بقولك ؛ أستغفر الله لا . إن على الإنسان أن يردف الذنب بقوله : أستغفر الله وأن يصر على ألا يفعل الذنب أبداً .

وليس معنى هذا ألا يقع الذنب منك مرة أخرى ؛ إن اللذب قد يقع منك ، ولكن ساعة أن تستغفر تصر على عدم العودة ، إن الذنب قد يقع ، ولكن بشرط الا

□□◆□□◆□□◆□□◆□ | V1·□

يكون بنيّة مُسيقة ، وتقول لنفسك : سأرتكب الذنب ، وأستغفر لنفسى بعد ذلك . إنك بهذا تكون كالمستهزىء بربّك ، فضلا على أنك قد تصنع الذنب ولا يمهلك الله لتستغفر . وقوله الحق : « ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ، يوضح لنا أنه لا عقوبة إلا بتجريم ولا تجريم إلا بنص .

إن الحق يعلمنا ويعرفنا أولاً ما هو الذنب؟ وما هو العقاب؟ وكيفية الاستخفار؟ ويتول الحق بعد ذلك :

﴿ أُوْلَتُهِكَ جَزَآؤُهُمُ مَعْفِرَةٌ مِّن رَّيِهِمْ وَجَنَّكُ مَعْفِرَةٌ مِن رَّيِهِمْ وَجَنَّكُ مَعْفِرَةً مِن رَّيِهِمْ وَجَنَّكُ مَجَنِّدِي مِن تَعْبِهَا ٱلاَّ مُهَارُخُلِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ مَعْفِيلِينَ فَي الْجَدِينَ فَي الْجَدِيدِينَ فَي الْجَدِيدِينَ فَي الْجَدِيدِينَ فَي الْجَدِيدِينَ فَي الْجَدِيدِينَ فَي اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ

ه أولئك ، إشارة إلى ما تقدم في قرله سبحانه :

﴿ وَسَارِعُواْ إِلَىٰ مَغَنْفِرَةٍ مِن رَّبِكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أَعِدَّتُ لِلسَّنَّقِينَ ﴾

﴿ سورة أل عمران ﴾

مع بيان أرصاف المتقين في قوله :

﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسِّرَّآءِ وَٱلطَّرَّآءِ وَٱلسَّمَاظِينِ ٱلْغَيْظُ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُهُبُّ ٱلنَّمُحْسِنِينَ ﴾

(الآية ١٣٤ سورة أل عمران)
 إنهم ينفقون في السراء نققة الذكر والتضرع ،

لأن النعمة حين توجد بسرًاء تحتاج إنى شكر لهذه النعمة ، والنعمة حين تنفق في الضراء تقتضى ضراعة إلى الله ليزحزح عن المنفق أثار النقمة والضراء . إذن فهم ينفقون سواء أكانوا في عسر ، أم كانوا في يسر .

إن كثيراً من الناس ينسيهم اليسر أن الله أنعم عليهم ويظنون أن النعمة قد جاءت عن علم منهم . وبعض الناس تلهيهم النعمة عن أن يحسوا بالام الغير ويشغلوا بالام انفسهم . لكن المؤمنين لا ينسون ربهم أبداً . وأمره بالإنفاق في العسر واليسر . ولذلك قالوا : فلان لا يقبض يده في يوم العرس ولا في يوم الحبس .

وتنتابع أوصاف المتقين :

عَلْ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَنْحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللَّهُ فَاسْنَغْفُرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَعْلُواْ وَهُمْ يَعْلُونَ ﴿ إِلَّا اللَّهُ وَلَرْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَافَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿ ﴾

(سورة آل عمران }

وفى ذلك لون من تطمين المؤمن على أغيار نفسه ، وعلى أنه عندما يستحيب مرة لنزغات الشيطان ، فهذه لا تخرجه من حظيرة التقوى ، لأن الله جعل دلك من أوصاف المتقين . فألفاحشة التى تكون من نزغ الشيطان وذكر العباد لله بعدها ، واستغفارهم مع الإصرار على عدم العودة ، لا تخرجهم أبداً عن وصفهم بأنهم متقون . لأن الحق هوالغفور : «ومن يغفر الذنوب إلا الله » .

إنهم قد أخبروا بذلك ، فلم يجرم الحق أحداً إلا ينص ، ولم يعاقب إلا بجريمة . وقول الحق سبحانه : « أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم » هو إشارة لكل ما سبق . ونلاحظ أن الحق سبحانه وتعالى جعل للعاملين بهذا العمل من التقوى قوسين : القوس الأول الذي ابتدأ به هو قوله الحق : « وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين » .

والقوس الثاني هوالذي أنهي الأمر : « أولئك جزازهم مفقرة من رجم وجنات تجرى من تحتها الأنبار » .

فالجنة الأولى التي ذكرها الله إلهاباً للعواطف النفسية لتقبل على ما يؤدى لهذه الجنة ، وبعد ذلك ذكر الأوصاف والأصناف وجعل الجنة أجراً . وونعم أجر العاملين .

والأجر عادة هو ما يأخذه العامل نتيجة العمل . والأجر حين ياخذه العامل نتيجة لعمل يتوقف على تقييم العمل عند صاحب العمل نفسه . غزيادة الأجر ونقصه تقدير من صاحب العمل ، فإن طلب أصحاب عمل متعددون عاملًا محدداً فله أن يطلب زيادة ، وإن لم يطلبه أحد فهو يقبل أول عرض من الأجر نظير أداء العمل .

إذن فالمسألة مسألة حاجة من صاحب عمل ، أو حاجة من عامل ، وحين ننظر إلى الصفقة في الأخرة نجد أنها بين إله لا يجتاج إلى عملك . ومع أنه لا يجتاج إلى عملك جعل لعملك أجراً .

ما هذه المسألة؟. هو ليس محتاجاً إلى عملك ، ويعطيك أجراً على عملك ويقول لك : إن هذا الأجر هو الحد الأدن ، لكن لى أنا أن أضاعف هذا الأجر ، ولى أن أتفضل عليك بما فوق الأجر ، فكم مرحلة إذن ؟ إنها ثلاث مراخل ، مع أنه سبحانه لا يستفيد من هذا العمل إلا أنه وضع ثلاث مراتب للأجر .

إذن فالحاجة من جهة واحدة هي جهتك أنت أيها العبد ، أنت تحتاج إلى خالفك وهو لا يحتاج إليك ، ومع ذلك يعطيك الإله الحق الأجر لا على قدر العمل فقط ، وتكن فوق ذلك بكثير . إن الذي تعمل له يوماً من العباد قد يعطيك على سبيل المثال ما يكفيك قوت يوم ، أو قوت يوم ونصف يوم ، ولكنك حين تأخذ الأجر من يد الله فإنه يعطيك أجراً لا تنتهى مدة إنفاقه ؛ فهو الفائل : « ونعم أجر العاملين » .

هذا هو الأجر الذي يقال فيه : نعم هذا الأجر ؛ لأنه أجر لا يتناسب مع مجهودي ، بل يفوق كل ما بذلت من جهد وقادم من جهة لا تحتاج إلى هذا المجهود .

إنه سبحانه متفضل على أولاً . ومتفضل على أخيراً ، لبدل الحق سبحانه وتعالى على أنك _ أيها العبد _ حين تعمل الطاعة يُعود أثر الطاعة على نفسك ومع ذلك فهو يعطيك أجراً على ما فعلت .

واوضحنا أن هذه الأيات جاءت بين آيات معركة أُحُد إرشاداً واستثهارا للأحداث التي وقعت في أُحُد ، حتى إذا عاش الإنسان في تصور الاحداث فالأحداث تكون ساخنة ، ويكون النقاط العبرة منها قريباً إلى النقس ؛ لأن لها واقعاً يُحتَّمُها ويؤكدها . والحق سبحانه وتعالى يقول من بعد ذلك :

حَرِّقُ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنُ فَسِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنْظُرُوا كَيْفَكَانَ عَلِقِبَةُ ٱلْمُكَذِبِينَ ۞ ﴿ اللَّهِ اللَّهِ الْمُكَذِبِينَ ۞ ﴿ اللَّهِ اللَّهِ اللَّ

أى أنتم لستم بدعاً في هذه المسألة . ووخلت ؛ تعنى و مضت ؛ أى حصلت واقعا في أزمان سيقت هذا الكلام . وعادة فالأخبار التي يتكلم بها الإنسان مرة تكون خبراً يحتمل الصدق والكذب ، لكن هذه المسألة لا تحتاج إلى صدق أو كذب ؛ لأن الواقع ليس أمراً مستقبلاً ، ولكنه أمر قد مبق ، فبمجرد أن يجىء الكلام لا ننتظر واتعاً يؤكد صدق الكلام ، لأن الواقع قد حدث من قبل ، فيقول سيحانه : وقد عدت من قبل ، فيقول سيحانه : وقد عدت من قبل ، فيقول سيحانه : وقد عدت من قبل ، فيقول سيحانه : وقد

والسنن هي الطرق التي يصرف الله بها كونه بما يحقق مصلحة ذلك الكون ا ليضمن للإنسان ـ السيد في هذا الكون ـ ما يحقق مصلحته ، ومصلحة الإنسان تنمثل في أن يسود الحق في حياة الإنسان المختار كها ساد الحق في الكون المسير قبل الإنسان .

وقد قلنا إن في هذا الكون تسخيراً : أي لا إرادة له ، لا إرادة للجهاد ولا للنبات .

ولا للحيوان في أن تفعل الخبر لك أو لا تفعل . فلم يحدث أن جاء إنسان لأرض صالحة للزراعة ، ووضع فيها بذوراً ، فلم تنبت الأرض وقالت له : لن أعطيك ، ولم تقل الأرض يوماً عن إنسان : إنه كافر فلن أعطى له الوزق .

إن الأرض مسخرة لخدمة الإنسان مادام يأخذ بأسبابها ؛ فهي تؤدى له . والحيوانات أيضًا مسخرة لخدمتك لا باختيارك ، ولا بقدرة تسخيرك لها ،ولكن بتسخير الله لها أن تفعل .

وقلنا: إن الإنسان قد تكون عنده مطية ، مثل بعض الفلاحين ، فمرة يجعلها صاحبها تحمل أكوام السباخ من روث الحيوان وفضلاته ، وبعد ذلك يلوح له أن يخرجها من عملها هذا ويجعلها ركوبة له ، ويدللها بالأشياء التي تعرفونها من لجام جيل وسرج أجمل ، ويرفهها في حياتها وينظفها .

هل في الحالة الأولى امتنعت المطبة عن حمل السباخ أو امتنعت في الحالة الثانية عن حمل الإنسان ؟ لا ؛ أنت تسيرها مثلها تربد أنت ، فليس لها اختيار . ولا النبات له اختيار ، ولا الحيوان أيضاً ، إنما الاختيار للإنسان .

وقد حكم الله اختيار الإنسان بمقادير يكون الإنسان مسخراً فيها حتى لا يظن انه استقل بالسيادة فأصبحت له قدرة ذائية . والحق يحكم الإنسان بأشياء يجعلها قهرية على الإنسان كل يظل في إطار التسخير . ويترك الحق للإنسان أشياء ليبقى له فيها الاختيار . فإذا ما نظرنا إلى الكون وجدنا أن ما لا اختيار فيه لشيء يسير على أحدث نظام ولا تصادم فيه ، والذي فيه اختيار للإنسان هو الذي يختل ، لماذا ؟.

لأن الإنسان قد يختار على غير منهج الذي خَلَق وهو الله _ سبحانه وتعالى _ فإذا أردت أن يستقيم لك الأمر أيها المختار فاجعل اختيارك في إطار منهج الله : وحين تجعل اختيارك في إطار منهج الله تكون قد أصبحت سويًا كبقيّة الأجناس وتسير الأمور مبك بانتظام .

وعندما تقارن بين شيء للإنسان فيه اختيار وعمل ، وشيء لا اختيار للإنسان فيه

ولا عمل ، فأنت تجد أن الشيء الذي لا اختيار للإنسان فيه مستقيم الأمر ، ولا عمل ، فأنت تجد فيه الخلاف .

مثال ذلك : لو نظرنا إلى وسيلة مواصلات من الحيوانات كالجمال أو الحيل أو الحمير ، فإننا نجدها تسير في طريق واحد ، وتتقابل جبثة وذهابا فلا يحدث تصادم بين حمار وحمار ، ولا قتل لواكب أحد الحمارين .

إن الحيوانات يتفادي ويتحامى بعضها بعضاً حتى لو كان الراكب نائياً . ومهما كانَ الطريق مزدهماً فالحيوانات لا تتصادم ؛ لأن ذلك من نطاق تسخير الحق للحيوان .

ولننظر إلى الإنسان حين تدخُل ليصنع وسيلة مواصلات ، صنع الإنسان ألوان السيارات ، بقودها الإنسان ، ومع أن الإنسان هو الذي يقود السيارات ، وبرغم ذلك بدأت نأتي المخالفات والمصادمات والحوادث ؟ لأن للإنسان يداً في ذلك .

والحق مسحانه وتعالى يريد أن يدلك على أن ما حلق مسخراً بامر الله وتوجيهه لا يتأنى منه قساد أبداً ، إتما يتأتى الفساد مما لك فيه اختيار ، فحاول أن تختار في إطار منهج الله ، فعندما يقول الحق لك : « افعل كذا ولا تفعل كذا ه فعلبك أن تصدق وتطبع ؛ لأن الحق سبحانه عندما سخر الأشياء للإنسان سارت بانتظام رائع ، وأنت أبها العبد عندما تطبع الله فإن الأمور في حياتك تمشى بيسر .

ولذلك قلنا : إن الناس لم تشنك قط أزمة شمس ، ولم يشتكوا أزمة هواء ، لكن لماذا اشتكوا أزمة طعام ؟ إن الإنسان له دخل في إنتاج الطعام . فيا للإنسان فيه دخل يجب أن يحكمه المانون التكليف من الله : ﴿ افعل كذا ولا تفعل كذا ﴾ .

الكون مخلوق بحق ومعنى أنه مخلوق بحق أن كل شيء في الوجود يؤدي مهمته كما أرادها الله ، وكما سُخر من أجله ، وإذا ما قام الإنسان بتنفيذ التكليف فكل شيء يسير بحق ، وإن ترك الإنسان التكليف وأخذ باختياره فإنه يصير إلى باطل ونتح ما هو باطل ، والكون عبئ على الحق .

﴿ مَاخَلَقُنْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَيِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٠٠٠)

(سورة الدخان)

إن الحق جعل للكون قضايا ثابتة ، فلا شيء يعتدي على شيء أخر أبداً . والختيار الإنسان هو الذي يأتي بمقابل الحق وهو الباطل ، ولذلك يصون الله الكون بأن يبين أن الحق يصطدم بالباطل، والباطل يصطدم بالحق لكن الحق يجيء ويبقى ، والباطل يزهق ويزول ، ويظهر الله لنا ذلك أمام أعيننا يقول تعالى :

(mega (Kanala)

إذن فقوله سبحانه : ﴿ قد خلت من قبلكم سنن ﴾ يعني ؛ اعتبروا بما سبقكم وانظروا إلى اصطدام الباطل بالحق ، أدام وبقى اصطدام الباطل بالحق ؟ لا ؛ لأن الباطل كان زهرقاً . ولذلك نحن نرى أمثلة عملية لذلك لا أقول في مواكب الناس بعضهم مع بعض ، ولكن في موكب الباطل مع حق السماء . وحق السماء بمثله الرسل والمناهج التي جاءت من عند الله وكل حق جاء من السهاء وجاء من مناهج الله قابله قوم ميطلون .

لماذًا ؟ . لأن السياء دائماً لا تتدخل إلا حين يشيع الفساد ، ومادام الفساد يشيع فإن هناك طائفة منتفعة بالفساد ، وهذه الطائفة المنتفعة بالفساد وبالباطل تدافع عنه وبعد ذلك يأق موكب السهاء ليصادم هذا الباطل والمفثة المنتصرة للباطل ، فتنشأ معركة ، فقال الحق حينئذ : ﴿ قد خلت من قبلكم سنن ؛ . قالما الحق لنعوف أن الباطل زهوق ، وأن كل معارك أهل الأرض مع منهج السياء قد انتصر فيها الحق . ولذلك تألى سورة العنكبوت لتبين لنا ذلك ، بداية من قوله سبحانه :

عَلَمْ وَإِلَّكَ مُذَيَّنَ أَخَاهُمْ شُمَيِّنَا نَفَالَ يَنقَوْمِ أَعْبُدُواْ اللَّهَ وَارْجُواْ الْيَوْمَ الْآيِرَ وَلَا تَعْفُواْ فِي ٱلأَرْضِ مُفْسِدِينَ ٢٥ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتُهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبُحُواْ فِي دَارِهِمْ جَلِيْمِينَ ١

و سورة العنكبوت)

هذه هي الصورة الأولى، وتأتي الصورة الثانية :

﴿ وَعَادًا وَكُنُودًا وَقَد تَبَيْنَ لَكُمْ مِن مُسَلِكِنِيمٌ وَزَيْنَ لَمُهُمُ النَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَلَّا لُهُمْ وَزَيْنَ لَمُهُمُ النَّيْطِينُ أَعْمَلَهُمْ فَصَلَّا لُهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبِّمِرِينَ ﴿ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ

(سورة العنكبوت)

إذن فانظروا إلى مساكنهم الباقية لتدلكم على ما حدث لهم . والصورة الثالثة :

﴿ وَقَرُّونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَنهَ مَنَّ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَى بِٱلْبَيْنَاتِ فَاسْتَكْبَرُواْ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُواْ سَدِيقِينَ (١٠) ﴾

ر سورة العنكبوب)

وساعة تسمع « وما كانوا سابقين » . أى كأن هناك حاجة تلاحقهم ، والذى يلاحقه شيء فإنه يحاول أن يسبقه ، لكنهم لا يستطيعون . وتأتى السنن واضحة بعد ذلك :

﴿ فَكُلَّا أَخَذَنَا بِذَنِيهِ ، قَيْنُهُم مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ خَاصِبًا وَمِنْهُم مَنْ أَخَذَتُهُ الصَّيْحَةُ
وَمِيْهُم مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُم مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللهُ لِيظَلِمُهُمْ وَلَكِن
كَاذُواْ أَنفُ سَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿ ﴾

¿ سورة العنكبوت }

إذن فصراع الحق والباطل قد تقدم ووقع في أمم قد سبقتكم وبقيت لها مساكن ، فمن شاء أن يذهب إليها ليتأكد فليذهب ، ولا تزال مدائن صالح ، ولا تزال هناك أثار عاد ، وكل مكان فيه أثر من الأثار ، ولذلك يوضح الحق : فإن كنتم تريدون التأكد من ذلك فأنا قد أخبرت ، ومن آمن بي فليصدق خبرى ، ولغير المؤمن ولمن يريد اطمئنان قلبه يقول سبحانه :

﴿ فَيِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَانظُرُواْ حَكَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾

(الآية ٣٦ سورة النحل)

إن الحق سبحانه وتعالى يمثل صراع الحق _وهو الشيء الثابت_ مع الباطل ، وهذه القضية موجودة حتى فيها لا اختيار له . ويصنعها الحق فيهم ، صراعا بين حق وباطل فيها لا اختيار له لمصلحة الإنسان أيضاً . وقد جعل سبحانه الصراع بين الحق والباطل في أشياء ليست من الإنسان ولكنها تخدم الإنسان ، وهذه نراها في الأمور المأدية . أما في القيم فالحق يقول :

﴿ أَرْكَ مِنَ ٱلسَّمَاءَ مَا أَوْ مَا أُوهِ بَهُ إِفَدُونَا فَاحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَابِيا وَمِمَا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّهِ السَّمَاءَ مَا أَوْ مَنْجَ زَبَدٌ مَسْلُهُ مَ كَذَالِكَ بَضَرِبُ اللهُ ٱلطَّقُ وَٱلْبَلْطِلُ عَلَيْهِ فِي النَّهِ الْبَعْلَةَ مِلْبَهِ أَوْ مَنْجَ زَبَدٌ مَسْلُهُ مَ كَذَالِكَ بَضِرِبُ اللهُ ٱلطَّقُ وَالْبَلْطِلُ عَلَيْهِ فِي النَّرْضِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ الل

﴿ سورة الرخد ﴾

إنه سبحانه أنزل من السياء ماء فسال في الأودية ، والأودية كيا نعرفها هي المكان المنحصر بين جبلين ، فإذا نزلت الأمطار على الأعالى فإنها تتحدر إلى الأسفل وتسيل في الأودية . والوديان هي محل الخصب ؛ لأن الغرين والطمى الذي يتزل من الجبال مع مياه المطر ويترسب ويصير ثراباً خصباً يخرج منه الزرع . وكل واد من الوديان يأخذ على قدر سعته ، وباقى المياه يبحث له عن مسلك آخر ، ولو إلى باطن الأرض ، وذلك كان مظهراً مألوفاً في الجزيرة العربية ، فعندما يأتى السيل فإن الأودية تمثلىء ماة ، كل واد يأخذ على قدر سعته . و فاحتمل السيل زيداً رابياً ، ونحن نراه في الحقول وتسعيه « الربم ، الذي يطفو على سطح الماء ، ما الذي يحدث لهذا الربم ؟ إنه يتجمع ويطفو ثم يركن ويميل جانباً . ألم ثر القدر بها لحم تفور ؟ . إننا نجد الربم قد طفا على السطح . وهذا الربم قيه أشياء خارجة عن عنصر الشيء الموجود في القدر ، فإذا ما جاءت حرارة النار أخرجته على السطح ، فإما أن يخرجه الإنسان خارج القدر ، وإما أن يتركه فيتجمد على الجوانب وينتهى .

ومن أبن جاء هذا الزبد؟ إنه يأن من الأرض ، والأرض فيها أشياء كثيرة ، كجذور النيات ويقايا ما حمله الهواء وتتخلل هذه الأشياء مسام الأرض ، هذه الأشياء عندما توجد في المسام ، وتأتى الجذور الصغيرة لتنمو فتعوقها عن أخذ غذائها ؛ لذلك فمندما بنزل الحق الماء من السياء فإن الماء يجمل هذه الأشياء تطفو على السطح ؛ ليجمل هناك منفذاً للجذور الصغيرة .

ويُنزَل الله المطر ليخسل التربة كلها ، ويجعل هذه الأشياء تطفو ؛ لأنها غناء ، ويطفو الغناء . وساعة أن يطفو الغناء فإيالة أن تفهم أن ذلك علو ، إنه علو إلى انتهاء ، كذلك فورة الباطل .

إيالت أنن نظن أن الزبد له فائدة ، أو أن ارتفاع الربم كان علواً على ما قى القدر ، لا . إنه تطهير لما فى القدر أو الإناء ، ولهذا قال الحق : « فاحتمل السيل زبداً رابياً ه .

وإن لم تذهب آثار الريم بحركة الماء النموجية فإنها ستذهب يطريقة أو بأخرى . ولننظر إلى الأشياء القذرة التي تلقى في البحر نجد أنها بعد مدة قد خرجت إلى الشاطىء .

﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُو ﴾

﴿ مِنَ الَّذِيةِ ٢٦ صَوْرَةِ اللَّذِيمِ }

إنها تخرج على الشاطىء ويجمعها المكلفون بتنظيف الشاطىء . وإلا كيف تتم صيانة الماء ؟ إنه سبحانه يجعل الماء ينظف نفسه بحركته الذاتية . إذن فالماء عندما ينزل سبلاً ، فإنه ينقى التربة من العوائق التى تعوق غذاء الجذيرات الصغيرة ، وقد لا يكتفى بعضنا بهذا المثل ، فيضرب لنا الله مثلاً آخر :

﴿ وَمِمَا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ البِّغَانَةِ حِلْيَةً أَوْمَتَنِعِ زَيْدٌ مِنْسُلُهُۥ كَذَالِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاحِلَقُ فَالْمَا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَالًا ۚ وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْتُكُ فِي الأَرْضِ

﴿ مَنَ الآية ١٧ سُورَةِ الْرَعَدِ ﴾



ونحن نرى هذه الحكاية عندما يضعون أى معدن فى النار ، فإن المعدن ينصهر ويصير كالمجينة وتخرج منه فقاقيع ونحن نسميها خبث المعدن ، وعندما نخرج الحبث من المعدن فإنه يصير قوياً ، إذن فالنار قد صهرت المعدن ، وأخرجت منه الحبث الضار فيه ،أو الذي يجعله لا يؤدى مهمته بكفاءة عالية ، فأنا قد أصنع من الحديد درعاً قوية أو أريد أن أستخرج منه الصلب ، وهذه العمليات معناها أننا نشهر الحديد بالنار لنزيل خبثه ليزداد قوة . وكذلك الذهب والفضة ساعة نريد أن نخلصها من هذه الآثار فإننا تصهرهما لنخرج منها الأشياء الحارجة عنها أى الى تخلصها من هذه الآثار فإننا تصهرهما لنخرج منها الأشياء الحارجة عنها أى الى تخلصها من هذه الآثار فإننا تصهرهما لنخرج منها الأشياء الحارجة عنها أى الى تخلصها من هذه الآثار فإننا تصهرهما لنخرج منها الأشياء الحارجة عنها أى الى

لمَاذَا إِذَنَ يَا رَبِّي هَذَا التَمثيلِ الحَسَى فِي المَيَاهِ ؟ والحَلَيَّةِ التِّي لا تَوْدَى ضرورة ، والمتاع وهو الذي يؤدي ضرورة ؟ إنه سبحانه يقول : «كذلك يضرب الله الحق والباطل » .

إن الحق كالماء ، والحق كالنار ، والماء يحمل الزبد الرابي بعيداً عن مسام الأرض ، والنار تخرج الزبد والحبث من المعادن ، وتجعل المعادن خائصة للمنفعة المطلوبة لنا ، كذلك بضرب الله الحق والباطل : « فأما الزبد فيذهب جفاءً » .

وجفاة أى مطروحاً مرمياً ، و وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض » . ذلك هو صراع الحق والباطل في المبادىء والقيم ويصوره الله في الأمور المادية . ومن العجيب أنه يصوره بمثناقضين ولكنهما متناقضان يؤديان مهمة واحدة ، ماء ونار ، فؤياك حين ترى شيئاً يناقض شيئاً أن تقول : هذا يناقض ذاك ، لا، لأن هذا الشيء مطلوب لمهمة ، وذاك المثبيء مطلوب لمهمة أخرى .

إذن فقول الحق سبحانه : وقد محلت من قبلكم سنن و هو قفت لنا إلى صراع الحق مع الباطل ، وأن الإنسان قد يرى الباطل مرة وله فورة وعلو ، ونقول : هذا إلى جُعاء . وهذه سنة من سنن الحياة . وإن أردتم أن تتأكدوا منها ، فالتفتوا إلى دقة قول الحق تعالى :

« نسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين».

□ 1VV 1 □ □ 0 + □ 0 + □

وهنا ملحظ عام ، وملحظ خاص ، الملحظ العام : أننا نفهم أن المقصود بذلك السير على الأرض ، وتلك هي حدود رؤيتنا ، لكن حين يتكلم الله فرؤية الله أشمل فهو الحائل لهذا الكون ، ونحن مازلنا نجهل جزئيات في هذا الكون ، ولم نعرف بعضها إلا أخيراً ، وخالق الكون هو اللي يعلم كل الحبايا .

نحن نقول: إننا نسير على الأرض ؛ لأننا كنا نفهم أن هذه الأرض ليس عليها إلا نحن فقط، ثم تبين لنا ببعد أن أخذ العلم حظه انه لولا وجود الهواء فى الأرض لما صلحت للحياة . ولذلك فعندما تدور الأرض . فالهواء الذى حولها يدور معها ويسمونه الغلاف الجوى . إذن فالغلاف الجوى جزء من الأرض وله امتداد كبر ، فالإنسان عندما يسير فإنه يسير فى الأرض ، أما الذى يسير على الأرض فهو الذى يسير فوق الغلاف الجوى ، أما السائر على البابسة ، والغلاف الجوى مازال فوقه قهو يسير فى الأرض ، هما الأرض ،

ومادامت المسألة هي سنن تقدمت ، ويريد الله منا أن بعتبر بالسنن المتقدمة ، لذلك يقول لنا : « فسيروا في الأرض » نسير بماذا ؟ . إما أن نسير بالانتقال ، أو نسير بالأفكار ؛ لأن الإنسان قد لا بملك القدرة على السير ويترك هذه المهمة للرحالة ، والرحالة ـ مثلاً ـ هم الذين ذهبوا إلى جنوب الجزيرة ، ورأوا وادى الاحقاف ووجدوا أن عاصفة رمل واحدة تطمر قافلة بتهامها ،

إذن ففيه عواصف وارت الكثير من الأشياء ، فعاصفة واحدة تطمر قافلة . فكم من العواصف قد هبت على مرّ هذه القرون ؟ والحق سبحانه يخبرنا بإرم دات العياد فيقول :

﴿ أَلَّ تَرَكَيْفَ فَعَلَ رَبُكَ بِعَادِ إِنَ إِنَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ اللَّهِ اللَّهِ مِنْ الْمُعَالَقِ مِنْلُهَا فِي الْلِيَادِ اللَّهِ وَمُوْعَوْنَ ذِى الْأُوْتَادِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ وَمَا لَا أَوْتَادِ اللَّهِ اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّلَّا اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ

إنه سبحانه يخبرنا أن إرم ذات العهاد التي لم يخلق مثلها في البلاد أي متفوقة عل حضارة مصر القديمة . وهي عجيبة وفيها أكثر من عجيبة فأين هي الآن ؟.

ومادامت الرمال بعاصفة واحدة _كما فئنا _ نظمر قافلة ، فكم عاصفة مرت على هذه البلاد؟. ولذلك نجد أننا لا نزال جيماً إلى الآن حين نريد أن ننقب عن الآثار فلا بد أن تحقر تحت الأرض . لماذا هذا الحفر وقد كانت هذه الآثار فوق الأرض؟ لقد غطتها العواصف الرملية .

والمثال على ذلك: أنّك تغبب عن ببتك شهراً واحداً وتعود نتجد من التراب الناعم ما ينطى أرض البيت على الرغم من إغلاق النوافذ. فياذا تجد من حجم الناعم ما ينطى أرض البيت على الرغم من إغلاق النوافذ. فياذا تجد من حجم التراب لو غبت عن بيتك عاماً، أو عامين، أو ثلاثة أعوام، رغم إحكام وإغلاق النوافذ والفتحات بالمطاط وخلافه ؟ ولكن التراب الناعم يتسرب ويغطى الاثاث والأرض. وإذا كانت هذه الأمور تحدث في منازلنا فيا بالك بالمنطقة التي فيها أعاصير وعواصف رملية ؟ هل تطمر المدن أو لا ؟

إن المدن والحضارات تطمر تحت الرمال ؛ لذلك فعندما ننقب عن الأثار فنحن تحقر في الأرض ، وهذا لون من السير في الأرض للرؤية والعظة . وحين يقول الحق : « فانظروا كيف كان عاقبة المكلبين ، فإذا يعني بعاقبة المكذبين ؟ حين تكون أمة قد تحضرت حضارة كبيرة يقول عنها الحق :

﴿ أَلَا تُرَكِّفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۞ إِرَّمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۞ الَّتِي لَلَّ يُحُلَقُ مِثْلُهَ إِنِي الْمِنَادِ ۞ الَّتِي لَلَّ يُحُلَقُ مِثْلُهَ إِنِي اللَّهِ اللَّهُ اللْ

(سورة القجر)

إن اللي أقام هذه الحضارات ألا يستطيع أن يجعل لهذه الحضارة ما يصونها ؟ كيف يتم القضاء على هذه الحضارات الواسعة واندثارها وذهابها ؟.

لابد أن ذلك يتم بقوة أعلى منها ، فهذه الحضارات رغم تقدمها الرهب لم تستطع أن تحفظ نفسها من الفناء . إنها المقوة الأعلى منها ، وهكذا نصدق قوله الحق : و فأنظروا كيف كان عاقبة المكذبين و . إنه الفيّوم الذي يرى كل الحلق ، فمن يطغى ويفسد فليلق النهاية نفسها . إذن فقوله سبحانه يحمل كل الصدق :

وقد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ،
 وبعد ذلك يقول الحق :

عَنْ هَنْ ابْيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلمُتَّقِينَ اللَّهُ اللَّالِي اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّ

انظر إلى الكلمة وهذا بيان للناس و إن البيانات عندما ثناق تأخذ قوتها وسطوتها وعظمتها من قوة من أصدر البيان و أنت ساعة تجد ثورة في مجتمع ما فإننا نسمع كلمة وبيان رقم واحد و تهتزله الدنيا وهو بيان قادم من بشر فها بالنا بالبيان القادم من الله ؟

إنه إيضاح من الله : أنا لن آخذكم على غرة لا هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين لا ولا الهذى لا : كما شعرف هو الطريق الموصل للغاية المرجوة . ولا الموعظة لا معناها : حمل النفس ترغيباً وترهيباً لا لعمل الخير بالترغيب ، والبعد عن الشر بالترهيب ، تلك هي الموعظة .

وكل هذه الأشياء عندما جاءت في ثنايا آيات أُحد بعد أن اخدنا منها العبرة والحدث مازال ساخناً . ولذلك فقبل أن يكمل لنا قصة أُحد استثار النفوس بهذه المسألة ، ووضع لنا الأشياء المادية والقيمية ؛ لناخذ بها في حياتنا ، وحتى لا تنتهى قصة أُحد وينصرف الناس عن العظات التي كانت فيها . ومادامت المسألة هكذا ، وكان المقاتلون في سبيل الله هم جنود الحق ، وعرفوأ ذلك بتأبيد الله لهم ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم بينهم . وهو حامل المعجزة المدالة على صدقه ؛ لذلك قالذي حدث في معركة أحد لا يصح أن يضعفكم ؛ لانكم تعرفون كيف يسند الله الحق ويقويه . وتعرفون حملة الله على الباطل . وقد أوضحنا لكم السنن والبيان ، ولذلك يقول الحق صبحانه بعد ذلك :

﴿ وَلَاتَهِنُواْ وَلَا يَعَزَنُواْ وَالنَّهُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن تَحْرُ وَلَا تَعْرَبُواْ وَالنَّهُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن تَحْدَثُو مِنِينَ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ مَنْ مُقَوِمِنِينَ اللَّهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ

والمقصود بقوله: « ولا تهنوا » أى لا تضعفوا ، وهى أمر خاص بالمسألة البدنية ؛ لان الجراحات أنهكت الكثيرين في موقعة أُحد لدرجة أن بعضهم أقعد ، ولدرجة أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يقدر أن يصعد الجبل ، وحمله طلحة بن عبيد الله على ظهره ليقوم ، لذلك قال الحق : « ولا تهنوا » ، لألك عندما تستحضر أنك مؤمن وأن الله لن يخلى بينك وبين جنود المنطل لأنث نصير للحق ، والحق من الله وهو الحق لا يسلم نبه وقومه لأعد تهم نفيوم تأتى لك هذه المعنى إباك أن تضعف . والمضعف . والمضعف .

و ولا تحزنوا و والحزن مواجيد قلبية ، وهم قد حزنوا فقد مات منهم كثير . مات منهم خسة وسبعون شهيداً ، خسة من المهاجرين ، وسبعون من الأنصار ، وهذه عملية صعبة وشاقة ، وقد حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم على الشهداء ، وغضب لمتنل حزة - رضى الله عنه - وقال ، لا لن أصاب بمثلك أبداً ! وما وقفت موقفا قط أغيظ إلى من هذا ي ثم قال : لا لن أظهرى الله على قريش في موطن من المواطن الأمثلن بثلاثين رجلا منهم مكانك » .

فقال الحقى: ﴿ وَلا تَحْزَنُوا ﴾ ﴿ لَمَانَا ؟ لأَمُكَ يَجِبُ أَنْ تَقَارِنَ الْحَدِثُ بِالْغَايِةِ مِنَ الحَدِثُ صحبح أن الفتل صعب وإزهاق للنفس ، ولكن انظر إلى أبن ذهب . وانظر ماذا خلف من بعده . أما هو فقد ذهب إلى حياة عند ربه وهى ليست كالحياة عندكم . إن الحياة عندنا هَا مقاييس ، والحياة عند ربنا هَا مقاييس ، فهل مقاييسنا أعلى من مقاييسه ؟لا ، حاشا لله .

إذن فإذا نظرت إليه هو فاعلم أنه ذهب لحير تما ترك ، فلا تحزن عليه بل تفرح له ؟ لأنه مادامت الغاية ستصل إلى تعلم المسألة . إذن فقد قصر له مسافة الحياة ، ومادامت الغاية أن يصل إلى رحمة الله وإلى حياة عند الله بكافة معاليها ، فهو سعيد بجوار ربه ، ونحن في الغايات الدنيوية عندما نويد أن نذهب إلى مكان نُسرّ ممن يعجل لنا الزمن لنصل إلى هذا المكان .

فبدلاً من أن أذهب إلى الإسكندرية مشياً أذهب راكباً حصاناً أو أذهب راكباً مسارة ، والمترفه يذهب راكباً طائرة ، فإذا كانت الغاية مرجوة وعبية إلى النفس ، وبعد ذلك يجيء لك حدث يقرب لك المسافة من الغاية ، فلهاذا تحزن إذن ؟ لقد استشهد . إباك أن تقول : إنّ الله حرمني قوته في نصرة الحق ، لا . هو أعطى قوة أخرى لكثير من خلقه نصر بهم الحق ، إنك عندما تعرف أن إنساناً باع نفسه نله ، لابد أن تعرف أن الغاية عظيمة ، ولذلك كان الرسول صلى الله عليه وسلم في معركة بدر ، يقدم أهله ، لأنه يعرف أنه إن قُتل واحد منهم إلى أبن سيذهب ، إذن فهو يجب أهله ، لكنه يجبهم الحب الكبير ، والناس تحب أهلها هنا أيضاً لكن الحب الدنيوي .

و ولا تحزنوا على ما فاتكم من الغنائم أو لا تحزنوا على ما فاتكم من النصر لماذا ؟ وتأتى الإجابة ، و وائتم الاعلون ع . . ولذلك جاء مصداق ذلك حينها نادى أبو صفيان فقال : و اغل هبل ، أى أن إلههم صار عالياً ، فقال الرسول لاصحابه : ألا تودون عليهم ؟ ، قالوا : بماذا ثرد قال : قولوا لهم : الله أعلى وأجل فقال أبو صفيان : ولنا العزى ولا عزى لكم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : واجيبوه ، قالوا : ما نقول ؟ قال : « قولوا الله مولانا ولا مولى لكم ، ثم قال أبو سفيان : إن موعدكم ، بدر ، العام المقبل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو سفيان : إن موعدكم ، بدر ، العام المقبل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

(製)製造 ○○+○○+○○+○○+○○+○ (YY1○

لرجل من أصحابه: وقل نعم هو بيننا وبينك موعد و(١)

قد وأشم الأعلون إن كنتم مؤمنين ، فيا دمتم على الإيمان فأنتم الأعلون ، وإذا أردتم أن تعرفوا معنى « الأعلون » حقاً ، فقارنوا معركة ، أحد ، بمعركة ، بدر ، ، ، مم قتلوا منكم في أحد ، وأنتم قتلتم منهم في بدر ، ولكنكم أسرتم منهم في بدر ، ولم ينتموا شيئاً في أحد ، وأنتم غنمتم في بدر ، ولم ينتموا شيئاً في أحد ، وأنتم غنمتم في بدر ، ولم ينتموا شيئاً في أحد .

وأنتم الأعلون لأن الله حمى مدينتكم مع أنه لا حامية فيها عمن يكون فيه معنى الجندية . كل ذلك وأنتم الأعلون ، هذا إذا نظرنا إلى معركة بمعركة . وإن نظرنا إلى المعركة نفسها ه أحد ، وندع بدراً وحدها ، في ظل قوله تعالى : ه وأنتم الأعلون إن كتم مؤمنين ، لقد ثبتت تلك القضية لانكم حينها كنتم مؤمنين _ ومن شرط الإيمان اتباع أمر الذي لا ينطق عن الهوي _ انتصرتم . وانتصرتم انتصاراً رائعا ؛ لانكم قتلتم في أول جولة للحرب بضعاً وعشرين من صناديدهم وفيهم صاحب الراية ، ولكنكم حينها خالفتم أمر النبي صلى الله عليه وسلم ، تلخلخ الإيمان في قلوبكم .

إذن فالعملية التي حدثت تؤكد صدق ۽ وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين ۽ . فأنتم علوتم في أول الأمر ، وعندما خالفتم الأمر صار لكم ما صار ؛ فقد صدقت القضية في قول الله : ﴿ وَأَنتُم الأَعلونِ إِنْ كَنتُم مؤمنين ﴾ .

وأيضا فإنكم أو نظرتم إلى المعركة نفسها لوجدتم أن عدوًكم لم يبق في أرض المعركة ، بل أنتم الذين بقيتم في موضع المعركة . وأين ذهب هو؟ أذهب إلى موقع آخر ينال فيه غلبة ونصرا؟ لم يكن هناك إلا المدينة ، والمدينة لميس فيها آخد ، ولم يلعب عدوكم إلى هناك ، وإنما ذهب ناحية مكة ، إذن فهو الذي هرب .

وبعد ذلك ماذا حدث؟ ألم يؤذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس ويطلب العدوّ مرهباً له ليظنوا به القوة ، وإن الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم ؟

⁽¹⁾ زراء ابن إسحاق وأحمد والبخاري ومسلم.

ولقد خرج رسول الله ، مع من ؟ أجاء بحامية لم تشهد المعركة ؟ لا . بل قال عليه المصلاة والسلام مناديا المسلمين : « إلى عباد الله » ، فالذين شهدوا المعركة سبعيائة ، جرح منهم الكثير وقتل منهم خمسة وسبعون ، فيهم حزة ، ومصعب بن عمير ، وعبدالله بن جحش ، وشهاس بن عثبان ، وسعد مولى عتبة ، هؤلاء خمسة من المهاجرين ، والباقي من الأنصار ، هؤلاء مطروحون من العدد الذي شاهد أول الموقعة ، حتى أن رسول الله لم يأخذ بدلاً منهم من المدينة من القوم الذين عرضوا أنفسهم ليكونوا مع الجيش الذي يطارد قريشاً ، بل أثر الرسول أن يذهب عن ذهب معه إلى المعركة أنفسهم ، ولم يكن منهم بطبيعة الحال الشهداء أو الجرحي ،

لم يقبل الرسول صلى الله عليه وسلم ممن لم يشهد المعركة إلا واحداً. وهوسيدنا جابر بن عبدالله . الذي لم يخرج في معركة أخد واعتذر إلى وسول الله بأن أباء عبدالله بن عمرو بن حرام قد خلفه على بنات له سبع وقال له :

يا بنى إنه لا ينبغى لى ولا لك أن نترك هؤلاء النسوة لا رَجّل فيهن ولست بالذى أوثرك بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على نَفْسى فتخلّف على الحواتك فتخلف عليهن فقبل رسول الله عذره بوأذن له فخرج معه وطاردهم رسول الله ومن معه إلى حمراء الأسد ، أما والده عبدالله بن عمرو فقد استشهد في الحد ومع ذلك فقد طلب من وسول الله على الرغم من استشهاد أبيه أن يخرج إلى حمراء الأسد ، وذلك لنعلم أن الله يقول :

﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّاهُو ﴾

لا من الآية ٣١ سبورة المدثر)

هذا وإن واحداً من المشركين الذين كانوا موضع سر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن حلفائه وهو معيد الخزاعي ، مُرَّ على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الحد وقال له : يا محمد : أما والله لقد عز علينا ما أصابك ، ثم لقى أبا سفيان بن حرب ومن معه بالروحاء (١) وقد أجموا الرجعة إلى رسول الله صلى الله عليه

⁽١) الروحاء : موضع بين الحرمين على اللائين أو أربعين ميلا من المدينة ـ القاموس المحيط .

وسلم وأصحابه فقال له أبوسفيان; ما وراءك يا معبد؟ قال : محمد قد خرج في أصحابه يطلبيكم في جمع لم أر مثله ، ولم يزل بهم حتى ثنى أبا سفيان ومن معه فولوا وجوههم إلى مكة خائفين مسرعين ، وقد ذهب رسول الله إلى حمراء الأسد فلم يجد أحداً فعسكر رسول الله ثلاثة أيام هناك ، ومعنى ذلك أنهم هم الذين فروا من المعركة . إذن فأنتم الأعلون ، ولكن لاحظوا الشرط ه إن كنتم مؤمنين ٤ . ثم بعد ذلك يُسَلّى الله المؤمنين فيقول :

وَيُعَلَّمُ اللَّهُ اللَّيْسَاءُ مُّ فَتَحَ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَسَرَّ الْفَاسِ مِثْلُمُ اللَّهُ الْأَيْسَامُ الْدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَيَسْلُمُ اللَّهُ اللَّيْسَامُ اللَّهُ اللَّيْسَامُ اللَّهُ اللَّهِ المَنْوَاوَيَشَخِذَ مِنكُمْ شَهَدَاتً وَلِيعَلَمَ اللَّهُ اللْمُلْمُ الللْهُ الللْهُ الللْهُ اللْمُعُلِمُ اللَّهُ الللْمُعُلِمُ الللْمُعُلِمُ اللَّهُ الللْمُعُلِمُ الللْمُ اللَّهُ اللْمُعُلِمُ

وقد تكلمنا من قبل عن و المس ، وهو : إصابة بدون حس . . أي لمس لكنك لا تحس بحرارة أو نعومة مثلا ، إنما و اللمس ، هو أن تحس في الشيء حرارة أو نعومة ويحتاج إلى الالتصاق المؤقت ، إنما ، المس ، هو ما لا تكاد تدرك به شيئاً ، وه القرّح ، هو : الجراح ، وفي لغة أخرى تقول ، القرح ، بضم القاف وأقول ، العُرح وهو الألم الناشى، من الجراح ، كي يكون لكل لفظ معنى .

وأنت قد ترى بعض الألفاظ فنظن أن معناها واحد في الجملة ، إلا أن لكل معنى منها ملحظاً ، أنت تسمع مثلاً : رأى ، ونظر ، ولح ، ورمق ، ورنا . كل هذه تدل على البصر . لكن كل لفظ له معنى :

رمق برأى بحؤخر عينيه ، ولمح يأى شاهد من بعد ، ورنا : نظر بإطالة ، وهكذا .

ويقال أيضاً ؛ جلس ، وقعد ، فالمعنى العام يكاد يكون واحداً ، لكن المعنى الدقيق يوضح أن الجلوس يكون عن اضطجاع . والقعود عن قيام ، كان قائباً فقعد ، والاثنان ينتهيان إلى وضع واحد ، فكذلك ، قُرح ، وه قُرح ، كل نفظ له معنى دقيق .

ويقولون مثلاً وإن للأسد أساء كثيرة ، فيقال إن الأسد » ولا الغضنفر » ولا الرئبال » ولا الورَّد » ولا القشورة » . صحيح هذه أساء للأسد ، ولكن لكل اسم معنى محدد ، قد « الأسد » هو اللفظ العام والعَلْم على هذا الحيوان ، و « الغضنفر » هو الأسد عندما ينفش لبدته ، و « الوَرَّد » هو حالة للأسد عندما يكون قد مط صليه ، فكل موقف للأسد له معنى خاص به .

وقوله الحق : « إن يمسسكم قرح نقد مس القوم قرح مثله » لاحظ أن المتكلم هو الله فافطن جيداً إلى موادات كلامه ، ونعرف أنه في الشرط والجواب ، أن الشرط يأتي أولاً ثم يأتي الجواب من بعد ذلك مترتبا عليه ونتيجة له ، كقولنا « إن تذاكر تنجح » إن النجاح هو جواب لشرط وهو الاستذكار .

وقوله الحق : ﴿ إِنْ يُسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ، فهل المعنى المراد من هذه الجملة الشرطية أن مس القرح للكافرين الذى حدث فى بدر كان كجزاء لمس القرح للمؤمنين فى أحد ؟ لا ، إنه لا يكون أبداً جواباً لشرط ؛ لأنه لو كان جواب شرط لقال الحق : إن يمسسكم قرح فسيمس القوم قرح مثله ، ولكنه لم يقل ذلك لأن القرح الذى أصاب المشركين فى بدر كان أسبق من القرح الذى أصاب المؤمنين فى أحد .

وكأن الحق يقول: إن يمسسكم فرح فلا تبتئسوا ؛ فقد مس القوم قرح مثله ، وليس ذلك جواب الشرط، ولكنه جاء ليستدل به على جواب الشرط، أى أنه تعليل لجواب الشرط، أقول ذلك حتى لا يتدخل دعى من الأدعياء ويتهم القرآن والعياذ بالله عاليس فيه . إنه سبحانه عيثت المؤمنين و يسلبهم . ومثال ذلك ما نقوله نحن لواحد إذا أصابته كارثة :

. إن كان قد حدث لك كذا ، فقد حدث لحصمك مثله ، إذن قنحن نسليه ، والمقصود هنا أن الحق يسلّى المؤمنين : إن يجسسكم قرح فلا تبتشبوا ، فليكن عندكم سُلَّو وَلْتَجَازُوا هذا الأمر وَلْتَرْض به نفوسكم) لأن الفوم قد مسهم قرح مثله .

والأسوة والتسلية ، مل تأتى بما وقع بالفعل أم بما سبقع ؟. إنها تأتى بما وقع بالفعل ، إذن فهى تعلل تعليلًا صحيحاً : « إن بمسلكم قرح فقد مس القوم قرح مثله » .

وأطلق الحق صبحانه من بعد ذلك قضية عامة : « وتلك الأيام نداولها بين الناس » . ما معنى المداولة ؟ . داول أى نقل الشيء من واحد لآخر . وتحن هنا أمام موقعتين ؛ غزوة بدر وغزوة أحد . وكان النصر للمسلمين في غزوة بدر بالإجماع ، أما غزوة أحد فلم يكن فبها هزيمة بالإجماع ولم يكن فبها نصر .

إذن فقوله الحق: « وتلك الآيام نداولها بين الناس » أي مع النسليم جدلاً بأن الكفار قد انتصروا ـ رغم أن هذا لم مجدث ـ فإننا نقلنا النصر منكم أيها المؤمنون إليهم .

وإياك أن تفوتك هذه الملاحظة ، بأن النصر لم ينتقل إليهم إلا بمخالفة منكم أيها المؤمنون . ومعنى أنكم طرحتم المنهج . ومعنى أنكم طرحتم المنهج ، أى أنكم أصبحتم مجرد ، ناس ، مثلهم .

ومادمتم قد صرتم مجرد ناس بدون منهج مثلهم ومتساوين معهم ، قإن النصر لكم يوم ، ولهم يوم . ولنلحظ أن الحق لم يقل : إن المداولة بين الناس هي مداولة بين مؤمنين وكافرين .

فإن ظللتم مؤمنين فلا يمكن أن ينتقل النصر إلى الكفار ، إنما النصر يكون لكم . انظر ماذا قال : « وثلك الأيام نداولها بين الناس » ولم يقل بين المؤمنين والكافرين ، أي بينكم وبين قريش .

0144100+00+00+00+00+0

وليس المقصود بالأيام ما هو معروف لدى الناس من أوقات نضم الليل والنهار ، ولكن المقصود به الأيام و هنا هو أوقات النصر أو أوقات الغلبة . ويقال أيضاً : ه يوم فلان على فلان و إذن هوتلك الأيام نداولها بين الناس ه لم تتضمن المداولة بين المؤمنين والكافرين ، ولكنها مداولة بين الذين مالت أبصارهم إلى الغنائم فتخلخل إيمانهم ، فغازت قريش ظاهرياً . فلوظللتم على إيمانكم لما حدث ذلك أبداً . لكنكم تخليتم عن منهج ربكم ، وبذلك استويتم وتساويتم مع غير المؤمنين ، وبذلك تكون الأيام قذلك مرة ولهذا مرة أخرى ، إنها مطلق عدالة .

علينا أن نتذكر الشرط السابق ، لا لعدم الهزيمة . بل للعلو والنصر :

وأنتم اأأعلون إن كنتم مؤمنين ، .

إن الحق سبحانه في مسألة مداولة الأيام ينبه المؤمنين الذين تخليفل إيمانهم : مادمتم اشتركتم معهم في كونكم بجرد و أناس و فيصبح النصر يوماً لهم ويوماً لكم ، والذكى العبقرى الفطن الذي يحسن النصرف هو من يغلب و لأن المعركة هنا تدور بين قوة بشر مقابل قوة بشر . ومادام المسلمون قد تخلوا عن منهج الله فقد صاروا مجرد بشر في مواجهة بشر . ولذلك قلنا وإنه عندما تخلي الرماة عن إنفاذ أمر القائد الأعلى سيدنا وصول الله صلى الله عليه وصلم ظهرت عبقرية خالد بن الوليد على عيقرية المقاتلين المسلمين .

ويجب أن تلحظ في قوله الحق : « وتلك الأيام نداولها بين الناس » أننا لا يمكن أن نقول : إن مداولة الأيام تكون بين المؤمنين والكافرين ، إنما هي بين الناس ؛ لأن الناس هم مجموعة الإنسان ، فإن تجردوا عن منهج السياد فهم سواسية ، وصاحب الناس هم نعلب ، أو صاحب العدد أو العُدة يغلب .

ولكن ما الذي يعوض كل تلك الإمكانات ويحقق النصر ؟ إنك إن تأخذ الله في جانبك فلن يجرؤ مخلوق أن يكون في مواجهة الحق في معركة . لقد قلنا قديماً وعلينا أن نعيها جيداً : إن الولد الصغير حينها يضطهد، زملاؤه فيلجأ إلى حضن أبيه ، عندتذ ينصرف كل منهم إلى حاله ، لكن أقرانه يستطيعون أن يهزموه عندما يبتعد

عن أبيه . فإ بالنا ونحن عيال الله ؟ وكذلك شأن الكفار مع المؤمنين .

إن الكفار قادرون على الانفراد بالمؤمنين حيثها يتخلى المؤمنون عن منهج الله ؛ لأن الله لن ينصر أناساً ليسوا على منهجه ، فلو تصر الله أناساً على غير منهجه فإن ذلك بيطل قضبة الإيمان . وعندما نستقرىء القرآن الكريم ؛ نجد أن كل خبر عن الإنسان وهو معزول عن المنهج الإلهى هو خبر كله شر .

فسيحاثه يقول :

﴿ وَالْعَصْرِ ١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَنِي خُسْرٍ ١ ﴾

ر سورة العصر)

إن الإنسان على اطلاقه لفي خسر ، ولكن من الذي يتجو من الخسران؟ وتأتى الإجابة من الحق فيقول :

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَامَنُواْ وَعَيِلُواْ الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْاْ بِالْحَيْقِ وَتَوَاصَوْاْ بِالعَسِبِرِ ﴿ ﴾

﴿ سورة العصر ﴾

وتتأكد القضية في موضع آخر من القرآن الكريم فيقول ـ سبحانه ـ ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ مَلُوعًا ۞ إِذَ مَسَّهُ ٱلشَّرُ بَعْرُوعًا ۞ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلضَّيْرُ مَنُوعًا ۞ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرِ مَنُوعًا ۞ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرِ مَنُوعًا ۞ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّيْرُ مَنُوعًا ۞ إِذَا لَمُصَلِّينًا ۞ ﴾

(سورة العارج)

إذن كل كلام في القرآن عن الإنسان على إطلاقه يأتي من ناحبة الشر . وما الذي ينجيه من ذلك ؟ إنه المنهج الألهي .

إذن فقول الحق : « وتلك الأيام لداولها بين الناس » تحمل تأنيبا ولدعة خفيفة لمن أعلنوا الإيمان ولكنهم تخلفوا عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في أحّد .

راجع أصله وحرح أحاديثه الدكتور أحمد حمر عاشم نانب رئيس جامعة الأرهر .

وبعد ذلك يقول الحق سبحانه : « وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين » .

ففى وقت النصر نجد حتى الذى لم يشترك فى المعركة يربد أن يُدخل نفسه فيمن المستصرين . لكن وقت الهزيمة فالحق يَظْهر ، والذى يظل فى جانب الهزيمة معترفا بأنه شارك فى نزوها بالمسلمين وان لم يكن شارك فقد عذر أو لام من كان سببا فيها ، وهو مع ذلك يسهم فى حمل أوزارها وآثارها الضارة ، ويتحمل ويشارك فى المسئولية ، إنه بذلك يكون صادقا .

وقد يقول قائل : هل الله لا يعلم الذين آمنوا ؟ لا ، إنه سبحانه وتعالى يعلم الذين آمنوا سواء حدثت معركة أو لم تحدث . لكن علم الله الأزلى الغيبي لا نرى نحن به الحُجَّة ، ولذلك لا تكون الحجَّة ظاهرة بيننا ، ولكن حين يبرزُ علم الله إلى الرجود أمامنا فإنه علم تقوم به الحَجة واضحة على من آمن ، وعلى من لم يحسن الإيمان ، وذلك حتى لا يدَّعي أحد لنفسه أنه كان سيفعل ، لكن الفرصة لم تواته .

وهكذا نأن المواقف الاختبارية والابتلاءات ليعلم كل منا نفسه وتبرز الحُجة علينا جيما . إذن : فهناك فرق بين علم الله الأزل للأشياء كها سوف تحدث ، ولكن لا تقوم به الحُجة علينا . فقد يدعى البعض أنه لو قامت معركة شديدة فإنهم سوف يصمدون ، ولكن عندما تقوم المعركة بالقمل فنحن نرى مَنَّ الصّامد ومَنْ هو غير ذلك من المتخاذلين الفارين ؟ ولنضرب لذلك مثلا ولله المثل الأعلى : نحن في حياتنا العادية نجد أن عميد إحدى الكليات يأى إلى المدرس ويقول له : نحن تريد أن نعقد امتحانا لتعرف على المتفوقين من العللاب ، وتمتح كلا منهم جائزة .

فيرد المدرس : ولماذا الامتحان؟ إنني أستطيع أن أقول لك: من هم المتقوقون ، وأن أرتبهم لك من الأول ومن الثاني وهكذا .

لكن عميد الكلية يصر على أن يعقد امتحانا حتى لا يكون لأحد حجة ، ويختّار العميد مدرسا أخر ليضع هذا الامتحان . وتظهر النتيجة ويكون توقع المدرس الأول

の**の+のの+のの+のの+の** | V/VE

هو الصائب ، وهكذا يكون تفوَّق هؤلاء الطلاب تفوقا بحُجة . وإذا كان ذلك يحدث في المستوى البشري فيا بالنا بعلم الله الأزلى المطلق؟

إن الحق بعلمه الأزلى يعلم كل شيء وتُعبط بكل شيء ، وهو سبحانه لا يقول لذا : أنا كنت أعلم أنكم لو دخلتم معركة ستفعلون كذا وكذا . .

وكان يمكن أن يجادلوا ويدعوا لأنفسهم أشياء ليست فيهم ، لكن الحق يضع المعركة وتكون النتيجة مطابقة لما يعلمه الله أزلا . إذن فالتغيير هنا لا يكون في علم الله ، لكن التغيير يكون في المعلوم لله ، ليس في العالم بل في المعلوم يحيث نراء حجة علينا .

ويقول الحق : و ويتخذ منكم شهداه ، وساعة تسمع كلمة ؛ يتخذ ؛ هذه ؛ اعرف أنها اصطفاء واختيار . وسيحانه يقول :

﴿ وَالْخَمَدُ اللَّهُ إِلَّهِ مِمْ خَلِيكُ ﴾

(من الأية ١٢٥ سررة النساء)

أى أنه جل وعلا قد آثر إبراهيم واصطفاء ، إذن فالاتخاذ دائيا هو أن يَأخَذُه إلى جانبه لمزية له ورفعة لمكانته .

وحين يقول الحق ; وويتخذ منكم شهداء و فنحن نعرف أن و شهداء و هي جمع شهيد ، وكلمة شهيد لها معاني متعددة ، فالشهيد في الفنال هو الذي يُقتل في المعركة ، وهذا سيكون حيا ويرزق عند ربه ، وإياك أن تغول : إننا عندما نفتح قبر الشهيد سنجده عظاما وترابا ، وهذا يعني أنه سلب الحياة . . لا ، إن الله وضح أن الشهيد حي عنده ، وليس حيا عند البشر ، وإذا فنح أحد من الناس القبر على الشهيد فسيراه عظاما وترابا ؛ فقد جعل الله سبحانه للشهيد حياة عنده لا عندنا .

﴿ وَلَا تَعْسَبُنَ الَّذِينَ تُعِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلَ الْعَبَاءَ عِندٌ رَّوِيسَم برُوْتُونَ ١٠٠

○ \VA• ○○+○○+○○+○○+○○+○

إذن فللشهداء عند ربهم حياة لا نعرف كنهها ، ويوم نفتح عليهم تبورهم تصير أمرا تحسا ، ولكن الله تبهنا أن الشهداء أحياء عند ربهم ، وعندما نتأمل كلمة وشهداء ، نجد أنها تعنى أيضا الشهادة على الحق الذي قامت من أجله المعركة ، وكل إنسان يُحب الخير لنفسه ، فلو لم يعلم هؤلاء أن إقدامهم على ما يؤدى إلى قتلهم عير لهم من بقائهم على حياتهم لما فعلوا .

وبللك يكون الواحد متهم شاهدا للدعوة وشهيدا عليها . وقد ينصرف المعنى في « شهداء » إلى أنهم بُلّغوا الدعوة حتى انتهت دماؤهم . ويذبل الحق الآية بقوله : « والله لا يحب الظالمين » .

ومعنى هذا التذييل أن المعركة يجب أن تدور في إطار الحق ، ومثلها قلنا : مادام الناس متخلفين عن المهج فإن الله لا يظلمهم بل سندور المعركة صراع بشر لبشر ، والقادر من الطرفين هو الذي يغلب . فالحق سبحانه بالرغم من كراهيته للكفر إلا أنه لا يُحابي المسلم الذي لا يتمسك بمطلوب الإيمان ، لذلك قد يغلب الكافر المسلم الذي لا يتمسك بمطلوب الإيمان ، ولكن إن تمسك المؤمنون بمطلوب الإيمان فالنصر مضمون لهم يأمر الله ، وبعد ذلك يقول الحق ؛

﴿ وَلِيْمَجِّصَ أَلِلَهُ ٱلَّذِينَ مَامَنُواْ وَيَمْحَقَ ٱلْكَنفِرِينَ ﴿ إِنَّهُ الَّذِينَ مَامَنُواْ وَيَمْحَقَ ٱلْكَنفِرِينَ ﴿ إِنَّهُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللّلَّا اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللّلْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّلْمُ اللَّهُ اللَّهُ ال

والنمحيص يختلف عن المحق ، لأن التمحيص هو تطهير الأشياء وتخليصها من العناصر الضارة ، أما المحق فهو الذهاب بها كلها . ويقول الحق بعد ذلك :

□□+□□+□□+□□+□□+□ \VAT□

إن الإيمان ليس مجرد كلمة نقال هكذا ، بل لابد من تجربة تثبت أنكم قُبَنتُم ونجحتم في الفتنة ، والفتنة هي الامتحان . إذن فلا تحسبوا أن المسألة سوف تمر بسهولة ويكتفي منكم أن تقولوا نحن نحمل دعوة الحق ، لا . إذا كنتم صادقين في قولكم بلزمكم أن تكونوا أسوة حين يكون الحق ضعيفا ؛ فالحق حين يكون قوبا فهو لا يحتاج إلى أسوة . بل قضية الإيمان الحق تحتاج إلى الاسوة وقت الضعف ، ودخول الجنة له اختبار يجب أن يجتازه المؤمن .

والحق يقول : « ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين » وعندما نسمع ذلك فعلينا أن نعرف أن الله يعلم علما أزلباً من المجاهد ومن الصابر ، ولكنه علم لا تقوم به الحُجة على الغير ، فإذا حدث له واقع صار حُجة على الغير . وبعد ذلك يقول الحق :

﴿ وَلَقَذَكُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ مَنْفُلُونَ فَ فَاللَّهُ مَنْفُلُونَ فَ فَعَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ نَنظُرُونَ فَ فَاللَّهُ اللَّهُ

وكان القوم الذين فاتهم شرف الاشتراك في بدر قد أرادوا أن يذهبوا مع الرسول للمشاركة في غزوة أخد ، ويوضح لهم الحق : اكنتم تظنون أن تمنى المعارك وحده يحقق النصر ، وهل كنتم نظنون أن كل معركة يدخلها المؤمنون لابد أن تكون منتصرة ؟ وإن كنتم تظنون أن المسألة هي تصر لمجرد التمنى ، فمعنى ذلك أنكم دخلتم إلى معسكر الإيمان من أجل الفأل واليمن والنصر ، ونحن نريد أن نعرف من الذي يدخل معسكر الإيمان وهو بائع روحه وهو محتسب حياته في سبيل الله .

فلو أن الأمر بمر رخاء ، لدخل كل واحد إلى معسكر الإبمان ، لذلك يفول الحق : «أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم أنه الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين» . فهل ظنتم أنكم تدخلون الجنة بدون أن يُخرج الحق على الملأ ما علمه

○IVAV ○○+○○+○○+○○+○○+○○+○○

غيباً ، وتترجمه الاحداث التي تجريها سبحانه فيصير واقعا وحُجة عليكم ، ويبرز الله سبحانه من الذين جاهدوا ؛ أي دخلوا في زُمرة الحقّ ، والذين صبروا على الأذي في الحق .

ويقول سبحانه : « ولقد كنتم غنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون » أى إن ما كنتم تتمنونه قديما صار أمامكم ، فلو أن التمنى كان صحيحا الاقبلتم على الموت كيا نقبلون على الحياة . ويقول سبحانه من بعد ذلك :

وتحن تعرف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه الأول هو « عمد » » وله اسم ثاني عرفنا، من القرآن وجاء في الإنجيل هو » أحمد » :

عَلْ وَإِذْ قَالَ عِبْسَى أَبْنُ مُرْبَمَ يَنْبَنِى إِسْرَ وَيلَ إِنِّى رَمُولُ اللهِ إِلَيْبَكُمُ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَذَى مِنَ النَّوْرَانَةِ وَمُبَيِّنَرًا بِرَسُولِ يَأْتِي مِنْ بَعْدِى الشَّهُ مُ أَحْدُ فَلَكَ عِبْنَ يَذَى مِنَ النَّوْرَانَةِ وَمُبَيِّنَرًا بِرَسُولِ يَأْتِي مِنْ بَعْدِى الشَّهُ مُ أَحْدُ فَلَكَ عَلَى النَّهُ مُ مَنْ النَّوْرَانَةِ وَمُبَيِّنَرًا بِرَسُولِ يَأْتِي مِنْ بَعْدِى الشَّهُ مُ الْمُدَّ فَلَكَ عَلَى النَّهُ مُنْ مَنْ النَّوْرَانَةِ وَمُبَيِّنَانِ فَالُواْ هَنْ فَا الْحِرُ مُبِينًا فَي الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُؤْمُونِينَ فَا الْمُؤْمُونِينَ فَالْمُواْ هَنْ فَا الْمُؤْمُونِينَ فَالْمُؤْمُونَ الْمُنْ الْمُؤْمُونِينَ فَالْمُؤْمُ مِنْ اللّهِ الْمُؤْمُونِينَ فَالْمُؤْمُونِينَ فَالْمُؤْمُونَ اللّهُ الْمُؤْمُونِينَ فَي اللّهُ الْمُؤْمِنَ اللّهُ الْمُؤْمُونِينَ اللّهُ الْمُؤْمُونُ اللّهُ الْمُؤْمُونُ اللّهُ الْمُؤْمُونِينَ اللّهُ الْمُؤْمُونُ اللّهُ الْمُؤْمُ اللّهُ الْمُؤْمُ اللّهُ اللّ

إسورة الصف)

وقد ورد اسمه صلى الله عليه وسلم « تُحمد » في القرآن أربع مرات ، و وأحمد الأ وردت مرة واحدة .

○○+○○+○○+○○+○○+○ \Y\\\

والآية التي نحن بصددها ، وهي آية ذكر فيها اسم محمد : 1 وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، ولنقرأ قول الحق :

﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدُ أَبَّنَا أَحْدِينَ رِجَالِكُمْ وَلَذَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتُمُ النَّبِيثُنَّ وكَانَ اللّهُ بِكُلِّ شَيَّهِ عَلِيمًا ﴿ ﴾

(صورة الأحزاب)

وقوله تعالى :

﴿ وَاللَّذِينَ وَاللَّذِينَ وَالْمَالُولَ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ وَوَاللَّهُ إِلَّا مِنَا اللَّهُ عَلَى مُحَمِّدٍ وَهُو اللَّحَقّ مِن وَرَبِّهِ مَا لَكُمْ عَنْهُمْ مَنِيعًا لِيهِمْ وَأَصْلَحَ بِالْمَنْمُ ۞ ﴾

(صورة محبد)

وها هو ذا القول الكريم :

﴿ عَمَدٌ رَسُولُ ٱللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ وَأَشِدًا أَهُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمّا أَ بَيْنَهُمْ تَرَنَهُمْ وَكُمّا اللَّهِ وَرِضُونَا أَعْلَى اللَّهِ وَرِضُونَا أَنْ اللَّهِ وَرِضُونَا كُلُهُمْ اللَّهِ وَرِضُونَا كُلُهُ

(من الأية ٢٩ سورة القتح)

والاسم هو ماوِّضع غَلَماً على المستى ؛ بحيث إذا ذُكر الاسم جاء إلى الذهن المسمى ، فإذا اشترك اثنان فى بيئة واحدة فى اسم ؛ فلا بد من التمييز بينهما بوصف . فإذا كان فى أسرة واحدة ولدان اسم كل واحد منهما تحمد ، فلا بد أن نميز بين الاثنين بصفة ، وفى الريف نجد من يسمى و تحمدًا الكبير، وو تحمدًا الصغير، .

وكلمة « نحمد » وكلمة « أحمد » مشتركتان في أصل المادة ؛ لأنها من « الحاء والميم والدال » فالمادة هي الحمد ، إلا أن التوجيه الاشتقاقي في محمد غير التوجيه الاشتقاقي في أحمد ، لأن الاسم قبل أن يكون علماً إذا خرجت به عن معتاه الأصل ، انحل عن معناء الأصل ، وصار علما على الشخص . ولذلك قد نجد رجلا له جارية سوداء فيسميها «قمرا » وقد يكون للرجل عبد شقى فيسميه : «سعيدا » . فإذا صار الاسم علما على شيء فإنه ينتقل من معناه الأصلى ويصير عَلَماً على المسمَّى ، لكن الناس حين تُسمى أبناءها تلمح التفاؤل في أن يصير المعنى الأصل واقعا .

والدميمة التي يسميها صاحبها ؛ قسرا ؛ افتقدت جمال المسمى ، ولذلك فهو يريد لها أن تأخذ جمال الاستم . وكلمة ؛ تحمد ؛ حين نظر إليها في الاشتقاق نجد أنها ذاتٌ يقع عليها الحَمَّد من غيرها ، مثلها تقول : فلان مكرَّم أي وقع التكريم من الغير عليه .

وكلمة «أحمد» نجدها ذاتا وقع عليها الحمد لغيرها ، وعندما نقول : مُكرَّم منه لغيره ، وعندما نقول : مُكرَّم منه لغيره ، وبضم الميم وفتح الكاف مع تشديد الراء مكسورة ـ أى وقع التكريم منه لغيره ، وفحن عندنا اسهان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، في القرآن وكلاهما من مادة و الحمد ، في د محمد ، ملحوظ فيه أن الحمد وقع عليه كثيرا من غيره . لكن لو كان المراد أن الحمد وقع عليه دون الكثرة فيه لكان اسم ، محمود ، هو الذي يطلق عليه فقط .

أما و أحمد و فقد قلنا إنه ملحوظ فيها أن الحَمُد وقع منه لغيره . و و أحمد و تنطابق مع أفعل التفضيل فنحن نقول : و فلان كريم وفلان أكرم من فلان ع . إذن ف و أحمد عدود أعمد ع أي وقع منه الحمد لغيره كثيرا ، فلو كان الحمد قد وقع منه بقدر محدود لقلنا و حامد و . إذن ف و أحمد و مبالغة في و حامد و وقع منه الحمد لغيره كثيراً فصار أحمد . و و عمد و مبالغة في و عمود و ، وقع عليه الحمد من غيره كثيراً فصار عمدا .

إذن فرسول الله صلى الله عليه وسلم جمع له الله بين الأمرين ؟ فهو محمد من الله وحامد لله ؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع الله له بين مقامين : مقام الاصطفاء ومقام المجاهدة ، فبالاصطفاء كأن « محمدا » و« محمودا » ، وبالمجاهدة كان و حامدا » و أحمد » . إذن تحن هنا أمام مقامين اثنين لرسول الله صلى الله عليه

وسلم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أنا محمد وأحمد والمقفى والحاشر ونبى التوية ونبى المرحمة و(١٠) .

وسيكون لذلك كلام ونحن نتناول هنا بالخواطر معركة أخد، فيعد أن انحل القوم من الرماة عن أمره، وحدثت الكرة عليهم من المشركين القرشين، بعد ذلك يتجه الصحابة هنا وهناك ليفروا، ويتكنل المشركون على رسول الله لدرجة أن ابن قعئة يحسك حجرا ويضرب به حضرة النبي عليه الصلاة والسلام فيكسر ربّاعِيّته، وتنغرز في وجنتي الرسول حلقتا المغفر، ويسيل منه الدم، ويحاول الرسول صلى الله عليه وسلم أن يصعد على صخرة من الجبل ليعلوها فلم يستطع فجلس تحته طلحة بن عبد الله فنهض به حتى استوى عليها. وكلها مجاهدات بشرية.

أما كان الله يقادر أن يُجنّب رسوله كل ذلك ؟ إنه سبحانه قادر . ولكن كل ذلك كان تكريما من الله ، ولم يرد سبحانه أن يجرم رسوله من لذة المجاهدة ، وحتى يعرّف الله المؤمنين بمحمد نقول : إن الله لم يأت بمحمد ليدلله على خلقه ، ولكن ليدُلُ كُلّ مؤمن على أن رسول الله حينها حدث له ما حدث قد ذاق المجاهدة ؛ فقد فر بعض المقاتلين من المعركة في أحد ، وكادت ربح الهزيمة تهب على معسكر الإبجان ، هاهو ذا سيدنا أبو عبيدة رضى الله عنه يذهب إلى وسول الله فيجد حلقتى المغفر في وجنتيه صلى الله عليه وسلم ، فيحاول سيدنا أبو بكر أن يخلع حلقتى المغفر ، فيتألم الرسول صلى الله عليه وسلم ، فيحاول سيدنا أبو عبيدة :

ـ إليك يا أبا بكر . بالله دعني .

ويمسك أبو عبيدة بإحدى الحلقتين وينزعها من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقطت ثنيته الاخرى فكان أبو عبيدة وسلم فسقطت ثنيته الاخرى فكان أبو عبيدة درضى الله عنه مساقط الثنيتين ، وقال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : ولكل أمة أمين ، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح ، وينزف دمه صلى الله عليه وسلم ، وسيدتنا فاطمة بلهمها الله أن تأتى بقطعة من حصير وتحرثها ، وتأخذ

⁽¹⁾ رواه أحمد ومسلم عن أبي موسى الاشعري.

التراب الباقى من الحريق وتضمد به الجرح . إن الله لم يشأ أن يحرم رسوله لذة المجاهدة .

ويأى آنس بن النضر ويجد الصحابة وفيهم عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيدالله وقد ألقوا ما بأيديهم ، فيسألهم أنس : ما يجلسكم ؟ فيقولون : قُتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيقول : فإذا تصنعون بالحياة بعده ؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله _ صلى الله عليه وسلم _ ثم استقبل القوم من المشركين فقاتل حتى قبل .

هذه كلها مواقف لم تكن تأتى وتظهر إلا بهذه المعركة . 1 وما محمد إلا رسول 6 أى اسمعوا . هذا محمد وهذه منزلته ، هو رسول من الله جاء بعد عيسى بن مريم ، وكان من الواجب أن نعلم أن الرسول صلى الله عليه وسلم مؤكد على بشريته . 4 وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أنإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم 4 .

وهل انقلب أتباع الرسل السابقين على أعقابهم حينها ماتت رسلهم ؟ نكيف تكونون أقل شأنا من هذه الأمم ؟ هبوا أن ذلك قد حدث ، فلهاذا لا يبقى الحير الذي يلغه فيكم وسول الله إلى يوم القيامة ؟ الرجل الذي يكون قد صنع خيرا بجوت بموته ، أيكون قد صنع شيئا ؟ لا ؛ فالذي يوبد أن يصنع خيرا فعليه أن يصنع خيرا يخلفه .

لذلك فالزعامات الفاشلة هي التي يكون الفرد فيها زعبها ، ثم يموت وتبحث عن زعيم بعده فلا نجد ونتساءل : لماذا خنق الزعيم أصحابه وزملاءه ؟ أكان خائفا منهم ؟ ونظل نتمني أن يكون قد ربّ الزعيم أناسا ، فإذا ما ذهب نجد من يخلفه ، فلا يوجد إنسان يضمن حياته ؟ لذلك يقول الحق : * وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل » .

وساعة تسمع القول الكريم : و وما عمد إلا رسول ، فهذا أسلوب اسمه أسلوب

القصر . إنه سيحانه وتعالى يقصر محمدًا على الرسالة . فإذا قصر محمد صلى الله عليه وسلم على الرسالة فهذا يعنى أن بعض المعاصرين له كانوا يعتقدون أن محمدًا أكبر من رسول ولا يموت . فأوضح الله سيحانه أن محمدًا رسول ، وقد خلت من قبله الرسل ، ولن يخلد الله أحدًا .

وهل غاب ذلك عن اللهن ؟ نعم كان ذلك يغيب عن اللهن بدليل أنه حتى بعد أن نزلت هذه الآية وصارت قرآنا يُتل ، نجد أن سيدنا عمر رضى الله عنه وكانت له غطرة صافية توافق وحى الله ، إنه عدَّث مُلْهُم .

ها هو ذا عمر بن الخطاب حينها مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتقل إلى رحاب الله يقول: والله ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يموت حتى يقطع أيدى أناس من المنافقين كثير وأرجلهم. قال عمر بن الحطاب ذلك من هول الفاجعة ونسي الآية فيأتي سيدنا أبو بكر فيقول: من كان يعبد الله فإن الله حي لم يحث ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لم يحث ، ومن كان يعبد عمدًا فإن محمدًا قد مات ، وتلا قوله تعالى : « وما عمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم عل اعقابكم ومن ينقلب على عقبه فلن يضر الله شبئا وسيجزى الله الشاكرين » . فقال عمر بن الخطاب : « فلكأنى لم أقرأها إلا يومئذ » .

ثم إن عمر بعد أن بايع المسلمون أبا بكر بالخلافة قال : أما بعد فإن قلت لكم أمس مقالة ، وإنها لم تكن كها قلت ، وإن والله ما وجدت المقالة التي قلت لكم في كتاب أنزله الله ، ولا في عهد عهده إلى وسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكنى كنت أرجو أن يعيش رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يَذْبُرنا (١) فاختار الله عز وجل لرسوله الذي عند، على الذي عندكم ، وهذا الكتاب الذي هدى الله به رسوله فخذوا به تهتدوا كها هُدِي له رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وهذه تعطينا أمرين اثنين :

الأمر الأول: هو عِشق الصحابة لرسول الله صل الله عليه وسلم.

⁽¹⁾ يديرنا: يكنون أخرنا مونّا.

والأمر الثانى : هو حاجة إيمان ؛ فالعشق لا يستقيم ولا يصح أن يخرجنا عن طور التصور الإيمان ؛ فعمر بن الخطاب قال : عندما سمعت أبا بكر يتلو هذه الآية عرفت حتى ما تقلني رجلاي ، وحتى هويت على الأرض .

إذن فقوله سبحانه : « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل » يعنى لا ترتفعوا به أنتم أيها المؤمنون برسالته فوق ما رفعته أنا .

ومعنى وينقلب على عقبيه » أى يرجع . فهل هذا الرجوع رجوع عن المعركة ؟ أو رجوع عن أصل التشريخ وأصل الديانة وأصل الرسالة التى جاء بها محمد ؟ إن هذ يصح ، وذلك يصح ، وقوله الحق : وأفإن مات أو قتل ه قول واضح ، وسبق أن تعرضنا إلى الموت وإلى القتل ، وقلنا : إن الموت والقتل مؤداهما واحد ، وهو الذهاب بالحياة ، إلا أن الذهاب بالحياة مرة يكون بنقض البنية التى لا تسكن الروح فيها إلا بمواصفاتها ، فإن نقضت البنية ولم تجد الروح المسكن الملائم لها تتركه ، لكن الموت على إطلاقه : هو أن تذهب الحياة بدون نقض البنية ، فالإنسان يذهب حنف أنفه ، أى تجده قد مات وحده .

إذن فنقض البنية يؤدي إلى ذهاب الحياة بالقتل ؛ لأن الروح لا تسكن في مادة إلا بمواصقات خاصة ، فإذا انتهت هذه المواصفات ذهبت الروح . لكن عندما تذهب الروح بمفردها بدون نقض للبنية فهذا هو الموت لا الغتل .

والله سبحانه يقول : ﴿ أَفَإِنَ مَاتَ أَوْ قَتَلَ ﴾ ذلك أنهم أشاعوا أن النبي قد قتل . وكيف يجوز ذلك على الصحابة والله قد قال :

عَلْ وَآلَهُ كُنْ يُعْصِمُكُ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾

(من الآية ٦٧ نسورة اطائدة)

وهنا نقول : هل أنت علمت أن هذه الآية قد نزلت قبل أحد أو بعدها ؟ وهل أنت حسن النظن بأن كل صحابي يكون مستحضرا لكل آيات القرآن في بؤرة

شعوره ؟ ألا ترى أنهم عندما سمعوا خبر قتله هربوا ، وإذا كان سيدنا عمر قد نسى هذه الآية : و أفإن مات أو قتل ، كها أنه يحتمل أن يكون المراد من عصمة الله رسوله من الناس أنه _ سبحانه _ يحفظه من فتنة الناس وإذلالهم .

وهكذا أراد الله أن تمثل لنا معركة أحد كل الطوائف والأصناف التي تُنسب إلى الإيمان تمثيلاً يتضبح في موقف ابن أبي حيث انخذل والقطع عن رسول الله بثلث القوم ، ومرحلة أفل منها ، تتمثل في طائفتين هَمّتا ، ثم شاء الله أن يربط على قلويها فيظلا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولما نشبت المعركة كان للرماة موقف في المعركة الأحدية .

كل هذه مصاف إبمانية غيل لنا كيف يصفى الله مواقف المنسوس إليه . وتظهر وتوضح موقف كل واحد ، وأنه مفضوح إبمانيا إن وقف موقفا بخالف منهج الله . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم . في هذا الوقت . في موقف الإنهاك لقوته البشرية لدرجة أننا قلنا : إنه أراد أن يصعد فلم تُقو مادته البشرية ، فطأطأ طلحة ظهره ليصعد النبي عليه ، وهو في هذه المرحلة من الإنهاك المادي البشري يريد الحق صبحاته وتعالى أن يعطيه من القوة في هذا الضعف وفي هذا الإنهاك ما يقف به أمام حبار من جبابرة قريش . كان هذا الجهار يتهدده .

ولو أن الموقف كان موقف قوة لرسول الله أكان من المعقول أن يتصر رسول الله على جبار قريش ؟

(١) رواه الحافظ ابن كثير في التفسير.

○1V1×○○+○○+○○+○○+○○+○○+○○

ولكن الله يريد أن يُرينا تأييد الله لرسوله ، في موقف إنهاكه وكيف يقف من جبار قريش هذا الموقف ، هذا الجبار هو ، أي بن خلف الجمحى ، وكانت عنده زُمُكة (١) فيقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم : هذه الرمكة أنا أعلفها كل يوم فَرْقاً(١) مِن ذُرة لأقتلك عليها . فيقول له رسول الله قولة الواثق من أن ربه لن يخذله : ، بن أنا أفتلك إن شاء الله » .

لم يلتق هذا الرجل مع رسول الله وهو في توته ، ولكنه جاء لرسول الله وهو في هذا الموقف الذي أثخنته فيه الجراح وكسرت رباعيته ودخلت حلقتا المغفر في وجنتيه وسائل دمه . وبعد ذلك يأتي إليه هذا الرجل _أبي بن خلف الجمحي _ وهو يقول : أبن محمد ؟ لانجوت إن تجا ، فقال القوم : يا رسول الله أيعطف عليه رجل منا ؟

فيشير إليهم رسول الله أن اسكتوا . إنه ـ رسول الله ـ لا يريد قوة لقوة ، ولكنه علم أن أبيًا قد عرف أن رسول الله منهك فجاء في هذا الوقت ، فأخذ رسول الله الحربة ، وضرب أبي بن خلف بها فنالت منه ، فسقط من على فرسه يخور كها يخور الثور ، فقال له أصحابه : « لا بأس عليك يا أبي ، ما أجزعك : إنما هو خدش » (٣).

وهذا الذي قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي اشتد عليه غضب الله تعالى لما رواه ابن عباس رضى الله عنها قال : « اشتد غضب الله على مَنْ قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده في سبيل الله واشتد غضب الله على قوم دُمُوًّا وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ه (١٠) .

ولننظر كيف أن الذين عادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم استكبارا وعنادا ، ولم (1 ع الرمكة : انتى البردون ريطان على غير العربي من الخبل ، عظيم الحلقة غليظ الاعتماء فوى الارجل عطيم المقرامي

- (٣) الفَرْقُ: مكيال يسع سئة عشر رطلًا = ٧ الدج نفريبا.
 - (٣) ابن كثير في النفسير.
 - (١) روه البخاري.

يعادوه عقيدة قلبية ، إنهم يعتقدون صدقه ، ويعتقدون خُسن بلاغه عن الله ، ويتحقق ذلك من قوله سبحانه وتعالى :

> ﴿ وَجَمَدُواْ يَهَا وَٱسْتَبْقُنَتُهَا أَنفُسُهُمْ فُلَكَ وَعُلُوا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَنْقِبَهُ الْمُفْسِدِينَ ١ ﴾

(سورة النمل)

فيا هو الاستيقان هنا؟ لقد قال أصحاب أن له: ما أجزعك إنما هو خدش فقال أن : ما أجزعك إنما هو خدش فقال أن : والذي نقسى بيده لوكان الذي بي باهل الحجاز لماتوا جميعا . لكن أصحاب أبي قالوا له مرة أخرى : لا بأس عليك يا أبي إنه خدش بسيط . لكن أبي يقول :

ـ لا والله لفد علمت أنه يفنلني ؛ لأنه قال في بمكة : وأما قاتلك إن شاء الله ي فوالله توبصق على لقتلني . فيات وهم قافلون به إلى مكة .

هذا يحدث من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في موقف الضعف والإنهاك ، ويشاء له الله أن يقتل جبارا من جبابرة قريش وهو في هذه الحالة . إن كل ذلك لأدلة تثبت لهم أن البشرية المادية لا علاقة لها مطلقا بمدد النصر من الله ؛ فالله يُحد رسوله حتى في وقت الضعف . ومدده سبحانه لرسوله وقت ضعف الرسول هو إعلام بقيوميته سبحانه على جنوده ؛ لأنهم لوظلوا أقوياء لقبل في عرف البشر : أقوياء وغلبوا .

لكن هاهو ذا الرسول يصيب الجبار من قريش في مقتل والرسول ضعيف ، وبعد ذلك يعطى الحق سبحاته لرسول الله أشياء إيمانية تزيده ثقة بأنه هو رسول الله ، وتزيد المؤمنين ثقة بأنه رسول الله . لقد خرج إلى المعركة وهو يعلم بما سيكون فيها ؛ لأنه قال : (إلى قد رأيت والله خبرا رأيت بقرا تُذبح ورأيت في ذباب سيفي ثُلُما ، ورأيت أنى أدخلت يدى في درع حصينة فأولتها المدينة)(1) .

١٢ سيرة ابن هشام حـ٣ ص ١٢.

وقال صلى الله عليه وسلم : (لقد رأيتني يوم أحد وما في الأرض قرب مخلوق غير جبريل عن يميني وطلحة عن يساري)(١) .

إذن فالمعركة بكل أحوالها عُرضت عليه ، ومع ذلك أقبل رسول الله على المعركة ليستدل من ذلك على أن الله أعطاه المناعة قبل أن يخوض المعركة . هذا ما يتعلق به صلى الله عليه وسلم ، لقد رأى فأول ، وأما الذي يتعلق بالناس ، قبأن إلى واحد من قتل المعركة ، وقتل المعركة ، لا يُغسَّلون ؛ لأن الذي يعسل هو من يموت في غير معركة . يأن الرسول إلى واحد من هؤلاء الشهداء فيقول :

« إن صاحبكم لنفسله الملائكة » ـ يعنى حنظلة ـ المؤمنون يرون أنه صلى الله عليه وسلم قد خرج عن القاعدة في الشهداء . كيف ؟ . لقد أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بالخبر بعد ذلك . . ولا يُخرج حنظلة عن قانون الشهداء أنه يُغسّل . . ولكن الذي يفسله هم الملائكة . . إن الملائكة تغسل حنظلة .

وبعد أن رجع رسول الله إلى المدينة يال أهله ما شأنه . . فيعلم أن حنظلة قد دخل بعروسه . . ثم نودى للمعركة . . فأعجله نداء المعركة . . فذهب إلى المعركة جُنبا . . فذلك غُسُل الملائكة له ، لقد تأكد الخبر من زوجة حنظلة . . إذن فهذه شهادة أخرى أن الله سُبحانه وتعالى لم يتخل عنهم في أوقات الضعف ، وأن تلك العملية كانت عملية مقصودة .

إن الحق سبحانه وتعالى يعطى الرسول صلى الله عليه وسلم أشياء لتؤكد لنفسه أنه وسول الله . ألم نقل سابقا : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاه له صحابته فقالوا : يا رسول الله : إن جابر بن عبدالله عليه دين ليهودى وأجل الدين إلى جُزّ التمر وتمره خاس هذا العام أى فسد من آفة مثلا فنحب يا رسول الله أن تطلب من البهودى أن يُنظر جابرا - أى ينبظر عليه ويؤخره إلى وقت آخر مد فذهب رسول الله إلى البهودى وطلب منه أن يُنظر جابرا ، فلم يرض اليهودى وقال : لا يا أبا القاسم ، .

⁽¹⁾ وواء الحاكم في البسدوك من أن هويرة

فأعاد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال اليهودى : لا يا أبا القاسم . فأعاد عليه الرسول مرة ثالثة فقال اليهودى : لا يا أبا القاسم . . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بثقة الإيمان بالله ما معناه : يا جابر الذهب بى إلى بستانك .

وذهب رسول الله فجاس خلال النخل، ثم ذهب إلى عربش جابر الذي يجلس فيه، واضطجع وقال: يا جابر جز واقض. قال جابر: فذهبت فجززت، فإذا ما جززته يؤدي ما على لليهودي ويبقى لى ما لم يبق لى وأنا غير مدين، فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

و أشهد أنى رسول الله ع. إن الحق سبحانه يعطى رسوله بينات تؤضح أنه رسول الله ع فاليهودى لم يرض بشفاعة النبى ، فيعطى الله رسوله ما يؤكد أنه رسول الله . وهكذا نرى أن الله يعطى رسوله في وقت الضعف الأدلة التي تؤكد له أنه رسول الله . والذي يدل على ذلك هؤلاء الذين أحبوا أن يؤذوه في اسمه . إنّ اسمه محمله كما نعرف ، ولا محمد ع أى المعدوج من الكل ، وبكثرة ، فياتي خصومه ويريدون أن يهجوه وأن يلعنوه ، فيصرفهم الله سبحانه وتعالى حتى عن شتم الاسم لا المسمى فقط .

إن الله أراد أن يصعد العصمة ، وأراد مسبحانه للا ينالوا بالسباب من اسم رسول الله ، فألهم الله خصوم رسول الله أن يسموا المشتوم عندهم و مذعا ، بدلا من و محمد ، وعندما يريدون اللمن ، فهم لا يلعنون الاسم محمدًا ولكنهم يسبون الاسم الذي اختاروه وهو و مذمم ، فيضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عندما سمع ما قالته أم جيل امرأة أي لهب :

و مذيما عصينا .. وأمره أبينا .. ودينه قلينا ١١٥ . وهي تقصد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الله عليه وسلم وهو الله عليه وسلم الله عليه وسلم وهو جائس في المسجد عند الكعبة ومعه أبو بكر الصديق وفي يدها حجر قلما وقفت عليها أخذ الله ببصرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ترى إلا أبا بكر فقالت :

⁽١) قلينا: أنفضنا.

يا أبا يكر أين صاحبك؟ فقد يلغني أنه يهجوني والله لو وجدته لضربت بهذا الحجر فاه أما والله إن لشاعرة وقالت ما قالت .

ويقول رصول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ﴿ أَلَا تَعَجَبُونَ لَهَا يَصُرُفَ اللَّهُ عَنَى مَنَ أَذَى قريش يشتمون مُذُكًّا ويلعنون مذتما وأنا محمد ﴾ (١) .

هكذا نزى من أقواه الحاقدين على رسول الله أنه معصوم بإرادة الله ، حتى الاسم أبعده الله عن اللعن ، أما المسمى فلن يلعن ولن يشتم .

إن ما حدث في غزوة أحد كان هو التربية الأولى لصحابة رسول الله ، والتأكيد على صدق بلاغه عن الله . إن هذه المعركة قد صورت ذلك وجسدته ، ولذلك حين للحظ المعارك التي جاءت بعد هذه المعركة فإننا لا نجد للمؤمنين هزيمة أبدا ، لانهم صفوا التصفية وربوا التربية التي جعلت كل واحد منهم عارفا أن الله يعلم ما يخفيه وإن لم يحسن البلاء والجهاد فسيقضح الله ما في نفسه ، وسيملن الله عنه ، لذلك دخل كل مؤمن منهم المعارك وهو مقبل على الجهاد ، وكل المعارك بعد أحد جاءت نصرا وجاءت ملاما .

وهنا يعلمنا الحق أن البقاء على منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم هو النجاة وهو النصر ، ويحذرنا سبحانه ألا ينقلب المؤمن على عقبيه ، قال لنا : (أفإن مات أو قتل انقلبم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسبجزى الله الشاكرين) .

وومن ينقلب على عقبيه ، هي صورة حركية مادية مرثية . وقد حدث ذلك من بعض الصحابة في معركة أحد ، لقد فر البعض وانقلب بعضهم إلى المدينة ، ومعنى وانقلب ، أي أعطى ظهره للمعركة بعد أن كان مواجها لعدوه ، وهي مثل قوله : وقول الأدبار » .

⁽¹⁾ رواه البخاري في المناقب، والنسائي في الطلاقي ورواء أحمد في المستد.

ولكن فى قوله : « انقلبتم على أعقابكم » فيه انقلاب حسى أيضا ، وفيها كذلك الفلاب نفسى ، وهو الانصراف عن أصل الدين ، ولذلك سيعوفنا الحق أن المنافقين بعد حدوث تلك الواقعة وبعد ما فشا وذاع فى الناس قتل الرسول كان لهم كلام ، وضعاف الإيمان كان لهم كلام آخر ؛ فالمنافقون الذين هم أكثر شرا من الكفار قالوا : لوكان نبيًا لما قتل ، ارجعوا إلى إخوانكم وإلى دينكم .

أما الذين آمنوا إيمانا ضعيفا فقالوا : سنذهب إلى ابن أبّي ليأخذ لنا أمانا من أب سفيان . فيقف أنس بن النضر قائلا : اللهم إن أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء ـ أى المنافقون ـ وأعتذر إليك مما يقول هؤلاء ـ أي ضعاف الإيمان ـ .

لقد وزعها بالحق ، فهو يبرأ إلى الله من قول المنافقين الذين قالوا : إنهم سيعودون إلى دينهم القديم ، ويعتذر ويستغفر عن ضعاف الإيمان . ويقول سبحانه : « ومن ينقلب على عقيه فلن يضر الله شيئا ، . لماذا؟ لأن الله أزلاً وقبل أن يخلق شيئا من خلقه له كل صفات الكيال ، إذن فأى صفة من صفات الكيال لم تطرأ عليه مسبحانه من خلقه المهلق لأنه قادر ، وأوجده مسبحانه من أوجد الكون بما فيه الحلق لأنه قادر ، وأوجده لأنه حكيم ، وأوجده لأنه عالم ، إذن فخلق الحلق لم بزد الله صفة من صفاته ، فحين علقكم وصنعكم أعطى لكم المنهج لتكونوا خلقا سويا . إذن فالمصلحة تعود علينا شحن الحلق ، فكان يجب أن تنظروا إلى المناهج التي تأتى من الله على أنه لا نفع فيها يحت الحلق ، فهو يعرف أن ربنا يستحق الشكر على أنه كلفنا بالمنهج ، ولذلك فمن يلحظ هذه ، فهو يعرف أن ربنا يستحق الشكر على أنه كلفنا بالمنهج ، ولذلك جاءت الآية من بعد ذلك لتقول : « وسيجزى الله المساكرين ، لأن الشكر إنما يؤديه العبد على تعمة ، نعمة تمحيص وتعليم وبيان مكانة الرسول صلى الله عليه وسلم من ربه . لقد تعلم المؤمنون أن الله يستحق منهم الشكر على هذه النعم .

وبعد ذلك ينتقل بنا الحق إلى قضية عامة، القضية العامة للناس جميعا هي :

﴿ وَمَاكَانَ لِنَفْسِ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ

كِنْكِبَا مُّؤَجَّلًا وَمَن يُرِدْ قُوَابَ اللَّهُ فِيَا اُنُوْتِهِ. مِنْهَا وَمَن يُرِدْ قُوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ. مِنْهَأْ وَسَنَجْزِى الشَّنكِرِينَ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ

وساعة تسمع «ما كان » أى « ما ينبغى » . فنحن في حياتنا نقول : ما كان لك أن تضرب زيدا ، فقوله ؛ وما كان لنفس أن تضرب زيدا ، فقوله ؛ وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله » هذا القول قد ينافع إلى التساؤل : وهل الموت أمر اختيارى ؟ لا ، ولكن تعبير الحق سبحانه له إيجاء ؛ لأنك عندما تقول : ما كان لفلان أن يقعل كذا ، فهذا معناه أن لفلان أن يختار أن يفعل ذلك أو لا يفعله ، وفي قدرة فلان أن يقعل أو لا يفعل . أما عن قدرة الله فلا يمكن أن يقول أحد ذلك .

إننا تفهمه على فرض أن النفس تدفع تفسها إلى موارد النهلكة ، فيا لها أن تموت إلا أن يأذن الله . فإذا كانت النفس هي التي تدفع نفسها إلى موارد النهلكة ، ومع ذلك لا تملك أن تموت ، فكيف إذا لم تدفع نفسها إلى موارد النهلكة . إذن فالموت إن أرادته النفس فلن يأتي إلا أن يكون الله قد أذن بذلك ، وإننا تجد في واقع الحياة صورا شتى من هذه الصور .

نحد من يضيق غرعا جذه الحياة ؛ لأن طاقته الإيمانية لا تتسم للبلاء والكد في الدنيا فينتحر ، إنه بريد أن يفر تما لا يقدر على دفع أسبابه . أما الذي يملك الطاقة الإيمانية الرحية فأى شفاء أو بلاء يقابله يقول : إن لى ربا ، وما أجراه على ربى فهو المربى الحكيم الذي يعرف مصلحتى أكثر مما أعلم ، ولعل هذا البلاء كفارة لى عن ذهب .

وهذا عكس من يقر تما لا يقدر على دفع أسبابه ، فيحاول أن يقتل نفسه ، وكل منا قد رأى أو سمع عن بعض الذبن يريدون ذلك لكن يتم إنقاذهم ويدركهم من ينفذ

مشيئة الله في إنقاذهم ، كغسيل المعدة لمن ابتلع أقراصا سامة ، أو إطفاء حريق من أشمل في نفسه النار . فالمنتجر بريد لنفسه الموت ولكن الله إذا لم يأذن ، فلا يبلغه الله هذا ، فقد تجد منتجرا بريد أن يطلق على نفسه رصاصة من مسدس فلا تنطلق الرصاصة ، أو تجد منتجرا آخر بريد أن بشنق نفسه بحبل معلق في السقف فينقطع الحبل ، لماذا ؟ لأنه لا يقبض الحياة إلا من وَهَنِ الحياة .

قد يقول قائل: ولكن هناك المقتول الذي يقتله إنسان آخر. وهنا يود المثل الشعبى: لوصير الفاتل على المقتول لمات بمفرده. إن اللحظة الذي تفارق الروح مادة الجسد موقونة بأجل محدود، فمرة تأتى اللحظة بدون سبب، فيموت الإنسان حتف أنفه، ويقول أصدقاؤه: لقد كان معنا منذ قبيل. إنهم ينسون أنه مات لأنه بموت بكتاب مؤجل.

ولذلك نجد إنسانا يسعى إلى عافية الحياة ، فيذهب إلى إجراء جراحة ما ، وأثناء إجراء الجراحة عنه ورحم الله أمير الشعواء أحمد شوقى حين يقول في ذلك : في المسوت مسائعسيا وفي أسبسابسه كلل المسرى، رحسن بسطي كشابسه أسدد لعمسرك من يحسوت بنظفسره عنسد اللقساء كمن يجسوت بشابسه الناء الماري المسرد الماري الما

إن نام عندك فكال طب نافع أو لم ينم فالطب من أذنابيه

إن الكدب إذا انطوى فقد انتهى الأمر ، حتى عندما يلتقى الإنسان بأسد ، فيستوى الموت بالناب ، كالموت بظفر الأسد . فإن نام الموت عن الإنسان فقد يشقيه من أمراضه قرص دواء أو جرعة ماء . أما إن استبقظ الموت فالطب والعلاج قد يكون ذَنَباً أو أداة للموت ، والقاتل كل ما فعله أنه نقض بنية المقتول ، وهذا هو ما يعاقب عليه .

إذن فقول الحق : ٥ وماكان لنفس أن نموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلًا ٥ يطلق قضية

عامة . والكتاب المؤجل يطلق مرة على زمن العمر كله ، ومرة يطلق على النهاية النهائية منه ، والنهاية النهائية هي الموت الحقيقي . فالقاتل حين ينقض بينية الفتيل إنما يوافق الأجل المكتوب الذي أراده الله . لكن لماذا نعاقب القاتل إذن ؟ نحن نعاقبه لأنه نقض بنية إنسان آخر .

والحق يقول: « وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا ». ولنلحظ قوله: « بإذن الله ، وما كان لنفس أن الله هو الذي يطلق الإذن . والإذن يكون للملائكة ليقوموا بهذه المسألة . ولذلك تجد القرآن الكريم حين يتعرض لهذه المسألة يسند مرة هذه العملية لله فيقول سبحاته:

﴿ اللهُ يَسُونَ الْأَنتُسَ حِنَ مُونِا وَالَّتِي لَرُ عَلَتْ فِي مَنَامِثًا فَيُسْبِكُ الَّتِي تَعْفَى عَلَيْهَا الْمُوْتَ وَيُرْسِلُ الْأَنْوَى إِلَى أَحْرِلُ مُسَمَّى إِذَ فِي فَالِكَ لَاكْ يَسْتِ لِقَوْمِ عَلَيْهَا الْمُوْتَ وَيُرْسِلُ الْأَنْوَى إِلَى أَحْرِلُ مُسَمَّى إِذَ فِي فَالِكَ لَا يَسْتِ لِقَوْمِ عَلَيْهَا الْمُوْتَ وَيُرْسِلُ الْأَنْوَى إِلَى أَلِي أَمْسَمًى إِذَ فِي فَالِكَ لَا يَسْتِ لِقَوْمِ النَّالِ اللهُ عَلَى اللهُ الله

(سورة الزمر)

ومرة الحرى يسند القرآن هذه العملية لِلْلَكِ والعد:
﴿ قُلْ يَنُونُكُمُ مُلِكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِي وَكُلَّ بِكُرْتُمُ إِلَىٰ وَيُكُرُ تُرْجَعُونَ ﴿ ﴾

(سورة السجدة)

ومرة يسندها الحق سبحانه إلى رسل من المعاونين لملك الموت: ﴿ وَهُو َ الْقَاهِرُ مُوَى عِبَادِهِ ، وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةٌ سَتَّىٰ إِذَا جَآءَ أَسَدَّكُمُ الْمَوْتُ مَوْقَتُهُ وَهُوا لَا يَقْرِطُونَ ۞ ﴾ تَوَفَّتُهُ رَسُلُنَا وَهُمْ لَا يُقَرِطُونَ ۞ ﴾

و سورة الأنعام)

والحق سبحانه وتعالى صادق فى كل بلاغ عنه ؛ لأن كل أمر يحدد الأجل ليس مجراد الموكّل بإنهاء الأجل ، إنما هو بإذن من الله تعالى الذى يحدد ذلك . وعادام كل أمر قد صدر منه فهو سبحانه الذي يترفى الأنفس ، وبعد ذلك فالملك الذي يتوفى

الأنفس = عزرائيل = له أعوان ؛ فهو عندما يتلقى الأمر من الله فهو ينقل الأوامر إلى أعوانه ليباشر كل واحد مهمته . إذن قصيرورة الأمر بالموت نهائيا إلى الله .

وصيرورة الأمر بالموت إلى الملائكة ببلاغ من الله ، هذا هو الإذن ، والإذن يقتضى مأذونا ، والمأذون هم ملائكة الموت الذين أذن لهم ملك الموت بذلك ، وملك الموت تلقى الإذن من الله سبحانه وتعالى .

ويقول الحق من بعد ذلك : « ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها » فاللكي يريد جزا». الدنيا وهو الذي يطلب جزاء حركته قيها ، يأخذها ، ولوكان كافرا :

> ﴿ مِن كَانَّ بُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَمَّلُنَا لَهُ فِيهَا مَا تَشَاءُ لِمَن نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَمَ يَصْلَلْهَا مَـذْمُومًا مَّذَجُورًا ﴿ ﴾

(سورة الإسراء)

ويقول سبحانه وتعالى فى موضع آخر من الفرآن الكريم : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآنِحَرَةِ تَزِدْ لَهُۥ فِي حَرْثِهِۥ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا لُؤْتِهِ؞ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِي الْآنِحَرَةِ مِن نَصِيبٍ ۞ ﴾

(سورة الشوري)

وهذا ينهى عملية أن تقول: إن الكفار حالتهم أفضل من حائننا، الكفار متقدمون ؛ وتحن متخلفون . وهل لم تأت فترة كأن فيها المؤمنون متقدمون جدا ؟ لقد جاءت فترة تقدم فيها المؤمنون ، وكانوا متقدمين لألف سنة ، وهم الدولة الأولى في العالم . وكان الكفار يسمون زمانهم ودولهم بأنها تحيا في عصور الظلمات . لماذا أنكرتم هذه ا؟ لأن الناريخ جاء لنا من ناحية هؤلاء وقد شوهوه ، ولذلك نقول لهم : نحن كنا متقدمين وأنتم والتاريخ يشهد بدلك .

ولذلك قلنا : يجب على المؤمن بالله أن يكون غيورا على أسباب الله ، لهلا يدع

أسباب الله للكافر بالله ، أيأخذ الكافر بأسباب الله وأنت يا مؤمن بالله تترك الأسباب ليأخذها هو !؟ لا ؛ لأن من يعبد الله أولى بسرَّه فى الوجود ، فكوننا نتركهم بأخذون الأسرار العلمية ولا ننافسهم فى هذا المجال هذا تقصير منا .

ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزى الشاكرين ، ونلحظ أن الحق قد جاء بلفظ « الشاكرين ، مرتين ، والقرآن يؤكد هذا المعنى . إنه سبحانه أعطاكم أسبابا فإن كانت الأسباب قد جاءت لكم بمسائل الدنبا فهى تستحق الشكر ، وإن كانت ستعطيكم تكليفا مع الأسباب فهذا التكليف سيعطيكم خير الأخرة ، وهو أمر يستحق الشكر أيضا .

وبعد هذا الكلام النظرى ﴿ وماكان لنفس أن تموت إلا بإذنِ الله كتابا مؤجلا ﴾ . . يقول ما يؤكد وجوده في موكب الإيمان الذي سبقكم ﴾ لأن فيه فرقا بين الكلام وبين أن يقع مدلول الكلام ، فواقع الكلام سبقكم فيقول :

﴿ وَكَأَيِّن مِن نَّبِي قَلَتُلَ مَعَهُ يَبِيْنُونَ كَيْنِيُّ فَمَا وَهَا ضَعُفُواْ وَمَا وَهَا اللّهِ وَمَا صَعُفُواْ وَمَا اللّهِ وَمَا صَعُفُواْ وَمَا اللّهَ يَكُونُ الصّابِيلِ اللّهِ وَمَا صَعُفُواْ وَمَا اللّهَ يَكُونُ الصّابِينِ اللّهِ اللّهِ اللهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ ال

و رکأین به هذه یقولون : إنها للتکثیر ، مثل و کم ، و فعندما یقول لك إنسان مثلا : لماذا تجافیتی ؟ فتقول له : کم زرائ ؟ إن قولك : و کم زُرتك ! ، فی ظاهرها أنها استفهام ، وأنت لا تربد أن نقول له مستفها کم مرة زُرته فیها ، بل تقول له : أنها استفهام ، وأنت لا تربد أن نقول له مستعترف أن زُرتك كثیرا ، فیکون الجواب أنت الذی علیك آن تقول ـ لانك بقولك ستعترف أن زُرتك كثیرا ، فیکون الجواب موافقا لما فعلت . وأنت لا تقول و کم زرتك ، إلا وأنت وائق أنه إذا أراد أن مجیب فسیقول : وزرتنی کثیرا ، لما قلنها ،

فعندما تقول له : كم زرئك ، كم تفضلت عليك ، كم واسيتك ، كم أكرمتك ؟ فإن دكم » تأى للتكثير ، وتأنى مثلها « كأين » إنها للتكثير أيضا ، عندما تقول مثلا : « ياما حصل كذا » و « ياما » عذه معناها « كأين » .

وقد يسالك صديق : كيف حدثت هذه الحكاية ؟ فتقول له : كأى رجل يفعلي كذا ويحصل له كذا ، أى أن المسألة ليست غرية ، إن قولك : كأى رجل معناها أنها شاعت كثيرا ، وعندما تقول : كم مرة زرتك ، وكم من مرة زرتك فهذان الاستمالان صحيحان والمعنى : كثير من نبى قاتل معه مؤمنون برسالته كها حدث وحصل مع رصول الله . وقوله الحق ه ربيون » أى ناس فقهاء فاهمون سبل الحرب ، وو ربيون » أيضا تعنى : أتباعا يقاتلون ، وه ربيون » يمكن أن ينصرف ممناها إلى أن منهجهم إلحى مثل ، الربانيين » .

وقول الحقيد فيا وهنوا على ما ضعفوا ، إذن فهو يريد أن يأل بالأسوة ، وكأنه سبحانه يقول : أنتم لماذا ضعفتم في موقفكم في غزوة أحد وأنتم تفاتلون مع رسول الله . لقد كان الأولى بكم أن يكون حاسكم في الفتال معه أشد من حماس أى أتباع تبي مع نبيهم ؛ لأنه النبي الخاتم الذي سيضع المبدأ الذي ستقوم عليه الساعة ، ولن يأل أحد بعده ، فكان يجب أن تتحمسوا ؛ فأنتم خير أمة أخرجت للناس ، وأنا لدخرتكم لللك .

إن الحق يعطيهم المثل وفيه تعريض بهم وعناب لهم ، وفي هذا القول تعليم أيضا ، فيقول : « وكأين من نبي » أي وكثير من الأنبياء « قاتل معه ربيون كثير فمأ وهنوا لما أصابهم » ونستوحي من كلمة « وهنوا » أي ما ضعفوا . فكأنه قد حدث في القتال ما يضعف ، « فها وهنوا لما أصابهم » أي ما حدثت لهم نكسة مثلها حدثت لكم .

ع وما ضعفوا وما استكانوا ع . وكل من و وهنوا ا وع ضعفوا ع ود استكانوا ع هذه جاءت في موقعها الصحيح ١٠لان و الوهن ع بداية الضعف ، ود الوهن ع محله القلب وهو ينضح على الجوارح ضعفا . وه استكانوا ع ماذا تعنى ؟ إنها من د سكن ع . والسكون نقابله الحركة .

□ (A+V) (A+V

والحرب تحتاج إلى حركة ، والذي يأن للحرب فهو بحتاج إلى كر وقر . أما الذي لا يتحرك فهذا معناه أنه ليس لديه قدرة على أن يتحرك ، وساعة تسمع - الألف والسين والتاء - وتأتى بعدها كلمة ، نعلم أن (الألف والسين والتاء) للطلب ، و فاصّفَهُم ، أي طلب أن يفهم ، وهي تأتي لطلب المادة التي بعدها . كأن نقول : « استعلم » أي طلب أن يعلم ، أو نقول : « استخبر » أي طلب الخبر ، و« استكان » يعنى طلب له كؤنًا أي وجودًا ، فكأنهم بلغوا من الوهن ومن الضعف مبلغاً يطلبون فيه أن يكون لهم مجرد وجود ؛ لأن الوجود مظهره الحركة ، والحركة مبلغاً يطلبون فيه أن يكون لهم مجرد وجود ؛ لأن الوجود مظهره الحركة ، والحركة انتهت ، هذا هو معنى « استكانوا » .

ومادامت مِن الكون يكون وزنها - مثلها يقول الصرفيون - « استفعل » يعنى طلب الكون ، وطلب الوجود ، وقد يكون وزنها ليس كذلك ؛ إذا كانت من سكن ، وهي بهذا الاعتبار لا يكون فيها طلب ؛ لأن السين ستكون أصلية ، فوزنها ليس و استفعل » بل هو « افتعل » فد « استكانوا » هل تعنى أنهم طلبوا السكون ؟ لا ؛ لأنهم كانوا ساكنين ، إذن فالأولى أن يكون معناها أنهم طلبوا مجرد الوجود ، هذا ما أميل إليه وأرجحه ، وقيل في معناها : فها خضعوا وما ذَلوا من الاستكانة : وهي الذلة والخضوع .

« فها وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين » فها يصيب العبد ابتلاء من الله ، وفي الحديث : « إذا أحب الله قوما ابتلاهم ه (١٠٠ . وكل ذلك الوهن والضعف ، لا يشغلهم عن المعركة ، لانهم لو صبروا على التحمل لأمدهم الله بحدد من عنده ؛ لأنه حين نفرغ أسباب الخلق وتنتهى يأتي إمداد الحالق .

ويلفتنا الحق سبحانه وتعالى بتذبيل الآية : « والله يجب الصابرين » أى وكفى جزاء عن الصبر أن تكون محبوبا لله ؛ لأننا فلنا سابقا : قد نحب الله لنعمه التى أنعمها علينا ، ولكن المسألة ليست في أن تحب الله أنت ، وإنما في أن تصبر بتطبيق

 ⁽¹⁾ رواء الطراق في الأرسط والكبر، والبيهتي في شعب الإيمال، وانضياء المغلسي عن أنس. وصححه
السيوطي.

□□+□□+□□+□□+□ \A·A□

منهجه فيك عبوبا لله . وقد أثر من بعضهم قوله :

وإلا أَلم قُرْ كثيراً لحَبُّ ولم يُحَبُّ ؟!!

أنت أحببت للنعم ، ولكنك تريد أن تكون محبوبا من الله ؛ لأن حبك للنعم لا يكفى ، فمثل هذه النعم أخلها الكافر أيضاً ، إذن فهناك حاجة أخرى . هناك مقدم وهناك مؤخر ، فالمقدم هو نعم الحياة وكل البشر شركاء فيها مؤمنهم وكافرهم ، ولكن المؤخر هو جزاء الله في الأخرة وهو الأصل .

إذن ، فلو أن الناس فطنوا إلى قول الله : و والله يجب الصابرين ، لقالوا : كفى بالجزاء عن الصبر أن نكون محبوبين لله ، حين أصابهم ما أصابهم . صحيح أن الإصابة لم تصنع فيهم وهنا أو ضعفا أو استكانة ، وهذا معناه أن فيهم مسكة اليقين بالله . ومُسكة اليقين بالله تجعلهم أهلا لإمداد الله . فليس لك إلا أن تصبر على ما أنت فيه لتعرف مدد الله لك . ومدد الله لك لا يتجل بحق إلا وقت الضعف ؛ لائك وقت قوتك قد تعمل مثل الذين قيل فيهم :

﴿ فَإِذَا مِسَ الْإِنْسَنَ مُرِّدَعَانَا ثُمُ إِذَا خُولَنَنَهُ نِعْمَةً مِنَا قَالَ إِثْمَا أُوتِبِتُهُ عَلَى عِلْنَا مَا لَا مُعَلِّمُ مِنَا قَالَ إِثْمَا أُوتِبِتُهُ عَلَى عِلْنَا مُ الْإِنْمَا لَا يَعْلَمُونَ فَي ﴾ عِلَيْهِ بَلَ مِن فِينَةً وَلَنكِنَ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ فَي ﴾

(سورة الزمر)

لكن المؤمنين حين أصابهم ما أصابهم و فها وهنوا ، الإنهم كانوا منيقظين إلى قضية إيمانية : إن الله لا يسلمك لنفسك إلا حين تغيب عنه ، فقالوا : ولماذا حدث لنا هذا ؟ لم يقولوا : ربنا انصرنا كي نخرج من الضعف ، لا . بل فكروا في الأسباب التي أدت بهم إلى هذا :

﴿ وَمَاكَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا آغَفِرُلْنَا دُنُوبَنَا وَأَنْسَا أَغُفِرُلْنَا دُنُوبَنَا وَإِنْسَارُنَا وَأَنْصُرُنَا وَنُوبُنَا وَإِنْسُرُنَا

(編編集) ○1A+**1○○+○○+○○+○○+○○**

عَلَى ٱلْفَوْمِ ٱلْكَنْفِرِينَ ﴿ لَهُ

فكان ما حدث نتيجة لذنب تقدم فقطنوا إلى السبب ، كان المقررض أنهم فى معركة ، وهذه المعركة أجهدتهم وأنهكتهم ، صحيح أنهم لم يضعفوا ، وكان المقروض أن يقولوا و وارب انصرنا أولا ، لا . بل قالوا : لابد أن نعرف السبب فى النكسة الأولى ، السبب فى هذه النكسة أن الله أم يسلمنى إلى نفس إلا لأن نسيته .

هوما كان تولهم إلا أن قالوا ربنا ، و ربنا ، و انظر لكلمة النداء في و ربنا ، على يمكن أن يقولوا : يا ألله إنما جاموا بكلمة و ربنا ، لماذا ؟ لأن علاقة العبد بالربوبية هي قبل علاقته بالألوهية ، فالألوهية مكلفة ، فمعنى و إله ، أي : معبود ، ومادام معبودا فله تكليف يطاع فيه ، وهذا التكليف يأن بعد ذلك ، هو سبحانه له ربوبيته في الحلق . قبل أن يكلفهم ، ومادام الرب هو الذي يتولى التربية ، فالأولى أن يقولوا : يارب ، إذن قولهم : و ربنا ، يعنى أنت متولى أمورنا ، أنت الذي تربينا .

وربنا اغفر لنا ذنوبنا و فكأنه لا شيء يصيبنا إلا بذنب من الغفلة ارتكبناه . ونعرف من كلمة و ذنب و أن الذي يفطن إلى معناها لا يفعلها أبدا و لأن كلمة و ذنب و مأخوذة من مادة و الذّنب و . والذّنب سيأتي بعده عقوبة . فاللفظ نفسه يوحى بأن شيئا سيأتي وعندما تتذكر عقاب الذنب فأنت لا تفعله .

و اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا ۽ لأن كل معصية تكون تجاوزا عيا أحلّه الله لك ، وزيادة غير مشروعة وإن كانت من نوع ما أحله الله ، ولكنها زيادة عن مقومات حياتك ؛ فالله شرع لنا الزواج لنأتي بالأولاد ، وعندما نأخذ أكثر من هذا من غير زواج نكون قد أسرفنا ، والله أعطانا مالا بقدر حركتنا ، فإن طمعنا في مال غيرنا فقد أسرفنا ، ووأسرفت ؛ يعني أن تأخذ حاجة ليست ضرورية لقوام حياتك . ولذلك فالحق سبحانه وتعالى يقول :

00+00+00+00+00+01/1-0

﴿ قُلْ يَكِيبَادِي اللَّذِينَ أَمْرَفُواْ مَلَى أَنفُسِمِ لَا تَفْسَلُواْ مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ اللَّاللَّهُ يَغْفِرُ اللَّهِ مَن اللَّهُ يَغْفِرُ الرَّبِعْمِ ﴿ ﴾ اللَّفُورُ الرَّبِعْمِ ﴿ ﴾

(صورة الزمر)

إنه سبحانه يوضح : أنا حللت لك كذا من النماء فيا الذي جعل عينيك تزوغ وتميل إلى غير ما أحله الله لك ؟ أنا أحللت لك كسب يدك وإن كنت فقيراً فستأخذ صدقة ، لماذا أسرفت ؟ إذن فكل أمر زائد على الحد المطلوب لبقاء الحياة اسمه وإسراف » وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا » . لقد بدأوا يدخلون في الحق ، لكنهم في البداية رَأَوُا الباطل ، والباطل هو من أسباب تخلى الحق عن نصرتنا أولا ، لكن عندما يغفر سبحانه الذنب ويغفر الإسراف في الأمر نكون أهلا للمدد وأهلاً لتثبيت الله .

و وثبت أقدامنا و كيف يقول الحق ذلك والمقهوم في المعركة أن الأقدام لا تثبت ؟ المعركة تطلب من المفاتل أن يكون صوالاً جوالاً متحركا ، إذن فها معنى و وثبت أقدامنا و يعنى لا تجعلنا نفر من أرض المعركة ، أقدامنا ولا نترك أرض المعركة آبدا ، ولذلك قلنا : إن الكفار عندما حدث منهم ما حدث لم يظلوا في أرض المعركة ، بل تركوا أرض المعركة وانصرفوا ، وهؤلاء المؤمنون ولو أنهم انهزموا إلا أنهم مكثوا في أرض المعركة مدة ، وكروا وراء أعدائهم وطاردوهم . وقد المتدى البشر أخبراً إلى هذا المعنى ، ففي فرنسا نيشان يسمونه و نيشان الذبابة و لماذا المغنى ، ففي فرنسا نيشان يسمونه و نيشان الذبابة و لماذا المغروض على المعركة مناه ، فكذلك المفروض على المعادة إليها ، فيعطره نيشان الذبابة .

فقوله : ﴿ وَثِبِتَ ٱقدامنا ؛ فِي أَى منطقة ؟ وفي أَى معركة ؟ علينا ألا نبرح أماكننا ؛ لأننا ساعة أن تبرحها فهلم أول الهزيمة ، وهذا أمر يُجَرَّى، العدو علينا .

« وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين » . كلمة ، وانصرنا على القوم الكافرين ، هي حيثية ، فإداموا قد قالوا : «وانصرنا على القوم الكافرين ، فهم إذن

مؤمنون ، ومؤمنون بحق ؛ ولذلك فإن سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول قولته المشهورة : إنكم تنتصرون على عدوكم بطاعة الله ، فإن استويتم أنتم وهم في المعصية عَلبوكم بعُدتهم وغددهم .

ولذلك فالإيمان يتطلب أن تنتبهوا إلى موطن الضعف فيكم أولا ، والذى استوجب أن يصيبكم ما أصابكم ، حقًا إنكم لم تضعفوا ، ولم تستكينوا وأصابكم من المعركة شيء من التعب والألم . وكأن الحق يوضح لنا أنهم قد تنبهوا فأحسنوا البحث في تفوسهم أولا ، لقد تكلموا عن الذنوب وطلبوا المغفرة وتكلموا عن الإسراف على النفس ، ويعد ذلك تكلموا عن المعركة . فإذا كان العطاء من الله ؟

ويأتينا الجواب في قوله الحق:

﴿ فَنَانَنَهُمُ أَلِنَهُ ثُوَابَ ٱلدُّنِيَا وَحُسَنَ ثُوَابِ ٱلْآخِرَةِ فَالْمَانَهُمُ أَلِنَهُ ثُوابَ ٱلدُّنِيا وَحُسَنَ ثُوابِ ٱلْآخِرَةِ

أى أن الذي يريد الدنيا فالله يعطيه من الدنيا غنائم وأشياء ، ولنا أن نلحظ أن الحق عندما يتكلم هنا عن الدنيا فهو لم يصفها بحسن أو بشيء ، فقط قال : و ثواب الدنيا و ، لكن عندما تكلم عن الأخرة فهو يقول : و وحسن ثواب الأخرة و وهذا هو الجهال الذي يجب أن يُعشق ؛ لأن الدنيا مهما طالت فهي متاع وغرور ورزخرف زائل ، ومهما كنت منعما فيها فأنت تنتظر حاجة من اثنتين : إما أن تؤول عنك النعمة ، وإما أن تؤول أنت عن النعمة .

ويختم الحق الآية بقوله : « والله يحب المحسين » وقد أحسنوا حين ناجوا ربهم بعدما أصابهم . إنهم سألوا المغفرة ، وسألوا أن يغفر لهم إسرافهم في أمرهم ، وأن يثبت أقدامهم وأن ينصرهم على القوم الكافرين ؛ لأنهم رأوا أن قوتهم البشرية حين

· \$P\$ | \$P\$

يتخلى عنهم مدد الله تصبح هباءً لا وزن لها .

و فأتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الأخرة والله يجب المحسنين ، ومثلها قلنا في الصبر : « والله يجب الصابرين » كفى بالجزاء على الصبر أن تكون مجبوباً لله ، كذلك كفى بالجزاء على الإحسان أن تكون مجبوبا لله . وبعد ذلك يقول الحق :

﴿ يَتَأَيَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوَا إِن تُعِلِيمُوا الَّذِينَ كَفَكُرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَكِمْ فَتَسْقَلِبُوا خَسِرِينَ ۞ ﴿ اللهِ

ومادمتم مؤمنين وهم كفار فكيف يتأتى منكم أن تطيعوا الكافرين ؟ إنكم وهم من أول مرحلة غتلفون ؛ أنتم مؤمنون وهم كفار ، والكافر والمنافق سيستغل غرصة الشعف في النفس الإيمانية المسلمة ، ويحاول أن يتسلل إليها ، مثل قلنا : إن جماعة من المنافقين قالوا : قتل محمد ، ولم يعد فينا رسول فلنلجأ إلى دين آبائنا . والمؤمنون الذين أصابتهم لحظة ضعف قالوا : تذهب إلى ابن أبي المنافق الأول في المدينة وتطلب منه أن يتوسط لنا عند أبي سفيان ليأخذ لنا الأمان .

ولذلك يقول الحق : ﴿ يِنَالِهَا الذَينَ آمنُوا إِنْ تَطَيِّمُوا الذِينَ كَفُرُوا يَرْدُوكُم عَلَى الْعَقَابِكُم فَتَقَلُّبُوا خَاسَرِينَ ﴾ ، فإن كان الموقف يُحتاج إلى ناصر فلا تطلبوا النصير من الكافرين ، ولكن اطلبوه عمن آمنتم به ، وينزل القول الحق :

﴿ بَلِ ٱللَّهُ مُولَى السَّكُمُّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّاصِرِينَ ﴿ بَالْ اللَّهُ مُولَى اللَّهُ مَا اللَّهُ مُولَى

のMITOO+OO+OO+OO+OO+O

ألم يقل أبوسفيان : و لذا العُرَّى ، ولا عُرَّى لكم ، ، فقال لهم النبي قولوا لهم : الله مولانا ولا موتى لكم ، وعندما قال : يوم بيوم ، أى يوم أخد بيوم بدر ، الحرب سجال . فرد عليه عمر بن الحطاب رضي الله عنه وقال : لا سواء ، أى نحن لسنا مثلكم ؛ قتلانا في الجنة ، وقتلاكم في النار ، فكيف تكون سواء وكيف تكون سجالًا !؟

وبل الله مولاكم وهو خير الناصرين و ونفهم قول الحق: وخير الناصرين و أي يجوز أن يوجد الله بشرا كافرين أو غير كافرين وينصروكم نصرا سطحيا ، لا نقول إن هذا نصر إنما النصر الحقيقي هو النصر الذي يأتي من الله ، لماذا ؟ لان النصر أول ما يأتي من ناحية الله فاطمئن على أنك خالص ومخلص لله وإلا ما جاءك نصره ، فساعة يأتيك نصر الله فاطمئن على نفسك الإيمانية ، وأنك مع الله .

وقول الحق: عير الناصرين و دليل على أنه من المكن أن يكون هناك ناصر في عرف البشر . وقد قال المؤمنون : يارب نحن ضعاف الآن وإن لم نذهب لأحد ليحمينا ماذا نصنع ؟ فيوضح لهم الحق : كونوا معسكرا إيمانيا أمام معسكر الكفر ، وإناكم أن تشجأوا إلى الكافرين بربكم اللانهم غير مأمونين عليكم . وإن كنتم تريدون أن تعرفوا ماذا سأفعل : و ستلفى في قلوب الذين كفروا الرعب و . فإذا ألقى الرعب في قلوب الذين كفروا الرعب عددهم وأمواهم تصير ملكا لكم وتكون في السلب والغنيمة .



00+00+00+00+00+001/110

وألقى الحق فى قلوبهم المرعب بالفعل . فساعة قالوا لأبى سفيان : إن محمداً قادم إليك بجيش كثيف من المدينة ، وانضم له مقاتلون لم يجاربوا من قبل ، وقادم إليكم فى حمراء الأسد . ماذا صنع أبو سفيان وقومه ؟ ألقى الله الرعب فى قلوبهم وفروا .

وكلمة « سنلقى » مأخوذة من ، الإلغاء » وهو لا يكون إلا لمادة وعين . ويبين لنا القرآن هذا الأمر حين يقول : « فالقي الألواح » ، هذه حاجة مادية . قال تعالى :

﴿ وَأَنْقَ الْأَلْوَاحَ وَأَخَفَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُهُ ۚ إِلَيْهِ ۚ قَالَ أَبْنَ أُمَّ إِنَّ الْفَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي ﴾ الله الأفران عند الأعراف)

إنه أمر مادى . . ونحن نقول : ألقى الحبجر . والحق سبحانه يقول :

﴿ فَأَلْقُوْاْ حِبَالَهُمْ وَعِيسِيهُمْ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحَنُ ٱلْغَنْلِبُوتَ ١٠٠٠ ﴿

وسورة الشعراء)

إنها حيال ، أي أمر مادي . وسبحانه وتعالى يقول عن الوحي لأم موسى :

﴿ وَأَوْحَيْنَا ۚ إِنَّا أَمْ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهُ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَالْقِيهِ فِي ٱلْبَمِ وَلَا تُحَاقِ وَلَا تَحَرَّفِي ۚ إِنَّا رُآدُوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿ ﴾

ر سررة التمس)

فالإلقاء أمر مادى ، كأن الله يريد أن يجعل المعنى وهو الرعب شائعا ، فقالى : أنا ساجع الرعب وأضعه فى القلب ، ويكون عمله ماديًا . فإذا ما استقر الرعب فى القلب جاء الحقور ، وإذا سكن الحور القلب نضح على جميع الجوارح تخاذلا ، فيقول : « سنلقى فى قلوب اللين كفروا الرعب ، فكأنه مثل لنا الرعب ، والرعب أمر معنوى وهو التخوف من كل شىء ، فأوضع : بأنه سيأنيهم بالرعب ويلقيه فى القلب ، فيبقى به ليصنع الحور والخذلان .

د سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب ، انظروا إلى التعابير الصادرة عن الله .
 إنه هنا يأتى بـ و نون العظمة ، ، ؛ سنلقى ؛ ونلحظ أن الحق سيحانه وتعالى ساعة

يتكلم عن أمر يحناج إلى فعل فهو سبحانه يأتي بـ ﴿ نُونَ الْعَظْمَةِ ﴾ كقوله :

﴿ إِنَّا تُحَنُّ تَزُّلْنَا الدِّكُ وَإِنَّالَهُ كَنْفِطُونَ ٢

(سورة الحجر)

ولأن إلزال الذكر عملية عظيمة ، فنأق بده يُون العظمة » . لأننا سننزله بقدرة وسننزله يحكمة ، وننزله يعلم وننزله بسمع ، وننزله بيصر ، وننزله بقيومية ، وننزله يقبض ، وننزله ببسط ، فقوله : د إنا نحن ، فكأن تون العظمة تأى هنا ، لكن ساعة يتكلم سبحانه عن الذات العلية فهو يقول : د إنني أنا الله » . لم يقل إننا ، ولكن في الإنزال يقول :

﴿ إِنَّا أَرَّكُ فِي لَيْلَةِ ٱلْفَدْرِ ٢

و سورة القلر)

لأن هذه عملية عظيمة جليلة ؛ فـ « نون العظمة » ثأن فيها يكون من شأنه حدث يُقعل ؛ وهذا الحدث الذي يُقعل يُعتاج لصفات كثيرة ، ولذلك قلنا ساعة تبتدى أي عمل تقول : « بسم الله الرحمن الرحيم » لماذا ؟ لأن العمل الذي ستعمله يحتاج إلى قلرة عليه ، ويحتاج إلى علم قبل أن تعمله ، ويحتاج إلى حكمة ، أى أنه يحتاج إلى صفات كثيرة ، فأنت تدخل على العمل باسم القادر الذي يُقدِرُك ؛ وباسم العليم الذي يعلمك ، وباسم الحكيم الذي يحكمك . وكل هذه الصفات مستكاتف في إبراز العمل كي يرحمك حتى في الاستعانة ، فلا يقول لك : هات الصفات كلها التي يجتاج إليها فعلك ؛ لأن هناك صفات أنت لا تعرفها ، فقول لك : هات الكمال . قل : ه ياسم الله » ، وهي تضم كل صفات الكمال .

إذن فأنت تلاحظ أنك إذا رأيت ، نون العظمة ، التى تسميها ، نون الجمع » نجد أننا نقول : « نحن ، للجهاعة . أو للمتكلم الواحد حين يعظم نفسه ، ولذلك للاحظها حتى في قانون البشر ، ألم يقولوا في الملكية : « نحن الملك » ، وهذه النون بالنسبة الله ليست نون الجهاعة . إنما هي « نون العظمة » ، العظمة الجامعة لكل صفات الكيال التي يتطلبها أي فعل من الأفعال ، لذلك قال سبحانه : « سنلقى في

□□+□□+□□+□□+□1/11□

قلوب الدّين كفروا الرعب ۽ فكل قلب به كفر يحتاج إلى إلقاء الرعب فيه . إذن فتأن نون العظمة لتستوعب كل هذه القلوب الكافرة .

وهو سبحانه لا يتجنى عليهم بالقاء الرعب ، ولكن هم الذين استحقوا أن يلقى قلوبهم الرعب ، لماذا ؟ و بما أشركوا و . إن الإشراك بالله هو الذي جاء لهم بالرعب ؛ لأن الله يفعل ، والشركاء لا يفعلون . ولو أن شركاءهم حق لما تخلوا عتهم . فلهاذا لم يأتوا بشركائهم لبتصروهم ؟ لقد جاءهم الرعب لأنهم لبس لهم مولى ، ولو كان لهم آلهة قادرة _ كها يدعون _ لقالوا لتلك الآلهة : رب محمد بعمل معنا هكذا فلهاذا لا تقفون له يا أربابنا ؟ لكنهم أشركوا بالله ما لا يضر ولا ينفع ، بل ضره أقرب من نفعه .

« بما أشركوا بالله ما ثم ينزل به سلطانا ، والسلطان هو القوة والحجة والبرهان مأخوذة من مادة و السين واللام والطاء ، ونقول : فلان تسلط على فلان ، أى أرغمه بقدرته عليه . ويقولون : فلان سليط اللسان ، أى قادر أن يسب ، إذن فالسلطة هى : الفهر ، والقوة التي ترغم على الفعل ، وفي المعتريات هي الحجة والبرهان . والمؤمنون دائيا ذوو سلطان من الله ؛ لأنهم إن انتصروا ماديا فذلك سلطان أنقهر ، وإن انهزموا ماديا قعندهم سلطان الحق والدليل ، ولذلك قلنا سابقا : إن إبليس يأتي يوم القيامة ويقول :

﴿ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْتُمُ مِن سُلُطُنِي إِلَّا أَن دَعَوْتُكُرٌ فَٱسْتَجَبَّمٌ لِلَّ فَلَا تَلُومُونِي وَلَوْمُوا أَنْفُسَتُم ﴾ وَلُومُوا أَنْفُسَتُم ﴾

(من الأية ٢٢ سورة إبراهيم)

وقلنا إن السلطان نوعان : إما قرة تقهرنا على أن نفعل المعصية ، وإما برهان ودليل مجعلنا نفعل المعصية .

والفرق بين القوة الفاهرة وبين سلطان الدليل هو أن الفرة القاهرة تجعلك تفعل وأنت مرغم غير راض عن الفعل . أما سلطان الدليل فيقنعك بأن تفعل ؛ فتكون قد فعلت برضاك ، فمرة يأتي السلطان بمعتى : قوة تفهرك على أن تفعل الفعل وأنت

مرغم . إنما قوة الدليل تقنعك أن تفعل ، فيأتى الشيطان ليقر على نفسه فى الأخوة ويقول : « وما كان لى عليكم من سلطان » أى ليس معى قوة تقهركم على المعصية ، وليس معى دليل يقنعكم ختى تفعلوا المعصية ، لا هذا ولا ذاك ، فها الحكاية إذن ؟ قال : « وما كان لى عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجتم لى ه . أى إنكم أطعتموني واستجتم لدعوتي بلا سلطان قوة أقهركم به على شيء ، ولا سلطان دليل أقنعكم به .

ویذیل الحق الآیة بقوله: « ومأواهم النار وبش مثری الظالمین » أی أن المرجع الذی یأوون إلیه هو النار ، والماوی ؛ هو الموضع الذی ترجع أنت إلیه . وكأن فی هذا المرجع ذاتیة من الكافر تلقیه علی النار فهو . آی الكافر . مأواه ومثواه الذی یرجع إلیه . ولذلك یجب أن نفطن إلی قوله الحق فی بعض الأسالیب : « وإلیه تَرجَعون » . وبش مثوی الظالمین » . . أی مثوی لا مفر بعده أبدا ، فكل مثوی من الجائز أننا نرحل عنه ، لكن المثوی الذی سیبقی خلودا لظالمین « و النار وهو بش المثوی . وبعد ذلك بقول الحق :

عَن عَنْ اللَّهُ وَ اللَّهُ وَ وَضَلَّ إِلَا مُؤْمِنِينَ ﴿ اللَّهُ وَمِنِينَ ﴿ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ

ونعرف أن في و صدقكم الله وعده ي مقعولين : الأول هو ضمير المخاطبين في قوله : ي صدقكم ي ، والثاني هو قوله د وَعُد ؛ المضاف إلى الضمير العائد على لفظ الجلالة د الله ي فهو - سبحانه - قد أحدث وعداً ، والواقع جاء على وفق ما وعد . لقد قال الحق :

على إن تنصروا الله ينصركم وبنبيث أفدامكم ك

(سورة عمد)

رقال سيحانه :

﴿ وَإِنَّ جُندُنَا لَمُهُمُ ٱلْغَلِبُونَ ٢٠٠٠

(سورة الصافات)

والآيتان تؤكدان قضية وعدية ، بعد ذلك جاء النطبيق العمل . ، فهل وقع الوعد أو لم يقع ؟ لقد وقع ، ومتى ؟ فهل يشير الحق في هذه الآية إلى موقعة بدر ؟

وإذ تحسونهم بإذنه ه . وه تحسونهم » أى تُذهبون الحس منهم ، والحس : هو الحواس الخمس ، ومعنى أذهبت حسه يعنى أفقدته تلك الحواس . « إذ تحسونهم » وقد حدث ، وتمكنتم منهم ؛ تفتلونهم وتأسرونهم » أو الحس : هو الصوت الذي يخرج من الإنسان ، ومادام فقد الحس يعنى ائتهى ، « إذ تحسونهم بإذنه » فحينا صدقتم لقاءكم لعدوكم على منهج الله صدق الله وعده ؛ هذا في بدر .

أما هنا في أحد فقد جاء فيكم قوله : « حتى إذا فشلتم » أي جبته ، و وتنازعتم في الأمر وعصيتم ، أمر الرسول « من بعدما أراكم ما تحبون » وهي الغنائم ، « منكم من يريد الاخرة » . كأنه سبحانه يعطينا العبرة من معركتين : معركة فيها صدق وعد الله ، وفعلا انتصرتم ، وأيضا صدق وعد الله حينها تخليتم

عن أمر الرسول فحدث لكم ماحدث . إذن فالمثالة مبسوطة أمامكم بالنجربة الواقعية ، ليس بالكلام النظري وليس بالأيات فقط ، بل بالواقع .

او أن الأمر كله دائر في ألحد ، نقول فرضا : هو يدور في ألحد ودع بدرا هذه ، حيثها دخلتم أيها المسلمون أول الأمر انتصرتم أم لم تنتصروا ؟ لقد انتصرتم ، وطلحة بن أبي طلحة الذي كان يحمل الراية للكفر قتل هو وبضعة وعشرون ، الراية الكافرة قد منقطت في أول المعركة ، وحامل الراية يقتل وهذا ما وضحه قوله نعالى ; وولقد صدفكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر ، فجهاعة تقول : لنبق في أرض المعركة ، وجهاعة تقول : ننسحب ، ورأيتم الغنائم فحدث منكم كذا وكذا . فتأن النكسة ، ولو لم يحدث ما حدث لكان من حقكم أن تشككوا في هذا الدين ، إذن فها حدث دليل على صدق هذا الدين ، وأنكم إن تفليتم عن منهج من مناهج الله فلا بدأن يكون مألكم الفشل والخيبة والهزيمة .

وجاعة قالوا: ثذهب إلى الغنائم ومنكم من بريد الدنيا ومنكم من يريد وجاعة قالوا: ثظل كها أمرنا الرسول ، وجاعة قالوا: ثذهب إلى الغنائم ومنكم من بريد الدنيا ومنكم من يريد الأخرة و . . ومادمتم قد تنازعتم وقالت جاعة : لنتمسك بمواقعنا ، وقالت جاعة أخرى : لنذهب إلى الغنائم ، إذن فالذي أراد مواصلة القنال إنما يريد الأخرة ولم تلهه الغنائم ، والقسم الذي أراد الدنيا قال : لنذهب إلى الغنائم . وفي هذه المسألة قال ابن مسعود رضى الله عنه : والله ما كنت أعلم أن أحدًا من صحابة رسول الله يريد الدنيا حتى نزل فينا ما نزل يوم أخد .

أى أنه لم يكن يتصور أن من بين الصحابة من يريد الدنيا ، بل كان يظن أنهم جميعا يريدون الآخرة ، فلما نزل قول الله : و منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الأخرة و عرف ابن مسعود أن من الصحابة من تنقلب به الأغيار . وذلك لا يقدح قبهم و لأنهم رأوا النصر ، فظنوا أن المسألة انتهت و لقد سقطت راية الكفر ، وقتل المؤمنون عددا من صناديد قريش . ولقد عفا الله عن المؤمنين وغفر لهم ما بدر منهم من غالفة لأمر رسوله حصلي الله عليه وسلم - .

* ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ، نعم لأنكم كنتم مشغولين بقتاهم قبل أن تنظروا إلى الغنائم ، قلما نظرتم إلى الغنائم انجه نظركم إلى مطلوب دنياكم ، فانصرفتم عنهم ، ولم تجهزوا عليهم ولم تتم لكم هزيمتهم وتهرهم ، وثم صرفكم عنهم ليبتليكم ، وابتلاؤكم في هذه الغزوة إنما هو رياضة وتدريب على المنهج ، كانها غزوة مقصودة للابتلاء ، فترون منها كل ما حدث ، وبعد ذلك نجحت النجربة ، فبعد هذه المعركة فم ينهزم المسلمون في معركة فط .

ولذلك يقولون : الدرس الذي يعلم النصر في الكثير لا يعتبر هزيمة في القلبل . والمثال على ذلك : لنفرض أن ولداً من الأولاد رسب سنة ، ثم حمل ذلة الرسوب ، نجده ينال بسبب ذلك مرتبة متميزة بعد ذلك بين العشرة الأوائل ، إذن فالرسوب الأول له كان خيرا .

ولقد عفا عنكم ، لأنه كان لكم وجهة نظر أيضا عندما تصورتم أن المعركة انتهت بسقوط راية الكفر ومقتل طلحة بن أبي طلحة ومقتل بعض من الصناديد في معسكر الكفر ، فظنتم أن المسألة انتهت ، لكن كان يجب أن تذكروا أن الرسول قال لكم : اثبتوا في مراكزكم وأماكنكم حتى لورأيتمونا نتبع القوم إلى مكة ، ولورأيتموهم يدخلون المدينة .

أبوجد تحذير أكثر من ذلك !؟ و والله ذو فضل على المؤمنين ، وسبحانه جل وعلا لم يخرجهم من الحظيرة الإنبانية بهذا الفول الحكيم . ويقول الحق من بعد ذلك :

O1AY100+00+00+00+00+0

خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ 🕝 🐎

و إذ تصعدون ولا تلوون على أحد ، هنا جاء لهم بلقطة من المعركة ، حتى إذا سمع كل واحد مهم هذا الكلام يستحضر الصورة المخزية التي ما كان يصح أن تحدث ، « إذ تصعدون » ، فيه « تُصغد » ، وفيه « تُصعد » وهنا « تُصعدون » من « أَصْعَد » ، و« أَصْعَد » أى ذهب في الصعيد ، والصعيد الأرض المستوية حتى تعينه على مرعة الغرار . إنما « صَعِد » تحتاج إلى أن يكون هناك مكان عال يصعدون البه . وهم ساعة أرادوا أن يغروا جَرَوًا إلى الأرض السهلة ومَشَوًا ، فكل منهم لا يريد أن يتعتر هنا أو هناك ، إذن فالماسب لها « إذ تُصعدون ولا تلوون عني أحد » والفار لا ينظر هنا أو هناك ؛ ليس أمامه إلا الأرض السهلة .

« ولا تلوون على أحد » أى لا تعرجون على شيء ، والأهم من ذلك أن هناك تنبها من القائد الأعظم وهو الرسول صلى الله عليه وسلم الذي يدعوكم « والرسول يدعوكم في أخراكم » أى يناديكم من مؤخرتكم طالبامتكم العودة إلى ميدان القتال « فأثابكم غيا بغم » . أنتم غُمَّتُم الرسول صلى الله عليه وسلم بانكم خالفتم أوامره » فوقفكم الله هذا الموقف .

كلمة « فأنابكم غيا بغم » كأنه يقول " عاقبكم . ولكنه سبحانه يأني بها مقلفة بحنان الألوهية « فأثابكم ». إذن فهي ثواب . . أي أن الحق سبحانه وتعالى بربوبيته وبالوهيته ؟ يعلم أن هؤلاء مؤمنون فلم يُقَلَّلُ عليهم ، قال : « فأتابكم غيا بغم » فكأن ما حدث لكم تخليص حق .

« لكيلا تحزنوا على ما فاتكم » ولو لم تحدث مسألة الحزن والحزى والذلة لشغلتكم مسألة أنكم فاتتكم النتائم والنصر » ولظل بالكم في الغائم ، لأنها هي السبب في هذا . كأن الغم الذي حدث إنما جاء ليخرج من قلبكم لقطة سبل اللعاب على الغنيمة . وما أصابكم من القتل والهزيمة ، « فأثابكم غها بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم والله خبير بما تعملون » أي أنه سبحانه يقدر ما الذي استولى

(場)(説) ○○+○○+○○+○○+○○+○ 1AYY○

عِلَيْكُم ، لأن من الجائز و والرسول يدعوكم فى أخراكم ؛ أنهم لم يسمعوا النداء من هول المعركة ، و والله خبير بما تعملون ؛ وهو سبحانه خبير بكل فعل وإحساس . ويقول الحق من بعد ذلك :

وكلمة وأنزل و تدل على أن هذا عطاء علوى ليس له شأن بالأسباب المادية ولا بالقوانين البشرية و لان النوم عرض من الأعراض التي تطرأ على الأحياء ، هذا العرض تستوجبه عمليات كهاوية في نفسك ، وهذه العمليات الكهاوية حتى الأن لا يعرفون ما هي ، وأقصى ما قهم منه أنه ردع ذاتي لجسم الإنسان ، فكأن الجهاز له المتحرك المكون من مخ يعمل، وعين ترى، وأذن تسمع، وحواس وحركة هذا الجهاز له طاقة ، ساعة تنتهى منه الطائقة ، لا يقول لك : أنت الذي نترك العمل الا ، بل

يقول لك : أنا لم أعد صالحًا للعمل . إنه ردع ذات ، مثلها يريدون أن يصلوا إليه الآن في مجال الآلات بمجرد فصل تيار الكهرباء آليا عن تلك الآلات فهي تتوقف .

فالردع الذاى هو في النوم ويأتيك النعاس ، وتبين بالبحث العلمي أن هناك أشياء في الجسم لا تخرج كفضلات ، بل تحتاج إلى التعادل والتوازن الكيميائي ، ونحن نعلم أن هناك بقايا كنتيجة للحركة ، وهناك احتراق للطاقة ، وكل حركة فيها احتراق ، وبقايا هذا الاحتراق تخرج مرة على هيئة بول ، ومرة يخرج غائطًا ومرة يخرج غائطًا ، ومكذا ، إذن كثير من هذه الفضلات هي نتيجة عمليات الاحتراق ، لكن هناك أشياء لا نريد لها أن تخرج ولكن نريدها أن تتعادل ، فعندما تنام لا يوجد لك حركة وتبندي الكيماويات داخل الجسم في التعادل ، وهذا هو ما يفعله لك النوم اللي تستوجهه أسبابك المادية .

وصاحب الهم والغم لا ينام أبدا ؛ فهو يسهو عن نفسه ويرهق جسمه أكثر وتكون المصيبة كبيرة عليه ، وهنا ينزل الحق فضله عليكم بالنوم لأن أسبابكم لا تساعد أيا منكم على أن ينام .

وآنتم تذكرون قديما أننا قلنا: إن الإمام عليًا كرم الله وجهه لما اشتهر بالفتيا ، وكليا سألوه عن أمر أفتى فيه ، فقالوا : نأن له بجسألة معقدة ونرى كيف يأتى بالفتيا ، وكأنهم نسوا أنه يُفتى لأنه تربى في حضن النبوة ، فقد جاءت النبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيدنا على مازال صغيرا ، أما الصحابة الأخرون فقد جاءت النبوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهم كبار في السن ، فهناك معلومات دخلت عندهم من أيام الجاهلية ، ولكن سيدنا عليًا كرم الله وجهه لم تدخل عليه معلومة من معلومات الجاهلية . كل المعلومات التي عنده نبوية ، فكل هذا التفاعل ينشأ عنه معلومات الذلك كان صريعا في الإفتاء .

على سبيل المثال ، ثأن له امرأه فتقول : يا ابن أب طالب كيف يعطونني دينارا من مشهائة ؟ مورثي خَلَفَ ستهائة دينار فأعطوني دينارا واحدا . فقال لها : لعله مات عن روجة ، وعن بنتين ، وعن أم ، الزوجة تأخل النَّمن (خَسة وسبعين دينارا)

回避避 00+00+00+00+00+01AY(0

والبنتان تأخذان الثلثين (أربع)ئة دينار) وللأم السدس وهو مائة دينار، ولعل له اثنى عشر أخا وأختا واحدة؛أشقاء أو لأب،وأنت هذه الأخت وقد بقى من التركة خسة وعشرون دينارا توزع على الاثنى عشر أخا والأخت ؛ فيكون نصيبك دينارا . كيف عرف ذلك ؟ إنها دقة الحساب عند من تعلم فى بيت النبوة .

وفى الآية الذي نحن بصدد خواطرنا عنها نجد أن الحق قد أنزل عليهم نعاسا ليؤمنهم فلم ينشأ النوم هنا من حركة الاختيار ، ولكن الله أنزله ، ومعنى « أنزله » المؤمنهم فلم ينشأ النوم هنا من حركة الاختيار ، ولكن الله الخم على ما فعلوا مما هم أنه بعث رحمة جديدة من السياء ليُخرج القوم اللين أصابهم الغم على ما فعلوا مما فيه . ولذلك قال أبو طلحة : غشينا النعاس ونحن في مصافنا يوم أحد فكان السيف يسقط من أحدنا فيأخذه ثم يسقط فيأخذه .

إذن فهى عملية تسرية . والنعاس حينها ينزل من الحق سبحانه وتعالى يكون عملية إنقاذ من حركة فاتت فرصتها على النفس البشرية فعوضها الله ، ولكن القوم الذين نافقوا ماذا كان حالهم ؟ لاشك أن الذين جاءوا ثفاقا لم يصبهم غم على ما حدث . بل بالعكس ، لابد أن يكون قد أصابهم فرح أو اطمئنان على ما حدث ، وهؤلاء لا يكونون أهلا لأن ينزل الله عليهم أمنة النعاس . بل يتركهم ما خدث ، وهؤلاء لا يكونوا في حصن الله باتباع منهج الإسلام أو بالاخلاص ـ على الله للقالم . للغالم .

إذن فلن يُنزل عليهم أمنة النعاس . ومادام لن ينزل عليهم أمنة النعاس ، فقد أصبحوا في قلق ، لماذا لا لأن نفوسهم قد أهمتهم . والإنسان حين يؤمن ويتقبل الإسلام من ربه يكون قد باع نفسه لربه ، ومادام قد باع نفسه لربه فالصفقة الإيمانية لابد أن تستمر . وإذا استيقظ المسلم مرة لنفسه نقول له : لقد رجعت في عقد الصفقة . ومادمت قد رجعت في عقد الصفقة فائلة الذي كان قد اشتراك يتركك لنفسك ، ومادمت قد رجعت في عقد الصفقة فائلة الذي كان قد اشتراك يتركك لنفسك ، فقوله : وأهمتهم أنفسهم ، أي خرجوا عن صفقة الإيمان ، لأن الذي يعقد صفقة بالإيمان مم ربه ، هو من قال الله فيه :

﴿ إِنَّ اللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَكُمُم بِأَنَّ خَمُ ٱلْجَنَّةَ ۗ يُقَنيلُونَ

فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَنْفُنُلُونَ وَيُفَتَنَلُونَ وَعُدًا عَنَيْهِ حَفَّا فِي النَّوْرَنَةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْفُرْدَانِ وَمَنْ أَوْفَ بِعَهْدِهِ مِنَ آتَّةٍ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَبْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْمُ بِهِ مَ وَذَيْلِكُ هُوَ الْفَرْزُ الْمَظِيمُ فَقَ ﴾

(سورة التربة)

ومادام الله قد اشترى من المؤمن نفسه فيجب على المؤمن ألا تهمه نفسه ، فيدخل المعركة بالصفقة الإيمائية ، فإذا أهمته نفسه يبدأ القلق ، والبلبلة ، والاضطراب ، وتوهم الأشياء ، والشيء الواحد يتوهمه على ألف لون . إذن فنفسه تكون غير مطمئنة ، ومادام الإنسان قد شقله هم نفسه حتى لوكان النعاس استجابة لأمر طبيعي من ذات النفس فلا يأتي النعاس أبدا .

ولذلك نجد أن الإمام عليًا _ رضوان الله عنه وكرم الله وجهه _ حينها سُئل عن أَسد جنود الله بسط يديه وقال : أشد جنود الله عشرة : الجبال الرواسي ، والجديد يقطع الجبال ، إذن فالحديد أشد من الجبال ، والنار تذبب الحديد ، والماء يطفى النار ، والسحاب المسخر بين السهاء والأرض بحمل الماء ، والربح يقطع السحاب ، وابن أدم يغلب الربح يستتر بالثوب أو الشيء ويمضى لحاجته ، والسكر يغلب ابن آدم ، والتوم يغلب النار ، فأشد جنود الله ، الهم » .

فساعة يدخل الهم على النفس البشرية ، هذا أشد جنود الله ؛ لأن الهم يدخل على النفس البشرية بألوان متعددة للخطب الواحد ، فيتصور أموراً معقدة في أمر واحد ، وواقعة على لون واحد ، ولكن الهم يجول به في كل لون ؛ فهؤلاء قد أهمتهم أنفسهم وماداموا قد أهمتهم أنفسهم فقد خرجوا عن صفقة الإيجان . وماداموا قد خرجوا عن صفقة الإيجان الذي بوساطته اشترى الله من المؤمنين أنفسهم ، فالله يتخلى عنهم . ومادام الله قد تخلى عنهم فعليهم مواجهة المصير .

إن القلق والاضطراب يستبدان بهم ويصابون بالفزع من كل شيء . لكن حال الصنف الأول والطائفة الأولى يختلف ؛ فالله سبحانه وتعالى بعاملهم معاملة من بقي

فى الصفقة الإيمانية وإن كانت نفوسهم البشرية قد فسرت الأحداث تفسيرا خاطئا ، فظنوا أن المسألة فى المعركة انتهت ، فذهبوا لأخذ الغنيمة ، إن هؤلاء قد احترم الله بقاءهم على الإخلاص للإسلام ، وأدبهم على تفسيرهم للأحداث تفسيرا غير حتى ، فأنابهم غما لما خالفوا فيه ، وأنزل عليهم أمنه لإخلاصهم فى قضية الإسلام .

وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية و وإذا سممت كلمة وطائفة و فاعلم أنها جماعة ، لكن هذه الجماعة لها مواصفات خاصة هي التي تجمعها على فكرة واحدة كأنهم يطوفون حولها ، إنها ليست مطلق جماعة لكنها جماعة تدور حول فكرة واحدة ، ويأن القول الحكيم هنا ليبن لك ما قالوه في نفوسهم ، ومادانوا قد قالوا في نفوسهم ، أسمعهم أحد ؟ لا ، ولكن الله أخبريه ، وأخبر بما في نفوسهم جيعا يقول واحد ، مما يدل على أنهم يطوفون حول فكرة واحدة ، قالنضح الوجدان يجعلهم يقولون جملة واحدة هي : وهل لئا من الأمر من واحدة ، قالنضح الوجدان يجعلهم يقولون جملة واحدة هي : وهل لئا من الأمر من على المن واحدة ، قالنامن الأمر من المنافعة واحدة ، والله عليم بذات المصدور و .

وأنت إذا قلت وطائفة على تجد أنها في عرف اللفظ ومقرد عن وعندما تجمعها تقول : وطوائف عن لكن هي لفظ مفرد يدل على جمع ، فمرة يلحظ المفرد ، ومرة يلحظ ما يؤديه المفرد من الجمع ، وهذه لا ينتبه إليها إلا البليغ ، فيفرق بينها كلفظ مفرد وبين ما تدل عليه كجمع ، ولذلك تجد هذا في إعجاز القرآن ، فالحق يقول :

﴿ وَإِن طَآيِفَنَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ افْتَنَكُواْ فَأَمْسَلِحُواْ بَوْنَهُما فَإِنْ بَغَتْ إِحَدَنهُما عَلَى الْأَخْرَى فَقَائِلُواْ اللَّهِ تَبْعِى حَقَى تَفِيءَ إِلَىّ أَمْرِافَيَ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَنْهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْدِطُواْ إِنْ اللّهَ يُحِبُ الْمُفْسِطِينَ ۞ ﴾ بَدُنْهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْدِطُوا إِنْ اللّهَ يُحِبُ الْمُفْسِطِينَ ۞ ﴾

(سورة الحجرات)

وحينها يقول: ﴿ وَإِنْ طَائِفُتَانَ مِنْ المُؤْمِنِينَ ﴾ فهو هنا يأتى بالخبر ، اقتتلنا أو اقتتلوا ؟ إنه سبحانه يقول : ﴿ اقتتلوا ﴾ ، اللفظة طائفتان لكن الدقة البلاغية لاحظت أن كل طائفة مكونة من جماعة . ﴿ وَإِنْ طَائفَتَانَ مِنَ المُؤْمِنِينِ اقتتلوا ﴾ فهاذا نفعل ؟ و فأصلحوا بينها : . فمرة رجع للجهاعة ومرة رجع للاثنتين ، ففي ساعة الاقتتال لا تغف الطائفة بسيف واحد وتضرب ضربة واحدة ، لا ، ففي ساعة القتال كل فرد من الطائفة له عمل ، إذن فالفردية المكونة للطائفة متعددة .

لكن عندما نُصلح هل نأى بكل فرد من هذه الطائفة ويكل فرد من الطائفة الآخرى أو ناخذ هذه الطائفة عثلة في رؤوسها والطائفة الآخرى عثلة في رؤوسها والطائفة الآخرى عثلة في رؤوسها ونعقد الصلح ببن الطائفتين ؟ فدقة القرآن تقول : * وإن طائفتان من المؤمنين افتتلوا فأصلحوا ببنها * ويعد ذلك يعود الحق للتثنية فيقول : * فإن بغت إحداهما على الآخرى فقاتلوا التي تبغى حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا ببنها * والصّلح يكون بين جماعة عثلة في قيادة وجماعة أخرى عثلة في قيادة ،

وقوله الحق: « وطائفة قد أهمّتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق عنن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شيء قل إن الأمر كله لله يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ماقتلنا هاهنا ۽ هذا القول يدل على أنها طأئفة تدور حول حركة واحدة ، ويدل على أن النفاق نفاق منفق عليه ، وليس كل واحد منهم ينافق في نفسه ، لا , إنها طائفة المنافقين ، وقد كوّنوا جماعة ، ولهم صياسة محصوصة ، ولهم كلام مخصوص ولهم وحدة فكو ، ولهم وحدة قول ، تعرفهم من قول الحق : « وطائفة قد أهمتهم أنفسهم بظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية » .

ونعرف أن الحق هو الشيء الثابت ، ومادام ثابنا فهو لا يتغير ، وقضية الحق فيه تكون مطردة ، فالله حق ، خلق السياوات والأرض ، وكل الكون بالحق ، أنزل كتابه بالحق ، كله حق ، فهم يظنون بالله غير الحق مع أنه حق ، ونشأ الكون منه بقانون حق ، واستمرت سنن الله في الكون بالحق ، وهو دائيا ينصر الحق ، وهم يظنون بالله غير الحق ، وهو دائيا ينصر الحق ، وهم يظنون بالله غير الحق ، يقولون : ربنا لم ينصرنا على الرغم من أنه وعدنا بالنصر ، وثناسوا العناصر التي جعلها الله أسبابًا للنصر ، إنها سُنّة الله وسُنّة الله تتحقق ولو على أحبابه ، لقد خالفوا أمر الرسول ، قلابد أن ينهزموا ، قلا مجاملة لأحد ، فالذي يخالف لابد أن يأخذ جزاء ، ولان هذا هو الحق .

كان يجب أن يقولوا إن الحق واضح لدرجة أن أحبابه ومعهم رسوله حينها خالفوا

عن أمر الله الذي قاله الرسول صلى الله عليه وسلم طبق الله عليهم سُنته ، إذن فهى سنة بالحق ، لكنهم ظنوا بالله ظن الجاهلية ؛ والمقصود به إما ظن أهل الجاهلية ؛ وإمًا أن تكون الجاهلية غَلَمًا على السُّفه كله ، وهذا الظن له نضح سلوكى .

« يقولون هل لنا من الأمر من شيء » أى هل انتصرنا أو ظفرنا أو غلبنا أو اخذنا غنائم ؟ أو يكون قولهم : « هل لنا من الأمر من شيء » مقصودا به ؛ أننا خرجنا إلى المعركة بدون رأينا ؛ ققد كان من رأينا ألا نخرج وأن نظل في المدينة وعندما يدخلونها علينا نحاريهم . « يقولون هل لنا من الأمر من شيء قل إن الأمر كله لله » هم لم علينا نحاريهم الأيمانية ولم يعرفوا لماذا لم ينصرهم الله ، هم فهموا أنهم لم يتصروا الكن في عرف الحق أنه انتصار ؛ لماذا ؟ لأنَّ المعركة أثبت أن المبدأ إن خولف لكن في عرف الحق أنه انتصار ؛ لماذا ؟ لأنَّ المعركة أثبت أن المبدأ إن خولف فلا نصر ، إذن فالإسلام قد انتصر ، ولكن الذي انهزم هم المتخاذلون عن منهج الإسلام ، وهذا نصر للإسلام في ذاته ، ولذلك يجب أن نفرق دائها بين المبدأ الإسلامي و المنسوبين المهدا .

إياك أن تأخذ الحكم على المبدأ من المنسوبين للمبدأ ، فلا يكون المنسوبون للمبدأ حُبّة على الحكم في ذاته إلا إذا كانوا ملتزمين به ؛ لأن الله حينها شرع ديناً سيّاه الإسلام لبحكم حركة الحياة في الناس فهو قد قتن وحرّم فيه افعالاً ، ومادام قد قنن وحرم فيه أفعالاً فمعناه أن المؤمنين المسلمين اللين انتسبوا له من الممكن أن يخالفوا بأفعالهم تلك الأحكام ، فعندما يقرر الإسلام جلد أو وجم الزاني والزائية ، وحينيا يشرع الإسلام قطع يد السارق أو السارقة ، وحين يشرع الإسلام تنك العقوبات يشرع الإسلام قطع يد السارق أو السارقة ، وحين يشرع الإسلام أباح المرقة للجرائم ، فاه من واقع مجرم لتحكم به على الإسلام ، لا تقل إن الإسلام أباح المرقة بل قل : سرق مسلم ووضع الإسلام عقوبة صارمة عليه وهي قطع يده .

« يُخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون لوكان ثنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا ۽ وهذه هي الفضيحة لهم ، فهذا كانوا يريدون أن يكون لهم ؟ كانوا يريدون ألا يخرجوا للمعركة فقالوا : لوكان لنا من الأمر شيء واتبعنا منطقنا ، لما جئنا الموقعة هنا وحصل لنا ما حصل ، هذه واحدة ، أو لوكان لنا شيء من الظفر الذي وعد الله به محمداً وأصحابه ما قتلنا ها هنا ، فعلى الرايين يصح المعني ، فكأنهم أرادوا أن

يعللوا القتل أو الموت بأسباب ، ومن الذي قال: إن القتل أو الموت يتعلق بأسباب ؟ إن الموت قضية تطرأ الإعدام الحياة ، وهي مجهولة السبب ومجهولة الزمان ومجهولة المكان ومجهولة العمر .

إذن فيادامت المسألة مجهولة فلياذا ربطتم بين الفتل والموقعة ؟ وهل لم تروا إنساناً مات وليس في موقعة ؟ ألم تروا إنساناً قد قُتل وليس في موقعة ؟ أو أن الفتل لا ينشأ . إلا في مواقع قنال وحرب لكان لكم أن تقولوا هذا ، وإنما الفتل والموت قضية عامة لما واقع في حياتكم . هذا الواقع لم يرتبط بأرض ، ولم يرتبط بزمان ، ولم يرتبط بسبب ، وإنما الموت يأن لانك تموت ، انتهت المسألة .

إذن فهم عندما ربطوا الفتل والموت بالموقعة فهم قد خرجوا عن القضية الإيمانية . ولذلك يأن الرد من الحق بأمر واضح للرسول صلى الله عليه وسلم : دقل لوكنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم » . فكانك أيها الميت قد تكون أخرص على لفاء الموت من جرص الموت عليك . بدليل أننا قلنا : إن الإنسان يكون مويضاً ، ويلح على أن تجرى له عملية جراحية فيعتذر الطبيب قائلا : عندى عدد كبير من الجراحات فانتظر شهراً ، قباق له المريض بوساطة لكى يقبل الطبيب إجراء العملية الجراحية ويلح عليه . ويعلى أجر الطبيب وقد يموت المريض . إذن فهو يلح على الموت أو لا؟ إنه يلح على الموت .

يقول الحق: وقل لوكنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم ، وكلمة ، بَرزَ ، تدل على الدفاع حركى ، فمعنى ، برزَ من الصّف م يعنى أن الصّف له النتام واقعى ، والذي يبرز إنما يقوم بحركة خالفة للصف ، هذه حركة .

« قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم وليبتل الله ما فى صدوركم وليُمحَص ما فى قلوبكم والله عليم بذات الصدور » والذى يبرز إلى المضجع هو من يخرج من مكان الاستقرار ، وإلاّ فكيف يكون الابتلاء لمن يقدر الله سبحانه أن مجملوا معركة الإسلام إلى أن نقوم الساعة إذا لم تكن هذه المسائل ؟ لابد أن يكونوا قوماً قد عركتهم النجرية ، مُحصين بالأحداث حتى لا يكون مأموناً على

(規)(数) ○○+○○+○○+○○+○○+○ 1AT・○

حمل السلاح في الإسلام إلا هؤلاء الصفوة المختارة .

فساعة يغول الرسول صلى الله عليه وسلم بالخروج ، وينتهى إلى أن يخرج إلى أحّد ، نجد جماعة يتخاذلون بوساطة ابن أبى ، هذه أول تصفية ، وبعد ذلك ينقسم الرَّماة ، وهذه تصفية أخرى ، فريق يظل وفريق ينزل للغنائم ، وبعد ذلك يُشَاع أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد قُتل ، هذه تصفية ثالثة .

د وليبتلى الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور ه وكلمة د ذات الصدور ه معناها صاحبة الصدور . وفي الصدر يحرص الإنسان على إخفاء الأمر الذي يجب أن مجتفظ به لنفسه بحرص كحرص الصاحب على صاحبه ، كأن الصدر حريص على ألا يسلم ما فيه ، ولكن الله سبحانه وتعالى يفضحهم أمام الناس ، ويفضحهم أمام تقوسهم ؛ فقد يجوز أن يكونوا مغشوشين في نفوسهم .

ويقول الحق من بعد ذلك :

﴿ إِنَّ اللَّهِ إِنَّ اللَّهِ مَوْلُواْ مِن كُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمَعَانِ إِنَّمَا السَّنَزُلَّهُمُ الشَّيطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدْعَفَا السَّنَزُلَّهُمُ الشَّيطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدْعَفَا السَّنَزُلَّهُمُ الشَّهُ عَنْهُمُ إِنَّ اللَّهَ عَنْهُ وَرُّحَلِيمُ ﴿ اللَّهُ عَنْهُمُ إِنَّ اللَّهَ عَنْهُ وَرُّحَلِيمُ ﴿ اللَّهُ عَنْهُمُ إِنَّ اللَّهَ عَنْهُ وَرُّحَلِيمُ ﴿ اللَّهُ عَنْهُمُ إِنَّ اللَّهُ عَنْهُ وَرُّحَلِيمُ ﴿ اللَّهُ عَنْهُ وَرُّحَلِيمُ ﴿ اللَّهُ اللَّهُ عَنْهُ وَرُّحَلِيمُ ﴿ اللَّهُ عَنْهُ وَرُّحَلِيمُ اللَّهُ اللَّهُ عَنْهُ وَرُّحَلِيمُ اللَّهُ اللَّهُ عَنْهُ وَرُّحَلِيمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَنْهُ وَرُّحَلِيمُ اللَّهُ الْمُعْلِمُ اللَّهُ الْمُلْعُلِي اللَّهُ الْمُؤْلِقُلْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللللْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللللْمُ اللللْمُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْلِقُ اللَّهُ اللللْمُو

وعندما نقراً كلمة و استرقام ، نعرف أن (الهمزة والسين والناء) للطلب ، تطلب ما بعدها ، مثل : استقهم أي طلب الفهم ، استعلم يعنى طلب العلم ، استقوى يعنى طلب القوة ، وه استرزل ، يعنى طلب الزّلل ، ومعنى و الزّلل ، هو العثرة يعنى طلب الزّلل ، ومعنى و الزّلل ، هو العثرة والهفوة ، أي أن الإنسان يقع في الغلط ، إذن فالشيطان طلب أن يزلوا ، وببعض ما كسبوا ، كأن الشيطان لا يجترى على أن يستزل أحداً عن آمن إلا إذا صادف فيه

(場)(場)()<li

تعللاً في ناحية ، لكن الذي ليس عنده تحلل لا يقوى عليه الشيطان ، صاعة يأى الإنسان ويعطى لنفسه شهوة من الشهوات فالشيطان يرقمه ويضع عليه علامة ويقول : هذا ضعيف ، هذا نقدر أن نستزِله ، لكن الذي يراه لا يطاوع نفسه في شيء من التحلل لا يقترب ناحيته أبداً .

ولذلك فالنفس هي مطية الشيطان إلى الذنوب ، وفي الحديث الشريف : د إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم الله وعدما برى الشيطان واحدًا تغلبه نفسه في حاجة فالشيطان يقول : هذا فيه أمل ! وهو الذي يجرى منه مجرى الذم كما سبق في الحديث ، أما الملتزم الذي ساعة تُعدته نفسه بشيء ويأبي فالشيطان يخاف منه ، إذن فالشيطان لا يستزل إلا الضعيف ، ولذلك فالذي يكون ربه على ذِكْر منه دائماً لا يحترىء عليه الشيطان أبداً .

إن الله _ سيحانه _ قد سمى الشيطان والوسواس الحناس ، إنه يوسوس المناس ، لكنه خناس فإذا ذُكِر الله بخبس ، أى يتأخر ويختفى ولكنه ينفره بك حين يراك منعزلاً عن ربك ، لكن حين تكون مع ربك فهو لا يقدر عليك بل يتوارى ويمتنع عن الوسوسة إذا استعذت عليه بالله .

إذن فقوله : وإنما استزلهم الشيطان ، يعنى طلب منهم أن يزلوا نتيجة لأنه عرف أنهم فعلوا أشياء أَبْدُوا وأظهروا فيها ضعفهم ، د إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ، وكلمة د ببعض ما كسبوا ، . كأن قول الله ، ولقد عنما الله عنهم ، أنه لم يأخذهم بكل ما كسبوا ؛ لأن ربنا يعفو عن كثير ، د إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عنما الله عنهم إن الله غفور حليم » .

دعفا الله عنهم علامًا ؟ عفا عنهم تكريما لمبدأ الإسلام الذي دخلوا فيه بإخلاص ، ولكن تفوسهم ضعفت في شيء ، فيعطيهم عقوبة في هذه ولكنه يعقو عنهم فهذا هو حتى الإسلام ، وإن الله غفور حليم » .

⁽١) رواء أحد والبخاري ومسلم وأبو داود عن أنس.

ويفول الحق بعد ذلك :

﴿ اللَّهُ يَكَأَيُّنَا اللَّذِينَ عَامَنُوا لَاتَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَا بِهِمْ إِذَا صَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْكَانُوا عُنَالُوا لِيخْعَلَ اللّهُ عُنَرَى لَوْكَانُوا عِنْدَنَا مَامَانُوا وَمَا قَيْلُوا لِيجْعَلَ اللّهُ عَنْزَى لَوْكَانُوا مِنْ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عِمَلَ اللّهُ عَنْدَا اللّهُ عَنْ اللّهُ عِمْدَةً فِي اللّهُ عِمَا اللّهُ عِمَا اللّهُ عَنْدَا اللّهُ عَنْ اللّهُ عَنْ اللّهُ عَنْ اللّهُ عِمَا اللّهُ عَنْ اللّهُ عَنْ اللّهُ عَنْ اللّهُ عِمْدَا اللّهُ عِمَا اللّهُ عَنْ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَنْ اللّهُ عَنْ اللّهُ عَلْمُ اللّهُ عَنْ اللّهُ عَلْهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلْمُ عَلَى اللّهُ عَلَيْكُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْكُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْكُ اللّهُ عَلَيْكُ عَلَى اللّهُ عَلَيْكُ اللّهُ عَلَا اللّهُ عَلَيْكُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَا اللّهُ عَلَيْكُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْكُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَيْكُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْكُولُولُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَمُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْ اللّهُ اللّه

والضرب في الأرض هو السعى واستنباط فضل الله في الأرض وفي سبيله لإعلاء كلمته ، فالذين كفروا برنبون الموت والفئل والعمليات التي يفارق الإنسان قيها الحياة على ماذا ؟ على أنه ضرب في الأرض أو خرج ليقاتل في سبيل الله ، وقالوا : لو لم يخرجوا ما حصل لهم هذا ! سنرد عليهم ، ونقول لهم : كأنكم لم تروا أبداً ميتاً في فراشه . كأنكم لم تروا مقتولا يسقط عليه جدار ، أو يصول عليه جمل ، أو تصيبه طلقة طائشة ، هل كل من يجوت أو يقتل يكون ضارباً في الأرض لئيء أو خارجا للجهاد في سبيل الله ؟!

إذن فهذا تحق في استفراء الواقع ، وجاء الحق بذلك ليعطنا صورة من حكمهم على الأشياء ، إنه حكم غبر مبنى على قواعد استقرائية حقيقية . فإذا عرفها أنهم كفروا نقول : هذه طبيعتهم ، لأننا نجد أن حكمهم ليس صحيحا في الأشياء الواضحة ، ومادام حكمهم ليس صحيحا أو حقيقياً في الجزئيات التي تحدث -فإذا عرفتم أنهم كفروا فهذا كلام منطقى بالنسبة لهم - فشأنهم أنهم لا يتثبتون في أحكامهم فلا عجب -إذن - أن كانوا كافرين .

و أو كَانُوا غُزُّى ؛ ، وغُزَى : جمع فازٍ ، مثل : صُوَّم وقُوَّم ؛ يعنى جمع : صائم

وقائم . ولوكانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم : . إذن قالله سبحانه وتعالى يصور سم ما يقولونه ليمذبهم به ، كيف؟ لأنهم عندما يقولون : لوكانوا عندنا لكنا منعناهم أن يخرجوا أو يُفتلوا ، إذن فنحن السبب .

وهكذا نجد أنهم كلها ذكروا تتلاهم أو موتاهم يعرفون أنهم أخطأوا ، وهذه حسرة في قلوبهم ، ولو أنهم ردوها إلى الحق الأعلى لكان في ذلك راحة لهم ولما كانوا قد أدخلوا أنفسهم في متاهة ، ويحدّث منهم هذا حتى نعرف غباءهم أيضاً ؛ فهم أغبياء في كل حركاتهم وفي استقراء الأحداث الجزئية ، وأغبياء في استخراج القضية الإيمانية الكلية ، أغبياء في أنهم حشروا أنفسهم وأدخلوها في مسألة ليست من شانهم ، فأراد ربنا سبحانه وتعالى أن يجعل ذلك حسرة عليهم .

« لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قُتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم » إن القضية الإيمانية هي « والله يُحيى ويُميت » أي هو الذي يُهتِ الحياة وهو الذي يُهب الموت ، فلا الضرب في الأرض ولا الحروج في سبيل الله هو السبب في الموت ، ولذلك يقول خالد بن الوليد ـ رضى الله عنه ـ : لقد شهدت مائة زحف أو زهاءها وما في جسدى موضع شبر إلا وفيه ضربة سيف أو طعنة رمح ، وهأنذا أموت على فراشي كها يموت الفير ـ أي حتف أنفه ـ فلا نامت أعين الجنباء .

والشاعر يقول: ألا أيسله السزاجسرى أحضر السوغسى وأن أشهد اللذات هل أنت عُلّدِي؟

أى يا من تمنعنى أن أحضر الحرب هل تضمن لى الحلود ودوام البقاء إذا أحجمت عن القتال . ويكمل الشاعر قوله :

فسإن كنت لاتسطيع دفع منيتي فدعني أبادرها بما ملكت يدي

ويختم الحق الآية يقوله: و والله بما تعملون بصير و فكأنهم قد بلغوا من الغباء أنهم

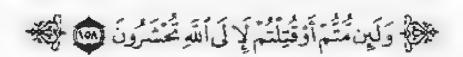
日本の日本の日本の日本の日本の1ATEの

لم يستتروا حتى في المعصية ، ولكنهم جعلوها حركة تُرى ، وهذا القول هنا أقوى من وعليم ٤ كا لأن وعليم ٥ تؤدى إلى أن نفهم أنهم يملكون بعضاً من حياء ويسترون الأشياء ، ولكن علم الله هو الذي يقضحهم الأ ، هن صارت حركة واضحة بحيث تُبصر . فجاء قوله : وافله عما تعملون بصير ٤ . ويقول الحق من بعد ذلك :

﴿ وَلَمِن قُنِلْتُ مِن اللَّهِ وَلَمِن قُنِلْتُ فِي سَكِيلِ اللَّهِ أَوْمُتُ مُ لَمَعُ فِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَلَحْمَةُ خَيْرٌ مُعَمّا اللَّهِ وَرَحْمَةُ خَيْرٌ مُعَمّا الْجَمْعُونَ ﴿ فَا اللَّهِ وَرَحْمَةُ خَيْرٌ مُعَمّا الْجَمْعُونَ ﴿ فَا اللَّهِ وَرَحْمَةُ خَيْرٌ مُعَمّا الْجَمْعُونَ ﴿ فَا اللَّهِ وَرَحْمَةُ خَيْرٌ مُعَمّا الْجَمْعُونَ ﴾

والذي يحرص على ألا يخوض المعركة مخافة أن يُقتل ، فيا الذي يرجح عنده هذا العمل ؟ إنه يبتغى الحير بالحياة . ومادام يبتغى الحير بالحياة ، إذن فحركته في الحياة في وهمه ستأتيه بخير ، فهو بخشى أن يحوت ويترك ذلك الحير ، إنه لم يمتلك بصيرة إيمانية ، ونقول له ، الحير في حياتك على قدر حركتك : قوة وعلما وحكمة ، أما تمتعك حين تلتقى بالله شهيداً فعلى قدر ما عند الله من فضل ورحمة وهي عطاءات بلا حدود ، إذن فأنت ضيعت على نفسك الفرق بين قُدرتك وجكمتك وعلمك بلا حدود ، إذن فأنت ضيعت على نفسك الفرق بين قُدرتك وجكمتك وعلمك وخركتك في الكسب وبين ما يُنسب إلى الله في كل ذلك ، ولذلك يقول الحق :

ه وَلَهِن قُتِلتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَرْ مُشَّم لَمُغَفِّرَةٌ مِنْ اللهِ وَرَحَةٌ خَبِرٌ ثِمَّا يَجَمَعُونَ ، وبعد ذلك يقول الحق :



ولنا أن تلحظ أن قول الحق في الآية الأولى جاء بنقديم القتل على الموت قال تعالى : و ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم و وجاء في هذه الآية بنقديم الموت على الفتل قال حجل شأنه - : و ولئن متم أو قتلتم و فقدم الفتل على الموت في الآية الأولى الأنها جاءت في المقاتلين ، والغالب في شأنهم أن من يلقى الله منهم ويفضى إلى ربه يكون بسبب الفتل أكثر مما يكون بسبب الموت حتف أنفه ، أما هذه الآية فقد جاءت لبيان أن سمير جميع العباد ومرجعهم يوم القيامة يكون إلى الله - تعالى - وأن أكثرهم تزهق نفسه وتخرج روحه من بدنه بسبب الموت ، فلذا قدم الموت هنا على الفتل ، إذن فكل كلمة وجملة جاءت مناسبة لموقعها . إنه قول الحكيم الخبير ، وبعد ذلك بقول الحق سبحانه وتعالى :

إن الآية كما ثرى تبدأ بكلام إخبارى هو « فيما رحمة من الله لنت لهم » . فكأنه مسبحاته ـ يريد أن يقول : إن طبيعتك يا عمد طبيعة تتناسب لما يطلب منك في هذه المسألة ، هم خالفوك وهم لم يستجيبوا لك حينها قلت : إلى عباد الله ، إلى عباد الله الله ، وهذا شيء يُحفيظ ويُغضِب ، ولكنه لا يُعفظ طبيعتك ولا يُغضب مجيتك لأنك مفطور مع أمتك على الرحمة ، فكأنه بريد أن يُعنن رسول الله على أمته التي أصابته بالغم ، فقال له : إياك أن تجازيها على هذا ؛ لأن طبيعتك أنك رحيم ، وطبيعتك أنك لست غيظ القلب ، فلا تخرج عن طبيعتك أنك لست غيظ القلب ، فلا تخرج عن طبيعتك أن واحد مثلا وتقول له : انت طبيعة أخلافك عن طبيعتك في هذه المسألة ، مثلها تأن لواحد مثلا وتقول له : انت طبيعة أخلافك حسنة ، يعنى اجعلها حسنة في هذه .

و فيها رحمة من الله لنت لهم و أي بأي رحمة أودعت فيك . ساعة تقول : بأي رحمة فأنت تبهم الأمر ، وعندما تبهم الشيء فكأنه شيء عظيم ؛ لأن الشيء يبهم إما لأنه صغير جدا ، وإما لأنه كبير جدا ، فالشيء إذا كان كبيرا يكون فوق المستوى الإدراك ، وإذا كان صغيرا جدا يكون دون مستوى الإدراك . ولذلك فالأشياء الإدراك ، وإذا كان صغيرا جدا يكون دون مستوى الإدراك . ولذلك فالأشياء المضخمة جدا نرى منها جانبا ولا نرى الجانب الأخر ، والشيء الدقيق جدا لا نراه ، ولذلك يقولون : هذا الشيء نكرة ، وذلك يدل مرة على التعظيم ويدل مرة على التحقير ، ومرة يدل على التقليل . فإن نظرت إلى أن الإدراك لا يستوعبه للطفه لا يستوعبه للطفه المستوعبة للله أو دقيقا .

إذن فقول الحق : « فيها رحمة » أصلها هو : برحمة من الله طبعت عليها لِنَّتُ لهم ، وه ما » لماذا جاءت هنا ؟ إنك إما أن تأخلها إبهامية . . يعنى بأى رحمة فوق مستوى الإدراك ، رحمة عظيمة . أو تقول : « فيها رحمة » أى أن ه ما » تكون اسها موصولا . وكأن الحق يقول له : فبالرحمة المؤدعة من خالفك فيك والتي تُناسب مهمتك في الأمة لِنَّتَ لهم ، ومادامت تلك طبيعتك فلِنْ لهم في هذا الأمر واعفُ عنهم واستغفر لهم .

وهذه الآية جاءت عقب أحداث حدثت في أحد : الحدث الأول : أنه صلى الله عليه وسلم رأى ألا يخرج إلى قنال قريش خارج المدينة بل يظل في المدينة ، فأشار عليه المحبون للشهادة والمحبون للقنال والمحبون للتعويض عها فاتهم من شرف الفنال في المدرة أن يخرج إليهم ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عند رأيهم ، ولبس لأمنه ، فلها أحسوا أنهم أشاروا على رسول الله يما يخالف ما كان قد بدر منه ، تراجعوا وقالوا : يا رسول الله إن رأيت ألا نخرج ، فقال : ١ ما ينبغى لنبي إذا لبس لامنه أن يضعها حتى يقاتل ، فهادام قد استعد للمحرب انتهى الأمر ، هذه أول مسألة المشورة .

وبعد ذلك تخلف ابن أن بثلث الجيش وهذه مسألة ثانية ، أما المسألة الثالثة فهي تخالفة الرُّماة أمرَه صلى الله عليه وسلم وتركهم مواقعهم على الرغم من أنه صلى الله

عليه وسلم قد حذرهم من ذلك وقال لغبدالله بن جبير الذي أمّره على الرماة : و أنضح عنا الحيل بالنبل ، لا يأتونا من خلفنا ، إن كانت لنا أو علينا فاثبت مكانك لا تؤتين من يُبلك و(١) ، ولكنهم خالفوا عن أمر رسول الله ، والمسألة الرابعة هي : فرارهم حينها قبل : قُبِل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمسألة الخامسة : أنه حين كان يدعوهم ، فروا لا يلوون على شيء .

كل تلك أحداث كادت تترك في نفسه صلى الله عليه وسلم آثاراً ، فكأن الله مسحانه وتعلى يقول : أنا طبعتك على رحمة تتسع لكل هذه الهفوات ، والرحمة منى ، ومادامت الرحمة موهوبة منى فلابد أن جعلت فيك طاقة تتحمل كل مخالفة من أمتك ومن أتباعك . ولا تظن أنك قد أرسلت إلى ملائكة ، إنما أرسلت إلى بشر ، والبشر خطاءون ، البشر من الأغبار ، قلهذا اجعل المسألة درساً ، وأنا فطرتك على الرحمة ، وأنت بذاتك طلبت منى كثيراً من الخير لامتك ، ومن رحمته أن جبريل نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) فقال : إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث الله البك ملك الجبال لتأمره بما ششت إليك ملك الجبال لتأمرة بأمرك ، فها ششت ؟ إن ششت أن يا محمد إن الله قد بعثي إليك وأنا ملك الجبال لتأمري بأمرك ، فها شرجو أن يخرج الله من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا وسلم : و بل أرجو أن يخرج الله من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا و(٢) .

فأنا أطلب منك الرحمة التي أودعتها في قلبك فاستعملتها في كل مجال ، وبهذه الرحمة لنت لهم ، وبهذه الرحمة التقوا حولك ، التفوا حولك الأدبك الجمم ، ولتواضعك الوافر ، لجمال خلفك ، لبسمتك الحائية ، لنظرتك المواسية ، لنقديرك لظرف كل واحد حتى إنك إذا وضع أي واحد متهم يده في يدك لم تسحب يدك أنت حتى يسحبها هو ، تحلق عالم ، كل ذلك أنا أجعله حيثية لتتنازل عن كل تلك المفوات وأيستعها خلفك وليسعها حلما . ، لانك في دور التربية والتأديب . والتربية والتأديب . والتربية والتأديب . والتربية والتأديب لا تقتضى أن تغضب لاى بادرة تبدر منهم ، وإلا ما كنت مربيا ولا مؤدبا .

⁽¹⁾ الدر النثور للسيوطي حـ ٢ حـ ١٨٠٠ . (٦) هند عودته من الطائف وتد أذاه أملها .

 ⁽٣) رواه البخاري في بدء الحنق ، ورواه مسلم في الجهاد ، رإ الأخشان إ سبلان في مكة ، أبو قيس والذي يقالله ويسمى قيقمان أو هو الحبل الاحمر الذي يشرف عليه وسمى الجبلان بالاخشين لصلابتهما وخلط حجارتهما .

و ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك و لماذا ؟ لأنك تخرجهم عما الغوا من أمور الجاهلية . والذي يخرج واحدا عما ألف لا يصح أن يجمع عليه إخراجه عما اعتاد بالأسلوب الحشن الفظ و لأنه في حاجة إلى التودد وإلى الرحمة ، لا تجمع عليه بين أمرين تقبيح فعله ، وإخراجه عما ألف واعتاد ، ولذلك يقولون للذي ينصح إنسانا ، النصح ثقبل و لأن النصح معناه تجريم الفعل في المصوح و فعندما تقول لواحد : لا تفعل هذا ، ما معناها ؟ معناها أن هذا الفعل سبى ، فادمت تحجيم فعله فلا تجمع عليه أمرين : إنك قبحت فعله وأخرجته مما ألف ، وبعد ذلك تنصحه بما يكره الا ، إنه في حاجة إلى ملاطفة وملاينة لنستل منه الخصال القبيحة ، نحن نستعمل ذلك في ذوات أنفسنا حين نجد مرضا يحتاج إلى علاج مر ، فنغلف العلاج المرف غلاف من السكر يحيث يمر من منطقة الذوق بلا ألم أو نغص ، حتى ينزل في المنطقة التي لا تحس بهذه المرازة و الأن الإحساس كله في الفم .

فإذا كنتم تفعلون ذلك في الأمور المادية ، فلابد إذن أن نطبق ذلك أيضا في الأمور المعنوية ، ولأن النصح ثقبل فلا تجعله جدلا ولا ترسله جبلا ، وخِفْة البيان تؤدى عنك بدون إثارة أو استثارة ، وبلطف يحمل على التقبل . .

بهذا تصل إلى ما تريد ، ومثال ذلك حكاية الملك الذي رأى في منامه أن أسنانه كلها وقعت ، فجاء للمعبر ليعبر ، فقال له : أهلك جميعا يموتون ، التعبير لم يُسر منه الملك ، فذهب لواحد أخر فقال له : ستكون أطول أهل ببتك عمرا ، إنه التعبير نفسه ، فإدام أطول أهل بيته عمرا ، إذن فسيموتون قبله ، هي هي ، ولذلك قالوا : الحقائق مرة فاستعبروا لها خفة البيان .

و ولوكنت فطا غليظ القلب لانفضوا من حولك و إذن فبالرحمة لنت لهم وبلين القول تبعوك والفوك وأحيوك و والفظ و هو : ماء الكرش ، والإبل عندما تجد ماة فهى تشرب ما يكفيها مدة طويلة ، ثم بعد ذلك عندما لا تجد ماء فهى تجتر من الماء المخزون فى كرشها وتشرب منه ، فى موقعة من المواقع لم يجدوا ماء فذبحوا الإبل وأخذوا الماء من كرشها ، الماء من كرش الإبل يكون غير مستساغ الطعم ، هذا معنى والخلط فى ونظرا لأن هذا يورث غضاضة فسموا : و محشونة القول ؛ فظاظة ، والغلظ فى القلب هو ما ينشأ عنه الخشونة في الألفاظ .

ولوكنت فظا غليظ الفلب لانفضوا من حولك و. إنها رحمة طبعت عليها يا رسول الله من الحق الذى أرسلك . وبالرحمة لينت لهم وظهر أثر ذلك فى إقبالهم عليك وحبهم لك و لأنك لوكنت على نقيض ذلك لما وجدت أحداً حولك . إذن فالسوابق نثبت أن هذه هى طباعك ، وخلفك ، هو الرحمة واللين .

ويعد ذلك اعتب عنهم ، وقلنا : إن « العفو » هو : تخر الذنب عوا نامًا وهو بختلف عن كظم الغيظ ؛ لان كظم الغيظ يعنى أن تكون المسألة موجودة في نفسك أيضا إلا أنك لا تُعاقب عليها ؟ لأنك كففت جوارحك وصنت لسائك ، أما المسألة فإزالت في نفسك ، لكن العفو هو أن تمحو المسألة كلها نهائيا ، وتأكيدا لذلك العفو فأنت قد تقول : أنا من ناحيتي عفوت . لا , المسألة لا تتعلق بك وحدك ، لأنك وسول من الله ، أنت وراءك إله يغار عليك ، فلا يكفى أن تعفو عنهم . بل لابد أن تستغفر الله لهم أيضا ، فمن المكن أن يعفو صاحب الذنب ، ولكن ربي ورب صاحب الذنب لا يعفو ، فيوضح الحق : أنت عفوت فهذا من عندك ؛ لكنه يطلب منك ان تستغفر لأجلهم . كي لا يعذبهم الله على بدر منهم نحوك .

و فاعفُ عنهم و هذه خاصة بالرسول صلى الله عليه وسلم . . و واستغفر لهم و بسبب ما فعلوه ، وترتب عليه ما ترتب من هزيمتكم في و أحد و ، وشجك وجرحك ، ولا تقلل : استشرتهم وطاوعتهم في المشورة ، وبعد ذلك حدث ما حدث ، فتكره أن تشاورهم ، لا تقفل هذا الباب برغم ما حدث نتيجة تلك المشورة وأنها لم تكن في صالح المعركة ، فالعبرة في هذه المشقة هي أن تكون و أحد و معركة التأديب ، ومعركة التهذيب ، ومعركة التمحيص ، إذن فلا تُرتب عليها أن تكره المشورة ، بل عليك أن تشاورهم دائها ، فإدام العفر قد رضيت به نفسك ، وعدما ومادمت تستغفر هم ريك ، واستغفارك ربك قد تستغفره بعيدا عنهم ، وعندما تشاورهم في أي أمر من بعد ذلك فكأن المسألة الأولى انتهت ، ومادامت المسألة الأولى قد انتهت ، فقد استأفنا صفحة جديدة ، وأخذنا الدرس والعظة التي الشياء كثيرة بعد ذلك .

ولذلك تجد بعد هذه المعركة أن الأمور صارت سيرها المنتصر دائها ؛ لأن التجرية

والنمليم والندريب قد أثر وأثمر ، لدرجة أن سيدنا أبا بكر ـ رضى الله عنه ـ عندما جاءت حروب الردة ، ماذا صنع ؟ شاور أصحابه ، فقال له بعضهم : لا تفعل . فهل سمع مشورتهم ؛ إنما شاورهم . فلإنفاد المشورة فهل سمع مشورتهم ؛ إنما شاورهم . فلإنفاد المشورة حُكم ، ولرد المشورة حكم ، المهم أن تحدث المشورة ؛ ونعمل بأفضل الآراء فالمشورة : تلقيح الرأى بأراء متعددة ، ولذلك يقول الشاعر :

شاور مسواك إذا نسابسك تساتية وإن كنت من أهسل المشورات

لقد اهتدى الشاعر إلى كيفية نقريب المعنى لنا ، فعلى الرغم من أن الإنسان قد يكون من أهل المشامرة والمشورة ، يكون من أهل المشورة والناس تأخذ برأيه ، فعليه أن يسأل الناس الرأى والمشورة ، لماذا ؟ هاهوذا الشاعر يكمل النصيحة :

فالعدين تنبظر منها مادنا وندأى ولاترى تنفسها إلا بمسرآة

إن العين ترى الشيء القريب والشيء البعيد ، لكن هذه العين نفسها تعجز عن رؤية نفسها إلا بمرآة ، وكذلك شأن المسألة الخاصة بغيرك والتي تعرض عليك ، إن عقلك ينظر فيها باستواء ودون انفعال ؛ لأنه لاهوي لك ، والحق هو الذي يجذبك . لكن مسائلك الخاصة قد يدخل فيها هواك وتجليها لك ويُحننها .

إذن فالمشورة في أحد كانت نتيجتها كما علمتم ، وكان الله يقول لرسوله : إياك أن تأخذ من سابغة المشورة أن المشورة لا تنفع ، فتقاطعهم ولا تشاورهم ؛ لانك لن تظل حيا فيهم ، وسيأن وقت يحكمهم بشر مثلهم ، ومادام يحكمهم بشر مثلهم فلا تحرمه أن يأخذ آراء غيره ، وعندما يأخذ الأراء وتكون أمامه آراء متعددة فهو يستطيع أن يتوصل إلى الحكم الصحيح بحكم الولاية وبحكم أنه الإمام ، ويستطيع أن يتوصل إلى الحكم الصحيح بحكم الولاية وبحكم أنه الإمام ، ويستطيع أن يقوض غيره .

ه وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله ۽ وقد عزم رسول الله أيضا على

الحرب ولبس لامنه ، اكان يلبس اللأمة _ وهى عُدة الحرب _ وبعد ذلك يقولون له : لا تخرج فيدعها ؟ لا ؛ فالمسألة لا تحتمل التردد . و فإذا عزمت فنوكل على الله ؛ وهذه فائدة الإيمان ، وفائدة الإيمان : أن الجوارح تعمل والغلوب تتوكل ، معادلة جميلة 1 الجوارح تقول : تزرع ، نحرث ، نأتى بالبذر الجيد ، نروى ، نضع مسادًا ونفترض أن الصقيع قد يأتى ونخشى على النبات منه فنأتى بقش ونحوه ونُغطيه ، كل هذه عمل الجوارح . وبعد ذلك القلوب تتوكل .

فإياك أن تقول : المحصول آت آت لأنني أحسنت أسبابي ، لا . لأن فوق الأسباب مُسَبِّبها . فالجوارح تعمل والقلوب تتوكل ، هذه فائدة الإيمان لأنني مؤمن بإله له طلاقة القدرة ، يخلق بأسباب ويخلق بغير أسباب . الأسباب لك يا بشر ، أما الذي فوق الأسباب فهو علم ، فأنت حين تعمل أخذت بالأسباب ، وحين تتوكل ضمنت المسبب وهو الله - سبحانه - .

إذن فالجوارح تعمل والقلوب تتوكل . إباك أن تغلن أن التوكل يعنى أن تترك الجوارح بلا عمل ، لا ، فهذا هو التواكل أو الكسل ، إنه التوكل الكاذب ، والتدليل على كذب من يقول ذلك أنه يجب أن يتوكل فيها فيه مشغة ، والسهل لا يتوكل فيه ، ونقول للرجل الذي يدعى أنه يتوكل ولا يعمل : أنت لست متوكل ، ولو كنت صادقا في التوكل إباك أن تمد يدك إلى لقمة وتضعها في فمك . كن متوكلا كها تدعى ، ودع التوكل يضع لك اللقمة في فمك وانرك التوكل ليمضغها لك ا

وطبعا لن يفعل ذلك ، ولهذا نقول له أيضا : إن ادعاءك النوكل هو بلادة حس إنجان وليس توكلا .

إن الحق سبحانه وتعالى يقول: « واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله » و« عزمت » تقتضى عزيمة ، والتوكل يقتضى إظهار عجز ، فمعنى أن أتوكل على الله أننى أستنفدت أسبابي ، ولذلك أرجع إلى من عنده قدرة وليس عنده هجز ، وهذا هو التوكل المطلق .

(基礎)

وفى حياتنا اليومية نسمع من يقول: أنا وكلت فلانا ، أى أننى لا أقدر على هذا الأمر فوكلت فلانا . ومعنى توكيله لفلان أنه قد أظهر عجزه عن هذا الأمر . وهذا ذهب إلى غير عاجز . كذلك التوكل الإيماني ، فالتوكل معناه : تسليمك زمام أمورك إلى الحق ثقة بحسن تدبيره ، ومن تدبيره أن أعطاك الأسباب فلا ترد يد الله الممدودة بالأسباب ثم تقول له اعمل لى يارب ؛ لأننا قلنا في سورة الفاتحة إن الإنسان يدعو قائلا :

﴿ إِنَّالْكَ مَنْسُدُ وَإِنَّاكَ نَسْتَعِينُ ۞ ﴾

(سورة الناغة)

ومعنى « نستعين » أى نطلب منك المعونة التي نتقن بها العمل . وبعد ذلك يقول الحق :

﴿ إِن يَنصُرُكُمُ اللهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمُ أَوْ إِن يَغَذُلَكُمُ فَلَا غَالِبَ لَكُمُ وَإِن يَغَذُلَكُمُ فَكَ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِنْ بَعَدِهِ أَوْعَلَى ٱللهِ فَلْيَسَّوَكُلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ اللهِ اللهِ

الحق يقول هنا : ﴿ وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ ، المؤمنون عن ؟ بالله . وماداموا مؤمنين به قمن إيمانهم به أنه إله قادر حكيم عالم بالمصلحة ، ولا يوجد أحسن من أنك توكله .

وعندما نقرأ و إن ينصركم الله فلا غالب لكم و فقد نسأل : وما هو المقابل؟ المقابل و وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده و . إذن فأنت دخلت بالأسباب التي قالها الحق سبحانه وتعالى مُؤتمرا بأمر القيادة السياوية التي مُثلت في الرسول المبلغ عن الله و وقد أخذت عُدتك على قدر استطاعتك ، إياك أن تقارن

عَدَدُكَ بعدد خصمك أو تقارن عُدتك بعدة خصمك ؛ فالله لا يكلفك أن تقابل العدد بالعدد ولا العُدة بالعُدة ، وإغا قال : أنت تُعد ما استطعته ، لماذا ؟ لأن الله يريد أن يصحب ركب الإيمان معونة المؤمن به ؛ لأنه لو كانت المسائل قدر بعضها ، لكانت قوة لقوة . لكن الله يريد أن يكون العدد قليلاً وتكون العدة أقل وأن نعش ونقول : هذا ما قدرنا عليه بارب . ومادام هو الذي قدرنا عليه ، فتكون هذه هي الأسباب التي مكتتنا منها ، ونثق بأنك بارب ستضع مع العدد القليل مدداً من عندك ، فأنت المعين الأعلى ، فسبحانك المقائل :

﴿ ذَا لِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ وَامْنُوا وَأَنَّ ٱلْكَنْفِرِينَ لَامْوَلَىٰ لَمُنْمَ ١٠٠٠ ﴿

(سورة عبد)

والحق هنا يقول : ١ إن ينصركم الله فلا غالب لكم ؛ فأنت تضمن نصر الله لك إن كنت قد دخلت على أن تنصره .

كيف نعرف أننا ننصر الله ؟ نعرف ذلك عندما ثأن النتيجة بنصرنا ، لأنه ميحانه لا يعطى قضية في الكون وبعد ذلك يأتي بالواقع ليكذبها ، وإلا فالمسلمون يكونون قد انخدعوا ـ معاذ الله ـ لأنه لو جاء الدين يفضية ثم يأتي الواقع ليكذبها ، فلابد أن يقولوا : إن الواقع كذب تلك القضية . لكن الحق قال : « إن تنصروا الله ينصركم ، ويجىء الواقع مؤكدا لهذه القضية ، عندئد نحن لا نصدق في هذه القضية فغط ، بل نصدق كل ما غاب عنا ، فعندما تظهر جزئية ماديّة واقعة عسوسة لنثبت لى صدق القرآن في قضية ؛ فأنا لا أكتفى بهذه القضية ، بل أقول : وكل ما لا أعلمه داخل في إطار هذه القضية .

ولذلك قلنا : إن الحق سبحانه وتعانى ترك بعض أسراره في كونه ، وهذه الأسرار التي تركها في كونه هي أسرار لا تؤدى ضرورات ؛ إن عرفناها فنحن ننفع بها قليلا في الكياليات ، ويترك الحق بعض الأسرار في الكون إلى العقول تستنبطها ، فالشيء الذي كان العقل يقف فيه قديما يصبح باكتشاف أسرار الله مقبولا ومعقولا ، كان الشيء الذي وقف فيه العقل سابقا أثبتت الإيام أنه حق ، إذن فيا لا يُعرف من الشيء الذي وقف فيه العقل سابقا أثبتت الإيام أنه حق ، إذن فيا لا يُعرف من الشيء الأشياء يُؤخذ بهذه القضية أو بما أُخِذَ من الغير .

يغولون - مثلا - اكتشف الميكروب على يد د باستير ، و كن ألم يكن الميكروب موجودا قبل د باستير ، و كان الميكروب موجودا ، ولم يكن أحد يراه ؛ لأن الشيء إذا دق ولطف لا تقدر أن تدركه ؛ فليس عندنا الآلة التي تدركه ، ولم نكن قد اخترعنا المجهر الذي يكبر الأشياء الدقيقة آلاف المرات . وكذلك اخترع الناس التلسكوب ، فبعد أن كان الشيء لا يرى لبعده ، أصبح برى بوساطة التلسكوب ، وإن كان الشيء ضبيلا جدا ولا نراه . فقد استطعنا أن نراه بوساطة المجهر المسمى الميكروسكوب » .

ود التلسكوب ؛ يقرب البعيد و الميكروسكوب ؛ يكبر الصغير فنرى له حركة وحياة ، ونجد له مجالاً يسبح فيه ، وهذا جعلني إذا حدثني الفرآن أن لله خلفا غاب عن الحس لا يدرك من جن وهلائكة ، فلا أكذب ذلك ، لأن هناك أشياء كانت موجودة ولم تدخل تحت حيى ولا إدراكي مع أنها من مادي ، فإذا كانت الأشياء الأخرى من مادة أخرى مثل الملائكة من نور ، أو الجن من النار ، ويقول في سبحانه إنهم مخلوتون وموجودون فأنا لا أكذب ما جاء عن الحق ؛ لأن هناك أشياء من جنسي كانت موجودة ولم استطع أن أراها .

إذن فهذه قربت لى المسألة ، فعندما يقول الحق : ١ إن ينصركم الله فلا غالب لكم ، فنحن نعرف أن نصر الله مترتب على أن تدخل المعركة وأنت تربد أن تنصر الله ، وتنصره بماذا ؟ بأنك تحقق كلمته وتجعلها هي العليا ، وليس هذا فقط هو المطلوب ، بل لتجعل - أيضا - كلمة الذين كفروا السفلي .

وإن يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده يه إنه فى ظاهر الأمر يكون معنا ، لكننا نشعر أنه تخلى عنا ، لماذا ؟ لأننا نترك بعضا من تعاليم الله ، إذن قهو فى المظهر العام معكم كمسلمين ، ومن معيته لكم أن يؤدبكم على المخالفة فيخذلكم عندما تخالفون عن أمره .

ويختم الحن سبحانه الآية بقوله : « وعلى الله فليتوكل المؤمنون » وفى الآية السابغة قال سبحانه : « إن الله بحب المتوكلين » ، والذى لا يتوكل على الله عليه أن يراجع إيمانه .

وبعد ذلك يقول الحق سبحاته :

﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَن يَعْلُ وَمَن يَعْلُلْ يَأْتِ بِمَاعَلَ يَوْمَا كَانَ لِنِبِيَّ أَن يَعْلُ وَمَن يَعْلُلْ يَأْتِ بِمَاعَلَ يَوْمَ ٱلْفِيكَ مَنَّ تُوفَيِّمَ الْفِيكَ مَنْ اللَّهُ وَهُمْ مَا كُسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظَلِّمُونَ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللّ

ما معنى ويغُل ع ؟ أولا : و الغلول ع هو الأخذ في الحقاء . وهو مأخوذ من و أغل الجازر ع أي الجزار - أي عندما يسلخ الجلد يأخذ بعض اللحم مع الجلد ، ثم يطوى الجلد مخفيا ما أخذه من اللحم ، هذا هو الأصل ، وأطلق شرعا على الجيانة في الغنائم ، ففي هول المعارك قد يجد المقاتل شيئا ثمينا فيأخذ هذا الشيء خفية ، وهذا اسمه و الغلول و ، وأيضا كلمة و الغل في الصدور و أي إخفاء الكراهية ، وكل المادة إخفاء .

والحق يقول: دوما كان لنبى أن يَغُل علاذا ؟ لأن من الجائز أن الرماة في غزوة أحد ماعة رأوا الغنائم أقبلوا عليها ؛ لأن غنائم بدر لم تكن قد قسمت بين كل من اشتركوا في القتال ، فالذي كان يعثر على غنيمة كان ياخذها ، وكانت بدر أول معركة ، وكان الهدف من ذلك تشجيع المقاتلين ، وكان الوسول صلى الله عليه وسلم : قد قال : دمن قتل قتيلا فله سلبه » .

وظن المفاتلون في أحد أن المسألة ستكون مثل بدر ، وظن البعض أن الرسول لن يعطيهم غنائم ، فيرضح الحق سيحانه وتعالى : بأن هذه مسألة وتلك مسألة أخرى ، فمن يفعل مثل هذا يكون قد غَل . وساعة تسمع : وماكان لنبي أن يُغُل ؛ أي أن من طبعه صلى الله عايه وسلم ومن فطرته وسجيته ألا يتأتى ذلك منه أبدا ، لكن من الجائز أن بجدت مثل ذلك من واحد من أمنه ، إذن فهناك فرق بين امتناع

المؤمن أن يكون غالاً ، أى يأخذ لنفسه شيئا من الغنيمة ، وامتناع الرسول أن يكون غالاً ، لأن طبعه وسجيته لا تستفيم مع هذه ، لكن الأمر يختلف مع المقاتلين ؛ فمن الممكن أن يكون أحدهم كذلك ، فسيدنا عمر في معركة الفرس ، حينها جاء جماعة بتاج كسرى ، والناج فيه كل النفائس وتلك سمة عظمة الملوك ، فقال الفاروق عمر : إن قوما أدوا إلى أميرهم هذا لأمناء . فقد كان من الممكن أنهم يخفونه .

« وما كان لنبى أن يغُل ، وساعة تسمع ، وما كان ، أى : وما ينبغى ولا يصع أن يكون ذلك الأمر ، وبعد ذلك يأق بالحكم العام فيمكن أن يحدث غلول من أخمه فيقول : ، ومن يغلل يأت بما غُل يوم القيامة ، فالذى غل في حاجة وحمان فيها يأق بها يوم القيامة كما صورها الرسول صل الله عليه وسلم :

والله لا يأخذ أحد منكم شيئا بغير حلّه إلا لقى الله يحمله يوم القيامة ، فلا أعرفن أحدًا منكم لقى الله يحمل بعيرا له رُغاه أو بقية لما خُوار ، أو شاة تَيغَر ، شم رفع يديه حتى رُئى بياض إبطيه يقول :اللهم قد بلغت ه (١٠) .

إن من يأخذ حراما في خفية يأتي يوم الفيامة وهو يحمل البعير أو البقرة أو الشاة مثلاً . وأه لوكان ما أخذه حمارا فله نهيق!!

فإذا كان سيأتى بما غُل يوم القيامة _ فالذى أخذه سيفضحه _ ولذلك تسمى و الفاضحة ، وو الطامة ، . إذن فمن الممكن فى الدنيا أن بأخذها خفية ويغًل . لكنه سيأتى فى يوم القيامة وهو يحمل ما أخذه على ظهره ، ثم يقول مناديا رسول الله : يا محمد . . يا محمد ، لأن كل مسلم قد علم واطمأن إلى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رءوف ورحيم وأنه لن يرضى بهذه الحكاية ، لكن رسول الله أبلغ عن عقاب من يفعل ذلك فى حياته ، وعل كل المؤمنين به ألا يفكروا فى الغلول والحذ الغنيمة خفية .

ولماذا تكون الغنيمة في الحرب شرا؟ لأن المفاتل يعيش أثناء الفتال في مهمة أن (١) دواه البخاري وسلم، و(رُغام) بضم الراء صوت البعير، و(غوار) بصم الحاء صوت البقية ، و(تَيْمُو) : تصبح والبُّمار : صوت النبَم .

□1A{V
 □1A{V<br/

تكون كلمة الله هي العليا فكيف يرضي لنفسه بهذه المهانة وهي إخفاء الغنيمة ؟ إنه يحارب من أجل أن تكون كلمة الله هي العلبا ، ويجب أن يكون في مستوى ذلك .

وبعد ذلك يأتي الحق بالغضية العامة: «ثم توفى كل نفس ما كسبت » وهي تشمل الغلول في الغنيمة والغلول في غير الغنيمة ، ولنتصور هذه بالنسبة لكل من يخون أمانة أؤتمن عليها ، وأنه سيأتي يوم القيامة يحمل عيارة مثلاً لأنه بناها بغير أمانة أو يحمل أطنانا من سمك لانه سرقها ، أو يحمل أطنانا من الجين الفاسد التي استوردها . فكل من سرق شيئا سيأتي يوم القيامة وهو يحمله ، وإذا كنا نشهد أن الناس لا تطبق أن تفضح بين الخلق ، والخلق محدودون لأنهم المعاصرون ، فيا بالك بالفضيحة التي ستكون لعموم الخلق من أول آدم إلى أن تقوم الساعة . إذن فعل كل إنسان أن يحرس نفسه لأن المسألة ستنفضح .

و ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ، ومادام سبحانه سيوفى كل نفس ما كسبت فكل سبأخذ قدر ما فعل ، فلا ظلم ، فلو ترك الأمر بلا حساب لكان هذا هو الظلم وحاشا لله أن يظلم أحدا . وبعد تلك التهيئة والإيضاح يقول سبحانه :

﴿ أَفَمَنِ ٱنَّبَعَ رِضُونَ ٱللَّهِ كُمَنُ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَنَهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ لَكَصِيرُ ﴿ اللَّهِ اللَّهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ

والحق سبحانه وتعالى حين يطرح بعض الفضايا طرح الاستفهام ، فهو يطرحها لا ليعلم هو فهو عالم ، ولكن ليستنطق السامع ، ونطق السامع حجة فوق خبر المخبر ، فلو قال : إن الذي يتبع رضوان الله لا يساوى من ذهب إلى سخط الله لكان ذلك إخبارا منه وهو صادق فيها يقول ، لكنه سبحانه بريد أن يستنطى عباده بالقضية ، و أفعن اتبع رضوان الله كمن باه ٤ ، ٤ باه ٤ أى : رجع و بسخط من

لاشك أن كل من يسمع عن الفارق بين اتباع الرضوان ، أو الرجوع بالسخط يقول : إن اتباع الرضوان يوفع درجة الإنسان ، والذي يبوء بالسخط يهبط إلى درك الخسران ، فالقضية قالها السامع . . فكأن الحق يستنطقنا بالقضية لتكون حجة علينا ، والذي يتبع رضوان الله بالطاعة ، أيساويه من يرجع إلى سخط الله بالمصية ؟!

أفمن يتبع رضوان الله فلا يغُل في الغنيمة ولا يختان في الأمانة كمن غل في الغنيمة وخان في الأمانة ؟

أفعن اتبع رضوان الله بأن استمع لأوامر الله حين استنفره لجهاد العدو ، كمن أم يذهب لنداء الله ليكون في جند الله مقاتلا لعدو الله ، لا ؛ قالذي لا يستجيب لنداء الله هو من يبوء بسخط الله .

ود السخط » هو : إظهار التقبيح ، لكن إظهار التقبيح قد لا يؤثر في أناس غليظي الإحساس ، لا تنفع فيهم اللعنة أو الشتائم ، لذلك جاء سبحانه بالحكم : دوماواه جهنم ويئس المصير » ود ماواه » أي المكان الذي يأوى ويرجع إليه هو جهنم ويئس المصير . ويعد ذلك يقول الحق :

﴿ هُمْ دَرَجَنتُ عِندَاللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرُابِمَا يَمْمَلُونَ ۞ ﴿ اللَّهُ بَصِيرُابِمَا يَمْمَلُونَ ۞ ﴿ اللهِ

وهم درجات و أى ينزلون فى الأخرة منازل على قدر أعالهم ، فكما ترى الدرجات موصلة إلى المراقى العالية كذلك فى الأخرة كل إنسان محاسب بعمله ، ويأخذ عليه درجة ، ولنا أن تلحظ أن الحق يستخدم كلمة و درجات و بالنسبة للجنة و لأن فيها منازل ورتبا ، أما فيها يتعلق بالنار ، فيأت لفظ و دركات و ،

の1AE1のの+のの+のの+のの+のの+の。

فالدركة تنزل، والدرجة ترفع.

« هم درجات عند الله ، فالله هو العادل الذي ينظر لخلقه جيعا على أنهم خلقه ، فلا يعادى أحدا ، إنه بحكم الفضية في هذه المسألة صواء أكانت فم أم كانت عليهم ، وبعد ذلك يردفها - صبحانه بقوله : « والله بصير بما يعملون » ليطمئن هؤلاء على ان الله بصير بما يعملون فلن يضيع عنده عمل حسن ، ولن تهدر عنده سيئة بدرت منهم ، « والله بصير بما يعملون » . ونحن نسمع كلمة « يعمل » وكلمة « يفعل ه وكلمة « يقول » ، والعمل أهم الأحداث ، لأن العمل هو تعلق الجارحة بما نيطت به ، فالقلب جارحة عملها النية ، واللسان جارحة عملها القول ، والأذن جارحة وعملها أن تنظر . إذن فكل جارحة من الجوارحة فا حدث تُنشِئه لتؤدى مهمتها في الكائن الإنساني ، إذن فكل أداء مُهمة من الجوارحة يقال له : « عمل » .

لكن والقعل عدو تعلق كل جارحة غير اللسان بالحدث ، أما تعلق اللسان فيكون قولا ومقابله فعل ، إذن ففيه قول وفيه فعل وكلاهما عمل ، إذن فالعمل بشمل ويضم القول والفعل معا ؛ لأن العمل هو شغل الجارحة بالحدث المطلوب منها ، لكن الفعل هو : شغل جارحة غير اللسان بالعمل المطلوب منها ، وشغل اللسان بمهمته يسمى : قولا ولا يسمى فعلا ، لماذا ؟ لأن الإنسان يتكلم كثيرا ، لكن أن يحمل نقسه على أن يعمل ما يتكلمه فهذه عملية أخرى ، ولذلك يقول الحق :

﴿ يَنَا أَيْنَا الَّذِينَ وَامَنُوا لِرَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿ صَحَيْرَ مَفْتًا عِندَ اللّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿ ﴾ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿ ﴾

(مورة الصلب)

إذن فالقول مقابله الفعل ، والكل عمل ، والله بصير بما يعملون ، قولا أو فعلاً وبعد ذلك يقول الحق سبحانه :

﴿ لَقَدْمَنَ اللّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهُمْ يَتَلُوا عَلَيْهِمْ مَا يُنتِهِ، وَيُزَكِيمِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِنْبَ وَالْحِكَمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿ وَالْحِكَمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿ وَالْحِكَمَةَ وَإِن كَانُوا

والذي يمن على الأخر هو الذي يعطيه عطية بجتاج إليها هذا الأخذ ، فكأن الحق يقول : وهل أنا في حاجة إلى إيمانكم ؟ في حاجة إلى إسلامكم ؟ أصفة من صفاق معطلة حتى تأتوا أنتم لتكملوها لى ؟ لا ، إذن فحين أبعث لكم رسولا رحيها بكم ، فالمنة تكون لى وحدى .

ولقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولًا من أنفسهم ، .

أكان يبعثه مَلَكا ؟ لا . بل بعثه من البشرية ؛ كى تكون الأسوة فيه معقولة . فعندما يقول لكل مسلم افعل مثلى ، فالمسلم عليه أن يطبق ما يامره به الرسول ، لكن لو كان مَلَكا أكانت تنفع فيه الأسوة ؟ لا ، فقد يقول لك : افعل مثل ، فتقول له : لا أقدر لأنك مَلَك ، ومن يدعى الألوهية لرسول ، فهو ينفى عنه الأسوة ؛ لأنه عندما يقول : كن مثل ، يمكنك أن تقول : وهل نقدر ؟ أنت طبيعتك مختلفة ، فهل نصل لذلك ؟! لا نقدر ، ولذلك فالذين يقولون بالوهية رسول ، إنما يفقدون الأسوة فيه ، والمقهوم في الرسول أن يكون أسوة سلوكية ، وأن يكون مبلغا عن الله منهجه ، وأن يعلن بشريته ويقول : أنا بشر وأستطيع أن أمثل وأطبق المنهج . إذن فهو أسوة سلوكية تطبيقية .

والرسول مبعوث للكلى ، فلهاذا كانت المنة على من آمن فقط ا؟ لأنه هو الذي انتقع بهذه الحكاية ، لكنُ الباقين أهدروا حقهم في الأسوة ولذلك تكون المنة على من آمن - القد من الله على المؤمنين ، وما هي المه ؟ المن : الأصل فيه أنه القطع ، لكن حين تسمعها نجدها تستعمل في أشياء متقابلة ، فمثلا : المن هو العطاء بلا مقابل ، والمن هو : تكدير النعمة بالتحدث بها ، مثل قوله تعالى :

عَلَى اللَّذِينَ بُنْفِقُونَ أَمْوَالُمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُنْفِعُونَ مَا أَنْفَقُواْ مَنَا وَلَا أَذَى هُم أَجرهُمُ المُرهُمُ الدِّرهُمُ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿ إِنَّ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿ إِنَّ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿ إِنَّ اللَّهُ اللَّ

﴿ سورة البقرة)

إذن قالمن الذي نحن بصدده هو العطاء بلا مقابل ، ولكن المن قد استعمل في تكدير النعمة بكثرة الكلام فيها ، فقد يقول الإنسان لمن بمن عليه : لا أريد النعمة التي تتكلم عنها دائها ، إذن فالمن استعمل في النعمة وفي تكدير النعمة ، تقول: مَنْ على فلان إذ أنقذن من ضيق كنت فيه ، ويقال : فلان ليس فيه مُنة ، أي ليس فيه قوة ، وكلها تدور في معنى القطع ، فإذا استعمل في النعمة والعطاء نقول : نعم فيها قطع ، لأن النعمة جاءت لتقطع الحاجة ، ففيه حاجة ثم جاء عطاء ، والعطاء قطع الحاجة . فاستعملت في معناها .

فإذا جاءت نعمة بعد حاجة والحاجة انقطعت بالنعمة قلا بد أن تأن بغمل بعدها وهو أن تشكر من أنعم عليك ، وخصوصا أنه الله ، فالمن يقطع الشكر لأنك إن مننت بالنعمة وأظهرت تفضلك بها على من أسديتها إليه فقد تسببت في أن الأخذ لا يشكرك بل إنه يتضايق من نعمتك وقد يردها عليك . فإذن : هنا قطع للشكر ، فإن قطعت حاجة محتاج فهذا يسمى و نعمة » وإن لخرت بنعمتك عليه حتى كلوتها فقد تطعت ومنعت شكره لك عوهذا يسمى و منا » أى أذى لأنه يؤذي مشاعر وإحساس الآخل . وإن قطعت مطلقا اختصت باسم و المنة » ، يقولون : فلان لا منة فيه أى لا قوة عنده تقطع في الأمور ، وهنا يقول : و لقد من الله على المؤمنين » وو من عنا بمعني أعطى نعمة ، والنعمة في الدنيا تعطيك على قدر دنياك ، وو منة ، فه برسوله صلى الله عليه وسلم تعطيني عظاء على قدر الدنيا وعلى امتداد الآخرة ، فتكون هذه منة كبرة .

و لقد من الله على المؤمنين إذ ۽ ، وو إذ ۽ يعني ساعة أي حين بعث فيهم رسولا

منهم فقد عمل فيهم منة وقدم لهم ومنحهم جميلا كبيرا وأنعم عليهم نعمة ، و إذ يعث فيهم وسولا » . فإذا كان مطلق بعث رسول كي يهدى الناس إلى منهج الله يكون نعمة فإذا إذا كان الرسول من أنفسهم ؟ إن هذه تكون نعمة أخرى لأنه مادام من أنفسهم ومن رهطهم ومن جماعتهم ، هو معروف نسبًا وحسبًا ومعروف أمانة ، فلا يخون ، ومعروف صِدَّقًا فلا يكذب ، كل هذه ، ينه ، ولم يتعب أحدًا في أن يبحث وراءه : أكذب قبل ذلك حتى نعتبر يبحث وراءه : أكذب قبل ذلك حتى نعتبر ذلك كذبا ؟ أنحان قبل ذلك حتى نعتبر ذلك خيانة ؟ لا ، هل هو من الناس المدعين اللين يريدون أن يقيموا ضوضاء من حولهم ؟ لا . بل هو في الحسب والنسب معروف ، جده عبدالمطلب ميد البطحاء ولا يوجد واحد من أهله تافها .

وعرف الجميع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمانة بند صغره ، إذن فالمقدمات تجعل الناس لا تجهد نفسها في أن تتحرى عنه أصادق هو أم غير صادق ؟ إذن فهومِنة ، ولذلك حينها بعث الله سيد الخلق إلى الخلق ؟ كان هناك أناس بمجرد أن قال أمنوا به ، لم يقدم معجزة ولم يقولوا له : ماذا سنقول أو ماذا تعمل ؟ بل بمجرد أن قال : إنه رسول الله صدقوه ، فعلى أي حيثية استندوا في التصديق ؟ لقد استندوا على الماضي .

لقبتمنوه أمنين النقسوم في صغر

وما الأمين على قبول بمنهم

ها هو ذا سيدنا أبو بكر رضى الله عنه يقول: إن كان قد قال فقد صدق _ إذن فالمقدمات التي يعرفونها عنه كانت هي الحجة في تصديق الرسول ، وخديجة _ رضى الله عنها _ عندما آمنت به ، أقال لها المعجزات والقرآن ؟ لا . بل بمجرد أن قال لها : أنا رسول الله . قالت له : صدقت فلابد أن تكون رسولا ، هو نفسه كان ينشكك وهي مؤمنة به ، هو نفسه يتاءل : لعل ذلك يكون كذا ، وذهبت به خديجة _ رضى الله عنها _ إلى ورقة بن نوفل لتطمئنه على الرغم من أنها كانت قد توصلت إلى الحكم في القضية التي سألت عنها ورقة بن نوفل وأوضحت لرسول الله أنَّ ما تقوله لا بمكن أن يوقعك في بلية أو خزى أو ذِلَة ؛ لأن صفاتك جاءت كمقدمات لهذه النتيجة ، وهي أتك رسول كريم ه إنك لتحمل الكل وتكسب المعدوم وتعين على نوائب

الدهر ، والله لا يخزيك الله أبداً ، (١) ، إنسان بهذه الصفات لا يمكن أن يأتيه شبطان ، وتعال نذهب معا لأهل الكتاب الذين لهم علم بهذه المسألة . كأنها آهنت برسالة رسول الله قبل أن يقول لها ورفة بن نوفل شيئاً .

إذن فقوله: ومن أنفسهم ع أى معروف لهم ، فلم يأت لهم بواحد عنفط عليهم من السياء ، وقال : هذا رسول ، لا . إنه رسول ، من أنفسهم ع ، وهذه أول بنة ، و لقد من أنف على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم ع ، هذا إذا أخذت المحيط القريب أنه من الرهط ومن القبيلة ومعروف لهم ، ومن أنفسهم ع أو من جنس ونوع العرب ، وهذه أيضاً بنة ، فساعة أن يتكلم سيفهمونه ولا يجتاجون إلى وساطة أو ترجمة ، والرسول عندما يأن ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ، يريد أناساً تفهم عنه ، فأوضح لهم : لم أكلفكم لتقولوا مأذا يريد ، لا ، هو من أنفسكم ، وهو إنسان له مواصفاتكم ، ولكنهم لفرط عنادهم لم يؤمنوا مصداق ذلك قوله تعالى :

﴿ وَمَا مَنْعَ النَّاسَ أَن يُؤَمِنُوا إِذْ سَاتَهُمُ الْمُدَىٰ إِلَّا أَن قَالُواْ أَبِعَثَ اقَدُ بَشَرًا -رُسُولًا ﴿ وَمَا مَنْعَ النَّاسَ أَن يُؤَمِنُواْ إِذْ سَاتَهُمُ الْمُدَىٰ إِلَّا أَن قَالُواْ أَبِعَثَ اقَدُ بَشَرًا -

(سورة الإسراء)

إنهم يستكثرون كيف يبعث الله بشراً ويجعله رسولاً ، وهذا غياء في الاعتراض. ، ويأتي الرد الجميل من الله ·

﴿ قُلِ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَنَهِكُمُ يَمْشُونَ مُطلعَهِنِينَ لَنَزَلْنَا عَلَيْهِم مِنَ السِّنَةِ مَلككا رَسُولًا ﴿ ﴾

ومورة الإمراد)

أنتم من البشر ، فلا بد أن ناتيكم برسول من جنسكم ، حتى إذا قال لكم : افعلوا كذا تقولون : نعم ؟ لأنه بشر ويعمل ونحن بشر نستطيع أن نعمل مثله . . لكنه لو كان مَلَكاً لفال الواحد منكم : وهل أنا أفدر أن أكون كالملك ؟ إذن فلا تنفع

⁽١) رواه المحاري.

هذه الحكاية ، وهكذا من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا . 3 من الفسهم ؟ ، إن أخذتها على أنه من إن أخذتها على أنه من الحذتها على أنه من الحنس عربى فيكون اللسان واحداً فهى مِنّة ، وإن أخذتها من الجنس العام وهو الإنسان فهى مِنّة أيضاً .

وهل اعتبار معنى واحد من المعانى ينقض المعانى الأخرى أو تأتى كلها فى سلك واحد ؟ إنها معان تأتى كلها فى سلك واحد ؛ لأن المتكلم هو الله ، ومادام المتكلم هو الله فيكون عطاء اللفظ أكثر من عطاء ألفاظ الحلق ، ولقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أَنفُسهم » ، وهناك قراءة ـ وإن كانت قراءة شاذة ـ تقول : «من أَنفُسهم » ، وهناك قراءة ـ وإن كانت قراءة شاذة ـ تقول : «من أَنفُسهم » (بفتح الفاء) أى من أشرفهم الأنه من بنى هاشم وهم أقضل قريش ، وقريش أفضل العرب .

وماذا يعمل الرسول؟ يُفهم من قوله : « رسولا » أنه لا يأن بشيء من عنده ، بل هو -مع هذه المنزلة الحسنة بخُلُقه الجميل وماضيه الناصع ـ هو مع هذا رسول وليس له في الأمر شيء ، إذن فموسله خير منه ، فلا تتنبه إلى هذا الرجل العظيم فحسب بل يجب عليك أن تسأل : من أين جاء ؟ لابد أن تلتفت إلى أن الذي يعثه أعظم منه .

« رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آيات » ، وكلمة ويتلو » يمني يقرأ لأن الكلمة تتلو الكلمة ، فالذي يقرأ أي يتعلق كلمة بعد كلمة ، كلمة تالية بعد أخرى « يتلو عليهم آيات » وكلمة « الأيات » وكلمة « الأيات » وكلمة « الأيات » وكلمة أي اللافتة للنظر ، وتقول ؛ فلان آية في تقول مثلا : فلان آية في تقول مثلا : فلان آية في الذكاء ، أي أن هذا اللكاء ، صحيح أن هناك أذكياء كثيرين ، لكته آية في الذكاء . . أي أن هذا الإنسان أمره عجيب في الذكاء ، إذن فكلمة « آية » معناها : الأمر العجيب ، وهو الذي يقف الإنسان عند، وقفة طويلة ليتأمل في عجائيه .

والأيات نوعان : ايات منظورة في الكون مثل قول الحق :

﴿ وَمِنْ عَايَنتِهِ ٱلْيُسُلُ وَالنَّهَارُ وَٱلنَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا مُسْجُدُواْ لِلنَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ

● 1/400 **- ○ ○ + ○ ○ ○ + ○ ○ ○ + ○**

وَآخِسُدُواْ بِلَةِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعَبُدُونَ ﴿ ﴿ ﴿ اللَّهِ الْمُلت ﴾ (سورة الملت)

وكل ظواهر الكون تعتبر أشياء عجيبة . والنوع الثانى : هو آيات القرآن مثل قوله الحق :

﴿ وَإِذَا بَذَلَكَ ؟ اللهُ مُحكَانَ ؟ اللهِ وَاللهُ أَطَلُم بِمَا يُعَزِّلُ قَالُواْ إِثْمَا أَنْتَ مُفَتَّرِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ ﴾

(مررة التحل)

إذن فالأيات هي الأمور العجيبة وهي قسيان : منظور ومقووه ، المنظور : كل الكون ، والمقرود : هو القرآن ، فالقرآن يفسر آيات الكون ، وآيات الكون تفسر آيات القرآن ، والرسول جاء يتلو آيات القرآن ، وكانت عجيبة عليهم ، لكن الأيات الأخرى التي في الكون بشاهدونها ويرونها ، لقد جاء الرسول بآيات مقروءة ليلفت الناس إلى الأيات المنظورة ، وبتلك الآيات المنظورة يكون العجب من دقة خلق الكون ؛ فيتهى الإنسان إلى الإيمان بمن خلق هذا الكون .

إن الحق يقول عن الرسول: ويتلو عليهم آياته ويزكيهم و والمسألة ليست أنه يتلو الأيات ليعجبوا منها فحسب ، لا . فالرسول له مهمة إيمانية تلفت كل سامع للقرآن إلى من خلق ذلك الكون الجميل البديع الذى فيه الآيات العجيبة . ثم يعطى الرسول من بعد ذلك المنهج الذى يناسب جمال الكون ، إذن فالرسول ينقل المؤمنين إلى المنهج الذى بُركى الإنسان ، وأنت إذا سمعت كلمة و يُزكيهم و فانت تعرف أنها من الزكاة ، والزكاة أول معانيها : النظهير و والتنقية و والنهاء . والآيات التي جاء بها رسول الله عليه وسلم إنها جاءت لتركيهم .

وهذا النظهير لمصلحة المُطَهّر أو المُطّهّر، إنه لمصلحة المُطّهّر. التنفية والنهاء لمصلحتكم أنتم وهذا لا يشكك في التكليف؛ لأن التكليف لم يأت للمُكلَّف، إنما جاء للمُكلَّف، وأضرب هذا المثل ـ وعد المثل الاعل ـ فالرجل يكون ميسور الحال وعنده عقارات وأطيان، وبعد ذلك يجب لأولاده أن ينجحوا في المدارس

可期協 ○○+○○+○○+○○+○○+○ 1/41○

فيشجعهم قائلاً لكل منهم : إن نجحت فسأفعل لك كذا . هو لا يويد منهم شيئاً لنفسه ، فعنده النعمة الكافية ، هو يويد _ فقط ـ مصلحتهم هم .

إذن فالمكلف لن ينتقع بتكليفنا أبدا ، فالتنقية لصالحنا والنطهير لصالحنا والنياء لصالحنا والتزكية هي : تطهير وتنقية ونماء ولننظر إلى الحالة التي كانت الجاهلية عليها ، هل كانت نامية ؟ لم يكن بها وصف من عليها ، هل كانت طاهرة ؟ هل كانت نقية ؟ هل كانت نامية ؟ لم يكن بها وصف من تلك الأوصاف ، لانها جاهلية ، فكلهم محكومون بالهوى والجبروت والسلطان والقهر ، ونعرف أن أول ما يهتم به الإنسان هو أن يستبقى حياته وبعد ذلك يستبقى نوعه ، وبعد ذلك يستبقى ما حوله ، والتزكية شملت كل أمر من هذه الأمور ، تزكية في الإنسان نفسه ، في ذاته ، بدلا من أن يكذب لسانه طهره عن الكذب ، بدل أن تمتد عينه إلى محارم غيره طهر عينه من النظر للمحرمات ، وبدلا من أن تمتد بده خفية وتسرق فهو لا يفعل ذلك .

والسرقة -كيا نعلم حتى عند من يسرق ـ نقيصة ، بدليل أن اللص يتوارى ويحاول أن يسترها وألا يراه أحد ، لأنها رفيلة ونقيصة . ويأتى المنهج فيقول له : لا تسرق ، ويطهر المنهج حركة جوارح الإنسان في الأرض ، ويطهر قلبه من الحقد كي يعيش مرتاحا ، وتبقى قوته مصونة للعمل الجاد المثمر ، فلم يبدد قوته ، ولم يبدد نظراته ، ولم يبدد علاقاته بالناس ؟

إذن فالمتبح ينمى الإنسان ، إنه تطهير وتنقية ونماء له ، وبعد ذلك عندما يصاب الإنسان بالمجز وعدم القدرة ، فلن يستذله الغير لكى يعطيه لقمة . لقد زكاه المنبح من هذه ونقاه من الذلة وجعل له فى مال القادر حقا ، والقادر هو الذى يبحث عن الضعيف ليعطيه حقه ؛ لأن العاجز عندما برى كل المزمتين حوله قادرين يبحثون غنه ليعطوه حقه وليس مجرد صدقة يتصدقون بها عليه حينتذ يقول ؛ أنا لست وحدى فى الكون بفلان وبفلان ، فتكون تنمية له ، مادام الكل يعطيه .

أما عن بقاء النوع فهاذا يعنى ؟ إن الحق يريد طهارة الإنسان والذرّية التي تألى وأن يجعل لها وعاءً شريفًا عفيفًا ، وإطارا لا تشوبه شائبة فجاء المنهج ليزكيكم في كل

شيء ، يؤكى حركات جوارحكم فلا تنجه الحركة إلا لتحقق المطلوب منها عند من خطقها ، فالحائق قد أرضح : ياعين حدودك كذا ، يا لسان حدودك كذا ، يا يد حدودك كذا ، يا رجل حدودك كذا ، يا قلب حدودك كذا ، فالذي تحلق كل جارحة هو الذي أعطى لكل منها حدودها فلا تجاوز ولا تهاون ولا إفراط ولا تفريط ، فإن خرجت عن غير ما وضع لها في منهج الله فقد خالفت . وهكذا نرى أن المنهج قد جاء يزكيكم أي يطهركم وينقيكم وينميكم في كل مجال من مجالات الحياة .

ويعلمهم الكتاب والحكمة و وساعة يقول الحق : والكتاب، فهو يقصد الكتاب المنزل إنه القرآن ، والحكمة هي السنة . والحق يقول :

وسورة الأحزاب)

وآیات الله معروفة وهی آیات القرآن ، والحکمة هی سُنّة رسول الله صلی الله علیه وسلم .

وهنا يقول الحق : «يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب» ، إذن فالكتاب هو الفرآن ، سيتلو عليهم آيات القرآن وبعد ذلك يعلمهم ما جاء في هذا الكتاب . بعض المقسرين قال : لابد أن نحمل « الكتاب » هنا على معنى آخر غير القرآن ، فقالوا : الكتاب يعنى الكتابة ، وأول عمل زاولوه في الكتابة كتابة المصحف . إذن فالتقى المعنيان ، ولذلك في غزوة « بدر » كان يتم فداء الأسرى إما بالمال وإما أن كل أسير يجبد القراءة والكتابة إذا أراد أن يقدى نفسه فعليه أن يقوم بتعليم عشرة من المسلمين الفراءة والكتابة فقد كانت الأمة أمية . يقول سبحانه وتعالى :

﴿ هُوَالَّذِي بَعَثَ فِي الْأَبِيَّنَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَسْلُواْ عَلَيْهِمْ قَايَنْتِهِ - وَيُزَكِّهِمْ وَيُعلِّهُمْ الْكِنَسْبَ وَالْمِيْكَةَ ﴾

ومن الآية ٢ سورة الجمعة}

00+00+00+00+00+01

لذلك نجد أن تفسير الكتاب بالكتابة هو المناسب للأمية ، أو خذ هذه اللقطة على أساس أن هناك فرقا بين التلاوة والتعليم ، التلاوة : يتلو عليهم ، أى أن الرسول هو الذي يتلو ، والتعليم يكون بأن يتلوا هم القرآن . • ويعلمهم الكتاب والحكمة ، ووعلمهم أى نقل العلم من مُعلم إلى مُعلم .

ويختنم الحق هذه الآية بالقول الكريم : • وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين • رهناك أساليب تأق في الفرآن فيها • إن • وتجد كل • إن • في موضع لها معنى يختلف عن الأخر ، فمثلا تأتى • إن • شرطية ، يعنى يأتي بعدها فعل شرط وجواب شرط مثل قوله الحق :

و إِن يُمْسَكُمُ قُرْحُ لَقَدْ مُسَ الْفُومُ قُرْحُ مِثْلَهُمْ ﴾

(من الأبة ١٤٠ سورة أل عمران)

أى إن يمسسكم قرح فلا تيأسوا ولا تبتئسوا . فقد مس الغوم أقرح مثله ، وقوله الحق :

﴿ إِن تَبَدُّواْ الصَّدَقَاتِ غَيْمِمًا هِي ﴾

(من الآية ٢٧١ سورة النقرة)

إننا هنا ثجد أنَّ (إن ۽ شرطية ۽ ففيه شرط وجواب شرط ، وموة تأتي (إن ؛ وبعدها (إلا » :

﴿ إِنَّ أَمَّهُ نَهُمْ إِلَّا أَلَّتِينَ وَلَدَّنَّهُمْ ﴾

(من الأية ٢ سورة المجادلة)

وهو سبحانه يتكلم هنا عن الذين يظاهرون من نساتهم ، أي يقول الرجل لامرأته : أنت على كظهر أمي ، إن أمك هي التي ولدتك وامرأتك لم تلدك ، فلو كانت أمك لكانت محرمة عليك ، وإن أمهاتهم إلا اللاتي ، ، فعندي هنا هإن ، وبعدها وإلا ، ومادام جاءت ه إلا ، فالذي بعدها يكون مثبنا ، والذي قبلها يكون منفيا ، مثل قولنا : ه ما قام القوم إلا زيدًا ، إن زيدا ختلف عنهم . هإن أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم ، إذن ف هإن ، هنا ليست

○ // • / ○ ○ + ○ ○ ○ + ○ ○ ○ + ○ ○ ○ + ○ ○ ○ + ○ ○ ○ + ○ ○ ○ + ○ ○ ○ + ○ ○ ○ + ○ ○ ○ + ○ ○ ○ + ○ ○ ○ + ○ ○ ○ + ○ ○ ○ + ○ ○ ○ + ○ ○ + ○ ○ ○ + ○ ○ ○ + ○ ○ ○ + ○ ○ ○ + ○ ○ ○ + ○ ○ ○ + ○ ○ ○ + ○ ○ ○ + ○ ○ ○ + ○ ○ ○ + ○ ○ ○ + ○ ○ ○ + ○ ○ ○ + ○ ○ ○ + ○ ○ ○ + ○ ○ + ○ ○ ○ + ○ ○ ○ + ○ ○ ○ + ○ ○ ○ + ○ ○ ○ + ○ ○ ○ + ○ ○ ○ + ○ ○ ○ ○ + ○ ○ ○ ◆ ○ ○ ○ ◆ ○ ○ ○ + ○ ○ ○ ◆ ○ ○ ○ ◆ ○ ○ ○ ◆ ○ ○ ○ ◆ ○ ○

شرطية لكنها هنا وإن ، النافية وتعرفها بوجود ، إلاً ، .

ومرة ثالثة ثاق د إن ؛ لا هي شرطية ، ولا هي نافية مثل آيتنا هنا د وإن كانوا من قبل لغي ضلال مبين ؛ . ونقول : هذه د إن ؛ التي هي تخفيف د إن ؛ أي د إن ، هنا خفقة من الثقيلة ويكون المعنى وإن الحال والشأن والقصة والواقع أنهم كانوا في ضلال مبين . ويقول النحاة : السمها ضمير الشأن -أي الحال والقصة - وهو محذوف .

وما هو الغلال؟ يقولون: صل فلان الطريق أي مشي في مكان لا يوصله للغاية ، أو يوصل إلى صد الغاية ؛ لأن الضلال في الدنيا والأمور المادية قد لا يوصلني لغايق المرجوة ، وقد لا يوصلني لشر منها أو لمقابلها ، لكن في الأمر القيمي ماذا يقعل ؟ إنه لا يوصلك إلى الغاية المرجوة وهي الجنة فحب ولكنه يوصل للمقابل وهو النار ، هذا هو الضلال المين ، إنه ضلال واضح ؛ بدليل أن النقائص التي جاء الإسلام ليطهر الإنسان منها ، يحب مرتكبها ألا تُعلم عنه وسط الناس ، فالسارق يسرق لكن لا يجب أن يعرف الناس أنه لص ، والكاذب يكذب لكن لا يجب أن يعرف الناس أنه لص ، والكاذب يكذب لكن لا يجب أن يعرف الناس أنه عندما نقول له : ياكذاب تكون له صاعقة ، إذن فالنقيصة تفعل وصاحبها لا يريد أن يراها أحد أو يُعرف بها ،

و وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين و أى ضلال ظاهر وهو ضلال يعرفه صاحبه بدليل أننا قلنا فى قصة سيدنا يوسف ؛ حيث نجد فى القصة اثنين من الفتيان قد دخلا السجن ، وماذا حدث شيا :

﴿ وَدَخَلَ مَعَ الرِّجْنَ فَتَبَادِ قَالَ أَحَدُمُنَ إِنِّ أَدَانِيَ أَصِرُ خَمْراً وَقَالَ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللّ

会選録 00+00+00+00+00+00+01/1/0

لقد رأوا فى يوسف عليه السلام كأن عنده ميزان الإحسان فهو يعرف الحسن والقبيح ، ولأنها يعرفان ميزان الإحسان فلا بد أن نكون المسائل بالنسبة لها واضحة . ولماذا لم يقلها واحد منها من قبل ؟

لقد شهدا هذه الشهادة لسيدنا يوسف لأنها يطلبان الآن مشورته في تأويل الرؤى . كان يوسف عليه السلام مسجونا ، ولم ينظر إليه أحد إلا كمسجون ، ومن سلوكه معها في السجن عرفا أنه طيب وعسن . ولذلك النفتا إليه ورأيا فيه أنه قادر على تأويل رؤيا كل منها . مثلها قلنا : إن المنحرف نفسه يعرف قيمة الفضيلة ، وهكذا نجد أن الفضيلة مسألة ذاتية وليست نسبية ، أي أنه حتى المنحرف عن الفضيلة برى الفضيلة فضيلة .

وبعد ذلك يعود الحق إلى قضية عجيبة ، فإذا كان الله سبحانه قد من على المؤمنين بالرسول ، ومن أنفسهم ، وجاء يتلو عليهم آيات الله ، وجاء يزكيهم طهارة ونقاء وغاء ، وجاء ليعلمهم الكتاب والحكمة وهي وضع الشيء في مرضعه ، أو البحث عن أسرار الأشياء كان يجب عليكم - إذن - أنه إذا قال قولة لا تخالفوا عنها أبدا ، وعندما يجرى على يديه أمر فهو لا يجتاج إلى مناقشة ، إذن فها حكايتكم ؟

يقول الحق:

﴿ أُولَمَّا أَصَلَبَتَكُم مُّصِيبَةٌ قَدَّاصَبَتُمُ مِّثْلَيْهَا قُلْنُمُ أَنَّ هَلَذًا قُلْ هُوَمِنْ عِندِ أَنفُسِكُمُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَى وقدِيثٌ ﴿ اللهِ اللهِ عَلَيْهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ عَلَىٰ كُلِّلَ

للذا تقولون : كيف يهزمنا الكفار؟ لقد حدث لكم ذلك لأنكم خالفتم الرسول الله من ويعلمكم الكتاب والحكمة ، كان الله من ويعلمكم الكتاب والحكمة ، كان

مقتضى ذلك أن كل ما يقوله الرسول الذي هو يهذه المواصفات أن تطبعوه ، ولا يقولن أحدكم : لماذا تحدث هذه الهزيمة ؟ ولا يقولن أحد لماذا حكاية أحد وكيف يهزمنا الكفار ؟ إنّ هذا لا ينسجم مع ما قبل من أن الله من عليكم وبعث فيكم رسولا ، ثم إن أحدًا لبست مصيبة بادئة ، بل مصيبة جاءت بعدما أصبتم من أعدائكم مصيبة ، وثلتم منهم ضعف ما نالوا منكم .

فانتم بدأتم ببدر وأعطاكم الله الخير. أنتم قتلنم سبعين وأسرتم سبعين ، وهم قتلوا سبعين ولم يأسروا أحدًا في د أحد ، انتم أخدتم غنائم في بدر ، وهم لم يأخدوا أي غنيمة في أحد ، ما العجيبة في هذه !! كان يجب أن تبحثوا في ذواتكم وفي نقوسكم ، هل كنتم منطقين مع إيمانكم ومع قيادة الرسول لكم !؟ أيكون منكم ذلك السؤال وهو و أني هذا ، لأن و أنى معناها استئكار أن هذا يحدث أي من أين أصابنا هذا الانهزام والقتل ونحن نقاتل في سبيل الله وفينا النبي والوحي وهم مشركون ونقول لكم : وهم كنتم على مستوى الإيمان المطلوب ؟ إن مستوى الإيمان المطلوب يقتضى منكم أن تنقذوا ما قاله الرسول ، وأنتم لم تكونوا على هذا المستوى الأيمان المطلوب يقتضى منكم أن تنقذوا ما قاله الرسول ، وأنتم لم تكونوا على هذا المستوى الأيمان كنتم عليه في بدر ،

وساعة تسمع « أو لما » فهناك همزة الاستفهام ثم « واو عطف » ، « أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا » ، و« لما » هنا هى الحينية ، فياذا يكون المعنى ، لقد أمنتم بالله إلها وآمنتم بالرسول ميلغا ، أحين تصيبكم مصيبة قد أصبتم مثليها تقولون أنى هذا ؟

كان المنطق ألا تسألوا هذا السؤال أبدا لأنكم آمنتم بإله عادل له سنن لا تنبدل ولا تتحول . أكان يترك السنن من أجلكم !؟

﴿ سُنَّةُ اللَّهِ فِ اللَّهِ مِنْ خَلُواْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۞ ﴾

﴿ سورة الأحراب }

وفي موقع آخر من القرآن يقول سبحانه :

﴿ وَلَا يَجِينُ الْمُكُرُ السِّي إِلَّا إِلْهَا لِيهِ فَهَلَ يَسْظُرُونَ إِلَّا سُنْتَ الْأُولِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنْتِ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّ

(من الآية ٣٤ سورة فاطر)

فلو أنكم استحضرتم الإيمان بالإله الذي أطلق السنن في الكون ليسوس به أمر ملكه بما يحقق أمر المصلحة لما قلتم هذا ومادمتم قد آمنتم بأن الإله هو الذي صنع تلك السنن فكان الواجب عليكم أن تعلموا أن الإله لن يجاملكم بإيطال سننه من أجل أنكم نسبتم إليه أولا بأنكم مسلمون ، فإنكم إن خالفتم فسنن الله واقعة ، وكان يجب أن تفهموا هذا الامر ، وكان يجب ألا تسألوا هذا السؤال ، وقد آمنتم بالله إلها له منن ، وآمنتم بالوسول المبلغ عن الله . أحين تصيبكم مصيبة مع هذا الإيمان قد أصبتم مثليها ، تقولون : أني هذا ؟ أنتم حدث منكم أنكم أصبتم خصومكم ، وباليتكم أصبتم مثليها ، كان يجب أن تعرضوا وباليتكم أصبتم مثليها ، كان يجب أن تعرضوا تقارنوا : لماذا أصبتم مثليها ، كان يجب أن تعرضوا عملكم على الموازين الإيمانية لما سألتم هذا السؤال : وأني هذا ي الموازين الإيمانية لما سألتم هذا السؤال : وأني هذا و . . .

وساعة تسمع و أن هذا و فلها معنيان : إما أنها تأن بمعنى (كيف يحدث هذا) ؟ وإما بمعنى (من أين يحدث هذا) ؟ فإن كانت لأعيان وتحب أن تعرف ، مثلها أحب سيدنا زكريا أن يعرف : من أين يأن الرزق لسيدننا مريم وهي في المحراب :

﴿ كُلُّكَ دَخَلَ عَلَيْهَا ذَكِيا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندُهَا رِزْقًا قَالَ يَكْتَرَبُمُ أَنَّى لَكِ هَاذًا قَالَتُ هُوَ مِنْ عِندِ اللهِ إِنَّ اللهُ يَرَّزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرٍ بِحَسَابٍ ﴾

(عن الآية ٣٧ سورة آل جموان)

راجع أصله وخرج أحاميته الدكتور أحد عمر هاشم فالب وتيس جامعة الأزهر .

أي من أين ؟ وتأن مرة أخرى بمعنى ﴿ كيف ؛ :

عَلَى أَوْكَالَذِي مَنَّ عَلَىٰ قَرْبَةٍ وَهِي خَاوِيَةً عَلَىٰ عُرُونِهَا قَالَ أَنَى يُعْمِيء هَـٰــنِهِ ٱللهُ بَعْدُ مَوْتِهَا فَأَمَانَهُ اللهُ مِأْنَةَ عَارِثُمَ بَعْتُهُم ﴾

(من الآية ٢٥٩ سورة البقرة)

أى كيف يحيى ؟ إذن فمرة تكون بمعنى و من أين و ، ومرة تكون بمعنى . لا كيف و ، والذين دخلوا معركة أحد كانوا ينكرون ويستعجبون لعدم انتصارهم . . فاوضح لهم الحق : لو كنتم مستحضرين فضبة الإيمان باله عادل وضع في كونه سننا وهو لن يغير سننه ولن يجولها من أجلكم أنتم ، إن عليكم أن تعرفوا أن الله لا يتغير من أجل أحد ، ولكن يجب أن تتغيروا أنتم من أجل الله .

و أَوَ لَمَا أَصَابِتُكُم مَصِيبَةً قَدَّ أَصِبْتُم مثليها ٪ : وَوَ لِمَا ٪ يَعْنَى : حَيْنَ ، وَاسْمُها : وَلَمَا الْحَيْنِيَّةِ ﴾ وَوَ لِمَا ﴾ تكون أيضا من أدوات وعوامل الجزم مثل : ثم وَوَ لَمَ » تنفى ، وَوَ لَمَا * أيضا تنفى مثل تُولِهُ الحَقّ :

﴿ وَلَمَّا يَدَّخُلِ الْإِيمَانُ فِي تُلُوبِكُمْ ﴾

(من الآية 11 سورة الحجرات)

أى أن الإيمان لم يدخل قلوبكم بعد ، إنما من الجائز أنه قد يدخل بعد ذلك ، هذه اسمها «كما» الجازمة , وهناك «لما» الشرطية مثل قولنا : كما يقوم زيد يجدث كذا ، وهذه فيها شرط ، وفيها الزمن أي حين يقوم يجدث كذا ، مثل قوله الحق :

﴿ فَلُمَا أَسُلُمَا وَتُلَّهُ لِلْجَبِينِ ۞ وَنَكَيْتُهُ أَنْ يُكَا يَرُهُمُ ۞ قَدْ صَدَّقَتُ الرَّهُ بَا ﴾ ﴿ فَلُمَا أَسُلُمَا وَتُلَّهُ لِلْجَبِينِ ۞ وَنَكَيْتُهُ أَنْ يُكَا يَرُهُمُ ﴾ ﴿ وَلَنْ لَيْنَا الله المانات ﴾

أى حين أسلم وتله للجبين وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا أى ناديناه ، والواو هنا مقحمة مثلها في قوله تعالى : « حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها » أى قال لهم رمعنى مقحمة جيء بها للتوكيد والتقوية أو جاءت الواو هنا لتقيد أن نداء الله لسيدنا إبراهيم جاء مصاحبا لإلقاء ابنه إسهاعيل على وجهه للمدحه .

قد و لميّا عله وفي الآية التي نحن بصددها هي و لما الحينية و الحين تصيكم أي : أوقت تصيبكم مصيبة قد أصبتم مثليها و قلتم أن هذا و كان يجب أن تقارنوا لماذا أصبتم في بدر مِنْ عدوكم ضعف ما أصاب منكم ، ولماذا أصاب عدوكم منكم يوم أحد هذا ؟ كان يجب أن تسألوا أنفسكم هذا السؤال و لأن الميزان منصوب وموضوع ، ومادمتم تفاقلتم عن هذا نسيأتي لكم الرد . . قل يا عمد لهم وداً على هذا : و هو من عند أنفسكم و . لقد خالفتم عن أمر الرسول ، ومادمتم خالفتم عن أمر الرسول ، ومادمتم خالفتم عن أمر الرسول فلا بد أن يجدث هذا بمقتضى إيمانكم بإله له منن لا تتحول ولا تنبدل . و أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أن هذا قل هو من عند أنفسكم و .

وبعد ذلك تذبل الآية بقوله سبحانه: «إن الله على كل شيء غدير» الها موضعها هنا؟ موضعها أنه مادامت الله سنن ، وسنن الله لا تتبدل ، والله موصوف بالقدرة الفريدة له فلن يأتي إله آخر ويقول: نبطل هذه السنن . ومادام لا يوجد إله آخر يقول ذلك فهو سبحانه قدير على كل شيء ، وهو قدير على أن تظل سنته دائمة ، ولا توجد غوة تزحزح هذه القضية ؛ لأن السنن وضعها الله . فمن الذي يغيرها ؟ إنها لن تتغير إلا بقوة أعلى ومعاذ الله أن تكون هناك قوة أعلى من قوة الله ؛ لذلك يوضح سبحانه : أنا قدير على كل شيء وقدير على أن أصون سنني في الكون ، فلا تتخلف ولا توجد قوة أخرى تحوّل هذه السنن أو تبدلها .

ولا تظنوا أن ما أصابكم جاء فقط لأن السنن لا تتغير، لا، فهذا قد حدث بإذن من الله، فالله أوضح للكون: من يخالف أمرى أفعل فيه كذا. إذن فالكون لم يحدث، فيه شيء دون علم الله وإذنه.

ويقول الحق بعد ذلك :

﴿ وَمَا أَصَكِبَكُمُ يَوْمَ الْتَفَى ٱلْجُمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۞ ﴿ وَلِيَعْلَمُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۞ ﴿ وَلِيَعْلَمُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۞ ﴿ وَلِيَعْلَمُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي أنه سبحانه قد جمع المؤمنين وجمع الكافرين في أحُد بإذن منه وبعلمه والنتيجة معروفة عنده ، وأنه سيحدث منكم كذا وكذا ، إذن فهذا أمر معلوم ، أو « بإذن الله ، أي في السنن التي لا تتخلف ، فالمسألة لم تأت بغير علم الله ، لا . لقد جاءت بإذن الله ولا تتخلف . تطبيقا ـ عن أَحَدٍ من خلقه أبداً مهما كانت منزلته .

« وما أصابكم يوم التقى الجمعان فيؤذن الله وليعلم المؤمنين ۽ ساعة ترى أمراً أجراء الله ليعلم الذين نافقوا ، وليعلم المؤمنين، نعرف أن الله عالم يهم قبل أن تقع الأحداث ، ولكن علمه لا يكون حجة على الغير إلا إن حدث منه بالفعل ، لجواز أن يقول : يارب أنت حاسبتني بعلمك أن هذه سيحدث ، لكن ما كنت لأفعله ، فيوضح الحق : لا . أنت قد علمته لأنك فعلته وصار واقعاً منك ونقوم به الحجة عليك .

وأفرب هذا المثل وبله المثل الأعلى انت كمعلم نقول لواحد من الطلبة: انت راسب، فيقول لك : لا ، لابد أن تمتحنني . تقول له : أنا أعرف أنك راسب . فيقول لك : أنا لا آخذ بعلمك بل لابد أن تمتحنني . تقول له : تعال أمتحنك , وتعطيه بعض الاسئلة فيرسب . وهنا يصير علمه برسوبه أمراً واقعاً ، وهو كان يعلمه بسبق علم ، لكنه الأن لا يقدر أن يجادل لأنه صار واقعا عسوساً .

ويقول الحق : « وليعلم المؤمنين » ومنهم الثابت الإيمان الذي لا يتزعزع ويعلم أنه إذا أصابته مصبية بما قدم لنفسه ، هذه الصبية تزيده إيمانًا بإلهه .

ويقول الحق من بعد ذلك :

﴿ وَلِيَعْلَمُ الَّذِينَ نَافَقُوا ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالُوا فَنَيْلُوا فِي صَيْدِ لِللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّا الللَّهُ اللَّهُ الللللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّاللَّاللَّا الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّا الللَّهُ الل

بِأَفَوَاهِهِم مَّالَيْسَ فِي قُلُوبِهِم مَّالَيْسَ فِي قُلُوبِهِم مَّالَيْكُمُ مِمَايَكُمْتُمُونَ عَلَى الْمُ

وقوله: «وليعلم الذين نافقوا» أى يجعلهم يظهرون وينكشفون أمام الناس، وإلا لو لم تحدث هذه الأحداث فكيف كنت تعرف المنافق ؟ سيستر نفسه . لابد إذن أن تأقى أحداث لنظهره وتفضحه ، فالمنافق يراوغ ؛ لذلك يائيه الحق يأحداث ليظهر على حقيقته ، وقد كان .

وليعلم الذين نافقوا وقبل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا و .. وكانت المدينة مهاجمة وإذا انتصر الكفار فسيدخلون ويشبون ويأخذون المسلمين أسرى ويفعلون كل منكر !! فقال عبدالله بن عمرو بن حرام الأنصارى للمنافقين : اخرجوا وقاتلوا معنا وإن لم تخرجوا لتقاتلوا معنا واخرجوا لتدفعوا عن أنفسكم وعن أموالكم وعن نسائكم و لأنهم إذا انتصروا على المسلمين فسيدخلون ويفعلون كذا وكذا وكذا ، إنه دعاهم إلى القتال على طريق إثارة الحمية والأنفة فيهم وذلك بعد أن يئس من أنهم لم يقاتلوا في سبيل الله ، ولما رأى اصرارهم على عدم الخروج قال غم عبدالله : اذهبوا أعداء الله فسيغنى الله رسوله عنكم .

إذن فقيه فرق بين القتال في سبيل الله وبين الدفاع عن النفس فقال : و قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا ي . . أو ادفعوا عنا ولو بتكثير سوادنا وإظهار كثرتنا حتى يظن المشركون أن معنا أناسا كثيرين . و قالوا لو نعلم قتالًا لاتبمناكم ي . . وعندما تتابع هذا المنطق في القصة في ذاتها نجد أن و ابن أُنَّ ي كان من رأيه أن يظل رسول الله في المدينة لماذا ؟ لأنه قد ثبت بالتجربة أنه إذا جاء قوم ليغيروا على المدينة ودخلوها فأهل المدينة يتصرون عليهم ، وإذا خرج لهم أهل المدينة فهم ينهزمون .

إذن فالفضية واضحة في ذهن ابن أُبُّ، فهو لم يرض أن يخرج لأن التجارب أثبتت لمه أنهم إذا خرجوا عن المدينة ليحاربوا العدو فعدوهم ينتصر عليهم، وإذا ظلوا التصروا، إذن فهو وائق من نتيجة الحروج، ولكن مادامت المسألة قد صدرت من رأس النفاق عبدالله بن أبي فأنت لا تستطيع أن تحكم أبن الحق، قمن الجائز أن آثار

○ 1/4TY ○ ○ ◆ ○ ◆ ○ ○ ○ ◆ ○ ○ ◆ ○ ○ ◆ ○ ○ ◆ ○ ○ ◆ ○ ○ ○ ◆ ○ ○ ○ ◆ ○ ○ ○ ◆ ○ ○ ◆ ○ ○ ◆ ○ ○ ◆ ○ ○ ◆ ○ ○ ◆ ○ ○ ◆ ○ ○ ○ ◆ ○ ○ ◆ ○ ○ ◆ ○ ○ ◆ ○ ○ ◆ ○ ○ ◆ ○ ○ ○ ◆ ○ ○ ◆ ○ ○ ◆ ○ ○ ◆ ○ ○ ◆ ○ ○ ◆ ○ ○ ◆ ○ ○ ◆ ○ ○ ◆ ○ ○ ◆ ○ ○ ◆ ○ ○ ◆ ○ ○ ○ ◆ ○ ○ ◆ ○

يوم هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام من مكة إلى المدينة هذه الأثار كانت باقية في نفس ۽ ابن أبي ۽ ففي ذلك اليوم الذي جاء فيه الرسول إلى المدينة كان هو اليوم الذي كان سيترج فيه المنافق ۽ ابن أبي ۽ ليكون ملكاً على المدينة ، فلم جاء الرسول بهذا الحدث الكبير تغير الوضع وصار التاج من غير رأس تلبسه ، فهذه قد حملها في تقسه .

و قالوا لو نعلم قنالاً لاتبعناكم ، لقد ادّعي ابن أبي آن الحروج من المدينة هو كإلقائه إلى النهلكة وليس قنالاً ؛ لأن القنال تدخله وعندك مظنة أن تنتصر ، إنما هذا إلقاء إلى تهلكة وليس قنالاً ، لكن أقال : و لو نعلم قنالاً لاتبعناكم ، وهو صادق ؟

إن الحق يقضحهم : « هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان » ، فقبل ذلك كانوا في نفاق مستور ، ومادام النفاق مستوراً فاللسان يقول والقلب ينكر ويجحد ، فهم مذبذبون بين ذلك ؛ لا إلى هؤلاء ، ولا إلى هؤلاء ، هذه المسألة جعلته قريبا من الكفر الظاهر .

و يقولون بأقواههم ما ليس في قلويهم ع . . إذن فالقلب عمله النبة الإيمانية ، واللسان قد يقول ولا يفعل ما يقول ، ولذلك قلنا : إن المنافق موزع النفس ، موزع الملكات ، يقول بلسائه كلاما وقلبه فيه إنكار ، ولذلك سيكونون في الدرك الأسفل من النار و الأنهم غشاشون ، ونقومهم موزعة .

ع يقولون بأفواههم ما ليس في فلويهم ع والفول ضرورى بالفم ع لأن القول يُطلق ويراد به البيان عيا في النفس ، فتؤضيح الإنسان لما في نفسه كتابة ، يعتبر قولاً _ لغة _ ولذلك فالذى يستحى من واحد أن يقول له كلاما فهو يكتبه له في ورقة ، فساعة يكتب يكون قد قال ، وهؤلاء المتافقون يقولون كلماتهم لا يوساطة كتاب بل بوساطة أفواههم وهذا تبجح في النفاق ، فلوكانوا يستحون لهمسوا به : « يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم ع إذن قاللسان لم يتفق مع القلب . فالقلب منعقد ومصر على الكفر _ والعياذ بالله _ واللسان يتبجح ويعلن الإيمان .

ونعرف أن و الصدق و هو أن يوافق القول الواقع ، والواقع في القضية الإيانية نية في القلب وحركة تُثبت الإيمان ، أما المنافقون فلسانهم لا يوافق قلبهم ، فلها كان ما في القلب مستورا ثم ظهر إلى الجوارح انكشفوا . وهذا هو السبب في أنهم كانوا أقرب إلى الكفر ، ويقولون بأقواههم ما ليس في قلوبهم و وهذا لون من نقص التصور الإيمان في القلب ، كأنهم يعاملون الله كها يعاملون البشر مثلهم . وبعد ذلك يقول الحق :

﴿ اللَّهِ اللَّهِ مِنَ قَالُواْ لِإِخْوَائِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا فَيُتَلُواْ قُلْ الْفَوْتَ إِن فَيْتِلُواْ قُلْ فَأَدْرَءُ وَأَعَنَ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَهَدِقِينَ ۞ ﴿ اللَّهِ اللَّه

قعندما أراد ابن أيَّ أن يَخذُل الجيش ، وافقه بعض المنافقين ولم يوافقه البعض . هؤلاء الذين خرجوا للقتال والجهاد ولم يوافقوهم ثم قتلوا فرحوا فيهم ، وقالوا : لو كانوا أطاعونا ومكثوا في المدينة ولم يخرجوا لما انهزموا ولما قتلوا ، وكأن الحق يوضح لنا أسلوبهم ، لذلك سنأخذهم من منطقهم . . هم قعدوا وقالوا عن إخوانهم اللابن أسلوبهم ، لذلك سنأخذهم من جاعتهم : « لو أطاعونا ، كأن قولا صدر منهم ، اف أقتلوا في المعركة والذين هم من جاعتهم : « لو أطاعونا ، كأن قولا صدر منهم ، واقعدوا » ولكن القوم الأخرين الذين هم أقل نفاقا . لم يطاوعوهم وخرجوا ، فحدت لهم ما حدث .

فكيف يرد الله على هذه؟ انظروا إلى الرد الجميل: أنتم تقولون: « لو أطاعونا » ، فكأن طاعتكم كانت وسيلة لسلامتهم من الفتل . إذن فأنتم تعرفون طريق السلامة من الفتل . والذي يعرف طويق السلامة من القتل هل يعرف طريق السلامة من الموت؟ ولذلك يقول الحق سخرية بهم : « فادرأوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين » وفي ذلك رد عليهم من كلامهم « لو أطاعونا ما قتلوا » ومادمتم تعرفون وسيلة للسلامة من القتل فاستعملوا هذه الوسيلة في أن تدفعوا عن أنفسكم الموت . وأنتم مع المتقدمين منكم والحاضرين تموتون ولا تستطيعون ود الموت عنكم ، إذن فأنتم لا تعرفون طريق السلامة من الموت ؛ فكم من محارب عاد من المحرب سليها ، وكم من حارب من القتال قد مات وانتهى ، وَهُبُ أن يعضا من المؤمنين الفاتلين قد قُتل ، إن الذي قُتل في المعركة ليس أهون على الله ممن سلم من المعركة ، هؤلاء لحب إلى الله وقد عجل الله لقاءهم وأنزهم المنزل المقرب عنده .

ونعرف أن الحدث إنما يُحمد ويدم بالنسبة للغاية منه ، فكل حدث يُقربك من الغاية يكون عموداً ، وكل حدث يُجِعدك عن الغاية يكون غير محمود ، فإذا كانت الغاية أن تلحب إلى الاسكندرية مثلا ؛ فقد تذهب إليها ماشيا فتحتاج إلى علمة أيام ، وقد تذهب إليها واكبا دابة فتحتاج إلى زمن أقل ، أو تذهب إليها واكبا عربة فيقل الزمن لساعات ، أو تذهب إليها واكبا طائرة فنصلها في نصف الساعة ، فكلها كانت الوسيلة قوية كان الزمن قليلا ؛ لأننا نعلم أن القوة الفاعلة في النقلة تتناسب مع الزمن ثناسبا عكسيا . وكلها زادت القوة قل الزمن ، ومادامت غايتي أن أذهب إلى الاسكندرية . فالذي يُعجل لى الزمن ويقلله الأذهب إليها أفضل أم الا ؟ إنها الوسيلة الأفضل .

فيادامت اللغاية أن تذهب إلى لقاء الله وأن تعيش في جواره ومعيته ، فحين يُعجل الله يبعضنا فيأخذهم من أقصر طريق فهذا أفضل بالنسبة لهم أم لا؟ هذا أفضل ، وهكذا نرى أن الناس تنظر للموت نظرة حمقاء ، إن موت المؤمن الحق الصادق الإيمان إنما يقربه إلى الغاية ، فيا الذي يُحزنني !

○○◆○○◆○○◆○○◆○○◆○ 1AV• ○

أنتم تخافون الموت ، ولكن هؤلاء الذين تتلوا في سبيل الله ليسوا بمبتين ، لأن حياتهم حياة موصولة ؛

إن هناك فارقا كبيرا بين الموت والشهادة ، فالذى يقتل شهيدا نكون حياته موصولة ، ولن بجر بفترة موتنا نحن ، ولنفهم أنهم أحياء عند ربهم ، أى بقانونه سبحانه ، فلا تُحكّم قانونك أنت ، فأنت - كما قلت - لو فتحت القبر ستجد هؤلاء القتلى بجرد أشلاء . هم عندك أشلاء وأموات في قانونك أنت . لكنهم أحياء عند ربهم يُرزقون .

فالحياة تختلف عن الموت في عاذا ؟ إن الإنسان إذا زهقت روحه وفارقت جسده انقطعت حياته ، في ظاهر الأمر انتهى ولم يعد يتنفع برزق ولا بأكل ؛ لأن الرزق جُعِلَ لاستبقاء الحياة ، ومادام الرزق قد صَّنغ لاستبقاء الحياة وليس فيه حياة إذن قلا رزق ، لكن الله سبحاته يريد أن يعطينا مواصفات تؤكد أن الشهيد حي . ومن ضروريات الحياة أنه يُرزق أي ينتفع باستبقاء الحياة ، وعلينا أن نقهم أن العندية عندك غير العندية عند الله . فالشهيد حي عند ربه ويُرزق عند ربه رزقا يناسب الحياة التي أرادها له ربه . وتعلم أن الوزق هو المخاصية التي توجد للأحياء . وعندما نقرأ قول الله : « أحياء عند ربهم يرزقون ، قد يقول قائل : من الجائز أنك تأخذ إنسانا وتُبقيه حيا وتعطيه طعاما وشرابا لكن أهو فرح بموقعه ؟ لا . لذلك يجب أن ندرك وتعرف أن حياة الشهيد لبست في قبره ولكنها عند ربه وهو فَرح بموقعه لذلك يقول الحق :

﴿ فَرِحِينَ بِمَا عَاتَمْهُمُ اللّهُ مِن فَصَّلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِاللَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ صَلَيْهِمْ ﴿ اللَّهِمَ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا

والعدل يتحقق بين البشر بأن كلا منهم يموت . ولكن القضل أن يعجل الله انقضاء الحياة في الدنيا لمن يُحبهم بالاستشهاد وينقنهم إلى رضوانه ونعيمه ۽ فرحين بما آناهم الله من

○1½V1○○+○○+○○+○○+○○+○○

فضله ، وليس هذا فقط ، بل إننا نجد الأخوة الإيمانية قد بقيت فيهم وليست كخاصية الأحياء ، فالخاصية الإيمانية تقتضى أن يُحب المؤمن لأخيه ما يُحب لنفسه ، والشهداء في حياتهم عند ربهم كذلك ، مما يدل على أن الحياة التي يحياها الشهداء هي حياة نامية فيها رزق ومواجيد وفرح ، وكل شهيد يعتبر أن هذا فضل من الله قد فضله به . ولذلك فالشهيد يستبشر بالذي لم يأت من بعده من إخوانه المؤمنين ويقول : يالينهم يأتون ليروا ما نراه .

ويستبشرون بالذين لم يلحقوا ويهم): ويستبشرون و من البشرى و والبشرى و البشرى الخبر السار و ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم و ويلحقوا أى يأتوا بعدهم و قالشهداء يقولون: إنهم سيأتون لنا وماداموا سيأتون لنا فنحن نُحب أن يكونوا معنا فى النعيم والحير الذى تحيا فيه . وكل منهم بشعر بالمحبة الأخيه ، الأنه يعلم قول الرسول صلى الله عليه وسلم : و الا يكمل إيمان أحدكم حتى يُعب الأخيه ما يُعبه لنفسه و . وعن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : و لل أميب إخوانكم يوم أحد جعل الله أرواحهم فى أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة أصبب إخوانكم من ثهارها ، وتأوى إلى قنادبل من ذهب فى ظل العرش ، فلها وجدوا طيب وتأكل من ثهارها ، وتأوى إلى قنادبل من ذهب فى ظل العرش ، فلها وجدوا طيب ماكلهم ومشربهم وحسن فضلهم قالوا : ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله بنا لئلا يزهدوا فى الجهاد والا يتكلوا من الحرب ققال الله عز وجل ـ: أنا أبلغهم عنكم ، فأنزل الله هذه الأيات : و والا تحسين الذين قتلوا فى مبيل الله أموانا بل أحياء عند وبهم يرزقون و وما بعدها().

ونعرف أن (البِشَرَ ؛ عادة هو الفرحة ، وهي تبدو عَلَ بشَرة الإنسان ، فساعة يكون الإنسان فرحا ، فالفرحة تظهر وتُشرق في وجهه ولذلك نُسميها (البشارة) ، لأنها تصنع في وجه المُشَر شيئا من الفرح مما يعطيه بريقا ولمعانا وجاذبية .

ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يجزئون ، أى أن الذين خلفوا عن الشهادة لا خوف عليهم ، فهؤلاء الذين لم يستشهدوا بعد قد يجوضون معركة ما ، فيقول الحق على لسان الشهداء لكل منهم : لا تخف لانك ستذهب مانير في الحياة ، الآخوف عليهم ولا هم يجزئون » .

⁽١) رواء الإمام أحمد .

ويعد ذلك يقول الحق :

﴿ يَسَتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ مِنَ ٱللَّهِ وَفَصَّلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۞ ﴿ يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۞ ﴿ اللَّهِ

إذ الحق سبحانه لا يضيع أجر هؤلاء الذين قاتلوا في سبيل الله ، وها هو ذا مسحانه وتعالى يقول :

﴿ اللَّذِينَ اَسْتَجَابُواْ بِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعَدِمَا اللَّهِ اللَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعَدِمَا المُحْ الْمَابَهُمُ الْفَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَاتَّفَوْا أَجْرُ الْصَابَهُمُ الْفَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَاتَّفَوْا أَجْرُ الْصَابَهُمُ الْفَيْحُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ

انظر إلى المتزلة العالية كى تعلم أن الهزة التى حدثت فى أحد أعادت ترتيب الذرات الإيمانية فى نفوس المؤمنين . ولذلك أراد الله ألا يطول أمد الغم على من ندموا بسبب ما وقع منهم ، وألا يطول أمد الكفار الذين فرحوا بما ألحق بالمؤمنين من المضرز فى المعركة الأخيرة ، هؤلاء المشركون فرحون ، وهؤلاء المسلمون فى حزن ؛ لاننا قلنا : ماداموا مسلمين ومؤمنين فلهم حق ، وإن قصروا فعليهم عقوبة ، وسبحانه قد أنزل بهم العقوبة لكن بقى لإسلامهم حق على الله ؛ لأنه أجرى نلك الأقدار ليهذب بهم العقوبة لكن بقى لإسلامهم حق على الله ؛ لأنه أجرى نلك الأقدار ليهذب ويحص ويُربى ، فلا يطبل أمد الغم على المؤمنين ولا يجد الفرحة للكافرين ، فيأتى وسول الله عليه وسلم والحالة كما تعلمون هكذا، ويؤذن مؤذنه صلى الله عليه وسلم فى الناس بطلب قريش قائلا : « لا يخرجى معنا إلا من حضر معنا القتال » .

ويخرج الرسول صلى الله عليه وسلم إليهم بعدد لا يزيد على عدد المفاتلين الذين كانوا يواجهونهم حتى لا يقال إنهم جاءوا بمدد إضاق ، بل بالعكس ، قالذين خرجوا لمطاردة الكفار هم الذين بقوا مع الرسول في أحد ، ونقص منهم من قتل ونقص منهم أيضا كل من أثقلته جراحه . لقد كانوا أقل من كانوا في المحركة ، وكان الله يريد أن يبين لنا أن التمحيص قد أدى مطلوبه .

هم في هذه الحالة استجابوا للرسول ، كأن المسألة جاءت رد اعتبار لمن شهدوا المعركة ؛ حتى لا يضعفوا أمام نفوسهم ؛ وحتى لا يجعلوها زلة تطاردهم وتلاحقهم في تاريخهم الطويل ، بل يعلمون أن معركة أحد قد انتهت وعرفوا أثارها .

ويمجرد أن أذن مؤذن الرسول صلى الله عليه وسلم بالنداء السابق استجابوا جميعا ، ولم يُسمح إلا لجابر بن عبدالله أن يكون إضافة لهم ؛ لانه أبدى العلر في أنه لم يكن مع المقوم ؛ لأن له أخوات سبعًا من البنات وأمره أبوه أن يمكث مع أخواته لرعايتهن ، فسمح له رسول الله .

"وكما قلنا فإن الله أراد بكل أحداث أخد أن يُعيد ترتيب الذرات الإيمانية ، ومادامت الذرات الإيمانية قد انتظمت عقد تم إصلاح جهاز الاستقبال عن الله ، وفى لحقلة واحدة يستجيبون لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى أنهم يلاسقون الكفار ، وذهبوا إلى حمراء الأسد وكان ما كان ، وبعد ذلك أرسل الله لهم من جنوده من يُخذُلُ هؤلاء القوم الكافرين ، ويقول لهم : إن محمدا قد خرج إليكم بجيش كبير .

وتلحظ أن الحق سبحانه يجيء هنا بقوله : و الذين استجابوا ، وهي تقابل ، من خالفوا ، أمر رسول الله وهم الرماة ، و الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح » .

لقد استجابوا وهم مُرهفون ومُتألمون ومنخنون بالجراح ، فكل واحد منهم قد ناله

نصيب من إرهاق الغنال، ومع ذلك استجابوا لله وللرسول، وكل منهم أصابه القرح أو الفُرح أو الفُرح أو الفُرح أو الفرح المذين أحسنوا منهم وانقوا أجر عظيم، وهم قد أحسنوا في الاستجابة؛ لذلك فلهم الأجر العظيم، لا أجر عظيم، لأن ما حدث منهم من أمر المخالفة قد أخذوا عليه المعتوبة.

ويقول الحق بعد ذلك :

﴿ اللَّهِ اللَّهِ مَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْجَمَعُوا لَكُمْ فَالْخَشُوهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَننَا وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللَّهُ لَكُمْ فَاخْشُوهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَننَا وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللَّهُ لَكُمْ فَاخْشُوهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَننَا وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللَّهُ لَهُ لَا لَهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ ال

المسألة ليست ذلك فقط ، المسألة أن المنافقين راحوا يُروجون إشاعات كاذبة بأن المشركين قد اشتُدْعوا عددا جديدا من كفار مكة وذلك ليخيفوا المؤمنين ، فلم يخف مؤمن واحد و اللين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم » وساعة ترى كلمة و الناس ، فاعرف أن الإيمان بعيد عنها ، وماداموا و أناسا ، فهم يقابلون أناسا كلمة ومن يغلب فهو بغلب بجهده وشطارته وحسن تصرفه ، لكن المؤمن يقابل الكافر ، والمؤمن يتلقى المدد من ربه .

قبل: إن الشيطان قد يتمثل على هيئة حشد من الناس ليُرهب المؤمنين ، والشيطان من عالم الجن ، وعالم الجن يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم ، وقد أعطاه الله القدرة على أن يتشكل بما يُحب . فله أن يتشكل في إنسان ، في حيوان ، أو كما يريد ، ولكن إذا تشكل فالصورة تحكمه لانه ارتضى أن يخرج عن واقعه ليتشكل جيئة أخرى ، فإذا ما تشكل على هيئة إنسان ، فقانون الإنسان يسرى عليه ، بحيث جيئة

إن كان ممك مسدس أو سيف أو خنجر وتمكنت منه وطعنته بموت . وهذا هو ما رحمنا من تخويفهم لنا .

ولذلك تجد أن الشيطان يظهر لمحة خاطفة ثم يختفى ، لأنه يخاف أن يكون الإنسان الذى أمامه واعيا بأن الصورة تحكمه ، فعندما يتمثل لك بأى شكل تخنقه فيُخنق ، لذلك يخاف من الإنسان ، فلا يظهر إلا في لمحات خاطفة .

ويمكن أن نفهم أيضا قول الحق: والذين قال لهم الناس إن الناس قد جعوا لكم ، أن هناك بعضا من الكفار أشاعوا أن أبا سفيان وصحبه قد حشدوا حشودهم ، فكلمة وجعوا ، تعطى إيجاء بأنهم جاءوا بمقاتلين آخرين ، أو أن فلولهم قد تجمعت ، وسواء هذا أو ذاك فهم عندما فروا فروا فلولا ، لأن القوم المنهزمين لا يسيرون سيرا منتظها يجمعهم ، بل يسير كل واحد منهم حسب سرعته ، ويصح أن يتجمعوا ثانية ، أو جاءوا بناس آخرين ، ولنا أن نلحظ أن الأسلوب يحتمل كل يتجمعوا ثانية ، أو جاءوا بناس آخرين ، ولنا أن نلحظ أن الأسلوب يحتمل كل

و الذين قال لهم الناس إن الناس قد جعوا لكم فاخشوهم و ومثل هذا القول قد يفت في عضد المؤمنين ، لكن التمحيص الإيماني قد صقل معسكر الإيماني فلم يهتموا بهذا الكلام ، وهكذا أثمر الدرس الأول ، لقد تعلموا أن المخالفة عن أمر الله الممثل في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مجرد المخالفة تجعل الضعف يسرى في النفس ، لكن التبت والتمسك بأوامر رسول الله صلى الله عليه وسلم يعزز الإحساس بالقوة ، لذلك لم يأبهوا لهذا التهديد بل قالوا : إن العدد هذا ليس في بالنا ؛ لأننا نعتمد على الله وحسن الإيمان ، إنهم قالوا : وحسبنا الله ونعم الوكيل ، فلم يهتموا بالعدد وفهموا أن الإيمان يقتضى أن يقاتلوا الكافرين حتى يعليهم الله بأيديهم ، وفي هذا درس لكل عارب ، قعندما تحارب ، فأنت إما أن تكون منصورا بإيماني بالله وإما أن تكون على عكس ذلك :

﴿ وَمَا رَبَّيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكَكِنَّ آلَهُ رَبِّي ﴾

لقد فطنوا إلى أنفسهم ، وتغير الترتيب الإيمان في أعيانهم ، وتلمس ذلك في أن بعضا من الناس جاءوا يصدونهم ويخذلونهم ، فلم يستطيعوا بل زادهم هذا القول إيمانا و وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، لقد فطنوا إلى أن قوة الله هي التي تنصرهم والله حسبهم وكافيهم عن أي عدد من الأعداد وهو تعم الوكيل ، ومعنى و الوكيل ، أننى عندما أعجز عن أمر أوكل أحدا فهو وكيل عنى ، وعندما فركل الله فيها عجزنا عنه فهو نعم الوكيل ، لماذا ؟ وتأنينا الإجابة : وفانقلبوا بنعمة من الله ، ونقد تصروا بالرعب الذي أنزله الله في قلوب أعدائهم ولم يشتبكوا مع الكفار ، فصدق قول الله :

﴿ مَأْلُونِ إِلَّهِ مِنْ كُنُوبِ اللَّهِ مِنْ كُفُرُواْ الرُّعْبَ ﴾

(من الآية ١٢ سورة الأنقال)

ويأتي الحق من بعد ذلك بما يصدق القضية :

﴿ فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ أَللَّهِ وَفَضِّلِ لَمْ يَعْسَسُهُمْ مَّ اللَّهِ وَأَللَّهُ ذُو فَضْلٍ سُوَّةً وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ مُوَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿ أَللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿ أَلِنَّهُ أَنَّهُ عَظِيمٍ ﴿ عَظِيمٍ ﴿ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ عَظِيمٍ ﴿ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَظِيمٍ ﴿ اللَّهُ اللّ

وهذه القضية بجب أن يستشعرها كل مؤمن يتعرض لتمحيص الحق له ، وعلى كل مسلم أن يتذكر تلك تحربة ، تحربة أحد ، فليلة واحدة كانت هى الفارق بين يوم معركة أحد ويوم الخروج لملاحقة الكفار في حمراء الأسد ، ليلة واحدة كانت في حضانة الله وفي ذكر لتجربة التمحيص التي مر بها المؤمنون إنها قد فعلت العجب الأنهم حينها طاردوا الكفار ، لم يأبهوا لمحاولات الحرب النفسية التي شنها عليهم الأعداء ، بل زادهم ذلك إيمانا وقالوا : «حسينا الله ونعم الوكيل » .

إذن فقد تجردوا من نفوسهم ومن حولهم ومن قوتهم ومن عددهم ومن أى شيء إلا أن يقولوا : الله كافينا وهو نعم الوكيل لمن عجز عن إدراك بغيته . لقد عرفوا الأمر المهم ، وهو أن يكون كل منهم دائها في حضانة ربه ، وقد أخذ صحابة رسول الله وآل بيت رسول الله هذه الجرعة الإيجانية واستنبطوا منها الكثير في حل قضاياهم .

وقول الله سبحانه: « حسبنا الله ونعم الوكيل ، يُذكرنا بالإمام جعفر الصادق ابن سيدى محمد الباقر بن سيدى على زين العابدين وكان من أفقه الناس بالقرآن ، وكان من أعلمهم في استنباط أسرار الله في القرآن ، إنّه كان يجد في قول الحق : « حسبنا الله ونعم الموكيل ، استنباط رائعا ، فهو يتعجب لأى إنسان أدركه الحوف من أى شيء يخيف ، والإنسان لا يخاف إلا أمرا يُنقُض عليه رَتَابة راحته ، ويقلقه ويهدده في ملامه وامنه واطمئنانه ، ويكون لهذا الحوف مصدر معلوم ، فإذا ما تعرض المؤمن لمثل هذا الحوف فعليه أن يتذكر قول الحق : « حسبنا الله ونعم الوكيل ، لأنها قضية نفعت الجيش كله في معوكته مع الكفار ، فحين يأخذ الفرد هذه الجرعة فهو يستعيد رباطة الجاش . واشتداد القلب فلا يفر عند الفزع .

وينبهنا سيدنا جعفر الصادق إلى هذه القضية لفزع إليها عند كل ما يُخيفنا فيقول: عجبت لمن خاف ولم يفزع إلى قول الله: لا حسبنا الله ونعم الوكيل ه إنه بنظرته الإيمانية يتعجب لإنسان أدركه الخوف ثم لا يفزع إلى هذا القول الكريم وحسبنا الله ونعم الوكيل عن ثم يستنبط بإشراقاته سر هذا فيقول: لأنى سمعت الله بعقبها يقول: لا فالقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسمهم سوء لا وانظروا إلى قول سيدنا جعفر الصادق: وفإنى سمعت الله بعقبها لا هو قرأ بنفسية المؤمن الصادق المنافر عين يقرأ كلام الله إنما يستحضر أنه يسمع الله يتكلم إنه يقول: فإن سمعت الله بعقبها يقول: وفائلك فالحق فالمؤمن حين يقرأ كلام الله إنما يستحضر أنه يسمع الله يتكلم إنه يقول: فإن سمعت للله بعقبها يقول: وفائلك فالحق

﴿ وَإِذَا تُرِئَّ ٱلْفُرْةَ انُ فَآسُتُمِعُواْ لَهُ, وَأَنْصِبَواْ لَعَلْكُمْ تُرْحَمُونَ ٢٠٠٠ ﴿

(سورة الأعراف)

فأنت حين تستمع إلى الفرآن فالله هو الذي يتكلم ، ومن العيب أن يتكلم ربك

ق أذنك ثم تشغل عنه رهو ربك ، إذن فعلاج الخوف هو أن تقول من قلبك: « حسبنا الله ونعم الوكيل ، وأن تقولها بحقها ، فإن قلتها بحقها كفاك الله شرّ ذلك الحوف ، لأن الله يقول بعد ، وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، : « فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يحسسهم سوء » انظر إلى النعمة والفضل ، إنها من الله وقد تصيبك النعمة والفضل ولكن تقدر ذلك في أخريات الأمور ، فأوضح الله أن النعمة زادت في أنها غنيمة باردة ، ولم يحدث فيها أن مسنا سوء ، إن ذلك هو قمة العطاء ورأسه وسنامه ، فإذا قدرته في أخريات الأمور فقد أخطأت المتقدير و فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يحسسهم سوء ، ونتيجة لتلك النجرية النافعة هي أن « اتبعوا رضوان وفضل لم يحسسهم سوء ، ونتيجة لتلك النجرية النافعة هي أن « اتبعوا رضوان وفضل لم يحسسهم سوء ، ونتيجة لتلك النجرية النافعة هي أن « اتبعوا رضوان وفضل لم يحسسهم سوء ، ونتيجة لتلك النجرية النافعة هي أن « اتبعوا رضوان

ويقول الإمام جعفر الصادق لبكمل العلاج لجوائب النفس البشرية، ويصف الدواء. فالنفس البشرية يفزعها ويقلقها ويجعلها مضطربة أن تخاف شرًا يقع عليها ، وعلاج هذا : (حسبنا الله وتجم الوكيل) ، ويضيف : وعجبت لمن اغتم ولم يفزع إلى قول الحق سيحانه :

﴿ لَا إِلَٰهُ إِلَّا أَنتَ سُبِحَنْنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِينَ ﴾

(من الآية ٨٧ سورة الأنبياء)

ود الغمّ ع قلق فى النفس ، ولكنك لا تدرك أسبابه ، فأسبابه مُعقدة ، صدر يضيق ، ولذلك تقول : أنا صدرى ضيق ، أنا متعب ولا أدرى لماذا ؟ أى لم يمرّ بك الآن أشياء تستوجب هذا ، إنما قد تكون حصيلة تفاعلات لأحداث وأمور أنت لا تتذكرها الآن ، هذا اسمه و غمّ ع ، فإذا ما فزع العبد إلى قول الحق سبحانه : ولا إله إلا أنت سبحانك إلى كنت من الظالمين ع فالعبد يقرّ بذنبه ويقول : هذا الغمّ لم يأتني إلا لانني خرجت عن المنه ع ، ويذكرنا سيدنا جعفر الصادق بأنه سمع بعدها قول الله :

﴿ فَالسَّعَجَبُنَالَهُمْ وَتَجَيَّنَهُمِنَ الْغَيَّ وَكَدَّ لِكَ أَيْسَى الْمُؤْمِنِينَ ٢٠٠٠ ﴾

(سورة الأثياء)

والذي قال ذلك هو سيدنا يونس و فاستجبنا له ونجيناه من الغمّ ، .

وهذه الاستجابة من الله ليست خاصّية كانت ليونس عليه السلام ، لأنه سبحانه قال : « وكذلك تنجى المؤمنين ، أى أنه باب واسع أدخل الله فيه كل المؤمنين ، ويضيف سيدنا جعفر الصادق : وعجبت لمن مُكر به ولم يفزع إلى قول الله :

﴿ وَأَلْمُونُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهِ إِنَّ اللَّهِ الْمُعْدِدُ إِلْمِبَادِ عَهِ

﴿ مِن الآية '12 من سورة غاقر ﴾

فإني صمعت الله بعقبها يقول: وقوقاه الله سيئات ما مكروا ، .

ومُكر به معناها بيّت له الشر بحيث يخفي ، لأن المكر هو : تبييت من خصمك الشرّ يُصبيك ، بينها أنت تقف بجانب الحق ، فيكون هذا المكر شراً يُسيُّت خير وحق ، وهذا هو المكر السّيء ، ويُقابله مكر خسن ، ولذلك بقول الحق :

﴿ وَلَا يَمِينُ الْمَكُرُ السِّي إِلَّا إِلَّهُ عَلِيهِ ﴾

(من الآية ٤٣ سورة فاطر)

إذن فهناك مكر ليس بسبيء ، كان يُبيّت صاحب الحق لصاحب البشر ، تبيينا يخفى عليه ، هذا اسمه مكر خبر ، لانه محاربة لشر ، ولذلك يوضح لنا الله هذا الأمر : افطنوا إلى هذه ، فإن كانوا يمكرون ويُبيّنون ، فهم إن ببّنوا على الخلق جيعاً لا يُبيّنون على الله لأنه سبحانه العليم ، الخالق ، المرب ، وإن يُبيّت الله هم فلن يستطيعوا كشف هذا النبييت ، إذن فالله خير الماكرين ؛ لأن تبييتهم مكشوف أمام بستطيعوا كشف هذا النبييت ، إذا فالله خير الماكرين ؛ لأن تبييتهم مكشوف أمام الحالق ، لذلك فهو مكر ضعيف ، أما المكر الحقيقى فهو الذي لا توجد وسيلة تعرفه بها .

ونواصل مع سيدنا جعفر الصادق قوله في علاج النفس البشرية فيقول : وعجبت لمن طلب الدنيا وزينتها كيف لا يفزع إلى قول الله :

﴿ مَاسًا وَ اللَّهُ لا قُرُو إلا بِاللَّهِ ﴾

(من الآية ٢٩ سورة الكهف)

فإنى صمعت الله يعقبها بقوله :

﴿ إِن رَبَنِ أَنَا أَقَلَ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿ فَعَلَى رَبِّي أَن يُؤْتِينِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ ﴾

(من الأية ٢١ وجزء من الآية ١٠ سورة الكهف)

واستنبط سيدنا جعفر الصادق ذلك من حكاية صاحب الجنة :

﴿ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلَتَ جَنَّنَكَ قُلْتَ مَاشَاءَ آللهُ لَا قُرَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَّا أَقَلَ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ۚ ﴿ فَعَمَىٰ رَبِّقَ أَن يُؤْثِينِ خَبْرًا مِن جَنَّتِكَ ﴾

﴿ سورة الكهف ﴾

إنك حين تقول: « ما شاء الله لا قوة إلا بالله ، فإن الدنيا تأتيك مهرولة ، لانك جرّدت نفسك من حولك ، ومن قوة حيلتك وأسبابك ، وتركت الأمر لله سبحانه وتعالى القادر على كل عطاء .

إذن فالجوانب البشرية في النفس: هي خوف له علاج وَوَصَّفَة ، وهمَّ له علاج ووصفة ، ومكر بك له علاج ووصفة ، وطلب دنيا وسعادة لها علاج وَوَصَّفَة ، والوصَّفَة التي نحن بصددها هنا: « وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يجسسهم سوه » .

والنعمة أن يعطيك الله على قدر عملك ، والفضل من الله هو أن يزيدك عطاء ، ولم يحسس السوء أحداً من المؤمنين الذين طاردوا المفاتلين من قريش ، وكان من نتيجة ذلك أنهم جعوا بين كل ما وهبه الله لهم ؛ من تعمة وفضل مع أتباعهم رضوان الله ؛ فقد صارت المسألة بالنسبة هم تجربة تُحسّة ويجرّبة و واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم » .

لقد حاول المنافقون أن يثبطوا المؤمنين عن لقاء كفّار قريش ، فيريد الحق أن يكشفهم ، ويظهر الدافع إلى مثل ذلك الموقف من المافقين ، لذلك قالوا للمؤمنين ؛ وإن الناس قد جمعوا لكم فانحشوهم »

ويظهر الله للمؤمنين حقيقة موقف المنافقين :

﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ ٱلشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَّاءَهُ, فَلَا تَخَافُوهُمْ وَهُمْ إِلَيْهُ وَلَهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُؤْمِنِينَ ۞ ﴿ اللَّهُ اللَّ

إنها صرخة الشيطان الذي يخوّف أولياءه ، ويتصحّ أن يصرخ الشيطان صرخته وهو يتمثل في صورة بشر ، ويصبح أن ينزغ الشيطان بصرخته لواحد من البشر فيصرخ هذا الإنسان بنزغ الشيطان له وإنما ذلكم الشيطان يخوّف أولياءه » .

وعندما نقرأ القرآن بدقة صفائية إيمانية فلابد أن نفهم عن القرآن بعمق ، فمن هم أولياء الشيطان؟ أولياء الشيطان في هذا الموقف ، إما كفّار قريش ، وإما المنافقون أو هما معا . وه أولياؤه ه هم أحبابه الذين بنصرون فكرته .

كَانَ الحَقِ سَبِحَانَهُ وَتَعَالَى يَرِيدُ أَنْ يُبِلَّغُنَا : إِنَمَا ذَلَكُمُ الشَّيْطَانُ الذِي قَالَ: إِن النَّاسُ قد جَمُوا لَكُمُ فَاخَشُوهُم ، هَذَا الشَّيْطَانُ إِنَّا يَخُوفُ أُولِيَاءُهُ .

وللوهلة الأولى نجد أن الشيطان مُفترض فيه أن يخوّف أعداءه . ونحن هنا أمام شيطان ينزغ بعبارة التخريف، فمن الذي يخاف وتمن يخاف ؟

المفروض أن يُغيف الشبطانُ أعداءه ، هذا مو المنطق .

فتحن في حياتنا العادية نقول : خوّفت فلاناً من فلان ، أو خوفت فلاناً فلاناً . إذن فالشيطان يجاول هنا أن يتسلط على المؤمنين ويخوفهم من أوليائه الكفار ولمنافقين ، ونعرف في اللغة أن هناك في بعض المواقف يمكننا أن نحذف حرف الجو ونصل الجملة ، ونُسمّبه ، مقال ذلك قول الحق :

﴿ وَالنَّهُ الْرَمُومَينِ قُومُهُ مَنْجِينَ رَجُلًا ﴾

فموسى عليه السلام اختار من قومه سبعين رجلًا .

وعلى ذلك نقرأ قول الحق : ﴿ إِنمَا ذلكم الشيطان يَخَوِف أُولِياء ﴾ ونفهم منها ﴾ أن ذلكم الشيطان يخوفكم أنتم من أوليائه ﴾ لأن حوف الجر في الآية الكريمة محذوف ، ويعاضد هذا ويقويه قراءة ابن عباس وابن مسعود : يخوفكم أولياء ، ويتبه الحق المؤمنين ألا يخافوا من أولياء الشيطان فيقول : « فلا تخافوهم » .

وهذا يوضح لنا أن الشيطان إنما أراد أن يُخوف المؤمنين من أوليائه وهم المنافقون والكافرون وبعض المفسرين قال : « يخوف أولياء» و المقصود بهم أن الشيطان بخوف أولياء حتى يُجنوا من الفتال ، فنزغ فيهم أنهم إن خرجوا للفتال فقد بجونون . ولكن إن جاز ذلك القول على المنافقين الذين لم يخرجوا مع الرسول لملاقاة المشركين فكيف يجوز ذلك على الصنف الثان من أوليائه وهم الكفار؟ إن الكفار قد خرجوا فعلا لفتال المؤمنين ، ويفهم من قول الحق : « فلا تخافوهم وخافون » أن أولياء الشيطان ليسوا هم الحائفين ولكنهم هم المخوفون : « إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياء ولا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين » .

فالحق سبحانه يطلب من المؤمنين أن يصنعوا معادلة ومقارنة ، أنجافون أولياء الشيطان ، أم يجافون الله ؟ ولابد أن يصلوا إلى الخوف من الله القادر على دحر أولياء الشيطان .

ومن بعد ذلك يقول الحق سبحانه :

﴿ وَلَا يَعْزُنِكَ ٱلَّذِينَ يُسَرِعُونَ فِي ٱلْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا ٱللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًا فِي ٱلْآخِرَةِ وَلَمْمُ عَذَابُ عَظِيمٌ ﴿ فَالْمَا عَظِيمٌ ﴿ فَاللَّهِ عَظِيمٌ ﴿ فَاللَّهِ مَا اللَّهِ اللَّهِ

لفد كان المنافقون في أول المعركة تُختفين ومستورين ، ثم ظهرت منهم بادرة الإنمخذال في أحد فكانوا أقرب إلى الكفر منهم إلى الإيمان ، ولكنهم من بعد ذلك سارعوا إلى الكفر ، كأن هناك من يلاحقهم بسوط ليتسابقوا إلى الكفر .

وها هو ذا الحق سبحانه قد حدّد عناصر المعركة ، أو قوى المعركة ، أو ميدان المعركة أو جنود المعركة ، فينبه رسوله : « ولا يجزنك الذين يسارعون في الكفر » ولم يقل : لن يضروكم شيئا ؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته المؤمنين ليسوا طوفاً في المسألة ، فعداء الذين يسارعون في الكفر هو عداء لله ، لذلك يقول الحق : « إنهم لن يضروا الله شيئا » . كأن المعركة ليست مع المؤمنين ، ولكنها معركة الكافرين مع الله ، ومادامت المعركة مع الله فالمؤمنون جند الله ؛ وهم الصورة التي أرادها الله فزيمة الكافرين :

﴿ قَنْتِلُوهُمْ يُعَدِّيهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُ وَيُعَرِّهِمْ وَيَنْصُرَكُمْ عَلَيهِمْ وَيُشْفِ صُدُورَ قَوْمِر مُوْمِنِينَ ۞ ﴾

(سورة النربة)

فلو كانت معركة الكفر مع المؤمنين بالله فقط لقال الله : ولا يجزنك الذين يسارعون في الكفر إنهم لن يضروكم شيئا ، لكن المسألة لبست هكذا ، لقد أراد معسكر الكفر والنفاق أن يدخل معركة مع الله ، ولا توجد قوة قادرة على ذلك ، ولهذا يطمئن الله المؤمنين أكثر ، ليزدادوا ثباتاً على الإيجاني ؛ لأن الكل من البشر مؤمنين وكفارًا أغيار ، وقد يتحول بعض من البشر المؤمنين الأغيار عن المنهج قليلا ، فعندما تكون المعركة بين جشر وبشر فقد يغلب أحد الطرقين بقوته .

ومن أجل المؤيد من الاطمئنان الكامل نقل الله المعركة مع الكفر إلى مسألة أخرى ، إنه بجلاله وكماله وجبروته هو الذي يقف ضد معسكر الكفار . والمهم فقط أن يظل المؤمنون في حضائة الله . والوسول كان يجزئه أن يُسارع البعض إلى الكفر . فهل رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعلم أنه إنما جاء مُبلغاً فقط ؟ . إنه يعلم ولكنه كان يحوص - صلى الله عليه وسلم - على أن يؤمن الناس جميعاً ليذوقوا حلاوة ما جاء به ، هذا الحرص هو الذي يدفع الحزن إلى قلب الرسول ، وعندما يرى

واحداً لا يتذوق حلاوة المنهج ، فالرسول يأمل أن يذوق الناس كلهم حلاوة الإيجان ؛ لأنه صل الله عليه وسلم رموف رحيم بالمؤمنين ، بل وبالناس جميعا ، وما أرسلناك إلا رحمة المعالمين ، ودليل ذلك أن جاء، التخيير .

فقد نادى جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : ﴿ إِنَّ الله قد سمع قول قومك لك وما رجِّوا عليك ، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شتت فيهم . قال : فناداني ملك الجبال وسلم على ثم قال : با عمد ، إن الله قد بعنني إليك وأنا ملك الجبال لتأمري بأمرك فها شنت ؟ إِنَّ شنت أطبق عليهم الاخشيين ؟ فقال النبي على الله عليه وسلم : ﴿ بَلَ أَرْجُو أَنْ يَخْرِجُ الله مِنْ أَصَلابِهُم مِنْ بِعبِد الله وحده ولا يشرك به شيئا ع(١)

فالرسول صلى الله عليه وسلم لا يبقى على هؤلاء فقط ولكنه مجرس أيضاً على الأجيال القادمة . وقد كان . وخرج من أولاد كفار قريش صناديد وأبطال وجنود دعوة وشهداء . فَكَان رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ كيا أخبر الله في آيات . الفرآن ـ يجزن عندما لا يلوق أحد حلاوة الإيمان ، يقول الحق :

﴿ فَلَمَالُكَ بَنبِعَ لَفَسَكِ عَلَى وَالتَدِهِم إِن لَرْ يُؤْمِنُوا رَمِندًا الْحَدِيثِ أَسَفًا ۞ ﴾ والدل المناه

ولى موقع اآخر يقول الحق :

﴿ لَمَلْكَ بَنْجِعٌ نَفْسَكَ أَلَا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ۞ إِن أَسَّأَ نُنَزِلَ عَلَيْهِم مِنَ السَّمَاةِ عَلَيْهِم مِنَ السَّمَاةِ عَلَيْهِم مِنَ السَّمَاةِ عَلَيْهُم مُنَا تَخْفِيمِينَ ۞ ﴾

(سورة الشعراه)

والحق مبحانه وتعالى لا يريد أعناقاً ، لكنه يريد أقلوباً تأنى له بعامل الاعتبار والمحبة ، فباستطاعته وهو الحالق الاكرم أن يخلق البشر على هيئة عبر قابلة للمعصية ، كيا خلق الملائكة ، إن كل الاجتاس تُسبّح بحمده ، إذن فالقرآن يُبيّن جرسه صلى الله عليه وسلم بأن يؤمن الناس جميعاً وأن بذوقوا معلاوة اللقاء بربهم ،

⁽١) رواه البخاري ومسلم.

●1///• **○○+○○+○○+○○+○○**

واتَّبَاع منهج الله ، وحلاوة التشريع الذَّى يُسعدهم ويُسعد كلَّ ملكاتهم . فإذا ما جاءت المسائل على غير ما يُحبُ رسول الله ، فها هو ذا قول الله سبحانه : ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفره .

وهذا دليل على أن الله يريد أن يُبلُغ البشر : أيهاالناس إن من فَرُط خُبُ الرسول نكم أنه يُحزن من أجل عِصيانكم وأنا الدى أقول له: لا تحزن . والرسول صلى الله عليه وسلم رحيم بالأمَّة كلِّها ، كما يقول القرآن :

﴿ وَمَا ٱلْرَسُلُنُكُ إِلَّا رَحْمَةُ لِلْعَالِمِينَ ﴿ الْمُعَالِمِينَ ﴿ اللَّهِ اللَّهُ اللّهُ اللَّهُ اللَّاللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ ال

﴿ صورةِ الْأَنْبَاءِ }

ويكفيه موقفه صلى الله عليه وسلم يوم القيامة ، حين تذهب كل أمة إلى رسولها غيردُها ، فتأتى الأسم إلى وسول الله صلى الله عليه وسلم فيكرمه الله يقبول شفاعته حتى يُعجَّل الله بالفصل والحساب ، وهذه رحمة للعالمين ؛ الأنهم من هول الموقف يتعتون الانصراف ولو إلى النار ،

ونحن قلنا سابقا : إن الحق سبحانه وتعالى علم انشغال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمنه وبرحمته بهم ، فقال له الله ـ ليربح عواطفه ومواجبهه ـ ما ورد هنا ق الحديث الشريف::

نعن عبدالله ابن عمر بن العاص رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم ثلاً قول الله عز وجل في إبراهيم : دربي إنهن أضللن كثيراً من الناس فمن تبعني فإنه مني ٩ ،

وقول عيسى ـ عليه السلام ـ 1 إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ؟ .

فرفع يديه وقال : اللهم أمتى أمتى وبكى ، فقال الله عز وجل : يا جبريل أذهب إلى عمد وربك أعلم فسله ما يُبكبك ؟ فأناه جبريل عليه الصلاة والسلام فسأله ، فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال وهو أعلم ، فقال الله : يا جبريل ،

□部設 □○+○○+○○+○○+○ \^\\\\

اذهب إلى محمد فقل : (إنا سنرضيك في أمنك ولا نسوؤك)(١)

ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ له موقف آخر يدل على كهال رحمته بأمته ، فقد أنزل الله فيها أنزل من القرآن الكويم ـ بعد فترة الوحى ـ قوله تعالى : (ولسوف يعطيك ربك فترضى) .

انظروا إلى ما ورد عن سيدنا على في هذه الأية، فقد ردِّي أنه ـ رضى الله عنه ـ قال الأهل العراق : إنكم تقولون : إن أرجى آية في كتاب الله تعالى : (قل با عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا) . قالوا : إنا نقول ذلك قال : ولكنّا ـ أهل البيت ـ نقول الإن أرجى آية في كتاب الله قوله تعالى : (ولسوف يعطيك ربك فترضى) . وفي الحديث لما نزلت هذه الآية قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (إدا لا أرضى وواحد من أمتى في النار) (") .

کها روی أن رسول الله ـ صلی الله علیه وسلم ـ قال : (لکل نبی دعوة مستجابه فتعجل کل نبی دعوته و إن اختبأت دعوی شفاعتی لأمتی بوم الثیامة)(۲) .

وهكذا نرى شغل رسول الله بأمته كأمر واضح موجود في بؤرة شعوره.

إذن فقول الله : ه ولا يجزئك الذين يسارعون في الكفر ، هو توضيح من الله لرسوله بأنهم لم يسارعوا في الكفر تقصيراً منك ، فأنت قد أديت واجبك ، ويضيف سبحانه : ه إنهم لن يضروا الله شيئا ، ولم يقل سبحانه: إنهم لن يضروك أولن يضروا المؤمنين ، لا بل لقد جعل سبحانه وتعالى المعركة معه وهو القوى ذو الجبروت إنه هنا يطمئن المؤمنين .

ويريد الله ألا يجعل للذين يسارعون إلى الكفر حظاً في الأخرة فيقول: 8 يريد الله

^(1) رواد الأمام مسلم أق صحيحه أن كتاب الأيمان ،

^(1) من نفسير الإمام القرطبي .

⁽٣) أخرجه البخاري،

○1xxx ○○◆○○◆○○◆○○◆○○◆○○◆○

ألا يجمل لهم حظاً في الآخرة ولهم عذاب عظيم ؛ ومادامت هذه إرادات الله في ألا يجمل لهم حظاً في الأخرة ، أيكون لهم عمل يصادم مرادات ربهم ؟ لا .

إنه سبحانه يريد بما شرّع من منهج أن تأتيهم سُنّته ، والله يعلّب من يخالف سُنّته التي شرعها . لأنه جلت قدرته يطلب من المكلفين أن يطبقوا سنته التي شرعها لهم .

وفرق بين وجود « لام العاقبة » التي تأتى حين يكون في مُواد العبد شيء ، ولكن القُدرة الأعلى تريد شيئاً آخر ، وهي تختلف عن « لام الإرادة » والتعليل فـ « لام الإرادة والتعليل * تنضح في قولنا : ذاكر التلميذ لينجح ، لان علّه المذاكرة هي الرغبة في النجاح ، أما « لام العاقبة » ، فتتضح عندما يقول الأب لابنه : أنا دللتك لترسب آخر العام .

آدللَ الآب ابندحتى برسب؟ لا ، ولكن الأب يأن هنا بـ « لام العاقبة ، أى كان للأب مراد ، ولكن قدرة أعل جاءت على خلاف المراد .

ونوضح المسألة أكثر، فالحق يقول في قصة سيدنا موسى:

﴿ وَأُوسَيْنَا إِلَىٰ أَمْ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْفِيهِ فِي ٱلْمِمْ وَلَا يَحَافِ وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَآدُوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۞ ﴾

(سورة القصص)

وثحن لابد أن نتنبه إلى قول الحق : و فألقيه فى اليم ، والإنسان العادى لو قال الامرأة تحمل رضيعها : إن خفت على ابنك فألقيه فى البحر . هذه المرأة لن تُصدّق هذا الفائل ، لكن أم موسى تلقت هذا الوحى من الله ، والتلقّي من الله لا يُصادمه فكر شيطان ولا فكر بشر ، فالإلهام من الله يتجلّ فى قوله : « وأوحينا إلى أم موسى » .

ومادام الله هو الذي الهمها ، فإن خاطر الشيطان لا يجيء . ولذلك قامت أم موسى بتنفيذ أمر الله . ويطمئنها الله فقال لها : « ولا تخاني ولا تحزني إنّا رادوه إليك

وجاعلوه من الموسلين ۽ .

ويُنبِّه سُبحانه أم موسى أنه لن يردُّه إليها لمجرد أنه قُرة عين ، ولكن لأن لموسى أيضاً مُهمَّة مع الله . وفي لفطة أخرى يقول الحق عن مسألة الوحي لام موسى :

﴿ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أَمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿ أَنِ الْفَيْفِيهِ فِي النَّابُونِ فَا تَلْفِيهِ فِي الْبَيْدِ فَلْيُلْفِهِ النَّمُ بِالسَّاحِلِي بَأَخُذُهُ عَدُولِي وَعَدُولُهُ وَالْفَهْتُ عَلَيْكَ مَحَبُّةُ مِّنِي وَلِنُمْنِيمَ عَلَى عَيْنِينَ ﴾ ﴿ ورد هـ)

والحق هنا في هذه اللقطة يصف وقت تنفيذ العملية التي أوحى بها ، ففيه فرق بين النمهيد للعملية قبل أن نقع كها حدث في اللقطة السابقة حيث قال لها الحق : و فإذا خفت عليه فالقيه في اليم ، كان ذلك هو الإعداد ، ثم جاء وقت التنفيذ ، فقال الحق لموسى : و إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى ، إنها سلسلة من الأوامر المتلاحقة التي تدل على أن هذه العملية كانت في وقت أخذ جنود فرعون الاطفال بني إسرائيل ليقتلوهم ، إنه سبحانه يبن لنا أن جنود الله من الجهادات التي الا تعى تلقت الأمر الإلهى بأن تصون موسى ، فكلمة و اقذفيه ، تذل على السرعة ، وتلقى و اليم ، الأمر من الله بأن موسى عندما يلقى في البحر ، فلابد أن يلقيه إلى الساحل . و إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى أن اقذفيه في البحر ، فلابد أن يلقيه إلى الساحل . و إذ أوحينا أرامر للمُسخر من المخلوقات التي الا تعصى .

لكن كيف تكون أوامر الحق لعدو لله ؟ إن الله يدخلها كخاطر مُلحّ في رأس فرعون ليُنفّذ مُراد الله . إن امرأة فرعون تقول له ما جاء في قوله تعالى :

﴿ وَقَالَتِ آمْرَأْتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَبْنِ لِي وَلَكَ ۚ لَا تَغْتُسُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ لَغَيْدَهُمْ وَلَكَ ۗ لَا تَغْتُسُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ لَغَيْدَهُمْ وَلَكَ اللَّهُ عَلَيْهُ وَلَكَ اللَّهُ عَلَيْهُ وَلَكَ اللَّهُ عَلَيْهُ وَلَكُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَكَ اللَّهُ عَلَيْهُ وَلَا يَشْعُونَ فَي اللَّهِ عَلَيْهِ وَلَكَ اللَّهُ عَلَيْهُ وَلَا اللَّهُ عَلَيْهُ وَلَكُ أَنْ اللَّهُ عَلَيْهُ وَلَا اللَّهُ عَلَيْهُ وَلَا اللَّهُ عَلَيْهُ وَلَا اللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ وَلَا اللَّهُ عَلَيْهُ وَلَا اللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ وَلَكُ اللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ مَا لَا يَشْعُمُ لَا يَشَعُونَ فَا قُلْكُ اللَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ وَالْمُذَا وَاللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ عَلَا اللَّهُ عَلَيْهُ وَلَكُوا اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ عَلَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ عَلَيْكُوا وَاللَّهُ عَلَّهُ عَلَيْهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ عَلَيْكُوا وَاللَّهُ عَلَيْكُوا وَاللَّهُ عَلَيْكُوا وَاللَّهُ عَلَيْكُوا وَاللَّهُ عَلَيْكُوا وَاللَّهُ عَلَيْكُوا وَاللَّهُ عَلَّهُ عَلَيْكُوا وَاللَّهُ عَلَّهُ عَلَّا عَلَيْكُوا وَاللَّهُ عَلَيْكُوا وَاللَّهُ عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا عَالِكُوا عَلَا عَلَيْكُوا وَاللَّهُ عَلَا عَلَيْكُوا لَا مُعْلَمُ عَلَا عَلَا عَلَيْكُوا لَا عَلَالَّا عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا عَالِكُوا عَلَالَالِكُوا عَلَا عَلَاكُوا عَلَالَالَّا عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا عَلَالُكُوا عَلَالَالِمُ عَلَا عَلَالَّالَّ عَلَا عَالَّالَّالَّا عَلَاكُوا عَلَالَالَّا عَلَا عَلَالًا عَلَالَّا عَالِكُوا عَلَّا عَلَالَّا عَلَا عَلَّا عَلَا عَلَا عَلَا عَلَالْكُوا عَلَالَالَّا عَلَالْكُوا عَلَالْكُوا عَلَّا عَلَاكُوا عَلَالًا عَلَّا عَلَا عَلَّا عَلَّا عَلَّا عَلَّا عَلَا عَلَا عَلَا عَا

(سورة القصص)

لقد دخل أمر الله كخاطر ، والتقطه آل فرعون لا ليكون قرة عين لامرأة فرعون ، ولكن لأمر مختلف أراده الله . فهل ساعة الالتقاط كان في بالهم أن يكون موسى عدوًا أو قرة عين ؟ إنها « لام العاقبة » التي تنضح في قوله : « ليكون لهم عدوًا وَحَزَنا » . فالإنسان يكون في مُراده شيء ، ولكن القدرة الأعلى من الإنسان ـ وهو الله ـ تريد شيئاً أخر .

الإنسان في تخطيطه أن يقوم بالعملية لكذا ، ولكن الغوة الأعلى من الإنسان تريد العملية لهدف آخر ، وهي التي أوحت للإنسان أن يقوم بهذه العملية ، ويتجلّ ذلك بوضوح في العلة لالتفاط آل فرعون لموسى . كان فرعون يريده قُرّة عين له ، ولكن الله أواده أن يكون عدواً لفرعون , وفي هذا المثال توضيح شامل للقرق بين و لأم العاقبة و و لام الإوادة والتعليل و وعندما نرى أحداثاً مثل هذه الأحداث فلا نقول : و هذا مواد الله و ولكن فلنقل : (العاقبة فيها فعلوا وأحدثوا خلاف ما خعلطوا).

وبعد ذلك يقول الحق :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُّا ٱلْكُفْرَبِا لِإِيمَانِ لَن يَعَسُرُواْ ` ٱللَّهُ شَيْنًا وَلَهُمْ عَذَا ثُ ٱلِيدُ ۞ ﴿ ﴿

إنهم لن يضروا الرسول وصحابته لأنهم في معبّة الله ، وهم لن يضرّوا الله ، وفي ذلك طمأنة للمُؤمنين ، كأن الحق سبحانه وتعالى يقول : أيها المؤمنون بي المصدّقون بمحمدٌ إن المعركة مع الكفر ليست معركة المؤمنين مع الكافرين ، ولكنها معركة ربكم مع هؤلاء الكافرين . وفي هذا اطمئنان كبير.

وإن الذين اشتروا الكفر بالإيمان ، ووالاشتراء ، صفقة ، والصفقة تقتضى
 وشمناً ، وو تُشمناً ، ووالثمن ، هنا هو الإيمان ، لأن الباء تدخل على المتروك ،
 وو المثمن ، هو الكفر لأنه هو المأخوذ . فهل أخذوا الكفر ودفعوا الإيمان ثمناً له ؟

وهل معنى ذلك أن الإيمان كان موجوداً لديهم؟

نعم كان عندهم الإيمان ؛ لأن الإيمان القديم هو إيمان الفطرة وإيمان العهد القدّيم الذي أخذه الله على الذّر قبل أن توجد في الذّر الأغيار والأهواء :

﴿ وَإِذَ أَخَدُ رَبُكَ مِنْ بَنِيَ عَادَمُ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِيْتُهُمْ وَأَشْهَدُهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِومُ الْفَيَدُمُ وَأَشْهَدُهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِومُ الْفَيَدُمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَنذَا أَلَا تُتُولُوا يَوْمَ الْفِيَدُمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَنذَا

غَنفِلِينَ ﴿ فَيْ اللَّهِ عَلَيْهِ

(صورة الأعراف)

أو على الأقل كان الإيمان والكفر في متناولهم ؛ بانضياط قانون الاختيار في النفس البشرية ، لكنهم أخذوا الكفر بدل الإيمان . والبدئية واضحة ، فقد استبدلوا الكفر بالإيمان ، فالباء _ كها قلت _ دخلت على المتروك . لقد تركوا الإيمان القديم وهو إيمان اللّر ، أو تركوا إيمان الفطرة قالحديث الشريف يقول :

ق كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يُعجّبانه ع(١) -

لقد انسلوا من الإيمان ، ودفعوه ثمناً للكفر ، فعندما ياخد واحد الدفعر ، فهو قد أخذ الكفر بدلاً من الإيمان . وهم لا لمن يضرّوا الله شيئا ولهم عذاب أليم لا لماذا ؟ لأننا إن افترضنا أن الذنيا كلها قد آمنت فهذا لن يُفيد الله في شيء . والحديث القدمي يقول :

قال الله تعالى: (يا عبادى إن حرمت الظلم على نفسى وجعلته محرما بينكم فلا تظالموا ، يا عبادى كلكم ضال إلا من هديته فاستهدون أهدكم ، يا عبادى كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم ، يا عبادى كلكم عادٍ إلا من كسوته فاستكسولي اكسكم ، يا عبادى إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا ، فاستغفروني أغفر لكم ، يا عبادى إنكم تنهغوا ضرَّى فتضروني ولن تبلغوا ضرَّى فتضروني ولن تبلغوا نفعى فتنفعوني ، يا عبادى لو أن أولكم وأخركم وإنسكم وجنَّكم كانوا على تبلغوا نفعى فتنفعوني ، يا عبادى لو أن أولكم وأخركم وإنسكم وجنَّكم كانوا على

و 1 ع: رواه البخاري.

أنقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكى شيئا ، يا عبادى لو أن أولكم وأخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكى شيئا ، يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسالون فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندى إلا كما يتقص المخيط إذا أدخل البحر ، يا عبادى إنما هي أعالكم أحصيها لكم شم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيرا فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه)(١) .

إذن ، فلا الإيمان من البشر يزيد الله شيئاً ، ولا الكفر ينقص من الله شيئاً 4 لأن الإنسان قد طراً على ملك الله . ولم يأت الإنسان في ملك الله بشيء زائد ، فالإنسان صنعه الله وخلقه من عناصر ملكه _ جلت قدرته _ ويستمر الحديث في توضيح أناً الحق سبحانه لا يعالج شيئاً بيديه فياخذ منه زمناً . لا ، إنه سبحانه جلت مشيئته يقول للشيء : كن ، فيكون .

وكلمة وكُن » نفسها هي أنصر أمر . إنّ أمره ألطف وأدق من أن يدركه على حقيقته مخلوق . لكن الحق يأن لها بالصورة الخفيفة التي تجعل بشريتنا تفهم الأمر . فاللدين اشتروا الكفر بالإيمان لن يضرّو الله شيئاً ولهم علماب أليم . فهم لن يعيشوا بِنَجْوَةٍ وبُعد عن العداب ، بل سيكون لهم العداب الأليم .

ونحن نجد أن الحق يقول مرة في وصف مثوى الكافرين إنه عذاب اليم ، ومرة أخرى لهم عذاب عظيم ومرة عذاب مهين ، لماذا ؟

لأن العذاب له جهات متعددة ، فقد يُوجد عذابٌ مؤلم ، ولكن المُعَذَب يتجلد المام من يُعذبُه ويُظهر أنه مازال يملك بقيّة من جُلّد ، إنه يتألم لكنه يستكبر على الألم ، ولذلك قال الشاعر :

وَتَجِلَدى للشامنين أُريب العدم لا أتضعضع

⁽١) رواد مسلم يستده هن أبي قد .

«التجلّد هو نوع من الكبرياء على الواقع ، ولذلك يأن من بعد ذلك قوله الحق إن لأمثال هؤلاء عذاباً مهيناً ، أى إنهم سيذوقون الذّل والألم ، ولا أحد فيهم يستطبع التجلّد . وهذا النوع من العذاب لا يقف فقط عند حدود الألم العادى ، ولكنه عذاب عظيم في كمّيته وقدره ، وأليم في وقعه . ومهين في إذلال ودك النفس البشرية وغُرورها ؛ لذلك فعندما نجد أن العذاب الذي أعده الله للكافرين موصوف بأنه وغذاب أليم * ومرة * عذاب عظيم * ومرة * عذاب مهين * فلنعرف أن لكل واحدة هعنى ، فليست المسألة عبارات تقال هكذا بدون معنى مقصود .

وأريد أن أقف هنا في هذا الحديث عند و لام العاقبة ؛ لأن البعض يجاول أن بخلق منها إشكالات إنَّ هؤلاء المتربصين لكلام الله يجاولون النيل منه ، وهم لا يبحثون إلا فيما يتوهّرون - جهلاً ـ أنه نقاط ضعف ، وهو سبحانه وتعالى يقول عن الكفار والعياذ بالله وهم في النار :

﴿ رَبُنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَلْيُونَ ۞ قَالَ آخْسَتُواْ فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ ۞ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَا قَامَنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَأَرْحَنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّحِينَ ۞ فَا تَخَذَنُهُ وَمِ سِيْرِياً حَتَى أَنْسَوْكُمْ ذِكِي وَكُنتُم مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ۞ ﴾

(سورة المؤمنون)

لقد انشغل الكفار بالسخرية من أهل الإيمان بإشارات أو لمن وغمر أو اتهام بالرجعية أو الدروشة أو مثل ذلك من ألوان السخرية ، لدرجة أنهم نسوا مسألة الإيمان ، فيا الذي أنساهم ذكر الله ؟ لقد أنساهم ذكر الله انشغالهم بالسخرية من أهل الإيمان .

لقد قضى الكفار وقتهم كله للسخرية من أهل الإيمان حتى نسوا ولم يتذكروا أن هناك خالفا للكون . وهذا ما يسمى «غاية العاقبة » وليست غاية وعلة للإرادة ، لأخم لم يريدوا نسيان ذكر الله ولكن امرهم انتهى إلى ذلك .

وسيُّمذَّب اللهِ الكافرين عذاباً أليهاً وعظيهاً ومُّهيناً . ولكل وصف مواده في النض

最高語 ○+○○+○○+○○+○○+○○+○○+○○

حتى يستوعب كل حالات الإهانة من إبلام ، فالذى لا يألم بشيء صغير ولا يتحمل الألم القوى سيجد الألم الكبير ، وكذلك الذى يتجلد على الألم العظيم ، سيجد الألم المهبن .

ثم يقول الحق سبحانه:

﴿ وَلَا يَعْسَبَنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَمَا نُمْ لِي لَمُهُمْ خَيْرٌ اللَّهِ وَلَا يَعْسَبَنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ أَنْمَا نُمْ لِي فَكُمْ خَيْرٌ لَا وَاللَّهُ عَذَابٌ لِإِنْفَانُتُمْ لِي فَاللَّهُ اللَّهُ اللّهُ اللَّهُ اللَّاللَّهُ اللَّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ ا

وعندما نسمع قول الله : « ولا يحسبن » فهو نهى » وقد نهى الله الكافرين عن ماذا ؟ إن الكافر عندما يجد نفسه قد أفلت في المعركة من سيف لمؤمنين وأن عمره قد فال في الكفر ، فهو يظن أن اختي سبحانه وتعالى تركه لخبر له ؛ لأنه يفهم أن عمره هو أثمن شيء عنده ، فهادام قد حوفظ له على عمره فهو الخبر ، نقول لمثل هذا الكافر : إن العمر زمن ، والزمن وعاء الأحداث ، إذن فالزمن لذاته لا يحبد إلا بالحدث الذي يقع فيه ، فإن كان الحدث الذي يقع في الزمن خبراً ؛ فالزمن خبر ، وإن كان الحدث الذي يقع في الزمن شراً ؛ فالزمن شر ، ومادام هؤلاء كافرين ، وإن كان الحدث الذي يقومون بها هي من جنس الشر فلابد أن كل حركاتهم في الوجود والأحداث التي يقومون بها هي من جنس الشر والمضرة المنهج الله ، وربما كانوا على منهج المضادة والمضرة المنهج الله .

وذلك هو الشر . إذن فأنه لا يملي لهم بقصد الخير ، إنما يملي الله لهم لأنهم ماداموا على الكفر فهم يشغلون أوقات أعهارهم بأحداث شرّية تخالف منهج الله . وكل حدث شرّى له عذابه وجزاؤه . إذن ، قاطالة العمر لهم شر . والحق سبحانه يقول : ٥ ولا يحسبَنَ الذين كفروا أنما نملي لهم خبر لانقسهم ، وه يحسَبَنَ ٥ هي قعل مضارع ، والماضي بالنسبة له هو «حسِب» ـ بكسر السين... ولذلك قال الحق سبحانه في موقع آخر من القرآن الكريم :

﴿ أَحَيِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتَرَكُواْ أَنْ يَقُولُواْ عَامَنَا وَهُمْ لَا يُغْتَنُونَ ٢٠٠٠ ﴾

(سورة العنكبوت)

إن الماضي هو « حَسِبُ » - بكسر السين - والمصارع « يحسّب » - بفتح السين - ، أما حُسْب » عبيب » - بكسر السين - في المضارع وفتحها في الماضي فهي من الحساب والعدد ، وهو عدد رقمي تنضبوط .

أمر ه حسب ه وه يحسب » فنأن بمعنى الظن ، والطن كها نعرف أمر وهمى ، والحق سبحانه يذكرهم أن طنونهم بأن بقاء حياتهم هو خير لهم ليست حقاً . بل هي حدس وتخمين لا يرقى إلى اليقين .

صحيح أن العمر محسوب بالسنوات ؛ لأن العمر طرف للأحداث ، والعمر بذاته مجرداً عن الأحداث لا يقال إن إطالته خير أو شر ، وإنما يقال : إن العمر خير أو شر بالأحداث التي وقعت فيه ، والأحداث التي تقع من الكافر تقع على عير منهج إيمان فلا بد أن تكون شراً ، حتى ولوفعل ما ظاهره أنه خير فإنه يفعله مضارة لمنهج الله . فلو كانت المسألة بالعملية الرقعية ؛ لقلنانه حسب » وه يحبب » بيفتح المين في المضارع - لكن هي مسألة وهمية ظئية ؛ لذلك نقول في المضارع - أي يطن ، وهو سبحانه يقول : ه إنما نمل هم » . ما الإملاء ؟ الإملاء هو تمديد الوقت وإطالته . ولذلك نجد في الفرآن :

﴿ قَالَ أُواغِبُ أَنْتُ عَنْ الْمُنِي يَنَإِيرُهُمْ لَهِن لَمْ تَنْنَهِ لَأَرْجُمَنَكُ وَإِنْجُرْنِي مَلِياً ﴿ ﴾ ﴿ قَالَ أُواغِبُ أَنْتُ عَنْ الْمُنِي مَلِياً ﴿ وَمَا مُرْمِهِ ﴾ ﴿

إنه يأمر مبيدنا إبراهيم أن يهجره مدة طويلة . هذا هو معني و واهجرني مليا ي .

والمقصود هنا أن إطالة أعهارهم بعد أن أفلتوا من سيوف المؤمنين . ليست خيراً لهم ولا يصح أن يظنوا أنها خير لهم ، لأن الله إنما يملي لهم ؛ وليزدادو إثماً ولهم عذاب مهين ۽ وهنا نجد ۽ لام العاقبة ۽ .

وإياك أن تقول أبها المؤمن : إن الله قد فعل ذلك ليعاقبهم . لا ؛ لأن الله سبحانه وتعالى قد وضع سنته في الكون ويطبقها على من يخرج على منهجه، فمن يصنع إثماً يعاقبه الله عليه ؛ إثما تمل لهم ليزدادوا إثما ، فكل ظرف من الزمن يم عليهم يصنعون فيه أعمالاً أثمة على غير المنهج .

« ولهم عذاب مهين » وتأتى كلمة « مهين » وصفاً للعداب مناسبة غاماً ؛ لأن الكافر قد يخرج من المعركة وقد تملكه الزهو والعجب بأن أحداً لم يستطع أن يقطّع رقبته بالسيف ، ويتبه بالعزة الأثمة ، لذلك فالإيلام هنا لا يكفى ، لأنه قد يكتم الألم ويتجلد عليه ، ولكن العذاب عندما يكون مهيئاً فهو العقاب المناسب لمثل هذا الموقف . والمتكلم هنا هو الله ، وسبحانه العليم بالمناسب لكل حال .

ونمن بعد ذلك يقول الحق :

وساعة نسمع دما كان ، فلنعرف أن هنا ، جحوداً ، أى أن هناك من يجحد الفضية . ويسمونها د لام الجحود ، . فقبل حادثة أحُد ، كان المنافقون متداخلين مع

(別規数 (のつ+00+00+00+00+0) (A*1*0)

المؤمنين. أكان الله ينرك الأمر مختلطاً هكذا، ولا يُظهر المنافقين بأحداث تبين مواقعهم الحقة من الإيمان؟ لا، إنه سبحانه وتعالى لا يقبل ذلك ؛ حتى لا يظل المنافقون دسيسة في صفوف المؤمنين. وكان لابد أن تأتى الأحداث لتكشفهم. وجاءت أحداث أحد لتهيج الصف المنسوب إلى الإيمان، وتفرزه ليتميز الحبيث من الطيب، مصداقاً لقوله الحق:

﴿ فَأَمَّا الزَّيْدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَايَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلأَرْضِ ﴾ (من الآية ١٧ سورة الوعد) إذان كانت أحداث أُجَّد ضرورية .

وقرنه الحق : ع ما كان الله ليلر المؤمنين ، مقصود بها أن الله لم يكن لبدع المؤمنين ويتركهم عرضة لاختلاط المنافقين بهم بدون أن يتميز المنافقون بشيء من الأشياء ، حتى لا تظل المسألة مقصورة على ما يُعلمه الله لرسوله من أمر المنافقين . فلو أعلم الله رسوله فقط بأمر المنافقين ، ولو أعلن الرسول ذلك للمؤمنين دون اختبار واقعى للمنافقين لكان ذلك بجرد تشخيص نظرى للنفاق يأق من جهة واحدة ، وأراد الله أن تأنى حادثة واضحة وتجربة معملية واقعية تبين وتظهر الواقع ، حتى ينكشف تأنى حادثة واضحة وتجربة معملية واقعية تبين وتظهر الواقع ، حتى ينكشف المنافقون ، وحتى لا يعترض أحد منهم عندما يوصف بأنه منافق ، وحتى لا يكون الحبة الموسف بهنا ، وبذلك تكون الحبة قوية للغاية .

لقد كان المنافقون أسبق الناس إلى الصفوف الأولى فى الصلاة ؛ لأن كل منافق منهم أراد أن يُحبك مسألة نفاقه ، ويُواريه ، فيحرص على ما يندفع المؤمنون إليه ، والمنافق كان يعرف أن المؤمنين يتسابقون إلى الصلاة ، فهو يسارع ليكون فى الصف الأول من الصلاة ، ويخبر الله سبحانه وتعالى رسوله :

﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرْبُنَكُهُمْ فَلَعَرَفْتُهُم إِسِيمَهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَلُهُمْ فِي لِخَنِ الْقُولِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَلَكُمُ ﴿ ﴾ اى لو لاحظت كلامهم لعرفتهم ، مثلهم مثل كل المنافقين في الدنيا ، تلاحظ في كلامهم لقطة من مفاق ؛ فالمؤمن حين مجلس مع جماعة من المنافقين ويأى وقت صلاة الظهر ويدعو الأذان إلى الصلاة ، تجد المؤمن يقول : فلنقم إلى الصلاة ، وهنا يسخر المنافق ويقول الممؤمن : لنأخذن على جناحث للجنة يوم القيامة . ومثل هذه الكلمة يكون ؛ لحن المؤلى ، أو عندما يدخل مؤمن على جماعة من الناس فيهم معافق ، فيستقبل المنافق المؤمن بلهجة من السخرية في المتحبة ، « كيف حالك أيها الشيخ فيستقبل المنافق المؤمن بلهجة من السخرية في المتحبة ، « كيف حالك أيها الشيخ فيستقبل المنافق فيسخر منه

وذلك من ۽ لحن القول ۽ الذي يظهر به المنافق .

ومثل هذه العمليات عندما يواجهها المؤمن الواعى المستنير الذى يتجلّى الله عليه يالإشراقات النورانية ، مثل هذه العمليات تكون وقوداً للمؤمن وتزيد من إبحانه ؛ لأن المؤمن على منهج الحق ، وقادر على نفسه ، هذا ما يغيظ المنافق كثيراً ؛ فالمنافق يتساءل بينه وبين نفسه : لماذا يقدر المؤمن على نفسه ؟ والمنافق لا يقدر على نفسه ، لذلك يريد أن يسحب المؤمن من عقيدته ليكون معه على النفاق والعياذ بالله . وعلى المؤمن أن يوطن نفسه على أنه سيواجه منافقين يريدون أن يردوه عن الإيمان ، وسيجد أناساً يستخرون منه ويتغامزون عليه ، مصداقاً لقوله الحق :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَهُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ المَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿ وَإِذَا مَرُوا بِيمَ يَنَغَامَزُونَ ﴿ وَإِذَا انقَلَبُواْ إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُواْ فَكِهِبَ ﴿ وَإِذَا عَلَيْهِمُ وَإِذَا وَأُوهُمْ قَائُواْ إِنَّ مَنْوُلًا إِلَىٰ مَنْوُلًا إِلَىٰ الْمُنْفِينَ ﴿ وَمَا أَرْسِلُواْ عَلَيْهِمْ حَلْهِظِينَ ﴾ وَإِذَا الطفقين ﴾ وما أرْسِلُواْ عَلَيْهِمْ حَلْهِظِينَ ﴾ (مورد الطفقين)

والمنافق أو الكافر قد يقول لأهله : لقد رأيت اليوم شيخاً أو رجل دين أومندينا فسخرت منه وأهنته ويتندر المنافق بمثل هذا القول في بيته الفاسدة ، ويكشفها الحق لنا بقوله الكريم . ليطمئن المؤمنين ، ويعوض كل مؤمن عها يصيبه من أهل النفاق والفساد :

00+00+00+00+00+01/4/0

﴿ فَٱلْبُوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿ عَلَى ٱلْأَرَآبِكِ بَسَظُرُونَ ۞ مَلَ ٱلْإِرَآبِكِ بَسَظُرُونَ ۞ مَسَلَ تُوبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ۞ ﴾ هَسَلَ تُوبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ۞ ﴾

و سورة اللطفقين بر

فالحق سبحانه يسأل المؤمنين يوم الفيامة : هل قدرنا أن نجازي الكفار والمنافقين اللذين سخروا منكم ؟ فيقولون : نعم يارب العالمين قد جوزوا وأثيبوا على فعلهم أوقى الجزاء وأتمه وأكمله .

إن مخرية المنافقين والكافرين من المؤمنين لها أما. دنيوى ينقضى ، ولكن السخرية في الآخرة لا تنقضى أبداً . وعندما نقيسها تحن المؤمنين ، نجد أننا الفائزون الرابحون إن شاء الله . فلو ترك أى منافق لبتداخل في أحضان المؤمنين ، ولا يظهر ذلك للمؤمنين لكانت المسألة صعبة العلاج ، ولهذا يقول الحق للرسول صلى الله عليه وسلم :

﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَأُرْيَنَكُهُمْ فَلَعَرَفْتُهُم بِسِيمَهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَهُمْ فِي لِخَيْ الْفَوْلِ وَاللّهُ يُعْلُمُ أَعْمَدُكُمْ ﴿ ﴾

(مورة محمد)

والحق لا يكنفى بذلك ، لكنه يكشف لنا واقع المنافقين بتجارب معملية حتى لا يقول واحد منهم : لست منافقاً . وعندما يظهر الله المنافق ويكشفه بحادثة مدوية فعلية ، وغجلة تبين أنه منافق ، فيكون قد وصم بالنفاق ، لأن كثيراً من الناس الذين يظلون طوال عموهم ينافقون اعتباداً على أنهم مسلمون في الظاهر لا يتركهم أنله ، يل لابد أن يأتى الله لهم بخاطر من الخواطر ويقعوا في فنح اكتشاف المؤمنين لهم حتى يعرفهم المؤمنون ويقيموهم على حقيقتهم ، فسبحانه وتعالى القائل :

وها كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من العليب. .

وكلمة ويذر ۽ تعني ويترك ۽ أو ويدع ۽ . والدارسون للنحو يعرفون أن هناك نعلين هما ويذر ۽ وويدع ۽ ، أهملت العرب الفعل الماضي للمها ، فهذان الفعلان

01/1100+00+00+00+00+00+0

ليس لحيا فعل ماض ٍ. ونستخدمها في صيغة المضارع .

والحق مبحانه لم يكن ليدع المؤمنين على ما هم عليه من الاختلاط واندساس المنافقين بينهم وعدم معرفة المؤمنين للمنافقين بالقلك يميز ويظهر الخبيث من الطيب . فلا يكتفى بإخبار النبى بأمر الحبثاء فقط ، ولكنه يكشف الخبثاء بفعل واقعى ، فيقول : « وما كان الله ليطلعكم على الغيب » ؛ لأن الله لو أطلعكم على الغيب لنعوفوا المنافقين لانكروا أنفسهم منكم وستروها عنكم ، ولذلك يجرى مبحانه الوقائع لتكشف الخبيث من الطيب ، ويعد ذلك يوصم المنافق بالنفاق بإقرار نعله .

« وما كان الله لبطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبى من رسله من يشاء » . إنه جل وعلا يختار من رسله من يشاء ألبطلعهم على بعض الغيب حتى يزدادوا ثقة فى أن الله لا يتخلّى عنهم ، أى يعطى للرسول دلالات على المنافقين ، حتى يزداد الرسول ثقة فى أن الله لا يتخلّى عنه .

والله برحمته لا يكشف الغيب لكل المؤمنين ، فلو اطلع المؤمن على الغيب لفسلت أمور كثيرة فى الكون . وُهُبُ أن الله أطلع الإنسان على غيب حياته ، فعرف الإنسان اللف حادثة سارة ثم حادثة واحدة مكدرة ؛ فإن كدر الإنسان بالحادثة الواحدة المكدرة التي تقع بعد عشرين عاماً يفسد على الإنسان تنعمه بالأحداث السارة .

وإن كان الإنسان بريد أن يطلع على غيب الناس فهل يقبل أن يطلع على غيبه أحد ؟ فلهاذا تويد أيها الإنسان أن تعرف غيب غيرك ؟ أيرضى أي واحد منا أن يعرف الناس غيبه ؟ لا . إذن فستر المعلومات عن الناس وجملها غيباً هي نعمة كبري .

ومع ذلك فالناس تُلح أن تعرف الغيب ، وفرى من يجرى على الدجالين والعرافين ومن يدعون كذباً أنهم أولياء لله ، وكل ذلك من أجل أن يعرف الواحد بعضاً من الغيب ، وهنا نقول : ليست مهارة العارف في أن يقول لك ماذا سيحدث لك في المستقبل ، لكنها في أن يقول واحد من هؤلاء المدّعين لمعرفة الغيب : إن حادثاً مكروها سيقع لك ، وسامنعه أو أدفعه بعبداً عنك . لا أحد يستطيع دفع قدر الله ،

○○◆○○◆○○◆○○◆○○◆○○◆○○

ولذلك فلنترك المستقبل إلى أن يقع . لماذا ؟ . حتى لا يحيا الواحد منا في الهم والحزن قبل أن يقع ، إذن فقول الحق : ه وما كان الله ليطلعكم على الغيب ه هو سنة من الله لأن نظام الملك ينتظم بها ويحتاج إليها .

فكل إنسان له هزات مع نفسه ، وقد نأتي له فترة يضعف فيها في شيء من الأشياء ، فإذا ما عرف الغير منطقة الضعف في إنسان ما ، وعرف هذا الإنسان منطقة الضعف في إنسان ما ، وعرف هذا الإنسان منطقة الضعف في أخبه ، فلسوف يبدو كل الناس في نظر بعضهم معضا صعافاً . ومن فضل الله أن أخفى غيب الناس عن الناس . وجعل الله إنساناً ما قوياً فيها لا نعلم ، وبذلك تسير حركة الحياة بانتظامها الذي أراده الله .

« وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبى من رسله من يشاء » والحق يحتبى من الرسل ، أى يعضاً من الرسل .. لا كل الرسل ـ ليطلعهم على الغيب حتى يعطى هم الأمان بأنهم موصولون بحل أرسلهم ، فهو مبحانه لم يرسلهم ليتخل عنهم ، لا ، إنهم موصولون به الذلك يطلعهم على الغيب ، وقلنا . إن الغيب أنواع : فعطلق الغيب : هو ما غاب عنك وعن غيرك . ولكن هناك غيباً غائباً عنك وهو معلوم لغيرك ، وهذا ليس غيباً .

مثال ذلك إن ضاعت من أحدكم حافظة نقوده ، وسارقها غيب ، ومكابها غيب عن صاحبها ، لكن الذي سرقها عارف بجكانها ، إذن فهذا غيب على المسروق ، ولكنه ليس غيباً على السارق . إنه ليس غيباً مطلقاً ، وهذا ما يضحك به الدجالون على السنج من الناس ، فبعض من الدجالين والمشعوذين قد يتصلون بالشيطان أو الجن ؛ ويقول للمسروق حكاية ما عن الشيء الذي سرق منه وهؤلاء المشعوذون لا يعلمه أحد ، فقد استأثر به الله لا يعرفون الغيب ؛ لأن الغيب المطلق هو الذي لا يعلمه أحد ، فقد استأثر به الله لنفسه .

ومثال آخر : الأشياء الابتكارية التي يكنشفها البشر في الكون ، وكانت سرأً ولكن الله كشف لهم تلك الأشياء ، وقد يتم اكتشافها على بد كفار أيضاً . فهل قال أحدً: إنهم عرفوا غيباً ؟ لا ؛ لأن لمنل هذا الغيب مقدمات ، وهم بحثوا في أسرار الله ، ووفقهم سبحاته أن يأخذوا بأسبابه ما داموا قد بذلوا جهداً ، والله يعطى الناس مؤمنهم وكافرهم - أسبابه . وماداموا يأخذون بها فهو يعطيهم المكافأة على ذلك . ولله المثل الأعلى ، وسبحاله منزه عن كل تشبيه ، أقول لكم هذا المثل للتقريب :

المدرس الذي يعطى تمرين هندسة للتلميذ ليقوم بحله ، فهل مجيء الحل غيب ؟ لا ؛ لأن التلميذ يعرف كيف مجل التمرين الهندسي ؛ لأن فيه المعطيات التي يتدبر فيها بأسلوب معين فتعطى النتيجة . ومادام التلميذ بخرح بنتيجة لتمرين ما بعد معطيات اخذها ، فذلك ليس غيباً .

ولذلث فعلينا أن نفطن إلى أن الغيب هو ما غاب عن الكل ، وهذا ما استأثر الله بعلمه وهو الغيب المطلق ، وهو سبحانه وتعالى يطلع عليه بعضاً من خلقه من الرسل ، وهو سبحانه القائل :

﴿ عَلِيمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُطَلِّهِ عَنَى غَيْبِهِ مَا أَحَدُّا ﴿ إِلَّا مَنِ أَرْتَضَىٰ مِن رَسُولِ فَهُ (سودة الحن)

وأما الأمر المخفى في الكون ، وكان غيباً على بعض من الحُلق ثم يصبح مشهداً خُلق آخرين فلا يقال إنه غيب ، وعرفنا ذلك أثناء تباولنا بالحواطر لآية الكرسي :

﴿ اللهُ لا إِلَكَ إِلا هُو اللهُ اللهِ اللهُ ال

00+00+00+00+00+00+0

إن الحق سبحانه قد نسب هذا الإحاطة للبشر ، ولكن بإذن منه ، فهو يأذن للسر أن يولد ، غاماً كما يوجد للإنسان سلالات ولها أوقات معلومة لميلادها ، كذلك أسرار الكون لها ميلاد ، هذا الميلاد ساعة يأى ميعاده فإنه يظهر ، ويحيط به البشر . فإن كان العباد قد بحثوا عن السر وهم في طريق المقدمات لميصلوا إليه ورافق وصولهم ميعاد ميلاده ؛ يكونوا هم المتكشفين له . وإن لم يجن ميعاد ميلاد هذا السر فلن يتم اكتشافه . وإذا حان ميلاد السر ولم يوجد عالم معمل يأخذ بالأسبب والمقدمات فالله يخرج هذا السر كمصادفة لواحد من البشر . وحيئتذ يقال :إن هذا السر قد ولد مصادفة من غير موعد ولا توقع .

وأسرار الله التي جاءت على أساسها الاكتشافات المعاصرة ، كثير منها جاء مصادفة . فالعلماء يكونون بصدد شيء ، ويعطبهم الله ميلاد سر آخر . إذن فليس كل اكتشاف ابنا لبحث العلماء في مقدمات ما ، ولكن العلماء يشتغلون من أجل هدف ما ، فيعطبهم الله اكتشاف أسرار أخرى ؛ لأن ميلاد تلك الأسرار قد جاء والناس لم يشتغلوا بها . ويتكرم الله على خلقه ويعطبهم هذه الأسرار من غير توقع ولا مقدمات .

ويستمر سياق الآية ؛ فآمنوا بالله ورسله وإن تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم ، وهو سبحانه يخاطب المؤمنين . والحق سبحانه وتعالى إذا خاطب قوماً بوصف ، ثم طلب منهم هذا الوصف في معناه ؟ . ومثال ذلك قول الحق سبحانه :

﴿ يَنْ يُهَا ٱلَّذِينَ وَامْنُواْ وَالْمِنُواْ ﴾

(من الآية ١٣٦ سورة النساد)

إنهم مؤمنون ، والحق قد ناداهم بهذا الوصف . معنى ذلك أنه يطلب منهم الالتزام بمواصفات الإبمان على مر الأزمان ، لأن الإبمان هو يقين بموضوعات الإبمان في ظرف زمنى ، والأزمان متعاقبة لأن الزمن ظرف غير قار . وه غير قار ه تعنى أن الحاضر يصبر ماضياً ، والحاضر كان مستقبلاً من قبل ، قالماضى كان في البداية مستقبلاً ، ثم صار حاضراً ، ثم صار ماضياً . والزمن ه ظرف ، ولكنه ظرف غير قار . أى غير ثابت . لكن المكان ظرف ثابت قار . فكان الله يخاطبك : إن الزمن للذي مر قبل أن الحاطبك شجل بإيمانك ، والزمن الذي يجيء أيضاً اشخله بالإيمان .

إذن معنى ذلك : يا أيها الذين آمنوا داوموا على إيمانكم . « وإن تؤمنوا وتتفوا فلكم أجر عظيم ، ولنا أن نتصور عظمة عطاء الحق ، فالمنهج الإيماني يعود خيره على من يؤديه ، ومع ذلك فالله يعطى أجراً لمن اتبع المنهج . إذن فعندما يضع الحق سبحانه وتعالى منهجاً فإنه قد فعله لصالح البشر وأيضاً يثيبهم عليه ، وهو يقول :

﴿ فَيَنِ النَّبِيعُ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُ وَلَا يَشْنَى ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مُ مَعِينَةً خَنْكَا وَتَحْشُرُهُ مِيومَ ٱلْقِينَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿ وَهَا بَعِنْهَ مَنْ اللَّهِ اللَّهِ مَا لَقِينَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿ وَهِا لَا لَهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ الل

(سورة بله)

إن النّبع للمنهج ياخل نفعه ساعة نادية هذا المنهج . ويزيد الله قوق ذلك أنه سبحانه يعطى المتهج للمنهج أجراً ، وهذا محض الفضل ، وقلنا من قبل : إن العمر الذي يحده الله للكافرين والمنافقين ليس خبراً . إذن فعل الناس أن يأخذوا المسائل والأزهنة بتبعات وآثار ونتائج ما يحدث فيها .

ويقول الحق بعد ذلك :

﴿ وَلَا يَعْدَبُنَ اللَّهِ مَا أَلَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا عَالَمُهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ مُعُوخَيْلًا لَمَكُم بَلْ هُوشَرُ لَهُمْ سَيُطُوقُونَ مَا يَغِلُوا بِهِ عَوْمَ الْقِيكَ مَدَّةً وَلِلَّهِ مِيرَثُ السَّمَوَتِ مَا يَغِلُوا بِهِ عَرْمُ القِيكَ مَدَّةً وَلِلَّهِ مِيرَثُ السَّمَوَتِ مَا يَغِلُوا بِهِ عَرْمُ القِيكَ مَدَّةً وَلِلَّهِ مِيرَثُ السَّمَوَتِ مَا يَغِلُونَ خَبِيرٌ مَا السَّمَوَتِ وَالْأَرْضُ وَاللَّهُ مِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ مَا اللَّهُ مِمَا لَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ مَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مِمَا لَوْنَ خَبِيرٌ مَا اللَّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللللّهُ اللللللّهُ الللّهُ اللّهُ ال

لقد ظن يعضي من المنافقين والكفار أن طول العمر ميزة لهم ، وها نحن أولاء بصدد قوم آخرين ظنوا أن المال الذي يجمعونه هو الخير فكليا زاد فرحوا . فيقول الحق : « ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله » . فالمال قد جاءهم من

فضل الله ، ذلك بأنهم دخلوا الدنيا بغير جيوب . ولا احد فينا قد رأى كفناً له جيوب . ولا احد فينا قد رأى قياط طفل وليد له جيوب . فالإنسان يدخل الدنيا بلا جيب ، ويخرج بلا جيب . وكل ما يأتي للإنسان هو من فضل الله ، فلا أحد قد ابتكر الاشياء التي يأتي منها الرزق . ويمكن أن تبتكر من رزق موجود . فنطور في الوسائل والأسباب وللإنسان جزء من الحركة التي وهبها الله له ليضرب في الأرض ، ولكن لا أحد يأتي بارض من عنده لم تكن ولكن لا أحد يأتي بارض من عنده لم تكن موجودة من قبل ويزرعها ، ولا أحد يأتي بهذور من عنده لم تكن موجودة من قبل ويزرعها ، ولا أحد يأتي بماء لم يوجد من قبل ليروى به ، فالأرض من الله ، والماء من الله ، والماء من رزق الله ، وحتى الحركة التي يتحرك بها الإنسان هي من فضل الله .

فبالله لو أراد إنسان أن بحمل الفاس ليضرب في الأرض ضربة ، فهل يعرف الإنسان كم عضلة من العضلات تتحرك ليرفع الفاس ؟ وكم عضلة تتحرك حين ينزل الفاس ؟!!

وعندما يضرب الإنسان الفاس. فهو يضربها في أرض الله . والذي أراد لنفسه فأسأ فإنه يذهب إلى الحداد ليصنعها له ، لكن هل سأل الإنسان نفسه من أين أتى الحديد ؟ وفي هذه قال الحق :

﴿ وَأَثْرَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسُ شَدِيدٌ وَمَنْتِفِعٌ لِلنَّاسِ ﴾

(من الآية ٦٥ صورة الحديد)

إذن فهاذا تُوجد أنت أيها الإنسان؟

أنت تأخذ المواد الحنام الأولية من عند الله ، وتبذل فيها الحركة الممنوحة لك من الله ، وأنت لا توجد شيئاً من معدوم ؛ بل إنك توجد من موجود ، فكل شيء من فضل الله . وأنت أيها الإنسان مضارب في كون الله . فعقلك الذي يفكر ، من الذي خلقه ؟ إنه الله . وجوارحك التي تنفعل للعقل من الذي خلقها ؟ إنه الله .

وجوارحك تنفعل في منفعل هو الأرض ، بألة هي الفاس ، ثم ترويها بماء هو

نازل من السياء . فها الذي هو لك أيها الإنسان؟ إن عليك أن نعرف أنه ليس لك شيء في كل ذلك ، إنما أنت مضارب الله . فلتعطه حق المضاربة .

والحق سبحانه لا يطلب إلا قدراً بسيطاً من نتاج وثمرة الأرض . . إن كانت تروي بماء السهاء فعليك عشر نتاجها . وإن كانت الأرض تروى بألة الطنبور أو الساقية فعليك نصف العشر .

والذي يزرع أرضا فإنه بجرثها في يوم ، ويرويها كل أسبوعين .

أما الذي يتاجو في صفقات تجارية فهي تحتاج إلى عمل في كل لحظة ، ولذلك فإن الحق قدّر الزكاة عليه بمقدار اثنين ونصف بالمائة .. إذن فكلها زادت حركة الإنسان قلل الله قدر الزكاة . وهذه العملية على عكس البشر . فكلها زادت حركته . فإنهم ياخذون منه أكثر !!

والله سيحانه يريد أن توجد الحركة في الكون ١ لأنه إن وجدت الحركة في الكون انتفع الناس وإن لم يقصد التحرك وبعد ذلك نأبن يذهب الذي يأخذه الله منك ؟ . إنه يعطيه لأخ لك ولغيره . فإدام سبحانه يعطى أخاً لك وزميلاً لك من شمرة ونتيجة حركتك ، ففي هذا اطمئنان وأمان لك ، لأن الغير سيعطيك لو صرت عاجزاً غير قادر على الكسب . وفي هذا طمأنينة لأغيار الله فيك . فإن جاءت لك الأغيار قستجد أناساً يساعدونك ، ويذلك يتكاتف المجتمع ، وهذا هو التأمين الاجتماعي في أرقى معانيه . أليس النامين أن تعطى وأنت واجد وأن تأخذ وأنت فاقد ؟ . إذن فهذا كله من فضل الله .

٤ ولا يحسين الذين يبخلون بما أتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم ه إن الذين يبخلون بفضل الله يظنون أن البخل خير لمجرد أنه يكدس عندهم الأموال ، وليس ذلك صحيحاً ؛ لأن الحق يقول : « سيطوقون ما يخلوا به يوم القيامة » أي أن ما يخلوا به يصنعه الله طوقاً في رقبة البخيل ، وساعة يرى الناس البطوق في رقبة البخيل يقولون : هذا منع حق الله في ماله .

والرسول صلى الله عليه وسلم يصور هذه المسألة تصويراً دقيقاً حين بيين لما أن من يُطلب منه حق الله ولم يؤده ، يأن المال لذى منعه وضن وبحل به يتمثل لصاحبه يوم القيامة و شجاعاً أفرع ، وهو ثعبان ضخم ، ويطوق رقيته . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : و من آناه الله مالاً فلم يؤد زكانه مُثل له شجاعا أقرع له زبيتان يطوقه يوم القيامة يأخذ بلهزمتيه ـ يعنى شدقيه يقول : و أنا مائك أنا كنزك ، ثم تلا قوله ثعالى : و ولا يحسبن الذين يبخلون بما أناهم الله من فضله ، إلى آخر الآية (١) .

إذن فائلكي يدخر بخلاً على الله فهو يزيد من الطوق الذي يلتف حول رقبته يوم القيامة ,

« ولله ميراث السياوات والأرض والله بما تعملون خبير » نعم فلله ميراث السياوات والأرض ، ثم يضعها فيمن بشاء ، فكل ما في الكون نسبته إلى الله ، ويوزعه الله كيفيا شاء . إن الإيمان يدعونا ألا نتظر بالصدقة إلى حالة بلوغ الروح الحلقوم ، فقل روى عن أبي هريرة أنه قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : با رسول الله أي الصدقة أعظم أجراً ؟ قال : « أن تصدّق وأنت صَحيح شحيح با رسول الله أي الصدقة أعظم أجراً ؟ قال : « أن تصدّق وأنت صَحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغني ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا ووقد كان نفلان عند وصول الروح إلى الحلقوم لا يكون له مال .

قول الحق : « والله بما تعملون خبير » قضية تجعل القلب يرتجف خوفاً ورعباً ، فقد يدلس الإنسان على البشر ، فتجد من يتهرب من الضرائب ويصنع تزويراً دفترين للضرائب ، واحداً للكسب الصحيح وآخر للخسارة الخاطئة ويكون هذا المتهرب من الضرائب بملك المال ثم ينكر ذلك ، هذا الإنسان عليه أن يعرف أن الله خبير بكل ما يعمل . وبعد ذلك يقول الحق :

﴿ لَقَدْ سَيِعَ اللَّهُ قُولَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ

(١) تفرد به السجاري درق مسلم من هذا الوحم، وقد رواه ابن حبان في صحيحه

(٢) أحرحه البخاري في كتاب الوكة... باب أي عمدقة أفضل

وَغَنُ أَغْنِياآ أُسَنَكُ ثُنْ مَاقَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيآ وَعَنْدُهُمُ الْأَنْبِيآ وَعَنْدُ مَا اللَّهُ الْمُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيآ وَعَنْدُ اللَّهُ اللَّاللَّاللَّا اللَّهُ اللَّهُ

روئ في سبب نزول هذه الآية الكريمة : قال سعيد بن جُبير عن ابن عباس - رضى الله عنها لما نزل قوله تعالى : « من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة » قالت اليهود : يا محمد افتقر ربك ، فسأل عباده القرض ؟ فأنزل الله « لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياه » (١٠) .

والذين عايشوا الإسلام في المدينة كانوا من اليهود . واليهود كما تعرف كانوا يدلون ويضخرون على العالم بأنهم أهل كتاب وعلم ومعرفة ، ويدلون على البيئة التي عاشوا فيها أنهم ملوك الاقتصاد كما يقولون الآن عن أنفسهم . كل من يربد شيئا يأخذه من اليهود . وكانوا يبنون الحصون ويأتون بالأسلحة لندل على القوة . وجاء الإسلام وأخذ منهم هذه السيادات كلها ، ثم تمتعوا بمزايا الإسلام من محافظة على المواضم وأمنهم وحياتهم .

اكان الإسلام يتركهم هكذا يتمتعون بما يتمتع به المسلمون أمناً واطمئناناً ، وسلامة أيدان وسلامة أموال ثم لا يأخذ منهم شيئاً ؟ لقد أخذ منهم الإسلام الجزية . فلم يكن من المقبول أن يدقع المسلم الزكاة ويجلس البهود في المجتمع الإيماني دون أن يدفعوا تكلفة حمايتهم . ولذلك أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم سيدنا أبا بكر إلى البهود في المكان الذي يتدارسون فيه . فعن ابن عباس قال : دخل أبو بكر الصديق بيث المدراس فوجد من يهود ناساً كثيرة قد اجتمعوا على رجل منهم يقال له فنحاص ، وكان من علمائهم وأحبارهم ومعه حبر يقال : أشبع ، فقال له أبو بكر : ويحك يا فنحاص ، اتق الله وأسلم ، فوالله إنك لتعلم أن محمداً رسول الله من عند الله قد جاء بالحق من عنده ، نجدونه مكتوبا عندكم في النوراة والإنجيل ، فقال فنحاص : والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من حاجة من فقر ، إنه

[﴿] ١ ﴾ رواه ابين مردويه وابن أبي حاتم .

إلينا تفقير ، ما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا وإنا عنه لأغنياه ، ولو كان عنا غنبًا ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم ، ينهاكم عن الربا ويعطينا ، ولو كان غنبا ما أعطانا الربا . فغضب أبو بكر - رضى الله عنه - فضرب وجه فنحاص ضربا شديداً ، وقال : والذي نفسي بيده لولا الذي بيننا وبينك من العهد لضربت عنقك يا عدو الله فأكذبونا ما استطعتم إن كنتم صادفين (١٠) .

فلهب فنحاص إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم فقال : يا محمد أبصر ما صنع بى صاحبك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما حملك على ما صنعت يا أبا بكر » ؟ فقال يا رسول الله : إن عدو الله قال قولا عظيها ، يزعم أن الله فقير وأنهم عنه أغنياء فلها قال ذلك غضبت لله عما قال فضر بت وجهه ، فجحد فنحاص ذلك وقال : ما قلت ذلك ، فأنزل الله فيها قال فنحاص « لقد سمع الله قول فنحاص « الله فقير وتحن أغنياء به (*)

هؤلاء لم يفطنوا إلى سر التعبير الجميل في قوله سبحانه :

﴿ مَن ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللَّهُ تَرْضًا حَسَنًا ﴾

(من الآية ١١ سورة الحديد)

فإن هذا القول هو احترام من الحق - سبحانه - لحركة الإنسان في التملك . لماذا احترم الله حق الإنسان في التملك ؟ هو سبحانه يريد أن يغرى المتحرك بزيادة الحركة ، ويحمل غير المتحرك على أن ينحرك . فإن طلب مبحانه شيئاً من هذا المال فهو لا يقول اللإنسان : أعطني ما أعطيت لك ، بل كأنه سبحانه يقول : إنني سأحترم عرقك ، وسأحترم حركتك ، وسأحترم بوارحك وطاقاتك وكل عرقك ، وسأحترم بوارحك وطاقاتك وكل ما فيك ، فإن أخذت منك شيئاً فلن أقول لك أعطني ما أعطبت لك ، لكن أقول لك : أقرضها لى ؛ وإن أقرضتها فسوف تقرضها لا لانتقع بها ، ولكنها لأخيك . وقد اقترض من الغادر فيها بعد وذلك لك أنت إذا أصابتك الحاجة . لماذا ؟ لانني أنا الله الذي استدعيت الحلق إلى العجود . ومادمت أنا الله الذي استدعيت الحلق إلى الغيرة .

⁽١) أكذبونا: بيُنوا وأظهروا كذبنا.

⁽٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير.

الوجود فأرزاقهم مطلوبة مني .

إن الواحد من البشر عندما يدعو النين من أصدقائه فهو يصنع طعاماً يكفى خمسة أو عشرة أشخاص , ومادام الله هو الذي استدعى الخلق إلى الوجود فهو الذي يكفل لهم الرزق فلا بد أن يتحركوا , وعندما يتحركون فهو سبحانه يضمن أثار الحركة ، وذلك حتى ينال كلَّ ما يرضيه ، أو على الأقل ما يكفيه من الضروريات .

ولذلك عندما جاءت آثار الحركة من المآل وتدخل البشر فيها تأميهاً وغير ذلك من الإجراءات قلّت الحركة . لكن الله سبحانه وتعالى يعلم حرص الإنسان على منفعة نفسه فيغريه بذلك حتى يتحرك وسيتفع المجتمع بحركته ، سواء قصد الإنسان أو لم ينصد . إذن فحين يقترض الحق سبحانه وتعالى من بعض خلقه لبعض خلقه ، فهو سبحانه لا يتراجع فيها وهب . بل يقول جل وعلا :

﴿ مِّن ذَا ٱلَّذِي يُقْرِسُ اللهُ قَرْضًا حَسَنًا فَيُصَاعِقَهُ لَهُ وَلَهُ وَأَهُ وَأَرْكِمْ كَا عَ

(سورة الحديد)

وأضرب هذا المثل ونشر المثل الأعلى منحن البشر قد نضطر إلى هذا الموقف المناوحد منا عندما يعطى أبناءه مصروف البد ، فكل ابن يدخر ما يبقى منه ، وبعد ذلك يأى ظرف لبعض الأبناء يتطلب مالاً لبس في مُكنَّة الوالد ساعة يأى الحدث . فيقول الوالد الأبنائه : أفرضوني ما في دحصًا لاتكم د ، وساردها لكم مضاعفة ، هو أخذها الأخيهم ، لكن لأنه الذي وهب أولاً فلم يرجع في الهبة ، لكنه طلبها قرضاً . المخذها يأى أول الشهر فهو يرد القرض مضاعفاً ، فإن كان ذلك ما يحدث في عبال البشر في بالنا بما يحدث من الحالق الوهاب لعباده ؟ . هو مبحانه يقول : د من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً » .

لكن اليهودي لم يأخذ المسألة بهذا الفهم ، لكنه أخذها بغباء المادة فقال : إن الله فعير ونحن أغنياه . لذلك قال الحق سبحانه : « لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا » .

ولماذا يكتب الله ذلك وهو العالم بكل شيء ؟. جاء هذا القول ليدل على النوثيق أيضاً ، فعندما يأن هذا الرجل ليقرأ كتابه يوم القيامة يجدها مكتوبة و فالكتابة لتوثيق ما يكن أن يُنكر _ بالبناء للمجهول _ فإذا كان العلم من الله فقط فالعبد قد يقول :

ـ إنك يارب الذي تعاقب . افلك أن تقول ما تقول . فإذا ما كان مكتوباً عليهم ليقوأوه . فهذا توثيق لا يمكن إنكاره .

ولم يفهم ذلك اليهودى إن القرض شد هو تلطف من الحق سبحانه وتعالى واستدرار لحنان الإنسان على الإنسان . فقد شاء الحق أن يحترم أثر مجهودك وعرقك أيها الإنسان ، فإن وصلت إلى شيء من المال فهو مالك ، ولم يقل الله لك : أعط أخاك ، فسبحانه وتعالى تلطفا مع خلقه يقول : أفرضتى و ليضمن الإنسان أن ما أعطاء إنما هو عند ملى ، لكن أدب بنى إسرائيل مع الله مفقود ، فقد قالوا من قبل :

﴿ وَقَالَتِ ٱلْمَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةً غُلَتَ أَيْدِيهِمْ وَلِمِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطُنَانِ بُنغِينَ كَيْنَ بَنْسَاءُ ﴾

(من الآية 14 صورة المائدة)

وسبب ذلك أنه أصابتهم سنة وجدب ، وذلك بسبب تكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال ابن عباس : « إن الله وسع على اليهود في الدنيا حتى كانوا أكثر الناس مالا ، فلما عصوا الله وكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وكذبوه ضبّق الله عليهم في زمنه صلى الله عليه وسلم ، فقال فنحاص بن عازوراء ومن معه من يبود : يد ألله بمغلولة غائزل الله هذه الآية ، إنهم قالوا : السهاء بخلت علينا ويد الله مغلولة ، فلم تعطنا رزقاً . حكذا كان اجتراؤهم في الحديث عن الله « يد الله مغلولة » ونعرف أن « الغل » هو ربط اليدين بسلسلة .

وهاهم أولاء يجترتون مرة أخرى فيقولون : « إن الله فقير » . ويورد الحق سبحانه كل ذلك تسلية السيدتا محمد حتى إذا ما اجترأوا عليه بكلمة أو على أصتحابه باستهزاء ، فسبحانه يوضح الرسوله : أنهم لم يصنعوا ذلك معك ولا مع أتباعك ،

011100+00+00+00+00+00+0

إن هذا هو موقفهم منى أنا . فإذا كان موقفهم وسوء أدبهم وصل بهم إلى أن يجترئوا على الذات المقدسة العلبّة ، ويقولون : « إنّ الله فقير ونحن أغنياء ، ويقولون : « يد الله مغلولة » . أفتحزن وتأسى على أن يقولوا لك أو لأتباعك أى شىء يسيئ إليكم ؟

إنها نعمت المواساة من الله لرسوله ونعمت النسلية . ويضيف الحق : و سنكتب ما قالوا » . لماذا يكتب الله ما قالوا مع أن علمه أز في لا يُسيى ؟

﴿ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَضَيُّ ﴾

(من الآية ٥٢ صورة مه)

لقد جامت كلمة و سنكتب و حتى لا يؤاخذهم سبحانه وتعالى يوم القيامة بما يقول هو إنهم فعلوه ، ولكن بما كتب عليهم وليقرأوه بأنفسهم ، وليكون حجة عليهم ، كأن الكتابة ليست كيا نظن فقط ، ولكنها تسجيل للصوت وللأنفاس ، ويأتي يوم القيامة ليجد كل إنسان ما فعله مسطوراً :

﴿ اقْرَأْ كِتَنْكُ كُنَّ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ١ ﴾

(سورة الإسراء)

وهذا القول يدل على أنه ساعة برى الإنسان ما كتب في الكتاب سيعرف أنه منه ، وإذا كنا نحن الآن نسجل على خصومنا أنفاسهم وكلياتهم أتستبعد على من علمنا ذلك أن يسجل الأنفاس والأصوات والحركات بحيث إذا قرأها الإنسان ورآها لا يستطيع أن يكابر فيها أو يتكرها ؟ « سنكتب ما قالوا » وهم قالوا : و إن الله فقير وتحن أغنياء » وهذا معصية في القمة ، وتبجح على الذات العلية ، ولم يكتفوا بذلك بل قتلوا الأنبياء الذين أرسلهم الله لهدايتهم ؛ لذلك يقول الحق : « سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق » .

وعندما يأى هذا النبأ لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهو تسلية له من الحق سبحانه ، لقد قالوا في ربك يا محمد ما قالوا ، وقتلوا الأنبياء إخوانك ، فإذا صنعوا معك ما صنعوا فلا تحزن فسوف يُجازّرن على ما كتبناء عليهم بشهادة أنفسهم ، ونقول : ذوقوا عذاب الحريق ، والحريق يصنع إيلاماً إحساسياً في النفس .

والإحساس يختلف من حاسة إلى أخرى، فمرة يكون الإحساس بالبصر، ومرة بالأذن، ومرة بالشم أو باللمس أو بالذوق.

والذوق هو سيد الأحاسيس ، فهو لا يضيع من أحد أبداً ، فقد نجد إنساناً اعمى ، وآخر أصم ، أو شخصاً ثائناً أصبب بالشلل فلا تستطيع يده أن تلمس ، وقد يصاب واحد بزكام مستمر فلا يصبح قادراً على الشم ، أما الذوق فهو حاسة لا تختفى من أي إنسان ، ذلك أن اللوق أمر من داخل الذات ؛ لذلك فهو أبلغ في الأيلام . ونجد الحق سبحانه وتعالى مقول :

﴿ وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتَ عَامِنَةً مُطْمَئِنَةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِن كُلِ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْهُمِ اللهِ فَأَذَا فَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَفُونَ شَيْ

(سورة النحل)

انظر إلى التعبير القرآن و فأذاقها الله لباس الجوع والحوف و جاء التعبير بالإذاقة ، وجاء بشيء لا يذاق وهو اللباس . وهل اللباس يذاق ؟ لا ، لكنه سبحانه بريد أن ينبه الإنسان إلى أن كل الحواس التي فيه تحس ، حتى تلك الحاسة المختفية داخل النفس ، إنّ ذلك يُشمل كل جزّء في الإنسان .

فالإذاقة تحيط بالإنسان في هذا التصوير البياني القرآني الكريم : و فأذاقها الله لباس الجوع والخوف * . إذن فهي شدة وقع الإيلام ؛ واستيعاب العذاب المؤلم لكل أجزاء الجسم حتى صار الذوق في كل مكان . و ذوقوا عذاب الحريق » ، والحريق هو النار القوية التي تحرق ومن بعد ذلك يقول الحق :

﴿ اللهُ بِمَا فَذَمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَ لَامِ لِلْعَبِيدِ ۞ ﴿ اللَّهِ لَيْسَ

« ذلك » إشارة إلى عذاب الحريق . والحق سبحانه لم يظلمهم ، لكنهم هم الذين ظلموا أنفسهم . « بما قدمت أيديكم » . فهل معنى ذلك أن كل المعاصى من تقديم اليد ؟ إن هناك معصية للعين ، ومعصية للسان ، ومعصية للرجل ، ومعصية للقلب ، ولا حصر للمعاصى . فلهاذا إذن قال الحق : « بما قدمت أيديكم » ؟

قال الحق ذلك لأن الأعمال الظاهرة أهارس عادة باليد ؛ فاليد هي الجارحة التي نقعل بها أكثر أمورنا ، وعلى ذلك يكون قول الحق : « بما قدمت أبديكم » مقصود به : بما قدمتم بأي جارحة من الجوارح .

وبعد ذلك يخبرنا سبحانه : و وأن الله ليس بظلام للمبيد ، لقد أذاقهم عذاب الحريق نتيجة ما كنبه عليهم ؛ من قول وفعل . والقول هو الافتراء باللسان حين قالوا : و إن الله فقير ونحن أغنياء » . والفعل هو قتلهم الأنبياء . فهم يستحقون ذلك العذاب .

والقضية العامة في الإله وعدالة الأله أنه ليس بظلام للعبيد.

وهنا وتفة لخصوم الإسلام من المستشرقين ، هم يقولون : الله يقول في قرآنهم لا وأنَّ الله ليس بظلام للعبيد » ، وكلمة « ظلام » هي مبالغة في كلمة « ظالم » ، ففيه « ظالم » وفيه » ظلام » ، و« الظَّلام » هو الذي يظلم ظلماً قوياً ومتكرراً ، فـ ه ظلام » هي صيغة مبالغة في « ظالم » .

وحتى ترد عليهم لا يد لنا أن نعرف أن صيغ المبالغة كثيرة ، فاللغويون يعرفون أنها : فمال ، فعيل ، مفعال ، فعول ، فجل ، فظلام يثلها مثل قولنا: وأكال ، ومثل قولنا: وقتال ، بدلاً من أن نقول : وقاتل ، فالقاتل يكون قد ارتكب جريمة القتل مرة واحدة ، لكن الـ وقتال ، هو من فعل الجريمة مرات كثيرة وصار القتل حرفته . ومثل ذلك و ناهب ، ويقال لمن صار النهب حرفته : فتاب ، أي أنه إن نهب ينهب كثيراً ، ويعدد النهب في الناس .

وهذه تسمى صيغة المالغة . وصيغة المالغة إن وردت في الإثبات أي في الأمر

الموجب فهى تثبت الأقلى ، فعندما يقال : « فلان ظلام » فالثابت أنه ظالم أيضاً ، لأننا ما دمنا قد أثبتنا المبالغة فإننا نثبت الأقلى . ومثل ذلك نقول : « فلان علام » أو و فلان علامة » فعلان علامة » فلان علامة » فلان علامة » فلان عالم » وفلان علامة » فعميني ذلك أن فلاناً هذا عالم . وفكن إذا قلنا : « فلان عالم » فلا يثبت ذلك أنه و علامة » . فصيغة المبالغة ليس معناها « اسم فاعل » فحسب ، إنها أيضاً السم فاعل مبالغ فيه ، لأن الحدث يأتي منه قوياً ، أو لأن الحدث متكور منه ومتعند . فإذا ما أثبتنا صفة المبالغة فمن باب أولى تثبت صفة غير المبالغة . فإذا ما قال ، هذا في الإثبات .

والأمر يختلف في النفى . إننا إذا نفينا صفة المبالغة ، فلا يستلزم نفى الصفة الأصلية ، فإن قلت : لا فلان ليس علامة ، فقد يكون عالماً . وهكذا نفهم لأن الإثبات يختلف عن النفى . فإذا أنبت صفة المبالغة تثبت الصفة التي ليس قبها مبالغة من باب أولى . أما إذا نفيت صفة المبالغة فلا يستلزم ذلك نفى الصفة الأقل .

والتذبيل للآية التي نحن بصددها الآن هو دوائٌّ الله ليس بظلُّام للعبيد ؛ .

يقهم المستشرقون من هذا القول أنه مجرد نفى للمبائنة فى الظلم ، لكنها لم تنف عنه أنه ظالم ولم يفهم المستشرقون لماذا تكون المبائنة هنا : إن الحق قد قال : إنه ليس يظلام للعبيد ، ولم يقل إنه ليس يظلام للعبيد . ومعنى ذلك أنه ليس يظلام للعبيد من أول آدم إلى أن تقوم الساعة ، فلو ظلم كل هؤلاء ـ والعياذ بالله ـ لقال إنه ظلام ، حتى ولو ظلم كل واحد أيسر ظلم ، لأن الظلم تكرر وذلك يتكرر من ظلم وهم العبيد، فإن أريد تكثير الحديث فليقطن الغبى منهم إلى أن الله قال : « وأن الله ليس بظلام للعبد .

وإذا كان الظالم لا بد أن يكون أقوى من المظلوم ، إذن فكل ظلم يتم تكبيفه بقوة النظالم . فلو كان الله قد أباح لنفسه أن يظلم فلن يكون ظالمًا ؛ لأن عظم قوته لن يجعله ظالمًا بل ظَلَّما .

فإن أردنا الحدث فيكون ظلاماً ، وإن أردنا تكراراً للحدث فيكون ظلاماً . وحين

يحاول بعض المستشرقين أن يستدركوا على قول الحق : « وأن الله ليس بظلام للعبيد » فهذا الاستدراك يدل على عجز في فهم مرامي الألفاظ في اللغة أو أن هؤلاء يعلمون مرامي الألفاظ ويحاولون غش الناس الذين لا يملكون رصيداً تغوياً يفهمون به مرامي الألفاظ ، ولكن الله مبحاته وتعالى يُسخر لكتابه من ينبه إلى إظهار إعجازه في آياته .

وبعد أن انتهى الخق من غزوة أخد ، فهو سبحانه يريد أن يقرر مبادى أبين فيها معسكرات العداء للإسلام : معسكر أهل الكتاب ، ومعسكر مشركى قريش فى مكة ، ومعسكر المشركين الذين حول المدينة وكانوا يغيرون على المدينة .

فبعد غزوة أُحُد التي صفّت ، وربّت ، وامتحنت وابتلت ، وعرّفت الناس قضايا الدين ، أراد الحق بعدها أن يضع المبادىء .

فأوضح القرآن : أن هؤلاء أعداؤكم ؛ تذكروهم جيداً ، قالوا في ربكم كذا ، ويقولون في رسولكم كذا ، وقتلوا البياءكم .

ومن بعد ذلك يقولُ الحق سبحانه :

هم يدّعون ذلك ويقولون : ربنا قال لنا هذا في التوراة ؛ إياكم أن تؤمنوا برسول

00+00+00+00+00+00+011110

يأتيكم ، حتى يأتيكم بمعجزة تحسة ، هذه المعجزة السَّمحسَّة هي أن يفدم الرسول قرباناً فتنزل نار من السياء تأكله .

هذا كان صحيحاً ، وكلنا نسمع قصة قابيل وهابيل :
﴿ وَالْمَا عَلَيْهِمْ نَبُأُ النِّي َّادُمْ بِالْحَنِيْ إِذْ قَرْبَا قُرْبَانَا فَتُعَيِّلُ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَرْ بُتَقَبِّلُ مِنْ الْحَدِهِمَا وَلَرْ بُتَقَبِّلُ مِنْ الْعَدِهِمَا وَلَرْ بُتَقَبِّلُ مِنْ الْعَلَيْمِ مَنَا اللّهُ مِنْ الْعَلَيْمِ مَنَا اللّهُ مِنْ الْعَلَيْمِ مَنَا اللّهُ مَنَ الْعُنْمِينَ ۞ لَهِنْ بَسَطَتَ إِلَىٰ مِنْ الْعَنْمُ مِنَ الْعَنْمُ فِي اللّهِ اللّهُ مِنْ اللّهُ مُنَا الْعَنْمُ مِنْ الْعَنْمُ اللّهُ وَبُنّا الْعَنْمُ مِنْ اللّهُ مُنَا الْعَنْمُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ مَنْ اللّهُ وَبُنّا الْعَنْمُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ مُنْ اللّهُ وَمُناكُمُ إِنْ اللّهُ وَلَا اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ ا

وسورة المائدة إ

ونريد أن نقبل على القرآن ونتدبر: لماذا جاء هذا اللفظ: و فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر و ؟ إن القبول من الله ، وهو مسألة سرية عنده ، فكيف نعرف نحن أن الله تقبل أو لم يتقبل ؟ لا بد أنه الله قد جعل للقبول علامة حسية . ونحن نعرف أن الإنسان قد يعمل عملاً فيقبله الله ، ونجد إنساناً أخر قد يعمل عملاً ولا يقبله الله والعياذ بالله ، فمن الذي أعلمنا أن الله قد قبل عمل إنسان وقربانه ، ولم يقبل عمل الآخر وقربانه ؟.

وبما أن القبول سر من أسرار الله إذن فلن نعرف علامة القبول إلا إذا كانت شيئاً تُحساً ، بدليل قوله : ٥ فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر » . وقال الذي لم يتقبل الله قربانه : ٤ لأقتلنك » كأن الذي قبل الله قربانه قد عرف ، والذي لم يتقبل الله قربانه قد عرف أيضاً ، إذن فلا بد أن هناك أمراً حسياً قد حدث .

وقلنا: إن الله كان يخاطب خلقه على قدر رشد عقولهم حساً ومعنى ؛ ولذلك كانت معجزاته سبحانه وتعالى للأنبياء السابقين لرسول الله هي من الأمور المتحسة . فالمعجزة التي أتاها الله لإبراهيم كانت نارا لا تحرق ، وعصا سيدنا موسى تنقلب حية ، وسيدنا عيسى عليه السلام يبرىء الأكمه والأبرص وبحيى المول بإذن الله . والمعجزة الحسية لها ميزة أنها تقنع الحواس ، ولكنها تنتهى بعد أن نقع لمرة واحدة . لكن المعجزة العقلية التي تناسب رشد الإنسائية ، هي المعجزة الباقية ،

(開題) (1917) (19

وحتى تظل معجزة باتية فلا يمكن أن تكون حسبة .

إذنه فعندما تأتى معجزة خائدة لرسول هو خاتم الرسل ، والذى سوف تقوم القيامة على المنهج الذى جاء به ، هذه المعجزة لا بد أن تكون ذات أمد ممتدً ، والامتداد يناقض الحسية ؛ لأن الحسية نظل محصورة فيمن رآها ، والذى لم يرها لا يقولها ولا يؤمن بها إلا إذا كان على ثقة عظيمة بمن أخبره بها . وابنا آدم ، قابيل وهابيلي قرّب كل منها قربانا .

وه قُربان » مثلها في اللغة مثل ه غفران » وه عُدوان » والقُربان هو شيء أو عمل يتقرب به العبد من الله . وتبول هذا العمل من البر هو سرّ من أسرار الله . فيا الذي أدرى هؤلاء أن قربان هابيل قد نقبّله الله ولم يتقبّل الله قربان قابيل ؟ لا بد أن تكون المسألة حسّية . ولا بد أن قابيل وهابيل قد اختلفا ، ولكن القرآن لم يقل لنا على ماذا اختلفا ، إنها دعوى أن واحداً منها مُقرّب إلى الله أكثر ، ولكن بأى شكل ؟ لم يظهر القرآن لنا ذلك ، ولو كانت المسألة مهمة الأظهرها الله لنا في القرآن الكريم ، فلا تقل كان الحلاف على زواج أو غير ذلك . فالذي ظهر لنا من القرآن أن خلافاً قد وقع بينها أو أنها قد حكما الساء ، ومبدأ تحكيم الساء الا يستطيع أحد أن ينقضه . وكأن لكل وإحد منهم شبهة . وعندما قامت الشبهة التي لقابيل ضد الشبهة التي لمابيل ، فلا إقناع من صاحب شبهة لصاحب شبهة ، ولذلك ذهبا إلى النحكيم .

ونحن في عصرنا الحديث عندما نختلف على شيء فإننا نقول : نجرى قرعة . وذلك نحتى لا يرضخ إنسان لهوى إنسان أخر ، يل يرضخ الاثنان للقدر ، فيكتب كل منها ورقة ثم يتركان ثالثا يجذب إحدى الورقتين . أما هابيل وقابيل فيذكر القرآن الكريم : « وائل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق إذا قربا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الأخر » .

إذن فكل واحد منها كانت له شبهة ، ولا أحد منها بقادر على إقناع الثانى ؛ لذلك قال فابيل بعد أن قبل الله قربان هابيل : « لأقتلنك ، فهاذا قال هابيل ؟ . قال : و إنما يتقبل الله من المتقين » .

00+00+00+00+00+014140

إذن فالذي يتقبل الله منه القربان هو الذي سيُقْتل . والذي بملأء الغيظ هو من لم يتقبل الله قربانه ، وهو الذي صوف يُقْتُل . فَهاذا قال صاحب القربان المقبول :

﴿ لَهِنْ بَسَطَتَ إِلَى بَدَكَ لِتَغْنَلُنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِى إِلَيْكَ لِأَغْنَلُكُ إِنِّ أَخَافُ اللهَ رَبُ الْعَالَبِينَ ﴿ فَهُ اللَّهُ اللَّلَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّلَّا اللَّهُ

(سورة المائدة)

إذن فهذا أهل لأن يتقبّل الله قربانه ، لأنه متيقظ الضمير بمنهج السياء ، وهذه حيثية لتقبل القربان .

وحتى لا نظن أن الآخر ؛ قابيل ؛ كله شر لمجرد أن الشهوة سيطرت عليه ، لكن الحق يظهر لنا أن فيه بعض الخير ، ودليل ذلك قول الحق :

﴿ فَطَرْعَتْ لَهُ مُ نَفْسُهُ قَنْلَ أَيْحِهِ فَفَتَلَهُ مِ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْتَخْسِرِينَ ٢٠٠٠ ﴾

(سورة المائدة)

وهذا القول بدل على أنه تردد ، فلا يقال : د طوّعت الماء د ، ولكن يقال ه طوّعت الحديد ع ، فكأن الإبمان كان يعارض النفس ، إلا أن النفس قد غلبت وطوّعت له قتل أخيه ، وعندما قتل قابيل أخاه وهدأت شرّة الغضب وسُعار الانتقام ، رأى أخاه مُلقى في العراء :

﴿ فَبَعَثَ اللّهُ عُرَاباً بِبَحْثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَّهُ كُنْ يُولِي سُوْءَةً أَنِيبًا قَالَ يَثُو يَلَقَى الْمُرْفِ لِيرِيَّهُ كُنْ يُولِي سُوْءَةً أَنِي قَالَ يَثُو يَلَقَى الْمُجَالِمِ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ عَلَا اللّهُ وَاللّهِ عَلَا اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ عَلَا اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللللللّهُ اللللللللّهُ اللللللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ الل

وعلى هذا النسق قال اليهود: إن الله أوصانا ألا نؤمن برسول إلا بعد أن يأتى بمعجزة من السُحسَّات. لماذا قالوا ذلك ؟. قالوا ذلك لأن معجزة رسول الله الكبرى وهى القرآن الكريم لم تكن من ناحية المحسَّات وانتهى عهد الإعجاز بالمحسَّات فقط فرسولنا له معجزات حسية كثيرة ، ونظرا لأن هذه ينتهى إعجازها بانقضائها فكان القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة وهو الذى يناسب الرسالة

الخائمة ، فهم طلبوا أن تكون المعجزة بالمحسّات حتى يصنعوا لأنفسهم شبه عدّر في أنهم لم يؤمنوا ، فقالوا ما أورده القرآن :

و الذين قالوا إن الله عهد إلينا أن لا تؤمن لرسول حتى يأتينا ع . . الح:

وعلمنا الحق في هذه الآية أن القربان تأكله النار ، ومن هذا نستنبط كيف تقبل الله قربان هابيل ولم يتقبل قربان قابيل ، لكى نقهم أن القرآن لا يوجه به أمر مكرر . والحق سبحانه يرينا ردوده الإلهية المقنعة الممتعة :

د قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم . . » إلخ الآية .

لقد جاءكم رسل قبل رسول الله بالقربان وأكلته النار ومع ذلك كفرتم . فلوكان كلامكم أيها اليهود صحيحاً ، لكنتم آمنتم بالرسل الذين جاءوكم بالقربان الذي أكلته النار . وهكذا يكشف لنا الحق أنهم يكذبون على أنفسهم ويكذبون على رسول الله ، وأنها عبود ، مماحكات ، ولجاج وتمام في المنازعة والخصومة .

والحتي سبحانه يأمر رسوله أن يسأل : ﴿ فَلَمْ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادَقَينَ ۗ ٤ ؟

هو سيحانه بريد أن يضع لنا قضية توضح أن عهد المعجزات الحسّية وحدها قد انتهى ، ورُشد الإنسانية وبلوغ العقل مرتبة الكيال قد بدأ و لذلك أي سبحانه بآية عقلية لنظل مع المنهج إلى أن تقوم الساعة . ولو كانت الآية حسّية لاقتصرت على المعاصر الذى شهدها وتركت من يأتى بعده بغير معجزة ولا برهان . أما مجيء المعجزة عقلية فيستطيع أي واحد مؤمن في عصرنا أن يقول : سيدنا محمد رسول الله وتلك معجزته . ولكن لو كانت المعجزة حسّية وكانت قرباناً تأكله النار ، فها الذي يصير إليه المؤمن ويستند إليه من بعد ذلك العصر ؟

إن الحق يربد أن يعلمنا أن الذي يأتي بالآيات هو سبحانه ، وسبحلته لا يأتي بالآيات على وفق أمزجة البشر ، ولكنه يأتي بالآيات التي تثبت الدليل ؛ لذلك فليس للبشر أن يقترحوا الآية . هو سبحانه الذي يأتي بالآية ، وفيها الدليل . لماذا ؟

○○+○○+○○+○○+○○+○ (47·○

لأن البعض قد قال للرسول:

(سورة الإسراء)

لقد كانت كل هذه آيات حسّية طلبوها ، والله سبحانه وتعالى يرد على ذلك حين قال لرسوله : إن الذي منعه من إرسال مثل هذه الآيات هو تكذيب الأولين بها :

﴿ وَمَا مَنْعَنَا أَن تُرْسِلَ بِأَلْا يَنْتِ إِلَّا أَن كُذَّبُ عِهَا ٱلْأُولُونَ ﴾

(من الأية ٥٩ مورة الإسراء)

فحتى هؤلاء الذين قالوا: لن نؤمن حتى تأتى بقربان تأكله النار قد جاءهم من قبل من يحمل معجزة القربان الذي تأكله البار، ومع ذلك كذبوا، إذن فالمسالة مماحكة ولجاج في الخصومة. ويُسلّى الله رسوله صلى الله عليه وسلم، وتسلية الله لرصوله هنأ تسلية بالنظير والمثل في الرسل. كأن الحق يوضح : إن كانوا قد كذبوك فلا تحزن ؛ فقد كذبوا من قبلك رسلاً كثيرين، وأنت لست بدّعاً من الرسل

﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِن قَبَلِكَ جَاءُو بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ فَ الْمُنْ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّاللَّ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ

0111100+00+00+00+00+0

ويتسامى الحق سبحانه وتعالى يروح سيدنا رسول الله إلى مرتبة العلو الذي لا يرقى إليه بشر سواه، فيقول:

(من الآية ٣٣ سورة الأنعام)

فالمسألة ليست مسألتك أنت إنهم يعرفون أنك يا محمد صادق لا تكذب أبدأ ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون و . أى هذا الأمر ليس خاصا بك بل هو راجع إلى فلا أحد يقول عنك إنك كذّاب هم يكذبونني ، الظالمون يجحدون وينكرون آياتي فالحق سبحانه يخاطب رسوله صلى الله عليه وسلم هنا للتسلية ويعطيه الأسوة التي تجعله غير حزين مما يقعله اليهود والمكذبون به فيقول :

(سورة ال عمران)

ونعرف أن الشرط سبب فى وجود جوابه .. فإدا كان الجواب لم يأت فالشرط هو اللهى يجعله يأتى ، وإذا كان الجواب قد حصل قبل الشرط فها الحال ؟ . الحق يوضح : إن كذبوك يا محمد فقد كذبوا رسلاً من قبلك . أى أن «جواب الشرط» قد حصل هنا قبل الشرط وهذه عندما يتلقفها واحد من السطحين أدعياء الإسلام، أو من المستشرقين الذين لا يفهمون مرامى اللغة فمن المكن أن يقول :

إن الجواب في هذه الأبة قد حصل قبل الشرط ، وهنا نرد عليه قاتلين : أقوله تعالى : "و فقد كذب رسل من قبلك . . » هو جواب الشرط . أم هو دليل الجواب ؟ لقد جاء الحق بهذه الأبة ليقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم :

فإن كذبوك فلا تحزن ، فقد سبقك أن كُلْب قوم رسلهم . إنها علة لجواب الشرط ، كأنه يقول :

فإن كذبوك فلا تحزن . إذن فمعنى ذلك أن المذكور ليس هو الجواب ، إنما هو

الحيثية للجواب و فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاءوا بالبينات . . . إلخ .

وعندما نقول : « جاءت قلان بكذا » فقد يكون هو الذي أحضره ، وقد يكون هو مجرد مصاحب لمن جاء به .

ولنضرب هذا المثل للإيضاح ـ ولله المئل الأعلى ـ فلنفترض أن موظفاً أرسله رئيسه بمظروف إلى إنسان آخر ، فالموظف هو المصاحب للمظروف .

إذن فالبينات جاءت من الله ، لكن هؤلاء الرسل جاءوا مصاحبين ومؤيّدين بالبينات كى تكون حُجة لهم على صدق بلاغهم عن الله ، ؛ فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاءوا بالبينات » . أى جاءوا بالآيات الواضحة الدلالة على المواد . والآيات قد تكون لفتاً للآيات الكونية ، وقد تكون المعجزات .

وتعلم أن كل وسول من الرسل الذين سيقوا سيدنا رسول الله كانت معجزتهم منفصلة عن متهجهم ، فالمعجزة شيء وكتاب المنهج شيء آخر . و صحف إبراهيم وقيها المنهج لكنها ليست هي المعجزة القلمجزة هي الإحراق بالنار والنجاة، وموسى عنيه السلام معجزته العصا وتنقلب حية ، وانفلاق البحر ، لكن كتاب منهجه هو النوراة » ، وعيسى عليه السلام كتاب منهجه و الإنجيل ومعجزته العلاج وإحياء الموتى بإذن الله ، إذن فقد كانث المعجزة منفصلة عن المنهج ، إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فإن معجزته هي عين منهجه ، معجزته القرآن ، ومنهجه في القرآن ،

لأنه جاء رسولاً يحمل المنهج المكتمل وهو القرآن الكريم ، ومع ذلك فهو صلى الله عليه وسلم الرسول الخاتم ، فلا بد أن تظل المعجزة مع المنهج ؛ كى تكون حُجة ، إذن فقول الحق صبحانه وتعالى : « جاءوا بالبينات » : أى المعجزات الدالات على صدقهم . « والزبر والكتاب المنبر » أى الكتب التي جاءت بالمنهج ، فهم يحتاجون إلى أمرين اثنين : منهج ومعجزة .

وو البينات ، هي المعجزة أي الأمور البينة من عند الله وليست من عند أي واحد

منهم ، ثم جاء و المنهج » في و المؤبّر والكتاب المنبر » . ومعنى و الزبّر » ؛ الكتاب ، ومادام الشيء قد كُتِب فقد و زيره » أي كَتَبُه ، وهذا دليل على التوثيق أي مكتوب فلا يتطمس ولا يمحى فالزّبر الكتابة ، وه الزَّبْر » تعنى أيضا الوعظ ؛ لأنه يمنع الموعوظ أن يصنع ما عظم أي يمتنع عن الخطأ وإتبان الانحراف ، وه الزَّبْرُ » أيضا ثعنى العقل ؛ لأنه يمنع الإنسان من أنَّ يرد موارد التهلكة .

والذبن يريدون أن يأخذوا العقل فرصة للانطلاق والانفلات ، نقول لحم : اقهموا معنى كلمة و العقل و معنى العقل هر التقبيد ، فالعقل يقيدك أن تفعل أى أمر دون دراسة عواقبه . والعقل من و عَقل و أى ربط ، كى يقال هذا ، ولا يقال هذا ، ويمنع الإنسان أن يفعل الأشياء التى تؤخذ عليه . وه الزبر و أيضا : تحجير البئر و فعندما نحفر البئر ليخرج الماء ، لا نتركه . بل نصنع له حافة من الحجر ونبيه من الذاخل بالحجارة . كى لا يُردم بالتراب وكل معانى الزبر ملتقية ، فهو يعنى ؛ المكتوبات في وصف ، إنها منيرة ، وهذه الإنارة معناها أنها تبين يعنى ؛ المكتوبات في وعراقيله ، كى لا يتعثر .

إذن فالحق سبحانه وتعالى يسل رسوله صلى الله عليه وسلم ويوضح له : لا تحزن إن كذبوك و فقد كذب رسل من قبلك ، والرسل جاءوا بالمنهج وبالمعجزة ، وبعد أن يعطى الله للمؤمنين ولرسول الله مناعة ضد ما يذبعه المرجفون من اليهود وضد ما يقولون ، وتربية المناعة الإعانية في النقس تقتضى أن يخبرنا الله على لسان رسوله بحا يكن أن تواجهه الدعوة و حتى لا تفجأنا المواجهات ويكشف لنا سبحانه مجا سيقولون . وبجا سيفعلونه .

وتحن نفعل ذلك في العالم المادى : إذا خفنا من مرض ما كالكوليرا ـ مثلًا ـ ماذا نفعل ؟ تأخذ الميكروب نفسه ونُضْعِفُه يصورة معينة ثم نحقن به السليم ؛ كي نربي فيه مناعة حتى يستطيع الجسم مقاومة المرض .

ثم بعد ذلك يأن الحق سبحانه وتعالى بقضية إيمانية يجب أن نظل على بال المؤمن دائيًا . هذه القضية : إن هم كذبوك فتكذيبهم لا إلى خلود ؛ لأنهم سينتهون

○○+○○+○○+○○+○○+○\4Y£○

بالموت ، فالقضية معركتها موقوتة ، والحساب اخبراً عند الحق سبحاته ، ولذلك يقول :

﴿ كُلُّ نَفْسِ ذَآنِهَ أُلُوّتُ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْكَ أَلَوْتُ وَإِنَّمَا تُوفَوْكَ أَجُورَكُمْ يُوْمَ ٱلْفِيكُمَةُ فَمَن رُحْفِحَ عَنِ ٱلنَّادِ أَجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْفِيكُمَةُ فَمَن رُحْفِحَ عَنِ ٱلنَّادِ وَأَذْخِلَ ٱلْمُحَدَّةُ ٱلدُّنِيَا إِلَّا وَأَذْخِلَ ٱلْمُحَدَّةُ ٱلدُّنِيَا إِلَّا مَنْكُ ٱلْفُتُرُودِ ﴿ هَاللَّهُ مِنْكُ ٱلْفُتُرُودِ ﴿ هَا أَنْهُ مُودِ فَي إِلِيْهِ مَنْكُ ٱلْفُتُرُودِ ﴿ هَا إِلَيْهِ مَنْكُ ٱلْفُتُرُودِ ﴿ هَا إِلَيْهِ اللَّهِ مِنْكُ الْفُتُرُودِ ﴿ هَا إِلَيْهِ اللَّهِ مَنْكُ الْفُتُرُودِ فَي إِلَيْهِ اللَّهُ اللَّهُ مُنْ الْفُتُرُودِ فَي أَنْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْعُنْدُودِ اللَّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّ

ونلاحظ أن كلمة و ذائقة و جاءت أيضاً هنا ، ونعرف أن هناك و نتلا و وهناك الموتا ، فالموت معناه أعم وهو : انتهاء الحياة سواء أكان بنقض البنية مثل الفتل ، أم بغير نقض البنية مثل خروح الروح وزهوقها حتف الأنف ، ولذلك فالعلماء الذين يدققون في الألفاظ يقولون : هذا المفتول لو لم يُقتل ، أكان يموت ؟ نقول : نعم ؛ لأن المفتول مبت بأجله ، لكن الذي قتله هل كان يعرف ميعاد الأجل ؟ لا . إذن فهو يُعاقب على ارتكابه جريمة إزهاق الروح ، أمّا المقتول فقد كتب الله عليه أن يقارق الحياة بهذا العمل .

إذن فكل نفس ذائفة الموت إما حنف الأنف وإمّا بالقتل . ولأن الغالب قى المفتولين أنهم شهداء ، والشهداء أحياء ، لكن الكل سيموت . يقول تعالى :

﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِنَ مَن فِي السَّمَوْتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مِّن شَاءَ اللَّهُ ﴾

(من الآية ٦٨ صورة الزمر)

انظروا إلى دقة العبارة ؛ ه وإنما توفون أجوركم يوم القيامة ، أي إياكم أن تنتظروا نتيجة إيمانكم في هذه الدنيا ، لأنكم إن كنتم ستأخذون على إيمانكم ثوابا في الدنيا

فهذا زمن زاتل ينتهى ، فنوابكم على الإيمان لا بد أن يكون في الأخرة لكى يكون ثوابا لا ينتهى .

ونعرف ما حدث في بيعة العقبة الثانية ؛ حينها أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأنصار عهوداً ، قالوا : فها لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفينا ؟ لم يقل لهم صلى الله عليه وسلم ستنتصرون أو ستملكون المدنيا ، بل قال : والجنة ، قالوا : ابسط بدك ، فبسط بده فبايعوه ، فلو وعدهم يأى شيء في الدنيا لقال له أى واحد فطن منهم : ما أهونها ، ولذلك عندما قال واحد لصاحبه : أنا أحبك قدر الدنيا ، فقال له : وهل أنا ثاقه عندك لهذه الدرجة ؟.

فكأن الحق سبحانه وتعالى يقول: إياكم أن تفهموا أن جزاء الإيمان يكون في اللدنيا ؛ لأنه لوكان في الدنيا فكان زائلاً ولكان قليلا كجزاء على الإيمان ، لأن الإيمان وصل بغير منته وهو الله ، فلا بد أن يكون الجزاء غير منته وهو الجنة ، فقال : د وإنحا توفون أجوركم » . . وأخذ أهل اللمح من كلمة « ثوفون » أن هناك مقدمات ؛ لأن معنى و وفيته أجره » أى أعطيته وبقى له حاجة وأكمل له ، نعم هو سبحانه يعطيهم حاجات إيمان ، ويكفى إشراقة الإيمان في نفس المؤمن ، فالجواب لا بد أن يكون متمشياً مع منطق من يسمع هذه الآية ؛ فقد يموت من يسمعها بعد قليل في معركة ، وما دام قد مات في معركة فهو لم ير انتصاراً ، ولم ير غنائم ولا أي شيء ، فياذا يكون نصيبه يوم القيامة » توفون » فعن نال منها شيئاً في الدنيا بالنصر ، بالوهو الإيمان على أنه انتصر على الكفر فهذا بعض الأجر ، إنما الوقاء بكامل الأجر سيكون في الآخرة ، لأن كلمة التوفية تفيد أن توفية الأجور وتكميلها يكون في يوم القيامة ، وأن ما يكون قبل ذلك فهو بعض الأجور التي يستحقها يكون في يوم القيامة ، وأن ما يكون قبل ذلك فهو بعض الأجور التي يستحقها العاملون .

ويقول الحق : ﴿ قَمَن زُحَرْجٍ عَنِ النَّارِ وَأَدْخَلِ الْجَنَةُ فَقَدْ فَازَ ﴾ عِنْ أَبِي هُويَرَةَ رَضَى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مُوضِع سُوطٌ فَي الجَنَةُ خَيْرٍ مِنَ الدُّنيا وما فيها اقرأوا إن شئتم : « قَمَن زُحَرْجٍ عَنِ النَّارِ وَأَدْخَلِ الْجَنَةُ فَقَدْ فَازَ ﴾ (١)

 ⁽¹⁾ رواء ابن أي حائم ، ورواء البخاري ومسلم من غير هذا الموجه وبدون هذه الزيادة وأبو حائم وابن حبات في صحيحه والحاكم في مستدركه

○○+○○+○○+○○+○○+○○+○○

وعندما تقول: زحزحت فلاناً ، معناها أنه كان متوقفا برعب ، فكيف يحدث ذلك عند النار؟. نعرف أن النار سببها المعصية ، والمعصية كانت لها جاذبية للعصاة ، ويأتى الإيمان ليشدهم فتأخذهم جاذبية المعصية ، فكذلك يكون الجزاء بالنار . إذن فالنار لها جاذبية لأنها متكون في حالة غيظ . . ولذلك يقول ربنا :

﴿ تَكَادُ مُنَذُ مِنَ الْغَيْظِ ﴾

(من الآية ٨ سورة الملك)

النار تتميز من الغيظ على الكافرين . وما معنى غيز من الغيظ ؟ أما رأيت قِدْراً يفور ؟ ساعة يفور القدر فإن بعض الفقاقيع تخرج منه وتنفصل عها في القدر ، وهذا و غيز ه أي تفترق ، والإنسان منا عندما يكون في حالة غيظ تخرج منه أشياء كفقاقيع غليان القدر إنه برغى ويزبد أي اشتد غضبه ، هذه الفقاقيع تحرق من يقف أمامها أو يلمسها ، وهي من شدة الفوران تميز بعضها وانفصل عن القدر ، كذلك النار ، يلمسها ، وهي من شدة الفوران تميز بعضها وانفصل عن القدر ، كذلك النار ، ولماذا تميز من الغيظ من الكافرين ؛ لأنها أصلها مُسبّحة حامدة شاكرة ، وبعد ذلك يقول لها الحق :

﴿ هَلِ ٱلْمُتَكَدِّبُ ﴾ وتقول : ﴿ هَلْ مِن مَّنِيدٍ ﴾ (من الآية ٢٠ سورة ق)

وذلك مما بدل على أن كلمة : « تميز من الغيظ » حقيقة ؛ ولذلك يبين لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن النار لها جاذبية ، فالنار إنما كانت نتيجة المعصية فى الدنيا ، والمعصية فى الدنيا هى التى تجذب العصاة ، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم فى ذلك : (مثل ومثلكم كمثل رجل أوقد نارا فجعل الفراش والجنادب يُقعَّن فيها وهو يذبَهُنَ عنها ، وأنا آخذ بِحُجُزكم عن النار وآنتم تَفَلَّدُن من يدى) (١) انظر إلى التشبيه الجميل ـ حين توقد ناراً فى خلاء فاول مظهر هو أن ترى الفراش والهوام والمعوض تأنى على النار ، ولذلك يقولون : ربَّ نفس عشقت مصرعها .

لقد جاءت تلك الحشرات على أساس أنها جاءت للنور ، إننا ترى ذلك عندما تُشعِل موقداً في الخلاء فأنت تجد حوله الكثير من هذه الحشرات صرعي ، تلك

⁽١) رواء أحد ومسلم عن جابر.

UNIV DO+00+00+00+00+0

الحشرات عشقت مصرعها ، إنها قد جاءت إلى النور ولكن النار أحرقتها ، كذلك الإنسان العاصي يعشق مصرعه ، لأنه لا يعرف أن هذه الشهوة ستدخله النار .

* فمن زُحرَح عن النار ، أى أن النار لها جاذبية مثل جاذبية المعصية عندما تأخذ الإنسان ، وعرد الزحزحة عن النار ، حتى وإن وقف بينها لا في النار ولا في الجنة فهذا حسن ، فها بائك إنَّ زُحزح عن النار وأدخل الجنة ؟ لقد زال منه عطب وأعطى صالحاً . وهذه حاجة حسنة ، وهذا هو السبب في أن النار مضروب على متنها الصراط الذي سنمر عليه ، لماذا ؟ حتى يرى المؤمن النار . . وهو ماش على الصراط التي لو لم يكن مؤمناً لتؤل فيها ، فيقول : الحمد الله الذي تجاني من تلك النار .

د فمن زُحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز » والفوز هو النجاة مما تكره ، ولقاء ما تحب ، مجرد النجاة مما تكره نعمة ، وأن تذهب بعد النجاة مما تكره إلى نعمة ، فهذا فوز ، ونلحظ في « زُحزح » أن أحداً غيره قد زحزخه ، نعم لأن الله تكرّم عليه أولاً في حياته بفيض الإيمان وهو الله وحزحه عن النار أيضا .

ويذيل الحق الآية بقوله تعالى : ﴿ وَمَا الْحَيَاةِ الَّذِنِيا إِلَّا مَتَاعَ الْغَرُورِ ۗ .

وعندما يصف الحق سبحانه الحياة التي نعرفها بأنها و دنيا ، ففي ذلك ما يشير إلى أن هناك حياة توصف بأنها و غير دنيا ، وغير الدنيا هي و العليا ، ولذلك يقول الحق في آية أخرى :

﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآنِيرَةَ لَمِي ٱلْحَيَوَانُ لَوْكَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾

إمن الآية 11 سورة العنكوت)

اى هى الحياة التى تستحق أن تُسمّى حياة ؛ لأن الدنبا لا يقاس زمانها ببدايتها إلى قيام الساعة ، لأن تلك الحياة بالنسبة للكون كله ، ولكن لكل فرد فى الحياة دنبا ليس عمرها كذلك ، وإغا دنبا كل فرد هى مقدار حياته فيها . ومقدار حياته فيها لا يُعلم أهو لحظة أم يوم أم شهر أم قرن . وقصارى الأمر أنها محدودة حداً خاصا لكل عمر ، وحداً عاماً لكل الأعيار .

(京説(説) ○○+○○+○○+○○+○○+○○+○ (4TA)

والمتعة في الدنيا على قدر حظ الإنسان في المتع ، فهى على قدر إمكاناته . فإذا نظرنا إلى الدنيا بهذا المعيار فإن متاعها يعتبر قليلًا ، ولهذا لا يصبح ولا يستقيم أن يغتر الإنسان بهذه المتعة متذكراً قول الله :

﴿ كُلَّ إِنَّ ٱلْإِنسَانَ لَيَطْغَنُّ ۞ أَن رَّ الْهُ ٱسْتَغْنَى ١٥ ﴿ هُ

(صورة العَلْق)

قالغرور إذن أن ثلهيك متعة قصيرة الأجل عن متعة عالية لا أمد لانتهائها ، فحتى لا يغتر عائش في الدنيا فيلهو بقليلها عن كثير عند الله في الأخرة يجب أن يقارن متعة أجلها محدود وإن طال زمانها مجتعة لا أمد لانتهائها ، متعة على قدر إمكاناتك ومتعة على قدر سعة فضل الله ؟ لذلك كانت الحياة الدنيا متاع غرور ممن غُرَّ بالتافه القليل عن العظيم الجليل .

والله لم يظلم الدنيا فوصفها أنها مناع ، ولكن نبهنا إلى أنها ليست المناع اللى يُغتر به فيلهى عن مناع أبقى ، إنه الحلود ، وبعد ذلك يقول الحق سبحانه وتعالى لرسوله ولأنباع رسوله قضبة تُنشىء فيهم وتؤكد لهم أن الإيمان وحده خير جزاء للمؤمن ، وإن لم يتأت له في الدنبا شيء من النعيم ، ولذلك أراد أن يوطنهم على أن الذين يدخلون الإيمان ، لا يوطنون أنفسهم على أن الإيمان دائماً منتصر ، فلو كان دائماً منتصر ألوطن كل واحد نفسه عليه ورضيه لانه يضمن له حياة مطمئنة ؛ لذلك كان منتصراً لوطن كل واحد نفسه عليه ورضيه لانه يضمن له حياة مطمئنة ؛ لذلك كان لا بدأن يوضح لهم : أن هناك ابتلاءات ، فالقضية الإيمانية أن تبتلوا ، وموقع البلاء في نفوسكم أو في أموالكم ، فقال :

﴿ لَتُهُلُونَ فَيُ أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَنَسَمَعُنَ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَلَبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ الشَّرَكُوَ الْذَى كَشِيرًا قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ الشَّرَكُوَ الْذَى كَشِيرًا

○1474 ○○◆○○◆○○◆○○◆○○◆○○◆○

وَإِن تَصَّهِ بِرُواْ وَتَنَّقُواْ فَإِنَّ ذَالِكَ مِنْ عَكَرْمِهِ ٱلْأَمُودِ ۞ ﴿ ﴿ اللَّهُ مُودِ ۞ ﴿ ﴿ اللَّهُ مُودِ ۞ ﴾

والبلاء في المال بماذا ؟ بأن تأن آفة تأكله ، وإن وجد يكون فيه بلاء من لون آخر ، وهي اختبارك هل تنفق هذا المال في مصارف الحير أو لا تعطيه لمحتاج ، فمرة يكون الابتلاء في المال بالإنهاء ، ومرة في وجود المال ومراقبة كيفية تصرفك فيه ، والحق في هذه الآية قدم المال على النفس ؛ لأن البلاء في النفس يكون بالفتل ، أو بالحرح ، أو بالمرض . فإن كان القتل فليس كل واحد سيقتل ، إنما كل واحد سيأتيه بلاء في ماك .

« ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا علما إذن معسكران للكفر : معسكر أهل الكتاب ، ومعسكر المشركين . هذان المعسكران هما الملذان كانا يعاندان الإسلام ، والأذى الكثير غثل فى عاولة إبذاء الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأذى الاستهزاء بالمؤمنين ، وإهل الكفر والشرك يقولون للمؤمنين ما يكرهون ، فوطنوا العزم أيها المسلمون أن تستقبلوا ذلك منهم ومن ابتلادات السهاء بالقبول والرضا .

ويخطىء الناس ويظنون أن الابتلاء في ذاته شر" ، لا : إن الابتلاء مجرد اختبار ، والاختبار عرضة أن تنجح فيه وأن ترسب ، فإذا قال الله : « لتبلون » ، أى ساختبركم - ولله المثل الأعل - كيا يقول المدرس للتلميل : سامتحنك و فنبتليك » يعنى نختبرك في الامتحان ، فهل معنى ذلك أن الابتلاء شر" أو خير ؟ . إنه شر" على من لم يتقن المتصرف . فالذي ينجح في البلاء في المال يقول : كله فائت ، وقلل الله مستوليتي ، لأنه قد يكون عندى مال ولا أحسن أداء في مواقعه الشرعية ، فيكون المال على فتنة . فالله قد أخذ مني المال كي لا يدخلني النار ، ولذلك قال في سورة المقبر » :

﴿ قَأَمًا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَنهُ رَبُّهُ إِنَّا كُرَمَهُ وَنَغَمُّهُ فَبَقُولُ رَّبِّ أَكُرُمُن فَيْ

وَأَمَّ إِذَا مَا آبَتَكُ فَفَدَرَ عَنْهِ رِزْقَهُ مُ فَيَقُولُ رَبِّي أَعْنَانِ ١٠٠٠ ﴿ وَأَمَّا إِذَا مَا آبَتُكُ فَفَدَنِ ١٠٠٠ وَإِنَّ أَعْنَانِ ١٠٠٠ ﴾

(سورة الفحر)

فهنا قضيتان اثنتان : الإنسان يأتيه المال فيقول : ربى أكرمني ، وهذا أفضل ممن جاء قيه قول الحق :

﴿ قَالَ إِنَّمَ ۚ أُو بِيتُهُ, عَلَى عِلْمٍ عِندِينَ ۚ أَوْلَمْ يَعْلَمُ ۚ أَنَّ اللَّهُ قَــَدْ أَهْلَتُ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْفُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ﴾

إمن الأية ٧٨ سورة القصص)

إذن قالذي نظر إلى المال وظن أنّ الغني إكرام ، ونظر إلى الفقر والتضييق وظن أنه . إهانه ، هذا الإنسان لا يفطن إلى الحقيقة ، والحقيقة يقولها الحقيء كلاء أي أن هذا الغلن غير صادق ؛ فلا المال دليل الكرامة ، ولا الفقر دليل الإهانة ، ولكن متى يكون المال دليل الكرامة إن جاءك وكنت موفقاً في أن تؤدى مطلوب المال عندك للمحتاج إليه ، وإن لم نؤد حق الله فالمال مذلة لك وإهانة ، فقد أكون غنياً لا أعطى الحق ، فالفقر في هذه الحالة أفضل ، ولذلك قال الله للاثنين : وكلاء ، وذلك يعنى : لا إعطاء المال دليل الكرامة ولا الفقر دليل الإهانة .

وأراد سبحانه أن يدلل على ذلك فغال :

﴿ كَ أَمَّا لِلاَ أَكْرِهُونَ ٱلْبَتِيمَ فِي وَلَا أَغَنَّهُونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ فِي وَلَا أَعْدَ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ فَقَالِمُ اللهُ اللهُ اللهُ فَقَالِمُ اللهُ اللهُ فَقَالِمُ اللهُ اللهُ فَقَالِهِ ﴾

(صورة الفجر)

« كلا بل لا تكرمون البتيم » ومادمتم لا تكرمون البتيم فكيف يكون المآل دليل الكرامة ؟ إن المال هنا وزر ، وكيف إن سلبه منك يا من لا تكرم البتيم يكون إهانة ؟ . . إنه سبحانه قد نزهك أن تكون مهانا ، فلا تتحمل مسئولية المال ، إذن فلا المال دليل الكرامة ، ولا الفقر دليل الإهانة .

« كلا بل لا تكرمون اليتيم ولا تخاضون على طعام المسكين » وحتى إن كنت لا تمثلك ولا تعطى أفلا تحث من عنده أن يُعطى ؟ أنت ضنين حتى بالكلمة ، فمعنى تحض على طعام المسكين . أى تحث غيرك ، فإذا كنت تضن حتى بالنصح فكيف تقول إن المال كوامة والفقر إهانة ٢ . . « كلا بل لا تكرمون الينيم ولا تحاضون على طعام المسكين وتأكلون التراث أكلاً لمما » أى تأكلون الميرات وتجمعون في أكلكم بين نصيبكم من الميراث ونصيب غيركم دون أن يتحرّى الواحد منكم هل هذا المال على حلال أو حوام . . فإذا كانت المسألة هكذا فكيف يكون إيتاء المال تكريماً وكيف يكون الفقر إهانة ؟ . . لا هذا ولا ذاك .

" لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا و والذي يقول هذا الكلام : هو الله و إذن لا بد أن يتحقق و فيارب أنت قلت لنا : إن هذا سيحصل وقولك سيتحقق و فإذا أعطيتنا لنواجه ذلك ؟ اسمعوا العلاج : و وإن تصبروا وتنقوا فإن ذلك من عزم الأمور و . . تصبر على الابتلاء في المال و تصبر على أذى المعسكر المخالف من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا و إن صبرت فإن ذلك من عزم الأمور و والعزم هو : القوة المجتمعة على الفعل و فأنت تنوى أن تفعل و وبعد ذلك تعزم يعنى تجمع القوة و فقوله : و فإن ذلك من عزم الأمور و أي من مغروماتها التي تقتضى الثبات منك و وقوة التجميع والحشد لكل مواهبك لتفعل و مغروماتها التي تقتضى الثبات منك و وقوة التجميع والحشد لكل مواهبك لتفعل و

إذن فالمسألة امتحان فيه ابتلاء في المائ ، وابتلاء في النفس وأذى كثير من الذين أشركوا ومن الذين أوتوا الكتاب ، وذلك كله يحتاج إلى صبر ، وه الصبر ، كما قلنا لوعان : ه صبر على » وه صبر عن » ، ويختلف الصبر باختلاف حرف الجو ، صبر عن شهوات نفسه التي تزين للإنسان أن يفعل هذه وهذه ، فيصبر عنها ، والطاعة تكون شاقة على العبد فيصبر عليها ، إذن ففي الطاعة بصبر المؤمن على المتاعب ، وفي المصبة يصبر عن المغربات .

وه لتبلون في أموالكم وأنفسكم ، توضع أنه لا يوجد لك غريم واضح في الأمر ، فالافة تأتي للمال ، أو الافة تأتي للجسد فيمرض ، فليس هنا غريم لك قد تحدد ،

の日本の日本の日本の日本の1977の

ولكن قوله: و ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا و فهذا تحديد لغريم لك ، فساعة ترى هذا الغريم فهو يهيج فيك كوامن الانتقام ، فأوضح الحق : إيال أن تمكنهم من أن يجعلوك تنفعل و وأجّل عملية الغضب ، ولا تجعل كل أمر يَسْتَخِفّك ، بل كن هادئا ، وإياك أن تُسْتَخَفّ إلا وقت أن تتيقن أنك ستنتصر ، ولذلك قال : « وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور » .

وانقوا مثل واتقوا الله ، أي انقوا صفات الجلال وذلك بأن تضع بينك وببن ما يَغِضَبُ اللهُ وَقَايَةً . عَن أَسَامَةً بِن زَيْدُ أَنْ رَسُولُ اللهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهُ وَسَلَّم ركب على حمار عليه قطيفة فدكية وأردف أسامة بن زيد وراءه يعود سعد بن عبادة ببني الحارث بن الخزوج قبل وقعة بدر حتى مرَّ على مجلس فيه عبدالله بن أبي بن سلول وذلك قبل أن يسلم ابن أبَّى ، وإذا في المجلس اخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان وأهل الكتاب اليهود والمسلمين وفي المجلس عبدالله بن رواحة ، فلما غشيت المجلس عجاجة الداية خُمْر عبدالله بن أبي أنفه بردائه وقال : لا تغيروا علينا ، فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم وقف فنزل ودعاهم إلى الله عز وجل وقرأ عليهم القرآن فقال عبدالله بن أبي : أيها المرء إنه لا أحسن تما تقول إن كان حقا قلا تُؤْذنا في مجالسنا ، ارجع إلى رحلك فمنجاءك فاقصص عليه ، فقال عبدالله بن رواحة رضي الله عنه : بلل يا رسول الله فاغشنا به في مجالسنا فإنا نحب ذلك ، فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتناورون، فلم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكنوا ، ثم ركب النبي صلى الله عليه وسلم دابته فسار حتى دخل على صعد بن عبادة فقال له النبي صل الله عليه وسلم : * يا سعد * ألم تسمع إلى ما قاله أبو حباب ؛ ؟ يريد عبدالله بن أبي ، قال : كذا وكذا فقال سعد : يا رسول الله اعفُّ عنه واصفح فوالذي أنزل عليك الكتاب لقد جاءك الله بالحق الذي نزل عليك ، ولقد اصطلح أهل هذه البحيرة على أن يتوجوه فيعصبوه بالعصاية فلها أبي الله ذلك بالحق الَّذِي أعطاك الله شرقُ بذلك ، فذلك الذي فعل به ما رأيت . فعفا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم(١).

⁽١) رواه البخاري في صحيحة عند تنسير ملم الأية

(現場) (Altrocioo+0o+0o+0o+0o+0

ويقول الحق من بعد ذلك :

ونعرف ـ من قبل ـ أن الله قد أخذ عهداً وميثاقاً على كل الأنبياء أن يؤمنوا بوسالة محمد عليه الصلاة والسلام في قوله :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِنْكُنَّ ٱلنَّبِيشِ لَمَا مَا أَنْيَعُكُمْ مِن كِنَنْ وَحِكْمَةٍ ثُمُّ جَاءَكُمْ وَسُولُ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُوْمِنُنَّ بِهِ مَ وَلَنْتُصَرِّنَهُ ۚ قَالَ مَأْفُرُونَمْ وَأَخَذَهُمْ عَلَى ذَالِحَدُمُ الْمَرِى قَالُوا أَفَرَدُنَّ قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّلِهِ بِنَ الشَّلِهِ بِنَ اللهِ

و مورة آل همران ع

ونأى هنا إلى عهد وميثاق آخذه الله على أهل الكتاب الذين أمنوا بانبيانهم ، هذا العهد هو : • وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتواالكتاب لتبيئنه للناس ولا تكتمونه ، .

فها الذي يبينونه ؟ وما الذي يكتمرنه ؟

وهل هم يكتمون الكتاب ؟ نعم لأنهم ينسون بعضا من الكتاب ، وما داموا ينسون بعضاً من الكتاب فمعنى ذلك أنهم مشغولون عنه :

﴿ فَنَسُوا حَفَّا يَمَّا ذُكِّرُوا بِيهِ ﴾

(من الآية ١٤ سورة المائلة)

والذي لم ينسوه من المنهج ، ماذا فعلوا به ؟:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكُنُّمُونَ مَا أَتَوْكَا مِنَ الْمِينَاتِ وَٱلْمُدَّىٰ مِنَ بَعْدِ مَا بَيَّنَّنَّهُ لِلنَّاسِ فِي

الْكِتَابِ أُولَالِكَ يَلْفَهُمُ اللهُ وَيَلْفَهُمُ اللَّهُ وَيَلْفَهُمُ اللَّهِ وَنَ الْمُعْدُونَ ١

(سورة البقرة)

لقد كتموا البيئات التي أنزلها الله في الكتاب ، فالكتم عملية اختيارية ، أما النسيان فقد يكون لهم العذر أنهم نسوه ، لكنهم يتحملون ذنباً من جهة أخرى ، إذ لو كان المنهج على بالهم وكانوا يعيشون بالمنهج لما نسوه . والذي لم ينسوه كتموا بمضه ، والذي لم يكتموه لووا به ألسنتهم وحرّفوه .

وهل اقتصروا على ذلك ؟ لا . بل جاءوا بشئء من عندهم وقالوا : هو من عند الله :

﴿ قَرَيْلَ لِلْمَدِينَ يَكَنَبُونَ الْكِتَنَبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَنَدَا مِنْ عِندِ اللّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ مَا ثَمَنَ عَلَيْهِ مِنْ مَنْ اللّهِ لِيَنْ تَرُواْ بِهِ مَا ثَمَنَ عَلَيْهِ مِنْ مَنَا عَلَيْهِمْ وَوَيْلٌ لَمْمُ مِنَى يَكُومُونَ ﴿ اللّهِ مِنْ مَا كُنَبَتُ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَمْمُ مِنَى يَكُومُونَ ﴿ اللّهِ مَنْ اللّهِ مِنْ وَوَيْلٌ لَمْمُ مِنَى يَكُومُونَ ﴿ اللّهِ مَنْ اللّهِ مِنْ وَوَيْلٌ لَمْمُ مِنَا كُنَبُتُ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَمْمُ مِنَى يَكُومُونَ ﴿ اللّهِ مَنْ اللّهِ مِنْ مَنْ اللّهُ اللّهُ مَنْ مِنْ اللّهِ مَنْ اللّهُ اللّهُ مَنْ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ ال

(سورة البقرة)

وتولهم : « هذا من عند الله ، ما يصح أن يقال إلا لبلاغ صادق عن الله ، وكلمة « ليشتروا به ثمناً قليلا ، لا بد أن توسع مدارلها قليلا ، ولها معنى عام ، ونحن نعرف أن الثمن تشتري به ، فكيف تشتري أنت الثمن ؟ أنت إذن جعلت الثمن سلعة ، وما دام الثمن يُجعل سلعة فيكون ذلك أول مخالفة لمنطق المبادلة ؛ لأن الأصل في الاثهان أن يُشتري بها ، أصل المسألة أنَّ نَعْت وسول الله صلى الله عليه وسلم كان موجوداً عندهم في الكتب ثم أنكروه .

﴿ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْنِيحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَاةَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ ٢ ﴾ (من الآية ٨٥ سورة البقرة) إذن فقوله: « لتبيننه » يعنى لتبينن أمر الرسول صلى الله عليه وسلم ، كها هو موجود عندكم دون تغيير أو تحريف ، وعندما يبينون أمر الرسول بأوصافه وتعوته فهم يبينون ما جاء حقاً في الكتاب الذي جاءهم من عند الله . وهكذا نجد أن المعانى تلتقى ، فإن بينوا الكتاب الذي جاء من عند الله ، فالكتاب الذي جاء من عند الله فيه نعت محمد ، وهكذا نجد أن معنى تبين الكتاب ، وتبيين نعت وسول الله بالكتاب أمران ملتقيان .

« لنبيئته للناس ولا تكتمونه فبذوه وراء ظهورهم » يقال : نبذت الشيء أي طرحته بقوة ، وذلك دليل على الكراهية ؛ لأن الذي يكره شيئاً يجب أن يقصر أمد وجوده ، ومثال ذلك : لنفترض أن واحداً أعطى لآخر حاجة ثم وجدها جرة تلسعه ، ماذا يفعل ؟ هو يلا شعور يلقيها بعيداً . والنبذ له جهات ، ينبذه يجينه ، ينبذه شهاله،أما إذا نبذه خلفه ، فهذا دليل على أنه ينبذه نبذة لا النفات إليها أبداً ، انظر التعبير القرآني « فنهذوه وراء ظهورهم » .

إن النبذ وحده دليل الكراهية لوجود الشيء الذي يبغضه ، إمعان في الكراهية والبغض ، فلو رمى إنسان شيئاً أمامه فقد يمن له عندما يراه أو يتذكره ، لكن إن رماه وراه ظهره فهذا دليل النبذ والكراهية تماما ، ولذلك يقولون : لا تجعلن حاجتي بظهر منك ، يعنى لا تجعل أمرا أريده منك وراه ظهرك ، والحق يقول : « فنبذوه وراء ظهره م الى أنهم جماعة وه ظهور » جمع « ظهر » ، كأن كل واحد منهم نبذه وراء ظهره ، وكأن هناك إجماعاً على هذه الحكاية ، وكأنهم اتفقوا على الضلال ، واستروا به ثمناً قليلاً فيئس ما يشترون . والمشترى هنا هو الثمن ، والنمن يُشترى به ذ ولندق النظر في التعبير القرآن ، فهناك واحد يشترى هذا الأمر بأكلة ، وأخر يشترى هذه الحكاية بحلة أو لباس ، وهناك من يشتريها يحاجة وينتهى ، إنما هم يقولون : نريد نقوداً ونشترى بها ما نحب ، هذا معنى « واشتروا به ثمناً » .

ويعلق الحق على ما يشترونه قائلاً : و فبئس ما يشترون ۽ لماذا ؟ لانك قد نظن أن بالمال ـ وهو الثمن ـ تستطيع أن تشترى به كل شيء ، ولكن النقود لا تنفع الإنسان كما تنفعه الحاجة المباشرة ؛ لاننا قلنا سابقاً : هب أن إنساناً في مكان صحراوي ومعه

(規)線 (D)+00+00+00+00+01971(0)

جبل من ذهب وليس معه كوب ماء ، صحيح أن المال يأل بالأشياء ، إنما قد يوجد شيء تافع من الأشياء يغنى ما لا يغنيه المال ولا الذهب ، فبكون كوب الماء مثلاً بالدنيا كلها ، ولا يساويه أي مال دفيش ما يشترون » .

وبعد ذلك يقول الحق :

﴿ لَا تَحْسَبَنَ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آَنُواْ وَيُجِبِنُونَ آَنَ يُحْسَمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ فَلَا تَحْسَبَنَهُم بِمَفَازَةٍ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابُ آلِيعٌ ﴿ اللَّهِ اللَّهُ اللّ

والحسبان للأمر أن يظنه السامع دون حقيقته ، والأمور التي يظنها السامع تسير أولاً على ضوء الشيء الواضح دون الندبر لما وراء واجهات الأشياء ، فالذين يفرحون بما أتوا توعان : نوع يفرح بما أتاه مناهضاً لدعوة الحق كالمنافقين الذين فرحوا بانهم غشوا المؤمنين ، وتظاهروا بالإيمان فعاملهم المؤمنون بحق الانحوة الإيمانية ، حدث هذا قبل أن يكشف الحق هؤلاء المنافقين للوسول صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين من بعد ذلك .

ونوع آخر يفرح لما أتاه وجاء به مناصراً لدعوة الحق فالفرح الأول ـ وهو فرح المنافقين ـ محنوع ، والفرح الثاني مشروع . ولذلك يقول الحق :

﴿ قُلْ فِمَضْلِ آهَدِ وَبِرَحْمَتِهِ ء فَيِذَ اللَّهُ فَلْيَغْرَحُوا ﴾

(من الآية ٨٥ صورة يونس)

إذن فلم ينه الله عن مطلق الفرح ولكن ليفرحوا يفضل الله . إنه سيحانه قد نهى عن نوع من الفرح في مسألة قارون :

﴿ إِذْ قَالَ لَهُ مُ قَوْمُهُ لِلاَنْفَرَجُ إِنَّ اللَّهُ لَايُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴾

(من الآية ٧٦ سورة القصص)

وهكذا نجد آيات تنهى عن الفرح وآيات تثبت للمؤمنين الفرح ، وتأمرهم به . إذن فالفرح في ذاته ليس محقوتاً ، ولكن الممقوت بعض دواعي ذلك الفرح ، فدواعيه عند المؤمن أن يفرح بنصر الله ، وأن يفرح بإعلاء كلمة الحق ، وهذه دواع مشروعة . ودواعيه الممتوعة أن يفوح بأن ينف أمام مبدأ من مبادئ الله ليدحض ذلك المبدأ ، وهذا ما يفرح به الكافر ، ولكن الفرح الحقيقي هو الفرح اللي لا يعقبه ندم ، ففرح المؤمن موصول إلى أن تقوم الساعة ، وموصول بعد أن تقوم الساعة . ولكن فرح الكافر والمنافق وأهل الكتاب الذين يصورون الله على غير الساعة . ولكن الندم بعد الفرح محقيقته قرح موقوت ومحقوت ، إذن فذلك لا يعتبر فرحاً ؟ لأن الندم بعد الفرح يعطى عاقبة شر ؛ لأن النادم يتحسر دانها على فعله قهو في غم وحزن .

فالحق سبحانه وتعاتى يريد أن يعطى للمؤمن مناعة ، إنكم أيها المؤمنون تواجهون معسكرات تعاديكم . هذه المعسكرات ستفرح بما أتنه ضدكم فيجب ألا يفتّ ذلك في عضدكم ، ولا تحسبنهم إن فعلوا ذلك بمنجاة من العذاب ، ومادام فرحهم سيؤدى بهم إلى العذاب فهو فرح أحمق .

وماذا صنع الذين جاء قيهم القول: ولا تحسبن الذين يفرحون بما أنوا ۽ يحتمل أن يكون المراد هم أهل الكتاب الذين كتموا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأن الآية السابقة تقول: ووإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيئنه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم ۽ ماذا قعل هؤلاء إذن ؟ لفد كتموا أوصاف رسول الله وتعته الموجود في كتبهم وفرحوا بما كتموا ، وبعد ذلك أحبوا أن مجمدوا بما فعلوا من الذين على طريقتهم في الكفر والضلال.

إن الإنسان قد يأى الذنب ولكنّه يندم بعد أن يقعله ، ولكنه حين يسترسل فيفرح بما فعل فذلك ذنباً ، والفرح به ذنباً آخر ؛ لأنه لو ندم على ما فعله لكان الندم دليلا على التوبة ، أما أن يأن العمل وبعد ذلك يفرح

به ثم يأتي بعد ذلك الأشد ؛ فيحب أن يُحمد بما لم يفعل ، فذلك من تمام الحمق ، إنه جرم وذنب مركب من فعل آثم ، فقرح به ، فحب لحمد على شيء لم يفعله .

أكان يجب أن يُحمد بما فعل أو بما لم يفعل ؟ بما لم يفعل ، لأنه خلع على أمره غير الحقى ، وإذا قال قائل : إنها نزلت في المنافقين الذين تخلفوا عن رسول الله فالقول عتمل ؛ لأن هؤلاء تخلفوا عن الحرب مع رسول الله وفرحوا بأن مناعب السفر ومناعب الجهاد لم تنلهم ، وبعد ذلك اعتقروا لمرسول الله صلى الله عليه وسلم اعتقارات كاذبة ولو ندموا لكان خيراً لهم، ولم يتضع للمسلمين كذبهم فحمدوا لهم ذلك الاعتقار ، إنهم قد أتوا الذنب ، وفرحوا بأنهم أنوه ، ونجوا من مغارم الحرب ، وبعد ذلك فرحوا أيضاً بأنهم أحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا ، لأن اعتقارهم كان نفاقاً ، سواء كان هذا أو ذاك فالآية على إطلاقها : للذين يفرحون اعتقارهم كان نفاقاً ، سواء كان هذا أو ذاك فالآية على إطلاقها : للذين يفرحون اعتقارهم كان نفاقاً ، سواء كان هذا أو ذاك فالآية على إطلاقها : للذين يفرحون على شيء ثالث ، إذن فالذنب مركب ، فهم يسترون الأمر ويبينون نقيضه كي عليه شيء ثالث ، إذن فالذنب مركب ، فهم يسترون الأمر ويبينون نقيضه كي خمدهم ونشكرهم ، والحق سبحانه وتعالى يعطى لهذا دستوراً إبائياً لمطلق الحياة .

« ويجبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا » وهل المنعى عليهم أنهم يجبون أن يحمدوا ؟ أو المنعى عليهم المنعى عليهم والمأخوذون به أنهم يجبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا ؟ إن المنعى عليهم أنهم يجبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا ؟ لأن الإنسان إن أحب أن يُعدح بما فعل قلا مانع ، والقرآن حين يعالج نفساً بشرية خلقها الله بملكات ، فهو يعلم مطلوبات الملكات ، بعض الملكات قد تحتاج إلى شيء فلا يتجاوز الله هذا الشيخ ، إن الإنسان مطبوع على حب الثناء من الغير ، لأن حب الثناء يثبت له وجوداً ثانيا ، ووجودك الثان هو أن تعبر عن نفسك بعملك الذي يكون مبعث الثناء عليك ، والناس لا تشي على وجودك ، كانها تشي على فعلك .

ومادام الإنسان يحب الثناء فسيغريه ذلك بأن يعمل ما يُثنى به عليه ، ومادام يُغرى بما يُثنى به عليه ، ومادام يُغرى بما يُثنى عليه فسيعمل بإتفان أكثر ، وساعة يعمل فإن المحيط به ينتفع من عمله ، والله يريد إشاعة النفع فلا يمنع صبحانه حب الثناء كي يزيد في الطاقة الفاعلة للأشياء ؛ لأنه لو حرّم ذلك الثناء فلن يعمل إلا من كانت ملكاته سوية ، وصيفقد *

814466400400400+00+0

المجتمع طاقات من كانت ملكاته قليلة ، فصاحب الملكات القليلة يريد أن مجلح ، فلا مانع من مدحه ليزيد من العمل ، ويُعدح مرة ثانية ، وتستفيد الناس ، والذي ينتظر الثناء من الناس تنزل منزلته ومرتبته عن مرتبة من انتظر التقدير من الله ، فهو الذي جني على نفسه في ذلك . لكن لابد أن نمدحه كلى يعمل بما فيه من غريزة حب الثناء فنكون قد زدنا من عدد طاقات العاملين .

ولذلك نجد أن الحق سبحانه وتعالى حينها عرض لهذه القضية ، وهي قضية تزكية الصالح وتجريم الطالح الفاسد في قصة « ذي القرنين » يقول تعالى :

﴿ وَيَسْفَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ مَا تَلُوا عَلَيْتُمْ مِنْهُ ذِكُا ﴿ إِنَّا مَكَا لَهُمْ فِي الْأَرْضَ وَءَاتَبُنَكُ مِن كُلِّي فَنِي وَسَبَّهُ ﴿ ﴾ الْأَرْضَ وَءَاتَبُنَكُ مِن كُلِّي فَنِي وَسَبَّهُ ۞ ﴾

(سورة الكهف)

كى تعلم أن المَكُنَ لا يُمَكّنُ بذاته وإنما هو ممكن بمن مَكّنة ، فلو كان عنده تفكير إبحانى ، لما أغرته الأسباب أن يتمرد ؛ لأن الإبحان يعلمه أن الأسباب ليست ذاتية . ومن أجل أن يثبت الله أن الأسباب غير ذاتية فهو ينزع الملك عن يشاء ، ويهب الملك من يشاء ، نقول له : لو كانت الأسباب ذاتية فتمسك بها ، لكن الأسباب هبة من الله ۽ وآئيناه من كل شيء سببا ۽ وحين يأتيه الله الأسباب فالأسباب أنواع : سبب مباشر للفمل ، وسبب متقدم على السبب المباشر ، فأنت إذا ارتديت ثوباً جيلاً ، فوراء ذلك أنك أتيت بالقياش الذي نسجه النساج ، والنساج استطاع إتفان عمله بمد أن قام الغزال يغزل القطن ، والقطن نتج لأن فلاحاً بقر البلور ورعى الأرض بالحرث والري . فأنت إن نظرت إلى الأسباب المباشرة المتلاحقة فانظر إلى نهاية بالأسباب ، وستصل إلى شيء لا سبب له إلا المسبب الأعلى وهو الله _جلت قدرته _ .

وسلسل أى شيء فى الوجود ستجد أنك أخيراً أمام سبب خلقه الله ، مثال ذلك النور الكهربي الذى تتمتع أنت به . ستجد أن المعمل قام بصنع الزجاج الخاص بالمصابيح الكهربية ، ونوع من المصانع يصنع الأسلاك الموجودة بالمصباح ، وستنتهى إلى شيء موجود لا يوجد فيه بشر ، فتصل إلى الحق سبحانه وتعالى .

のの+のの+のの+のの+のの+の 141·の

أنث مثلاً جالس على الكرسى . وقد تقول : لقد صنعه النجار والنجار جاء بالحشب من البائع ، والبائع جاء بالحشب من الغابة ، قمن أين جاء الحشب إلى الغابة ؟ تقول : لا أعرف ، أما إذا كان عندك الحس الإيماني فأنت تقول : أوجده الله . وحين تنتهى الأسباب وسلسلتها نجد الله الخالق ، إنا مكنا له في الأرض وآتيتاه من كل شيء سببا فأتبع سببا ، فعندما أعطاه الله الأسباب جاء هو بالوسائط فقط ، إذن فالأصل كله من الله .

ويتابع الحق: وحتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمته عدا في عين الناظر فقط ، فأنت حين تركب البحر ثم ترى الشمس عند الغروب تغطس في البحر ، وعندما تذهب للمنطقة التي غطست الشمس فيها تجد الشمس موجودة ؛ لأنها لا نغيب أبدا، إنما وتغرب في عين حمته الى فوجد الشمس في نظره عند غروبها عنه كأنها تغرب في مكان به عين ذات ماء حار وطين أسود . ويتابع الحق : و ووجد عندها قوماً قلنا ياذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا ،

والناس تفهم أن هذا تخير، يعنى إما أن تعذبهم ، وإما تحسن إلى من كنت تعذبهم ، لكن الدقة والتمعن يوضحان لنا أن الحق قد أعطى تقويضاً لذى القرنين ، بقوله : « إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا » فَفَهمَ ذو القرنين عن الله التقويض ، ولم يأخذ التقويض وافترى ، بل قال : « أما من ظلم فسوف نعذبه » . وليس هذا هو العذاب الذي يستحقه ، لا ، نحن سنعذبه في دنيانا كي لا يستشرى فيها الشرّ . وفوق ذلك سيعذبه الله عذاباً آخر .

« أما من ظلم فسوف تعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذاباً نكرا » إنه أولاً لم يصف عذابه بنكر ، إنما وصف عذاب الله فقال : « فيعذبه عذاباً نكرا » ، لأن عذاب البشر للبشر على قدر البشر ، لكن عذاب الله يتناسب مع قدرة الله ، فهل لنا طاقة بهذا العذاب والعياذ بالله ؟ ليس لنا طاقة به ، وماذا عن موقف ذى القرنين من الذى آمن ؟ إنه موقف غنلف .

يقول الحق : و وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسني وسنقول له من أمرنا

会のりり

يسراً ؛ هو يجازيه بالحسنى ويعطيه المكافآت ويكرمه ، وعندما يتساءل من يجب الثناء قائلًا : لماذا كرَّم هذا ؟ ويرى أسباب التكريم فيقول لنفسه لأصنعنَّ مثله كى أكرَّم . ولذلك تجد الشباب يتهافت حتى على اللعب بكرة القدم لماذا ؟ لأنهم يجدون من يضع هدفاً في كرة القدم يكرَّم ، فيقول : أنا أريد أن أضع هدفاً .

هذا وإن ديننا الحنيف يدعونا إلى أن نشكر من قدم خبرا أو أسدى معروفا خفزاً للهمم وتشجيعا لبذل الطاقات وفي الأثر : ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله و إذن فحب الثناء من طبيعة الإنسان ، ولكي تُغرى الناس بأن يعملوا لابد أن تأقي لهم بأعيال تستوعب طاقاتهم المتعددة ، أما إذا اقتصر إتقان العمل على من لا يجبون الثناء ، فسنقلل الأبدى التي تفعل ، ولذلك تجد العمل حيث توجد المكافأة التشجيعية التي يأخذها من يستحقها ويقابلها من التجريم والعقوبة لمن يهمل في عمله ، فلا يمنح رئيس عمل مكافأة لمن عملوا على هواهم ، بل عليه أن يمنحها لمن أدى عمله بإتقان . وحين يعلم الناس أنه لا يجازى بالخبر ولا يكرم بالقول إلا من فعل فعل حقيقياً ، لكن عندما تجد الناس أن المكافآت فعل فعل حقيقياً ، لكن عندما تجد الناس أن المكافآت وحكذا ثأتي الحقية فسيفعلون ذلك ،

وهكذا تجد أن قوله الحق: ولا تحسبن الذين يفرحون بما أتواه.

إن هذا القول يضع أساساً ودستوراً إيمانياً لمطلق الحياة ، وعلاقة الحاكم بالمحكومين ، وعلاقة الفرد بنفسه ويمن حوله . وعلاقة الإنسان بالعمل الصالح أو باللذتوب ؛ قالإنسان إذا ما أتى ذنباً ، فربما يكون قد نفس عن نفسه بارتكاب الذنب ، لكن بعد ما تهدا شرة المعصية يجب عليه أن ينتبه فيندم ولا يفرح . هذه أول مرحلة . ولا يتهادى في ارتكاب الذنب ، أما إذا تمادى وخلع على فعله النقيض وادّعى أنه قد أتى فعلا حسناً حتى يناله مدح بدلاً من أن يناله ذم فذلك ذنب مركب ، ويحشره الله ضمن من قال فيهم : « فلا تحسينهم بمفارة من العذاب ، ,

والمفازة هي المكان الذي يظن الإنسان أن فيه نجاته ، أي أن في هذا المكان فوزأ

له ، ويطلقون كلمة و مفازة و على الصحراء إطلاقاً تفاؤلياً ، لا يسمونها و مهلكة و لأن الذي كان يجويها يهلك فسموها و مفازة و تفاؤلاً بأن الذي يسلكها يفوز ، أو أن الصحواء أرض مكشوفة فلن يصادف الصحواء أرض مكشوفة فلن يصادف ما يخافه من حيوانات شرسة أو من وافدات ضارة كالحيّات ، أو من عدو راصد ، ما يخافه من حيوانات شرسة أو من وافدات ضارة كالحيّات ، أو من عدو راصد ، وفي ذلك فوز له ، لأنه تجنب هذه المخاطر ، إنه إن سار في الجبال والوديان فمن الممكن أن تستر عنه الدين يتبعونه الممكن أن تستر عنه الوحوش المفترسة أو الهوام أو تستر عنه الذين يتبعونه فلا يتوقاهم وقد يصيبونه بالأذي ، فإذا ما ذهب إلى الأرض المكشوفة نجا من كل فلا يتوقاهم وقد يصيبونه بالأذي ، فإذا ما ذهب إلى الأرض المكشوفة نجا من كل هذا لأنه يناى ويبتعد عنهم ، وتكون التسمية على حقيقتها ، ومن يرى أن الصحواء مهلكة فليعرف أنها سميت و مفازة و تفاؤلاً ، كما يسمون اللديغ الذي لدغه الثعبان بد و السليم و .

ونحن في أعرافنا العادية نتفاءل فنضع للشيء اسها ضد مسهاه نفاؤلاً بالاسم ، مثال ذلك : إذا كنت في ضيافة إنسان وقدم شراباً . قهوة مثلاً ، وبعد أن نشرب القهوة يأتى الحادم فيقول من قدم لك القهوة لحادمه : تعال دخد المملوء؟ ولا يقول : دخد الفارغ ، وهذا لون من التفاؤل .

العلائة عن العداب ولهم عداب اليم » هم يظنون أنهم بمفازة من العداب برغم أنهم بمفازة من العداب برغم أنهم لا يؤمنون بالحق ، ولا يؤمنون بسيطرة الحق على كل أحوالهم وكل أمورهم فهم يظنون أن انتصارهم في معركة الدنيا لا هزيمة بعده ، ولكن الحق بعد هذه الآية قال :

﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَاوَتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَى كُلِّ مَلْكُ ٱلسَّمَاوَتِ وَٱلْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ مَا اللَّهُ عَلَى كُلِّ مَا اللَّهُ عَلَى كُلِّ مَا اللَّهُ عَلَى كُلِّ مَا اللَّهُ عَلَى كُلِّ اللَّهُ عَلَى كُلَّ اللَّهُ عَلَى كُلِّ اللَّهُ عَلَى كُلَّ اللَّهُ عَلَى كُلِّ اللَّهُ عَلَى كُلِّ اللَّهُ عَلَى كُلِّ اللَّهُ عَلَى كُلَّ اللَّهُ عَلَى كُلِّ اللَّهُ عَلَى كُلِّ اللَّهُ عَلَى كُلَّ اللَّهُ عَلَى كُلِّ اللَّهُ عَلَى كُلَّ اللَّهُ عَلَى كُلِّ اللَّهُ عَلَى كُلِّ اللَّهُ عَلَى كُلِّ اللَّهُ عَلَى كُلِّ اللَّهُ عَلَى كُلُّ اللَّهُ عَلَى كُلَّ اللّهُ عَلَى كُلَّ اللَّهُ عَلَى كُلَّ اللَّهُ عَلَى كُلِّ اللَّهُ عَلَى كُلِّ اللَّهُ عَلَى كُلَّ اللَّهُ عَلَى كُلَّ اللَّهُ عَلَى كُلِّ الللَّهُ عَلَى كُلَّ اللَّهُ عَلَى كُلْ اللَّهُ عَلَى كُلَّ اللَّهُ عَلَيْ كُلَّ اللَّهُ عَلَى كُلَّ اللَّهُ عَلَى كُلَّ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَى كُلَّ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى كُلَّ اللَّهُ عَلَى كُلَّ اللَّهُ عَلَى كُلَّ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى كُلَّ اللَّهُ عَلَّى كُلَّ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى كُلَّ اللّهُ عَلَ

واجع أصله وخرج احلديته اللكتور أحد عمر هاشم بالب رئيس جامعة الأزهر